Guiding the intellectulas to what great scholars said about god deanthropomorphism of movement and descending

Prof. Ali migdady Alhatemy

إِرْشَادُ الفُحُوْلِ

إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل

الأُسْتَاذُ الدَّكْتُوْر

عَلِيْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي

الإِهْدَاءُ:

إِلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ ... إِلَى السِّرَاجِ الْمُنِيْرِ ، الْبَشِيْرِ النَّذِيْرِ ... مَوْلَى الصَّالِحِيْنِ ... الْمَبْعُوْثِ رَحْمَةً لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَجْمَعِيْن ... سَيِّدِي وَحَبِيْبِيْ رسول الله محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أُهْدِيْ ثَوَابَ هَذَا العَمَلِ ، ثمَّ إِلَى أَسيادِيْ وَمَشَايِخِيْ فِي الطَّرِيْقِ إِلَى الله تَعَالَى ، أَصْحَاب الأَيَادِيْ البَيْضَاءِ ، الأَوْلِيَاءِ الأصفياء ، الأَتْقِيَاءِ النُّجبَاءِ فِيْ سِلْسِلَةِ الطَّرِيْقَةِ الشَّاذُلِيَّةِ الْمُوْمَنِيَّةِ ، سيِّدنا ونبينا ومولانا وشفيعنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ صهره وابن عمِّه سيِّدنا الإمام علي بن أبي طالب ، ثمَّ التَّابعي الشَّهير الحسن البصري ، ثمَّ حبيب العجمي ، ثمَّ معروف الكرخيّ ، ثمَّ سري السَّقطي ، ثمَّ الجُنيد البغدادي ، ثمَّ أبو بكر الشبلي ، ثمَّ عبد الوهَّاب التَّميمي ، ثمَّ أبو الفرج الطَّرطوسي ، ثمَّ أبو الحسن الهيكري ، ثمَّ سعيد المبارك ، ثمَّ عبد القادر الجيلاني ، ثمَّ شعيب أبي مدين ، ثمَّ عبد الرَّحمن الزيَّات ، ثمَّ عبد السَّلام بن مشيش ، ثمَّ أبو الحسن الشَّاذلي ، ثمَّ أبو العبَّاس المرسي ، ثمَّ أحمد بن عطاء الله السكندري ، ثمَّ داود بن باخلا ، ثمَّ محمَّد وفا ، ثمَّ علي بن وفا ، ثمَّ يحيى القادري ، ثمَّ أحمد بن عقبة الحضرمي ، ثمَّ أحمد زروق الفاسي ، ثمَّ إبراهيم الفحَّام ، ثمَّ علي الصّنهاجي ، ثمَّ عبد الرَّحمن المجذوب ، ثمَّ يوسف الفاسي ، ثمَّ عبد الرَّحمن الفاسي ، ثمَّ محمَّد بن عبد الله ، ثمَّ قاسم الخصاصي ، ثمَّ أحمد الفاسي ، ثمَّ العربي بن عبد الله ، ثمَّ علي العمراني ، ثمَّ العربي الدَّرقاوي ، ثمَّ عزَّت المهاجي ، ثمَّ محمَّد بن قدور الوكيلي ، ثمَّ محمَّد بن الحبيب البوزيدي ، ثمَّ أحمد العلوي ، ثمَّ محمَّد الهاشمي ، ثمَّ محمَّد سعيد الكردي ، ثمَّ عبد الكريم المومني ، ثمَّ عبد الكريم عرابي ، ثمَّ أحمد محمَّد الحسيني ، نَفَعَنَا اللهُ تَعَالَى بِبَرَكَتِهِمْ وَجَاهِهِمْ ، وَلَا حَرَمَنَا شَفَاعَتَهُمْ ، اللهمَّ آمِيْن ..

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللهَّ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

أمَّا بعد : فإنَّ العلم يشرُفُ بشرفِ المعلوم ، ولمَّا كان علم التَّوحيد هو العلم الذي يعرِّفُنا ويدلُّنا على الله تعالى ، كان أشرفَ العلوم ، لتعلُّقه بأشرف معلومٍ ، وهو الله تعالى ... وهو العلم الذي من تمسَّك بأهدابه نجا ، ومن حاد عن منهاجه غوى وهوى ، ولذلك لا بدَّ من فهم هذا العلم بعيداً عن التَّقليد الذي يعني إلغاء العقل والتَّحجُّر ، وحصول القفار والتَّصحُّر ، فإنَّ الحقَّ لا يُعرف بالرِّجال ، بل الرِّجال هم الذين يُعرفون بالحقِّ ، ولا شكَّ في أنَّ من أهمِّ ما يُيسِّر ويسهِّل الفهم – بعد تقوى الله تعالى وتصحيح نيَّة الطَّلب – : مصاحبة العلماء الذين يخشون الله تعالى ، الرَّاسخين في العلم ، الذين لهم باع وذراع في تلقِّي العلم والاجتهاد في تحصيله ، ولذلك فعلى طالب الحقِّ أن يجتهد في البحث عن هؤلاء الصِّيد الميامين من العلماء العاملين الرَّبانيِّين ، فعَنْ محمَّد بْنِ سِيرِينَ ، قَالَ : إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ " (١) . فإذا وجدهم لازمهم وحرص على ملازمتهم وسؤالهم عن كلِّ عويصة من مسائل العلم ، مع كتابة ما يمليه عليه العـــــالم ، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ " (٢) ...

ومنذ زمن طويل كانت تراودني فكرة البحث في عويص المسائل التي خالف فيها مدَّعو السَّلفيَّة عموم الأمَّة المحمَّديَّة ، وأوجدوا بسببها خرقاً وشرخاً في جسم الأمَّة لا يلتئم إلَّا بالعودة الصَّحيحة إلى الله تعالى ، والوقوف على الحقِّ في مختلف المسائل العقديَّة ، خاصَّة تلك التي كانت سبباً في الاختلاف ،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤) .

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ١٦٩) .

ولذلك شددتُ الحيازيم لتحقيق ما كنت آمله ، فتحقَّق بفضل من الله تعالى ومنَّة ما نشدتُه وأمَّلته ، وأثمر الجهد المتواضع عن ولادة العديد من الكُتُب ، جُلُّها مخصَّص لمناقشة من يدَّعون السَّلفيَّة ...

وفي هذا الكتاب سنُلقي الضّوء على مسألة نزول الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا ، ومجيئه ، وإتيانه ، وهرولته ... لكي نقف على الحقِّ في هذه المسائل الخطيرة ، التي تعثَّرت بها أقدام ، وزلَّت فيها أقلام ... أقدام وأقلام من حادوا عن الحقِّ بعدما تبيَّن ، وقلبوا ظهر المِجنِّ للقواطع النَّقليَّة والعقليَّة التي نزَّهتِ الله تعالى عن مشابهة الحوادث ولوازمها من الحركة ، والنُّزول ، والمجيء ، والإتيان ، والهرولة ، والتَّحيُّز ، ... وهذه هي عقيدة التَّنزيه التي كانت عليها الأمَّة منذ بزوغ فجر الإسلام العظيم ، كما هو معلوم ...

فقد روي عن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " ؟ (١) .

ومن المعلوم أنَّ جمهور العلماء ذهبوا إلى أنَّ النُّزول لا يجوز أن يُحمل على ظاهر معناه المتبادر إلى الأذهان البتَّة ، لأنَّ الحمل على الظَّاهر يتعارض مع العديد من المسلَّمات العقديَّة ، وكذا اللغويَّة ، بالإضافة إلى الاصطدام المباشر مع آيات التَّنزيه ، التي منها :

١ . قوله تعالى : ﴿ وَللهِّ الْمَثَلُ الْأَعْلى ﴾ [النحل : ٦٠] ، فلا يوصف سبحانه بأيِّ وصفٍ يُشبه وصف غيره من صفات المخلوقين ، من التَّغيُّر والتَّبدُّل والحلول في الأماكن والتَّحيُّز فيها ، فهو تعالى واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله ، وتجب له جَمِيعُ صِفَاتِ الْجَلَالِ والجَمَالِ وَالْكَمَالِ ، ولذلك لا يجوز أن تُضرب لله الأمثال التي توجب الاشتباه ، قال تعالى : ﴿ فَلا تَضرِبُوا للهَّ الْأَمْثالَ ﴾ [النحل : ٧٤] .

٢. وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، أي : هل تعلم من الآلهة التي عُبدت من دونه من اسمه الله ؟!! فلا يوجد أبداً من تسمَّى من المعبودات الباطلة باسم ﴿ الله ﴾ ، فالله تعالى لا مِثْل له ، ولا عدل ، ولا شبيه ، ولا مثيل في أيِّ شيء من صفات المُحدثات حتى في اسمه تعالى ، فمن وصفه بمعنى من معاني المحدثات ، كالنُّزول الحقيقي ، والقيام ، والقعود ، والجلوس على العرش والاستقرار فيه ، فقد شبَّه الله تعالى بخلقه ، والعياذ بالله ....

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤ برقم٣٠) ، البخاري (٢/ ٥٣ برقم١١٤٥) ، مسلم (١/ ٥٢١ برقم٧٥٨) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١١٢٩ برقم٦٩٩) .

٣. وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فالله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه بأيِّ وجهٍ من الوجوه ، والآية نصٌّ محكمٌ صريحٌ في نفي المشابهة والمماثلة بين الله تعالى وبين سائر المحدثات ، فلا هو يشبهها في أيِّ شكل من الأشكال ، ولا هو في حاجةٍ إلى شيءٍ ممَّا خلق ...

وقد يَردُ إشكالٌ مفاده : أنَّ نفي المثل في قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، يُوهم وجود المثل ، لأنَّ الكاف بمعنى مِثْل ، فيصير المعنى : ليس مثل مثله شيء ، فالنَّفي يكون لمثل المثل ...

والجواب على هذا الإشكال بعدَّة أجوبة :

١. أنَّ الكاف صلة ، أي زائدة لتأكيد نفي المثل ، فالمعنى : انتفى المثل انتفاء مؤكَّداً .

٢. أنَّ المثل بمعنى الصِّفة ، فالمعنى : ليس كصفة الله تعالى شيء .

٣. أنَّ الآية من باب الكناية ، على حدِّ قولك : (مِثلكَ لا يبْخل) ، أي : أنت لا تبخل . ووجه كونها من باب الكناية أنَّه يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل ، وهذا هو المراد . فالقصد نفي مثله تعالى على أبلغ وجه ، إذ الكناية أبلغ من التَّصريح لتضمُّنها إثبات الشَّيء بدليله .

وعليه ، فالآية الكريمة تنفي عن الله تعالى المماثلة لشيء من الحوادث ، ونفي المماثلة يفيد أُموراً عديدة ، منها :

نفي الجسميَّة والعَرَضيَّة والجوهريَّة ... لأنَّ الجسم مؤلَّف من جواهر وأعراض ، وهما حادثان . قال السُّبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب : " حكم الجواهر والأعراض كلّها الحدوث ، وعلى هذا إجماع المسلمين !!! ومن خالف في ذلك كافر ، لمخالفة الإجماع القطعيّ " (١) .

٤. وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، أي : لا نظير له ، ولا قسيم له ، ولا شبيه له ، ولا صاحبة ، ولا شريك ... فينازعه في ربوبيَّته ومُلكه بوجه من الوجوه ، وقد فسَّرتها آية الشُّورى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى : ١١] .

وبناءً على ما يجب لله تعالى من التَّنزيه ، يجب أن لا يُحمل حديث النُّزول على ظاهِرِمعناه ، لأنَّ النُّزول الذي هو انتقال مِن مكان إلى مكان ، يفتقِر إلى : مكانٍ عالٍ ، ومكانٍ سافلٍ ، وجسمٍ ينتقل بين المكانين ، وهذا لا يجوز على الله تعالى البتَّة ، لأنَّه سبحانه : ليس متمكِّناً في مكان ، وهو سبحانه ليس

---

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٩٣) .

جسماً ، والجسم هو الذي يتحيَّز في المكان ويحتاج إليه ، ولا ينفكُّ عن الحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق ، وهي أعراضٌ ملازمةٌ للأجسام ، ولا تقوم إلَّا بها ، وهي حادثةٌ لتغيرُّها وتبدُّل أحوالها ، ومن المعلوم أن ما لا ينفكُّ عن الحوادث فهو حادث ، والله تعالى واجب الوجود لذاته ، فلا يجوز أن يكون جسماً أو عَرَضاً ، فلو كان جسماً أو عَرَضاً لاحتاج للمحلّ ، وافتقر إليه ، وإذا احتاج إلى المحلِّ أصبح مفتقراً إليه ، فكيف وهو الغنيّ عمَّا سواه ؟!! وبالافتقار للغير يكون الواجب ممكناً ، وببطلان اللازم يكون الملزوم مثله ، وبالتَّالي لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات من الحركة والسُّكون والانتقال وسائر الأعراض الملازمة للمحدثات ، فالله تعالى ليس محلَّاً للحوادث ، فلا هو يحلُّ بها ، ولا هي تحلُّ فيه سبحانه وتعالى ...

كما أنَّ النُّزول بمعنى الانتقال والحركة فيه تغيُّر للحال ، والتَّغيُّر مُستحيل على الله تعالى ، لأنَّه مِن صفات المخلوقات ، فمن الغباوة أن يُقاس نزوله بنزولنا ، فنزوله تعالى لا يكيَّف ، لأنَّه سبحانه لا كيْف له ، وصفاته سبحـــانه لا تشبه صفاتنا بشيء ، جلَّ وتعالى ربُّنا عن النَّظير ، والمثيل ، والشَّبيه ، والنِّد ، والكفء ...

ولذلك وقف جمهور السَّلف الصَّالح أمام المتشابهات من غير أن ينبسُّوا ببنت شَفَه ، وقالوا : نؤمن بها ، **وُنَصَدِّقُ بِهَا ، وَلَا تُتوَهَّم ، وَلَا كَيْف ، وَلَا مَعْنَى** ، ولا نردُّ منها شيئاً ، ونعلم أنَّ ما جاء به الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقٌّ إذا ثبت وصحَّ الحديث عنه ، ولا نردُّ على الله تعالى قوله ، ولا نصف الله بأكثر ممَّا وصف به نفسه ، بلا حدٍّ ولا غاية ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . فأجروها على ظاهر اللفظ لا على ظاهر المعنى ، لأنَّ المعنى لا سبيل إلى درْكه ، ولذلك وَكَلُوا علمه إلى الله تعالى ، وكان لسان حالهم يقول كما قال الإمام ابن الجوزي : " نُقِرُّ ونُمِرُّ ، وَأَرْبَابُ الْبَحْثِ فِي خَسَارٍ ، هَذَا سَيْفُ السُّنَّة فَتَنَاوَلْهُ بِالْيَمِينِ لا بِالْيَسَارِ ، وَاضْرِبْ بِهِ كَفَّ " كَيْفَ " وَرَأْسَ " لَمْ" وَعُنُقَ " ثمَّ " وَخُذْ لِلتَّنْزِيهِ من التشبيه بالثار ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩] (١) .

فالله تعالى لا كيْف له ، إذ الكيْف من لوازم الأجسام ، والله يتنزَّه عن ذلك كلِّه ...

---

(١) انظر : التبصرة (٢/ ٢٨٧) .

وقد استدلَّ إبراهيم عليه السَّلام بأُفول الكوكب والشَّمس والقمر ، وتحريكها وانتقالها من مكان إلى مكان ، على أنَّ ربَّه عزَّ وجلَّ لا يجوز عليه شيء من ذلك ، وأنَّ ما جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله ، قال الله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، وقد امتدحه الله سبحانه على ذلك ...

ومن المعلوم أنَّه لَيْسَ كلّ نزُول وإنزال نقل وحركة وتحويل ، بل ذَلِك لفظ مُشْتَرك الْمَعْنى ، فقد يشتمل على النَّقل والحركة والتَّحوُّل ، وقد لا يشتمل على ذلك ... أَلا ترى أَنَّه إِذا أُضيف إِلَى السَّكينَة لم يكن حَرَكَة وَلَا نقلة ، وَإِذا أضيف إِلَى الْكَلَام لم يكن أَيْضاً تَفْرِيغ مَكَان وشغل مَكَان ، وَإِذا أُرِيد بِهِ الحكم وَتغَيُّر الْمرتبَة فَكَذَلِك ، ولَمَّا كان الله منزَّهاً عن الشَّبيه والنَّظير والمثيل ، فمن الغباوة أن نشبِّه نزوله بنزول الحوادث ، فيجب أن يكون معنى النُّزول مناسباً لتنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث ، ولذلك فإنَّ نزوله تعالى ليس بانتقال من مكان إلى مكان ، لأنَّ الحركة من لوازم الأجسام التي يتنزَّه الله تعالى عنها ، لأنَّه سبحانه ليس جسماً ، وصفاته ليست أجساماً ، قال الإمام الطَّحاوي (٣٢١هـ) في عقيدته : " وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ " ، " وحكوا عن الشَّافعي (٢٠٤هـ) رضي الله عنه أنَّه قال : من انتهض لطلب مدبِّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكرهُ فهو مشبِّه ، وإن اطمأنَّ إلى العدم الصّرف فهو معطِّل ، وإن اطمأنَّ إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد " (١) .

وهذا كلام نفيس من الإمام الشَّافعي ، يدلُّ دلالة واضحة بيِّنة على أنَّ السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم كانوا على قلب رجل واحد في تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة ولوازمها من التَّحيُّز ، والجلوس على العرش ، والحركة ، والنُّزول ، والمجيء ، والإتيان ... وأنَّ ما خطر بالبال فالله بخلافه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] ...

وقال الشَّافعي رضي الله عنه – أيضاً – لَمَّا سُئل عن ذلك : " آمنت بلا تشبيه ، وصدَّقت بلا تمثيل ، واتَّهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كلَّ الإمساك " (٢) .

---

(١) انظر : تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٤/ ٦٤٣) .

(٢) انظر : البرهان المؤيد (ص١٨) .

وبسبب ما آل إليه الأمر في العصور المتأخِّرة من قيام البعض بالبحث عن المتشابه ، واعتقاد ظاهر معناه ... حيث وقع العديد منهم في براثن التَّشبيه ... وجدنا جمهور الخلف يؤوِّلون النُّزول والمجيء والإتيان والهرولة ... على ما يليق بها بحسب مواطِنِها ، وبحسب القواطع العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة ... فمن تأويلاتهم :

ما رُوي عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) وغيره – كما سترى – أنَّه أوَّل النُّزول الوارد في الحديث الشَّريف بنزول رحمته وأمره ، بمعنى أنَّه تعالى يأمر بذلك ، وإنَّما أُضيف النُّزول إِلَيْهِ سبحانه على معنى أنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ، كَمَا يُقَال : ضربَ الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادى الْأَمِير فِي الْبَلَد الْيَوْم ، وإنَّما أَمر بذلك ، فيضاف إِلَيْهِ على معنى أنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ...

ومن معاني النُّزول الواردة عن بعض السَّلف : الإقبال على العباد الدَّاعين والمستغفرين بالإجابة واللطف والرَّحْمَةِ والمغفرة والاستعطاف بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يُلقى فِي قُلُوب أهل الْخَيْر مِنْهُم ، الذين أسعدهم بتوفيقهم لطاعته حَتَّى يزعجهم إِلَى الْجدّ فِي التَّوْبَة والإنابة والإقبال على الطَّاعَة . ولذلك خصَّ الله عزَّ وَجلَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، فقال سبحانه : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] ، وَقَالَ سبحانه فِي وَصفهم أَيْضاً : ﴿ كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨] ، فَيُحْتَمل أَن يكون ذَلِك هُوَ الْمُرَاد بِهِ ، وَهُوَ الْإِخْبَار عَمَّا يظْهر من ألطافه ومعونته وتأييده لأَهل ولَايَته فِي مثل هَذَا الْوَقْت الذي لا يقوم للطَّاعة فيه إِلَّا الْمُخلصُ الْمجدُّ الذي سبقت له من الله العناية والرِّعاية ...

وَقد روى بعض أهل النَّقْل حديث النُّزول عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤَيّد هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ بِضَمِّ الْيَاء من " ينزل " وَذكر أَنَّه قد ضَبطه عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضَّابطين . وَإِذا كَانَ ذَلِك محْفُوظاً مضبوطاً كَمَا قَالَ ، فوجهه ظَاهر ، وَلما ذكره العلماء من التَّأويلات مؤيِّد وشَاهد .

كما جاء في رواية أُخرى : " إنَّ الله يُمهِلُ حتى يمضي شطر الليل الأوَّل ثمَّ يأمُرُ مُنادياً يُنادي : هل مِن داعٍ فَيُستجاب له ؟ وهل مِن مستغفر فَيُغفر له ؟ وهل مِن سائل فَيُعطى ؟ " (١) .

---

(١) قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم ، الأغر من رجاله ، وباقي رجاله رجال الشيخين . أبو عوانة : هو الوضاح بن عبد الله اليشكري ، وأبو إسحاق : هو عمرو بن عبد الله بن عبيد السبيعي . وأخرجه الدارقطني في " النُّزول " ص ١٣٤ و١٣٤-١٣٥ من طريق مُسَددٍ ، عن أبي عوانة ، بهذا الإسناد . وأخرجه ابن خزيمة في " التوحيد " ١/٢٩٣-٢٩٤ ، والآجري في " الشريعة " ص ٣١٠ من

والحديث واضحٌ وصريحٌ ومحكمٌ ، ومؤيِّدٌ للتَّأويل الحقّ ، وهو أنَّ الله تعالى يأمر مَلَكاً من ملائكته الكرام بالنُّزول إِلَى السَّماء ، يُنادي فيقول : هل مِن داعٍ فَيُستجاب له ؟ وهل مِن مستغفر فَيُغفر له ؟ وهل مِن سائل فَيُعطى ؟ ...

ومنها : يَنْزِلُ نُزُولاً يَلِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِلَا كَيْفٍ ، إذ في الكيْف مشابهة ، وهو تعالى منزَّهٌ عن الكيْف ، والكيْف كما قال صاحب التَّعريفات : " هيئة قارَّة في الشَّيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته ، فقوله : " هيئة " يشمل الأعراض كلّها . وقوله : " قارَّة في الشَّيء" احتراز عن الهيئة غير القارَّة ، كالحركة والزَّمان والفعل والانفعال ...

ولا مجال البتَّة لإنكار النُّزول ، فقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ صَحِيحَةٍ ، وَوَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ مَا يُصَدِّقُهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، لكن لا يجوز البتَّة أن يفسَّر النُّزول بأيِّ معنى من معاني البشر ، فالنُّزول وَالْمَجِيءُ صِفَتَانِ مَنْفِيَّتَانِ عَنِ الله تَعَالَى مِنْ طَرِيقِ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، بَلْ هُمَا صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ الله تَعَالَى بِلَا تَشْبِيهٍ ، جَلَّ اللهُ تَعَالَى عَمَّا تَقُولُ الْمُعَطِّلَةُ لِصِفَاتِهِ ، وَالْمُشَبِّهَةُ بِهَا عُلُوّاً كَبِيراً ...

وأخيراً ، فإنَّ من يقولون بالنُّزول على معنى النُّقلة والحركة من مكان إلى مكان ، وقعوا في المحذور حيث قاسوا الغائب على الشَّاهد ... وهذا خطأ جسيم ، ومرتع وخيم ، فقد قاسوا الألفاظ المضافة إلى الله في ذلك على ما يُشَاهِدُونهُ مِنَ النُّزول الَّذِي هُوَ انتقالٌ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، وَانْتِقَالٌ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ ، وَهَذَا صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ ... فَأَمَّا نُزُولُ مَنْ تنزَّه عن الجسميَّة ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيهِ

طريقين عن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق ، عن جده ، به . وأخرجه مسلم (٧٥٨) (١٧٢) ، وابن أبي عاصم في " السُّنَّة " (٥٠٠) و (٥٠١) ، والنسائي في " عمل اليوم والليلة " (٤٨١) و (٤٨٢) ، وأبو يعلى (١١٨٠) و(٥٩٣٦) ، وابن خزيمة ١/ ٢٩٣-٢٩٤ و٢٩٤ ، وأبو عوانة ٢/ ٢٨٨-٢٨٩ ، وابن حبان (٩٢١) ، والآجري ص ٣٠٩ و٣١٠ ، والدارقطني ص ١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٥ و١٣٥-١٣٦ و١٣٦-١٣٧ من طرق عن أبي إسحاق السبيعي ، به . وأخرجه ابن أبي عاصم (٥٠٢) ، وابن خزيمة ١/ ٢٩٥ و٢٩٦ و٣٠٨ ، وأبو عوانة ٢/ ٢٨٨ ، والدارقطني ص ١٣٧-١٣٨ و١٣٨-١٣٩ من طريق سليمان الأعمش ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي هريرة وحده . وأخرجه ابن أبي عاصم (٥٠٠) و (٥٠١) ، والدارقطني ١٣٨-١٣٩ من طريق حبيب بن أبي ثابت ، عن الأغر ، عنهما . وأخرجه ابن أبي عاصم (٥٠٢) ، وابن خزيمة ١/ ٢٩٥-٢٩٦ و٣٠٨ ، والآجري ص ٣٠٩ ، والدارقطني ص ١٣٧-١٣٨ من طريق حبيب بن أبي ثابت ، عن الأغر ، عن أبي هريرة وحده . انظر : هامش مسند أحمد ، (١٤/ ٥٢٩ حديث رقم٨٩٧٥) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .

سُبْحَانَهُ ، وإنَّما هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَحمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ ، وَحُنُوِّهِ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتِجَابَتِهِ دُعَائِهِمْ ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةٌ ، وَلَا عَلَى أَفْعَـــالِهِ كِمِّيَّةٌ ، سُبْحَانَهُ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] – كما سترى –

وعلى ضوء ما سبق بيانه وتقريره ، فإنَّ القائلين بالنُّزول على معنى الحركة والنُّقلة ، قومٌ حادوا عن طريق الحقِّ حِينَ رَوَوا حَدِيثَ النُّزول – كما سيأتي – ثمَّ أَقْبَلَوا عَلَى أنفسهم ، فَقَالَوا : إِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء ؟ قِيلَ لَهُ : يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ . فَإِنْ قَالَ : هَلْ يَتَحَرَّكُ إِذَا نَزَلَ ؟ فَقَيل له : إِنْ شَاءَ يَتَحَرَّكُ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَتَحَرَّكْ !!! وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ عَظِيمٌ ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ يَتَعَاقَبَانِ فِي مَحِلٍّ وَاحِدٍ ، وإنَّما يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسُّكُونِ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الْحَدَثِ ، وَأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْهُمَا ، " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى : ١١] .

ومن المعلوم أنَّ الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ)- غفر الله له – كان من أهمِّ المنافحين والمدافعين عن مثل هذه العقائد التي أوجدت فُرقة وتفريقاً للصَّفِّ بين الأمَّة ، وقد أخذها عن بعض من اتُّهم بالتَّجسيم ، كأمثال عثمان بن سعيد الدَّارمي (٢٨٠هـ) ، حيث كان ابن تيمية يوصي بقراءة كتبه ، ويقول بأنَّ فيها منْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيد ما ليسَ في غيرها ، قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) – تلميذ ابن تيمية – : " وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله يُوصِي بِهَذَيْنَ الْكِتَابَيْنِ – أي : كتابي عثمان بن سعيد الدَّارمي : " الرَّدّ على الجهميَّة " ، وكتاب " الرَّد على بشر المريسي " – أَشَدَّ الْوَصِيَّةِ وَيُعَظِّمُهُمَا جِدّاً ، وَفِيهِمَا مِنْ تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ وَالْأَسْمَاءِ والصِّفات بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِمَا " (١) .

وعثمان الدَّارمي هذا هو القائل : " ... لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ ، ويهبط ويرتفع إذا شَاءَ ، وينقبض ، وَيَبْسُطُ ، وَيَقُومُ ، وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ ؛ لِأَنَّ أَمَارَةُ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ ، كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ ، وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ " (٢) .

وهذا كلام صريحٌ في التَّجسيم الذي اشتهر به عثمان الدَّارمي ... مع أنَّ جمهور أهل العلم ينزِّهون الله تعالى عن النُّزول والمجيء والإتيان من طريق الحركة والانتقال التي هي انتقال من مكان إلى مكان ،

---

(١) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١) .

(٢) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (١/ ٢١٥) .

لأنَّ الحركة لا تتمُّ إلَّا من خلال جسم ينتقل من مكان إلى آخر ... والله تعالى ليس جسماً ، وغير حالٍّ في مكان ... كما أنَّ كلامه يحمل تصريحاً قبيحاً بحلول الحوادث في الله تعالى ، والعياذ بالله ...

وأبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) ، هو غير الدَّارمي صاحب السُّنن المشهور الذي هو أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصَّمد الدَّارمي ، التَّميمي السَّمرقندي (٢٥٥هـ) .

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " وَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَيْضاً أَنَّه لَيْسَ للهَّ حَدٌّ !!! وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ !!! ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنى عَلَيْهِ جهم ضَلَالَاتِهِ ، وَاشْتَقَّ مِنْهَا أُغْلُوطَاتِهِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّه سَبَقَ جَهْماً إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ " . والتَّحديد هو عين التَّجسيم ولبُّه ، والعياذ بالله تعالى ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " ... بَلْ هُوَ بِائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ بِفُرْجَةٍ بَيِّنَةٍ !!! ، وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ " . مع أنَّ السَّلف الصَّالح لم يعرفوا مصطلح " بائن من خلقه " البتَّة ، وقد اعترف الألباني بذلك – كما سيأتي –

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهم حِينَ حَمَلُوا الْعَرْشَ وَفَوْقَهُ الْجَبَّارُ !!! فِي عِزَّتِهِ ، وَبَهَائِهِ ضَعُفُوا عَنْ حَمْلِهِ وَاسْتَكَانُوا !!! وَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ ، حَتَّى لُقِّنُوا : " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَّ " فَاسْتَقَلُّوا بِهِ بِقُدْرَةِ اللهَّ وَإِرَادَتِهِ ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا اسْتَقَلَّ بِهِ الْعَرْشُ ، وَلَا الْحَمَلَةُ ، وَلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا مَنْ فِيهِنَّ ، وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَى ظَهْرِ بَعُوضَةٍ !!! فَاسْتَقَلَّتْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ ، فَكَيْفَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ ؟ وَكَيْفَ يُنْكَرُ أَيُّهَا النفاج أَنَّ عَرْشه يقلّهُ " !!! فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، وعياذاً بالله من هذا الكلام الشَّنيع الفظيع المستنكر الذي لا يصدر إلَّا من إنسان لا يعرف ما يجب لله وما يجوز ويستحيل عليه ...

وقال عثمان الدَّارمي أيضاً : " مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ لَيْسَ بِأَقْرَبَ إِلَى اللهَّ تَعَالَى مِنْ أَسْفَلِهِ ؟!!! ؛ لِأَنَّهُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَّ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ أَقْرَبُ إِلَى اللهَّ مِنْ أَسْفَلِهِ !!! وَأَنَّ السَّماء السَّابِعَةَ أَقْرَبُ إِلَى عَرْشِ اللهَّ تَعَالَى مِنَ السَّادِسَةِ ، وَالسَّادِسَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَامِسَةِ ، ثمَّ كَذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ . كَذَلِكَ رَوَى إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ (٢٣٨هـ) ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) أَنَّه قَالَ : " رَأْسُ

الْمَنَارَةِ أَقْرَبُ إِلَى اللهِّ مِنْ أَسْفَلِـــهِ وَصَدَقَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ إِلَى السَّماء أَقْرَبُ كَـــانَ إِلَى اللهَّ أَقْرَبَ " . (١) .

فهل بعد هذا التَّجسيم تجسيم ؟!! وهل ما ذكره عثمان الدَّارمي السِّجستاني هو لبُّ التَّوحيد كما زعم ابن تيمية حيث نصَّ وحثَّ وحضَّ على قراءة كتبه ؟!! ... أمَّا ما نسبه هذا الدَّارمي إلى الإمام عبدالله بن المبارك (١٨١هـ) فهو محض تقوُّل وافتراء ، وقد سبق لهم أن أفتروا على ساداتنا العلماء ما شاءوا ، بل وصل بهم الأمر إلى أن يكتبوا كُتباً بأسماء كبار علماء الأمَّة لنصرة مذهبهم في التَّشبيه والتَّجسيم ، وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، قال الإمام السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَفِي المبتدعة لَا سِيَّما المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم ، وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم ، وَالشَّهَادَة عَلَى من يخالفهم فِي العقيدة ، بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ، ويزداد حنقهم وتقرُّبهم إِلَى اللهَّ بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النَّيل مِنْهُم ، فَهَؤُلَاءِ لَا يحلُّ لُمسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم ... وَبَلغنِي أَنَّ كَبِيرهمْ استُفتي فِي شَافِعِيّ !!! أيشهد عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ ، فَقَالَ : أَلَسْت تعتقد أَنَّ دَمه حَلَال ؟!!! قَالَ : نعم ، قَالَ : فَمَا دون ذَلِك دون دَمه ، فاشهد وادفع فَسَاده عَن الْمُسلمين " (٢) .

فهل اطَّلعت – يا قارئي – على لبِّ التَّوحيد عند هذا الدَّارمي وعند من امتدح كتبه ، من أمثال ابن تيمية وابن قيِّم الجوزيَّة ومن سار على منهجهم وَسَنَنِهم ؟!! فإن لم يكن هذا تجسيماً فما هو التَّجسيم ؟!! وهل اطَّلعت على حقيقة التَّمسلُفِ القاضي بالكذب وسفك الدِّماء التي حرَّم الله إلَّا بالحقّ ؟!!! فقد أجازوا لأتباعهم الكذب على عباد الله ، لنصرة مذهبهم ومعتقدهم ...

وفي هذا الكتاب ستطَّلع أيُّها القارئ الكريم على بعضٍ !!! ممَّا قاله علماء الأمَّة من مفسِّرين ، ومحدِّثين ، وفقهاء ، ومتكلِّمين ، وأصوليِّين ، ولغويِّين ، وأدباء ، ومؤرِّخين ، ... في النُّزول ، والإتيان ، والمجيء ، والهرولة ... لتعلم يقيناً أنَّ من أجْرَوا هذه الألفاظ على ظاهر المعنى خالفوا الأمَّة جميعاً ، وجاءوا بما هو مرفوضٌ عند عموم الأمَّة سلفاً وخلفاً ...

---

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد (١/ ٢٢٣) ، (١/ ٤٤١) ، (١/ ٤٥٨) ، (١/ ٥٠٤) بالترتيب .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٦) .

وقد جعلتُ الحديث عمَّا أُضيف إلى الله تعالى من النُّزول ، والإتيان ، والمجيء ، والهرولة ، وما من شأنه أن يضيف إلى الله تعالى الحركة والنُّقلة في مقدِّمة وتمهيد وأربعة فصول ، هي :

المُقَدِّمَةُ : ....

تَمْهِيْد : ....

الفَصْلُ الأَوَّلُ : أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَساطِيْنُهَا فِي النُّزول المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى .

الفَصْلُ الثَّاني : أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِيْ تَفْسِيْرِ الإِتْيَانِ المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِيْ تَفْسِيْرِ المَجِيءِ المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى .

الفَصْلُ الرَّابِعُ : أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِي التَّقَرُّبِ وَالهَرْوَلَةِ المُضَافَيْنِ إِلَى الله تَعَالَى .

وَسُبْحَانَكَ اللَهُمَّ وَبِحَمْدِكَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوْبُ إِلَيْكَ ،
وَالحَمْدُ لله رَبِّ
العَالَمِيْنَ

تَمْهِيْد : قبل مناقشة موضوع النُّزول ونظائره من المجيء والإتيان والهرولة المضافة في نصوص الشَّرع إلى الله سبحانه ، لا بدَّ من الإشارة إلى بعض القضايا المسلَّمة والمعلومة بالضَّرورة في دين الله تعالى ، ومن أهمِّ تلكم القضايا المُسَلَّمَة :

١ -أنَّ الفكرَ في ذات الله تعالى ممنوعٌ ولا يجوز البتَّة ، فعَنِ ابْنِ عبَّاس (٦٨هـ) رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَ : " فَكِّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَا تُفَكِّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى " (١) ...

وقال الإمام الطَّحاوي (٣٢١هـ) في عقيدته : " ... لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ ، وقال : وَلَا نَخُوضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ " .

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) في رسالته : " لا يبلغ كُنهَ صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكِّرون ، يعتبر المتفكِّرون بآياته ، ولا يتفكَّرون في مائيَّة ذاته " (٢) .

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) : " وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

وَلَا تُفَكِّرَنْ فِي ذِي الْعُـلَا عَزَّ وَجْهُهُ ... فَإِنَّـــكَ تُرْدَى إِنْ فَعَلْتَ وَتُخْذَلُ
وَدُونَكَ مَصْنُوعَـــاتُهُ فَاعْتَبِرْ بِهَا ... وَقُلْ مِثْلَ مَا قال الخليلُ المبجَّلُ (٣)

وقال الإمام الباجوري (١٢٧٧هـ) :

لا يعرفُ اللهَ إلَّا اللهُ فاتَّئدوا ... والدِّين دينان إيمانٌ وإشراك
وللعقــــول حدودٌ لا تجاوزها ... والعجز عن درْك الإدراك إدراكُ (٤)

٢- أنَّ الكيف عليه سبحانه وتعالى مستحيل ... وقد تبيَّن – كما سترى – أنَّ المقولة المنسوبة للإمام مالك " والكيْف مجهول " لا تصحُّ عنه ، ولا عن غيره البتَّة ... فعلى الذين استمرأوا الاستشهاد بمقولة " والكيف مجهول " أن يعلموا أنَّه يستحيل قولهم في حقِّ الله تعالى ، لأنَّ ظاهر هذه العبارة مُوهمٌ للتَّشبيه

---

(١) أخرجه أبو الشَّيخ الأصبهاني في كتاب العظمة (١/ ٢٤٠ برقم ٢٢) ، البيهقي في الأسماء والصِّفات (٢/ ٤٦ برقم ٦١٨) ، (٢/ ٣٢٣ برقم ٨٨٧) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٥٠ برقم ١٠٨) ، وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " مَوْقُوفٌ ، وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٨٣) ، وروي مثله عن مالك .

(٢) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٩) . والمائية هي الماهية، والمقصود : حقيقة الذات .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١١٦) .

(٤) انظر : كفاية العوام (ص٨٧) .

، ولا يجوز لهم التَّمسُّك بعبارة مرويَّة لا تصحُّ ، فالله تعالى لا يُعقل له كيفٌ ، لأنَّ في الكيفِ مشابهةٌ ، والكيف – كما يقول صاحب " التَّعريفات " : " هيئة قارَّة في الشَّيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته ، فقوله : "هيئة " يشمل الأعراض كلّها . وقوله : " قارَّة في الشَّيء " احتراز عن الهيئة غير القَّارة ، كالحركة والزَّمان والفعل والانفعال " .

وقد أفتى أهل العلم بتحريم الكلام في مثل هذه الأمور ، قال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْلَ السُّنَّة وَالْحَقِّ كُلَّهُمْ عَلَى وُجُوبِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الذَّات ، كَمَا أُمِرُوا وَسَكَتُوا لِحِيرَةِ الْعَقْلِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْكِيلِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفِهِمْ وَإِمْسَاكِهِمْ غَيْرُ شَاكٍّ فِي الوجود والموجود ، وَغَيْرُ قَادِحٍ فِي التَّوْحِيدِ ، بَلْ هُوَ حَقِيقَتُهُ ثمَّ تَسَامَحَ بَعْضُهُمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَةِ خَاشِياً مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّسَامُحِ ، وَهَلْ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَاتِ فَرْقٌ ؟!!! " (١) .

وعليه ... فالتَّكييف مستحيل عليه تعالى ، ومُمتنعُ بالإجماع ، لكن من يدَّعون السَّلفيَّة يصرِّحون بأنَّ لله تعالى كيْفاً إلَّا أنَّ كيفهُ مجهولٌ لديهم ...

والقولُ بالتَّكييف المجهول مدخلٌ واسعٌ للتَّشبيه والتَّجسيم ، ولذلك وجدنا السَّلف الصَّالح يُجري الألفاظ الموهمة للتَّشبيه على ظاهر لفظها – لا على ظاهر معناها كما يزعم مدَّعو السَّلفيَّة – والإيمان بها على طريق الإجمال ، مع تنزيه الله تعالى عن الكيفيَّة والتَّشبيه ، وقد نقله الإمام البيهقي وغيره عن الأئمَّة الأربعة ، والسُّفيانين (سفيان الثَّوري (١٦١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، والحمَّادين (حمَّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وحمَّاد بن زيد (١٧٩هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، والليث (١٧٥هـ) ، وغيرهم كثير ...

فَكيْفَ ، ومن أين عَلمَ من يدَّعون السَّلفيَّة بأنَّ لله تعالى كيْفاً ؟!! ... ومن المعلوم بداهة أنَّ التَّفكير والنَّظر والتَّدبُّر ... أمرٌ موكولٌ للعقول التي من شأنها أن تحلِّل المعلومات الواردة إليها من خلال الحواس الخمس التي تُعتبر مصدراً مهمَّاً للإدراك ومعرفة الأشياء ، لكن يجب علينا أن نفهم أنَّ عمل هذه الحواس وكذا العقول مقصورٌ فقط على عالم الحسِّ والشَّهادة دون عالم الغيب ، وفي ذلك يقول الإمام محمَّد عبده (١٩٠٥م) : " إذا قَدَّرنا عقل البشر قدره ، وجدناه غايه ما ينتهي إلى كماله إنَّما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنساني ، حسَّاً كان أو وجداناً ، أو

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥/ ٢٥) .

تعقُّلاً ، ثمَّ التَّوصُّل بذلك إلى معرفة مناشئها ، وتحصيل كليَّات لأنواعها ، والإحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها .

أمَّا الوصول إلى كُنْه حقيقتها ، فممَّا لا تبلغه قوَّته ، لأنَّ اكتناه المركَّبات إنَّما هو باكتناه ما تركَّبت منه ، وذلك ينتهي إلى البسيط الصّرف ، وهو لا سبيل إلى اكتناهه بالضّرورة ، وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره ...

خذ أظهر الأشياء وأجلاها ، كالضّوء : قرَّر النَّاظرون فيه له أحكاماً كثيرة ، فصَّلوها في علم خاص به ، ولكن لم يستطع ناظر أن يفهم ما هو ، ولا أن يكتنه معنى الإضاءة نفسه ، وإنَّما يعرف من ذلك ما يعرفه كلّ بصير له عينان ، وعلى هذا القياس .

ثمَّ أنَّ الله لم يجعل للإنسان حاجه تدعو إلى اكتناه شيء من الكائنات ، وإنَّما حاجته إلى معرفة العوارض والخواص ولذّة عقله إن كان سليماً ، إنَّما هي تحقيق نسبة تلك الخواص إلى ما اختصَّت به ، وإدراك القواعد التي قامت عليها تلك النّسب ، فالاشتغال بالاكتناه إضاعة للوقت ، وصرف للقوَّة إلى غير ما سيقت إليه ...

ويضيف قائلاً : بأنَّ الفكر في ذات الخالق هو طلب للاكتناه من جهة ، وهو ممتنع على العقل البشرى ، لما علمت من انقطاع النِّسبة بين الوجودين ، ولاستحالة التَّركيب في ذاته ، وتطاولٌ إلى ما لا تبلغه القوَّة البشريَّة ، من جهة أخرى ، فهو عبثٌ ومهلكةٌ ، عبثٌ لأنه سعيٌ إلى ما لا يُدرك ، ومهلكةٌ ، لأنَّه يؤدِّي الى الخبط في الاعتقاد ، لأنَّه تحديدٌ لما لا يجوز تحديده ، وحصرٌ لما لا يصحُّ حصره ...

ويخلص إلى القول : إنَّنا مع جهلنا بكُنْهِ الكَوْنِ وحقيقته ، فللكون أو بعبارة أخرى : فللمخلوق صفات وظواهر وأعراض تحدِّد مخلوقيَّته واحتياجه لخالقه.... فإذا ما ورد نصٌّ أوهم ظاهرُهُ التَّشبيه ، فليس كافياً في التَّنزيه أن نفسِّر اللفظ بحقيقته اللغويَّة ، ثمَّ نتناقض ونظنُّ أننا منزِّهين حينما نقول : أنَنا نجهل كُنه الذَّات ، بل يجب أن ننفي عن الله عزَّ وجلَّ المعنى الظَّاهر ، ولا نتفكَّر في ذات الخالق ، لأنَّ التفكُّر في الذَّات عبثٌ ومهلكةٌ ، وطلبٌ للاكتناه ، وهو مستحيلٌ على العقل البشرى . فكلُّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] (١) .

---

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص٥٠-٦١ باختصار) .

فللعقل البشري جهود إذا جاوزها عجز وضلَّ ، وخبَط خبْط عشواء في غير فَهْم ولا إدراك ... وهناك ظواهر كثيرة تقع تحت حسِّ الإنسان ، وتتداخل في مدركاته ، وهو مع ذلك يعجز عن الوصول إلى كُنهها ، فالنَّفس ، والرُّوح ، والعقل ، والضّوء ، والكهرباء ، والأثير ، قريبةٌ منه كلّ القُرب ، ولكنَّه لا يستطيع معرفة حقيقتها ، وهو لذلك يكتفي بالبحث في آثارها وأعراضها ، وما يمكن أن يفيده منها ، ويَدَعُ – مضطرّاً – محاولة اكتناهها ، وما ذاك إلَّا لأنَّ إدراكه ينتهي عند غايةٍ محدودة ، فالتَّفكير فيما وراء هذه الغاية إضاعةٌ للوقت ، وصرفٌ للقوى فيما خلقت غير مستعدَّة له .

وإذا كان هذا حالُ العقل الإنساني مع ما يساويه في الوجود أو ينحطّ عنه ، بل كذلك شأنه فيما يظنّ من الأفعال أنَّه صادر عنه كالفكر ، فما يكون من أمره بالنِّسبة إلى ذلك الوجود الأعلى ؟! (١) .

قال الإمام السُّيوطي : " ... وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَةِ إِيَّاكَ كَمَا إِيَّاكَ، فَكَيْفَ لَكَ سَبِيلٌ إِلَى مَعْرِفَةِ إِيَّاهُ كَمَا إِيَّاهُ؟ فَكَأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، عَلَّقَ الْمُسْتَحِيلَ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ وَكَيْفِيَّتَهَا وَكَمِّيَّتَهَا، فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ لَا تُطِيقُ بِأَنْ تَصِفَ نَفْسَكَ الَّتِي هِيَ بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِكَيْفِيَّةٍ وَأَيْنِيَّةٍ وَلَا بِسَجِيَّةٍ وَلَا هَيْكَلِيَّةٍ وَلَا هِيَ بِمَرْئِيَّةٍ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِعُبُودِيَّتِكَ أَنْ تَصِفَ الرُّبُوبِيَّةَ بِكَيْفَ وَأَيْنَ وَهُوَ مُقَدَّسٌ عَنِ الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ؟ وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ:

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولْ ... قَصِرَ الْقَوْلُ فَذَا شَرْحٌ يَطُولْ
هُوَ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ... ضُرِبَتْ وَاللهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولْ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَا ... تَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولْ
لَا وَلَا تَدْرِ صِفَاتٍ رُكِّبَتْ ... فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولْ
أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا ... هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولْ
هَذِهِ الْأَنْفَاسُ هَلْ تَحْصُرُهَا ... لَا وَلَا تَدْرِي مَتَى مِنْكَ تَزُولْ
أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ إِذَا ... غَلَبَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهُولْ
أَنْتَ أَكْلُ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ ... كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولْ
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي ... بَيْنَ جَنْبَيْكَ كَذَا فِيهَا ضُلُولْ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْش اسْتَوَى ... لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النُّزُولْ

(١) انظر : الله تبارك وتعالى (ص١٥١) .

كَيْفَ تَجَلَّى اللهُ أَمْ كَيْفَ يُرَى فَلَعَمْرِي لَيْسَ ذَا إِلَّا فُضُولْ
هُوَ لَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ لَهُ وَهُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيْفُ يَحُولْ
وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولْ
جَلَّ ذَاتًا وَصِفَـــاتًا وَسَمَا وَتَعَـــالَى قَدْرُهُ عَمَّا أَقُولْ (١)

فـتكييفُ الأشياء لا يتحصَّل إلَّا من خلال عمل الحواس التي تعمل وفقاً لمعلومات وردت إليها ، فإذا فُقدت المعلومات أو لم تتوفَّر فلا يتبقَّى للعقل إلَّا التَّخيُّلات المبنيَّة لديه على مثال سابق موجود ومتشكِّل في الذَّاكرة بناء على معلومات سابقة وردت إليه ... فإذا لم تتوفَّر أصلاً معلومات عن شيء ما ، فلا سبيل للعقل إلى تكييفه ... وعليه فلا يتبقَّى لمن يدَّعون السَّلفيَّة من سبيل للقول بالكيْف المجهول إلَّا الفهم السَّقيم للنُّصوص المتشابهة ، ذلكم الفهم الذي أُقيم على إلغائهم وإنكارهم لجمال اللغة العربيَّة المتمثِّل بالمجاز الذي أنكروه وسمُّوه بالطَّاغوت ، كما تجد ذلك في كتاب : " الصَّواعق المرسلة في الرَّدِّ على الجهميَّة والمعطِّلة " للإمام ابن القيِّم ، وهو الكتاب الذي هجم فيه على المجاز وعلى القائلين به ، ونسي أو تناسى أنَّ اسم الكتاب الذي حارب فيه المجاز ... مجاز ، فيا لـ ...

ولذلك وجدناهم يسارعون إلى إثبات كلِّ ما من شأنه أن يصف الله تعالى بالجوارح والأعضاء ، ويُجْرُونه على ظاهر معناه ، ثمَّ يقولون : " بلا كيف " ، أو : " والكيْف مجهول " ، وهي عبارة لا مكان لها في هذا المقام ، والعياذ بالله تعالى .

٣-أنَّ الله تعالى منزَّه عن الجسميَّة والجوارح والأعضاء ، وأنَّه سبحانه وتعالى مخالفٌ للحوادث ، في ذاته وصفاته وأفعاله ، فليس هو بذي صورة ولا كميَّة ولا كيفيَّة ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وهذا الكلام لا يُعجب أهل الحشو من المشبِّهة والمجسِّمة ، لأنَّهم كما قال الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) : " ... لم يتمكَّنوا من فهم موجود إلَّا في جهة ، فأثبتوا الجهة ، حتى ألزمتهم بالضَّرورة الجسميَّة والتَّقدير والاختصاص بصفات الحدوث . وأمَّا المعتزلة فإنَّهم نفوا الجهة ، ولم يتمكَّنوا من إثبات الرُّؤية دونها ، وخالفوا به قواطع الشَّرع ، وظنوا أنَّ في إثباتها إثبات الجهة ، فهؤلاء تغلغلوا في التَّنزيه محترزين من التَّشبيه ، فأفرطوا . والحشويَّة أثبتوا الجهة احترازاً من التَّعطيل فشبَّهوا ، فوفَّق الله سبحانه أهل السُّنَّة

---

(١) انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ١٩٠-١٩١) .

للقيام بالحقِّ ، فتفطَّنوا للمسلك القصد ، وعرفوا أنَّ الجهة منفيَّة ، لأنَّها للجسميَّة تابعة وتتمَّة ، وأنَّ الرُّؤية ثابتة ، لأنَّها رديف العلم وطريقه ، وهي تكملة ؛ فانتفاء الجسميَّة أوجب انتفاء الجهة التي من لوازمها . وثبوت العلم أوجب ثبوت الرُّؤية التي هي من روادفه وتكملاته ومشاركة له في خاصيَّته ، وهي أنَّها لا توجب تغييراً في ذات المرئي ، بل تتعلَّق به على ما هو عليه كالعلم " (١) .

ومن الأمثلة على انحراف المسلك المُدَّعي للسَّلفيَّة ، الذي جاء إلى عالم الإسلام بألف بليَّةٍ وبليَّة :

قال الإمام ابن تيمية : " ... إذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَّثَ الْعُلَمَاءُ الْمَرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمَقْبُولُونَ : أَنَّ محمَّداً رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ . رَوَى ذَلِكَ محمَّد بْنُ فَضِيلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ؛ فِي تَفْسِيرِ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] (٢)

وأنا أقول للإمام ابن تيمية : لا ، لم يُحدِّث العلماءُ المرضيُّون ولا أولياؤه المقبولون بأنَّ محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجلسه ربُّه على العرش معه ، بل استنكروه واستعظموه ، ورجَّحوا ما جاء في الصَّحيح من تفسير المقام المحمود بالشَّفاعة العظمى ، وهأنذا أسردُ عليك بعضاً من أقوالهم في استنكاره :

قال الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) : " ... عَلَى هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، أَنَّه الشَّفَاعَةُ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠٤هـ) : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ أَنْ يُقْعِدَهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهَذَا عِنْدَهُمْ مُنْكَرٌ !!! فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْخَالِفِينَ : أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلُ مَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَارَ إِجْمَاعاً فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّة . ذَكَرَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ في قوله : " عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً " [الإسراء : ٧٩] ، قَالَ : شَفَاعَةُ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٣) .

---

(١) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٠٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) .

(٣) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٦٤) .

وعقيدة الإقعاد على العرش عقيدة باطلة ، قال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " فأمَّا قضيَّة قعود نبيِّنا على العرش ، فلم يثبت في ذلك نصٌّ !!! بل في الباب حديث واه " (١) .

ومجسِّمة الحنابلة هم من قالوا بعقيدة الإقعاد على العرش ، وهي عقيدة مزدكيَّة ، قال الإمام الكوثري (١٩٥٢م) : " ومن معتقد المزدقيَّة منهم – الثَّنويَّة – أنَّ المعبود قاعد على كرسيِّه في العالم الأعلى على هيئة قعود خسرو (الملك) في العالم الأسفل " (٢) . ولأجل هذه العقيدة الباطلة أراق مجسِّمةُ الحنابلةِ دماءَ الموحِّدين الرَّافضين لها ، وكفَّروا من لا يؤمن بها ، كما صنعوا مع الإمام التِّرمذي ، الذي أنكر عليهم هذه العقيدة التَّجسيميَّة الكُفريَّة ، فكفَّروه في غير ما مناسبة ، كما تجد ذلك في كتاب السُّنَّة للخلَّال ، والعياذ بالله تعالى ...

وقال الإمام شهاب الدِّين ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في ترجمة الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " وأمَّا حديث الجلوس على العرش فمحال ، ثمَّ أنشد :

سبحان من ليس له أنيس   ولا له في عرشه جليس

فلمَّا سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث ، وثبوا ورموه بمحابرهم ... " (٣) .

وقال الإمام ابن الأثير (٦٣٠هـ) في " الكامل " أحداث سنة (٣١٧هـ) : " وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَاذَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ (٢٧٥هـ) وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ فِيهَا ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَزِيِّ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، هُوَ أَنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ يُقْعِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَقَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى : إِنَّما هُوَ الشَّفَاعَةُ ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ " (٤) .

ولم ينتبه غوغائيُّو الحنابلة إلى أنَّ عقيدة الإقعاد على العرش عقيدة تجسيميَّة بحتة ، خالفوا فيها جمهور الأمَّة الذي ذهب إلى نفيها واستنكارها ، قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) في حوادث سنة (٣١٧هـ) : " وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بكر

---

(١) انظر : مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٨٣) .

(٢) انظر : مقدِّمات الإمام الكوثري (ص٣٨) .

(٣) انظر : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٦/ ٢٤٥٠) .

(٤) انظر : الكامل في التاريخ (٦/ ٧٤٦) .

المروذي الْحَنْبَلِيِّ ، وَبَيْنَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَامَّةِ ، اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، فَقَالَتِ الْحَنَابِلَةُ : يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ . وَقَالَ الْآخَرُونَ : الْمُرَادُ بِذَلِكَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى ، فَاقْتَتَلُوا بِسَبَبِ ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فـ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ : مَقَامُ الشَّفَاعَةِ العظمى ، وهي الشَّفاعة في فصل القضاء بين العباد ، وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، حَتَّى إبراهيم ، وَيَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخَرُونَ " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " قَالَ بن بَطَّالٍ (٤٤٩هـ) أَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ الشَّفَاعَةَ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ وَتَمَسَّكُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّة بِأَنَّهَا فِي الْكُفَّارِ ، وَجَاءَتِ الْأَحَادِيثُ فِي إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ الْمحمَّدِيَّةِ مُتَوَاتِرَةً ، وَدَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الشَّفَاعَةُ ، وَبَالَغَ الْوَاحِدِيُّ (٤٦٨هـ) فَنَقَلَ فِيهِ الْإِجْمَاعَ ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَى مَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَزَيَّفَهُ !!! وَقَالَ الطَّبري : قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ التَّأْويل : الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ هُوَ الَّذِي يَقُومُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرِيحَهُمْ مِنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ ، ثمَّ أَخْرَجَ عِدَّةَ أَحَادِيث فِي بَعْضِهَا التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ وَفِي بَعْضِهَا مُطْلَقُ الشَّفَاعَةِ " (٢) .

وقال الشَّيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٩٩٩م) في مقدِّمة " مختصر كتاب العلو " : " لو أنَّ المؤلِّف رحمه الله وقف عند ما ذكرنا لأحسن ، ولكنَّه لم يقنع بذلك ، بل سوَّد أكثر من صفحة كبيرة في نقل أقوال من أفتى بالتَّسليم بأثر مجاهد في تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى : " عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً " [الإسراء : ٧٩] ، قال : يُجلسه أو يُقعده على العرش . بل قال بعضهم : أنا منكرٌ على كلِّ من ردَّ هذا الحديث ، وهو عندي رجل سوء متَّهم ... بل ذكر عن الإمام أحمد (٢٤١هـ) أنَّه قال : هذا تلقَّته العلماء بقبول إلى غير ذلك من الأقوال التي تراها في الأصل ، ولا حاجة بنا إلى استيعابها في هذه المقدِّمة . وذكر في " مختصره " المسمَّى بـ " الذَّهبيَّة " أسماء جمع آخرين من المحدِّثين سلَّموا بهذا الأثر ، ولم يتعقَّبهم بشيء هناك . وأمَّا هنا فموقفه مضطربٌ أشدّ الاضطراب !!! فبينما تراه يقول في آخر ترجمة محمَّد بن مصعب العابد عقب قول من تلك الأقوال (ص١٢٦) : فأبصر – حفظك الله من الهوى – كيف آل الفكر بهذا المحدِّث إلى وجوب

---

(١) انظر : البداية والنهاية (١١/ ١٦٢) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٢٦) .

الأخذ بأثر منكر " ... فأنت إذا أمعنت النَّظر في قوله هذا ، ظننت أنَّه ينكر هذا الأثر ولا يعتقده ، ويلزمه ذلك ولا يتردَّد فيه ، ولكنك ستفاجأ بقوله (ص١٤٣) بعد أن أشار إلى هذا الأثر عقب ترجمة حرب الكرماني : وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة التي انفرد بها سيِّد البشر ، ويبعد أن يقول مجاهد ذلك إلَّا بتوقيف ... " . ثمَّ ذكر أشخاصاً آخرين ممَّن سلَّموا بهذا الأثر غير من تقدَّم ، فإذا أنت فرغت من قراءة هذا ، قلت : لقد رجع الشَّيخ من إنكاره إلى التَّسليم به ، لأنه قال : أنَّه لا يقال إلَّا بتوقيف ! ولكن سرعان ما تراه يستدرك على ذلك بقوله بعد سطور : ولكن ثبت في " الصِّحاح " أنَّ المقام المحمود هو الشَّفاعة العامَّة الخاصَّة بنبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . قلت : وهذا هو الحقُّ في تفسير المقام المحمود دون شكٍّ ولا ريب للأحاديث التي أشار إليها المصنِّف رحمه الله تعالى ، وهو الذي صحَّحه الإمام ابن جرير في " تفسيره (١٥/ ٩٩) ثمَّ القرطبي (١٠/ ٣٠٩) وهو الذي لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره ، وساق الأحاديث المشار إليها . بل هو الثَّابت عند مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير . وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر ، فقد ذكر المؤلِّف (ص١٢٥) أنَّه روي عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، وعطاء بن السَّائب ، وأبي يحيى القتَّات ، وجابر بن يزيد " . قلت : والأوَّلان مختلطان ، والآخران ضعيفان ، بل الأخير متروكٌ متَّهم " (١) .

قلت : وفي كتابه : " السُّنَّة " أورد الخلَّالُ (٣١١هـ) عشرات الرِّوايات حولَ هذه المسألة ، حمل بعضُها الإغلاظ على من أنكرها ، وحكمت بعض الرِّوايات بكفر من ردَّها وأنكرها ، بعد أن اعتبروها فضيلة للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنَّها روايات باطلة منكرة (٢) ...

قال القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) : " وَذَكَرَ أَبُو عبد اللهَّ بْن بطَّة (٣٨٧هـ) فِي كتاب " الإبانة " ، قَالَ أَبُو بكر أحمد بْن سلمان النّجاد (٣٤٨هـ) : لو أنَّ حالفاً حلف بالطَّلاق ثلاثاً : أنَّ اللهَّ تَعَالَى : يقعد محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه عَلَى العرش واستفتاني فِي يمينه لقلت لَهُ : صدقت فِي قولك ، وبررت فِي يمينك ، وامرأتك عَلَى حالها ، فهذا مذهبنا وديننا واعتقادنا !!! وعليه نشأنا !!! ونحن عَلَيْهِ إِلَى أن نموت إن شاء اللهَّ !!! فلزمنا الإنكار عَلَى من ردَّ هَذِهِ الفضيلة الَّتِي قالتها

(١) انظر : مقدمة مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٥-١٦) .

(٢) انظر : السُّنَّة (١/ ٢١٢-٢٥٩) .

العلماء وتلقُّوها بالقبول ، فمن ردَّها فهو من الفرق الهالكة !!! " [1] . فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ، ونعوذ بالله من الخذلان ...

فمع كون عقيدة الإجلاس على العرش عقيدة تجسيميّة بحته ، فقد دافع عنها مدَّعو السَّلفيَّة ، ومنعوا من ذمِّ الُمجسِّمة ، وبالمقابل ذمُّوا المنزِّهة الذين نعتوهم بالجهميَّة ، زاعمين بأنَّ السَّلف لم يذمُّوا أحداً بأنَّه مجسِّمٌ ، ولا ذمّ المجسِّمة ... وفي ذلك يقول ابن تيمية : " ... ولم يذم أحدٌ من السَّلف أحداً بأنَّه مجسِّمٌ ، ولا ذمّ المجسِّمة ، وإنَّما ذمُّوا الجهميَّة النُّفاة لذلك !!! وغيره ... " [2] .

وتجاوزوا ذلك إلى التَّصريح بأنَّ الله تعالى جسمٌ لا كالأجسام ، وأنَّه ليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا قول أحد من سلف الأمَّة وأئمَّتها ، أنَّه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ...قال ابن تيمية : " ... والموصوف بهذه الصِّفات لا يكون إلَّا جسماً ، فالله تعالى جسمٌ لا كالأجسام !!! قالوا : وهذا ممَّا لا يمكن النِّزاع فيه !! إذا فهم المعنى المراد بذلك ، لكن أي محذور في ذلك ؟!! وليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمَّة وأئمَّتها ، أنَّه ليس بجسم ، وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟!! فنفي المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل ؛ بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرعٌ ولا عقل ، جهلٌ وضلال " [3] .

قلت : وهذا كلام جدُّ خطير من ابن تيمية ... فَمَن من السَّلف قال بأنَّ الله تعالى : جسم لا كالأجسام ؟ مع العلم بأنَّ عقلاء الحنابلة وغيرهم شنَّعوا على من قال بذلك : قال الإمام أحمد بن حمدان بن سبيب بن حمدان النّمري الحرَّاني الحنبلي (٦٩٥هـ) : " ... لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ، ومن شبَّهه بخلقه فقد كفر ، نصَّ عليه أحمد . وكذا من جسَّم ، أو قال : أنَّه جسم لا كالأجسام . ذكره القاضي " [4] .

---

[1] انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصِّفات (١/ ٤٨٥) .

[2] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٢) .

[3] انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٧٣) .

[4] انظر : نهاية المبتدئين في أصول الدِّين (ص٣١) .

وقال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ : كَقَوْلِهِ جِسْمٌ كَالْأَجْسَامِ) وَكَذَا لَوْ لَمْ يَقُلْ كَالْأَجْسَامِ ، وأَمَّا لَوْ قَالَ لَا كَالْأَجْسَامِ فَلَا يَكْفُرُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقُ لَفْظِ الْجِسْمِ الْمُوهِمِ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ : لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ " (١) .

وقال الإمام الزَّيلعي (٧٤٣هـ) : " وَالْمُشَبِّهِ إذَا قَالَ : لَهُ تَعَالَى يَدٌ وَرِجْلٌ كَمَا لِلْعِبَادِ فَهُوَ كَافِرٌ مَلْعُونٌ ، وَإِنْ قَالَ : جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ إلَّا إطْلَاقَ لَفْظِ الْجِسْمِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُوهِمٌ لِلنَّقْصِ فَرَفَعَهُ بِقَوْلِهِ : لَا كَالْأَجْسَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا مُجَرَّدَ الْإِطْلَاقِ ، وَذَلِكَ مَعْصِيَةٌ تَنْتَهِضُ سَبَباً لِلْعِقَابِ " (٢) . فأقلُّ ما قاله العلماء فيمن قال : جسمٌ لا كالأجسام : أنَّه مبتدع عاصٍ يستحق العقاب ، وبعضهم حكم بكفره ، والعياذ بالله ...

وقال الإمام ابن تيمية : " وإذا كان كذلك ، فاسم المشبِّهة ليس له ذكرٌ بذمٍّ في الكتاب والسُّنَّة ، ولا كلام أحد من الصَّحابة والتَّابعين ؛ ولكن تكلَّم طائفةٌ من السَّلف مثل عبد الرَّحمن بن مهدي (١٩٨هـ) ، ويزيد بن هارون (٢٠٦هـ) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) ، ونعيم بن حماد ، وغيرهم بذمِّ المشبِّهة ، وبيَّنوا المشبِّهة الذين ذمُّوهم ... " (٣) .

وهذا كلام غريب وفذلكة من الإمام ابن تيمية ومن يدَّعي السَّلفيَّة ، وإلَّا فبالله عليكم ماذا تُسمُّون من يصحِّح حديث الشَّابِّ الأمرد في كتابه : " بيان تلبيس الجهميَّة " ؟!!! وماذا تسمُّون من يقول : إنَّ لله تعالى صورة كصورة الإنسان ؟!! وهذا عنوان كتاب للمدعو حمود التُّويجري وهو من مدَّعي السَّلفيَّة ، واسم الكتاب هو : " عقيدةُ أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الإنسان " ، وقد قرَّظ الكتاب الشَّيخ ابن باز – غفر الله له – ...أليس هذا تشبيهاً لله تعالى بخلقه ... أم ماذا تسمُّونه يا أهل النُّهى والحجى ؟!!! ذاب الثَّلج وبان المرج ، ولم يعُد شيء خافياً على ذي لبٍّ ...

وماذا تسمُّون من يصرِّح فيقول : " والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقيَّة حقيقيَّة ليست فوقيَّة الرُّتبة " (٤) . فماذا تسمُّون هذا ... بل ما تسمُّون من يقول : " فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة " ، صريحٌ

---

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥٦١) .

(٢) انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (١/ ١٣٥).

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٨٧) .

(٤) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ابن تيمية الحراني (١/ ٣٩٠) .

في أنَّ الذي كان في أحسن صورة هو ربُّه " (١) . وماذا تقولون في هذا التَّشبيه ؟؟ وماذا تقولون فيمن يقول : " ... أنَّ حديث أُم الطُّفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : ... سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شاب موفر ، رجلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (٢) .

ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه ؟!! أم ماذا هو ؟!! وألا يعتبر الحديث تحديداً لله تعالى ؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً ؟!! لأنَّ الشَّاب الأمرد لا يعيش إلَّا ضمن حيِّز ، ثمَّ أليس الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثَّلاثة من الطُّول والعرض والارتفاع ؟!! مع أنَّ حديث أُم الطُّفيل هذا حديث باطل منكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت فِي مسائل مهنَّا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قَالَ : سألته يعني أَحْمَد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أَبِي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أُم الطُّفيل امرأة أَبِي بن كعب ، أنَّها قالت : سمعت النبَّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يذكر أنَّه رأى ربَّه فِي المنام فِي صورة شاب موفر رجلاه فِي خضر عليه نعلان من ذهب ، عَلَى وجهه فراش من ذهب " فحوَّل وجهه عنِّي وَقَالَ : هَذَا حديث منكر ، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التَّضعيف من أَحْمَد لحديث أُم الطُّفيل " (٣) .

ويُصرُّ ابن تيمية على عقيدة أنَّ لله تعالى صورة فيقول : " ... فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة ، فقال : يا محمَّد ، فقلت : لبَّيك يا ربّ ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : لا أدري ، قالها ثلاثاً ، قال : فرأيته وضع كفَّه بين كتفي ، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ... " . وماذا تسمُّون هذا ؟!!! مع أنَّ الحديث موضوعٌ تالفٌ وقد ضعَّفه الإمام أحمد كما سبق (٤) .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٥٨) .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٣٦٥) .

(٣) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصِّفات (١/ ١٤٠-١٤١) .

(٤) قال الأستاذ حسن السقَّاف في تخريجه للحديث : " هذا الحديث لا يثبت من ناحية سنده ومتنه من وجوه :

الأوَّل : رواه التِّرمذي في سننه (٥ / ٣٦٦) وحسَّنه ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ١٥٢) ، وابن الجوزي في " الموضوعات " (١ / ١٢٥) ، والطَّبراني في " المعجم الكبير " (١ / ٣١٧) ، وأورده الحافظ السُّيوطي في كتابه " اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " (١ / ٣١) ، وذكر أنَّ في سنده حمَّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وقد روي الحديث عن حمَّاد بلفظ آخر ، كما قال السُّيوطي في " اللآلئ المصنوعة " (١ / ٣١) ، ذكر هذا

اللفظ الحافظ الذَّهبي في " الميزان " ، وابن عدي في " الكامل في الضُّعفاء " ، ففي الميزان – أعني " ميزان الاعتدال " – (١ / ٥٩٣) ، قال : رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . قلت : أورد الذَّهبي صدر الحديث الذي نحن بصدده والذي اضطرب فيه الرُّواة وماجوا اضطراباً عجيباً في كتابه القيِّم " سير أعلام النُّبلاء (١٠ / ١١٣ – ١١٤) من طريق حمَّاد هذا ، وقال : وهو بتمامه في تأليف البيهقي (٤٥٨هـ) ، وهو خبر منكر ، نسأل الله السَّلامة في الدِّين .. ا.هـ . قلت : الإمام الحافظ البيهقي قال في كتابه " الأسماء والصِّفات " (ص ٣٠٠ بتحقيق المحدث الكوثري) : وقد روي من وجه آخر وكلها ضعيف . ا.هـ قلت : وهذا تصريحٌ من البيهقي بضعف طرق هذا الحديث ، وقول الذَّهبي معه بأنَّه منكر ، مع إيراد الحافظ السُّيوطي وابن الجوزي له في " الموضوعات " يثبت وضعه بلا شكٍّ ولا ريب . كما أنَّ الحافظ ابن خزيمة أطال في ردَّ أحاديث الصُّورة في كتابه في الصِّفات .

فإن قال قائل : قد حسَّن التِّرمذي الحديث بل قد صحَّحه في بعض الرِّوايات عنه ، قلنا : هذا لا ينفع لوجوه :

منها : أنَّ التِّرمذي رحمه الله تعالى متساهل في التَّصحيح والتَّحسين ، مثله مثل الحاكم رحمه الله في " المستدرك " ، يصحِّح الموضوعات ، كما هو مشهور عند أهل الحديث .

ومنها : أنَّ تضعيف هؤلاء الحفاظ الذين ذكرناهم وهم جهابذة أهل الحديث الذين حكموا على الحديث بأنَّه منكر وموضوع وغير ذلك ، مقدَّم على تحسين التِّرمذي أو تصحيحه .

ومنها : أنَّ الثَّابت من كلام التِّرمذي رحمه الله من نسخ سننه أنَّه قال : حسن غريب ، كما نقل ذلك عنه الحافظ المزِّي في " تحفة الأشراف (٤ / ٣٨٢ / ٤) ، والمنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " ، وقد فصَّل القول في المسألة الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في كتابه : " النُّكت الظِّراف " المطبوع مع " تحفة الأشراف " معلقاً على قول التِّرمذي حسن غريب ما نصّه : " حديث : أتاني ربِّي في أحسن صورة ... الحديث .

قلت : قال محمَّد بن نصر المروزي في كتاب " تعظيم قدر الصَّلاة " : هذا حديث اضطرب الرُّواة في إسناده ، وليس يثبت عند أهل المعرفة " . ا.هـ كلام ابن حجر العسقلاني . وقال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التَّهذيب " (٦ / ١٨٥ طبعة دار الفكر) : قال أبو زرعة الدِّمشقي : قلت لأحمد : إنَّ ابن جابر يحدِّث عن ابن اللجلاج عن عبد الرَّحمن بن عائش حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة " ، ويحدث به قتادة ، عن أبي قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عبَّاس ، قال : هذا ليس بشيء . ا.هـ وقال ابن الجوزي في كتابه " العلل المتناهية " (١ / ٣٤) عقب هذا الحديث : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ، قال الدَّارقطني : كلُّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح ا.هـ. قلت : والمضطرب من أقسام الضَّعيف كما هو معلوم ...

الوجه الثَّاني : هناك ألفاظ منكرة في متن الحديث تؤكِّد وضعه ، منها : إثبات الصُّورة لله تعالى ، وكذلك إثبات الكفِّ له سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأنَّها بقدر ما بين كتفي سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإثبات علم ما في السَّماوات والأرض للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وغير ذلك ممَّا لا أودُّ الآن الإطالة بسرده ، فأقول مجيباً عن بعض هذه المسائل : أمَّا الأولى : فالله عزَّ وجلَّ ليست له صورة ، بلا شكٍّ ، وذلك لأنَّه بيَّن أنَّ المخلوقات ، ومنها الإنسان : مركَّبة من صورة ، وهو سبحانه " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى : ١١] ، إذ قال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الْإِنْسانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار :٦– ٨] ، وأجمع أهل السُّنَّة على استحالة الصُّورة على الله عزَّ وجلَّ ، كما نقل ذلك الاجماع الشَّيخ الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه العظيم : " الفرق بين الفرق " (ص ٣٣٢) ، وقال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه ، كما في " سير أعلام النبلاء " ، و " الحلية " (٩ / ١٠٥) ، و " آداب الشَّافعي " لابن أبي

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " أنَّا قد قدَّمنا أنَّ جميع ما يذكر من هذه الأدلَّة التي تنفي الجسم على اصطلاحهم ، فإنَّها أدلَّة باطلة ، لا تصلح لمعارضة دليل ظنِّي ولا قطعي " (١) ...

والكلام في مثل هذه المعاني التَّشبيهيَّة يطول ، والغريب أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة لا يحيدون عمَّا قاله ابن تيمية قيد أنمله ، بل يعتقدون ما يعتقد من غير نكير ولا تغيير ، وهو عندهم المرجع الذي لا يُجارى ولا يُبارى ، ومن الأمثلة على متابعة من يدَّعون السَّلفيَّة لإمامهم ابن تيميَّة : أنَّ المدعو : عبد الكريم صالح الحميد ، ألَّف كتاباً سمَّاه : " القول المختار لبيان فناء النَّار " ردَّ فيه على الشَّيخ الألباني الذي عارض الإمامين : ابن تيميَّة وتلميذه ابن قيِّم الجوزية القائلين بفناء النَّار ، مع أنَّ بقاء النَّار وديمومتها أبداً من الضّروريات في دين الله تعالى . وكتاب " عبد الكريم الحميد " هو من (منشورات مطبعة السفير ، الرياض ، ١٤١٢هـ) ... مع العلم أنَّ العلماء قديماً ردُّوا على ابن تيمية قوله المخالف لعموم الأمَّة ، انظر مثلاً كتاب : " الاعتبار ببقاء الجنَّة والنَّار " ، لتقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي ، عني بنشره : القدسي ، مطبعة الترقِّي ، دمشق ، وكتاب : " رفع الأستار لإبطال أدلَّة القائلين بفناء النَّار " ، لمحمَّد بن إسماعيل الأمير

حاتم (٢٣١) ، وغير ذلك : الاجماع أكبر من الحديث المنفرد . ا هـ. أي أنَّ الاجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط الاحتجاج به ، بل يدلُّ ذلك على وضعه ، وأنَّه لا أصل له ، كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه : " الفقيه والمتفقِّه " (١ / ١٣٢) ؟

كما أنَّ قوله في الحديث : " فعلمت ما بين السَّماوات والأرض " تنقضه نصوص صحيحة صريحة ، منها : قوله تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ " [الأنعام : ٥٩] ، فالله عزَّ وجل أوضح لنا وبيَّن أنَّ علمه بهذه الأشياء الموجودة في ظلمات الأرض ممَّا لا يعلمها إلَّا هو ، وأمَّا الملائكة فكلٌّ منهم موكَّل بشيء محدود معلوم في السَّماء أو في الأرض ، أمَّا علم جميع وظائفهم ، وما في السَّماء والأرض فهو لله عزَّ وجلَّ . ومنها : قوله سبحانه : " إِنَّ اللهَّ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللهَّ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ " [الحجرات : ١٨] ، فلو كان سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ذلك أيضاً لقال : " إنَّ الله ورسوله يعلمان غيب السَّماوات والأرض " . وفي الحديث الصَّحيح : سئل النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أيّ البقاع خير ؟ فقال : " لا أدري " ، فقال السَّائل : أي البقاع شر ؟ فقال : " لا أدري " ، فسأل سيِّدنا جبريل ، فقال : لا أدري ، فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه : إنَّ خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق ... انظر : أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ص٢٨١-٢٨٦ باختصار) .

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٤٠٧) .

الصَّنعاني ، بتحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، (المكتب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م) ... وقد خالف ابن تيمية في ذلك جمهور الأُمَّة [١] ...

والعجيب أنَّ الألباني مع كونه أثبت هذا القول الفاسد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة ، جعل لهما ثواباً على اجتهادهما !!! في القول بفناء النَّار ، كما تجد ذلك في تعليقه على " رفع الاستار " (ص٣٢) ، فيا للعجب ...

فالقوم لا يعنيهم الدَّليل بقدر ما يعنيهم متابعة مشايخهم الذين قلَّدوهم حذو القذَّة بالقذَّة ، حتى ولو اضطرُّوا للتَّأويل الذي لا يقولون به !!!

ويستشهدون على مقالاتهم الباطلة بكلام ينسبونه ظلماً وزوراً للإمام أحمد بن حنبل ، مع أنَّ سادة الحنابلة نفوا ما ألصقه الآثمون به ، فقد نقل الإمام أبو الفضل ، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث ، التَّميمي البغدادي ، رئيس الحنابلة ببغداد (٤١٠هـ) عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه : " أنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذة من الشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيبٍ وصورةٍ وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كلّه ، فلم يجز أن يُسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ، ولم يجيء في الشَّريعة ذلك ، فبطل " [٢] .

فهذا رئيس الحنابلة ببغداد يصوِّر العقيدة الحقَّة للإمام أحمد ، وأنَّه أنكر على المجسِّمة ، وأنَّ الجسم هو كلّ ما كان له طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ... والله تعالى خارج عن ذلك كلّه ، ثمَّ حكم ببطلان ذلك كلّه ...

ونقل الإمام أبو الفضل التَّميمي الحنبلي عن الإمام أحمد أنَّه قال : " والله تعالى لا يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش " [٣] .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) ، حين سئل : " فِي عقائد الْحَنَابِلَة مَا لَا يخفى على شرِيف علمكُم ، فَهَل عقيدة الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ كعقائدهم ؟ ، قال : عقيدة إِمَام السُّنَّة أَحْمد بن

---

(١) انظر مثلاً : " لوامع الأنوار البهيَّة " ، لمحمَّد بن أحمد السَّفاريني (٢/ ٢٣٥) ، " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " ، لنعمان بن محمَّد الألوسي (ص٤٢١) ، محمَّد رشيد رضا في مجلته المنار : الجزء الأوَّل والثَّاني ، (المجلَّد الثَّاني والعشرون) .

(٢) انظر : اعتقاد الإمام أحمد ، أبو الفضل التميمي (ص٤٥) .

(٣) انظر : اعتقاد الإمام أحمد ، أبو الفضل التميمي (ص ٣٨ -٣٩) .

حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ وأرضاه ، وَجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه ، وأفاض علينا وَعَلِيهِ من سوابغ امتنانه ، وبوأه الفردوس الْأَعْلَى من جنانه ، مُوَافقَة لعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من الْمُبَالغَة التَّامَّة فِي تَنْزِيه الله تَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيراً من الْجِهَة والجسميَّة ، وَغَيرهمَا من سَائِر سمات النَّقْص ، بل وَعَن كلِّ وَصْف لَيْسَ فِيهِ كَمَال مُطلق ، وَمَا اشْتهر بَين جهلة المنسوبين إِلَى هَذَا الإِمَام الْأَعْظَم الْمُجْتَهد من أَنَّه قَائِل بِشَيْء من الْجِهَة أَو نَحْوهَا فكذب وبُهتان وافتراء عَلَيْهِ ، فلعن الله من نسب ذَلِك إِلَيْهِ ، أَو رَمَاه بِشَيْء من هَذِه المثالب الَّتِي برَّأه الله مِنْهَا ، وَقد بَيَّن الْحَافِظ الْحجَّة الْقدْوَة الإِمَام أَبُو الْفرج بن الْجَوْزِيّ (٥٩٧هـ) من أَئِمَّة مذْهبه المبرِّئين من هَذِه الوصمة القبيحة الشَّنيعة ، أَنَّ كلّ مَا نسب إِلَيْهِ من ذَلِك كذب عَلَيْهِ وافتراء وبهتان ، وَأَنَّ نصوصه صَرِيحَة فِي بطلَان ذَلِك وتنزيه الله تَعَالَى عَنهُ ، فَاعْلَم ذَلِك فَإِنَّهُ مُهِمّ . وَإِيَّاك أَنْ تصغى إِلَى مَا فِي كتب ابْن تَيْمِية وتلميذه ابْن قيم الجوزية وَغَيرهمَا مِمَّن اتخذ إلهه هَوَاهُ ، وأضلَّه الله على علم ، وَختم على سَمعه وَقَلبه ... " (١) .

فالله تعالى ليس جسماً ، لأنَّ الجسم يتشكَّل من أجزا ، ولا يقوم بغير أجزائه ، كما أنَّه لا ينفكُّ عن لوازمه من الحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق ، وهذه اللوازم كلّها حادثة لتغيُّرها وتبدُّلها وعدم قيامها بنفسها ، وما لا ينفكُّ عن الحوادث فهو حادث ، ويلزم من القول بالجسميَّة حدوث الله ، والله تعالى واجب الوجود لذاته ، ولو كان جسماً لكان له شبيه ومثيل ، ونحن نعلم أنَّ العديد من آيات القرآن الكريم نفت عن اللهّ تعالى الشَّبيه والمثيل ... فلا يجوز أن يكون جسماً ، والجسم مركَّب وهو مفتقرٌ إلى ما ركِّب منه ، وكذا مفتقر إلى من يركِّبه ، وبالتَّالي فإنَّ واجب الوجود يكون ممكناً ، وهذا يتعارض مع ما ثبت بالضَّرورة أنَّه سبحانه وتعالى واجب الوجود ...

قال الإمام فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) : " اعلم أنَّ المشهور عن قدماء الكرَّاميَّة : إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى . إلَّا أنَّهم يقولون : لا نريد به كونه تعالى مؤلَّفاً من الأجزاء ومركَّباً من الأبعاض ، بل نريد كونه تعالى غنيَّاً عن المحلِّ قائماً بالنَّفس ، وعلى هذا التَّقدير ، فإنَّه يصير النِّزاع في أنَّه تعالى جسم أو لا نزاعاً لفظيَّاً ، هذا حاصل ما قيل في هذا الباب .

إلَّا أنَّا نقول : كلُّ ما كان مختصَّاً بحيِّز أو جهة ، ويمكن أن يُشار إليه بالحسِّ ، فذلك المشار إليه إمَّا أن لا يبقى منه شيء في جوانبه السِّت ، وإمَّا أن يبقى ، فإن لم يبقى منه شيء في جوانبه السِّت ، فهذا يكون

---

(١) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧٠-٢٧١) .

كالجوهر الفرد ، وكالنُّقطة التي لا تتجزَّأ ، ويكون في غاية الصِّغر والحقارة . ولا أظنُّ أنَّ عاقلاً يرضى أن يقول : إنَّ إله العالم كذلك ، وأمَّا إن بقي شيء في جوانبه السِّت أو في أحد هذه الجوانب ، فهذا يقتضي كونه مؤلَّفاً مركَّباً من جزأين أو أكثر ، وأقصى ما في الباب أن يقول قائل : إنَّ تلك الأجزاء لا تقبل التَّفرُّق والانحلال ، إلَّا أنَّ هذا لا يمنع من كونه في نفسه مركَّباً مؤلَّفاً ، كما أنَّ الفلسفي يقول : الفلك جسم ، إلَّا أنَّه لا يقبل الخرق والالتئام ، فإنَّ ذلك لا يمنعه من اعتقاد كونه جسماً طويلاً عريضاً عميقاً .

فثبت أنَّ هؤلاء الكرَّاميَّة لما اعتقدوا كونه تعالى مختصَّاً بالحيِّز والجهة ، ومشاراً إليه بحسب الحسِّ ، واعتقدوا أنَّه تعالى ليس في الصِّغر والحقارة مثل الجوهر الفرد والنّقطة التي لا تتجزَّأ : وجب أن يكونوا قد اعتقدوا أنَّه تعالى ممتد في الجوانب ، أو في بعض الجوانب ، ومن قال ذلك فقد اعتقد كونه مركَّباً مؤلَّفاً ، فكان امتناعه عن إطلاق لفظ المؤلَّف والمركَّب ، امتناعاً عن مجرَّد هذا اللفظ مع كونه معتقداً لمعناه ، فثبت أنَّهم أطلقوا لفظ الجسم : لأجل أنَّهم اعتقدوا كونه تعالى طويلاً عريضاً عميقاً ممتدَّاً في الجهات . فثبت أنَّ امتناعهم عن هذا الكلام : لمحض التَّقيَّة والخوف ، وإلَّا فهم يعتقدون كونه تعالى مركَّباً مؤلَّفاً " (١) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " لَوْ كَانَ جِسْماً مُتَحَيِّزاً لَكَانَ مُشَارِكاً لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ فِي عُمُومِ الْجِسْمِيَّةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُخَالِفاً فِي خُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وإمَّا أن لَا يَكُونُ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَمَا بِهِ الْمُشَارَكَةُ غَيْرُ مَا بِهِ الْمُمَايَزَةُ ، فَعُمُومُ كَوْنِهِ جِسْماً مُغَايِرٌ لِخُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّا إِذَا وَصَفْنَا تِلْكَ الذَّات الْمَخْصُوصَةَ بِالْمَفْهُومِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً كُنَّا قَدْ جَعَلْنَا الْجِسْمَ صِفَةً ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّ الْجِسْمَ ذَاتُ الصِّفَةِ ، وَإِنْ قُلْنَا بِأَنَّ تِلْكَ الذَّات الْمَخْصُوصَةَ الَّتِي هِيَ مُغَايِرَةٌ لِلْمَفْهُومِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِكَوْنِهِ جِسْماً ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ ذَاتُ اللهِ تَعَالَى شَيْئاً مُغَايِراً لِلْمَفْهُومِ مِنَ الْجِسْمِ ، وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِهِ وَذَلِكَ يَنْفِي كَوْنَهُ تَعَالَى جِسْماً ، وأمَّا إِنْ قِيلَ : إِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ كَانَتْ جِسْماً لَا يُخَالِفُ سَائِرَ الْأَجْسَامِ فِي خُصُوصِيَّةٍ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَثَلاً لَهَا مُطْلَقاً ، وَكُلُّ مَا صَحَّ عَلَيْهَا فَقَدْ صَحَّ عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَجْسَامُ مُحْدَثَةً وَجَبَ فِي ذَاتِهِ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ ، فَثَبَتَ أَنَّه تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ ، وَلَا بِمُتَحَيِّزٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ عَلَيْهِ " .

---

(١) انظر : أساس التقديس (ص١٥١-١٥٢) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " لَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مُرَكَّباً وَالْمُرَكَّبُ مُمْكِنٌ وَأَيْضاً أَنَّه أَحَدٌ ، وَالْأَحَدُ لَا يَكُونُ مُرَكَّباً ، وَمَا لَا يَكُونُ مُرَكَّباً لَا يَكُونُ جِسْماً وَأَيْضاً أَنَّه غني كما قال : "وَاللهُ الْغَنِيُّ " [محمَّد : ٣٨] ، وَالْغَنِيُّ لَا يَكُونُ مُرَكَّباً ، وَمَا لَا يَكُونُ مُرَكَّباً لَا يَكُونُ جِسْماً . وَأَيْضاً الْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي تَمَامِ الْمَاهِيَّةِ ، فَلَوْ كَانَ جِسْماً لَحَصَلَ لَهُ مِثْلٌ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ لِقَوْلِهِ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، فَأَمَّا الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ ظَاهِرَةٌ بَاهِرَةٌ قَوِيَّةٌ جَلِيَّةٌ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَيْهِ " .

وقال الإمام الرَّازي – أيضاً – في شرحه لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

: " احْتَجَّ عُلَمَاءُ التَّوْحِيدِ قَدِيماً وَحَدِيثاً بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي نَفْيِ كَوْنِهِ تَعَالَى جِسماً مُرَكَّباً مِنَ الْأَعْضَاءِ وَالْأَجْزَاءِ وَحَاصِلاً فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ ، وَقَالُوا : لَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مِثْلاً لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ ، فَيَلْزَمُ حُصُولُ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ لَهُ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، وَيُمْكِنُ إِيرَادُ هَذِهِ الْحُجَّةِ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ، فَيُقَالُ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي مَاهِيَّاتِ الذَّات ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ فِي الصِّفات شَيْءٌ ، والثَّاني بَاطِلٌ ، لِأَنَّ الْعِبَادَ يُوصَفُونَ بِكَوْنِهِمْ عَالِمِينَ قَادِرِينَ ، كَمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ يُوصَفُونَ بِكَوْنِهِمْ مَعْلُومِينَ مَذْكُورِينَ ، مَعَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِذَلِكَ ، فَثَبَتَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُمَاثَلَةِ الْمُسَاوَاةُ فِي حَقِيقَةِ الذَّات ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ شَيْئاً مِنَ الذَّوَاتِ لَا يُسَاوِي اللهَ تَعَالَى فِي الذَّاتِيَّةِ ، فَلَوْ كَانَ الله تَعَالَى جِسْماً ، لَكَانَ كَوْنُهُ جِسْماً ذَاتاً لَا صِفَةً ، فَإِذَا كَانَ سَائِرُ الْأَجْسَام مُسَاوِيَةً لَهُ فِي الْجِسْمِيَّةِ ، أَعْنِي فِي كَوْنِهَا مُتَحَيِّزَةً طَوِيلَةً عَرِيضَةً عَمِيقَةً ، فَحِينَئِذٍ تكُونُ سَائِرُ الْأَجْسَامِ مُمَاثِلَةً لِذَاتِ اللهَّ تَعَالَى فِي كَوْنِهِ ذَاتاً ، وَالنَّصُّ يَنْفِي ذَلِكَ فَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ جِسْماً " (١) .

ولذلك أجمعت الأمَّة على تنزيه الله تعالى عن المكان ، وَأَنَّه لَا يجرى عَلَيْهِ زمَان ، ونقل إجماعهم على ذلك غير واحد من العلماء ...

قال الإمام عبد القاهر بن طاهر التَّميمي البغدادي (٤٢٩هـ) : " وأجمعوا على أَنَّه لَا يحويه مَكَان ، وَلَا يجرى عَلَيْهِ زمَان " (٢) .

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٥/ ٣٥٧) ، (١٣/ ٦) ، (٢٧/ ٥٨٢) بالترتيب .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣٢١) .

وقال إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجُويني الشَّافعي (٤٧٨هـ) ما نصّه : " ومذهبُ أهل الحقِّ قاطبة : أنَّ الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التَّحيُّز والتَّخصُّص بالجهات " (١) .

وقال الإمام فخر الدِّين الرَّازي : " ... فَقَدِ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّه سُبْحَانَهُ لَيْسَ مَعَنَا بِالْمَكَانِ وَالْجِهَةِ وَالْحَيِّزِ " (٢) .

وذكر الإمام أبو المعين النَّسفي الحنفي (٥٠٨هـ) العديد من البراهين السَّاطعة والدَّلائل القاطعة والحجج اللامعة في ردِّ شُبه المشبِّهة المجسِّمة الذين يزعمون أنَّ الله اتَّخذ العرش مكاناً ومستقرَّاً له ، تعالى الله عمَّا يقولون علوَّاً كبيراً ، ... قال الإمام أبو المعين النَّسفي : " وللمجسِّمة شبه ثلاث :

الأولى : قولهم : إنَّ الموجودَين القائمين بالذَّات لا يخلوان من أن يكون كلّ واحد منهما بجهةٍ من صاحبه .

فنقول وبالله التَّوفيق : الموجودان القائمان بالذَّات كلّ واحد منهما في الشَّاهد يجوز أن يكون فوق صاحبه والآخر تحته ، أتجوّزون هذا في الحقِّ تعالى ؟ فإن قالوا : نعم تركوا مذهبهم ، فإنَّهم لا يجوِّزون أن يكون الباريء جلَّ وعلا تحت العالم ، وإن قالوا : لا ، أبطلوا دليلهم ، فإن قالوا : إنَّما لم نجوِّز هذا في الحقِّ تعالى لأنَّ جهة تحت جهة ذمٌّ ونقيصة ، والباريء جلَّ وعلا منزَّه عن النقائص وأوصاف الذَّم . قيل لهم : فإذاً أثبتم التَّفرقة بين الشَّاهد والحقّ عند وجود دليل التَّفرقة حيث لم تجوِّزوا أن يكون الحقّ تعالى بجهة تحت ، وإن كان ذلك في الشَّاهد جائزاً لثبوت دليل التَّفرقة ، وهو استحالة النَّقيصة ووصف الذَّم على الحق وجواز ذلك على الشَّاهد ، فلم قلتم إنَّ دليل التَّفرقة فيما نحن فيه لم يوجد ؟ بل وجد لِما مرَّ أنَّه يوجب الحدوث وهو ممتنع على الحقّ ، جائز بل واجب على الشَّاهد .

ثمَّ نقول لهم : كون جهة تحت جهة ذمٍّ ونقيصة غير مسلَّم ، إذ لا نقيصة في ذلك ولا رفعة في علوِّ المكان ، إذ كم من حارس فوق السَّطح وأمير في البيت ، وطليعة على ما ارتفع من الأماكن ، وسلطان في ما انهبط من الأمكنة .

(١) انظر : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٩) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٩/ ٤٤٩) .

ثمَّ نقول لهم : كلُّ قائم بالذَّات في الشَّاهد جوهر ، وكلُّ جوهر قائم بالذَّات ، أفتستدلُّون بذلك على أنَّ الحقّ تعالى جوهر ؟! فإن قالوا : نعم ، فقد تركوا مذهبهم ووافقوا النَّصارى ؛ وإن قالوا لا ، نقضوا دليلهم .

ثمَّ نقول لهم : إنَّما يجب التَّعدية من الشَّاهد إلى الحقّ إذا تعلَّق أحد الأمرين بالآخر تعلُّق العلَّة بالمعلول ، كما في العلم والعالِم والحركة والمتحرِّك ، وذلك ممَّا لا يقتصر على مجرَّد الوجود ، بل يشترط فيه زيادة شرط ، وهو أن يستحيل إضافته إلى غيره ، ألا يرى أنَّ العالِم كما لا ينفكُّ عن العلم ، والعلم عن العالِم ، يستحيل إضافة كونه عالماً إلى شيء وراء العلم ، فعلم أنَّه كان عالماً ، لأنَّ له علماً ، فوجبت التَّعدية إلى الحق والجوهريَّة مع القيام بالذَّات ، وإن كانا لا ينفكَّان في الشَّاهد ، ولكن لَّما لم يكن جوهراً لقيامه بالذَّات بل لكونه أصلاً يتركَّب منه الجسم ، لم يجب تعدية كونه جوهراً بتعدِّي كونه قائماً بالذَّات ، وإذا كان الأمر كذلك فلمَ قلتم إنَّهما كانا في الشَّاهد موجودين قائمين بالذَّات ، لأنَّ كل واحد منهما بجهة من صاحبه ، أو كان كلُّ واحد منهما بجهة صاحبه ، لأنَّهما موجودان قائمان بالذَّات ؟

ثمَّ نقول لهم : لو كانا موجودين قائمين بالذَّات لأنَّ كل واحد منهما بجهة من صاحبه ، لكان الموجود القائم بالذَّات بالجهة وإن لم يكن معه غيره ، ولكان الباريء جلَّ وعلا في الأزل بجهة ، لأنَّه كان موجوداً قائماً بالذَّات ، وهذا محال ، إذ الجهة لا تثبت إلَّا باعتبار غير ، ألا يرى أنَّ الجهات كلّها محصورة على السِّت ، وهي : فوق وتحت وخلف وقدام وعن يمين وعن يسار ، وكلّ جهة منها لن يتصوَّر ثبوتها إلَّا بمقابلة غيرها ، والكلُّ يترتَّب على الفرد ، فإذا كان كلُّ فردٍ من الجهات لن يتصوَّر إلَّا بين اثنين ، فكان حكم كليَّة الجهات كذلك لما مرَّ من حصول المعرفة بالكليَّات بواسطة الجزئيَّات ، وإذا كان الأمر كذلك كان تعليق الجهة بالوجود والقيام بالذَّات مع أنَّ كل واحد منهما يثبت باعتبار النَّفس دون الغير والجهة لا تثبت إلَّا باعتبار الغير ، جهلاً بالحقائق .

ثمَّ يقال لهم : أتزعمون أنَّ القائمين بالذَّات يكون كلّ واحد منهما بجهة من صاحبه على الإطلاق ، أم بشريطة كون كل واحد منهما محدوداً متناهياً ؟ فإن قالوا : نعم على الإطلاق ، فلا نسلم ، وما استدلُّوا به من الشَّاهد فهما محدودان متناهيان . وإن قالوا : نقول ذلك بشريطة كون كلِّ واحد منهما محدوداً متناهياً ، فمسلّم ، ولكن لم قلتم إنَّ الباريء محدود متناه ؟!! ثمَّ إنا قد أقمنا الدّلالة على استحالة كونه محدوداً متناهياً ، والله الموفِّق .

وأمَّا الشُّبهة الثَّانية التي تعلَّقوا بها :أنَّه تعالى كان ولا عالَم ثمَّ خلقه ، أخلقه في ذاته أم خارج ذاته ؟ وكيفما كان فقد تحقَّقت الجهة .

فنقول وبالله التَّوفيق : إنَّ هذا شيء بنيتم على ما تضمرون من عقيدتكم الفاسدة أنَّه تعالى متبعِّض متجزِّئ ، وإن كنتم تتبرَّؤون منه عند قيام الدّلالة على بطلان تلك المقالة وتزعمون أنَّا نعني بالجسم القائم بالذَّات ، وهذه المسألة بنفس المقالة . وما تتمسَّكون به من الدّلالة يهتك عليكم ما أسْبَلْتُم من أستاركم ، ويبدي عن مكنون أسراركم ، إمَّا بنفس المقالة فلأنَّ شغل جميع العرش مع عظمته لن يكون إلَّا بمتبعِّض متجزِّئ على ما قرَّرنا ، وإمَّا بالدّلالة فلأنَّ الدَّاخل والخارج لن يكون إلَّا ما هو متبعِّض متجزِّئ ، وقيام الدّلالة وانضمام ظاهر إجماعكم على بطلان ذلك يغنينا عن الإطالة في إفساد هذه الشُّبهة ، والله الموفِّق .

وربَّما يقبلون هذا الكلام ويقولون بأنَّه تعالى لَمَّا كان موجوداً إمَّا أن يكون داخل العالم وإمَّا أن يكون خارج العالم ، وليس بداخل العالم فكان خارجاً منه ، وهذا يوجب كونه بجهة منه .

والجواب عن هذا الكلام على نحو ما أجبنا عن الشُّبهة المتقدِّمة : أنَّ الموصوف بالدُّخول والخروج هو الجسم المتبعِّض المتجزِّئ ، فأمَّا ما لا تبعُّض له ولا تجزُّؤ فلا يُوصف بكونه داخلاً ولا خارجاً ، ألا ترى أنَّ العَرَض القائم بجوهر لا يوصف بكونه داخلاً فيه ولا خارجاً منه ؟ فكذا القديم لَمَّا لم يكن جسماً لا يوصف بذلك ، فكان هذا الكلام أيضاً مبنيَّاً على ما يُضمرون من عقيدتهم الفاسدة .

وكذا الجواب عمَّا يتعلَّق به بعضهم : أنَّه تعالى لَمَّا كان موجوداً : إمَّا أن يكون مماسَّاً للعالم أو مبايناً عنه ، وأيّهما كان ففيه إثبات الجهة ، أنَّ ما ذكره من وصف الجسم ، وقد قامت الدّلالة على بطلان كونه جسماً ، ألا ترى أنَّ العَرَض لا يوصف بكونه مماسَّاً للجوهر ولا مبايناً له ؟ وهذا كلُّه لبيان أنَّ ما يزعمون ليس من لواحق التَّبعُّض والتَّجزُّؤ والتَّناهي ، وهي كلُّها محالٌ على القديم تعالى ، والله الموفِّق .

وأمَّا حلُّ الشُّبهة الثَّالثة ، وهي أنَّ الموجودَين لا يعقلان موجودَين إلَّا وأن يكون أحدهما بجهة من صاحبه أو بحيث هو . قلنا : هذا منكم تقسيم للموجودَين ، وليس من ضرورة الوجود أحدُ الأمرين ، لأنَّهما إن كانا موجودين لأنَّ أحدهما بجهة صاحبه ينبغي ألا يكون الجوهر وما قام به من العَرَض موجودَين ، لأنَّ أحدهما ليس بجهة من صاحبه ، وإن كانا موجودَين لأنَّ أحدهما بحيث صاحبه ، ينبغي ألَّا يكون الجوهران موجودَين لأنَّ أحدهما ليس بحيث صاحبه ، وقد مرّ ما يوجب بطلان هذا في إبطال

قول النَّصارى : إنَّ الموجود إمَّا أن يكون جوهراً وإمَّا أن يكون جسماً وإمَّا أن يكون عَرَضَاً ، والبارئ جلَّ وعلا ليس بجسم ولا عَرَض ، فدلَّ أنَّه جوهر ، فإن بطل ذاك بطل هذا ، وإن صحَّ هذا صحَّ ذاك ، بل كلا الأمرين باطل لما مرَّ ، والله الموفِّق .

وما يزعمون أنَّه لا عدَمَ أشدّ تحقُّقاً من نفي المذكور من الجهات السِّت ، وما لا جهة له لا يتصوَّر وجوده . فنقول : ذكر أبو إسحق الإسفرايني أنَّ السُّلطان – يعني به السُّلطان محمود بن سُبُكتِكين – قَبلَ هذا السُّؤال من القوم من الكرَّامية وألقاه على ابن فورك ، قال وكتب به ابن فورك إليّ ولم يكتب بماذا أجاب ، ثمَّ اشتغل أبو إسحق بالجواب ، ولم يأت بما هو انفصال عن هذا السُّؤال بل أتى بما هو ابتداء دليل في المسألة من أنَّه لو كان بجهة لكان محدوداً ، وما جاز عليه التَّحديد جاز عليه الانقسام والتَّجزؤ ، ولأنَّ ما جاز عليه الجهة جاز عليه الوصل والتَّركيب ، وهو أن تتَّصل به الأجسام ، وذا باطل بالإجماع ، ولأنَّه لو جازت عليه الجهة لجازت إحاطة الأجسام به على نحو ما قررنا ، وهذا كلّه ابتداء الدَّليل وليس بدفع للسُّؤال .

وللكرَّاميّ أن يقول : لو كان ما ذكرت من الأدلَّة يوجب بطلان القول بالجهة لما في إثباتها من إثبات أمارات الحدث ، فما ذكرت من الدَّليل يوجب القول بالجهة لما في الامتناع عن القول به إثبات عدمه ، فكما لا يجوز إثبات حدوث ما ثبت قدمه بالدَّليل لا يجوز نفي ما ثبت وجوده بالدَّليل . وحلّ هذا الإشكال أن يقال : إنَّ النَّفي عن الجهات كلَّها يوجب عدم ما هو بجهة من النَّافي أم عدم ما ليس بجهة منه ؟ فإن قال : عدم ما هو بجهة منه ، قلنا : نعم ، ولكن لم قلتم إنَّ البارئ جلَّ وعلا بجهة من النَّافي ؟ فإن قال : لأنَّه لو لم يكن بجهة منه لكان معدوماً ، فقد عاد إلى ما تقدَّم من الشُّبهة ، وقد فرغنا بحمد الله من حلِّها . وإن قال : النَّفي عن الجهات يوجب عدم ما ليس بجهة منه ، فقد أحال ، لأنَّ ذلك لا يوجب عدم النافي وما قام به من الأعراض لما لم يكن بجهة من نفسه ، فكذا لا يوجب عدمَ الباريء جلَّ وعلا ، لأنَّه ليس بجهة من النافي . فإن قالوا : إذا لم يكن بجهة منه ولا قائماً به يكون معدوماً ، فقد عادوا إلى الشُّبهة الثَّالثة ، وقد فرغنا من حلِّها بتوفيق الله تعالى .

والأصل في هذا كلّه : أنَّ ثبوت الصَّانع جلَّ وعلا وقِدَمه عُلِمَ بما لا مدفَعَ له من الدَّلائل ولا مجال للرّيب فيه ، فقلنا بثبوته وقِدمه وعرفنا استحالة ثبوت أمارات الحدث في القديم فنفينا ذلك عنه لما في إثباتها من إثبات حدوث القديم أو بطلان دلائل الحدث ، وذلك باطلٌ كله على ما قرَّرنا ، وفي إثبات

المكان والجهة إثبات دلالة الحدث على ما مرّ . وليس من ضرورة الوجود إثبات الجهة ، لأنَّ نفسي وما قام بها من الأعراض ليست منِّي بجهة ، وهي موجودة ، وما كان منِّي بجهة ليس بقائم بي وهو موجود ، وكذا ليس من ضرورة الوجود أن يكون فوقي لوجود ما ليس فوقي ، ولا أن يكون تحتي لوجود ما ليس تحتي ، وكذا قدامي وخلفي وعن يميني وعن يساري ، وإذا ثبت هذا في كلِّ جهة على التَّعيين ثبت في الجهات كلّها ، إذ هي متركِّبة من الأفراد . فإذاً ليس من ضرورة الموجود أن يكون مني بجهة لوجود ما ليس مني بجهة ، ولا أن يكون قائماً بي لوجود ما ليس بقائم بي . وظهر أنَّ قيام الشَّيء بي وكونه بجهة منِّي ليسا من لواحق الوجود وضروراته على ما قرَّرنا هذا الكلام في نفي كونه تعالى عَرَضَاً أو جوهراً أو جسماً ، وخروج الموجود عن هذه المعاني كلّها معقول لِما بيّنا من الدّلائل أن ليس من ضرورة الوجود ثبوت معنى من هذه المعاني كلّها لما مرّ من ثبوت موجود ليس فيه كلّ معنى من هذه المعاني على التَّعيين ، غير أنَّه ليس بموهوم لِما لم يُحس موجود تعرّى عن هذه المعاني كلّها ، إذ ما يُشاهَد في المحسوسات كلّها محدثة وارتفاع دلالة الحدث عن المحدَث محال ، وفي الحقِّ تعالى الأمر بخلافه . وليس من ضرورة الارتفاع عن الوهم العدمُ لما ثبت من الدّلائل العقليَّة على الحدوث ، وظهور التَّفرقة بين المعقول والموهوم على ما تقدَّم ذكره على وجه لا يبقى للمنصف فيه ريبة .

ثمَّ إنَّ الله تعالى أثبت في نفس كلِّ عاقل معاني خارجة عن الوهم لخروجها عن درك الحواس ، ويعلم وجودها على وجه لم يكن للشَّكِّ فيه مدخل لثبوت ءاثارها ، كالعقل والرُّوح والبصر والسَّمع والشَّم والذَّوق ، فإنَّ ثبوت هذه المعاني متحقِّق ، والأوهام عن الإحاطة بمائيَّتها قاصرة لخروجها عن الحواس المؤدِّية المدركة صور محسوساتها إلى الفكرة ، ليصير ذلك حجَّة على كلِّ من أنكر الصَّانع مع ظهور الآيات الدالَّة عليه لخروجه عن التَّصوُّر في الوهم ، ويعلم أن لا مدخل للوهم في معرفة ثبوت الأشياء الغائبة عن الحواس ، ومن أراد الوصول إلى ذلك بالوهم ونفي ما لم يتصوَّر فيه مع ظهور ءايات ثبوته ، فقد عطَّل الدَّليل القائم لانعدام ما ليس يصلح دليلاً ، فيصير كمن أنكر وجود البياض في جسم مع معاينته ذلك لعدم استدراك ذلك بالسَّمع ، وجهالةُ مَن هذا فعلُه لا يخفى عن النَّاس ، فكذا هذا .

ثمَّ لا فرق بين من أنكر الشَّيء لخروجه عن الوهم وبين من جعل خروج الشَّيء عن الوهم دليلاً للعدم ، لما فيهما جميعاً ممَّن قصر ثبوت الشَّيء ووجوده على الوهم ، وخروج الموجود عن جميع أمارات الحدث غير موهوم لما لم نعاين موجوداً ليس بمحدث ، وإثبات أمارات الحدث في القديم محال ، ونفيها

عن القديم إخراجُه من الوهم ، وبخروجه عن الوهم يلتحق بالعدم فإذاً لا وجود للقديم ، فصارت المجسِّمة والقائلون بالجهة والجاعلون ما لا يجوز عليه الجهة في حيّز العدم قائلين بعدم القديم ، فضاهوا الدَّهريَّة في نفي الصَّانع الذي ليس فيه شيء من أمارات الحدث ، وساعدوهم بإثبات قدم من هو متمكِّن في المكان أو متحيِّز إلى جهة في إثبات قدم من تحقَّقت أمارات حدوثه ، وبإثبات القدم للعالَم نفي الصَّانع .

فإذاً عند الوقوف على هذه الحقائق علم أنَّهم هم النَّافون للصَّانع في الحقيقة دون من أثبته ونفى عنه الجهة والتَّمكُّن الذين هما من أمارات الحدث . والله الموفِّق .

وهذا هو الجواب عن قولهم : إنَّ النَّاس مجبولون على العلم بأنَّه تعالى في جهة العلو ، حتى أنَّهم لما تُركوا وما هم عليه جُبِلوا لاعتقدوا أنَّ صانعهم في جهة العلو . فإنَّا نقول لهم : إن عنيتم بهذا من لم يرضَ عقله بالتَّدبُّر والتَّفكُّر ولم يتمهَّر في معرفة الحقائق بإدمان النَّظر والتَّأمُّل ، فمسلَّم أنَّه بهواه يعتقد أنَّ صانعه بجهة منه ، لِمَا أنَّه لا يعرف أنَّ التَّحيُّز بجهة من أمارات الحدث ، وهي منفيَّة عن القديم ، ولما يرى أنَّ ما ليس بقائم به يكون منه بجهة ، ثمَّ يرى صفاء الأجرام العلويَّة وشرف الأجسام النيِّرة في الحسِّ فظنَّ جهلاً منه أنَّه تعالى لا بدَّ من كونه بتلك الجهة منه لخروج ما ليس بقائم به ولا بجهة منه عن الوهم ، وفضيلة تلك الجهة على سائر الجهات عنده . وإن عنيتم به الحذّاق من العلماء العارفين بالفَرق بين الجائز والممتنع والممكن والمحال فغير مسلّم ، إذ هؤلاء يبنون الأمر على الدَّليل دون الوهم ، وقد قام الدَّليل عندهم على استحالة كونه تعالى في جهة ، والله الموفِّق .

وتعلُّقهم بالإجماع برفع الأيدي إلى السَّماء عند المناجاة والدُّعاء باطلٌ ، لما ليس في ذلك دليل كونه تعالى في تلك الجهة ، هذا كما أنَّهم أمروا بالتوجُّه في الصَّلاة إلى الكعبة وليس هو في الكعبة ، وأمروا برمي أبصارهم إلى موضع سجودهم حالة القيام في الصَّلاة بعد نزول قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٢] ، بعدما كانوا يصلُّون شاخصة أبصارهم نحو السَّماء ، وليس هو في الأرض ، وكذا حالة السُّجود أمروا بوضع الوجوه على الأرض ، وليس هو تعالى تحت الأرض ، فكذا هذا . وكذا المتحرِّي يصلِّي إلى المشرق واليمن والشَّام ، وليس هو تعالى في هذه الجهات . ثمَّ هو يُعبد كما في هذه المواضع ويُحتمل أنَّه تعالى أمر بالتَّوجُّه إلى هذه المواضع المختلفة عند اختلاف الأحوال ليندفع وهم تحيُّزه في جهة ، ويصير ذلك دليلاً لمن عرفه أنَّه ليس بجهة منا . وقيل إنَّ العرش

جُعل قبلة للقلوب عند الدُّعاء ، كما جُعلت الكعبة قبلة للأبدان في حالة الصَّلاة . واستعمال لفظ الإنزال والتَّنزيل منصرفٌ إلى الآتي بالقرءان ، فأمَّا القرءان فلا يُوصف بالانتقال من مكان إلى مكان ، والآتي به وهو جبريل عليه السَّلام كان ينزل من جهة العلو لما أنَّ مقامه كان بتلك الجهة ، والله الموفِّق " (١) ...

(١) انظر : تبصرة الأدلة في أصول الدِّين (١/ ١٧٤فما بعدها) .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أَقْوَالُ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِي النُّزول المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى

إنَّ النَّاظر في كتب أهل العلم يجد أنَّ كلمتهم قد اجتمعت على وجوب تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة ولوازمها من الحركة ، والنُّقلة ، والجلوس ، والجهة ، وسائر سمات ولوازم المحدثات ، وكذا اجتمعت كلمتهم على وجوب تنزيهه سبحانه وتعالى عن النَّقائص وكلّ ما يتعارض مع كماله المطلق سبحانه وتعالى ، ولذلك منعوا من إجراء الألفاظ المتشابهة على ظاهر معناها .

ومن المعلوم أنَّ جمهور السَّلف وبعض الخلف ذهبوا إلى وجوب إمرارها على ظاهر لفظها لا ظاهر معناها مع الإيمان بأنَّها حقٌّ على ما يليق به سبحانه ، وأنَّ ظاهرها المتعارف عليه في حقِّنا غير مراد ، ومنعوا من تأويلها مع التَّأكيد على وجوب تنزيهه تعالى عن الحركة والنُّقلة والانتقال وسائر صفات ولوازم المحدثات ، بينما ذهب جمهور الخلف وبعض السَّلف إلى تأويلها بما يتوافق مع القواطع العقديَّة وقواعد التي نصَّت على وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، وكذا قواعد اللغة العربيَّة ... لأمور استجدَّت لم تكن في زمان السَّلف ، ومن تلك الألفاظ : النُّزول ، والمجيء ، والإتيان ، والهرولة ... فلا يجوز أن تُحمل هذه الألفاظ على ظاهر معناها ... وهاأنذا مورد بعضاً من أقوال السَّلف والخلف في هذا الباب :

قَالَ الإمام أحمد بن محمَّد بن هارون بن يزيد الخلَّال أبو بكر (٣١١هـ) : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، أَنَّ حَنْبَلاً حَدَّثَهُمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ (يقصد أحمد بن حنبل) عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُرْوَى : " أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " ، ... وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ : نُؤْمِنُ بِهَا ، وَنُصَدِّقُ بِهَا ، **وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى** ، وَلَا نَرُدُّ مِنْهَا شَيْئاً ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسول حَقٌّ إِذَا كَانَتْ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى اللهَّ قَوْلَهُ ، وَلَا نَصِفُ اللهَّ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ ، " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى : ١١] (١) .

قلت : وقد خالف ابن القيِّم هذه القواعد ، ولم يلتزمها في كتبه كـ " الصَّواعق " ، و " اجتماع الجيوش " ، و " البدائع " ، وغيرها ... وكلام أحمد هذا يصوِّر بحقٍّ عقيدة جمهور السَّلف الصَّالح في

---

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٦٩) ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (٧/ ١٤) .

مسألة النُّزول وغيرها من المسائل المتعلِّقة بالمتشابه ، وقد نقلها ابن تيمية في غير ما كتاب من كتبه من غير نكير (١) .

وما ذكره الإمام الخَلَّال عن الإمام أحمد بن حنبل من تفويض الكيْف والمعنى لم يَرُق للقائمين والمُشرفين على المكتبة الشَّاملة ، لذا قاموا بشطبها من كتاب " السُّنَّة " للخلَّال ، الموجود ضمن المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ، كما وضعوا مكان قوله : (**وَلَا كَيْفَ وَلَا مَعْنَى**) مجموعة من النِّقاط (...) في كتاب " اجتماع الجيوش الإسلاميَّة " لابن القيِّم ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، نشر : مطابع الفرزدق التِّجاريَّة ، الرِّياض ، (الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) ، المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس ، وهذه إحدى صور عبثهم بكتب أهل العلم ، وهو مندرجٌ تحت : عدم الأمانة العلميَّة ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ....

وقال الإمام ، الحَافِظُ ، العَلَمُ ، الإِمَامُ ، البَارِعُ ، محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك ، التِّرمذي ، أبو عيسى (٢٧٩هـ) : " وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ – حديث النُّزول – وَمَا يُشْبِهُ : هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفات : وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا ، قَالُوا : قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا ، وَلاَ يُتَوَهَّمُ ، وَلاَ يُقَالُ : كَيْفَ ؟ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ (١٩٨هـ) ، وَعَبْدِ الله بْنِ المُبَارَكِ (١٨١هـ) أَنَّهم قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ : أَمِرُّوهَا بِلاَ كَيْفٍ ، وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة وَالجَمَاعَةِ " (٢) .

فالإمام التِّرمذي السَّلفي يذهب إلى وجوب الإيمان والتَّسليم مع التَّفويض المطلق في هذه المسألة ، فلا يُقال : كيف ، ولا تتوهَّم !!! " والتَّوهُّم : من قبيل التَّجويز ، والتَّجويز يُنَافِي الْعلم ، وَقَالَ بَعضهم : التَّوَهُّم يجْرِي مجْرى الظُّنون " (٣) .

فالتَّوهُّم ، والتَّكييْفُ عليه سبحانه وتعالى غير معقول ، وهذا هو معتقد أهل العلم من أهل الكتاب والسُّنَّة ...

وقال الإمام السَّلفي عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ إِسْحَاقَ العَلاَّمَةُ ، إِمَامُ المُتَكَلِّمِين ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي بِشْرٍ إِسْحَاقَ بنِ سَالِمِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ عَبْدِ الله بنِ مُوْسَى ابنِ أَمِيْر البَصْرَةِ بِلاَلِ بنِ أَبِي بُرْدَةَ

---

(١) انظر مثلاً : الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٨٧) ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٦٢٣) ، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣١) .

(٢) انظر : سنن الترمذي (٢/ ٤٢-٤٣) .

(٣) انظر : الفروق اللغوية (ص٩٨) .

ابنِ صَاحِب رَسُوْل الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبِي مُوْسَى عَبْدِ الله بنِ قَيْس بن حَضَّارٍ الأَشْعَرِيُّ ، اليَمَانِيُّ ، البَصْرِيُّ (٣٢٤هـ) : " ... فأمَّا الحركة والسُّكون والكلام فيهما ، فأصلهما موجود في القرءان ، وهما يدلَّان على التَّوحيد ، وكذلك الاجتماع والافتراق ، قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، في قصَّة أُفولِ الكوكب والشَّمس والقمر ، وتحريكها من مكان إلى مكان ما دلَّ على أنَّ ربَّه عزَّ وجلَّ لا يجوز عليه شيء من ذلك ، وأنَّ من جاز عليه الأفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله " (١) .

فالإمام الأشعري السَّلفي ، ينفي عن الله تعالى الحركة والانتقال والأُفولِ ، لأنَّها أعراضٌ لا تقومُ إلَّا بجواهرَ وأجسام ، والله تعالى يتنزَّه عن ذلك ، فمن جاز عليه الأُفول والانتقال من مكان إلى مكان فليس بإله ، ومع أنَّ جمهور أهل العلم يقولون بامتناع الحركة والنُّقلة على الله تعالى ، إلَّا أنَّ الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) قلب لكلامهم ظَهْرَ المِجَنِّ ، وأبى إلَّا تفسير النُّزول بحسب ظاهر المعنى ، وأنَّ الله تعالى ينزل بذاته إلى السَّماء الدُّنيا ، وافترى على جمهور أهل الكتاب السُّنَّة ، فزعم بأنَّهم يقولون : أنَّ الله تعالى ينزل من مكانه ، ولا يخلو منه العرش ، قال : " ثمَّ إنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّة !! يَقُولُونَ : أنَّه يَنْزِلُ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ !! كَمَا نُقِلَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ (٢٣٨هـ) ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ (١٧٩هـ) ، وَغَيْرِهِمَا ، وَنَقَلُوهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٢٤١هـ) فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُسَدَّدٍ (٢٢٨هـ) (٢) .

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " وَالْمَقْصُودُ هُنَا : الْكَلَامُ عَلَى مَنْ يَقُولُ : يَنْزِلُ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ ، وَإِنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ فِي هَذَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ : مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ أَنْ يُقَالَ : يَخْلُو أَوْ لَا يَخْلُو ، كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ (٦٠٠هـ) وَغَيْرُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : بَلْ يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ . وَقَدْ صَنَّفَ عَبْدُ الرَّحمن بْنُ منده (٤٧٠هـ) مُصَنَّفاً فِي الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ قَالَ : لَا يَخْلُو مِنْ الْعَرْشِ أَوْ لَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ – كَمَا تَقَدَّمَ بَعْض كَلَامِهِ – . وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَتَوَقَّفُ عَنْ أَنْ يَقُولَ يَخْلُو أَوْ لَا يَخْلُو . وَجُمْهُورُهُمْ عَلَى أَنَّه لَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ " (٣) .

---

(١) انظر : استحسان الخوض في علم الكلام (ص٤٥) .

(٢) انظر : منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ٦٣٨-٦٣٩) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٤) .

قلت : وأين ما ادَّعاه ابن تيمية على الإمام ابن منده ، وهو القائل : " ... وَأَنَا متمسكٌ بِالكِتَابِ والسُّنَّة ، مُتبَرِّئٌ إِلَى الله مِنَ الشِّبْه وَالمِثْلِ وَالنِّدِّ وَالضِّدِّ وَالأَعضَاء وَالجِسْم وَالآلاَت ، وَمِنْ كُلِّ مَا يَنسُبه النَّاسبُوْنَ إِلَيَّ !!! وَيَدَّعيه المدعُوْنَ عليَّ مِنْ أَنْ أَقُوْلَ فِي الله – تَعَالَى – شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ قُلته ، أَوْ أَرَاهُ ، أَوْ أَتَوَهَّمُه !!! أَوْ أَصفه بِهِ " [1] . فإذا ثبت أنَّه قال ما نسبه له ابن تيمية ، فهو متناقض مع نفسه ، وكم في كلامهم من التَّناقض والتَّباين ...

وقال الإمام ابن تيمية أيضاً : " ثمَّ إِنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّة !!! يَقُولُونَ : أَنَّه يَنْزِلُ وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ " [2] .

وهنا ينسب ابن تيمية ما قاله لجمهور السَّلف ، مع أنَّ السَّلف لم يتكلَّم أحد منهم بما نَسبه ابنُ تيمية لجمهورهم ، فهذا كذبٌ ...!!! ثمَّ إنَّ ابن تيمية لم يستند في كلامه على أيِّ حديث صحيح ، بل هو مجرَّد أقوال لعلماء ، ومتى كان الدِّين يُبنى على أقوال العلماء التي لا تستند في وجودها وصحَّتها لكتاب ولا سنَّة ؟!!! فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

وقال الإمام ابن تيمية ما هو أعظم من قوله السَّابق ، فقد قال : " فمن أين في القرآن ما يدلُّ دلالة ظاهرة على أنَّ كلَّ متحرِّك مُحدَث أو مُمكن ؟!! وأنَّ الحركة لا تقوم إلَّا بحادث أو ممكن ؟!! وأنَّ ما قامت به الحوادث لم يخل منها ؟!! وأنَّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ؟!! وأين في القرآن امتناع حوادث لا أوَّل لها ؟!! " [3] .

وكلام ابن تيمية هذا اشتمل على طامَّاتٍ وأوابد ، مجموع ما ذكرناه في هذا الكتاب يردُّ عليه ، أمَّا مسألة : " امتناع حوادث لا أول لها " ، التي يؤمن بها ابن تيمية ، وذكرها في أكثر من كتاب من كتبه ، وهو فيها متابع للكراميَّة المجسِّمة ، سلفه في هذه المسألة ، خاصَّة وأنَّه أثنى عليهم في كتابه : " منهاج السُّنَّة " ، وسمَّاهم بـ : " نظَّار المسلمين " [4] .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٥١) .

(٢) انظر : منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ٦٣٨) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ١١٨) .

(٤) انظر : منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ١٣٨) .

وقد ردَّ عليه فيها العديد من أهل العلم ، ومن ضمنهم : الإمام بهاء الدِّين عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن الإخميمي (٧٦٤هـ) ، في رسالة سمَّاها : " رسالة في الردِّ على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أوَّل لها " ، وهي من تحقيق أخينا الفاضل الدُّكتور سعيد فوده – حفظه الله – ، ونشرتها دار الذَّخائر ، بيروت . وهذه المسألة سنناقش ابن تيمية فيها في كتاب آخر ... بإذن الله تعالى .

وبسبب جرأة من يزعمون ويدَّعون السَّلفيَّة في إظهار باطلهم ، فقد اضطرَّ العديد من علماء الأمَّة إلى أن يكتبوا محاضر في العقائد الصَّحيحة ، حرصاً منهم على التَّصحيح والتَّصويب ، ونشر الحقِّ بين الأمَّة وخاصَّة في أمور العقيدة ، ومن ذلك المحضر الذي كتبه جماعة من أئمَّة الشَّافعيَّة ، منهم : الشَّيخ أبو إسحاق الشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، والإمام أبو بكر الشَّاشي (٥٠٧هـ) ، وغيرهما ، وهذا نصُّه :

بِسم اللهَّ الرَّحمن الرَّحِيم : يشْهد من ثَبت اسْمه وَنسبه ، وَصَحَّ نهجه ومذهبه ، واختبر دينه وأمانته ، من الْأَئِمَّة الْفُقَهَاء ، والأماثل الْعلمَاء ، وَأهل الْقُرْآن والمعدلين الْأَعْيَان ، وَكَتَبُوا خطوطهم الْمَعْرُوفَة ، بعباراتهم المألوفة ، مسارعين إِلَى أَدَاء الْأَمَانَة ، وتوخَّوا فِي ذَلِك مَا تحظره الدّيانَة ، مَخَافَة قَـــوْله تَعَـــالَى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهَّ ﴾ [البقرة : ١٤٠] ، إِنَّ جمَاعَة من الحشويَّة والأوباش الرّعاع ، المتوسِّمين بالحنبليَّة ، أظهرُوا بِبَغْدَادَ من الْبدع الفظيعة والمخازي الشَّنيعة ، مالم يتسمح بِهِ ملحد فضلاً عَن موحد ، وَلَا تجوز بِهِ قَادِح فِي أصل الشَّرِيعَة ، وَلَا معطِّل ، ونسبوا كلَّ من ينزِّه الْبَارِي تَعَالَى وَجلَّ عَن النَّقائص والآفات ، وينفي عَنهُ الْحُدُوث والتَّشبيهات ، ويقدِّسه عَن الْحُلُول والزّوال ، ويعظمه عَن التَّغَيُّر من حَال إِلَى حَال ، وَعَن حُلُوله فِي الْحَوَادِث ، وحدوث الْحَوَادِث فِيهِ ، إِلَى الْكفْر والطغيان ، ومنَافاة أهل الْحقّ وَالْإِيمَان ، وتنَاهوا فِي قذف الْأَئِمَّة الماضين ، وثلب أهل الْحق وعصابة الدِّين ، ولعنهم فِي الْجَوَامِع والمشاهد والمحافل والمساجد والأسواق والطُّرقات وَالْخلْوَة وَالْجَماعَات ، ثمَّ غرَّهم الطَّمع والإهمال ، ومدَّهم فِي طغيانهم الغيُّ والضَّلال ، إِلَى الطَّعْن فِيمَن يعتضد بِهِ أَئِمَّة الْهدى ، وَهُوَ للشَّريعة العروة الوثقى ، وَجعلُوا أَفعاله الدِّينِيَّة معاصي دنيَّة ، وترقّوا من ذَلِك إِلَى الْقدح فِي الشَّافِعِي (٢٠٤هـ) رَحْمَة الله عَلَيْهِ وَأَصْحَابه ، وَاتفقَ عود الشَّيخ الإِمَام الأوحد أَبِي نصر ابْن الْأُسْتَاذ الإِمَام زين الْإِسْلَام أبي الْقاسم الْقشيرِي (٤١٨هـ) رَحْمَة اللهَّ عَلَيْهِ من مَكَّة حرسها اللهَّ ، فَدَعَا النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، وَقدَّس الْباري عَن الْحَوَادِث والتَّحديد ، فَاسْتَجَاب لَهُ أهل التَّحْقِيق ، من الصُّدُور الْفَاضِل السَّادة الأماثل ، وتمادت الحشويَّة فِي ضلالتها ، والإصرار على جهالتها ، وَأَبَوا إِلَّا التَّصْرِيح بِأَنَّ المعبود ذُو قدم وأضراس ،

ولهوات وأنامل ، وَأَنَّه ينزل بِذَاتِهِ ، ويتردَّد على حمَار فِي صُورَة شَاب أَمْرَد ، بِشعر قطط ، وَعَلِيهِ تَاج يلمع ، وَفِي رجلَيْهِ نَعْلَانِ من ذهب ، وَحفظ ذَلِك عَنْهُم ، وعلَّلوه ودوَّنوه فِي كتبهمْ ، وَإِلَى الْعَوام ألقوه ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَار لَا تَأْوِيل لَهَا ، وأنَّها تجرى على ظواهرها ، وتعتقد كَمَا ورد لَفظهَا ، وأنَّه تَعَالَى يتكَلَّم بِصَوْت كالرَّعد ، كصهيل الْخَيل ، وينقمون على أهل الْحق ، لقَولهـــم : إِنَّ اللهَّ تَعَالَى مَوْصُوف بِصِفَات الْجلَال ... " (١) .

قلت : سبحان الله ... أحداث التَّاريخ تعود كما حدثت في السَّابق ... فأعمال هذه الشِّرذمة القليلة هي هي على مدار التَّاريخ ، فما وجدوا في زمن إلَّا أفسدوه ، ولا دخلوا بلداً إلَّا جعلوا أهله شيعاً وأحزاباً ، يلعنُ بعضُهم بعضاً ، ويسبُّ بعضُهم بعضاً ، ويكفِّرُ بعضُهم بعضاً ، وإلَّا قل لي بربِّك : ماذا أفادت هذه الشِّرذمة أُمَّة الإسلام مُذ وجدت ، ألسنا في كلِّ يوم نرجع القهقرى إلى الورى ، فبعد أن كنَّا نناطح السَّحاب شموخاً وعزَّة ، أصبحنا يُضرب بنا المثل في الخنوع والخضوع ، وصرنا في وضع لا نُحسد عليه ... لقد أنهكوا أهل العلم بالرَّدِّ على ترَّهاتهم وخزعبلاتهم ، بدلاً من أن تُوجَّه جُهودهم لنصرة الإسلام والرَّدِّ على كلِّ من يكيد للإسلام من خارج أبناء الأمَّة ، ولكن أبى هؤلاء إلَّا أن يُوقفوا المسيرة ، وهذا هو دَوْرُهم المرسُوم لهم... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم .

ولأجل نصرة ما يعتقده مدَّعو السَّلفيَّة ، جيَّشوا جيوشهم ، وجاءوا بقضِّهم وقضيضهم ، ففتَّشوا ، ونقَّبوا ، وبحثوا في كلِّ صعيد ، فجمعوا كلَّ ما يتعلق بمسألة النُّزول ، من روايات صحيحة وتالفة وشاذَّة وباطلة ... لنصرة مذهبهم ، فقد ذكر إمامهم حافظ حكمي (١٣٧٧هـ) العديد العديد من الرِّوايات التي تُضحك الثَّكلى ، مع زعمه بصحَّتها ، - مع أنَّ الكثير منها روايات وأحاديث تبيَّن بعد السَّبر الحديثي أنَّها روايات باطلة مُنكرة تالفة ، كما قال محقِّق الكتاب المتمسلف !!! - ، ومن تلك الرِّوايات :

" ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : " إِنَّ اللهَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّماء الدُّنيا ، وَلَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كُرْسِيٌّ !! فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثمَّ مَدَّ سَاعِدَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَتُوبُ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبحِ ارْتَفَعَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ " ، رَوَاهُ ابْنُ مَنْدَهْ ، قَالَ : وَلَهُ أَصْلٌ مُرْسَلٌ .

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣١٠-٣١١) .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : " يَنْزِلُ الله إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَقُولُ جَلَّ جَلاَلُهُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ " . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ : " إِنَّ اللهَّ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا لِثُلُثِ اللَّيْلِ ، فَيَقُولُ : أَلَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، أَوْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، أَلَا مُقَتَّرٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، أَلَا مَظْلُومٌ يَسْتَنْصِرُنِي فَأَنْصُرَهُ ، أَلَا عَانٍ يَدْعُونِي فَأَفُكَّ عَنْهُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكَانَهُ حَتَّى يَفِيءَ الْفَجْرُ ثمَّ يَعْلُو رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّماء الْعُلْيَا عَلَى كُرْسِيِّهِ " . رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ : " إِنَّ اللهَّ تَعَالَى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ثمَّ بَسَطَ يَدَهُ ، فَقَالَ : مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ " . حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَرِجَالُهُ أَئِمَّةٌ ، وَرَوَاهُ أَبُو مُعَاوِيَةَ بِلَفْظِ : " إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّماء ثمَّ يَهْبِطُ إِلَى السَّماء الدُّنيا ثمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ ، فَيَقُولُ : أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ " .

وَعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ نَزَلَ الله إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ، فَقَالَ : لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ " . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ الله إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ . وَأَنَّ دَاوُدَ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَالَ : لَا يُسْأَلُ الله شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَاحِراً أَوْ عَشَّاراً " . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِنَحْوِهِ . وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِينَ مِنَ اللَّيْلِ ، يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ، ثمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ ، لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَ أَحَدٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثمَّ يَهْبِطُ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، يَقُولُ : أَلَا مُسْتَغْفِرٌ فَأَغْفِرَ لَهُ ، أَلَا سَائِلٌ فَأُعْطِيَهُ ، أَلَا دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ " . رَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ .

وَرَوَى مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ الله كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ، فَيَقُولُ : أَلَا عَبْدٌ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، أَلَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ يَدْعُونِي فَأَقْبَلَهُ ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ إِلَى مَطْلِعِ الصُّبْحِ وَيَعْلُو عَلَى كُرْسِيِّهِ " . وَعَنْ أَبِي الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّه قَالَ : وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوِتْرِ : أُحِبُّ أُوتِرُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ اللهَّ يَهْبِطُ مِنَ السَّماء السَّابِعَةِ إِلَى السَّماء الدُّنيا فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ارْتَفَعَ " (١) ...

وقد دفعت أمثالُ هذه الرِّوايات الحنابلة إلى الغلو والتَّعصُّب في مسألة النُّزول ، حتى وقعوا في التَّجسيم البحت ... قال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) في كتابه الطيِّب : " مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبَه والردِّ على المعتزلة : " ومتأخِّرو الحنابلة غَلوا في دينهم غُلوَّاً فاحشاً ، وتسفَّهوا سفهاً عظيماً ، وجسَّموا تجسيماً قبيحاً ، وشبَّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً ، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة ؛ حتى قال أبوبكر ابن العربي في (العواصم) : " أخبرني من أثق به من مشيختي ، أنَّ القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظَّواهر في صفاته تعالى : ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلَّا اللحية والعورة !!!

قال أئمَّة بعض أهـل الحقّ : وهـذا كفرٌ قبيحٌ ، واستهزاء بالله تعالى شنيع ، وقائله جاهل به تعالى ، لا يُقتدى به ولا يُلتفت إليه ، ولا هو متَّبع لإمامه الذي ينتسب إليـه ويتستَّر به ؛ بل هـو شريك للمشركين في عبادة الأصنام ؛ فإنَّه ما عبَد الله ولا عرفه ، وإنَّما صوَّر صنماً في نفسه ، فتعالى الله عمَّا يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيراً " . ومثل ما نقله ابن العربي عن أبي يعلى هذا ، منقول في كتب الملل والنِّحل عن داود الجواربي ، تعالى الله عن ذلك . ثمَّ قال اليافعي : " ولقد أحسن ابن الجوزي من الحنابلة حيث صنَّف كتاباً في الردِّ عليهم ، ونقل عنهم أنَّهم أثبتوا لله صورة كصورة الآدمي في أبعاضها ، وقال في كتابه : " دفع شُبه التَّشبيه " : هؤلاء قد كَسوا هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى صار لا يُقال عن حنبلي إلَّا مجسِّم ، قال : وهؤلاء متلاعبون !!! وما عرفوا الله ولا عندهم من الإسلام خبر ولا يحدِّثون ،

---

(١) انظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (١/ ٢٩٥-٢٩٧) .

فإنَّهم يكابرون العقول ، وكأنَّهم يحدِّثون الصِّبيان والأطفال ، قال : وكلامهم صريحٌ في التَّشبيه ، وقد تبعهم خلقٌ من العوام !!! وفضحوا التَّابع والمتبوع " (١) .

ومن المؤسف حقَّاً أن يقوم القائمون على المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من كتاب : " مرهم العلل المعضلة في دفع الشُّبه والردِّ على المعتزلة " ، وهذه خيانة من خياناتهم ، حتى أنَّني أجزم أنَّ من أهم الأسباب التي دعتهم لإصدار المكتبة الشَّاملة : العبث بكتب أهل العلم ، كي توافق هواهم وعقائدهم ، ولكن هيهات ، فإنَّ للحقِّ رجال ، يأبى الله تعالى إلَّا أن يسخِّرهم ويستخدمهم لكشف مخازي القوم وسقطهم وخياناتهم على مدى الزَّمان ... وقد بيَّنت وذكرت طرفاً كبيراً من ذلكم العبث في كتابي : " كَشْفُ الخَفَاءِ عَنْ عَبَثِ الوَهَّابيَّةِ بِكُتُبِ العُلَمَاءِ " ، وهو مطبوع ... فإلى الله تعالى المُشتكى ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : " وَالله تَعَالَى لم يزل وَلَا يزَال ، بِلَا تغيُّر وَلَا زَوَال ، وَلَا انْتِقَال من حَال إِلَى حَال ، وَلَا تحرُّك وَلَا قَرَار ، إِذْ هُوَ وصف اخْتِلَاف الْأَحْوَال ، وَمن تخْتَلف الْأَحْوَال عَلَيْهِ فَهُوَ غير مفارق لَهَا ، وَمن لَا يُفَارق الْأَحْوَال ، وَهُنَّ أَحْدَاث ، فَيجب بهَا الْوَصْف بالإحداث ، وَفِي ذَلِك سُقُوط الوحدانيَّة ، ثمَّ الْقدَم ، ثمَّ جرى لتدبير الْغَيْر عَلَيْهِ ، إِذْ حَال من الْأَحْوَال لَو كَانَت لذاته لم يجز تغيُّرها مَا دَامَت ذَاته ، فَثَبت بذلك الْغَيْر لتغيُّر الْأَحْوَال عَلَيْهِ وبنقله من حَال إِلَى حَال ، وَذَلِكَ دَلِيل تعاليه عَن الْوَصْف بِالْمَكَانِ ، إِذْ قد ثَبت أَن كَانَ وَلَا مَكَان " (٢) .

فالإمام الماتريدي السَّلفي ينزِّه الله تعالى عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى اختلاف الأحوال التي منها : التَّغيُّر والزَّوال ، والحركة والانتقال ، لأنَّها تتعارض مع صفات الله التي لا يطالها تغيير ولا تبديل ، لأنَّ التَّغيُّر والتَّبدُّل من علامات الحدث ، والله تعالى أزليٌّ أبديٌّ لا يزول ولا يحول ... جلَّ عن الشَّبيه والمثيل والنِّدِّ والكفء والنَّظير ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الحَافِظُ ، المُجَوِّدُ ، شَيْخُ خُرَاسَانَ ، أَبُو حَاتِمٍ ، محمَّد بنُ حِبَّانَ بنِ أَحْمَدَ بنِ حِبَّانَ بنِ مُعَاذِ بنِ معبدِ بنِ سَهِيدِ بنِ هَدِيَّةَ بنِ مُرَّةَ بنِ سَعْدِ بنِ يَزِيْدَ بنِ مُرَّةَ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ دَارِمِ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ مناة بنِ تَمِيمٍ التَّمِيْمِيُّ الدَّارِمِيُّ البُسْتِيُّ ، صَاحبُ الكُتُبِ المَشْهُوْرَةِ (٣٥٤هـ) : "

---

(١) انظر : السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل (ص١٣٠-١٣١) .

(٢) انظر : التوحيد (ص١٠٥) .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : صِفَاتُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لَا تُكَيَّفُ ، وَلَا تُقَاسُ إِلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَكَمَا أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا مُتَكَلِّمٌ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ بِأَسْنَانٍ ، وَلَهَوَاتٍ وَلِسَانٍ ، وَشَفَةٍ كَالْمَخْلُوقِينَ ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَاسَ كَلَامُهُ إِلَى كَلَامِنَا ، لِأَنَّ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ لَا يُوجَدُ إِلَّا بِآلَاتٍ ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَتَكَلَّمُ كَمَا شَاءَ بِلَا آلَةٍ ، كَذَلِكَ يَنْزِلُ بِلَا آلَةٍ ، وَلَا تَحَرُّكٍ ، وَلَا انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ ، فَكَمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ : الله يُبْصِرُ كَبَصَرِنَا بِالْأَشْفَارِ وَالْحَدَقِ وَالْبَيَاضِ ، بَلْ يُبْصِرُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ ، وَيَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أُذُنَيْنِ ، وَسِمَاخَيْنِ ، وَالْتِوَاءٍ ، وَغَضَارِيفَ فِيهَا ، بَلْ يَسْمَعُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ ، وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَاسَ نُزُولُهُ إِلَى نُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ ، كَمَا يُكَيَّفُ نُزُولُهُمْ ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ مِنْ أَنْ تُشَبَّهَ صِفَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ " (١) .

فابن حبَّان يؤمن بالنُّزول ، وأنَّ نزوله تعالى ليس كنزول خلقة ، فنزولنا لا يكون إلَّا بجسم ينتقل من مكان إلى مكان ، ولما كان الله تعالى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، فمن الغباوة أن يُقاس نزوله بنزولنا ، فنزوله تعالى لا يكيَّف ، وصفاته سبحانه لا تشبه صفاتنا بشيء ، جلَّ تعالى عن مُشابهة المُحدثات المخلوقات ... " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ...

وهذا أمر لا يُعجب من يدَّعون السَّلفيَّة ، فقد قال أئمَّتهم وصرَّحوا بأنَّ نزول الله تعالى نزول حقيقي من علو إلى سفلٍ ... ، قال إمامهم صدر الدِّين محمَّد بن علاء الدِّين عليّ بن محمَّد ابن أبي العزّ الحنفي ، الأذرعي الصَّالحي الدِّمشقي (٧٩٢هـ) : " ...التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ، والنُّزول الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ !!! " (٢) .

ومن المعلوم أنَّ ابن أبي العز هذا قد شرح عقيدة الإمام الطّحاوي التي تلقَّتها الأمَّة بالقبول ، كما قال الإمام السُّبكي ، ومع هذا فقد خالف عقيدة الطَّحاوي التي شرحها ، وتابع في شرحه ابن تيمية حذو القذَّة بالقذَّة ، ولم يخرج عمَّا قاله ابن تيمية قيْد أنملة ... في العديد من المسائل ، منها :

١ –أنَّه قال بالقِدَم النَّوعي للعالم ، حيث قال : " أَنَّ نَوْعَ الْحَوَادِثِ هَلْ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَاضِي أَمْ لَا ؟ أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَقَطْ ؟ أَوِ الْمَاضِي فَقَطْ ؟ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ لِأَهْلِ النَّظَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ : أَضْعَفُهَا : قَوْلُ مَنْ يَقُولُ ، لَا يُمْكِنُ دَوَامُهَا لَا فِي الْمَاضِي وَلَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَقَوْلِ جَهْمِ بْنِ

---

(١) انظر : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٣/ ١٩٩) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٨٦) .

صَفْوَانَ وَأَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ . وَثَانِيهَا قَوْلُ مَنْ يَقُولُ : يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ دُونَ الْمَاضِي ، كَقَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ . وَالثَّالِثُ : قَوْلُ مَنْ يَقُولُ : يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ ، كَمَا يَقُولُهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ " (١) .

وابن أبي العز هنا ينسب القول بالقِدَم النَّوعي للعالم إلى أئمَّة الحديث ، وهم من هذا الافتراء براء ، وكيف وأنَّى لهم أن يخالفوا قول الله تعالى : " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [الحديد : ٣] ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري : " كان الله ولم يكن شيء غيره " ؟!!!

٢- أنَّه قال بقيام الحوادث بالله تعالى ، وفي ذلك يقول : " فَإِذَا قَالُوا لَنَا : فَهَذَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَادِثُ قَامَتْ بِهِ . قُلْنَا : هَذَا الْقَوْلُ مُجْمَلٌ ، وَمَنْ أَنْكَرَ قَبْلَكُمْ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِهَذَا الْمَعْنَى بِهِ تَعَالَى مِنَ الْأَئِمَّةِ ؟ وَنُصُوصُ الْقُرْآنِ والسُّنَّة تَتَضَمَّنُ ذَلِكَ ، وَنُصُوصُ الْأَئِمَّةِ أَيْضًا ، مَعَ صَرِيحِ الْعَقْلِ " (٢) .

٣-أنَّه قال بالصَّوت لله تعالى ، فقال : " وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ " ، وقال : " وَأَنَّهُ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ " (٣) ... مع أنَّ الصَّوت منسوباً إلى الله تعالى لم يثبت في دليل مُعتبر ...

٤-أنَّه قال بإثبات الحدِّ لله تعالى ، فقال : " فَالْحَدُّ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مُنَازَعَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَصْلًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ نَفْيِهِ إِلَّا نَفْيُ وُجُودِ الرَّبِّ وَنَفْيُ حَقِيقَتِهِ " (٤) .

مع أنَّ هذا مخالفٌ لما اتَّفقت عليه كلمة الأمَّة م تنزيه الله تعالى عن النَّظير والمثيل والنِّدِّ والشَّبيه والكفْ ... وهو فيما ذهب إليه متابعٌ لابن تيمية ...

٥-أنَّه قال بإثبات الجهة لله تعالى ، فقال : " وأَمَّا لَفْظُ الْجِهَةِ ، فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مَعْدُومٌ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّه لَا مَوْجُودَ إِلَّا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ وَإِنْ أُرِيدَ بِالْجِهَةِ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ ، وَهُوَ مَا

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٠٥) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٨٨) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٤) ، (١/ ٢١٨) بالترتيب .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٣) .

فَوْقَ الْعَالَمِ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ . فَإِذَا قِيلَ : أَنَّه فِي جِهَةٍ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ ، فَهُوَ صَحِيحٌ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّه فَوْقَ الْعَالَمِ حَيْثُ انْتَهَتِ الْمَخْلُوقَاتُ فَهُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، عَالٍ عَلَيْهِ " (١) .

بينما قال الطّحاوي في عقيدته : " وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ " .

٦-أنَّه قال بدنو الله تعالى من بعض خلقه ، فقال : " فَكَيْفَ يَسْتَبْعِدُ الْعَقْلُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّه يَدْنُو سُبْحَانَهُ مِنْ بَعْضِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ ؟ أَوْ يُدْنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ؟ فَمَنْ نَفَى ذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ " (٢) ، وهذا عينُ التَّجسيم والتَّشبيه ...

٧-أنَّه قال بالنُّزول الحقيقي لله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا ، فقال : " الثَّانِي عَشَرَ : التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ، والنُّزول الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ " (٣) .

وهناك طامَّات وأوابد في شرحه للطَّحاويَّة ، قد نخصِّص لها رسالة مستقلَّة بإذن الله تعالى ...

وقال الشَّيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ) : " وأجمع السَّلف على ثبوت النُّزول لله ، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهو نزول حقيقي يليق بالله " (٤) .

وقال الشَّيخ ابن عثيمين أيضاً : " ... فهذا ليس عند الإنسان شكٌّ في أنَّه نزول حقيقي " (٥) .

وقال الشَّيخ ابن عثيمين أيضاً : " ... كذلك النُّزول إلى السَّماء الدُّنيا حينما يبقى ثلث الليل الآخر نؤمن به على أنَّه نزول حقيقي ... " (٦) .

قلت : والنُّزول الحقيقي هو النُّزول المعهود الذي يعني انتقال الجسم بالحركة من مكان إلى مكان آخر ... والله تعالى يتنزَّه عن ذلك " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " .

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٦) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٧٤) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٨٤) .

(٤) انظر : تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص٥٨) .

(٥) انظر : شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) (ص٣٠٩) .

(٦) انظر : منهاج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة والعمل (ص١٥) .

وقال المدعو خالد بن عبد الله بن محمَّد المصلح : " ونزوله هو نزول حقيقي ، ولا تقل : كيف ينزل ؟ ولا يشكل عليك ماهيَّة ذلك وحقيقته وكُنهه ، فإنَّك لم تكلَّف بذلك ، وإنَّما كلِّفت بأن تؤمن بكل ما أخبر الله به عن نفسه ، وأخبر به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه .

وتأويل النُّزول بغير ما دلَّ عليه ظاهر النَّصِّ !! كمن يقولون : تنزلُ رحمته ، أو ينزلُ ملكٌ من الملائكة ، فإنَّ هذا خطأ كبير ، وتحريف خطير للنصِّ ؛ لأنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من داعٍ فأجيبه ، هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له " ، فهل يسوغ أن يقول هذا القول مَلكٌ من الملائكة ؟ " [١] .

وبحسب ما قاله هذا الرَّجل ، فإنَّ جمهور علماء الأمَّة ممَّن نقلنا عنهم في هذا الكتاب أنَّهم أوَّلوا نزول الله تعالى ، ولم يجروه على ظاهر معناه ، قد وقعوا في خطأ كبير ، وحرَّفوا الكلم عم مواضعه ، ومنهم : ، مالك (١٧٩هـ) ، محمَّد بنُ حِبَّانَ البُسْتِيُّ (٣٥٤هـ) ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ الرَّازي الحَنَفِيُّ (٣٧٠هـ) ، أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ الطَّيِّب بنِ محمَّد بنِ جَعْفَرِ بنِ قَاسِم البَصْرِيُّ ، ثمَّ البَغْدَادِيُّ ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيّ (٤٠٣هـ) ، أَبُو عَبْدِ الله الحُسَيْنُ بنُ الحَسَنِ بنِ محمَّد بنِ حَلِيْم البُخَارِيُّ (٤٠٣هـ) ، ابنِ فُوْرَكَ الأَصْبَهَانِيّ (٤٠٦هـ) ،أَبُو محمَّد عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ عَلِيّ بن نَصْرِ بن أَحْمَدَ بنِ حُسَيْن بن هَارُوْنَ ابْنِ أَمِيْرِ العَرَبِ مَالِكِ بن طوق التَّغْلِبِيُّ (٤٢٢هـ) ، أَبُو مَنْصُوْرٍ عبد القاهر البَغْدَادِيُّ (٤٢٩هـ) ، أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ عُثْمَانَ بنِ سَعِيْدِ بنِ عُمَرَ الأُمَوِيُّ مَوْلاَهُمُ ، الأَنْدَلُسِيُّ ، القُرْطُبِيُّ ، ثمَّ الدَّانِي ، المعروف بِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ (٤٤٤هـ) ، أَبُو محمَّد عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمِ الظَّاهِرِيُّ (٤٥٦هـ) ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُوْسَى الخُسْرَوْجِردِيُّ ، البيهقي (٤٥٨هـ) ، ابن عبد البر (٤٦٣هـ) ، أَبُو المُظَفَّرِ طَاهِرُ بنُ محمَّد الإسفرَايينيّ ، (٤٧١هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (٤٧٦هـ) ، أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الرَّحمن بنُ مَأْمُوْنِ بنِ عَلِيٍّ النَّيسَابورِيُّ المُتَوَلِّي الشافعي (٤٧٨هـ) ، أَبُو المَعَالِي عَبْدُ المَلِكِ الجُوَيْنِيُّ (٤٧٨هـ) ، البزدوي (٤٩٣هـ) ، أبو حامد الغَزَّالِي (٥٠٥هـ) ، أَبُو المُعِين النَّسَفِيّ المكحولي (٥٠٨هـ) ، ابنِ رشد القُرْطُبِيُّ (٥٢٠هـ) ، ابْنُ العَرَبِيِّ المالكي (٥٤٣هـ) ، القَاضِي عِيَاضِ اليحصبي (٥٤٤هـ) ، أَبُو العبَّاس أَحْمَدُ بنُ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى بنِ حَازِمِ بنِ عَلِيِّ بنِ رِفَاعَةَ الرِّفَاعِيُّ (٥٧٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن محمود بن سعيد القابسي (٥٩٣هـ) ، أَبُو الفَرَجِ ابن الجوزي الحَنْبَلِيُّ (٥٩٧هـ) ، عثمان بن عبد الله القيسي القرشي ، أبو عمرو ، المعروف بالسّلاجي (٥٩٤هـ) ، ابْنُ الأَثِيْرِ (٦٠٦هـ)

---

[١] انظر : شرح لمعة الاعتقاد (٣/ ٢٤) .

، فَخْرُ الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) ، أبو العبَّاس أحمَدُ بن عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (٦٥٦هـ) ، سلطان العلماء الشَّيخ العز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الخزرجي ، شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، ابن منظور (٧١١هـ) ، ابْنِ جَمَاعَةَ الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ (٧٣٣هـ) ، ابْن جهبل الْكلابِي الْحلَبِي (٧٣٣هـ) ، الْحُسَيْن بن محمَّد بن عبد الله الطَّيِّبِيّ (٧٤٣هـ) ، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني أَبُو السَّعادات عفيف الدِّين (٧٦٨ هـ) ، محمَّد بن يوسف الكرماني (٧٨٦هـ) ، إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخمي الغرناطي الشَّهير بالشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، سراج الدِّين أبو حفص عمر ابن الملقِّن (٨٠٤هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، أبو عبد الله السَّنوسي هو محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السَّنوسي (٨٩٥هـ) ، عبد الرَّحمن بن أَبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني (٩٢٣هـ) ، عبد الوهاب بن أحمد الشَّعراني (٩٧٣هـ) ، ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، عبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي (١٠٣١هـ) ، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) ، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم البعلي (١٠٧١هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢هـ) ، محمَّد بن عبد الهادي التتوي أبو الحسن ، نور الدِّين السّندي (١١٣٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البِشْري ، شيخ الجامع الأزهر (١٣٣٥هـ) ، محمَّد الخَضِر بن سيِّد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) ، محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (١٣٦٧هـ) ، محمَّد بن زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) ، وغيرهم كثير ...

فهل بعد كلام هؤلاء الفحول الأساطين من علماء الأمَّة الربَّانيِّين كلام ؟!! فإذا كان هؤلاء مبتدعة ضالُّون محرِّفون للكَلِم عن موضعه – كما يزعم مدَّعو السَّلفيَّة – فمن بقي بعدهم من علماء الأمَّة الذين يعوَّل على كلامهم ؟!! " مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ " [القلم : ٣٦] ، " أَفَلا تَذَكَّرُونَ " [يونس : ٣] " أَمْ لَكُمْ

سُلْطَانٌ مُبِينٌ " [الصافات : ١٥٦] " فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " [الصافات : ١٥٧] ، ولذا فإنَّ الواجب على علماء الأمَّة أن يُوقفوا هؤلاء وأمثالهم عند حدِّهم ، فقد بَغوا وطَغَوا وتطاولوا على علماء الأمَّة بجهلهم وأموالهم وكذا بالكُتب المزوَّقة التي تُوزَّع بالملايين فتُهدى ولا تُباع في مختلف الأصقاع !!! ... فالواجب أن تجتمع الكلمة على التَّحذير منهم ، بكشف مخازيهم وضلالاتهم ، وعيوبهم ، وإفلاسهم العلمي ، فقد استغلُّوا غفلة النَّاس وجهلهم ، فعمدوا إلى نشر ترَّهاتهم وخُزعبلاتهم التي أخمدها علماء الأمَّة في القرن الثَّامن الهجري ، وبقيت هامدة خامدة الأنفاس لا تقوى على الحِراك حتى القرن الثَّاني عشر ، فوجدت الهمج الرّعاع الذين اعتنقوها واعتقدوها مرَّة ثانية بعد أسلافهم من الحشويَّة والمشبِّهة ، الذين طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ...

ويستمرُّ افتئات المتمسلفة على العلم وأهله ، فيتَّهموا أهل الحقّ بتحريف الحقّ بالباطل ... فهذا شيخهم وإمامهم عبد الرَّحمن السَّعدي (١٣٧٦هـ) يقول : " ونزوله سبحانه نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته ، ولا يصحُّ تحريف معناه إلى غير ذلك من التَّحريفات الباطلة ، مثل قولهم : معنى النُّزول : نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته ، فهذا من أبطل الباطل " (١) .

فهل تأويل الإمام مالك (١٧٩هـ) لنزول الله تعالى بنزول أمره تعالى ورحمته من أبطل الباطل ؟!!! وهل من نقلنا عنهم تأويل النُّزول بنزول أمره أو غيره من التَّأويلات المراعية جلال الله تعالى وعظمته وتنزيهه عن مشابهة الحوادث ... من أبطل الباطل ؟!!! لقد استهوى سلطان المخالفة هؤلاء ، وسيطر على كيانهم حتى جعلوا - وعلى الدَّوام - أقوالهم وأقوال علمائهم هي الصَّواب الذي لا يحتمل الخطأ ، وأقوال غيرهم ولو كانت مجموع الأمَّة خطأ لا يحتمل الصَّواب ...

وكذا صرَّح إمامهم الألباني بأنَّ نزول الله تعالى نزول حقيقي ، فقال : " فنزوله نزول حقيقي يليق بجلاله ، لا يُشبه نزول المخلوقين ، وكذلك دنوُّه عزَّ وجلَّ دنوٌّ حقيقي يليق بعظمته ، وخاص بعباده المتقرِّبين إليه بطاعته ، ووقوفهم بعرفة تلبية لدعوته عزَّ وجلَّ . فهذا هو مذهب السَّلف في النُّزول والدُّنو ، فكن على علم بذلك " (٢) ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

---

(١) انظر : شرح رسالة في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (ص١١) .

(٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٨) .

فما قالوه ... مغالطة كبيرة ، لأنَّه لا بدَّ من الاحتكام للقواطع العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة في معرفة معاني الآيات الكريمة ، وكذا الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة ... ولا يوجد في معاجم وقواميس لغة معنى من المعاني كالذي قالوا ، فإنَّ قولهم لا مكان له من الإعراب في لغة العرب ، إلَّا إذا قلنا بتفويض الكيْف والمعنى ، وهم يأبون علينا ... بل يقولون بأنَّ التَّفويض من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد ، كما قال ابن تيمية في " درء التَّعارض " : " فتبيَّن أنَّ قول أهل التَّفويض الذين يزعمون أنَّهم متَّبعون للسُّنَّة والسَّلف : من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد !!! " (١) ، والعياذ بالله تعالى ...

بقي أمر قاله الألباني ، وهو قوله : " وكذلك دنوُّه عزَّ وجلَّ دنوٌّ حقيقي يليق بعظمته " . والدُّنو الذي يقصده الألباني ومن معه من مدَّعي السَّلفيَّة : هو دنوُّ الله تعالى من محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم بذلك يفسِّرون الدُّنو والتَّدلي الواردين في سورة " النَّجم " ، وهم به مخالفون لجمهور أهل العلم ... قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ﴾ [النجم ٨-٩] : يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : ثمَّ دَنَا جِبْرِيلُ مِنْ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَدَلَّى إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ ، وإِنَّما هُوَ : ثمَّ تَدَلَّى فَدَنَا ، وَلَكِنَّهُ حَسُنَ تَقْدِيمُ قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى ﴾ [النجم : ٨] ، إِذْ كَانَ الدُّنُوُّ يَدُلُّ عَلَى التَّدَلِّي وَالتَّدَلِّي عَلَى الدُّنُوِّ، كَما يُقَالُ : زَارَنِي فُلَانٌ فَأَحْسَنَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيَّ فَزَارَنِي ، وَشَتَمَنِي فَأَسَاءَ ، وَأَسَاءَ فَشَتَمَنِي لِأَنَّ الْإِسَاءَةَ هِيَ الشَّتْمُ : وَالشَّتْمُ هُوَ الْإِسَاءَةُ ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأويل ... ثمَّ ذكر من القائلين بذلك : الحسن البصري ، قتادة (١١٨هـ) ، والرَّبيع " (٢) .

وقال الإمام البغوي (٥١٦هـ) : قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : "ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى " [النجم : ٨-٩] ، اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ النَّعِيمِيُّ أَنَا محمَّد بن يوسف ثنا محمَّد بْنُ إِسْماعِيلَ ثَنَا محمَّد بن يوس ثنا أبو أسامة ثنا زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ أَبِي الْأَشْوَعِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ : فَأَيْنَ قَوْلُهُ : ﴿ ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى ﴾ [النجم : ٨-٩] ؟ قَالَتْ : ذَلِكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ ، فَسَدَّ الْأُفُقَ .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥) .

(٢) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (٢٢/ ١٣-١٤) .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهَّ النَّعِيمِيُّ أَنَا محمَّد بْنُ يُوسُفَ ثَنَا محمَّد بن إسماعيل ثنا طلق بن غنّام ثنا زَائِدَةُ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ زِرّاً عَنْ قَوْلِهِ : " فكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى " [النجم : ٩] ، قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهَّ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ أَنَّ محمَّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ .

فَمَعْنَى الْآيَةِ : ثمَّ دَنَا جِبْرِيلُ بَعْدَ اسْتِوَائِهِ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى مِنَ الْأَرْضِ ، فَتَدَلَّى فَنَزَلَ إِلَى محمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، بَلْ أَدْنَى ، وَبِهِ قَالَ ابن عبَّاس ، والحسن ، وقتادة (١١٨هـ) .

وقيل : فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، تَقْدِيرُهُ : ثمَّ تَدَلَّى فَدَنَا ، لِأَنَّ التَّدَلِّيَ سَبَبُ الدُّنُوِّ " (١) .

وعليه : فابن عبَّاس ، والحسن البصري ، وقتادة (١١٨هـ) ، والرَّبيع ... قالوا : إنَّ مسألة التَّدلِي مرتبطة بأمين الوحي جبريل عليه السَّلام ، وليس الأمر كما يعتقد مدَّعو السَّلفيَّة : أنَّ المتدلِّي هو الله تعالى ... والذي ذكرناه هو قول جمهور المفسِّرين (٢) ...

وقد انتهى بهم الأمر في هذه مسألة النُّزول إلى قياس الخالق على المخلوق ، حيث جعلوا الحركة أمارة ما بين الحيِّ والميِّت ، وفي ذلك قال الإمام ابن تيمية : " ... لأنَّ الحيَّ القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرَّك إذا شاء ، ويهبط ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأنَّ أمارة ما بين الحي والميت التحرُّك ، كل حيٍّ متحرِّك لا محالة ، وكل ميِّت غير متحرِّك لا محالة " (٣) .

وأنا أقول له : يا ابن تيمية : إنَّ الأرض جماد لا روح فيها ، وهي تتحرَّك ، ولا يخالف في ذلك إلَّا أعمى البصر والبصيرة ، تماماً كما فعل الشَّيخ ابن باز فألَّف كتاباً بعنوان : " الأدلَّة النَّقليَّة والعقليَّة على سكون الأرض وحركة الكواكب والنُّجوم " ، وما ألَّف هذا الكتاب المتهالك إلَّا لنصرة باطل مذهبه ، بالغشِّ والتَّدليس والكذب والخيانة والتَّلاعب بعقول الجهَّال والعميان ، فسبحان مقلِّب القلوب ، ومقسِّم العقول ...

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٤/ ٣٠١-٣٠٢) .

(٢) للاستزادة في هذه المسألة انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ١٩٤) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٨٥) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٢٠١) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٢٣) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/ ٥٠١) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥١) ، (٢/ ٧٢) ، شرح العقيدة الأصفهانية (ص٧٩) .

وقد ذكر الله تعالى في الكتاب المجيد أنَّ الجبال تتحرَّك ، فقال : " وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهَّ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ " [النمل : ٨٨] . قال الإمام الشَّعراوي : " فليس غريباً الآن أن نعرف أنَّ للجبال حركة ، وإنْ كنَّا لا نراها ؛ لأنَّها ثابتة بالنِّسبة لموقعك منها ؛ لأنَّك تسير بنفس حركة سيرها ، كما لو أنَّك وصاحبك في مركب ، والمركب تسير بكما ، فأنت لا تدرك حركة صاحبك لأنَّك تتحرَّك بنفس حركته .

وقد شبَّه الله حركة الجبال بمرِّ السَّحاب ، فالسَّحاب لا يمرُّ بحركة ذاتيَّة فيه ، إنَّما يمرُّ بدفْع الرِّياح ، كذلك الجبال لا تمرُّ بحركة ذاتيَّة إنَّما بحركة الأرض كلّها ، وهذا دليل واضح على حركة الأرض ... " (١) .

فالنَّاظر في ما قاله ابن تيمية يجد غُلوَّاً فادحاً وبُعداً عن جادَّة الصَّواب ... حيث خالف عموم الأمَّة ، وقد دفع هذا الغُلوُّ تلميذه الإمام الذَّهبي لتوجيه رسالة له ، اشتهرت باسم : " الرِّسالة الذَّهبيَّة " ، نصح فيها شيخه ابن تيمية للعدول عن غيِّه وضلاله ، ونصُّ الرِّسالة هو : " الحمد لله على ذلَّتي ، يا ربِّ ارحمني وأقلني عثرتي ، واحفظ عليَّ إيماني ، واحزناه على قلَّة حزني ، واأسفاه على السُّنَّة وذهاب أهلها ، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء ، واحزناه على فَقْد أُناس كانوا مصابيح العلم وأهل التَّقوى وكنوز الخيرات ، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النَّاس ، وتَبّاً لمن شغله عيوبُ النَّاس عن عيبه ، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذمُّ العلماء ، وتتبع عورات النَّاس مع علمك بنهي الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير ، فإنَّهم قد أفضوا إلى ما قدموا " (٢) ، بلى أعرفُ أنَّك تقول لي لتنصُرَ نفسك : إنَّما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جهاد ، بلى والله عرفوا خيراً ممَّا إذا عمل به العبد فقد فاز ، وجهلوا شيئاً كثيراً ممَّا لا يعنيهم و" من حسن إسلام المرء تركـــه ما لا يعنيه " (٣) ...

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي ، الخواطر (١٥/ ٩٥٢٧) .

(٢) أخرج الشق الأول منه : الطيالسي في المسند (٣/ ٩٥ برقم ١٥٩٧) .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، (١/ ٢٦٤ برقم ٥٣) ، وغيره .

يا رجل ، بالله عليك كفَّ عنَّا ، فإنَّك مِحجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام ، إيَّاكم والأغلوطات في الدِّين ، كره نبيُّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السُّؤال ، وقال : " إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي كلّ منافق عليم اللسان " (١) .

وكثرة الكلام بغير زلل تقسِّي القلب إذا كان في الحلال والحرام ، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيَّة والفلاسفة وتلك الكفريَّات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريَّات الفلسفيَّة بعقولنا ، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرَّات ، وكثرة استعمال السُّموم يُدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن . واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبُّر ، وخشية بتذكُّر ، وصمت بتفكُّر ، واهاً لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار ، فعند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة ، لا عند ذكر الصَّالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة ، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما ، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب ، وجدوا في ذكر بدع كنَّا نعدها من أساس الضَّلال ، قد صارت هي محض السُّنَّة وأساس التَّوحيد ، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون ، وتعد النَّصارى مثلنا ، والله في القلوب شكرك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشَّهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتَّبعك فإنَّه مُعَرَّضٌ للزَّندقة والانحلال !!! ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليّاً شهوانيّاً ، لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيدٌ مربوط خفيف العقل ، أو عامي كذّاب بليد الذِّهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدِّقني ففتشهم وزنهم بالعدل .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، (١/ ٢٨٩ برقم ١٤٤) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للمسند : " إسناده قوي. أبو عثمان النهدي: هو عبد الرحمن بن ملّ، وقولُ الحافظ في " التقريب " عن ميمون الكردي: مقبول، غير مقبول، فقد روى عنه جمع ووثقه أبو داود وابن حبان، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال مرة: صالح، وتفرد الأزدي فضعّفه وقد صوب الدارقطني وابن كثير وقفه على عمر. انظر " مسند عمر " ص ٦٦١ - ٦٦٢ لابن كثير.

وأخرجه عبد بن حميد (١١) ، والبزار (٣٠٥) ، والفريابي في " صفة المنافق " (٢٤) والبيهقي في " الشعب " (١٧٧٧) من طرق عن ديلم بن غزوان، بهذا الإسناد.

وأخرجه الفريابي (٢٥) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن ميمون الكردي، به.

وأخرجه الفريابي (٢٦) من طريق أبي عثمان النهدي، به " .

يا مسلم ، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟ إلى كم تصدقها وتزدري الأبرار ، إلى كم تعظِّمها وتصغر العباد ، إلى متى تُخاللها وتمقت الزُّهَّاد ، إلى متى تمدح كلامك بكيفيَّة لا تمدح بها والله أحاديث الصَّحيحين ، يا ليت أحاديث الصَّحيحين تسلم منك !!! بل في كلِّ وقت تُغيرُ عليها بالتَّضعيف والإهدار !!! أو بالتَّأويل والإنكار (١) .

أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب ، أمَّا أنت في عشر السَّبعين وقد قرب الرَّحيل . بلى والله ما أذكر أنَّك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت ، فما أظنُّك تقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي ، بل لك همَّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلَّدات وتقطع لي أذناب الكلام ، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ : والبتَّة سكت .

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشَّفوق المحبُّ الواد ، فكيف يكون حالك عند أعدائك ، وأعداؤك والله فيهم صُلحاء وعقلاء وفضلاء ، كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر .

قد رضيتُ منك بأن تسبَّني علانية ، وتنتفع بمقالتي سرَّاً : " فرحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي " (٢) ، فإنِّي كثير العيوب غزير الذُّنوب ، الويل لي إن أنا لا أتوب ، ووافضيحتي من علاّم الغيوب ، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته ، والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد خاتم النَّبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين " (٣) .

والرِّسالة ثابتة لا مجال للطَّعن فيها ، وذلك لـ :

١-أنَّ الإمام الذَّهبي تلميذ من تلاميذ ابن تيمية المشهورين ، وهو لا يعتقد في ابن تيمية العصمة ، بل خالفه وناقشه في العديد من المسائل ، قال الإمام الذَّهبي في معرض كلامه عن ابن تيمية ، على ما نقله

---

(١) من المعلوم أنَّ ابن تيمية وكذا ابن القيم ومعهم الألباني ردُّوا وانتقدوا أكثر من خمسين حديثاً في الصَّحيحين ... وقد أثبتُّ ذلك في كتابي : " إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة " ...

(٢) أخرجه من كلام عمر بن الخطَّاب : الدارمي (١/ ٥٠٦ برقم ٦٧٥) .

(٣) انظر : السيف الصقيل في الردِّ على رد ابن زفيل (ص٢١٧-٢١٩) .

عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وَأَنا لَا أعتقد فِيهِ عصمَة ، بل أَنا مُخَالف لَهُ فِي مسَائِل أَصْلِيَّة وفرعيَّة !!! ... " [١] .

وقال الذَّهبي في " تذكرة الحفَّاظ " في حديثه عن ابن تيمية : " وقد انفرد بفتاوى نيل من عِرضِهِ لأجلها ،... فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه ، وكلّ أحد من الأمَّة فيؤخذ من قوله ويُترك " [٢] .

وهذا بعكس من يدَّعون السَّلفيَّة في زماننا ، أولئك الذين أضفوا على كلام ابن تيمية هالة عظيمة من الجلال والإعظام والعصمة ... حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الاعتقاد بأنَّ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولدرجة أنَّهم احتكموا إلى قوله في التَّفريق بين الحقِّ والباطل ، فلا تجد كتاباً حقَّقوه !!! ولا رسالة علميَّة جامعيَّة ألَّفوها إلَّا وشحنوها بأقوال ابن تيمية ، جاءوا بها لتصويب المسائل مناط البحث ، ويضاف لذلك أنَّني أحصيت ما مجموعه (٢١٢) رسالة علمية (ماجستير ودكتوراه) كُتبت عن فكر ابن تيمية ... مع أنَّني أجزم أنَّهم لم يكتبوا نصف هذا العدد عن سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... وبرغم الطَّامَّات والمصائب التي انتقدها علماء الأمَّة على ابن تيمية قديماً وحديثاً إلَّا أنَّنا لم نرَ عالماً منهم تجاسر على تخطئة ابن تيمية ، اللهمَّ إلَّا الألباني – فيما اطَّلعت – وقد ناقشه وخالفه على استحياء ، بل أنَّه حين ناقشه في مسألة " فناء النَّار " ذكر أنَّ لابن تيمية أجراً !!! فيما اجتهد فيه من القول بفناء النَّار ، مع أنَّه لا مجال فيها للاجتهاد ...

فلا مجال البتَّة لاعتقاد عدم صحَّة نسبة الرِّسالة للإمام الذَّهبي ، لأنَّ الدِّين النَّصيحة ، والإنسان أيّاً كان لا يستغني عن النَّصيحة ، والرِّسالة برمَّتها ما خرجت إلَّا مخرج النَّصيحة ، وقد وصف الإمام الذَّهبي أتباع ابن تيمية في النَّصيحة بقوله : " يا خيبة من اتَّبعك ، فإنَّه معرَّض للزَّندقة والانحلال ، لاسيَّما إذا كان قليل العلم والدِّين باطوليّاً شهوانيّاً . لكنَّه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدوّ لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلَّا قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عامِّي كذَّاب بليد الذِّهن أو غريب واجم ، قويُّ المكر أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل ... كما أنَّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر " .

---

[١] انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٧٦) .

[٢] انظر : تذكرة الحفاظ (٤٤/ ١٩٢) .

ففي هذا المقطع قيّم ووزن الذَّهبي أتباع ابن تيمية ممَّن يدَّعون السَّلفيَّة ، وهذا مدعاة لأن يراجعوا أنفسهم ، فقد وصف أتباعه بأنَّ منهم القعيد والمربوط وخفيف العقل ، وبليد الذّهن وقوي المكر ، كما أنَّ أوليائه فيهم الفجرة والكذبة والبقر والعور . وفي هذا إشارة إلى أنَّ فكرهم فيه جهل وكذب . وكم نتمنَّى أن تكون نصيحة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية مدعاة لمدَّعي السَّلفيَّة في زماننا كي يراجعوا حساباتهم وأنفسهم ، خاصَّة وأنَّهم ما تركوا عالماً من غير طريقتهم إلَّا وصموه بالكفر والنِّفاق والتَّعطيل والتَّجهُّم والتَّفسيق والتَّضليل ...

٢-أنَّ الإمام الذَّهبي انتقد ابن تيمية غير مرَّة ، من ذلك قوله : " فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة ، وآراء الأوائل ومجازات العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسُّنَّة وأصول السَّلف ، ولفَّقت بين العقل والنَّقل ، فما أظنُّك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها ، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحطِّ عليه ، والهجر والتَّضليل والتَّكفير والتَّكذيب بحقٍّ وبباطل ، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصِّناعة منوَّراً مضيئاً ، على محيَّاه سيما السَّلف ، ثمَّ صار مظلماً مكسوفاً ، عليه قتمة عند خلائق من النَّاس ، ودجَّالاً أفَّاكاً كافراً عند أعدائه ، ومبتدعاً فاضلاً محقِّقاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء ، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدِّين ومحيى السُّنَّة عند عوام أصحابه " (١) .

فالذَّهبي ذمّ ابن تيمية بسبب خوضه بالفلسفة ، وهذا الذَّمُّ منه ينسف مدحه له في " تذكرة الحفّاظ " حين قال : فما رأيت مثله " (٢) .

وقال الإمام الذَّهبي : " فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له : ابن تيمية ، مع الزُّهد في المأكل والملبس والنِّساء ، ومع القيام في الحقّ والجهاد بكلِّ ممكن ، وقد تعبتُ في وزنه وفتَّشته حتى مللت في سنين متطاولة ، فما وجدت قد أخره بين أهل مصر والشَّام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذَّبوه وكفَّروه إلّا الكبر والعجب ، وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار ، فانظر كيف وبال الدَّعاوي ومحبَّة الظُّهور ، نسأل الله تعالى المسامحة ، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ، ولا أعلم منه ، ولا أزهد منه ، بل يتجاوزون عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم ، وما سلَّطهم الله

(١) انظر : زغل العلم (ص٤٢) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٢) .

عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه ، وما دفعه الله عنه وعن أتباعه أكثر ، وما جرى عليهم إلَّا بعض ما يستحقُّون ، فلا تكن في ريب من ذلك " (١) .

٣-أثبت رسالة الإمام الذَّهبي لشيخه ابن تيمية الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، فقال : " وقد رأيت له - أي للذَّهبي - عقيدة مجيدة ، ورسالة كتبها لابن تيمية هي لدفع نسبته لمزيد تعصُّبه مفيدة " (٢) .

وكذلك أثبتها الأستاذ الدكتور بشَّار عواد معروف ، فقال عن الرِّسالة : " وهي رسالة بعث بها الذَّهبي إلى شيخه ورفيقه أبي العبَّاس ابن تيمية الحرَّاني ينصحه فيها ويعاتبه في بعض تصرُّفاته ، وهي رسالة مفيدة في تبيان عقيدة الذَّهبي وقد ذكرها السَّخاوي في الإعلان ... وذهب بعضهم إلى القول بأنَّها مزوَّرة ، ولا عبرة بذلك !!! " (٣) .

وذكر الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف نُسخ الرِّسالة ، وأنَّها موجودة في : دار الكتب المصريَّة بخطِّ تقي الدِّين ابن قاضي شهبة الأسدي المتوفَّى سنة (٨٥١ هـ) رقم (١٨٨٢٣) ، وفي : دار الكتب الظَّاهريَّة برقم (١٣٤٧) أ.هـ .

أقول : وقد نقلتها من كتاب : " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ على ابن زفيل " للإمام تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي المتوفَّى سنة (٧٥٦هـ) ...

وبعد هذه الإطلالة السَّريعة على بعض من عقائد من أجروا النُّزول على ظاهر معناه ... نعود ثانية إلى أقوال فحول الأمَّة وأساطينها المنزِّهين لله تعالى عن الحركة والانتقال ... فنقول :

قال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، المُفْتِي ، المُجْتَهِدُ ، عَلَمُ العِرَاقِ ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ الرَّازي ، الحَنَفِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٣٧٠هـ) : " وأمَّا الخبر بنزول الباري إلى السَّماء الدُّنيا ، فذلك أمره وفضله ورحمته ، لا نقول : وحركته ... " (٤) .

---

(١) انظر : زغل العلم (ص٣٨) .

(٢) انظر : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٧٧) .

(٣) انظر : الذَّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام (ص١٤٦) .

(٤) انظر : شرح بدء الأمالي (ص٢٠٦) .

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، أَوْحَدُ المُتكَلِّمِيْن ، مُقَدَّم الأُصُوْلِيين ، القَاضِي ، أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ الطَّيِّب بنِ محمَّد بنِ جَعْفَرِ بن قَاسِم البَصْرِيُّ ، ثمَّ البَغْدَادِيُّ ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، المضروب به المَثَلُ بِفَهْمِهِ وَذَكَائِه (٤٠٣هـ) : " ويجب أن يعلم : أنَّ كلّ ما يدلُّ على الحدوث أو على سمة النَّقص ، فالرَّبُّ تعالى يتقدَّس عنه ، فمن ذلك : أنَّه تعالى متقدِّس عن الاختصاص بالجهات ، والاتِّصاف بصفات المحدثات ، وكذلك لا يُوصف بالتَّحوُّل ، والانتقال ، ولا القيام ، ولا القعود ؛ لقوله تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، ولأنَّ هذه الصِّفات تدلُّ على الحدوث ، والله تعالى يتقدَّس عن ذلك " (١) .

فالله تعالى متعالٍ عن المكان ، فهو تعالى غيرُ متمكّن في مكان ، ولا متحيِّز إلى جهة ، لأنَّه سبحانه وتعالى ليس بجوهر يتحيَّز ، فهو يتقدّس عن الحيِّز ، إذ التَّحيُّز خاصٌّ بالجواهر ، وكلُّ متحيِّز فهو مختصٌّ بحيِّزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحرِّكاً عنه ، والحركة والسُّكون حادثان وهما من أعراض الحوادث ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، والله تعالى القديم يتعالى عن ذلك ويتنزَّه ، سبحانه وتعالى عمَّا يصفون ...

وقال الإمام ، العَلاَّمَةُ ، رَئِيْسُ المُحَدِّثِيْنَ وَالمُتَكَلِّمِيْنَ بِمَا وَرَاء النَّهر ، أَبُو عَبْدِ الله الحُسَيْنُ بنُ الحَسَنِ بنِ محمَّد بنِ حَلِيْم البُخَارِيُّ ، الشَّافِعِيُّ ، أَحَدُ الأَذكيَاء المُوْصُوفِيْنَ ، وَمن أَصْحَابِ الوُجُوهِ فِي المَذْهَب ، المُتفنِّن ، سيَّال الذِّهن ، المُنَاظِر ، طَوِيْلَ البَاعِ فِي الأَدب وَالبيَان (٤٠٣ هـ) : " وأمَّا البراءة من التَّشبيه بإثبات أنَّه – تعالى – ليس بجوهر ولا عَرَض ، فلأنَّ قوماً زاغوا عن الحقِّ فوصفوا البارىء جلَّ ثناؤه ببعض صفات المحدثين ، فمنهم من قال : أنَّه جوهر ، ومنهم من قال : أنَّه جسم ، ومنهم من أجاز أن يكون على العرش ، كما يكون الملك على سريره ، وكان ذلك في وجوب اسم الكفر لقائله كالتَّعطيل والتَّشريك . فإذا أثبت المثبت أنَّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وجماع ذلك أنَّه ليس بجوهر ولا عَرَض ، فقد انتفى التَّشبيه ، لأنّه لو كان جوهراً أو عَرَضاً لجاز عليه ما يجوز على سائر الجواهر والأعراض ، ولأنه إذا لم يكن جوهراً ولا عَرَضاً لم يجز عليه ما يجوز على الجواهر من حين أنَّها

(١) انظر : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص٤٠–٤١) .

جواهر كالتّآلف والتَّجسم ، وشغل الأمكنة ، والحركة والسُّكون ، ولا ما يجوز على الأعراض من حيث أنَّها أعراض كالحدوث وعدم البقاء " (١) .

فالإمام الحليمي يؤكِّد ويبرهن على تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة ، وعن لوازمها من الحركة والسُّكون ، إذ كلَّ جسم لا ينفكُّ عن الحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق ، وهي أعراض ملازمة للأجسام ، ولا تقوم إلَّا بها ، وهي حادثة لتغيرُّها وتبدُّلها ، وما لا ينفكُّ عن الحوادث فهو حادث ، والله تعالى واجب الوجود لذاته ، فلا يجوز أن يكون جسماً أو عَرَضاً ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الصَّالح ، شَيْخُ المُتَكَلِّمِيْن ، أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ الحَسَنِ بنِ فُوْرَكَ الأَصْبَهَانِيّ ، الأُصُوْلِيّ ، الأَدِيْبُ ، النَّحْوِيُّ ، الوَاعِظُ ، صاحب التَّصَانِيْفَ الكَثِيْرَة (٤٠٦هـ) : " ... وَقَوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح : ٤] ، يكْشف أَيْضاً على أَنَّه لَيْسَ كلّ نزُول وإنزال نقل وتحويل ، بل ذَلِك لفظ مُشْتَرك الْمعْنى ، قد يكون نقلاً وتحويلاً ، وَيكون على غير هَذَا الْوَجْه أَيْضاً ، على الْمُتَعَارف والمعهود بَين أهل اللُّغَة ، وَإِذا كَانَ اللَّفْظ مُشْتَرك الْمعْنى وَجب التَّرْتِيب وَإِضَافَة مَا يَلِيق فِي الْمَذْكُور والمضاف إِلَيْهِ على حسب مَا يَلِيق بِهِ ، أَلا ترى أَنَّه إِذا أضيف إِلَى السَّكينَة لم يكن حَرَكَة وَلَا نقلة ، وَإِذا أضيف إِلَى الْكَلَام لم يكن أَيْضاً تَفْرِيغ مَكَان وشغل مَكَان ، وَإِذا أُرِيد بِهِ الحكم وَتغير الْمرتبَة فَكَذَلِك ، وَإِذا كَانَ مَا وصف بِهِ الربُّ جلَّ ذكره من النُّزول مَحْمُولاً على بعض هَذِه الْمعَانِي الَّتِي لَا تَقْتَضِي لَهُ مَا لَا يَلِيق بنعته من إِيجَاب حدث يحدث فِي ذَاته ، وتغيير يلْحقهُ ، أَو نقص تمثيلاً أَو تحديداً ، وَهُوَ أَن يكون على أحد وُجُوه من الْمعَانِي .

إِمَّا أَن يُرَاد بِهِ : إقباله على أهل الأَرْض بِالرَّحْمَةِ والاستعطاف بالتَّذْكِير والتَّنبيه الَّذِي يلقى فِي قُلُوب أهل الْخَيْر مِنْهُم من أسعده بتوفيقه لطاعته حَتَّى يزعجهم إِلَى الْجد والانكماش فِي التَّوْبَة والإنابة والإقبال على الطَّاعَة . وَوجدنَا الله عزَّ وَجلَّ قد خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، وَقَالَ فِي وَصفهم أَيْضاً : ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : " وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ " [آل عمران : ١٧] . فَيحْتَمل أَن يكون ذَلِك هُوَ الْمُرَاد بِهِ ، وَهُوَ الْإِخْبَار عَمَّا يظْهر من ألطافه ومعونته وتأييده لأَهل ولَايَته فِي مثل هَذَا الْوَقْت ، بالزَّواجر الَّتِي يقيمها فِي نُفُوسهم ، والمواعظ الَّتِي تنبِّههم بِقُوَّة التَّرْغِيب والتَّرهيب .

---

(١) انظر : المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٨٤) .

وَيحْتَمل أَن يكون ذَلِك فعلاً يظهره بأَمْره فيضاف إِلَيْهِ ، كَمَا يُقَال : ضرب الْأَمِير اللصَّ ، ونادى الْأَمِير فِي الْبَلَد الْيَوْم ، وإِنَّمَا أَمر بذلك فيضاف إِلَيْهِ على معنى أَنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ، وَإِذا كَانَ ذَلِك مُحْتملاً فِي اللُّغَة لم يُنكر أَن يكون لله عزَّ وَجلَّ مَلَائِكَة يَأْمُرهُم بالنُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا بِهَذَا النِّداء وَالدُّعَاء ، فيضاف ذَلِك إِلَى الله عزَّ وَجلَّ على الْوَجْه الَّذِي يُقَال : ضرب الْأَمِير اللصَّ ، ونادى فِي الْبِلَاد . وَقد روى لنا بعض أهل النَّقْل هَذَا الْخَبَر عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤَيِّد هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ بِضَم الْيَاء من " ينزل " وَذكر أَنَّه قد ضَبطه عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضَّابطين . وَإِذا كَانَ ذَلِك مَحْفُوظاً مضبوطاً كَمَا قَالَ ، فوجهه ظَاهر ، وَلما ذَكرْنَاهُ مِمَّا يحْتَملهُ من التَّأويل مؤيِّد شَاهد ، وَيحْتَمل أَيْضاً أَن يكون على معنى أَنَّهم يَقُولُونَ : مازلنا فِي خير حَتَّى نزل بِنَا بَنو فلَان ، على معنى نزُول حكمهم وَأمرهمْ ، فَيكون تَقْدِير التَّأويل مَا قُلْنَا فِيهِ من الْإِخْبَار عَمَّا يَفْعَله الله تَعَالَى فِي كلِّ لَيْلَة من أَفعاله الَّتِي هِيَ ترغيب لأهل الْخَيْر فِي الْخَيْر ، وَزِيَادَة فِي الدَّوَاعِي إِلَى الطَّاعَة والاستعطاف لأهل الْعَطف ، مَعَ أَنَّه إِذا لم يحل مَا أطلق عَلَيْهِ من هَذَا الْوَصْف من أَن يكون مِمَّا يلْزم الذَّات لأجل فعل أَو يكون مِمَّا يجب لأجل إفعال ، وَبَطل أَن يكون ذَلِك مِمَّا يلْزم الذَّات ، وَجب أَن يكون ذَلِك مِمَّا يُوصف بِهِ من أجل فعل يَفْعَله .

وَقد رُوِيَ لنا عَن الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) رَحمَه الله أَنَّه سُئِلَ عَن هَذَا الْخَبَر ، فَقَالَ : يفعل مَا يَشَاء ، وَهَذَا إِشَارَة مِنْهُ إِلَى أَنَّ ذَلِك فعلٌ يظْهر مِنْهُ عزَّ ذكره .

وَرُوِيَ عَن مَالك بن أنس (١٧٩هـ) أَنَّه قَالَ فِي هَذَا الْخَبَر : ينزل أمرُه فِي كلِّ شَيْء ، وأَمَّا هُوَ جلَّ ذكره فَهُوَ دَائِم لَا يَزُول ...

فَإِن قَالَ قَائِل : فَإِذا حملتم مَا رُوِيَ من النُّزول فِي الْخَبَر على مَا ذكرْتُمْ فعلام تحملون قَوْله : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ" [النحل : ٢٦] ، وَقَوله سُبْحَانَهُ : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَقَوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قيل : هَذَا تَأْوِيل أهل الْعلم هَذِه الْآي فِي وُجُوه كَثِيرَة ، فَمن ذَلِك أَنَّهم تأولوا قَوْله عزَّ وَجلَّ : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ" [النحل : ٢٦] ، أَنَّ مَعْنَاهُ : الاستئصال فِي الْهَلَاك والدَّمار بإرسال الْعَذَاب ، كَمَا يَقُول النَّاس : أَتَى السُّلْطَان بلد كَذَا فقلبه ظهراً لبطن ، أَي : استأصله ، وَلَيْسَ يُرِيدُونَ حُضُوره الْبَلَد بِنَفسِهِ ، وَلَا شُهُوده ، بل يُرِيدُونَ الْهَلَاك والتَّدمير . وَقَالَ بَعضهم : إِنَّمَا أَرَادَ بذلك ظُهُور فعل من جِهَته فِي الْبُنْيان سَمَّاهُ إتياناً ، وَللهَّ أَن يُسَمِّي أَفعاله بِمَا شَاءَ ، وَأَن يصف نَفسه من ذَلِك بِمَا أَرَادَ .

وأمَّا قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فَمنهمْ من قَالَ : إِن مَعْنَاهُ : جَاءَ رَبُّك بِالْملكِ صفاً ، وَزعم أَنَّ الْوَاو هُنَا بِمَعْنى الْبَاء . وَمِنْهُم من قَالَ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَمر رَبّك وَحكمه ، يُرِيد أَمر الْقِيَامَة وَمَا يخْتَص بِهِ ذَلِك الْوَقْت ، من أمره الْمَخْصُوص ، وَحكمه الَّذِي لَا يَقع الشّركَة فِيهِ بِالدُّعَاءِ والنِّداء .

وَقد بَيَّنَّا فِيمَا قبل أَنَّه لَا تدافع بَين أهل اللُّغَة فِي قَوْلهم : ضرب الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادى الْأَمِيرُ فِي الْبَلَد بِكَذَا ، وإِنَّمَا يُرَاد بذلك : أَنَّ ذَلِك الْفِعْل وَقع بِأَمْرِه وَعَن حكمه ، فيُضاف الْفِعْل إِلَيْهِ بِاللَّفْظِ الَّذِي يُضَاف إِلَى من فعله وتولَّاه ، وَنَظِير ذَلِك قَوْله عزَّ وَجلَّ فِي قصَّة قوم لوط : ﴿فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر : ٣٧] ، وَكَانَ الطَّمس للأعين من الْمَلَائِكَة بِأَمْر الله عزَّ وَجلَّ ، وَإِذا كَانَ مثله مُتَعَارَف فِي اللُّغَة ، وإِنَّمَا ورد الْخطاب فِي الْقُرْآن على الْمُتَعَارف فِي اللُّغَة والمعهود فِيمَا بَين أَهلهَا لم يُنكر أَن يحمل على ذَلِك قَوْله تَعَالَى : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] . وأمَّا قَوْله سُبْحَانَهُ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فقد قَالَ بعض أهل التَّفْسِير : إِنَّ مَعْنَاهُ : هَل ينظرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله بِالْعَذَابِ فِي ظُلل من الْغَمَام ، وَهَذَا سَائِغ فِي اللُّغَة أَن يعبّر عَن الشَّيْء بِفِعْلِهِ إِذا وَقع عَن أمره وتدبيره ، كَقَوْلِهِم : أَتَى الْأَمِيرُ بلد فلَان ، إِذا وصل إِلَيْهِ جَيْشه ، وَدخل السُّلْطَانُ بلد كَذَا إِذا نفذ فِيهِ أمرُه وَحكمه " (١) .

فالإمام ابن فورك ذكر معاني عديدة للنُّزول ، وأكَّد على أنَّه لَيْسَ كل نزُول وإنزال نقل وتحويل ... ، وأنَّ المعنى الذي يتناسب مع جلال الله وتنزيهه سبحانه هو : إقباله على أهل الأَرْض بِالرَّحْمَةِ والاستعطاف بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يلقى فِي قُلُوب أهل الْخَيْر مِنْهُم من أسعده بتوفيقه لطاعته حَتَّى يدفعهم إِلَى الْجد والتَّوْبَة والإنابة والإقبال على الطَّاعَة أو بمعنى الْإِخْبَار عَمَّا يظْهر من ألطافه ومعونته وتأييده لأَهل ولَايَته فِي مثل هَذَا الْوَقْت بالزَّواجر الَّتِي يقيمها فِي نُفُوسهم والمواعظ الَّتِي تنبِّههم بِقُوَّة التَّرْغِيب والتَّرهيب .

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢٠٣-٢٠٩) .

وَيحْتَمل أَن يكون ذَلِك فعلاً يظهره بأَمْره فيضاف إِلَيْهِ ، وَإِذا كَانَ ذَلِك مُحْتملاً فِي اللُّغَة لم يُنكر أَن يكون لله عزَّ وَجلَّ مَلَائِكَة يَأْمُرهُم بالنُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا بِهَذَا النداء وَالدُّعَاء ، فيضاف ذَلِك إِلَى الله عزَّ وَجلَّ على الْوَجْه الَّذِي يُقَال : ضرب الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادى فِي الْبِلَاد ، ويشهد لذلك أنَّ حديث النُّزول روي بِضَم الْيَاء من " ينزل " حيث ضَبطه البعض عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضابطين ...

ويؤيِّد هذا ما رواه النَّسائي ، قال : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ ، حدَّثنا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ ، حدَّثنا أَبِي ، حدَّثنا الْأَعْمَشُ ، حدَّثنا أَبُو إِسْحَاقَ ، حدَّثنا أَبُو مُسْلِمٍ الْأَغَرُّ ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، وَأَبَا سَعِيدٍ يَقُولَانِ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِي شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً يُنَادِي يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى " (١) .

وأخيراً ذكر الإمام ابن فورك بعضاً من تأويلات السَّلف للنُّزول ، فذكر أنَّه سئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عَن هَذَا الْخَبَر ، فَقَالَ : يفعل مَا يَشَاء ، وَهَذَا إِشَارَة مِنْهُ إِلَى أَنَّ ذَلِك فعل يظْهر مِنْهُ عزَّ ذكره ، وعَن مَالك بن أنس (١٧٩هـ) أنَّه قَالَ فِي هَذَا الْخَبَر : ينزل أمرُه فِي كلِّ شَيْء ، وأمَّا هُوَ جلَّ ذكره ، فَهُوَ دَائِم لَا يَزُول ولا يحول ، لأنَّ النُّزول بمعنى الحركة ، يتعارض مع وجوب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، إذ الحركة والانتقال من لوازم المحدثات ...

وقال الإمام العَلاَّمَةُ ، شَيْخُ المَالِكِيَّة ، أَبُو محمَّد عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ عَلِيّ بن نَصْرِ بن أَحْمَدَ بنِ حُسَيْن بن هَارُوْنَ ابْنِ أَمِيْرِ العَرَبِ مَالِكِ بن طوق التَّغْلِبِيُّ ، العِرَاقِيُّ ، الفَقِيْهُ، المَالِكِيُّ ، مِنْ أَولاَد صَاحِب الرَّحْبَة (٤٢٢هـ) : " ولا يجوز أنْ يثبت له كيفيَّة ، لأنَّ الشَّرعَ لم يَرِد بذلك ، ولا أخبر النبيُّ عليه السَّلام فيه بشيء ، ولا سألته الصَّحابة عنه ، ولأنَّ ذلك يرجع إلى التَّنقُّل والتَّحوُّل وإشغال الحَيِّز والافتقار إلى الأماكِن ، وذلك يؤوِّل إلى التَّجسِيم وإلى قِدَم الأجسام ، وهذا كُفرٌ عِند كافَّة أهل الإسلام " (٢) .

فتفسير النُّزول بمعنى الحركة والنُّقلة والتَّحوُّل وإشغال الحَيِّز ، تصريح بالجسميَّة والافتقار إلى الأماكِن ، وذلك يؤوِّل إلى التَّجسِيم وإلى قِدَم الأجسام ، وهذا كُفرٌ عِند كافَّة أهل الإسلام ، كما ذكر شَيْخُ المَالِكِيَّة ، أَبُو محمَّد عَبْدُ الوَهَّابِ بنُ عَلِيّ بن نَصْرِ بن أَحْمَدَ بنِ حُسَيْن بن هَارُوْنَ ابْنِ أَمِيْرِ العَرَبِ

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٨٠ برقم ١٠٢٤٣) ، عمل اليوم والليلة (ص٣٤٠ برقم ٤٨٢) .

(٢) انظر : شرح عقيدة مالك الصغير ، عبد الوهاب البغدادي المالكي (ص٢٨) .

مَالِكِ بن طوق التَّغْلِبِيُّ الذي قال عنه الخطيب في تاريخه : " وكان ثقة ، ولم يلق من المالكيِّين أحداً أفقه منه ، وكان حسن النَّظر جيِّد العبارة ، وذكره ابن بسام في كتاب " الذَّخيرة " ، فقال : كان بقيَّة النَّاس ، ولسان أصحاب القياس (١)...

وقال الإمام العَلاَّمَةُ ، البَارِعُ ، المُتَفَنِّنُ ، الأُسْتَاذُ ، أَبُو مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيُّ ، نَزِيْلُ خُرَاسَان ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَةِ ، وَأَحَدُ أَعلاَمِ الشَّافِعِيَّةِ ، الذي كَانَ يُدَرِّس فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَنّاً ، وَيُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ ، وَكَانَ رَئِيْساً مُحْتَشِماً مُثرياً ، والذي قَالَ عنه أَبُو عثْمَان الصَّابُوْنِيّ (٤٤٩هـ) : كَانَ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الأُصُوْلِ (٤٢٩هـ) : " وأجمعوا ... عَلى نفي الحَرَكَة والسُّكون عَنهُ " (٢) .

فالأمَّة – على ما نقل الإمام عبد القاهر البغدادي – أجمعت عَلى نفي الحَرَكَة والسُّكون عَنهُ سبحانه وتعالى ، فمن فسَّر النُّزول بمعنى الحركة والنُّقلة فقد خالف الإجماع ، ومن خالف الإجماع ، باء بالخسار والضَّياع ... قال تعالى : " وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً " [النساء : ١١٥] .

وقال الإِمَامُ ، الحَافِظُ ، المُجَوِّدُ ، المُقْرِئُ ، الحَاذِقُ ، عَالِمُ الأَنْدَلُسِ ، أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ عُثْمَانَ بنِ سَعِيْدِ بنِ عُمَرَ الأُمَوِيُّ مَوْلاَهُمُ ، الأَنْدَلُسِيُّ ، القُرْطُبِيُّ ، ثمَّ الدَّانِي ، وَيُعْرَف قَدِيْماً : بِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ (٤٤٤هـ) : " ومن قولهم : إنَّ الله جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه : ينزل في كلِّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا في الثُّلث الباقي من الليل ، فيقول : " هل من داع يدعوني فأستجيب له ؟ وهل من سائل يسألني فأعطيه ؟ وهل من مستغفر يستغفرني فأغفر له " ؟ حتى ينفجر الصُّبح ، على ما صحَّت به الأخبار ، وتواترت به الآثار عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونزوله تبارك وتعالى كيف شاء، بلا حدٍّ ، ولا تكييف ، ولا وصف بانتقال ، ولا زوال .

وقال بعض أصحابنا : ينزل أمره تبارك وتعالى ، واحتجَّ بقوله عزَّ وجلَّ : " اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ " [الطلاق : ١٢] . وكذا روى حبيب عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) رحمه الله . وسئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عن التَّنزُّل ، فقال : يفعل الله ما يشاء ، أي : يظهر من أفعاله

---

(١) انظر : تاريخ بغداد وذيوله ، الخطيب البغدادي (١١/ ٣٢) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣/ ٢١٩) .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣٢١) .

ما يشاء !! حدَّثنا عبد الرَّحمن بن عثمان ، قال : نا قاسم بن أصبغ ، قال : نا أحمد بن زهير ، قال : نا عبد الوهَّاب بن نجدة ، قال : نا بقية بن الوليد ، قال : نا الأوزاعي (١٥٧هـ) ، قال : كان مكحول (١١٢هـ) والزُّهري (١٢٤هـ) يقولان : أمرّ الأحاديث كما جاءت .

قال أبو عمرو : وهذا دين الأمَّة ، وقول أهل السُّنَّة في هذه الصِّفات أن تمرَّ كما جاءت بغير تكييف ، ولا تحديد ، فمن تجاوز المرويَّ فيها ، وكيَّف شيئاً منها ، ومثلها بشيء من جوارحنا وآلتنا ، فقد ضلَّ واعتدى ، وابتدع في الدِّين ما ليس منه ، وخرق إجماع المسلمين ، وفارق أئمَّة الدِّين " (١) .

قلت : وهذا الذي نقله الإمام أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي عن الإمام الأوزاعي (١٥٧هـ) ، وكذا عن مكحول (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) ، والذي وصفه بأنَّه دين الأمَّة ، وقول أهل السُّنَّة والجماعة في هذه الصِّفات ، هو ما كان عليه السَّلف الصَّالح من عقيدة التَّفويض ، قال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السَّبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " وَقَوله : " ينزل رَبُّنَا تبَارك وَتَعَالَى كلّ لَيْلَة " ، روى ابْن حبيب عَن مَالك (١٧٩هـ) : ينزل أمره وَنَهْيه ، وأمَّا هُوَ تَعَالَى فدائم لَا يَزُول ، وَقَالَهُ غَيره ، وَاعْترض بَعضهم على هَذَا بِأَنَّ أمره ينزل فِي كلِّ حِين ، فَلَا يخْتَصُّ بِوَقْت دون وَقت ، وَهَذَا لَا يلْزم ، لِأَنَّ الَّذِي يخْتَصُّ نزُول أمره بِهِ هَذَا الْوَقْت هُوَ مَا اقْترن بِهَذَا القَوْل : " هَل من سَائل ، هَل من دَاع " الحَدِيث ، وَأمره ينزل أبداً من غير هَذِه الْقَرِينَة ... (٢) . وقد استوفيت المسألة من جميع جوانبها – بحمد الله – في رسالتي للماجستير ، وكانت بعنوان : " التَّفويض في صفات الله تعالى بين السَّلف والخلف " ...

وقال الإِمَامُ الأَوْحَدُ ، البَحْرُ ، ذُو الفُنُوْنِ وَالمعَارِفِ ، أَبُو محمَّد عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمِ بنِ غَالِبِ بنِ صَالِحِ بنِ خَلَفِ بنِ مَعْدَانَ بنِ سُفْيَانَ بنِ يَزِيْدَ الفَارِسِيُّ الأَصْلِ ، ثمَّ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ اليَزِيْدِيُّ مَوْلَى الأَمِيْر يَزِيْدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ الأُمَوِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – المَعْرُوف بيَزِيْد الخَيْر ، نَائِب أَمِيْر المُؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَر عَلَى دِمَشْقَ ، الفَقِيْهُ الحَافِظُ ، المُتَكَلِّمُ ، الأَدِيْبُ ، الوَزِيْرُ ، الظَّاهِرِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٤٥٦هـ) : " ... وَهَذَا إِنَّما هُوَ فعل يَفْعَله الله تَعَالَى فِي سَمَاء الدُّنيا من الْفَتْح لقبُول الدُّعَاء ، وَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَة من مظانِّ الْقبُول والإجابة وَالْمغْفِرَة للمجتهدين والمستغفرين والتَّائبين . وَهَذَا

---

(١) انظر : الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنَّة في الاعتقادات وأصول الديانات (ص١٣٤-١٣٨) .

(٢) انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٩) .

مَعْهُود فِي اللُّغَة ، تَقول : نزل فلَان عَن حَقِّه ، بِمَعْنى : وهبه لي وتطوَّل بِهِ عَليّ . وَمن الْبُرْهَان على أَنَّه صفة فعل لَا صفة ذَات : أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّق التَّنزُّل الْمَذْكُور بِوَقْت محدَّد ، فصحَّ أَنَّه فعلٌ مُحدث فِي ذَلِك مفعول حينئذٍ .

وَقد علمنَا أَنَّ مَا لم يزل فَلَيْسَ مُتَعَلقاً بِزَمَان الْبَتَّةَ ، وَقد بَيَّن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بعض أَلْفَاظ الحَدِيث الْمَذْكُور مَا ذَلِك الْفِعْل ، وَهُوَ أَنَّه ذكر عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّ الله يَأْمر مَلَكاً يُنَادي فِي ذَلِك الْوَقْت بذلك ، وَأَيْضاً فَإِنَّ ثلث اللَّيْل مُخْتَلف فِي الْبِلَاد باخْتلَاف الْمطَالع والمغارب ، يعلم ذَلِك ضَرُورَة من بحث عَنهُ ، فصحَّ ضَرُورَة أَنَّه فعل يَفْعَله رَبُّنا تَعَالَى فِي ذَلِك الْوَقْت لأهل كلِّ أُفق .

وأمَّا من جعل ذَلِك نُقلة ، فقد قدَّمنَا بطلَان قَوْله فِي إِبطَال القَوْل بالجسم بعون الله وتأييده . وَلَو انْتقل تَعَالَى لَكَانَ محدوداً مخلوقاً مؤلّفاً شاغلاً لمَكَان ، وَهَذِه صفة المخلوقين ، تَعَالَى الله عَن ذَلِك علوّاً كَبِيراً .

وَقد حمد اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيله وَرَسُوله وَعَبده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَيَّن لِقَوْمِهِ بنقلة الْقَمَر أَنَّه لَيْسَ رَبًّا ، فَقَالَ : " فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ " [الأنعام : ٧] ، وكلُّ منتقل عَن مَكَان فَهُوَ آفل عَنهُ ، تَعَالَى الله عَن هَذَا .

وَكَذَلِكَ القَوْل فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فَهَذَا كُله على مَا بَينا من أَنَّ الْمَجِيء والإتيان يَوْم الْقِيَامَة فعل يَفْعَله الله تَعَالَى فِي ذَلِك الْيَوْم يُسمى ذَلِك الْفِعْل مجيئاً وإتياناً .

وَقد رُوِّينَا عَن أَحْمد بن حَنْبَل (٢٤١هـ) رَحمَه الله ، أَنَّه قَالَ : " وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" [الفجر : ٢٢] ، إِنَّما مَعْنَاهُ : وَجَاء أَمر رَبِّك " (١) .

وكلام الإمام ابن حزم واضحٌ في الرَّدِّ على من فسَّر النُّزول بالحركة والنُّقلة ، وأنَّهما من صفات الحوادث المتعلِّقة بالزَّمان والمكان اللذين هما خلقٌ من خلق الله تعالى ، وردَّ على القائلين بالنُّقلة والجسم ، وَأَنَّه تعالى لَو انْتقل لَكَانَ محدوداً مخلوقاً مؤلَّفاً شاغلاً لمَكَان ، وَهَذِه صفة المخلوقين ، وذهب إلى تفسير

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٣٢) ، وانظر أيضاً : الدرة فيما يجب اعتقاده ، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ص٣٣٨-٣٣٩) .

النُّزول بأنَّه فعلٌ يَفْعَله الله تَعَالَى فِي سَماء الدُّنيا من الْفَتْح لقبُول الدُّعَاء ، وَأنَّ تِلْكَ السَّاعَة من مظانِّ الْقبُول والإجابة وَالْمُغْفِرَة للمجتهدين والمستغفرين والتَّائبين... وختم كلامه بالنَّقل عن أحمد أنَّه أوَّل المجيء في قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، فقال : وَجَاء أَمر رَبِّك ... فماذا يقول متمسلفة الزَّمان بتأويل الإمام أحمد بن حنبل للمجيء المُضاف إلى الله تعالى ؟!! لا بُدَّ من ليِّ عُنق النَّص والإغارة عليه بالتَّضعيف ... وقد فعلوا ... مع أنَّ الإمام ابن كثير أكَّد على صحَّة النَّقل ، فقال : " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ عَنْ حَنْبَلٍ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر: ٢٢] أَنَّهُ جَاءَ ثَوَابُهُ . ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ " (١).

وقال الإمام ابن حزم أيضاً : " مسألة الله يتنزَّل كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا :

مسألة : وأنَّ الله تعالى يتنزَّل كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا ، وهو فعل يفعله عزَّ وجلَّ ليس حركة ولا نُقلة . برهان ذلك ما حدَّثناه عبد الله بن يوسف ، ثنا أحمد بن فتح ، ثنا عبد الوهَّاب بن عيسى ، ثنا أحمد بن محمَّد ، ثنا أحمد بن علي ، ثنا مسلم بن الحجَّاج ، ثنا يحيى بن يحيى : قرأت على مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن أبي عبد الله الأغرّ ، وعن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن ، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " يتنزَّل الله كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له " .

قال مسلم : وحدَّثناه قتيبة بن سعيد ، ثنا يعقوب – هو ابن عبد الرَّحمن القاري – ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال " : ينزل الله إلى سماء الدُّنيا كلّ ليلة حين يمضي ثلث الليل الأوَّل ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر " .

قال مسلم : وحدَّثناه إسحاق بن منصور ، ثنا أبو المغيرة ، ثنا الأوزاعي ، ثنا يحيى هو ابن أبي كثير – ، ثنا أبو سلمة بن عبد الرَّحمن ، ثنا أبو هريرة ، قال : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من سائل يعطى ؟ هل من داع يُستجاب له ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ حتى ينفجر الصُّبح " . قال علي : فالرِّواية عن أبي

(١) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٦١) .

سلمة ، عن أبي هريرة من طريق الزُّهري : " إذا بقي ثلث الليل الآخر " ، ومن طريق يحيى بن أبي كثير : " إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه " ، ومن طريق أبي صالح ، عن أبي هريرة : " إذا مضى ثلث الليل الأول إلى أن يضيء الفجر " ، وهكذا رواه ابنا أبي شيبة ، وابن راهويه ، عن جرير ، عن منصور ، عن أبي إسحاق السّبيعي ، عن الأغرّ ، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، وأوقات الليل مختلفة باختلاف تقدُّم غروب الشَّمس عن أهل المشرق وأهل المغرب ، فصحَّ أنَّه فعل يفعله الباري عزَّ وجلَّ من قبول الدُّعاء في هذه الأوقات ، لا حركة ، والحركة والنُّقلة من صفات المخلوقين ، حاشا الله تعالى منها " (١) .

فابن حزم هنا يؤكِّد على أنَّ نزول الله تعالى فعل يفعله الله تعالى في ذلك الوقت من إجابة الدَّاعين ، وإغاثة المستغيثين ، وغفران ذنوب المستغفرين ، وقبول توبة التَّائبين ، لأنَّ الارتماء في أعتاب المولى جلَّ جلاله في وقت السَّحر لا يوفِّق الله له إلَّا من أخلص قلبه وقالبه لله تعالى ، أولئك الذين هجروا دفء الفراش وليونته ، ونفضوا الكرى عن عيونهم ، والكسل عن أبدانهم ، وأقبلوا على الله تعالى تائبين وَجِلِين مُشفقين من ذنوبهم وتقصيرهم ، راغبين بفيض عطاء ربِّهم ، فالليل مَعبَد العابدين ، وخلوة الصَّادقين ، ووقت مناجاة الله ربِّ العالمين ، وسؤال المحتاجين ، واستغفار المستغفرين التَّائبين ، وشرف النُّسَّاك المتعبِّدين ، وهو محطُّ نزول البركات ، والرَّحمات ، وإجابة السُّؤالات وغفران الخطيئات ، وهو بحقٍّ مدرسة طلَّاب الآخرة الذين وصفهم الله تعالى بقوله سبحانه : ﴿ تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ " [السجدة : ١٦] ، وهم الذين امتدحهم الله تعالى بقوله : " كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ١٧ - ١٨] ، أولئك الصِّيد الذين أقضَّ الخوفُ مضاجعهم ، وكأنَّ زفير جهنَّم في آذانهم ، فهم يخافونه ويرجونه سبحانه ﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾ [الزمر : ٩] ، فهم بين الخوف والرَّجاء ، في الصَّباح والمساء ، لا يملُّون ولا يفترون ، وقد آمنوا وأيقنوا أنَّ يد الله سبحانه وتعالى أبداً مبسوطة بالعطاء والقبول ، وعلموا كذلك أنَّ

(١) انظر : المحلى بالآثار (١/ ٥١-٥٢) .

عمل الليل ليس كعمل النَّهار ، كيف لا والله تعالى قد امتدح المستغفرين بالأسحار فقال : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ﴾ [آل عمران : ١٧] ، وذلك لأنَّ الاستغفار في وقت السَّحر فيه من المكابدة والمجاهدة والمعاندة للأنفس ... ما لا يوجد في النَّهار ... ويؤكِّد الإمام ابن حزم في النِّهاية على أنَّ نزول الله تعالى ليس بحركة ولا نُقلة ، لانَّهما لازمان ولا ينفكَّان عن الجسميَّة ، والله يتعالى عن ذلك كلِّه ، سبحانه " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] .

وقال الإمام ، العَلاَّمَةُ ، الثَّبْتُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بن عَلِيِّ بنِ مُوْسَى الخُسْرَوْجِرديُّ ، البيهقي ، الخُرَاسَانِيُّ ، الفَقِيْهُ ، الحَافِظُ الأُصُوْلِي ، الديِّن الوَرِع ، وَاحِدُ زَمَانِهِ فِي الحِفْظِ ، وَفَردُ أَقرَانه فِي الإِتْقَان وَالضَّبط (٤٥٨هـ) أيضاً : " أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ الْفَقِيهُ ، أنا أَبُو محمَّد بْنُ حَيَّانَ أَبُو الشَّيخ الْأَصْبَهَانِيُّ ، قَالَ : وَفِيمَا أَجَازَنِي جَدِّي يَعْنِي مَحْمُودَ بْنَ الْفَرَحِ ، قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ (٢٣٨هـ) : سَأَلَنِي ابْنُ طَاهِرٍ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَعْنِي فِي النُّزول ـ فَقُلْتُ لَهُ : النُّزول بِلَا كَيْفٍ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ (٣٨٨هـ) : هَذَا الْحَدِيثُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الصِّفات كَانَ مَذْهَبُ السَّلف فِيهَا الْإِيمَانَ بِهَا ، وَإِجْرَاءَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا . وَذَكَرَ الْحِكَايَةَ الَّتِي أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ الْفَقِيهُ ، أنا أَبُو محمَّد بْنُ حَيَّانَ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ محمَّد الدَّارْكِيُّ ، ثنا أَبُو زُرْعَةَ ، ثنا ابْنُ مُصَفًّى ، ثنا بَقِيَّةُ ، ثنا الْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧هـ) ، عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) ، وَمَكْحُولٍ (١١٢هـ) ، قَالَا : امْضُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى مَا جَاءَتْ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، ثنا أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالَوَيْهِ ، ثنا محمَّد بْنُ بِشْرِ بْنِ مَطَرٍ ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧هـ) ، وَمَالِكٌ (١٧٩هـ) ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٦١هـ) ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ (١٧٥هـ) عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِي التَّشْبِيهِ ، فَقَالُوا : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٣٨٨هـ) : وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَنْزِلُ ؟ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ : (كدخدَائ كارخويش كن) يَنْزِلُ كَمَا يَشَاءُ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُثْمَانَ ، ثنا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَدْلُ ، ثنا مَحْبُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن الْقَاضِي ، ثنا جَدِّي أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ حَيَوَيْهِ ، حدَّثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحمن الْعَتكِيُّ ، ثنا محمَّد بْنُ سَلَّامٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) ، فَذَكَرَ حِكَايَةً قَالَ فِيهَا : فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، كَيْفَ يَنْزِلُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنِ الْمُبَارَكِ : " كدخاي كارخويش كن " يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله : وَإِنَّمَا ينكِرُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْحَدِيثِ مَنْ يَقِيسُ الْأُمُورَ فِي ذَلِكَ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنَ النُّزول الَّذِي هُوَ نَزْلَةٌ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، وَانْتِقَالٌ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ ، وَهَذَا صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ ، فَأَمَّا نُزُولُ مَنْ لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيهِ ، وإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ ، وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِ دُعَائِهِمْ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةٌ ، وَلَا عَلَى أَفْعَالِهِ كِمِّيَّةٌ ، سُبْحَـــانَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٣٨٨هـ) رَحِمَهُ الله فِي مَعَالِمِ السُّنَنِ : وَهَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِظَاهِرِهِ ، وَأَنْ لَا نَكْشِفَ عَنْ بَاطِنِهِ ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، فَقَالَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] الْآيَةَ ، فَالْمُحْكَمُ مِنْهُ يَقَعُ بِهِ الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ وَالْعَمَلُ ، وَالْمُتَشَابِهُ يَقَعُ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ الظَّاهِرُ ، وَيُوكَلُ بَاطِنُهُ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، وإِنَّمَا حَظُّ الرَّاسِخِينَ أَنْ يَقُولُوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا .

وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ " [البقرة : ٢١٠] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَالْقَوْلُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عِنْدَ عُلَمَاءِ السَّلف هُوَ مَا قُلْنَاهُ ، وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ .

وَقَدْ زَلَّ بَعْضُ شُيُوخِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ يُرْجَعُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ ، فَحَادَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ رَوَى حَدِيثَ النُّزول ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : إِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء ؟

قِيلَ لَهُ : يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ . فَإِنْ قَالَ : هَلْ يَتَحَرَّكُ إِذَا نَزَلَ ؟ فَقَالَ : إِنْ شَاءَ يَتَحَرَّكُ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَتَحَرَّكْ . وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ عَظِيمٌ ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ يَتَعَاقَبَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ ، وإِنَّمَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسُّكُونِ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الْحَدَثِ ، وَأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْهُمَا ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . فَلَوْ جَرَى هَذَا الشَّيخ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلف الصَّالح وَلَمْ يُدْخِلْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ . قَالَ : وإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا لِكَيْ يُتَوَقَّى الْكَلَامُ فِيمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، فَإِنَّهُ لَا يُثْمِرُ خَيْراً وَلَا يُفِيدُ رُشْداً ، وَنَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَالْقَوْلِ بِمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْفَاسِدِ وَالْمُحَالِ .

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ (٢٧٦هـ) : قَدْ يَكُونُ النُّزول بِمَعْنَى إِقْبَالٍ عَلَى الشَّيء بِالْإِرَادَةِ وَالنِّيَّةِ ، وَكَذَلِكَ الْهُبُوطُ وَالِارْتِفَاعُ وَالْبُلوغُ وَالْمَصِيرُ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا الْكَلَامِ ، وَذَكَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَلَا يُرَادُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا انْتِقَالٌ يَعْنِي بالذَّات ، وإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْقَصْدُ إِلَى الشَّيء بِالْإِرَادَةِ وَالْعَزْمِ وَالنِّيَّةِ .

قُلْتُ : وَفِيمَا قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله كِفَايَةٌ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَعْنَاهُ الْقُتَيْبِيُّ فِي كَلَامِهِ ، فَقَالَ : لَا نُحَتِّمُ عَلَى النُّزول مِنْهُ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنَّا نُبَيِّنُ كَيْفَ هُوَ فِي اللُّغَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ .

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْأُسْتَاذِ أَبِي عُثْمَانَ رَحِمَهُ الله فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ عَقِيبَ حَدِيثِ النُّزول : قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ يَعْنِي الْحَمْشَاذِيَّ (٣٨٨هـ) عَلَى إِثْرِ الْخَبَرِ : وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ : " يَنْزِلُ الله " فَسُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ (١٥٠هـ) عَنْهُ ، فَقَالَ : يَنْزِلُ بِلَا كَيْفٍ .

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ (١٧٩هـ) : نُزُولُهُ إِقْبَالُهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَنْزِلُ نُزُولاً يَلِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِلَا كَيْفٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نُزُولُهُ مِثْلَ نُزُولِ الْخَلْقِ بِالتَّجَلِّي وَالتَّمَلِّي ، لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، كَمَا كَانَ مُنَزَّهاً عَنْ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مِثْلَ ذَاتِ الْغِيَرِ ، فَمَجِيئُهُ وَإِتْيَانُهُ وَنُزُولُهُ عَلَى حَسْبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفِيَّةٍ . ثمَّ رَوَى الْإِمَامُ رَحِمَهُ الله عُقَيبَ حِكَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) حِينَ سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ نُزُولِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ : " كد خداي كارخويش كن " يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ بِإِسْنَادِهِ وَكَتَبْتُهَا حَيْثُ ذَكَرَهَا أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله " (١) .

وقد اشتمل كلام الإمام البيهقي على أمور عدَّة :

---

(١) انظر : الأسماء والصِّفات (٢/ ٣٧٦-٣٧٨) .

١-أنَّ مَذْهَبُ أغلب السَّلف في النُّزول وغيره فيما يوهم التَّشبيه : الإقرار مع الإمرار على ظاهر اللفظ لا على ظاهر المعنى ، وتفويض العلم به إلى الله تعالى ...

٢-أنَّ من يقولون بالنُّزول على معنى النُّقلة والحركة من مكان إلى مكان ، قاسوا الغائب على الشَّاهد ، وهذا خطأ فادح صادح ... فكيف يُقاس الخالق على المخلوق ...والمخلوق على الخالق ؟!!!

٣-ذكر الإمام بعضاً من تأويلات أهل العلم للنزول ، منها : إِقْبَالُهُ سبحانه وتعالى على العباد الدَّاعين والمستغفرين بالإجابة واللطف ، ومنها : يَنْزِلُ نُزُولاً يَلِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِلَا كَيْفٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نُزُولُهُ مِثْلَ نُزُولِ الْخَلْقِ ، لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَلْقِ ...لأنَّه سبحانه لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل ، لا في الذَّات ولا في الصِّفات ولا في الأفعال ...

٤- وأخيراً ردَّ الإمام البيهقي على القائلين بالنُّزول على معنى الحركة والنُّقلة ، أولئك الذين حادوا عن طريق الحقِّ حِينَ رَوَوا حَدِيثَ النُّزول ... لأنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ...

وقال الإمام البيهقي – أيضاً – في كلامه على حديث النُّزول : " وهذا حديث صحيح رواه جماعة من الصَّحابة عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسُّنَّة من أمثال هذا ، ولم يتكلَّم أحد من الصَّحابة والتَّابعين في تأويله على قسمين : منهم من قبِلَه وآمن به ولم يؤوله ، وَوَكَلَ علمه إلى الله ، ونفى الكيفيَّة والتَّشبيه عنه ، ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصحُّ استعماله في اللغة ولا يناقض التَّوحيد .

وقد ذكرنا هاتين الطَّريقتين في كتاب " الأسماء والصِّفـــات " في المسائل التي تكلَّموا فيها من هذا الباب .

وفي الجملة : يجب أن يُعلم ... أنَّ إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان ، وأنَّ مجيئه ليس بحركة ، وأنَّ نزوله ليس بنُقلة ، وأنَّ نفسه ليس بجسم ، وأنَّ وجهه ليس بصورة ، وأنَّ يده ليست بجارحة ، وأنَّ عينه ليست بحدقة ، وإنَّما هذه أوصاف جاء بها التَّوقيف فقلنا بها ونفينا عنها التَّكييف ، فقد قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

أخبرنا محمَّد بن عبد الله الحافظ ، أنا أبو بكر محمَّد بن أحمد بن بالويه ، ثنا محمَّد بن بشر بن مطر ، ثنا الهيثم بن خارجة حدَّثنا الوليد بن مسلم ، قال : سئل الأوزاعي (١٥٧هـ) ، ومالك (١٧٩هـ) ، وسفيان الثوري (١٦١هـ) ، والليث بن سعد (١٧٥هـ) عن هذه الأحاديث ، فقالوا : أمرُّوها كما جاءت بلا كيفيَّة .

أخبرنا محمَّد بن عبد الله الحافظ ، أخبرني محمَّد بن يزيد ، سمعت أبا يحيى البزَّار ، يقول : سمعت العبَّاس بن حمزة ، يقول : سمعت أحمد بن أبي الحوَّاري ، يقول : سمعت سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، يقول : كل ما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسُّكوت عليه . قال الشَّيخ : وإنَّما أراد به – والله أعلم – فيما تفسيره يؤدِّي إلى تكييف ، وتكييفه يقتضي تشبيهه له بخلقه في أوصاف الحدوث .

أخبرنا أبو علي الحسين بن محمَّد الروذباري ، أنا محمَّد بن بكر ، ثنا أبو داود ، ثنا القعنبي ، ثنا يزيد بن إبراهيم عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمَّد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالت رضي الله عنها : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم " .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثني أبو بكر محمَّد بن علي الفقيه القفال ، ثنا عمر بن محمَّد بن بحير ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : قال لي محمَّد بن إدريس الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله : لا يقال للأصيل لمَ ولا كيف " (١) .

وقال الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) أيضاً : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الْحَافِظُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا محمَّد أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الله الْمُزَنِيَّ (٣٥٦هـ) يَقُولُ : " حَدِيثُ النُّزول قَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ صَحِيحَةٍ . وَوَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ مَا يُصَدِّقُهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والنُّزول وَالْمَجِيءُ صِفَتَانِ مَنْفِيَّتَانِ عَنِ الله تَعَالَى مِنْ طَرِيقِ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، بَلْ هُمَا

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص١١٧-١١٩) .

صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى بِلَا تَشْبِيهٍ ، جَلَّ اللهُ تَعَالَى عَمَّا تَقُولُ الْمُعَطِّلَةُ لِصِفَاتِهِ ، وَالْمُشَبِّهَةُ بِهَا عُلُوًّا كَبِيرًا " .

قُلْتُ : وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ (٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : إِنَّمَا يُنْكِرُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْحَدِيثِ مَنْ يَقِيسُ الْأُمُورَ فِي ذَلِكَ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنَ النُّزول الَّذِي هُوَ تَدَلٍّ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، وَانْتِقَالٌ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ وَهَذِهِ صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ ، فَأَمَّا نُزُولُ مَنْ لَا تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيهِ ، وإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ ، وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتِجَابَتِهِ دُعَاءَهُمْ ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةٌ وَلَا عَلَى أَفْعَالِهِ كَمِّيَّةٌ ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (١) .

فقد أكَّد الإمام البيهقي في كلامه السَّابق على أنَّه لا مجال البتَّة لإنكار النُّزول ، فقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ صَحِيحَةٍ ، لكن لا يجوز البتَّة أن يفسَّر النُّزول بأي معنى من معـــــاني البشر ، كالْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، حَافظُ المَغْرِبِ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ الله بنِ محمَّد بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ ، الأَنْدَلُسِيُّ ، القُرْطُبِيُّ ، المَالِكِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الفَائِقَة (٤٦٣هـ) : " وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء الدُّنيا " عِنْدَهُمْ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، كُلُّهُمْ يَقُولُ : يَنْزِلُ وَيَتَجَلَّى وَيَجِيءُ بِلَا كَيْفٍ ، لَا يَقُولُونَ : كَيْفَ يَجِيءُ وَكَيْفَ يَتَجَلَّى ، وَكَيْفَ يَنْزِلُ ، وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءَ ، وَلَا مِنْ أَيْنَ تَجَلَّى ، وَلَا مِنْ أَيْنَ يَنْزِلُ ، لِأَنَّـــهُ لَيْسَ كَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَتَعَالَى عَنِ الْأَشْيَاءِ وَلَا شَرِيكَ لَهُ " (٢) .

وقال الإِمَامُ ابن عَبْدِ البَرِّ (٤٦٣هـ) أيضاً : " وَقَدْ رَوَى محمَّد بْنُ عَلِيٍّ الْجَبَلِيُّ ، وَكَانَ مِنْ ثِقَاتِ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَيْرَوَانِ ، قَالَ : حدَّثنا جَامِعُ بْنُ سَوَادَةَ بِمِصْرَ ، قَالَ : حدَّثنا مُطَرِّفٌ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (١٧٩هـ) أنَّه سُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ : " إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي اللَّيْلِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " ، فَقَالَ مَالِكٌ : يَتَنَزَّلُ أَمْرُهُ ، وَقَدْ

---

(١) انظر : السنن الكبرى (٣/ ٤) .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٥٣) .

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ الله عَلَى مَعْنَى أَنَّه تَتَنَزَّلُ (١٧٩هـ) رَحْمَتُهُ وَقَضَاؤُهُ بِالْعَفْوِ وَالِاسْتِجَابَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ ، أَيْ : أَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَلِذَلِكَ مَا جَاءَ فِيهِ التَّرْغِيبُ فِي الدُّعَاءِ ، وَقَدْ رَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّه قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ ؟ قَالَ : جَوْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرُ يَعْنِي الْآخِرَ ، وَهَذَا عَلَى مَعْنَى مَا ذَكَرْنَا ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَقْتُ مَنْدُوباً فِيهِ إِلَى الدُّعَاءِ ، كَمَا نُدِبَ إِلَى الدُّعَاءِ عِنْدَ الزَّوَالِ ، وَعِنْدَ النِّدَاءِ ، وَعِنْدَ نُزُولِ غَيْثِ السَّماء ، وَمَا كَانَ مِثْلَهُ مِنَ السَّاعَاتِ الْمُسْتَجَابِ فِيهَا الدُّعَاءُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ آخَرُونَ : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ .

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : حدَّثنا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ بِمِصْرَ ، قَالَ : سَمِعْتُ نُعَيْمَ بْنَ حَمَّادٍ (٢٢٨هـ) ، يَقُولُ : حَدِيثُ النُّزول يَرُدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ قَوْلَهُمْ ، قَالَ : وَقَالَ نُعَيْمٌ : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، قَالَ أَبُو عُمَرَ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة ، لِأَنَّ هَذَا كَيْفِيَّةٌ ، وَهُمْ يَفْزَعُونَ مِنْهَا ، لِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا فِيمَا يُحَاطُ بِهِ عِيَاناً ، وَقَدْ جَلَّ الله وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَمَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ ، فَلَا يَصِفُهُ ذَوُو الْعُقُولِ إِلَّا بِخَبَرٍ وَلَا خَبَرَ فِي صِفَاتِ اللهَّ إِلَّا مَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَشْبِيهٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ تَمْثِيلٍ أَوْ تَنْظِيرٍ ، فَإِنَّهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصير ﴾ (١) .

وكلام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) تضمَّن عدَّة أمور ، منها :

١-نقل عن الإمام مالك أنَّه أوَّل النُّزول بـ : نزول أَمْرُهُ ، أَيْ نُزُوْل رَحْمَتُهُ وَقَضَاؤُهُ بِالْعَفْوِ وَالِاسْتِجَابَةِ ، وأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لأنَّه وقت التَّجلِّيات التي لا يستحقُّها إلَّا الذين هجروا الدُّنيا بما فيها وأقبلوا على الله تعالى يذكرون ويصلُّون ويستغفرون ويبتهلون ... واستشهد بحديث أَبِي ذَرٍّ أَنَّه قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ ؟ قَالَ : جَوْفُ اللَّيْلِ الْغَابِرُ يَعْنِي الْآخِرَ " (٢) ،

(١) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٤-١٤٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٥٩٩ برقم ١٨٠٥٩) ، قال الأرنؤوط : " صحيح لغيره دون قوله: "أيما رجل مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى بكل عضوين من أعضائهما عضواً من أعضائه"، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، سالم بن أبي الجعد لم يسمعه من كعب بن مرة، وقد روي عنه على غير هذا الوجه كما سنبينه.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" ٣/ ٩٠ من طريق شيبان بن عبد الرحمن، عن منصور، به، مختصراً: "لا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس قيد رمح أو رمحين".

وفي هذا ردٌّ مفحمٌ لمن ادَّعوا زوراً وبهتاناً أنَّ السَّلف لا يقولون بالتَّأويل ، بل يقولون بما يؤدِّي إلى التَّجسيم ، والعياذ بالله تعالى ...

٢-لا أرى صحَّة الكلام الذي نسبه ابن عبد البر لنعيم بن حمَّاد ، حيث قال : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، فهو من رواية :يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ ، وهو متكلَّمٌ فيه (١) ، وكان يحدِّث بالأحاديث الموضوعة " (٢) ، وله أحاديث منكرة (٣) .

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٨٨١) من طريق مفضل بن مهلهل، و (٤٨٨٢) من طريق سفيان بن عيينة، كلاهما عن منصور، به، مختصراً: بقصة العتق.

وأخرجه ابن قانع في "معجم الصحابة" ٢/ ٣٧٨ من طريق ورقاء، عن منصور، به مختصراً: سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الليل أسمع؟ قال: "جوف الليل الأخير، والصلاة مقبولة".

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٤٨٨٠) من طريق زائدة، عن سالم، قال: حُدِّثتُ عن كعب بن مرة، مختصراً في فضل قيام الليل، والعتق.

وقد روي الحديث عن سالم بن أبي الجعد، عن رجل، عن كعب بن مرة، وسيأتي ٤/ ٣٢١، ورويت قصة العتق عن سالم، عن شرحبيل بن السِّمط، عن كعب، وستأتي برقم (١٨٠٦١) و (١٨٠٦٤) . وقال الدارقطني في "العلل" ٥/ ورقة ٨ عن الإسناد الأول بذكر الرجل المبهم: هو أصح.

قال شعبة في أول حديثنا: قد حدثني منصور، وذكر ثلاثة بينه وبين مرة ابن كعب، ثم قال بعدُ: عن منصور، عن سالم، عن مرة أو عن كعب. قلنا: والإسنادان المذكوران فيهما ذكر رجلين بين منصور وكعب، في الإسناد الأول ذكر سالم ورجل مبهم، وهو ضعيف لإبهام الرجل، وفي الإسناد الثاني ذكر سالم وشرحبيل من السمط، وهو ضعيف أيضاً لانقطاعه، فإن سالماً لم يسمع أيضاً من شرحبيل كما قال أبو داود في "سننه" بإثر الحديث (٣٩٦٧) ، ولم نقع على الرواية التي أشار إليها شعبة بذكر ثلاثة بين منصور وكعب.

وقد سلف هذا الحديث من مسند عمرو بن عبسة برقم (١٧٠١٦) دون قصة العتق، وسلف برقم (١٧٠٢٠) أن عمراً حدث شرحبيل بن السمط بقصة العتق. قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" ٣/ ٢٧٨ : لكعب بن مرة أحاديث مخرجها عن أهل الكوفة، يروونها عن شرحبيل بن السمط عن كعب بن مرة السلمي البهزي، وأهل الشام يروون هذه الأحاديث بأعيانها عن شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة، والله أعلم. كذا قال ابن عبد البر ولم يرجح أحد الوجهين. وشرحبيل بن السمط قد توبع في حديث عمرو بن عبسة، ولم يتابع في حديث كعب بن مرة، وقد روى مسلم هذا الحديث في "صحيحه" (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة " .

(١) انظر : الجرح والتعديل (٩/ ١٧٥) ، المغني في الضعفاء (٢/ ٧٤٠) ، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٦/ ٨٥٠) ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدِّين الكوكباني الصنعاني) (ص٤٢٦) .

(٢) انظر : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (٣/ ٨٢) .

(٣) انظر : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/ ٣٧١) .

قال فيه مغلطاي (٧٦٢هـ) : " وكان يتشيَّع ، وكان صاحب وراقة ، يحدِّث من غير كُتبه فطعن عليه " (١) .

وقال فيه الحافظ ابن حجر : " قال بن أبي حاتم : كتبت عنه وكتب عن أبي وتكلَّموا فيه . وقال بن يونس : كان عالماً بأخبار البلد ، وبموت العلماء ، وكان حافظاً للحديث ، وحدَّث بما لم يكن يوجد عند غيره ، وتوفِّي في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين . قلت : وقال مسلمة بن قاسم : يتشيَّع ، وكان صاحب وراقة ، يحدِّث من غير كُتبه ، فطعن فيه لأجل ذلك " (٢) .

٣- انتقد الإمام ابن عبد البر من يقولون من مدَّعي السَّلفيَّة : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ ، وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، قَالَ أَبُو عُمَرَ : لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة ، لِأَنَّ هَذَا كَيْفِيَّةٌ ، وَهُمْ يَفْزَعُونَ مِنْهَا ، لِأَنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا فِيمَا يُحَاطُ بِهِ عِيَاناً ، وَقَدْ جَلَّ الله وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَمَا غَابَ عَنِ الْعُيُونِ ، فَلَا يَصِفُهُ ذَوُو الْعُقُولِ إِلَّا بِخَبَرٍ وَلَا خَبَرَ فِي صِفَاتِ اللهِ إِلَّا مَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَشْبِيهٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ تَمْثِيلٍ أَوْ تَنْظِيرٍ ، فَإِنَّهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] . وهذا كلام نفيس من الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) ، يردَّ على من يدَّعون السَّلفيَّة بالباطل والبهتان ، لأنَّ السَّلف الصَّالح لم يتطرَّقوا في كلامهم للذَّات ، قال الإمام الذَّهبي : " قد ذكرنَا أَنَّ لفظَة (بِذَاته) لاَ حَاجَةَ إِلَيْهَا ، وَهِيَ تَشْغَبُ النُّفُوْسَ ، وَتركُهَا أَوْلَى - وَاللهُ أَعْلَمُ - " (٣) .

وقد اعترف الألباني بأنَّ لفظة الذَّات لم تكن معروفة في عهد الصَّحابة ، وفي ذلك قال : " قلت : ومن هذا العرض يتبيَّن أنَّ هاتين اللفظتين : " بذاته " و" بائن " لم تكونا معروفتين في عهد الصَّحابة ، رضي الله عنهم " (٤) .

وفي كتابه الطيِّب : " سير أعلام النُّبلاء " ، قال الإمام الذَّهبي في ترجمة : عبد الجليل بن محمَّد بن عبد الواحد بن محمَّد الأصبهاني كوتاه : " قالَ السَّمْعَانِيُّ : لَمَّا وَردْتُ أَصْبَهَانَ ، كَانَ مَا يَخْرُجُ مِنْ دَارِهِ إِلَّا

---

(١) انظر : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٢/ ٣٤٧) .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب (١١/ ٢٥٧) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٠٧) .

(٤) انظر : مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٧) .

لِحَاجَةٍ مُهِمَّةٍ ، كَانَ شَيْخُهُ إِسْمَاعِيْلُ الحَافِظُ هَجَرَهُ ، وَمَنَعَهُ مِنْ حُضُوْرِ مَجْلِسِهِ لِمَسْأَلَةٍ جَرَتْ فِي النُّزول ، وَكَانَ كُوتَاهُ يَقُوْلُ: النُّزول بالذَّات ، فَأَنْكَرَ إِسْمَاعِيْلُ هَذَا ، وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوْعِ عَنْهُ ، فَمَا فعلَ ... وَمَسْأَلَةُ النُّزول فَالإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَتَرْكُ الخوضِ فِي لوازِمِهِ أَوْلَى ، وَهُوَ سَبِيْلُ السَّلف ، فَمَا قَالَ هَذَا : نُزُولُهُ بِذَاتِهِ ، إِلَّا إِرغَاماً لِمَنْ تَأَوَّلَهُ ، وَقَالَ : نُزولُهُ إِلَى السَّماء بِالعِلْمِ فَقَطْ ، نَعُوذُ بِالله مِنَ المِرَاءِ فِي الدِّين . وَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَنَحْوُهُ ، فَنَقُوْلُ : جَاءَ ، وَيَنْزِلُ ، وَننهَى عَنِ القَوْلِ : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ ، كَمَا لاَ نَقُوْلُ : يَنْزِلُ بِعِلْمِهِ ، بَلْ نَسكتُ ، وَلاَ نَتفَاصَحُ عَلَى الرَّسول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعبَارَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ - وَاللهُ أَعْلَمُ - " (١) ...

وقال الفقيه ، المتكلِّم ، العَلاَّمَةُ ، الْمُفْتِي ، أَبُو الْمُظَفَّرِ طَاهِرُ بنُ محمَّد الإِسفرَايِينِيّ ، ثمَّ الطُّوْسِيُّ ، الشَّافِعِيُّ ، الأشعري ، صَاحِبُ التَّفْسِيْرِ الكَبِيْرِ (٤٧١هـ) : " ... وأن تعلم أنَّ الحركة ، والسُّكون ، والذَّهاب ، والمجيء ، والكون في المكان ، والاجتماع ، والافتراق ، والقُرب ، والبُعد من طريق المسافة ، والاتَّصال ، والانفصال ، والحجم ، والجِرم ، والجثَّة ، والصُّورة ، والشَّكل ، والحيِّز ، والمقدار ، والنّواحي ، والأقطار ، والجوانب ، والجهات كلَّها لا تجوز عليه تعالى ، لأنَّ جميعها يوجب الحدَّ والنِّهاية .... وأن تعلم أنَّ كلّ ما دلَّ على حدوث شيء من الحدِّ ، والنِّهاية ، والمكان ، والجهة ، والسُّكون ، والحركة ، فهو مستحيل عليه سبحانه وتعالى ، لأنَّ ما لا يكون محدثاً لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث " (٢) .

فالإمام الإِسفرَايِينِيّ يقول بوجوب تنزيه الله تعالى عن جميع لوازم المحدثات ، مثل : الحركة ، والسُّكون ، والذَّهاب ، والمجيء ، والكون في المكان ، والاجتماع ، والافتراق ، والقُرب ، والبُعد من طريق المسافة ، والاتِّصال ، والانفصال ، والحجم ، والجِرم ، والجثَّة ، والصُّورة ، ... لأنَّ جميعها يوجب الحدَّ والنِّهاية .... وهي مستحيلة عليه سبحانه وتعالى ، وهذه عقيدة ودين جمهور أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا عبرة بمن خالف ، فرأيه زائف تالف والحقُّ لمعتقده عائف ...

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٣٠-٣٣١) .

(٢) انظر : التبصير في الدِّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص١٦٠-١٦١) .

وقال الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشِّيرازي (٤٧٦هـ) : " ... والرَّبُّ عزَّ وجلَّ قديم أزلي أبداً كان وأبداً يكون ، لا يجوز عليه التَّغيير ، ولا التَّبديل ، ولا الانتقال ، ولا التَّحريك " (١) .

فالتَّغيّر في الذَّات والتَّبدُّل في الصِّفات مُستحيل على الله تعالى ، لأنَّ ذلك مِن صفات المخلوقات ، وبناء على ذلك : يستحيل عليه تعالى النُّزول بمعنى الانتقال ، لأنَّ هذا المعنى فيه وصف لله بالحركة ، والله مُنَزَّه عن الحركة بإجماع الأمَّة ، كما نقلنا عن الإمام أبي منصور البغداديّ وغيره من أهل العلم ...

وقال الإمام ، العَلاَّمَةُ ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ ، أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الرَّحمن بنُ مَأْمُوْنِ بن عَلِيٍّ النَّيسَابورِيُّ المُتَوَلِّي الشّافعي (٤٧٨هـ) : " وأمَّا قوله عليه السَّلام : " ينزل الله في كلِّ ليلة إلى سماء الدُّنيا " ، والمراد به أنَّه يبعث مَلَكاً إلى سماء الدُّنيا حتى ينادي ، على ما ورد في الخبر ، ثمَّ أضاف نزول الملك إلى نفسه ، كما يُقال : نادى الأميرُ في البلد ، إذا أمر بالنِّداء ، ويُقال : قتلَ الأميرُ فلاناً ، والقاتل غيره ، ويضاف إلى الأمير من حيث أنَّه هو الآمر به " (٢) .

فالإمام المتولِّي الشَّافعي يذهب إلى تأويل النُّزول ، وأنَّ الله تعالى يبعث مَلَكاً إلى سماء الدُّنيا حتى يُنادي ، على ما ورد في الخبر ، ثمَّ أضاف نزول المَلك إلى نفسه ، كما يقال : نادى الأميرُ في البلد ، إذا أمر بالنِّداء ، ويقال : قتل الأميرُ فلاناً ، والقاتل غيره ... فالنَّازل هو المَلك الذي ينزلُ بأمره ونهيه تعالى ، وقد حكى ابن فورك – كما تقدَّم – أنَّ بعض المشايخ ضبطه بضم الياء من ينزل ، وذكر أنَّه ضبط عمَّن سمع منه من الثِّقات الضَّابطين ، ، فيكون معدَّى إلى مفعول محذوف ، أي : يُنزلُ اللهُ مَلكاً يأمره أن ينادي في ذلك الوقت ...

وقال الإِمَامُ الكَبِيْرُ ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ ، إِمَامُ الحَرَمَيْنِ ، أَبُو المَعَالِي عَبْدُ المَلِكِ ابْنُ الإِمَامِ أَبِي محمَّد عَبْد اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ محمَّد بنِ حَيُّوَيْه الجُوَيْنِيُّ ، ثمَّ النَّيْسَابُوْرِيُّ ، ضِيَاءُ الدِّين ، الشَّافِعِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٤٧٨هـ) ، في كلامه عمَّا رُوي بشأن حديث النُّزول : " وأمَّا الأحاديث التي يتمسَّكون بها ، فآحاد لا تُفضي إلى العلم ، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً ، لكنَّا نومئ إلى تأويل ما دُوِّن منها في الصِّحاح ، فمنها حديث النُّزول ، وهو ما روي عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال :

---

(١) انظر : الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص٢٣٥) .

(٢) انظر : الغنية في أصول الدِّين (ص٧٨) .

" ينزل الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا كلّ ليلة جمعة ويقول : هـل من تائب فأتـوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من داع فأجيب له " الحديث . ولا وجه لحمل النُّزول على التَّحوُّل ، وتفريغ مكان وشغل غيره ، فإنَّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام ، وتجويز ذلك يؤدِّي إلى طرفي نقيض ، أحدهما : الحكم بحدوث الإله ، والثَّاني : القدح في الدَّليل على حدوث الأجسام ، والوجه حمل النُّزول ، وإنْ كان مضافاً إلى الله تعالى ، على نزول ملائكته المقربين ، وذلك سائغ غير بعيد ، ونظير ذلك قوله تعالى : " إِنَّمَا جَزاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ " [المائدة : ٣٣] ، معنـاه : إنَّما جـزاء الـذين يحاربون أوليـاء الله ، ولا يبعـد حـذف المضاف وإقامـة المضـاف إليه تخصيصاً .

وممَّا يتَّجه في تأويل الحديث أن يُحمل النُّزول على إسباغ الله نعماءه على عباده مع تماديهم وإصرارهم على العصيان ، وذهولهم في الليالي عن تدبُّر آيات الله تعالى ، وتذكُّر ما هم بصدده من أمر الآخرة .

وقد يُطلق النُّزول في حقِّ الواحد منَّا على إرادة التَّواضع ، فيُقال : نزلَ المَلِكُ عن كبريائه إلى الدرجة الدُّنيا ، إذا حلم على رعيَّته ، وانحطَّ عن سطوته ، مع تمكُّنه من تشديد الوطأة عليهم .

ومن الدَّليل على أنَّ النُّزول ليس من شرطه الانتقال : إطلاق النُّزول مضافاً إلى القرآن ، مع العلم باستحالة انتقال الكلام كما سبق ... " (١) .

وقد أفاد كلام الإمام الجويني (٤٧٨هـ) :

(١) أنَّ حديث النُّزول حديث آحاد ، وحديث الآحاد ليس حجَّة في العقائد ، لأنَّها لا تُفيد إلَّا الظَّن ، قال الإمام أبو منصور عبدالقادر البغدادي (٤٢٩هـ) : " وأخبار الآحاد متى صحَّ إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل ، كانت موجبة العمل بها دون العلم " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " ... ذَهَبَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ الله إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفات أَنَّه لَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِكِتَابٍ نَاطِقٍ أَوْ خَبَرٍ مَقْطُوعٍ بِصَحَّتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا فِيمَا يَثْبُتُ مِنْ أَخْبَارِ الْآحَادِ الْمُسْتَنِدَةِ

(١) انظر : كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص١٦١-١٦٢) .

(٢) انظر : أصول الدِّين (ص١٢) .

إِلَى أَصْلٍ فِي الْكِتَابِ أَوْ فِي السُّنَّة الْمَقْطُوعِ بِصِحَّتِهَا أَوْ بِمُوَافَقَةِ مَعَانِيهَا ، وَمَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَالتَّوَقُّفُ عَنْ إِطْلَاقِ الِاسْمِ بِهِ هُوَ الْوَاجِبُ ... " (١) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " خَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يُقْبَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَبْوَابِ الدِّين الْمَأْخُوذِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ الْعِلْمُ بِهَا ، وَالْقَطْعُ عَلَيْهَا ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّه إِذَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّ الْخَبَرَ قَوْلٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَضْمُونِهِ ، فَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي لَمْ يُوجَبْ عَلَيْنَا الْعِلْمُ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّرَهَا ، وَأَخْبَرَ عَنِ اللهِ تَعَالَى بِهَا ، فَإِنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ فِيهَا مَقْبُولٌ ، وَالْعَمَلَ بِهِ وَاجِبٌ " (٢) .

وقال الإمام أبو إسحاق الشِّيرازي (٤٧٦هـ) : " أَخْبَار الْآحَاد لَا توجب الْعلم ، ... لنا هُوَ أَنَّه لَو كَانَ خبر الْوَاحِد يُوجب الْعلم لأوجب خبر كلّ وَاحِد ، وَلَو كَانَ كَذَلِك ، لوَجَبَ أَن يَقع الْعلم بِخَبَر من يَدَّعِي النُّبُوَّة ، وَمن يَدَّعِي مَالاً على غَيره ، وَلَمَّا لم يقل هَذَا أحدٌ دلَّ على أَنَّه لَيْسَ فِيهِ مَا يُوجب الْعلم . وَلِأَنَّهُ لَو كَانَ خبر الْوَاحِد يُوجب الْعلم ، لما اعْتبر فِيهِ صِفَات الْمخبر من الْعَدَالَة وَالْإِسْلَام وَالْبُلُوغ وَغير ذَلِك ، كَمَا لم يعْتَبر ذَلِك فِي أَخْبَار التَّوَاتُر . وَلِأَنَّهُ لَو كَانَ يُوجب الْعلم ، لوَجَبَ أَن يَقع التَّبَرِّي بَين الْعلمَاء فِيمَا فِيهِ خبر وَاحِد ، كَمَا يَقع التَّبَرِّي فِيمَا فِيهِ خبر متواتر . وَلِأَنَّهُ لَو كَانَ يُوجب الْعلم ، لوَجَبَ إِذا عَارضه خبر متواتر أَن يتعارضا ، وَلَمَّا ثَبت أَنَّه يقدَّم عَلَيْهِ الْمُتَوَاتر دلَّ على أَنَّه غير مُوجب للْعلم . وَأَيْضًا هُوَ أَنَّه يجوز السَّهْو وَالْخَطَأ وَالْكذب على الْوَاحِد فِيمَا نَقله فَلَا يجوز أَن يَقع الْعلم بخبرهم " (٣) .

وقال الإمام الجويني (٤٧٨هـ) : " ذهبت الحشويَّة من الحنابلة وكتبة الحديث إلى أنَّ خبر الواحد العدل يوجب العلم ، وهذا خزيٌ لا يخفى مدركه على ذي لبّ .

فنقول لهؤلاء : أتجوِّزون أن يزلَّ العدل الذي وصفتموه ويخطئ ، فإن قالوا : لا ، كان ذلك بهتاً وهتكاً وخرقاً لحجاب الهيبة ، ولا حاجة إلى مزيد البيان فيه .

والقول القريب فيه أن قد زلَّ من الرُّواة والأثبات جمعٌ لا يعدون كثرة ، ولو لم يكن الغلط مُتصوَّراً لما رجع راو عن روايته ، والأمر بخلاف ما تخيَّلوه .

---

(١) انظر : الأسماء والصِّفات (٢/ ١٦٧) .

(٢) انظر : الكفاية في علم الرواية (ص٤٣٢) .

(٣) انظر : التبصرة في أصول الفقه (ص٢٩٨-٢٩٩) .

فإذا تبيَّن إمكان الخطأ ، فالقطع بالصِّدق مع ذلك محالٌ ثمَّ هذا في العدل في علم الله تعالى ، ونحن لا نقطع بعدالة واحد ، بل يجوز أن يضمر خلاف ما يظهر ، ولا متعلّق لهم إلَّا ظنُّهم أنَّ خبر الواحد يُوجب العمل ، وقد تكلَّمنا عليه بما فيه مقنع " (١) .

وقال الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) : " اعْلَمْ أَنَّا نُرِيدُ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا لَا يَنْتَهِي مِنْ الْأَخْبَارِ إلَى حَدِّ التَّوَاتُرِ . الْمُفِيدِ لِلْعِلْمِ ، فَمَا نَقَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ مَثَلًا فَهُوَ خَبَرُ الْوَاحِدِ ، وأَمَّا قَوْلُ الرَّسول – عَلَيْهِ السَّلَامُ – مِمَّا عُلِمَ صِحَّتُهُ فَلَا يُسَمَّى خَبَرَ الْوَاحِدِ . وَإِذَا عَرَفْت هَذَا فَنَقُولُ : خَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ فَإِنَّا لَا نُصَدِّقُ بِكُلِّ مَا نَسْمَعُ ، وَلَوْ صَدَّقْنَا وَقَدَّرْنَا تَعَارُضَ خَبَرَيْنِ فَكَيْفَ نُصَدِّقُ بِالضِّدَّيْنِ وَمَا حُكِيَ عَنْ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ الْعِلْمَ فَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنَّه يُفِيدُ الْعِلْمَ بِوُجُوبِ الْعَمَلِ ؛ إذْ يُسَمَّى الظَّنُّ عِلْماً ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : يُورِثُ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ وَالْعِلْمُ لَيْسَ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وإِنَّما هُوَ الظَّنُّ " (٢) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَأَمَّا خَبَرُ الْوَاحِدِ فَهُوَ مَا لَمْ يُوجَدْ فِيهِ شُرُوطُ الْمُتَوَاتِرِ ، سَوَاءٌ كَانَ الرَّاوِي لَهُ وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ . وَاخْتُلِفَ فِي حُكْمِهِ : فَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَأَصْحَابِ الْأُصُولِ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ الثِّقَةِ حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ الشَّرْعِ يَلْزَمُ الْعَمَلُ بِهَا وَيُفِيدُ الظَّنَّ وَلَا يُفِيدُ الْعِلْمَ ، وَأَنَّ وُجُوبَ الْعَمَلِ بِهِ عَرَفْنَاهُ بِالشَّرْعِ لَا بِالْعَقْلِ ، وَذَهَبَتِ الْقَدَرِيَّةُ وَالرَّافِضَةُ وَبَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِلَى أنه لا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : مَنَعَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ دَلِيلُ الْعَقْلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : مَنَعَ دَلِيلُ الشَّرْعِ ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنْ جِهَةِ دليل العقل . وقال الجبائى مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ : لَا يَجِبُ الْعَمَلُ إِلَّا بِمَا رَوَاهُ اثْنَانِ عَنِ اثْنَيْنِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا يَجِبُ الْعَمَلُ إِلَّا بِمَا رَوَاهُ أَرْبَعَةٌ عَنْ أَرْبَعَةٍ ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يُوجِبُ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ دُونَ الْبَاطِنِ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى أَنَّ الْآحَادَ الَّتِي فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَوْ صحيح مسلم تُفِيدُ الْعِلْمَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْآحَادِ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا الْقَوْلَ وَإِبْطَالَهُ فِي الْفُصُولِ ، وَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ كُلُّهَا سِوَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ بَاطِلَةٌ " (٣) .

---

(١) انظر : البرهان في أصول الفقه (١/ ٢٣١) .

(٢) انظر : المستصفى (ص١١٦) .

(٣) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٣١-١٣٢) .

والقول بعدم حجِّيَّة خبر الآحاد في العقيدة هو ما ذهب إليه جمهور العلماء ، منهم : الباقلَّاني (٤٠٣هـ) ، والجويني (٤٧٨هـ) ، والبزدوي (٤٩٣هـ) ، والغزالي (٥٠٥هـ) ، وابن عقيل (٥١٣هـ) ، وابن برهان (٥١٨هـ) ، وابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والآمدي (٦٣١هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، والسُّبكي ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، وأبو الحسين البصري (٤٣٦هـ) ، والأسنوي (٧٧٢هـ) ، والزّركشي (٧٩٤هـ) ، وغيرهم كثير (١)... وقد فصَّلت الكلام في هذه المسألة في كتاب خاص بخبر الآحاد ومدى حُجيّته في باب العقيدة ...

(٢) ومن المعاني التي تضمَّنها كلام الإمام الجويني : أنَّ النُّزول ليس من شرطه الانتقال ، بدليل إطلاق النُّزول مضافاً إلى القرآن ، مع العلم باستحالة انتقال الكلام ... كما أنَّ القرآن الكريم ، فضلاً عن السُّنَّة المطهَّرة ، جاء فيهما النُّزول بمعاني لا يُقصد منها النُّزول من علو إلى سفل ، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ [الصافات : ١٧٧] ، والمعنى : فإذا حلَّ بهم العذاب ...

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، والمعنى سأقول ...

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها ﴾ [التوبة : ٤٠] ، والمعنى : ألقى السَّكينة في قلبه ...

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، والمعنى : جعل أو خلق لكم ...

---

(١) انظر للاستزادة في هذه المسألة : فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ، المستصفى (١/ ١٤٢) ، الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٤١) ، صحيح مسلم بشرح النَّووي (١/ ٢٠) ، أصول الدِّين ، عبد القاهر البغدادي (ص٢٢) ، الفرق بين الفرق (ص٣٢٥) ، مشكل الحديث وبيانه (ص٥) ، البرهان في أصول الفقه (ص٥٩٩) ، شرح الأصول الخمسة (ص٦٧٢ ، ص٦٩٠) ، أساس التقديس (ص٢١٥) ، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (ص١٢٠) ، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٥٦٧) ، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (١/ ١٣٢) ، شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول الفقه (٢/ ٣٥١) ، شرح العضد على مختصر ابن الحاجب (٢/ ٥٦) ، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٢/ ٣٧٥) ، أصول السرخسي (١/ ٢٩٢) ، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول (ص٣٧٣) (١/ ٢٣) ...

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، والمعنى : خلقنا أو جعلنا ...

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] ، والكلام خرج مخرج الثَّناء على الله على ما رزقه ومنحه وأعطاه ...

وقد ذكرنا أقوال فحول العلماء في تفسير هذه الآيات في غير ما مكان من كتابنا هذا ...

(٣) لا وجه لحمل النُّزول على التَّحوُّل والانتقال وتفريغ مكان وشغل غيره ، فإنَّ ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام ...

(٤) ومن التَّأويلات السَّائغة التي ذكرها الإمام الجويني : حمل النُّزول على إسباغ الله نعماءه على عباده العاصين الغافلين المتمادين في الغيِّ والضَّلال ...

وقال الإمام ، القَاضِي الصَّدْر ، العَلاَّمَةُ ، شَيْخُ الحَنَفِيَّة بَعْد أَخِيْهِ الكَبِيْرِ ، إِمَامَ الأَئِمَّة عَلَى الإِطلاَق ، وَالموفودَ إِلَيْهِ مِنَ الآفَاق ، الذي ملأ الكَوْن بِتَصَانِيْفِه فِي الأُصُوْل وَالفُرُوْع أَبُو اليُسْرِ محمَّد بنُ محمَّد بنِ الحُسَيْنِ ابنِ المُحَدِّث عبد الكَرِيْم بن مُوْسَى بن مُجَاهِدٍ النَّسفِي ، البزدوي (٤٩٣هـ) في كلامه على حديث : " أنَّ الله ينزل إلى سماء الدُّنيا ليلة النِّصف من شعبان [1] " : " وأمَّا حديث النُّزول : بعضهم قالوا : إنَّ هذا الحديث ليس بمشهور ، وهذا من باب العلم ، والعلم لا يثبت إلَّا بخبر مشهور ، فلا يكون هذا الخبر حجَّة في هذا الباب . على أنَّه إن ثبت النُّزول فليس النُّزول من صفات الأجسام . فإنَّ النُّزول ليس

---

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٣ برقم ٥١٠) ، ابن ماجه في السنن (١/ ٤٤٥ برقم ١٣٩٠) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٦٥ برقم ١٢٩٥٩) ، وقال : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعُمٍ، وَثَّقَهُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وَضَعَّفَهُ جُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ، وَابْنُ لَهِيعَةَ لَيِّنٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ " .

وقال العقيلي في " الضعفاء الكبير (٣٢٩) : " وَفَي النُّزُولِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَحَادِيثُ فِيهَا لِينٌ " .

وقال الإمام الدارقطني في " العلل الواردة في الأحاديث النبوية " (٦/ ٥١) : " وَالْحَدِيثُ غَيْرُ ثَابِتٍ " .

وقال ابن الجوزي في " العلل المتناهية في الأحاديث الواهية " (٢/ ٦٧ برقم ٩١٦) : " هَذَا حديث لا يصح ولا يثبت ". قال ابن حبَّان : "عَبْد الملك يروي ما لا يتابع عليه ، ويعقوب بن حميد قال يَحْيَى والنسائي ليس بشيء " .

وقال الإمام ابن رجب في " لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف " (١٣٦) : " وفي فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة وقد اختلف فيها فضعفها الأكثرون وصحح ابن حبان بعضها " ...

بانتقال ، بل هو اتَّصال أثر الشَّيء بالشَّيء ، يقال : نزل بفلان المُلاء ونزل إليه المرض ونزل به ، وليس هذا بانتقال ، وكذا يقال : نزل إلى سخطة فلان ونزل فيَّ سخطةُ فلان ، ونزل فلان إلى غضب فلان بي ، أي : اتَّصل بي أثر غضبه ، وقام بي أثره . فيكون معنى قوله : " أنَّ الله ينزل إلى سماء الدُّنيا ليلة النِّصف من شعبان " ، فإنَّ هذه ليلة يقسم فيها أرزاق العباد ، ويكتب فيها الآجال ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان : ٣-٥] . وهي ليلة النِّصف من شعبان بإجماع أهل التَّفسير .

فإن قالوا : هذه إضافة للنُّزول إلى غير ما أضاف رسول الله تعالى إليه . فنقول : بلى ، هكذا ، ولكن هذا مستعمل بين أهل اللغة لما بينَّا أنَّه يقال : نزل فيَّ غضب فلان وسخطة فلان ، أي : اتَّصل بي آثار سخطه وغضبه لا عينه " (١) .

فالإمام البزدوي يؤكِّد على أنَّه ليس من شرط النُّزول الانتقال ، بل قد يطلق النُّزول على أشياء عديدة ، لا تتعلَّق بالحركة والنُّقلة ، كما يقال : نزل فيَّ غضب فلان وسخطة ، أي : حلَّ واتَّصل بي أثر غضبه ، وقام بي أثر ذلك الغضب ... وهو بذلك يذهب إلى التَّأويل في مسألة النُّزول ...

وقال الشَّيخ ، الإِمَامُ ، البَحْر ، حجَّةُ الإِسْلاَم ، أُعجوبَة الزَّمَان ، زَيْنُ الدِّين ، أَبُو حَامِد محمَّد بنُ محمَّد بنِ محمَّد بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ ، الشَّافِعِيّ ، الغَزَّالِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، وَالذَّكَاءِ المُفرط (٥٠٥هـ) : " ... إذا قرع سمعه النُّزول في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل الله تعالى في كلِّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " ، فالواجب عليه أن يعلم : أنّ النُّزول اسم مشترك ، قد يطلق إطلاقاً يفتقر فيه إلى ثلاثة أجسام ، جسم عالٍ هو مكان لساكنه ، وجسم سافل كذلك ، وجسم متنقّل من السَّافل إلى العالي ، ومن العالي إلى السَّافل . فإن كان من أسفل إلى علوّ سُمِّي : صعوداً وعروجاً ورقيّاً ، وإن كان من علوّ إلى أسفل سُمّي : نزولاً وهبوطاً .

وقد يطلق على معنى آخر ولا يفتقر فيه إلى تقدير انتقال وحركة في جسم ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، وما رؤي البعير والبقر نازلاً من السَّماء بالانتقال ، بل هي

---

(١) انظر : أصول الدِّين ، أبو اليسر محمَّد البزدوي (ص٣٨-٣٩) .

مخلوقة في الأرحام ، ولإنزالها معنى لا محالة ، كما قال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رضي الله عنه : دخلت مصر فلم يفهموا كلامي ، فنزلت ، ثمَّ نزلت ، ثمَّ نزلت . فلم يرد به انتقال جسده إلى أسفل .

فتحقَّق للمؤمن أنَّ النُّزول في حقِّ الله تعالى ليس بالمعنى الأوَّل ، وهو انتقال شخص وجسد من علوّ إلى أسفل ، فإنَّ الشَّخص والجسد أجسام ، والرَّبّ جلَّ جلاله ليس بجسم ، فإن خطر له أنَّه لم يرد هذا فما الذي أراد ؟

فيقال له : أنت إذا عجزت عن فهم نزول البعير ، فأنت عن فهم نزول الله تعالى أعجز ، فليس هذا بعشّك فأدرجي ، واشتغل بعبادتك أو حرفتك واسكت ، واعلم أنَّه أُريد به معنى من المعاني التي يجوز أن تُراد بالنُّزول في لغة العرب ، ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته ، وإن كنت لا تعلم حقيقته وكيفيَّته " [1] .

وكلام الإمام الغزالي بيِّنٌ واضح ...

(١) فالنُّزول اسم مشترك ، قد يطلق إطلاقاً يفتقر فيه إلى ثلاثة أجسام ، جسم عالٍ هو مكان لساكنه ، وجسم سافل كذلك ، وجسم متنقّل من السَّافل إلى العالي ، ومن العالي إلى السَّافل ، والله تعالى ليس جسماً ، ولا يتحيَّز في مكان ، ولا يجوز بحقة الحركة والنُّقلة ...

(٢) وقد يُطلق النُّزول على معنى آخر ، ولا يفتقر فيه إلى تقدير انتقال وحركة في جسم ، فقد وصف الله تعالى الأنعام بأنَّها نزلت من السَّماء ، مع أنَّها خرجت من الأرحام ... فلإنزالها معنى مجازي لا محالة ... ولذا فالمراد بالنُّزول المُضاف إلى الله تعالى معنى من المعاني التي تليق بجلال الله وعظمته ، بعيداً عن الحركة والنُّقلة ، وتفريغ مكان وشغل مكان ، وهو هنا يميل إلى التَّفويض ...

وقد أكَّد الإمام الغَزَّالِي على المعاني السَّابقة ، فقال في موضع آخر : " وأمَّا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا " ، فلفظ مفهوم ذكر للتَّفهم وعلم أنَّه يسبق إلى الإفهام منه المعنى الذي وضع له أو المعنى الذي يُستعار ، فكيف يقال : أنَّه متشابه ، بل هو مخيل معنى خطأ عند الجاهل ، ومفهم معنى صحيحاً عند العالم ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . فإنَّه يخيل

---

[1] انظر : إلجام العوام عن علم الكلام (ص٥٧-٥٨) .

عند الجاهل اجتماعاً مناقضاً لكونه على العرش ، وعند العالم يفهم أنَّه مع الكلِّ بالإحاطة والعلم ، وكقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرَّحمن "(١) ، فإنَّه عند الجاهل يخيَّل عضوين مركَّبين من اللحم والعظم والعصب ، مشتملين على الأنامل والأظفار ، نابتين من الكفِّ ، وعند العالم يدلُّ على المعنى المستعار له دون الموضوع له ، وهو ما كان الاصبع له ، وكان سرّ الإصبع وروحه وحقيقته ، وهو القدرة على التَّقليب كما يشاء ، كما دلَّت المعيَّة عليه في قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، على ما تراد المعيَّة له ، وهو العلم والإحاطة ، ولكن من شائع عبارات العرب : العبارة بالسَّبب عن المسبّب ، واستعارة السَّبب للمستعار منه ، وكقوله تعالى : " من تقرَّب إليَّ شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً ، ومن أتاني بمشي أتيته بهرولة " (٢) ، فإنَّ الهرولة عند الجاهل تدلُّ على نقل الأقدام وشدَّة العدْو ، وكذا الاتيان يدلُّ على القُرب في المسافة ؟ وعند العاقل يدلُّ على المعنى المطلوب من قرب المسافة بين النَّاس ، وهو قرب الكرامة والإنعام ، وأنَّ معناه : أنَّ رحمتي ونعمتي أشدّ انصباباً إلى عبادي من طاعتهم إليَّ " (٣) .

وقال الإمام الزَّاهِد مَيْمُون بن محمَّد بن محمَّد بن مُعْتَمد بن محمَّد بن مَكْحُول ابْن الْفضل أَبُو الْمعِين النَّسَفِيّ المكحولي (٥٠٨هـ) : " ولا يجوز أنْ يوصَفَ الله تعالى بالمَجيء والذَّهاب ، لأنَّ المَجيءَ

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وإنَّما روي بلفظ : " إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ " . جاء في هامش مسند أحمد : " إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي هانىء – وهو حميد بن هانىء الخولاني المصري– ، وأبي عبد الرَّحمن الحبلي – وهو عبد الله بن يزيد المعافري – فمن رجال مسلم . أبو عبد الرَّحمن ، شيخ أحمد : هو عبد الله بن يزيد المقرىء ، وحيْوة : هو ابن شُريح . وأخرجه مسلم (٢٦٥٤) ، وابنُ أبي عاصم في " السُّنَّة " (٢٢٢) و (٢٣١) ، وابنُ حبان (٩٠٢) ، والآجُري في " الشريعة " (ص ٣١٦) ، والبيهقي في " الأسماء والصِّفات " ص ١٤٧ ، من طريق أبي عبد الرَّحمن المقرىء ، بهذا الإسناد . وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٧٧٣٩) ، والطبري في " التفسير " (٦/ (٦٦٥٧) من طريق عبد الله بن المبارك ، عن حيوة ، به " انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١١/ ١٣٠-١٣١) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ : البخاري في : خلق أفعال العباد ، (ص٩٤) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٧ برقم١٠٤٣) ، الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٦٨) .

(٣) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص٨٥-٨٦) .

والذَّهابَ مِن صفاتِ المخلوقين وأمَارات المُحدَثِين ، وهما صفتان منفيَّتان عن الله تعالى ، ألا ترى أنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام كيف استدلَّ بالمُنتقِل مِن مكان إلى مكان أنَّه ليس بربٍّ حيث قال : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، ومعنى قولِه تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، أي : جاء بهم عذاب الله من حيث لم يحتسبوا ، يعني قيل : كعب الأشرف .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، يعني : استهلكهم ، واستأصلهم فلم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن ديار ، نزلت في غزو نمرود بن كنعان لعنه الله .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . يعني بعدما أثبتنا من الدَّلائل أنَّه لا شبيه له ولا شريكم له ولا مجيء له ينظرون إتيانه في ظلل من الغمام ، ويعتقدون هذا ليؤمنوا به ، وهذا في صفات الله تعالى محال .

ومعنى الخبر : ينزل الله تعالى كلّ يوم وليلة النّصف من شعبان إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من تائب فيتاب عليه .

قلنا : النُّزول من الله تعالى الاطلاع والاقبال على عباده ، يعني : ينظر إلى عباده بالرَّحمة ، هكذا نقل عن علي بن أبي طالب ، كرَّم الله وجهه " [1] .

فالإمام ميمون بن محمَّد النَّسفي يذهب إلى تأويل النُّزول باطلاع الله وإقباله على عباده ، بمعنى أنَّه ينظر إلى عباده بالرَّحمة ، هكذا نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنكر على من ذهبوا إلى تجويز النُّزول في حقِّه بمعنى الحركة والنُّقلة ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، شَيْخُ المَالِكِيَّة ، قَاضِي الجَمَاعَة بقُرْطُبَة ، الفَقِيْه العَالِم ، الحَافِظ لِلْفقه ، المقدَّم فِيْهِ عَلَى جَمِيْع أَهْلِ عصره ، العَارِف بِالفَتْوَى ، البَصِيْر بِأَقْوَال أَئِمَّة المَالِكِيَة ، النَافذ فِي علم الفَرَائِض

---

[1] انظر : بحر الكلام (ص١١٠-١١٢) .

وَالأُصُوْل ، أَبُو الوَلِيْدِ محمَّد بنُ أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ رشد القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ (٥٢٠هـ) : " ... ونحو ذلك من الأحاديث التي يقتضي ظاهرها التَّشبيه مخافة أن يتحدَّث بها ، فيكثر التَّحدث بها وتشيع في النَّاس ، فيسمعها الجهَّال الذين لا يعرفون تأويلها ، فيسبق إلى ظنونهم التَّشبيه بها . وسبيلها- إذا صحَّت الرِّوايات بها- أن تتأوَّل على ما يصحُّ ممَّا ينتفي به التَّشبيه عن الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه ، كما يصنع بما جاء في القرآن مما يقتضي ظاهره التَّشبيه ، وهو كثير ، كالإتيان في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، والمجيء في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والاستواء في قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وكما يفعل أيضاً بما جاء من ذلك في السُّنن المتواترة ، كالضَّحك ، والتَّنزيل ، وشبه ذلك ممَّا لم يكره روايتها لتواتر الآثار بها ، لأنَّ سبيلها كلّها في اقتضاء ظاهرها التَّشبيه وإمكان تأويلها على ما ينتفي به تشبيه الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه سواء . وأبعدها كلّها من التَّشبيه ما جاء من أنَّ عرش الرَّحمن اهتزَّ لموت سعد بن معاذ ، لأنَّ العرش مخلوق خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ ، فلا يستحيل عليه الحركة والاهتزاز ، وإضافته إلى الله تعالى إنَّما هي بمعنى التَّشريف له ، كما يقال : بيت الله وحرمه ، لا بمعنى أنَّه يحلُّ فيه وموضع لاستقراره ، إذ ليس في مكان ولا مستقرا بمكان ، فقد كان قبل أن يخلق المكان ، فلا يلحقه عزَّ وجلَّ باهتزاز عرشه ما يلحق من اهتزَّ عرشه من المخلوقين ، وهو جالس عليه من تحركه بحركته ، تعالى الله عن ذلك علوَّاً كبيراً . ويحتمل أن يكون الكلام مجازاً ، فيكون المراد بتحرُّك العرش تحرُّك حملته استبشاراً وفرحاً بقدوم روحه ، وهذا جائز في كلام العرب أن يقال : اهتزَّ المجلس لقدوم فلان عليه ، أي : اهتزَّ أهله لقدومه ، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، يريد أهلها ، ومثل قول النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " هذا جبل يحبُّنا ونحبُّه " (١) ، أي : يحبُّنا أهله ونحبُّ أهله . وقد قيل : إنَّ المراد

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٠٣ برقم ٤٠٨٣) .

باهتزاز العرش : سريره الذي حُمل عليه ؛ وهذا يردُّه النَّص الذي في بعض الآثار من إضافة العرش الذي اهتزَّ بموته إلى الرَّحمن عزَّ وجلَّ " (١) .

وكلام الإمام محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي ، يتضمَّن :

(١) الدَّعوة إلى تأويل كلّ ما من شأنه أن يدعو لتشبيه الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه ...كالنُّزول وغيره ...

(٢) التَّأكيد على ضرورة تنزيه الله تعالى عن المكان ، فقد كان سبحانه ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فليس هو في مكان ، ولا مستقرّاً بمكان ، فقد كان قبل أن يخلق المكان ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، وجلَّ سبحانه وتعالى عن التَّحوُّل ، والزَّوال ، والتَّطوُّر ، والتَّغيُّر من حالٍ إلى حالٍ ، فهذا وغيره من لوازم المحدثات منفيٌّ عن الله ، ومستحيلٌ عليه سبحانه وتعالى...

وقال الإمام ، العَلاَّمَةُ ، أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن السيِّد البطليوسي ، النَّحْوِيّ ، اللُّغَوِيّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٥٢١هـ) : " ... وَمن هَذَا الْبَاب : قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل رَبُّنَا كلَّ لَيْلَة الى سَمَاء الدُّنيا ثلث اللَّيْل الْأَخير ، فَيَقُول : هَل من سَائل فَأعْطِيه هَل من مُسْتَغْفِر فَأغْفِر لَهُ هَل من تائب فأتوب عَلَيْهِ " . جعلته المجسِّمة نزولاً على الْحَقِيقَة ، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ علوّاً كَبِيراً ، وَقد أجمع العارفون بِاللهَّ عز وَجل على أَنَّه لَا ينْتَقل لِأَن الِانْتِقَال من صِفَات المحدثات ، وَلهَذَا الحَدِيث تَأْوِيلَانِ صَحِيحَانِ لَا يقتضيان شَيْئاً من التَّشْبِيه :

أَحدهمَا : أَشَارَ اليه مَالك (١٧٩هـ) رَحمَه الله ، وَقد سُئِلَ عَن هَذَا الحَدِيث ، فَقَالَ : ينزل أمره كلّ سحر ، فَأَما هُوَ عزَّ وَجلَّ فَإِنَّهُ دَائِم لَا يَزُول وَلَا ينْتَقل ، سُبْحَانَهُ لَا إله إِلَّا هُوَ ، وَسُئِلَ عَنهُ الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، فَقَالَ : يفعل الله مَا يَشَاء ، وَهَذَا تلويح يحْتَاج الى تَصْرِيح وخفي إشارة يحْتَاج الى تَبْيين عبارَة .

وَحَقِيقَة الَّذِي ذَهَبا إليه رحمهمَا الله أَنَّ الْعَرَب تنْسب الْفِعْل إلى من أَمر بِهِ كَمَا تنسبه إلى من فعله وباشره بِنَفسِهِ ، فَيَقُولُونَ : كتب الْأَمِير لفُلَان كتاباً ، وَقطع الْأَمِير يَد اللصّ ، وَضرب السُّلْطَان فلَاناً ، وَلم يُبَاشر شَيْئاً من ذَلِك بِنَفسِهِ إِنَّمَا أَمر بذلك . وَلأَجل هَذَا احْتِيجَ الى التَّأْكِيد الْمَوْضُوع فِي الْكَلَام ، فَقيل : جَاءَ زيد نَفسه وَرَأَيْت زيداً نَفسه ، فَمَعْنَاه على هَذَا : أَنَّ الله تَعَالَى يَأْمرُ مَلَكاً بالنُّزول الى السَّمَاء الدُّنيا

---

(١) انظر : البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٨/ ٥٠٤-٥٠٦) .

فينادي بأَمْره ، وَقد تَقول الْعَرَب جَاءَ فلَان اذا جَاءَ كِتَابه أَو وَصيته ، وَيَقُولُونَ للرَّجل : أَنْت ضربت زيداً ، وَهُوَ لم يضْربهُ إذا كَانَ قد رَضِي بذلك وشايع عَلَيْهِ ، قَالَ الله تَعَالَى : " قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [البقرة : ٩١] ، المخاطبون بهَا لم يقتلُوا نَبياً ، وَلَكنهُمْ لما رَضوا بذلك وتولوا قتلة الْأَنْبِيَاء وشايعوهم على فعلهم نسب الْفِعْل إليهم وان كَانُوا لم يباشروه ، وعَلى هَذَا يتَأَوَّل قَوْله تَعَالَى : ﴿فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ﴾ [النحل : ٢٦] . فَهَذَا تَأْوِيل كَمَا ترَاهُ صَحِيح جَار على فصيح كَلَام الْعَرَب فِي محاوراتها والمتعارف من أساليبها ومخاطباتها وَهُوَ شرح لما أَرَادَهُ مَالك (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) رحمهمَا الله ، وَمِمَّا يُقَوي هَذَا التَّأْوِيل وَيشْهد بِصِحَّتِهِ : أَنَّ بعض أهل الحَدِيث رَوَاهُ ينزل بِضَم الْيَاء ، وَهَذَا وَاضح .

والتَّأويل الثَّاني : أَنَّ الْعَرَب تسْتَعْمل النُّزول على وَجْهَيْن ، أَحدهمَا : حَقِيقَة ، وَالْآخر مجَاز واستعارة . فَأَما الْحَقِيقَة : فانحدار الشَّيء من علو إلى سفل ، كَقَوْلِه تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ﴾ [النور : ٤٣] .

وكقول امْرِئ الْقَيْس :

هُوَ الْمنزل الألاف من جو ناعط ... بني أَسد حزناً من الأَرْض أوعرا

وأمَّا الِاسْتِعَارَة وَالْمجَاز ، فعلى أَرْبَعَة أوجه :

أَحدهَا : الإقبال على الشَّيء بعد الْأَعْرَاض عَنهُ والمقاربة بعد المباعدة ، يُقَال : نزل البَائِع فِي سلْعَته إذا قَارب الْمُشْتَرِي فِيهَا بعد مباعدته وَأمكنهُ مِنْهَا بعد مَنعه ، وَيُقَال : نزل فلَان عَن أَهله ، أَي : تَركهَا وَأَقْبل على غَيرهَا ، وَمِنْه قَول الشَّاعِر :

أنزلني الدَّهْر على حكمه ... من شَاهِق عَالٍ الى خفض

أَي : جعلني أقَارِب من كنت أباعده ، وَأَقْبل على من كنت أعرض عَنهُ ، فَيكون معنى الحَدِيث على هَذَا : أَن العَبْد فِي هَذَا الْوَقْت أقرب الى رَحْمَة الله مِنْهُ فِي غَيره من الأوقات ، وَأَنَّ البارئ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يقبل على عباده بالتحنن والتعطف فِي هَذَا الْوَقْت لما يلقيه فِي قُلُوبهم من التَّنْبِيه والتَّذكير الباعثين لَهُم على الطَّاعَة وَالْجد فِي الْعَمَل ، فَهَذَا تَأْوِيل أَيْضاً مُمكن صَحِيح ... " [١] .

وكلام الإمام عبد الله بن محمَّد البطليوسي على حديث النُّزول ، تضمَّن :

١-أنَّ المجسِّمة جعلوا النُّزول نزولاً على الْحَقِيقَة ، بمعنى الحركة والنُّقلة ، تَعَالَى الله عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ علوَّاً كَبِيراً ...

٢-بيَّن أنَّ الإمام السَّلفي مَالك بن أنس (١٧٩هـ) رَحمَه الله ، سُئِلَ عَن هَذَا حديث النُّزول ، فَقَالَ : ينزل أمره كلّ سحر ، وقد ذكرناه سابقاً ... كما بيَّن ووضَّح أنَّ من المعاني المقبولة للنُّزول : إقبال الله تعالى على العباد بالتَّحنُّن والتَّعطُّف والرَّحمة فِي وقت السَّحر ، وهذا لا يتعارض مع القواطع العقديَّة ولا القواعد اللغويَّة ، فالإقبال على الشَّيء هو من معاني النُّزول في لغة العرب ، وهو معنى مناسب لمن طرد عن عينيه الكرى ، وأزاح عن كاهله أثقال النَّوم ، وتحمَّل وطأة البرد في الشِّتاء بعد أن هجر دفء الفِراش ... فهذا وأمثاله ممَّن يقبلون على الله تعالى والنَّاس نيام حقيقون بإقبال الله تعالى عليهم بفيوض الرَّحمات والأعطيات وسائر الهِبات ...

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التَّيمي الأصبهاني ، أبو القاسم ، الملقَّب بقوام السُّنَّة (٥٣٥هـ) : " سبيل الأخبار الواردة في الصِّفات : أن يؤمن بها ، ولا يتعرَّض لها ، وتمضي كما أمضاها الأسلاف من غير تمثيل ولا تأويل " [٢] .

قلت : وكلام الإمام الأصبهاني يصبُّ في مصبِّ جمهور السَّلف الذين ذهبوا إلى تفويض معاني المتشابه إلى الله تعالى ، مع تنزيههم لله تعالى عن ظاهر معناها ، وهذا هو المراد من قول السَّلف (بلا كيف) ، ومنه يتبيَّن للإنسان الحصيف طالب الحقّ : أنَّ الذين ينسبون للسَّلف إثبات ظواهر المعاني الحقيقية للألفاظ المتشابهة مع تفويض الكيفيَّة ، ينسبون للسَّلف بقولهم هذا : التَّشبيه ، وقد سال بهم السَّيل وهم لا يدرون ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الحَافِظُ ، القَاضِي ، أَبُو بَكْرٍ محمَّد بنُ عَبْدِ الله بنِ محمَّد بن عَبْدِ الله، ابْنُ العَرَبِيِّ ، الأَنْدَلُسِيّ ، الإِشْبِيْلِيّ ، المَالِكِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٥٤٣هـ) : " وأمَّا قوله : " ينزل ربُّنا كلَّ ليلة

---

[١] انظر : الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف (ص٨٢-٨٥) .

[٢] انظر : الترغيب والترهيب ، قوام السُّنَّة (١/ ٢٥٢) .

إلى سماء الدُّنيا " ، فإنَّ الحركة والانتقال ، وإن كان محالاً عليه عقلاً ، فإنه يلزمهم على محالهم أن يكون محالاً ، فإنَّهم قد قالوا : أنَّه أكبر من العرش بمقدار يسير ، فكيف ينزل إلى السَّماء وهو أكبر من جميعها ؟ أي حتى بحمله تعالى على الوجهين ، ولم يفهموا أنَّ النَّبي إنَّما خاطب بذلك العرب والفصحاء اللسن ، وقد ثبت فيها أنَّ التَّنزيل على الوجهين : نزول حركة ، ونزول إحسان وبركة ، فإنَّ من أعطاك قد نزل إليك إلى درجة النَّيل المحبوبة عندك عن درجة المنع المكروهة ، كما أنَّه نزل من ودِّه لك عن حال البغضاء والإعراض عنك ، وهو نزل حقيقة في بابه ، كما أنَّ نزول المرء على الجبل إلى السَّفح حقيقة في بابه ، ألا ترى إلى قول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنِّي غيره   مني بمنزلة المحبِّ الأكرم

وقال عمر رضي الله عنه في الإسلام : " وما ينزل بعبد مسلم من منزل شدّة " (١) ، وهو معنوي ، لا حركة فيه ولا انتقال ، وفائدته أنَّ الكريم إذا حلَّ بموضع ، ونزل بأرض ، ظهرت فيها أفعاله ، وانتشرت بركته وبدت آثاره ، فما بثَّ الله من رحمته من السَّماء الدُّنيا على الخلق في تلك السَّاعة عبَّر عنه بالنُّزول فيه ، عربية صحيحة " (٢) .

وقال الإِمَامُ ابْنُ العَرَبِيِّ – أيضاً – في كلامه على حديث النُّزول : " اختلفَ النَّاس في هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث المشكلات والآيات المتشابهات :

فمنهم من ردَّ هذا الخبر ؛ لأنّه خبر آحاد ، وردَّ بما لا يجوز ظاهرُه على الله تعالى ، وهم المُبْتَدِعَة .

ومنهم مَنْ قَبِلَهُ وأَمَرَّهُ كما جاء ولم يتأوّله ولا تكلّم فيه ، مع اعتقاده أنَّ الله ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

ومنهم من تأوَّلَهُ وفَسَّرَهُ – وبه أقول– لأنّه معنى قريب عربيٌ فصيح . أمَّا أنَّه قد تَعَدَّى إليه قومٌ ليسوا من أَهْلِ العِلْم بالتَّفسيرِ ، فَتَعدّوا عليه بالقول النَّكِير .

---

(١) جاء في الموطأ (٣/ ٦٣٣ برقم ١٦٢١) : " مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ قَالَ: كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعاً مِنَ الرُّومِ، وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُمْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ:أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مُنْزَلِ شِدَّةٍ، يَجْعَلِ اللهُ لَهُ بَعْدَهُ فَرَجاً. وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ. وَأَنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران ٣: ٢٠٠] .

(٢) انظر : العواصم من القواصم (النص الكامل) (ص٢١٦–٢١٧) .

وأمَّا المبتدعة ، قالوا : هذا الحديث مُحَالٌ ؛ لأنّه إذا نزلَ من يَخْلفُه ؟ وهذا جهلٌ عظيمٌ ؛ لأنّه يقال لهم : من يَخلفُه في الأرض حين يصعَدُ علمه بما في الأرض ، كما يصعد علمه بما في السَّماء ، وعِلْمُه بما في الأرض سواءٌ لا يَخْتَلِف .

إيضاحُ مُشكِلٍ :

قال الإمام أبو بكر بن فُورَك في هذا الحديث والنُّزول والمجيء : " اعْلَمْ أنَّه أوّل ما يجبُ أنّ تعلمَ في ذلك قَبْلَ شُرُوعِنَا في تأويله ، هو : أنّ تعلمَ أوَّلاً أنَّ جميعَ أوصافه تعالى تتعلَّق بما لا يخرج عن وجهين : إمَّا أنّ يكون اسْتَحَقَّه لنفسه ، أو لِصِفَةٍ قامت به ، أو لِفِعْلٍ يفعله . وأنّه لا يُطْلَقُ شيءٌ من الألفاظِ في أوصافه وأسمائه المُتفَرِّعَة من هذين الأصلّين إلَّا بعد ورود التَّوقِيفِ في الكتاب والسُّنَّة ، وعن اتِّفاقٍ من الأمَّة ، ولا مجالَ للقياسِ في ذلك بِوَجْهٍ من الوجوهِ .

واعلم أنَّه لا فرقَ بين الإتيانِ والمجيءِ والنُّزول إذا أُضيفَ جميع ذلك إلى الأجسام الّتي تتحرَّك وتنتقل ، أو تحاذي مكانَها أو مكانًا بعد مكان ، إنَّ جميعَ ذلك يُعْقَلُ من طريق المعنى الّذي هو الحَرَكَة والنُّقلة الّتي هي تفريغ مكان شغل مكان ، فهذا أُضِيفَ إلى ما لا يليق به الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ ؛ لاستحالته بأنّه جوهرٌ ، أو جِسْمٌ ، أو مَحْدُودٌ ، أو مُتَمَكِّنٌ ، أو مُمَاسٌّ " .

تحقيق وتبيين :

اعلم أنّ معنى النُّزول في اللُّغة والقُرآن والسُّنَّة ينطلقُ على تِسْعَة معانٍ ، منها معاني مختلفة ، ولم يكن هذا اللّفظ ممّا يخصُّ أمراً واحداً حتّى لا يمكن العدول عنه إلى غيره ، بل وَجَدْنَاهُ مشترك المعنى ، فاحتملَ التَّأويل والتَّخريج والتَّرتيب في ذلك .

الأوَّل - فمن ذلك : النُّزول بمعنى الانْتِقَال ، والبارىء تعالى يتنزَّهُ عنه ، وإنَّما ذلك في كون المخلوقات ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، هذا على معنى النُّقلة والتَّحويل .

المعنى الثَّاني : النُّزول بمعنى الإعلام ، كقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي : أَعْلَمَ به الأمينُ محمَّدا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

المعنى الثَّالث : النُّزول بمعنى القول والعبارة ، وذلك في قوله تعالى حاكيًا عن مُسَيْلِمَة في قوله : ﴿وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، فيما أخبر به عن المشركين الّذين يقولون ويعارضون القرآن ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣]

المعنى الرَّابع : النُّزول بمعنى الإقبال على الشَّيء ، وذلك هو المستعمل في المجاز لقولهم : إنّ فلاناً أخذ بِمكارم الأخلاق ثمَّ نزل منها إلى سفسافها ، أي : أقبل منها إلى رَدِيّها . ومثله في نقصان المرتبة والدَّرَجَة ؛ لأنَّهم يقولون : نزلت منزلة فلان عند فلان .

المعنى الخامس : النُّزول بمعنى الحُكم ، من ذلك قولهم : قد كنَّا في خير وعافية وعَدْلٍ وأَمْنٍ ، حتّى نزلَ بنا بنو فلان ، أي : حكمهم ، وكان ذلك في معنى النُّزول ، مُتَعَارَف من أهل اللُّغة غير مدفوع عندهم اشتراك معناه .

المعنى السَّادس : قوله تعالى : ظ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فمن أهل التَّأويل من قال : معناه وخلقنا الحديد .

ومن العلمــاء من قال : إنَّ الحديدَ أنْزل على معنى النَّقلِ من عُلُوٍّ إلى سفل ، وهذا بعيدٌ جدّاً ، فَتَدَبَّرْهُ .

ومن الفلاسفة من قال : أنَّه يتكوَّن في الأرض بما تفعل الكواكب في الأقاليم ، وهذا كُفْرٌ منهم ودَعْوى بغير دَليلٍ .

والمعنى فيه : أنّ الإنزال بمعنى الخَلْق ، معناه : خلقنا الحديد في الأرض فيه منافع للنّاس .

المعنى السَّابع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] ، ليس هو بمعنى النَّقْل والتّحويل من عُلُّو إلى سفل ، لاستحالة الانتقال على الكلام ، وإنَّما معناه : الإعلام والإسمـــاع والإفهام إلى الموصل .

المعنى الثَّامن : قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ" [الفتح : ٤] الآية ، وهذا أيضاً يُبَيِّنُ لك أنَّه ليس كلّ نزول وإنزال نقل وتحويلٌ ، بل ذلك لفظٌ يشترك المعنى فيه ، وقد يكون نقلاً وتحويلاً ، وقد يكون على غير ذلك من المعاني الْمُتَأَوَّلَة .

المعنى التَّاسع : قوله جلَّ جلالُه : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] الآية . قال بعض علمائنا : المعنى فيه - أنَّه خَلَقَ في الأرض الأنعام ؛ لأنّه لَمْ يُرَ قطّ ولا سُمِعَ أنَّه نزل من السَّماء الحديد ولا الأنعام ، ولو كان كذلك لكان أصل ذلك معلوماً مذكوراً .

وهذه الوجوه من القرآن واللُّغة على أنَّ الباريء تعالى لا يجوز عليه النّقل ولا الحركة ، وأنّ نزولَهُ بخلاف مخلوقاته ، إنَّما نزوله نزول رحمةٍ وإحسانٍ ، أو يكون كما قال بعض العلماء الصُّوفيّة : إنّ نزوله ثُلُث اللَّيل إنَّما هو نزولٌ من حال الغَضَبِ إلى حالة الرَّحْمَة ، وإلّا إذا أضفتَ النُّزول إلى السَّكينة لم يكن ، وإذا أَضَفْتَهُ إلى الكلام لم يكن أيضاً تفريغ مكانٍ ولا شُغل مكانٍ ، وإنَّما أراد به : إقباله على أهل الأرض بالرَّحْمَة ، والاستعطاف بالتَّوْبَة والإنَابَة . هذا تفسيرُه عند علمائنا من أهل الكلام .

وأمّا من تَعَدَّى عليه بالتّفسير والقَوْلِ النَّكِيرِ ، فإنّهم قالوا : في هذا الحديث دليلٌ على أنَّ الله تعالى في السَّماء على العَرْشِ من فَوْق سبع سماوات .

قلنا : هذا جَهْلٌ عظيمٌ ، إنَّما قال : " يَنْزِلُ إلى سَمَاءِ الدُّنيا " . ولم يقل في الحديث من أينَ ينزلُ ، ولا كيف ينزل ...

قال الإمام : والّذي يجب أنّ يُعْتَقَد في ذلك : أنَّ الله كان ولا شيءَ معه ، ثمَّ خَلَقَ المخلوقات من العَرشِ إلى الفَرْشِ ، فلم يتغيَّر ، ولا حدثت له جِهَة منها ، ولا كان له مكان فيها ، فإنّه لا يَحُول ولا يَزُول ، قُدُّوسٌ لا يحولُ ولا يتغيَّر ...

وأمَّا قوله: " يَنْزِل " و " يَجيء" و " يَأْتِي" ، وما أشبه ذلك من الألفاظ الّتي لا تجوز على الله في ذاته معانيها ، فإنّها ترجع إلى أفعاله ، وههنا نكتة ، وهي أنّ أفعالَكَ أيّها العبدُ إنَّما هي في ذَاتِكَ ، وأَفعالُ الله لا يَجوزُ أنّ تكونَ في ذَاتِهِ ولا ترجع إليه ، وإنَّما تكونُ في مخلوقاتِهِ ، فإذا سَمِعْتَ أنّ الله يفعلُ كذا ، فمعناه في المخلوقات لا في الذَّاتِ، وقد بَيَّنَ ذلك الأَوزاعيّ (١٥٧هـ) حين سُئِلَ عن هذا الحديث ، فقال : يَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاء . وأمَّا أنّ يعلَم أو يعتقدَ أنّ اللهَ لا يُتَوَهَّم على صِفَةٍ من المخلوقات ، ولا يُشْبِه شيئًا من المخلوقات ، ولا يدخل بابًا من التَّأويلات .

قالوا : نقول : ينزلُ ربُّنا ولا نكيِّف .

قلنا: معاذَ الله أنّ نقول ذلك ، إنَّما نقول كما علَّمَنَا رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وكما علِمْنَا من العربيّة الّتي نَزَلَ بها القرآنُ وتكَلَّمَ بها رسُولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، قال رسولُ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " يقولُ الله تعالى : عَبْدِي مرضتُ فلم تَعُدْنِي ، وجعْتُ فلم تُطعِمْنِي ، وعَطشتُ فلم تَسْقِنِي " (١) ، وهذا لا يجوزُ على الله تعالى بحالٍ ، ولكن شرف هؤلاء بأن عَبَّرَ عنهم كذلك .

وقولُه : " يَنْزِلُ رَبُّنَا " عَبَّرَ به عن عَبْدِهِ ومَلَكِهِ الّذي نَزَلَ بأمْرِه بِاسْمِه ، فيما يُعْطِي من رحمته ويَهب من كَرَمِهِ ويفيض على الخَلْقِ من عَطَائِه ، قال الشَّاعر :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلاَ تَظُنِّي غَيْرَهُ ... مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكَرَّمِ

والنُّزول قد يكون في المعاني والأجسام كما تقدَّمَ بيانُه ، والنُّزول الّذي أخبر اللهُ عنه إنْ حَمَلْتَهُ على أنَّه جسمٌ ، فذلك مَلَكُهُ ورسولُه وعَبْدُهُ . وإن حملته على أنَّه كان لا يفعلُ شيئاً من ذلك ، ثمَّ فَعَلَهُ عند ثُلُثِ اللَّيْلِ فاستجابَ وغَفَر وأَعْطَى ، وسَمَّى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، وصِفَةٍ إلى صِفَةٍ ، فتلك عربيَّةٌ مَحْضَةٌ خَاطبَ بِهَا أَعرف منكم وأعقل وأكثر توحيداً ، وأقلّ بل أعدم تَخلِيطاً .

قالوا بجَهْلِهِم : لو أراد نزول رحمتـــه لما خصَّ بذلك الثُلُثَ من اللَّيل ؛ لأنَّ رحمته تنزلُ باللّيلِ والنَّهارِ .

قلنا : هي باللَّيلِ ، وفي يومِ عَرَفة ، وفي ساعة الجُمُعَة ، فيكونُ نزولُها باللَّيلِ أكثر ، وعطاؤُها أَوْسَع ، وقد بَيَّنَ اللهُ ذلك في قوله : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ﴾ [آل عمران : ١٧] .

قالوا : لا حُجَّةَ لنا في التَّأويل ؛ لأنَّ السَّلف قالوا في هذه الأحاديث وأمثالها : أَمِرُّوها كما جاءَت ، فلا تُتَأَوَّلُ .

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ برقم٢٥٦٩) ، البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٨٢برقم٥١٧) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٥٠٣برقم٢٦٩) ، البيهقي في الأسماء والصِّفات (١/ ٥٤٦برقم٤٧٣) ، شعب الإيمان (١١/ ٤١٢برقم٨٧٥٢) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٥/ ٢١٨) . ونصُّ الحديث في صحيح مسلم هو : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي " .

قلنا : هذه جَهَالَة عظيمةٌ ؛ لأنّه قد اشتهرَ التَّأويل في ذلك عن السَّلف ، أمَّا مالكٌ (١٧٩هـ) – رحمه الله – فقد بَدَّع السَّائل عن أمثاله ، وصَرَفهُ عن إِشكَالِهِ ، ووقَفَ عند الإيمانِ به ، وهو لنا أفضل .

وأمَّا الأوزاعي (١٥٧هـ) – وهو إمامٌ عظيمٌ – فقد نزع بالتَّأويلِ ، قال : سئِل عن قول النّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " يَنْزِلُ رَبُّنَا " ؟ فقالَ : يفعلُ اللهُ ما يشاء . ففتحَ باباً من المعرفةِ عظيماً ، ونهجَ إلى التَّأويل طريقاً مستقيماً .

تشريفٌ :

إنّ اللهَ سبحانه مُنَزَّهٌ عن الحركة والانتقال ؛ لأنّه لا يَحْوِيهِ مكانٌ ، كما لا يشتمل عليه زمانٌ ، ولا يَشغَلُ جُزءاً ، ولا يَدْنُو إلى مسافة بشيءٍ ، ولا يغيبُ عن عِلْمِهِ شيءٌ . مُتَقَدِّس الذَّات عن الآفاتِ ، منزَّه عن التَّغير والاسْتِحَالاَتِ ، إلهٌ في الأرض إِلهٌ في السَّموات . وهذه عقيدةٌ مستقرَّةٌ في القلوبِ ، ثابتةٌ بواضِحِ الدَّليل في المعقولِ " (١) .

فالإمام ابن العربي ذكر في معرض كلامه على حديث النُّزول : المعاني اللغويَّة للنُّزول ، وردَّ كلَّ معنى من شأنه تشبيه الله تعالى بخلقه ، واستحسن تأويل الإمام ابن فورك للنُّزول واستشهد به ، فإنَّ اللهَ سبحانه مُنَزَّهٌ عن الحركة والانتقال ؛ لأنّه لا يَحْوِيهِ مكانٌ ، كما لا يشتمل عليه زمانٌ ...

فنزولَهُ تعالى بخلاف مخلوقاته ، وليس كلّ نزول وإنزال نقل وتحويلٌ ، إنَّما نزوله نزول رحمةٍ وإحسانٍ ، أو يكون كما قال بعض العلماء الصُّوفيّة : أنَّ نزوله ثُلُث اللّيل إنّما هو نزولٌ من حال الغَضَبِ إلى حالة الرَّحْمَة ، وإلّا إذا أضفتَ النُّزول إلى السّكينة لم يكن ، وإذا أَضَفْتَهُ إلى الكلام لم يكن أيضًا تفريغ مكانٍ ولا شُغل مكانٍ ، وإنَّما أراد به : إقباله على أهل الأرض بالرَّحْمَة ، والاستعطاف بالتَّوْبَة والإِنَابَة .

ثم حكم بجهل من يقول من المشبِّهة : في هذا الحديث دليلٌ على أنّ الله تعالى في السَّماء على العَرْشِ من فَوْق سبع سماوات ، لأنَّ الحديث يقول : " يَنْزِلُ إلى سَمَاءِ الدُّنيا " . ولم يقل في الحديث من أينَ ينزلُ ، ولا كيف ينزل ... والله تعالى منزَّه عن المكان ، حيث كان ولا مكان ، وهو سبحانه لا يَحُول ولا يَزُول ، قُدُّوسٌ لا يتبدَّل ولا يتغَيَّر ... وأخيراً ذكر بعضاً من تأويلات السَّلف للنُّزول ...

وقال الإمام ابْنُ العَرَبِيِّ أيضاً : " واختلف النَّاس في هذا الحديث وأمثاله على ثلاثة أقوال : فمنهم من ردّه ، لأنَّه خبر واحد وَرَدَ بما لا يجوز ظاهره على الله ، وهم المبتدعة ، ومنهم من قبله ، وأمرَّه كما جاء

---

(١) انظر : المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (٣/ ٤٤٤-٤٥٤) .

ولم يتأوَّله ولا تكلَّم فيه ، مع اعتقاده أنَّ الله ليس كمثله شيء ، ومنهم من تأوَّله وفسَّره ، وبه أقول ، لأنَّه معنى قريب عربي فصيح .

أمَّا أنَّه قد تعدَّى إليه قوم ليسوا من أهل العلم بالتَّفسير فتعدّوا عليه بالقول بالتَّكثير ، قالوا : في هذا الحديث دليل على أنَّ الله في السَّماء على العرش من فوق سبع سموات .

قلنا : هذا جهلٌ عظيمٌ ، وإنَّما قال : " ينزل إلى السَّماء " ، ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل ، ولا كيف ينزل .

قالوا وحجَّتهم ظاهرة : : قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه : ٥] . قلنا له : وما العرش في العربيَّة ؟ وما الاستواء؟ ...

والذي يجب أن يعتقد في ذلك : أنَّ الله كان ولا شيء معه ، ثمَّ خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش ، فلم يتغيَّر بها ، ولا حدث له جهة منها ، ولا كان له مكان فيها ، فإنَّه لا يحول ولا يزول ، قدوس لا يتغيَّر ولا يستحيل ... وأمَّا قوله : " ينزل " ، " ويجيء " ، " ويأتي " ، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي لا تجوز على الله في ذاته معانيها ، فإنَّها ترجع إلى أفعاله ، وهنا نكتة ، وهي : أنَّ أفعالك أيُّها العبد إنَّما هي في ذاتك ، وأفعال الله سبحانه لا تكون في ذاته ، ولا ترجع إليه ، وإنَّما تكون في مخلوقاته ، فإذا سمعت الله يقول كذا ، فمعناه في المخلوقات لا في الذَّات !!! وقد بيَّن ذلك الأوزاعي (١٥٧هـ) حين سئل عن هذا الحديث – أي حديث النُّزول – ، فقال : يفعل الله ما يشاء . وإمَّا أن تعلم وتعتقد أنَّ الله لا يتوهَّم على صفة من المحدثات ، ولا يشبهه شيء من المخلوقات ولا يدخل باباً من التَّأويلات . فقالوا : يقول ينزل ولا نكيِّف ، قلنا : معاذ الله أن نقول ذلك ، إنَّما نقول كما علَّمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكما علمنا من العربيَّة التي نزل بها القرآن ، قال النَّبي عليه السَّلام : " يقول الله : عبدي مرضت فلم تعدني ، وجعت فلم تطعمني ، وعطشت فلم تسقني " ، وهو لا يجوز عليه شيء من ذلك ، ولكن شرّف هؤلاء بأن عبّر به عنهم ، كذلك قوله : " ينزل ربُّنا " ، عبّر عن عبده وملَكه الذي ينزل بأمره باسمه ، فيما يعطي من رحمته...

والنُّزول قد يكون في المعاني ، وقد يكون في الأجسام ، والنُّزول الذي أخبر الله عنه إن حملته على أنَّه جسم فذلك مَلَكُه ورسوله وعبده ، وإن حملته على أنَّه كان لا يفعل شيئاً من ذلك ثمَّ فعله عند ثلث

الليل فاستجاب وغفر وأعطى ، وسمّى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، ومن صفة إلى صفة ، فتلك عربيَّة محضة خاطب بها من هم أعرف منكم – يعني أهل الظَّاهر – وأعقل وأكثر توحيداً وأقلّ بل أعدم تخليطاً . قالوا بجهلهم : لو أراد نزول رحمته لما خصَّ بذلك الثُّلث من الليل ، لأنَّ رحمته تنزل بالليل والنَّهار . قلنا : ولكنَّها بالليل ، وفي يوم عرفة ، وفي ساعة الجمعة يكون نزولها أكثر وعطاؤها أوسع ... وقد نبّه الله على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] (١) .

وكلام الإمام ابن العربي هنا قريب من كلامه السَّابق الذي ذكره في كتابه : " المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك " ...

وقال الإِمَامُ ، العَلاَّمَةُ ، الحَافِظُ الأَوْحَدُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، القَاضِي ، أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبيُّ ، الأَنْدَلُسِيُّ ، ثمَّ السَّبْتِيُّ ، المَالِكِيُّ (٥٤٤هـ) : " قوله : " ينزل ربُّنا كلّ ليلة " : قيل : معناه : ينزل مَلَكُ ربِّنا ، على تقدير حذف مضاف ، كما يقال : فعل السُّلطان كذا ، وإن كان الفعل وقع من أتباعه ، ويضاف الفعل إليه لما كان عن أمره ويحتمل أن يكون عبَّر بالنُّزول عن تقريب الباري تعالى للدَّاعين حينئذ واستجابته لهم ، وخاطبهم – عليه السَّلام – بما جرت به عادتهم ، ليفهموا عنه ، وكان المتقرّب منَّا إذا كان في بساط واحد مع من يريد الدُّنوّ منه يخبر عنه بأن يقال : جاء وأتى ، وإذا كان في علو ، قيل : نزل وتجلَّى ، وقد ورد في الكتاب والسُّنَّة : جاء ، وأتى ونزل ، وتجلَّى .

قال القاضي : على هذين الطَّريقين اختلف تأويل السَّلف في الحديث ، بل قد جاءت مفسَّرة فيه ، فجاء في حديث الأغرّ أبي مسلم الذي ذكره مسلم عنه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله يُمهل ، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأوَّل ينزل إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من مستغفر ... " الحديث رواه الأعمش عن السَّبيعي عن أبى مسلم بمعناه ، وذكر مكان " ينزل ": " ثمَّ يأمر منادياً ينادى يقول : هل من داع " الحديث . أخرجه النَّسائي ، فهذا مفسِّر لأحد التَّأويلين ، وهو من معنى المروي عن مالك (١٧٩هـ) في تفسير هذا الحديث : ينزل أمره ورحمته ، وعلى التَّأويل الآخر

---

(١) انظر : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (٢/ ١٩٨-٢٠٠ ببعض الاختصار) .

قول الأوزاعي (١٥٧هـ) فيه : يفعل الله ما يشاء . وإليه الإشارة في الحديث نفسه بقوله : " ثمَّ يبسط يديه " عبارة عن نشر رحمته واستعارة بكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته ، ولا يعترض على هذا بأنَّ أمره ونهيه وأفعاله في كلِّ حين لا يختصُّ بوقت دون وقت ، فقد يكون المراد بالأمر هنا في هذه القضيَّة يختصّ لقائم الليل ، كما يختصّ رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة نصف شعبان - وغيرها من الأوقات بأوامر من أوامره ، وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات ، كما جاء في كتاب الله وحديث نبيّه – عليه السَّلام . وقيل : يكون النُّزول بمعنى القول ، كقوله تعالى : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، وبمعنى الإقبال على النَّبي ، فيكون النُّزول إظهار ذلك وتبليغه إلى أهل السَّماء الدُّنيا ، أو بإقباله على عباده المؤمنين كما في الحديث ، وذلك من أفعاله كما تقدَّم ، أو يفعل فعلاً يظهر به لطفه لهم ...

وقوله : " حتى إذا ذهب ثلث الليل الأوَّل " : في بعض الرِّوايات " وشطره " في بعضها ، والصَّحيح الرِّواية الأخرى : " حين يبقى ثلث الليل الآخر " ، قال شيوخ أهل الحديث : وهو الذى تتظاهر الأخبار بمعناه ولفظه ، وقد يحتمل الجمع بين الحديثين أن يكون النُّزول الذى أراده النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعناه ، والله أعلم بحقيقته عند مضى الثُّلث الأوَّل . والقول : " من يدعوني " إلى آخره في الثُّلث الآخر " (١) .

فالقاضي عياض ذهب – كما ذهب غيره من العلماء المحقِّقين – إلى تأويل النُّزول ... واستشهد على ما ذهب إليه من التَّأويل الصَّحيح بحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله يُمهل ، حتى إذا ذهب ثلث الليل الأوَّل ، ينزل إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من مستغفر ... " ، وهذا حقٌّ لا مرية فيه ، وليس بعد الحقّ إلَّا الضَّلال...

وقال الإمام عَبْد الخالق بْن أسد بْن ثابت ، الفقيه أَبُو محمَّد الدّمشقيّ الحنفيّ المحدِّث الأطْرابُلُسيّ الأصل (٥٦٤هـ) : " النُّزول بلا تَكييفٍ ولا تَشبيهٍ ، وهو ممَّا يجبُ الإيمانُ به ، وأنَّه لا كنُزولِنا الذي هو حَركةٌ وانتقالٌ مِن مكانٍ إلى مكانٍ ، ومِن النَّاس مَن تأوَّلَه على ما يُعرفُ في مَوضعِهِ " (٢) .

---

(١) انظر : شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكَمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم (٣/ ١٠٩-١١١) .

(٢) انظر : كتاب المعجم (ص٣٣٠-٣٣١) .

وقال الشَّيخ ، الإِمَامُ ، القُدْوَةُ ، العَابِدُ ، الزَّاهِدُ ، شَيْخُ العَارِفِيْن ، أَبُو العبَّاس أَحْمَدُ بنُ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى بنِ حَازِمِ بنِ عَلِيِّ بنِ رِفَاعَةَ الرِّفَاعِيُّ ، المَغْرِبِيُّ ، ثمَّ البَطَائِحِيُّ (٥٧٨هـ) : " أي سادة : نزِّهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين ، وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقِّه تعالى بالاستقرار ، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول ، تعالى الله عن ذلك ، وأيَّاكم والقول بالفوقيَّة ، والسُّفليَّة ، والمكان ، واليد ، والعين بالجارحة ، والنُّزول بالإتيان والانتقال ، فإنَّ كلَّ ما جاء في الكتاب والسُّنَّة ممَّا يدلُّ ظاهره على ما ذكر ، فقد جاء في الكتاب والسُّنَّة مثله ، ممَّا يؤيِّد المقصود ، فما بقي إلَّا ما قاله صلحاء السَّلف ، وهو الإيمان بظاهر كلِّ ذلك ، وردٍّ علم المراد إلى الله ورسوله ، مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث ، وعلى ذلك درج الأئمَّة ، وكلُّ ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسُّكوت عنه ، ليس لأحد أن يفسِّره إلَّا الله تعالى ورسوله ، ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم ، لأنَّه أصل الكتاب ، والمتشابه لا يعارض المحكم " (١) .

ومجمل ما قاله الإمام أحمد بن علي بن ثابت الرِّفاعي الحسيني : وجوب تنزيه الله تعالى عن الفوقيَّة ، والسُّفليَّة ، والمكان ، والحركة والانتقال ، وقد أجمعت الأمَّة على وجوب تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة سائر الحوادث ، وهو سبحانه غنيٌّ عن كلِّ ما سواه أزلاً وأبداً ، فلا يحتاجُ إلى مكان يحلُّ فيه ، إذ الجهات والأمـــاكن ما هي إلَّا خلقٌ من خلقه أوجدها بعد أن لم تكن ، وبالتَّالي فإنَّ نزوله إلى سماء الدُنيا ليس نزول نُقلة ، لأنَّ النُّزول بمعنى النُّقله يحتاج إلى ثلاثة أركان : مكان منزولٌ منه ، ومكان منزول إليه ، وجسم يتردَّد بين المكـــاني ، والله تعالى منزَّه عن الجسميَّة سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾...

وممَّا تضمَّنه كلام الإمام الرِّفاعي كذلك : الدَّعوة إلى الإيمان بظاهر لفظ كلّ ذلك ، وردٌّ علم معنى المراد إلى الله ورسوله ، مع تنزيه الباري تعالى عن الكيْف وسمات الحدوث ... وهذا هو التَّفويض الذي ذهب إليه جمهور السَّلف ، ومعناه : ردُّ العلم بالنُّصوص الموهمة للتَّشبيه ، وكذا النُّصوص التي لا يتوصَّل الباحث إلى دَرْك معانيها إلى الله ورسوله ، من غير تكييف ، ولا زيادة ولا نُقصان ، مع تنزيه الله

---

(١) انظر : البرهان المؤيد (ص١٦) .

تعالى واعتقاد أنَّ الظَّاهر المُتبادر إلى الأذهان غير مُراد ... وعلى ذلك دَرَجَ جمهورُ سلف الأمَّة وبعض الخلف ، وقالوا : كلُّ ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسُّكوت عنه ، ليس لأحد أن يفسِّره إلَّا الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن محمود بن سعيد القابسي (٥٩٣هـ) : " ... نزوله إلى السَّماء الدُّنيا ، تفضُّلٌ ورحمة ، لا نُقلة وحركة ... " (١) .

وقال الإمام ، الأصولي ، المتكلِّم ، الحجَّة ، القدوة ، الهمام ، العلم ، المفيد ، الفقيه ، الصَّالح ، عثمان بن عبد الله القيسي القرشي ، أبو عمرو ، المعروف بالسّلاجي (٥٩٤هـ) : " الدَّليل على استحالة حلول ذات الله تعالى في جهة من الجهات : أمَّا الاختصاص بالجهة ، فلأنَّ المختصَّ بالجهة حاصلٌ في محلٍّ لا محالة ، وكلُّ حاصلٍ في محلٍّ فهو إمَّا متحرِّك إن انتقل ، وإمَّا ساكن إن لم ينتقل ، وكلُّ ما كان إمَّا متحرِّكاً وإمَّا ساكناً فهو حادث " (٢) .

وقال الإمام الشَّيخ ، العَلاَّمَةُ ، الحَافِظُ ، المُفَسِّرُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، مَفْخَرُ العِرَاقِ ، جَمَالُ الدِّين ، أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بنُ عَلِيِّ بنِ محمَّد بنِ عَلِيِّ بنِ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ حَمَّادِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ محمَّد بنِ جَعْفَرِ بنِ عَبْدِ الله بنِ القَاسِمِ بنِ النَّضْرِ بنِ القَاسِمِ بنِ محمَّد بنِ عَبْدِ الله ابْنِ الفَقِيْهِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ ابْنِ الفَقِيْهِ القَاسِمِ بنِ محمَّد ابْنِ خَلِيْفَةَ رَسُوْلِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ، القُرَشِيُّ ، التَّيْمِيُّ ، البَكْرِيُّ ، الجوزي ، البَغْدَادِيُّ ، الحَنْبَلِيُّ ، الوَاعِظُ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٥٩٧هـ) : " ... وَفِي الحَدِيث التِّسعين : " ينزل رَبُّنَا كلّ لَيْلَة إِلَى السَّماء الدُّنيا حِين يبْقى ثلث اللَّيْل الآخر" ، وَفِي رِوَايَة : " إِذا ذهب ثلثُ اللَّيْل الأوَّل " .

أصحُّ الرِّوَايَات عَن أبي هُرَيْرَة : " إِذا بَقِي ثلث اللَّيْل الآخر " ، كَذَلِك قَالَ التِّرْمِذِيّ . وَحَدِيث النُّزول قد رَوَاهُ جمَاعَة عَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُم : أَبُو بكر ، وَعلي ، وَابْن مَسْعُود ، وَأَبُو الدَّرْدَاء ، وَابْن عبَّاس ، وَأَبُو هُرَيْرَة ، وَجبير بن مطعم ، وَرِفَاعَة الْجُهَنِيّ ، والنواس بن سمْعَان ، وَأَبُو ثَعْلَبَة الْخُشَنِي ، وَعُثْمَان بن أبي الْعَاصِ ، وَعَائِشَة فِي آخَرين . وَقد ذكرتُ فِيمَا تقدَّم من مُسْند ابْن

---

(١) أصول الدِّين ، القابسي (ص٦٦) .

(٢) انظر : العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية (ص٦٥) .

عمر وَأنس وَغَيرهمَا فِي مثل هَذِه الْأَشْيَاء أَنَّه يجب علينا أَن نَعْرِف مَا يجوز على الله سُبْحَانَهُ وَمَا يَسْتَحِيل . وَمن المستحيل عَلَيْهِ : الْحَرَكَة والنُّقلة والتَّغيُّر ، فَيبقى مَا ورد فِي هَذَا ، فَالنَّاس فِيهِ قائلان :

أَحدهمَا : السَّاكِت عَن الْكَلَام فِيهِ ، وَقد حكى أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ عَن مَالك بن أنس (١٧٩هـ) ، وسُفْيَان بن عُيَيْنَة (١٩٨هـ) ، وَعبد الله بن الْمُبَارك (١٨١هـ) ، أَنَّهم قَالُوا فِي هَذِه الْأَحَادِيث : أمرُّوها بِلَا كَيفَ ، فَهَذِهِ كَانَت طَرِيقَة عَامَّة السَّلف .

والثَّاني : المتأوِّل ، فَهُوَ يحملهَا على مَا توجبه سَعَة اللُّغَة ، لعلمه بِأَن مَا يتضمَّنه النُّزول من الْحَرَكَة مُسْتَحِيل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقد قَـالَ الإِمَام أَحْمد ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] ، أَي : جَاءَ أمرُه " (١) .

وقال الإمام ابن الجوزي أيضاً : " وقد روى حديث النُّزول عشرون صحابيّاً ، وقد سبق القول أنَّه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والنُّقلة والتَّغيُّر ، فيبقى النَّاس رجلين :

أحدهما : المتأوِّل له بمعنى أنَّه يقرب رحمته ، وقد ذكر أشياء بالنُّزول ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وإن كان معدنه بالأرض . وقال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، ومن لم يعرف كيف نزول الجَمَل كيف يتكلَّم في تفصيل هذه الجُمَل ؟

والثَّاني : السَّاكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التَّنزيه . روى أبو عيسى التِّرمذي عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) ، وسفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، وابن المبارك (١٨١هـ) ، أنَّهم قالوا : أمرُّوا هذه الأحاديث بلا كيف .

قلت : والواجب على الخلق اعتقاد التَّنزيه وامتناع تجويز النُّقلة ، وأنَّ النُّزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام : جسمٌ عالي ، وهو مكان السَّاكن ، وجسمٌ سافل ، وجسمٌ ينتقل من علوٍّ إلى أسفل ، وهذا لا يجوز على الله تعالى قطعاً .

فإن قال العامِّي : فما الذي أراد بالنُّزول ؟ قيل : أراد به معنى يليق بجلاله ، لا يلزمك التَّفتيش عنه . فإن قال : كيف حدَّث بما لا أفهمه ؟ قلنا : قد علمت أنَّ النَّازل إليك قريب منك ، فاقتنع بالقُرب ولا تظنَّه كقُرب الأجسام " (١) .

---

(١) انظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٣٧٩) .

وقال الإمام ابن الجوزي أيضاً : " ... روت خولة بنت حكيم عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " آخر وطأة وطئها الرَّحمن بوج " ، ووج : واد بالطَّائف ، وهي آخر وقعة أوقعها الله بالمشركين على يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .... والوطأة : مأخوذة من القَدَم ، وإلى هذا ذهب ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وغيره . وقال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) في تفسير هذا الحديث : آخر غزاة غزاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطَّائف . وقال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : غير ممتنع على أصولنا !!! حمل هذا الخبر على ظاهره ، وإنَّ ذلك المعنى بالذَّات دون الفعل ، لأنَّا حملنا قوله : " ينزل " ، " ويضعُ قَدَمه في النَّار " على الذَّات .

قلت : وهذا الرَّجل يُشير بأصولهم إلى ما يوجب التَّجسيم والانتقال والحركة ، وهذا مع التَّشبيه بعيدٌ عن اللغة ، ومعرفة التَّواريخ ، وأدلَّة العقول ، وإنَّما اغترَّ بحديث روي عن كعب أنَّه قال : " ووج مقدَّس ، منه عرج الربُّ إلى السَّماء ، ثمَّ قضى خلق الأرض " . وهذا لو صحَّ عن كعب احتمل أن يكون حاكياً عن أهل الكتاب ، وكان يحكي عنهم كثيراً ، ولو قدرناه من قوله كان معناه : أنَّ ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ، ثمَّ عرج الرَّبُّ ، أي : عمدَ إلى خلق السَّماء ، وهو قوله : " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ " [البقرة : ٢٩] (٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي أيضاً : " ما أكثر تفاوت النَّاس في الفُهوم ! حتى العلماء يتفاوتون التَّفاوت الكثير في الأصول والفروع : فترى أقواماً يسمعون أخبار الصِّفات ، فيحملونها على ما يقتضيه الحسّ ، كقول قائلهم : ينزل بذاته إلى السَّماء، وينتقل !! وهذا فهمٌ رديء ؛ لأنَّ المنتقل يكون من مكان إلى مكان ، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه ، ويلزم منه الحركة ، وكلُّ ذلك محالٌ على الحقِّ عزَّ وجلَّ " (٣) .

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) أيضاً : " وقد وقف أقوام مَعَ الظَّواهر ، فحملوها عَلَى مقتضى الحسِّ ، فَقَالَ بعضهم : إنَّ اللهَّ جسم ، تعالى اللهَّ عَنْ ذلك ، وهذا مذهب هشام بْن الحكم (١٩٩هـ) ، وعلي

---

(١) انظر : دفع شبه التشبيه بأكفِّ التنزيه (ص١٩٤-١٩٦) .

(٢) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص٢٢٢-٢٢٣) .

(٣) انظر : صيد الخاطر (ص٤٨٧) .

بْن منصور ومحمَّد بْن الخليل ويونس بْن عَبْدِ الرَّحمن ، ثمَّ اختلفوا فَقَالَ بعضهم : جسم كالأجسام ، ومنهم من قَالَ : لا كالأجسام ثمَّ اختلفوا ...

ومن الواقفين مَعَ الحسِّ أقوام ، قالوا : هو عَلَى العرش بذاته عَلَى وجه المماسَّة ، فَإِذَا نزل انتقل وتحرَّك ، وجعلوا لذاته نهاية ، وهؤلاء قد أوجبوا عَلَيْهِ المساحة والمقدار ، واستدلُّوا عَلَى أنَّه عَلَى العرش بذاته بقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل اللهَّ إِلَى سماء الدُّنيا " ، قالوا : ولا ينزل إلَّا من هو فوق ، وهؤلاء حملوا نزوله عَلَى الأمر الحسِّي الذي يوصف به الأجسام ، وهؤلاء المشبِّهة الذين حملوا الصِّفات عَلَى مقتضى الحسّ . وَقَدْ ذكرنا جمهور كلامهم فِي كتابنا المسمَّى : بـ" منهاج الوصول إِلَى علم الأصول " ، ... وإنَّما الصَّواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها ، ... والذي أراه : السُّكوت عَلَى هَذَا التَّفسير أيضاً ، إلَّا أنَّــــه يجوز أن يكون مراداً ، ولا يجوز أن يكـــون ثمَّ ذات تقبل التَّجزِّي ... " (١) .

فما قاله الإمام أَبُو الفَرَجِ ابن الجوزي في النُّصوص السَّابقة ينتظم في النّقاط التَّالية :

١-أمَّا حديث الوطأة ، فهو حديث ضعيف تالف (٢) ، قوله : " وإن آخر وطأة وطئها الرَّحمن بوج " . قال البيهقي في " الأسماء والصِّفات " : الوطأة المذكورة في هذا الحديث عبارة عن نزول بأسه به . قال أبو الحسن علي بن محمَّد بن مهدي : معناه عند أهل النَّظر : أنَّ آخر ما أوقع الله سبحانه وتعالى بالمشركين بالطَّائف ، وكان آخر غزاة غزاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل فيها العدو ، ووج واد بالطَّائف . قال : وكان سفيان بن عيينة يذهب في تأويل هذا الحديث إلى ما ذكرناه ، قال : وهو مثل قوله

---

(١) انظر : تلبيس إبليس (ص٧٨-٨٠ باختصار) .

(٢) قال الشَّيخ الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده ضعيف كسابقه . وهو في " فضائل الصحابة " للمصنف. دون قوله : " وإن آخر وطأة ... " . وأخرجه دونها أيضاً الحاكم ٣/ ١٦٤ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، بهذا الإسناد . وزاد : محزنة . وتحرف فيه اسم الصحابي إلى يعلى بن أمية الثقفي . وأخرجه دونها أيضاً ابن أبي شيبة ١٢/ ٩٧، وابن ماجه (٣٦٦٦) ، والطبراني في " الكبير " ٢٢/ (٧٠٣) ، والرامهرمزي في " الأمثال " (١٤٠) ، والقضاعي في " مسند الشهاب " (٢٥) ، والبيهقي في " السنن " ١٠/ ٢٠٢ من طريق عفان ، به . زاد ابن أبي شيبة والطبراني : اللهمَّ إني أحبها فأحبها . وزاد البيهقي : محزنة . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٢٥٨٧) و٢٢/ (٧٠٣) و (٧٠٤) ، والقضاعي (٢٦) ، والبيهقي في " الأسماء والصِّفات " ص٤٦١ من طريق يحيى بن أبي سليم ، عن ابن خثيم ، به . وفي الباب عن خولة بنت حكيم ، سيأتي ٦/ ٤٠٩ . وعن أبي سعيد الخدري ، عند البزار (١٨٩٢ - كشف الأستار) ، وأبي يعلى (١٠٣٢) . وعن الأسود بن خلف ، عند البزار (١٨٩١) ، والحاكم ٣/ ٢٩٦ ، ولا يصح إسناد واحد منها .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللهمَّ اشدد وطأتك على مضر ، اللهمَّ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف " [١] . قلت : أما وقد ثبت ضعف الحديث ، فلا داعي لكلِّ ما قيل فيه من التَّأويلات ...

٢-أَكَّد الإمام ابن الجوزي على أَنَّه يجب علينا أَن نَعْرِف مَا يجوز على الله سُبْحَانَهُ ، وما يجب له ، وَمَا يَسْتَحِيل عليه ، وَمن المستحيل عَلَيْهِ : الْحَرَكَة والنُّقلة والتَّغيُّر ...

٣-وضَّح وبرهن على أنَّ الواجب على الخلق : اعتقاد التَّنزيه وامتناع تجويز النُّقلة ...

٤-ردَّ على المشبِّهة الذين قالوا : ينزل بذاته إلى السَّماء ، وينتقل ... وأنَّ كلّ ذلك مُحالٌ على الحقِّ عزَّ وجلَّ ، وقد قدَّمنا – سابقاً – ما ذكره أهل العلم من المنع من الكلام عن كلمة " الذَّات " لأنَّها كما صرَّح الذَّهبي : " تُشغبُ النُّفوس " ... وختم الإمام ابن الجوزي كلامه بأنَّ من حادوا عن طريق المنزِّهين لله تعالى عن مشابهة الحوادث يُشيرون بأصولهم إلى ما يوجب التَّجسيم والانتقال والحركة ، وأنَّ ما قالوه هو عين التَّشبيه ، كما أنَّه بعيدٌ عن اللغة ، وأدلَّة العقول ...

وقال الإمام ، القَاضِي ، الرَّئِيْسُ ، العَلاَّمَةُ ، البَارِعُ ، الأَوحدُ ، البَلِيْغُ ، مَجْدُ الدِّين ، أَبُو السَّعَادَاتِ المُبَارَكُ بنُ محمَّد بنِ محمَّد بن عَبْدِ الكَرِيْم بنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الشَّيْبَانِيُّ ، الجَزَرِيُّ ، ثمَّ المَوْصِلِيُّ ، الكَاتِبُ ، ابْنُ الأَثِيْرِ (٦٠٦هـ) : " ... فِيهِ : " إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يَنْزِلُ كلَّ ليلةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " النُّزول ، والصُّعود ، وَالْحَرَكَةُ ، وَالسُّكُونُ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، واللهَّ يَتَعالى عَنْ ذَلِكَ ويتقدَّس . وَالْمُرَادُ بِهِ نُزُولُ الرَّحْمَةِ وَالْأَلْطَافِ الْإِلَهِيَّةِ ، وقُرْبُها مِنَ الْعِبَادِ ، وَتَخْصِيصُهَا بِاللَّيْلِ وَالثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ التَّهجُّد ، وَغَفْلَةِ النَّاس عَمَّنْ يتعرَّض لنفحاتِ رَحْمَةِ اللهَّ . وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النِّية خَالِصَةً ، وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللهَّ وَافِرَةً ، وَذَلِكَ مَظِنَّة الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ " [٢] .

فالإمام ابْنُ الأَثِيْرِ يؤكِّد على وجوب تنزيه الله تعالى عن النُّزول ، والصُّعود ، وَالْحَرَكَةِ ، وَالسُّكُونِ ، وأنَّها مِنْ صِفَاتِ الْمُحدثات ، ولذا يجب أن يُحمَل النُّزولُ والمجيء ... على معاني أخرى مجازيَّة سوى الحركة والنُّقلة من مكان إلى مكان ، وبما ينسجم مع القواطع العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة ...

---

(١) انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٩/ ١٠٤-١٠٥) .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٢) .

وقال الإمام العَلاَّمَةُ الكَبِيْرُ ، ذُو الفُنُوْنِ ، فَخْرُ الدِّين ، محمَّد بنُ عمَرَ بنِ الحُسَيْنِ القُرَشِيُّ ، الرَّازي ، البَكْرِيُّ ، الطَّبَرَستَانِيُّ ، الأُصُوْلِيُّ ، المُفَسِّرُ ، كَبِيْرُ الأَذكيَاءِ وَالحُكَمَاءِ وَالمُصَنِّفِيْنَ (٦٠٦هـ) : " فأمَّا الحديث المشتمل على النُّزول إلى السَّماء الدُّنيا ، فالكلام عليه من وجهين :

الأوَّل : بيان النُّزول ، وهو أنَّ النُّزول قد يُستعمل في غير الانتقال ، وتقريره من وجوه :

أحدها : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، ونحن نعلم بالضّرورة : أنَّ الجَمَلَ أو البَقَرَ ، ما نزل من السَّماء إلى الأرض ، على سبيل الانتقال . وقال الله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٦] ، والانتقال على السَّكينة محالٌ ، وقال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] ، والقرآن سواء قلنا : أنَّه عبارة عن صفة قديمة ، أو قلنا : أنَّه عبارة عن الحرف والصَّوت !!! الانتقال عليه مُحال . وقال الشَّافعي (٢٠٤هـ) المطلبي رضي الله عنه : دخلتُ مصر فلم يفهموا كلامي ، فنزلتُ ، ثمَّ نزلتُ ، ولم يكن المراد من هذا النُّزول : الانتقال .

الثَّاني : أنَّه إن كان المقصود من النُّزول من العرش إلى السَّماء الدُّنيا ، أن يسمع نداؤه ، فهذا المقصود ما حصل ، وإن كان المقصود مجرَّد النِّداء ، سواء سمعناه أو لم نسمعه ، فهذا ممَّا لا حاجة فيه إلى النُّزول من العرش الى السَّماء الدُّنيا ، بل كان يمكنه أن ينادينا ، وهو على العرش . ومثاله : أن يريد من في المشرق إسماع مَنْ في المغرب ومناداته ، فيتقدَّم إلى جهة المغرب ، بأقدام معدودة ، ثمَّ يناديه ، وهو يعلم أنَّه لا يسمعه البتَّة . فههنا تكون تلك الخطوات عملاً باطلاً ، وعبثاً فاسداً ، فيكون كفعل المجانين ، فعلمنا أنَّ ذلك غير لائق بحكمة الله تعالى .

الثَّالث : أنَّ القوم رأوا أنَّ كلَّ سماء في مقابلة السَّماء التي فوقها تكون كقطرة في بحر ، وكدرهم في مفازة . ثمَّ كلّ السَّموات في مقابلة الكرسي ، كقطرة في البحر ، والكرسي في مقابلة العرش كذلك ، ثمَّ يقولون : أنَّ العرش مملوٌّ منه ، والكرسي موضع قدمه ، فإذا نزل إلى السَّماء الدُّنيا ، وهي في غاية الصِّغر ، بالنِّسبة إلى ذلك الجسم العظيم ، فإمَّا أن يقال : أنَّ أجزاء ذلك الجسم العظيم يدخل بعضها في بعض ، وذلك يوجب القول بأنَّ تلك الأجزاء قابلة للتَّفرُّق والتَّمزُّق ، ويوجب القول أيضاً بتداخل الأجزاء بعضها في بعض ، وذلك يقتضي جواز تداخل جملة العالم في خردلة واحدة ، وهو محال ، وإمَّا أن يقال :

إنَّ تلك الأجزاء بليت عند النُّزول إلى السَّماء الدُّنيا ، وذلك قول بأنه قابل للعدم والوجود ، وذلك ممَّا لا يقوله عاقل في صفة الإله تعالى . فثبت بهذا البرهان القاهر : أنَّ القول بالنُّزول على الوجه الذي قالوه باطل .

الرَّابع : أنَّا قد دللنا على أنَّ العالم كرة . وإذا كان كذلك ، وجب القطع بأنَّه أبداً يكون الحاصل في أحد نصفي الأرض هو الليل ، وفي النِّصف الآخر هو النَّهار . فإذا وجب نزوله إلى السَّماء الدُّنيا في الليل ، وقد دللنا على أنَّ الليل حاصل أبداً ، فهذا يقتضي أن يبقى في السَّماء الدُّنيا إلَّا أنَّه يستدير على ظهر الفلك بحسب استدارة الفلك ، وبحسب انتقال الليل من جانب من الأرض إلى جانب آخر ، ولو جاز أن يكون الشَّيء المستدير مع الفلك أبداً : إلهاً للعالم . فلم لا يجوز أن يكون إله العالم هو الفلك ؟ ومعلوم أنَّ ذلك لا يقوله عاقل .

النَّوع الثَّاني من الكلام في هذا الحديث : بناؤه على التَّأويل على سبيل التَّفصيل ، وهو أن يحمل هذا النُّزول على نزول رحمته إلى الأرض . في ذلك الوقت ، والسَّبب في تخصيص ذلك الوقت بهذا الفعل وجوه :

الأوَّل : أنَّ التَّوبة التي يؤتى بها في قلب الليل : الظَّاهر أنَّها تكون خالية عن شوائب الدُّنيا ، لأنَّ الأغيار لا يطلعون عليها ، فتكون أقرب إلى القبول .

والثَّاني : أنَّ الغالب على الإنسان في قلب الليل الكسل والنَّوم والبطالة ، فلولا الجدّ العظيم في طلب الدِّين ، والرَّغبة الشَّديدة في تحقُّقه ، لما تحمَّل مشاق السَّهر ، ولَّما أعرض عن اللذَّات الجسمانيَّة ، ومتى كان الجدّ والرَّغبة والإخلاص ، أتمّ وأكمل ، كان الثَّواب أوفر .

الثَّالث : أنَّ الليل وقت الكسل والفتور ، فاحتيج في التَّرغيب في الاشتغال بالعبادة في الليل إلى مزيد أمور تؤثِّر في تحريك دواعي الاشتغال والتَّهجُّد ، فيحسن أنَّ الشَّارع إنَّما خصَّ هذا الوقت بمثل هذا الكلام . ليكون توفُّر الدواعي على التَّهجُّد : أتم ، فهذه الجهات الثَّلاث تصلح أن تكون سبباً لتخصيص الشَّرع هذا الوقت بهذا التَّشريف . ولأجلها قال الله تعالى : ﴿ وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : ١٨] ، وقال : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] .

الوجه الرَّابع : أنَّ جمعاً من أشراف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله تعالى ، فأضيف ذلك إلى الله تعالى ، لأنَّه حصل بسبب أمر الله تعالى . كما يقال : بنى الأمير داراً ، وضرب ديناراً . وممَّن ذهب إلى هذا التَّأويل : من يروي الخبر بضم الياء تحقيقاً لهذا المعنى .

واعلم : أنَّ تمام التقرير في هذا الخبر : أنَّ من نزل من الملوك عند إنسان لإصلاح شأنه ، والاهتمام بأمره ، فأنه يكرمه جداً . بل يكون نزوله عنده مبالغة في إكرامه ، ولما كان النُّزول موجباً للإكرام ، أو موجباً له ، أطلق اسم النُّزول على الإكرام . وهذا أيضاً هو المراد بقوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وذلك أنَّ الملك إذا جاء وحضر لفصل الخصومات ، عظم وقعه ، واشتدَّت هيبته ، والله أعلم " (١) .

ففي هذا الكلام الرَّائع ، الجامع المانع ، لخَّص الإمام الرَّازي مسألة النُّزول بأروع بيان ، وناقشها مناقشة علميَّة وشرعيَّة لذوي الإيمان ، فأجاد فيها وأفاد ، ولم يبق بعدها حجَّة لأحد من العباد ممَّن أراد الحقّ والهدى والرَّشاد ، فقد بيَّن أموراً دلَّت على علم غزير بالأفلاك حين دلَّل في غير ما كتاب من كتبه على كرويَّة الأرض التي تنسف العديد ممَّا يراه المبطلون من المسائل العقديَّة كمسألة النُّزول والجهة ... كما ناقش النُّزول مناقشة عقديَّة ولغويَّة ...

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشَّيخ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ (٦٥٦هـ) : " وقوله : " ينزلُ ربُّنا " كذا صحَّتِ الروايةُ هنا ، وهي ظاهِر في النُّزول المعنوي ، وإليها يردُّ " ينزلُ " على أحد التَّأويلات ، ومعنى ذلك : أنَّ مقتضى عظمةِ الله تعالى وجلاله ، واستغنائه ، إلَّا يعبأ بحقيرٍ ، ذليل ، فقير ، لكن ينزل بمقتضى كرمه ولُطفه ؛ لأنْ يقول : " من يقرضُ غيرَ عَدُوم ولا ظَلُوم " . ويكون قولُه : " إلى السَّماء الدُّنيا " عبارةً عن الحاجة القريبة إلينا ، والدُّنيا بمعنى : القُربى ، والله أعلم . وقد قيَّده بعضُ النَّاس " يُنزِل " بضم الياء ، من : أنزل ، فيكون مُعدًّى إلى مفعولِ محذوف ؛ أي : يُنزلُ اللهُ مَلَكًا فيقولُ : كذا . وأمَّا رواية : " ينزل " ثلاثيًّا ، مِن " نزل " ، فهي صحيحةٌ أيضاً ، وهي من باب حَذْف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . كما قال تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

(١) انظر : أساس التقديس (ص٢٠٤-٢٠٧) .

فِيها ﴾ [يوسف : ٨٢] . وقد دلَّ على صحَّة هذا التَّأويل ما رواه النسائيُّ عن أبي هريرة وأبي سعيد ، قالا : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمهلُ حتى يمضي شطرُ الليل الأول ، ثمَّ يأمرُ منادياً يقول : هل مِن داعٍ يُستجاب له ؟ هل من مُستغفرٍ يُغفر له ؟ هل من سائلٍ يُعطى " ؟ وهذا صحيح ، وهو نمو ، وبه يرتفع الإشكـــال ، وقد قدَّمنا في كتاب الإيمان ما تُحمل عليه هذه المشكلات كلُّها " (١) .

فقد ذهب الإمام أحمد بن عمر القرطبي إلى القول بأنَّ المراد بالنُّزول : النُّزول المعنوي وليس المادي ، شأنه في ذلك شأن جمهور علماء الأمَّة الذين التزموا جانب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ولوازمها ...

وقال الإمام عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن ، شيخ الإسلام وبقيَّة الأعلام ، الشَّيخ عز الدِّين أبو محمَّد الدِّمشقيُّ الشافعيُّ (٦٦٠هـ) ، فيما نقله عنه الإمام تاج الدِّين السُّبكي : " وَأَنَّه لَيْسَ بجسم مُصَور ، وَلَا جَوْهَر مَحْدُود مُقَدّر ، وَأَنَّه لَا يماثل الْأَجْسَام ، لَا فِي التَّقْدِير وَلَا فِي قبُول الانقسام ، وَأَنه لَيْسَ بجوهر وَلَا تحلُّه الْجَوَاهِر ، وَلَا بِعرْض وَلَا تحله الْأَعْرَاض ، بل لَا يماثل مَوْجُوداً ، وَلَا يماثله مَوْجُود ، ولَيْسَ كمثله شَيْء ، ولا هو مثل شَيْء ، وَأَنه لَا يحدُّه الْمِقْدَار ، وَلَا تحويه الأقطار ، وَلَا تحيط بِهِ الْجِهَات ، وَلَا تكتنفه الأرضون وَالسَّمَوَات ، وَأَنه اسْتَوَى على الْعَرْش على الْوَجْه الَّذِي قَالَه ، وبالمعنى الَّذِي أَرَادَهُ ، اسْتِوَاء منزَّهاً عَن المماسَّة والاستقرار ، والتَّمكُّن والحلول والانتقال ... " (٢) .

وقال الإمام المتفنّن ، المتبحِّر فِي العلم ، العالم ، الجليل ، الفاضل ، الفقيه ، المفسِّر ، المحصِّل ، المحدِّث ، المتفنِّن ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري ، الخزرجي ، شمس الدِّين القرطبي ، صاحب التَّصانيف المفيدة التي تدلّ على كثرة اطّلاعه ووُفُور فضْله ، ومُصَنف التَّفْسِير الْمَشْهُور الَّذِي سَارَتْ بِهِ الركْبَان (٦٧١هـ) : " ... وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ﴾ [آل عمران : ١٧] ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ (١٧٩هـ) : هُمُ السَّائِلُونَ الْمَغْفِرَةَ . قَتَادَةُ (١١٨هـ) : الْمُصَلُّونَ

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٠) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٢٣١) .

قُلْتُ : وَلَا تَنَاقُضَ ، فَإِنَّهُمْ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ ، وَخَصَّ السَّحَرَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَظَانُّ الْقَبُولِ وَوَقْتُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ . قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى مُخْبِراً عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٨] : ﴿ أَنَّه أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ﴾ . خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ ...

وَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ : " أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ " ؟ فَقَالَ : " لَا أَدْرِي ، غَيْرَ أَنَّ الْعَرْشَ يَهْتَزُّ عِنْدَ السَّحَرِ " . يُقَالُ سَحَرٌ وَسَحْرٌ ، بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ (٣١٠هـ) : السَّحَرُ مِنْ حِينِ يُدْبِرُ اللَّيْلُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ الثَّانِي ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : السَّحَرُ هُوَ سدس الليل الأخر .

قُلْتُ : أَصَحُّ مِنْ هَذَا مَا رَوَى الْأَئِمَّةُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَنْزِلُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ " ، فِي رِوَايَةٍ : " حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ " لَفْظُ مُسْلِمٍ (١) .

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِهِ ، وَأَوْلَى مَا قِيلَ فِيهِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النَّسَائِيِّ مُفَسَّرًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى " . صَحَّحَهُ أَبُو محمَّد عَبْدُ الْحَقِّ ، وَهُوَ يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ وَيُوَضِّحُ كُلَّ احْتِمَالٍ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ ، أَيْ : يَنْزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا فَيَقُولُ . وَقَدْ رُوِيَ" يُنْزِلُ " بِضَمِ الْيَاءِ ، وَهُوَ يُبَيِّنُ مَا ذَكَرْنَا ، وَبِاللهَّ تَوْفِيقُنَا . وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِهِ فِي" الْكِتَابِ الْأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللهَّ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى " (٢) .

فالإمام القرطبي يؤكِّد على أنَّ وقت السَّحر هو وقت الْقَبُولِ والإجابة ... ولذلك فإنَّه بعد أن ذكر حديث النُّزول ، قال : وَأَوْلَى مَا قِيلَ فِيهِ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النَّسَائِيِّ مُفَسَّراً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ... وهو يرى أنَّ رواية النَّسائي : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ ... تفسير

---

(١) انظر : صحيح مسلم (١/ ٥٢٢ برقم ٧٥٨) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٨-٣٩) .

لحديث النُّزول ، وبالتَّالي فإنَّ الإمام القرطبي يذهب في النُّزول مذهب المؤوِّلة الذين رأوا فيه نزولاً معنويَّاً بعيداً عن الحركة والنُّقلة ...

وقال الإمام القرطبي أيضاً : " وحديث النُّزول ثابت في الأمَّهات ، خرَّجه الثِّقات الأثبات ، والمسلمون مجمعون على أنَّ النُّزول غير محمول على الاتِّصال ، والانتقال ، والاستقرار ، والزَّوال ، وشغل مكان وتفريغ مكان . وذكر الخطَّابي في المعالم في كلامه على حديث النُّزول : وَقَدْ زَلَّ بَعْضُ شُيُوخِ الْحَدِيثِ بأن قَالَ : فإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء ؟ قِيلَ: يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءُ . فَإِنْ قَالَ :كيف يَتَحَرَّكُ ؟ قيل له : إِنْ شَاءَ تَحَرَّكُ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَتَحَرَّكْ . قال الخطابيُّ : وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ عَظِيمٌ ، وَاللهُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ يَتَعَاقَبَانِ فِي مَحِلٍّ وَاحِدٍ ، وإِنَّما يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسُّكُونِ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الْمحَدَثِ ، وَأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَاللهُ تَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْهُمَا ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . فَلَوْ جَرَى هَذَا الشَّيخ – عفا الله عنا وعنه – عَلَى طَرِيقَةِ السَّلف الصَّالح ، وَلَمْ يُدْخِلْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ الذي لَا يُثْمِرُ خَيْراً وَلَا يُفِيدُ رُشْداً ، نَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَالْقَوْلِ بِما لَا يَجُوزُ مِنَ الْفَاسِدِ وَالْمُحَالِ .

قلت : حديث النُّزول نحمله عندنا على أحد معنيين : إمَّا على حذف مضاف ، كما رواه النَّسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى " . صَحَّحَهُ أَبُو محمَّد عَبْدُ الْحَقِّ ، وَهُوَ يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ وَيُوَضِّحُ كُلَّ احْتِمَالٍ . فمعنى ينزل ربُّنا : ينزل مَلَك ربّنا . وقد روي بضم الياء ، وهو يبيِّن ما ذكرنا ، والسُّنَّة تفسِّر بعضها بعضاً ، وكذلك الآيات .

والمعنى الثَّاني : أن يكون نزول الله تعالى عبارة عن إفضاله وإحسانه وقُربه من العبد قُرب إكرام وقبول توبة وغفران . ومنه قول النَّاس : نزل السُّلطان إلى النَّاس : إذا عدل عليهم وخفض جناحه لهم ، فيكون من صفات الأفعال . ولا سبيل إلى حمله على صفات الذَّات ، فإنَّ الحديث فيه مصرَّح بتجدُّد النُّزول ، واختصاصه ببعض الأوقات والسَّاعات . والصِّفات التي تثبت للذَّات يجب اتِّصافها بالقدم ، وتنزيهها عن الحدوث والتَّجدُّد والاختصاص بالزَّمان ، والاستواء من هذا القبيل أيضاً ، فإنَّ كلّ ما لم يكن فكان أو لم يثبت ثمَّ ثبت فهو من قبيل الأفعال ، ويستحيل أن يكون الحادث المفتتح الوجود صفة

لله تعالى ، فإنَّه يتعالى عن قبول الحوادث ، وكلّ قابل للحوادث فهو حادث . وإنَّما النُّزول والاستواء من صفات الأفعال . فالحادثات المتجدِّدات المتخصِّصة بالأوقات أفعال الله . والقول في المجيء يحلُّ هذا المحل ، فإنَّه يتخصَّص بوقت فعل حادث ، والحوادث لا تكون صفة ذات لله تعالى " (١) .

فالإمام القرطبي هنا يؤكِّد على أنَّ كلّ ما لم يكن فكان أو لم يثبت ثمَّ ثبت فهو من قبيل صفات الأفعال ، ولا يجوز أن يكون من صفات الذَّات ، فالأفعال حادثة ، ومثال أفعاله تعالى : النُّزول والاستواء ، وهما حادثان ، والحوادث لا تكون صفة ذات لله تعالى ...

وقال الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين محمَّد بن جمعة بن حرام الشَّيخ الإمام العلَّامة محيي الدِّين أبو زكريَّا الحزامي ، النَّووي ، الحافظ ، الفقيه ، الشَّافعي ، النَّبيل ، محرِّرُ المذهب ومهذِّبه ، وضابطه ، ومرتِّبه ، أحد العُبَّاد والعلماء الزهَّاد (٦٧٦هـ) في كلامه على حديث النُّزول : " في هَذَا الْحَدِيثِ وَشَبَهِهِ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات وَآيَاتِهَا مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ :

أَحَدُهُمَا : تَأْوِيلُهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِ اللهِ سبحانه وتعالى ، وتنزيهه من الِانْتِقَالِ وَسَائِرِ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ ، وَهَذَا هُوَ الْأَشْهَرُ عن الْمُتَكَلِّمِينَ .

والثَّاني : الْإِمْسَاكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ ، لِقَوْلِهِ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، وَهَذَا مَذْهَبُ السَّلف وَجَمَاعَةٍ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَحَاصِلُهُ : أَنْ يُقَالَ : لَا نَعْلَمُ الْمُرَادَ بِهَذَا ، وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ مَعَ اعْتِقَادِنَا أَنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَهُ مَعْنًى يَلِيقُ بِاَللهِ تَعَالَى ، وَاَللهُ أَعْلَمُ " (٢) .

وقال الإمام النَّووي في كلامه على حديث النُّزول أيضاً : " ... مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات وَفِيهِ مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ سَبَقَ إِيضَاحُهُمَا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَمُخْتَصَرُهُمَا أَنَّ : أَحَدُهُمَا : وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلف وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ : أَنَّه يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق .

---

(١) انظر : الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٢٠١-٢٠٣) .

(٢) انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٤٧-٤٨) .

والثَّاني : مذهب أكثر المتكلِّمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلف ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) : أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بها بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا . فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ : أَحَدُهُمَا : تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (١٧٩هـ) وَغَيْرُهُ ، مَعْنَاهُ : تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ ، كَمَا يُقَالُ : فَعَلَ السُّلْطَانُ كَذَا إِذَا فَعَلَهُ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ . والثَّاني : أَنَّه عَلَى الِاسْتِعَارَةِ ، وَمَعْنَاهُ : الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعين بالإجابة واللطف ، والله أعلم " (١) .

فالنَّووي يحكي للعلماء في أحَادِيثِ الصِّفات مَذْهَبَينِ مَشْهُورَينِ ، وهما : الإِيْمَانُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهِ تَعَالَى عن الحوادث ولوازمها . وهذا الذي ذكره الإمام النَّووي هو مذهب جمهور السَّلف وبعض الخلف الذين قالوا : نؤمن بها ونصدِّق بها ولا كيْف ولا معنى ، ولا نردُّ منها شيئاً ، ونعلم أنَّ ما جاء به رسول الله حقٌّ ، ولا نردُّ على الله قوله ، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر ممَّا وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غايةٍ ، " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ...

والثَّاني : تأويلها عَلَى مَا يَلِيقُ بها بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا ، وهذا مذهب جمهور الخلف وبعض السَّلف ...

وما ذكره الإمام النَّووي مُلخَّصاً ، هو الحقُّ الذي ليس بعده إلَّا الضَّلال ، وقد استوفيت هذا كلّه في رسالتي للماجستير ، وكانت بعنوان : " التَّفويض في صفات الله تعالى بين السَّلف والخلف " ...

وقال الإمام محمَّد بن مكرَّم ، بتشديد الراء ، ابن علي بن أحمد الأنصاري ، الرّويفعي ، الأفريقي ، ثمَّ المصري ، القاضي الفاضل جمال الدِّين أبو الفضل ، ابن منظور (٧١١هـ) : " وَفِي الْحَدِيثِ : " إن اللهَّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَنْزِل كُلَّ لَيْلَةٍ إِلى سَمَاءِ الدُّنيا " ؛ النُّزول والصُّعود وَالْحَرَكَةُ والسُّكونُ مِنْ صِفَاتِ الأَجسام ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ وَيَتَقَدَّسُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : نُزول الرَّحْمَةِ والأَلطافِ الإِلهية وقُرْبها مِنَ الْعِبَادِ ، وتخصيصُها بِاللَّيْلِ وبالثُلث الأَخيرِ مِنْهُ ، لأَنه وقتُ التهجُّد ، وغفلةِ النَّاس عمَّن يتعرَّض لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهَّ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النيةُ خَالِصَةً ، والرغبـــةُ إِلى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وافِرة ، وَذَلِكَ مَظِنَّة الْقَبُولِ والإِجابة " (٢) .

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٣٦-٣٧) .

(٢) انظر : لسان العرب (١١/ ٦٥٧) .

فالأديب والمؤرِّخ والعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربيَّةِ ، ابن منظور صاحب لسان العرب الذي جمع فيه أمَّهات كتب اللغة : «تهذيب اللغة» لأبي منصور الأزهري (٣٧٠ هـ) ، «الصِّحاح» للجوهري (٣٩٣ هـ)، «المحكم» لابن سِيْدَه (٤٥٨ هـ)، «حواشي ابن برّي» (٥٨٢ هـ) على الصِّحاح ، «النِّهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الجزري (٦٠٦ هـ) يرى أنَّ المُرَادُ بالنُّزول : نُزول الرَّحْمَةِ والأَلطافِ الإِلهيَّة وقُرْبها مِنَ الْعِبَادِ ، وتخصيصُها بِاللَّيْلِ وبالثُلث الأَخيرِ مِنْهُ ، لأَنَّه وقتُ التَّهجُّد ... وهذا – كما رأيتم وسترون – منهج كلّ من يفهم لغة البيان ، ويؤمن بمجازها الذي يعني نصف جمال اللغة ، والذي لا يشكُّ فيه إلَّا من أُصيب بالعمى والصَّمم والهذيان ...

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (٧٢٥هـ) في معرض كلامه على حديث النُّزول : " هذا الحديث من أحاديث الصِّفات ، وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان : مذهب السَّلف : الإيمان به ، وإجراءه على ظاهره ، ونفي الكيفيَّة عنه ، والمذهب الثَّاني : هو مذهب من يتأوَّل أحاديث الصِّفات .

قال أبو سليمان الخطَّابي : إنَّما يُنكرُ هذا الحديث من يقيسُ الأمور على ما يشاهده من النُّزول الذي هو تَدَلٍّ من أعلى إلى أسفل ، وانتقال من فوق إلى تحت ، وهذا صفة الأجسام ، فأمَّا نزول من لا تستولي عليه صفات الأجسام ، فإنَّ هذه المعاني غير متوهَّمة فيه ، وإنَّما هو خبرٌ عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ، ومغفرته لهم ، يفعل ما يشاء ، لا يتوجَّه على صفاته كيفيَّة ، ولا على أفعاله كميَّة ، سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] (١) .

فالذي ذكره الإمام الخازن هو عينُ ما ذكره الامام النَّووي وغيرُه من فحول وأساطين وجهابيذ العلم ، سلفاً وخلفاً ، وهذا هو لسان حال كلّ من له علم أو إلمام بدين وعقيدة الأمَّة في الصِّفات ...

وقال الإمام محمَّد بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ اللهَّ بْنِ جَمَاعَةَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَمَاعَةَ الْكِنَانِيُّ الْحَمَوِيُّ الشَّافِعِيُّ، قَاضِي الْقُضَاةِ بَدْرُ الدِّين أَبُو عَبْدِ اللهَّ الإِمَامُ الْمُفْتِي (٧٣٣هـ) : " اعْلَم أَنَّ النُّزول الَّذِي هُوَ الِانْتِقَال من علوّ إِلَى سفل لَا يجوز حمل الحَدِيث عَلَيْهِ لوجوه :

---

(١) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٢٨) .

الأوَّل : النُّزول من صِفَات الْأَجْسَام والمحدثات ، وَيحْتَاج إِلَى ثَلَاثَة أجسام : منتقلٌ ، ومنتقل عَنهُ ، ومنتقل إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ على الله تَعَالَى محَال .

الثَّاني : لَو كَانَ النُّزول لذاته حَقِيقَة لتجدَّدت لَهُ فِي كلِّ يَوْم وَلَيْلَة حركات عديدة تستوعب اللَّيْل كُله ، وتنقلات كَثِيرَة ، لِأَنَّ ثلث اللَّيْل يَتَجَدَّد على أهل الأَرْض مَعَ اللحظات شَيْئاً فَشَيْئاً ، فَيلْزم انْتِقَاله فِي السَّماء الدُّنيا لَيْلاً وَنَهَاراً ، من قوم إِلَى قوم ، وعودة إِلَى الْعَرْش فِي كل لَحْظَة على قَوْلهم ، ونزوله فِيهَا إِلَى سَماء الدُّنيا ، وَلَا يَقُول ذَلِك ذو لبٍّ وَتَحْصِيل .

الثَّالِث : أَنَّ الْقَائِل بِأَنَّهُ فَوق الْعَرْش ، وَأَنه ملأَهُ ، كَيفَ تسعه سَماء الدُّنيا ؟! وَهِي بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَرْش كحلقة فِي فلاة ، فَيلْزم عَلَيْهِ أحد أَمريْن : إمَّا اتِّساع سَماء الدُّنيا كل سَاعَة حَتَّى تِسْعَة ، أَو تضاؤل الذَّات المقدسة عَن ذَلِك حَتَّى تِسْعَة ، وَنحن نقطع بِانْتِفَاء الْأَمريْنِ .

الرَّابع : إِن كَانَ المُرَاد بالنُّزول اسْتِماع الْخلق إِلَيْهِ ، فَذَلِك لم يحصل بِاتِّفَاق ، وَإِن كَانَ المُرَاد بِهِ النِّداء من غير إسماع فَلَا فَائِدَة فِيهِ ، ويتعالى الله عَن ذَلِك .

إِذا ثَبت ذَلِك فقد ذهب جمَاعَة من السَّلف إِلَى السُّكُوت عَن المُرَاد بذلك النُّزول ، مَعَ قطعهم بِأَنَّ مَالا يَلِيق بجلاله تَعَالَى غير مُرَاد ، وتنزيهه عَن الْحَرَكَة والانتقال .

قَالَ الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) : وَقد سُئِلَ عَن ذَلِك ، فَقَالَ : يفعلُ الله مَا يَشَاء " (١) .

فالإمام ابن جماعة يلخِّص ما ذكرناه سابقاً من كلام الإمام الرَّازي ، وينصُّ على استحالة الحركة والنُّقلة على الله تعالى ، لأنَّ النُّزول من صِفَات الْأَجْسَام والمحدثات ، وَيحْتَاج إِلَى ثَلَاثَة أجسام : منتقل ، ومنتقل عَنهُ ، ومنتقل إِلَيْهِ ، وقد دلَّ النَّقل والعقل على أنَّ الله ليس جسماً ، ولا عَرَضَاً ، ولا جوهراً ، سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، والجسم كلُّ ما له طول وعرض وعمق ، ويحتاج الى الحيِّز والمحلّ والمكان ...

ثمَّ عمد الإمام إلى مناقشة مسألة النُّزول مناقشة علميَّة ، فقال : لَو كَانَ النُّزول لذاته حَقِيقَة لتجدَّدت لَهُ فِي كلِّ لحظة حركة جديدة ، وهذا تغيُّر ، والتَّغيُّر والتَّحوُّل من أمارات الحدث ، فثلث

---

(١) انظر : إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص١٦٤-١٦٥) .

اللَّيْل يَتَجَدَّد على أهل الأَرْض في كلِّ لحظة ، وهذا مدعاة للبقاء في السَّماء الدُّنيا ، وهو يتعارض مع ما ذهب إليه مدَّعو السَّلفيَّة من الجلوس والاستقرار على العرشِ ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة يزعمون أنَّ السَّماء الدُّنيا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَرْش كحلقة فِي فلاة ، مستشهدين بحديث : " ... مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ ... " ، مع أنَّ الحديث بطرقة السَّبعة ضعيف ، ضعَّفه غير واحد من أهل العلم ... وهو خبر منكر ... وَيلْزم عَلَيْهِ أحد أَمريْن : إمَّا اتِّساع سَمَاء الدُّنيا كلّ سَاعَة حَتَّى تسعَه ، أَو تضاؤل الذَّات المقدسة عَن ذَلِك حَتَّى تَسعَه والعياذ بالله ، وَنحن نقطع بِانْتِفَاء الْأَمريْنِ ...

ثمَّ إِن كَانَ الْمُرَاد بالنُّزول اسْتِمَاع الْخلق إِلَيْهِ ، فَذَلِك لم يحصل بِاتِّفَاق ، وَإِن كَانَ الْمُرَاد بِهِ النِّداء من غير إسماع فَلَا فَائِدَة فِيهِ ، ويتعالى الله عَن ذَلِك .

وأخيراً خلص إلى ما قاله جمهور السَّلف من السُّكُوت عَن الْمُرَاد بذلك النُّزول ، مَعَ قطعهم بِأَنَّ مَالا يَلِيق بجلاله تَعَالَى غير مُرَاد ، والواجب تنزيهه سبحانه وتعالى عَن الْحَرَكَة والانتقال ...

هذا باختصار مُجمل ما لخَّصه الإمام ابن جماعة في مسألة النُّزول ، ومن المعلوم أنَّ الإمام الذَّهبي – تلميذ ابن تيمية – قد نعت الإمام ابن جماعة بنعوت طيِّبة ، فقال عنه : " ... قَاضِي الْقُضَاةِ ، شَيْخُ الإِسْلام ، الْمُفَسِّرُ ، صاحب التَوَالِيفُ فِي الْفِقْهِ ، وَالْحَدِيثِ ، وَالأُصُولِ ، وَالتَّارِيخِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَهُ مُشَارَكَةٌ حَسَنَةٌ فِي عُلُومِ الإِسْلامِ مَعَ دِينٍ ، وَتَعَبُّدٍ ، وَتَصَوُّفٍ ، وَأَوْصَافٍ حَمِيدَةٍ ، وَأَحْكَام مَحْمُودَةٍ . وَلَهُ النَّظْمُ ، وَالنَّثْرُ ، وَالْخُطَبُ ، وَالتَّلامِذَةُ ، وَالْجَلالَةُ الْوَافِرَةُ ، وَالْعَقْلُ التَّامُّ ، وَالْخُلُقُ الرَّضِيُّ ، فَاللهُ يُحْسِنُ خَاتِمَتَهُ ، وَهُوَ أَشْعَرِيٌّ فَاضِلٌ !!! " (١) ... وهنا أؤكِّد على أنَّ أغلب النُّعوت التي صَدَّرتُها عند نقل كلام العلماء ... هي من ثناء الإمام الذَّهبي عليهم في ترجمته لهم في كُتُبه المختلفة ...

وقال الإمام أَحْمد بن يحيى بن إِسْمَا عِيل الشَّيخ شهَاب الدِّين ابْن جهبل الْكلابِي الْحلَبِي (٧٣٣هـ) فيما نقله عنه الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ما نصّه : " أَمَّا التَّقْدِيس فَهُوَ أَن يعْتَقد فِي كلِّ آيَة أَو خبر معنى يَلِيق بِجلَال الله تَعَالَى ، مِثَال ذَلِك : إِذا سمع قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "

(١) انظر : معجم الشيوخ الكبير (٢/ ١٣٠) .

إِنَّ الله ينزل كل لَيْلَة إِلَى سَمَاء الدُّنيا " ، وَكَانَ النُّزول يُطلق على مَا يفْتَقر إِلَى جسم عَال ، وجسم سافل ، وجسم منتقل من العالي إِلَى السَّافل .

والنُّزول انْتِقَال جسم من علو إِلَى سفل ، وَيُطلق على معنى آخر لَا يفْتَقر إِلَى انْتِقَال وَلَا حَرَكَة جسم ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : " وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ " [الزمر : ٦] ، مَعَ أَنَّ النَّعم لم تنزل من السَّماء ، بل هِيَ مخلوقة فِي الْأَرْحَام قطعاً ، فالنُّزول لَهُ معنى غير حَرَكَة الْجِسْم لَا محَالة .

وَفهم ذَلِك من قَول الإِمَام الشَّافِعِي (٢٠٤هـ) رَضِي الله عَنهُ : دخلت مصر فَلم يفهموا كَلَامي ، فَنزلتُ ثمَّ نزلتُ ثمَّ نزلتُ ، وَلم يرد حِينَئِذٍ الِانْتِقَال من علو إِلَى سفل .

فليتحقَّق السَّامعُ أَنَّ النُّزول لَيْسَ بِالْمَعْنَى الأول فِي حقِّ الله تَعَالَى ، فَإِنَّ الْجِسْم على الله مُحَال ، وَإِن كَانَ لَا يفهم من النُّزول الِانْتِقَال ، فَيُقَال لَهُ : من عجز عَن فهم نزُول الْبَعِير ، فَهُوَ عَن فهم نزُول الله عزَّ وَجلَّ أعجز . فَاعْلَم أَنَّ لهَذَا معنى يَلِيق بجلاله ...

وَكَذَلِكَ لَفْظَة " فَوق " الْوَارِدَة فِي الْقُرْآن وَالْخَبَر ، فَليعلم أَنَّ " فَوق " تَارَة تكون للجسميَّة ، وَتارَة للمرتبة ، كَمَا سبق ، فَليعلم أَنَّ الجسميَّة على الله محَال ، وَبعد ذَلِك : إِنَّ لَهُ معنى يَلِيق بجلاله تَعَالَى " (١) .

ففي كلامه على حديث النُّزول أكَّد الإمام ابن جهبل على وجوبِ تَنزيه الله عن مُشابهةِ البشَر وسائر المحدثات ، وأنَّ الخالقَ المكوِّنَ للشّيء يستَحيلُ أن يكونَ مُشابهاً لشيء ممَّا خلق ، ولذا فَاعْلَم أَنَّ للنُّزول معنى يَلِيق بجلال الله تعالى ، وهذا هو التَّفويض الإجمالي الذي سار عليه جمهور السَّلف وبعض الخلف ، كما عُلم ...

وقال الإمام شرف الدِّين الْحُسَيْن بن محمَّد بن عبد الله الطَّيِّبيّ الإِمَام الْمَشْهُور صَاحب شرح الْمشكاة (٧٤٣هـ) : " لَمَّا ثبت بالقواطع العقليَّة والنَّقليَّة أنَّه تعالى منزَّه عن الجسميَّة ، والتَّحيُّز ، والحلول ، امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، بل المعني به على ما ذكره أهل الحقّ : دنوُّ رحمته ، ومزيد لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك الكرماء ، والسَّادة الرُّحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ، ملهوفين فقراء مستضعفين ... " (٢) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٨١) .

(٢) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمَّى الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ١٢٥-١٢٦) .

فقد ركَّز الإمام الطيبي (٧٤٣هـ) في حديثه عن النُّزول على أنَّ الله تعالى منزَّه عن الجسميَّة وسائر لوازم المحدثات ، فلا يوصف بشيء من صفات المخلوقين . وإذا كان الحال كذلك امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من مكان إلى مكان لأنَّه منزَّه عن المكان ، وغني عن سائر المُحدثات ، وما نسبة المكان إليه تعالى إلَّا نسبة مخلوق إلى خالق سبحانه ... والمعنى – على ما ذكره أهل الحقِّ – : دنوُّ رحمته ولطفه على العباد ، كما هو ديدنُ الكُرماء والأجواد والنُّبلاء ، إذا نزلوا بقرب الفقراء والمحتاجين والمُعْوزين والمستضعفين ، أغنوهم ، وأكرموهم ، وأسعدوهم ...

وقال الإمام محمَّد بن أَحْمد بن عُثْمَان بن قايماز بن عبد الله التُّركماني الأَصْل الفارقي ثمَّ الدِّمَشْقِي الْحَافِظ أَبُو عبد الله شمس الدِّين الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : حدَّثنا محمَّد بنُ هَارُوْنَ بنِ حَسَّانٍ ، حدَّثنا صَالِحُ بنُ أَيُّوْبَ ، حدَّثنا حَبِيْبُ بنُ أَبِي حَبِيْبٍ ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ (١٧٩هـ) ، قَالَ : يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – أَمْرُهُ ، فَأَمَّا هُوَ ، فَدَائِمٌ لاَ يَزُوْلُ . قَالَ صَالِحٌ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِيَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، فَقَالَ : حَسَنٌ وَالله ، وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ مَالِكٍ .

قُلْتُ : لاَ أَعْرِفُ صَالِحاً ، وَحَبِيْبٌ مَشْهُوْرٌ ، وَالمَحْفُوْظُ عَنْ مَالِكٍ – رَحِمَهُ اللهُ – رِوَايَةُ الوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ ، أَنَّه سَأَلَهُ عَنْ أَحَادِيْثِ الصِّفات ، فَقَالَ : أَمِرَّهَا كَمَا جاءتْ ، بِلاَ تَفْسِيْرٍ . فَيَكُوْنُ لِلإِمَامِ فِي ذَلِكَ قَوْلاَنِ إِنْ صَحَّتْ رِوَايَةُ حَبِيْبٍ " (١) .

فهذا الإمام الذَّهبي ، وهو تلميذ لابن تيمية ، ينقل في كتابه : " سير أعلام النُّبلاء " تأويل مالك (١٧٩هـ) للنُّزول بنزول أمره تعالى ، ولم يعترض عليه ... أمَّا هو سبحانه فدائم لا يزول سبحانه ، وفي هذا الكتاب نقلت عن غير واحد من العلماء تأويل مالك للنُّزول بنزول أمره ورحمته سبحانه ... وحتَّى الرِّواية الثَّانية عن مالك حملت تفويض المعنى والكيْف ، فقد نصَّ على وجوب إمرار النُّصوص المتشابهة من غير تفسير ، وهو المروي عن جمهور السَّلف وبعض الخلف ، كما تقدَّم ...

ومن المعلوم أنَّ العلماء عرَّفوا التَّفْسِيرُ بتعريفات متقاربة ...

قال الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي : " التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللهَّ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥) .

وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ " (١) .

وعرَّفه الإمام علي بن محمَّد بن علي الزّين الشَّريف الجرجاني بقوله : " التَّفسير : في الأصل هو الكشف ، والإظهار ، وفي الشَّرع : توضيح معنى الآية ، وشأنها ، وقصَّتها ، والسَّبب الذي نزلت فيه ، بلفظ يدلُّ عليه دلالةً ظاهرة " (٢) .

وعرَّفه الإمام محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني بقوله : " والتَّفسير في الاصطلاح : علمٌ يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطَّاقة البشريَّة " (٣) .

فعلى ضوء ما سبق بيانه من تعريف فحول وأساطين العلم للتَّفسير يتبيَّن لنا أنَّ التَّفسير : علمٌ متعلقٌ ببيان معاني ألفاظ القرآن ، للوقوف قدْر الإمكان ، وبحسب الطَّاقـــة البشريَّة ، على مُراد الله تعالى ...

وبما أنَّ الرِّوايات المتوافرة عن جمهور السَّلف الصَّالح منعت تفسير مُشكل القرآن ومُتشابهه ، بقولهم : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءتْ بِلاَ تَفْسِيرٍ ، إذاً فإنَّ مدَّعي السَّلفيَّة مجانبون للحقِّ ومخالفون للسَّلف في مدَّعاهم حين تكلَّموا في معنى المتشابه ، وفوَّضوا الكيْفيَّة ...

وقال الإمام صلاح الدِّين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (٧٦١هـ) : وَطَرِيقُ الصَّوَابِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إمَّا فِي الإِيمَانِ بِهِ وَتَفْوِيضِ عِلْمِهِ إِلَى اللهَّ سُبْحَانَهُ ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الظَّاهِرَ الْمُوهِمَ لِلْجِسْمِيَّةِ وَقُبُولَ الْحَوَادِثِ غَيْرُ مُرَادٍ ، وإمَّا بِتَأْوِيلِهِ عَلَى مَعْنَى يَلِيقُ بِجَلالِ اللهَّ سُبْحَانَهُ ، بِمَا هُوَ عَلَى قَوَاعِدِ مَجَازِ كَلامِ الْعَرَبِ وَاسْتِعَارَاتِهَا ، مِمَّا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ ، وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ يَسْلُكُهُ الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ ، وَلَيْسَا بِقَوْلَيْنِ لَهُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ ، بَلْ هُمَا طَرِيقَانِ يَرْجِعُ إِلَيْهِمَا فِي تَصَانِيفِهِ ، وإمَّا التَّفْوِيضُ مَعَ اعْتِقَادِ الظَّاهِرِ فَمِمَّا لا يَجُوزُ ، لِلْقَطْعِ بِتَنْزِيهِ اللهَّ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْحُدُوثِ وَسِمَاتِ النَّقْصِ ، وَبِاللهَّ التَّوْفِيقُ " (٤) .

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣) .

(٢) انظر : كتاب التعريفات (ص٦٣) .

(٣) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٣) .

(٤) انظر : إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة (١/ ٢١٩) ،.

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني أَبُو السَّعادات عفيف الدِّين (٧٦٨ هـ) بعد أنَّ ذكر عقيدة الصُّوفيَّة في تنزيه الله عن الجهة والمكان ما نصّه : " ... فأنا أذكر الآن عقيدتي معهم على جهة الاختصار ، فأقول وبالله التَّوفيق : الذي نعتقده : أنَّه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزَّهاً عن الحلول والاستقرار والحركة والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، لا يقال : أين كان ، ولا كيف كان ، ولا متى ، كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، تعالى عن الجهات والأقطار والحدود والمقدار " (١) .

وكلام الإمام اليافعي يحمل تنزيه الله تعالى عن كلِّ لوازم المحدثات ، فليس له سبحانه قبْل ولا بعد ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ، ولا أمام ولا خلف ، ولا يقال متى كان ، ولا أين كـان ، ولا كيف ، وهو تعالى خالق الزَّمان والمكان ، فلا يتقيَّد بالزَّمان ، ولا يتخصَّص بالمكان ، فقد كان ولا مكان ، وهو على ما عليه كان ، لا يحويه مكان ، ولا يؤثر فيه الزَّمان ولا المكان ، ولا يوصف سبحانه بالحركة ولا بالسُّكون ، لأنَّ السُّكون والحركة من لوازم الأجسام ، وقد دلَّ النَّقل والعقل على تنزُّهه تعالى عن الجسميَّة ولوازمها ، من الحركة والانتقال ...

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني ثمَّ البغداديُّ (٧٨٦هـ) : " قال القاضي البيضاوي (٦٨٥هـ) : ... لَمَّا ثبت بالقواطع العقليَّة أنَّه منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز ، امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، فالمراد : دنوُّ رحمته . وقد روي : " يهبطُ الله من السَّماء العليا إلى السَّماء الدُّنيا " (٢) ، أي : ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي

(١) انظر: روض الرياحين في حكايات الصالحين (ص ٤٩٨) .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (المنسوب إليه ظلماً) (٢/ ٤٧٦ برقم ١٠٨٩) ، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ . وللعلم ... فإن الحديث تم حذفه من كتاب السنة لابن أحمد من طبعة : دار ابن رجب ، المنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، تحقيق : مصطفى بن العدوي ، وكذا تم حذفه من طبعة : دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، تحقيق أحمد بن علي القفيلي ...

وعلى كلٍّ فالحديث موضوع تالف ... في سنده : ثوير بن أبي فاختة ، أبو الجهم الكوفي ... قال ابن حبان في المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (١/ ٢٠٥-٢٠٦) : " ثُوَيْر بْن أَبِي فَاخِتَة الْأَزْدِيّ مولى أم هَانِئ بنت أَبِي طَالِب أُخْت عَلِي بْن أَبِي طَالِب من أهل الْكُوفَة كنيته أَبُو الجهم وَاسم أَبِي فَاخِتَة سَعِيد بن علاقَة يروي عَن بن عُمَر وَابْن الزُّبَيْر روى عَنْهُ الثَّوْرِي وَإِسْرَائِيل كَانَ يقلب الْأَسَانِيد حَتَّى يَجِيء فِي رواياته أَشْيَاء كَأَنَّهَا مَوْضُوعَة حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَحْطَبَةَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أبي سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ كَانَ ثُوَيْر ثُوَيْر بْن أَبِي فَاخِتَة

الأنفة من الأراذل وقهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام المقتضية للرَّأفة والرَّحمة والعفو . قوله : (تبارك وتعالى) جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه ، لما أسند ما لا يليق إسناده بالحقيقة

الْأَزْدِيّ مولى أم هَانِئ بنت أَبِي طَالِب أُخْت عَلِي بْن أَبِي طَالِب من أهل الْكُوفَة كنيته أَبُو الجهم وَاسم أَبِي فَاخِتَة سَعِيد بن علاقَة يروي عَن بن عُمَر وَابْن الزُّبَيْر روى عَنْهُ الثَّوْرِي وَإِسْرَائِيل كَانَ يقلب الْأَسَانِيد حَتَّى يَجِيء فِي رواياته أَشْيَاء كَأَنَّهَا مَوْضُوعَة حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَحْطَبَةَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ كَانَ ثُوَيْر " .

وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال(٢/ ٢١٦-٢١٧) : " قال البُخارِيّ ثوير بْن أَبِي فاختة أَبُو جهم كوفي كَانَ ابْن عُيَينة يغمزه وتركه يَحْيى بْن سَعِيد، وَعَبد الرحمن ابن مهدي.

حَدَّثَنَا عَبد الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْر، وابن حَمَّاد، قالا: حَدَّثَنا عَبَّاس سَمِعْتُ يَحْيى يَقُولُ ثوير بْن أَبِي فاختة لَيْس بشَيْءٍ.

حَدَّثَنَا ابن حماد، حَدَّثَنا معاوية بن صالح، عَن يَحْيى، قال: ثوير بْن أَبِي فاختة ضعيف.

حَدَّثَنَا أحمد بن علي المدايني، حَدَّثَنا الليث بْن عبدة سَمِعْتُ يَحْيى بْن مَعِين يَقُولُ ثوير بْن أَبِي فاختة يضعفون حديثه لَيْسَ هُوَ عندهم بشَيْءٍ.

سمعتُ ابْن حَمَّاد يَقُولُ: قَالَ السعدي ثوير بْن أَبِي فاختة ضعيف الْحَدِيث.

وقال النسائي ثوير بْن أَبِي فاختة واسم أَبِي فاختة سَعِيد بن علاقة وليس بثقة.

حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ سَلَمٍ الْخَوْلانِيُّ، حَدَّثَنا محمود بن غيلان، حَدَّثَنا شبابة، قالَ: قُلتُ ليونس بْن أَبِي إِسْحَاق مَالِك لا تروي عَن ثوير بْن أَبِي فاختة فإن إسرائيل كَانَ يكتب عَنْهُ ، قال إسرائيل : أعلم ما أصنع به كان رافضيا " .

وقال المزي في تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٤٣٠-٤٣١) : " قال عَمْرو بْن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه، وكان سفيان يحدث عنه.

وَقَال مُحَمَّد بْن عثمان بْن أَبي صفوان الثقفي، عَن أبيه: قال سفيان الثوري: كان ثوير من أركان الكذب .

وَقَال محمود بْن غيلان، عَنْ شبابة بْن سوار، قلت ليونس بْن أَبي إِسْحَاق: مالك لا تروي عَنْ ثوير، فإن إسرائيل كتب عنه، قال: إسرائيل أعلم ما صنع بِهِ، كان رافضيا.

وَقَال عَبْد اللَّهِ بْن أحمد بْن حنبل: سئل أبي وأنا أسمع عن ثوير بن أَبي فاختة وليث بْن أَبي سليم، ويزيد بْن أَبي زياد، فقَالَ: ما أقرب بعضهم من بعض! وَقَال عَباس الدُّورِيُّ، عَنْ يحيى بْن مَعِين: ليس بشيءٍ. وَقَال معاوية بْن صالح وأَبُو بُكر بْن أَبي خيثة، عَن يحيى: ضعيف. وَقَال إِبْرَاهِيم بْن يعقوب الجوزجاني: ضعيف الحديث. وَقَال أَبُو زُرْعَة: ليس بذاك القوي. وَقَال أَبُو حاتم: ضعيف، مقارب لهلال بْن خباب، وحكيم ابن جبير. وَقَال النَّسَائي: ليس بثقة. وَقَال الدَّارَقُطنِيّ: متروك، وهو إلى الضعف أقرب منه إِلَى غيره " .

وقال الذهبي في المغني في الضعفاء (١/ ١٢٤) : ضَعَّفُوهُ وَكذبه سُفْيَان الثَّوْرِيّ انظر :.

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٣٧٥) : " قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضيا. وقال ابن معين: ليس بشئ. وقال أبو حاتم وغيره: ضعيف. وقال الدارقطني: متروك. وروى أبو صفوان الثقفي، عن الثوري، قال: ثوير ركن من أركان الكذب. وقال البخاري: تركه يحيى وابن مهدي " .

إلى الله تعالى ، أتى بما يدلُّ على التَّنزيه على سبيل الاعتراض . قوله : (الآخر) بالرَّفع صفة للثّلث والتَّخصيص بالثَّلاث ، لأنَّه وقت التَّعرُّض لنفحات رحمة الله ، لأنَّه زمان عبادة أهل الإخلاص ، وفيه أنَّ آخر الليل أفضل الدعاء والاستغفار ، قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ﴾ [آل عمران : ١٧] (١) .

فبنقله عن الإمام البيضاوي (٦٨٥هـ) أكَّد الإمام الكرماني في شرحه لحديث النُّزول على دلالة القواطع العقليَّة على تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة والتَّحيُّز ... وأنَّ جمهور الخلف ذهب إلى تأويل النُّزول المضاف إلى الله تعالى بالإقبال والتَّجلِّي على عباده وقت السَّحر بالمثوبة والغفران ، وكذا بإجزال العطاء والإحسان إليهم ، وإجابة دعائهم ، وإعطائهم سؤلهم ، وتحقيق رجائهم ...

وقال الإمام إبراهيم بن موسى بن محمَّد اللخمي الغرناطي الشَّهير بالشَّاطبي (٧٩٠هـ) : " وأمَّا مَسَائِلُ الْخِلَافِ وَإِنْ كَثُرَتْ ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ بِإِطْلَاقٍ ، بَلْ فِيهَا مَا هُوَ مِنْهَا وَهُوَ نَادِرٌ ؛ كَالْخِلَافِ الْوَاقِعِ فِيمَا أَمْسَكَ عنه السَّلف الصَّالح فلم يَتَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْإِيمَانِ بِغَيْبَةِ الْمَحْجُوبِ أَمْرُهُ عَنِ الْعِبَادِ ؛ كَمَسَائِلِ الِاسْتِوَاءِ ، والنُّزول ...، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .

وَحِينَ سَلَكَ الْأَوَّلُونَ فِيهَا مَسْلَكَ التَّسْلِيمِ وَتُرِكَ الْخَوْضُ فِي مَعَانِيهَا ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ عِنْدَهُمْ فِيهَا ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يُحَاطُ بِهِ جَهْلٌ ، وَلَا تَكْلِيفَ يَتَعَلَّقُ بِمَعْنَاهَا ... " (٢) .

فالشَّاطبي يؤكِّد على أنَّ السَّلف الصَّالح سلكوا في المتشابه مسلك التَّفويض الإجمالي ...

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " ... وليس هذا القُرب كقُرب الخلق المعهود منهم ، كما ظنَّه من ظنَّه من أهل الضَّلال ، وإنَّما هو قُربٌ ليس يُشبه قُرب المخلوقين ، كما أنَّ الموصوف به " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] .

وهكذا القول في أحاديث النُّزول إلى سماء الدُّنيا ، فإنَّه من نوع قُرب الرَّبِّ من داعيه ، وسائليه ، ومستغفريه ....

---

(١) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٠٠) .

(٢) انظر : الموافقات (٣/ ٣١٨) .

وقال حنبل : سألت أبا عبد الله : ينزل الله إلى سماء الدُّنيا ؟ قالَ : نعم . قلت : نزوله بعلمه أو بماذا ؟ قال : اسكت عن هذا ، مالك ولهذا ؟ أمض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حدٍّ ، إلَّا بما جاءت به الآثار ، وجاء به الكتاب ، قال الله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل : ٧٤] ، ينزل كيف يشاء ، بعلمه وقدرته وعظمته ، أحاط بكلِّ شيء علماً ، لا يبلغ قدره واصف ، ولا ينأى عنه هربُ هاربٍ ، عزَّ وجلَّ .

فلهذا اتَّفق السَّلف الصَّالح على إمرار هذه النُّصوص كما جاءت من غير زيادة ولا نقص ، وما أشكل فهمه منها ، وقصر العقل عن إدراكه وُكِلَ إلى عالِمِه " (١) .

فالإمام ابن رجب نزَّه الله تعالى أن يكون نزوله كنزول المخلوقين ، ذلكم النُّزول الذي لا يكون إلَّا بحركة وانتقال من مكان إلى مكان ، فنزول الله تعالى نزولٌ يليقُ بقدرته وعظمته وعلمه المحيط بكلِّ شيء ، والمخلوقون لا يحيطون به علماً ... ومراده : أنَّ نزوله تعالى ليس كنزول المخلوقين ، بل هو نزولٌ يليقُ بقدرته وعظمته وعلمه المحيط بكلِّ شيء ، والمخلوقون لا يحيطون به علماً ، وإنَّما ينتهون إلى ما أخبرهم به عن نفسه ، أو أخبر به عنه رسوله . وفي قول أحمد بن حنبل : " أمض الحديث على ما روي بلا كيْف ولا حدٍّ " ، تنزيه لله تعالى عن الحدِّ ، وهذا أمر لا يعجب من جعلوا السَّلف شمَّاعة لهم يضعون عليها ترَّهاتهم ومصائبهم وطامَّاتهم التي شتتوا بها كيان الأمَّة ، حتى غدت شيعاً وأحزاباً ، يطعن بعضُهم بعضاً ، ويكفِّر بعضُهم بعضاً ... ولا غرو ، فقد قام أشقاهم المدعو محمَّد محمود بن أبي القاسم الدّشتي بكتابة كتاب سمَّاه : " إثبات الحدِّ لله وبأنَّه قاعد وجالس على العرش " ، وهو بذلك يخالف عقيدة ودين الأمَّة التي نزَّهت الله تعالى عن الحدِّ والجسم ، فما قاله هو التَّجسيم بعينه وشينه ومينه !!!! قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : " مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ ، فَقَدْ جَهَلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ " (٢) .

وقال التَّابعي الشَّهير زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم : " أنت الله الذي لا تُحدُّ فتكون محدوداً " . (٣).

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب (٣/ ١١٦-١١٨).

(٢) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٧٣) .

(٣) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٤/ ٤١٣) .

وقال الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ) : " ... وهو شيءٌ لا كالأشياء . ومعنى الشَّيء : إثباته بلا جسم ، ولا عَرَض ، ولا حدَّ له ، ولا ضدَّ له ، ولا نِدَّ له ولا مِثل له " (١) .

قلت : ولا يعكِّر على هذا ما رواه البيهقي (٤٥٨هـ) بسنده عن عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) في مسألة الاستواء على العرش ، وفيه : " ... قَالَ : إِنَّا لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ ، نَقُولُ : هُوَ هُوَ . قُلْتُ : بِحَدٍّ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ بِحَدٍّ . لَفْظُ حَدِيثِ محمَّد بْنِ صَالِحٍ . قَالَ الشَّيخ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ : إِنَّمَا أَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ بِالْحَدِّ حَدَّ السَّمْعِ !!! وَهُوَ أَنَّ خَبَرَ الصَّادِقِ وَرَدَ بِأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، فَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ تَكْذِيبَ الْجَهْمِيَّةِ فِيمَا زَعَمُوا أَنَّه بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَحِكَايَتُهُ الْأُخْرَى تَدُلُّ عَلَى مُرَادِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " (٢). فابن المبارك عنى بالحدِّ : الدَّليل السَّمعي ...

والقول بالحدِّ لله تعالى هو ديدنُ وديْن من يدَّعون الانتساب للسَّلف ، والسَّلف منهم براء ، فقد ذكر الإمام السُّبكي في ترجمة ابن حبَّان مَا رُمي بِهِ ابن حبَّان ، قال : " ... فَاعْلَم أَنَّ أَبَا إِسْمَاعِيل عبد الله بن محمَّد الهروي الذى تسميه المجسِّمة : شيخ الْإِسْلَام ، قَالَ : سَأَلت يحيى بن عمار عَن ابْن حبَان ، قلت : رَأَيْته ؟ قَالَ : وَكَيف لم أره ، وَنحن أخرجناه من سجستان ، كَانَ لَهُ علم كثير ، وَلم يكن لَهُ كَبِير دين ، قدم علينا ، فَأنْكر الْحَدَّ لله !!! فأخرجناه من سجستان ، انْتهى .

قلت : - السُّبكي - انْظُر مَا أَجْهَل هَذَا الجَــارِح ، وليت شعرى من الْمَجْرُوح : مُثبت الْحَدِّ لله أَو نافيه ؟ " (٣) .

وقد علَّق الإمام الذَّهبي على كلام الهروي ، فقال : " إنكاره الحدّ وإثباتكم للحدِّ نوع من فضول الكلام ، والسُّكوت عن الطَّرفين أولى ، إذ لم يأت نصٌّ بنفي ذلك ولا إثباته ، والله تعالى ليس كمثله شيء ، فمن أثبته قال له خصمه : جعلت لله حدّاً برأيك ، ولا نصَّ معك بالحدِّ ، والمحدود مخلوق ، تعالى الله عن ذلك .

وقال هو للنَّافي : ساويت ربَّك بالشَّيء المعدوم ، إذ المعدوم لا حدَّ له ، فمن نزَّه الله وسكت سلم وتابع السَّلف " (١) .

---

(١) انظر : منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ، علي بن سلطان القاري ، ومعه التعليق الميسَّر على شرح الفقه الأكبر (ص١١٨-١٢٠) .

(٢) انظر : الأسماء والصِّفات (٢/ ٣٣٥) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٣٢) .

وكلام الذَّهبي في التَّعقُّب فيه دَخَنٌ ، ولذلك تعقَّبه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فقال : " وقوله : قال له النَّافي : ساويت ربك بالشَّيء المعدوم إذ المعدوم لا حدَّ له نازل ، فإنَّا لا نسلم أنَّ القول بعدم الحدِّ يُفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقُّق وجوده ، وقوله : بدت من بن حبَّان هفوة طعنوا فيه لها إن أراد القصَّة الأولى التي صدر بها كلامه فليست هذه بهفوة ، والحقُّ أنَّ الحقَّ مع بن حبَّان فيها ، وإن أراد الثَّانية فقد اعتذر هو عنها أولاً ، فكيف يحكم عليه بأنَّه هفا ، ماذا إلَّا تعصُّب زائد على المتأوِّلين ، وابن حبَّان قد كان صاحب فنون وذكاء مفرط ، وحفظ واسع إلى الغاية ، رحمه الله " (٢) ...

ومع هذا كلِّه فقد وصل الأمر بابن تيمية إلى تكفير من لم يؤمن بالحدِّ لله تعالى ، والعياذ بالله ... قال ابن تيمية : " ... فهذا كلُّه وما أشبهه شواهد ودلائل على الحدِّ ، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله ، وجحد آيات الله " (٣) ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم .

فَهَذِهِ هي عقيدتهم ، التي أوصلتهم إلى تكفير من سواهم ، ممَّن هو على غير منهجهم وطريقتهم وعقيدتهم ، فهم لا يرون على الإسلام إلَّا هم ، ويرون – أنفسهم كما قال السُّبكي – : " أنَّهم أهل السُّنَّة ، وَلَو عدّوا عدداً لَّما بلغ علماؤهم وَلَا عَالم فيهم عَلَى الْحَقِيقَة مبلغاً يعْتَبر ، ويكفِّرون غَالب عُلَمَاء الأمَّة ثمَّ يعتزون إِلَى الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ وَهُوَ مِنْهُم برِيء ، وَلكنَّه كَمَا قَالَ بعض العارفين ورأيته بِخَط الشَّيخ تقى الدِّين ابْن الصّلاح : إمامان ابتلاهما الله بأصحابهما ، وهما بريان مِنْهُم : أَحْمد ابْن حَنْبَل ابْتُلِيَ بالمُجَسِّمَة ، وجعفر الصَّادِق ابْتُلِيَ بالرَّافضة " (٤) .

وقال الإمام ابن عساكر : " وعَلى الْجُمْلَة فَلم يزل فِي الحنَابلة طَائِفَة تغلو فِي السُّنَّة وَتدْخل فِيمَا لَا يعنيها حبَّاً للخفوف فِي الْفِتْنَة ، وَلَا عَار على أَحْمد رَحمَه اللهَّ من صنيعهم ، وَلَيْسَ يتَّفق على ذَلِك رأى جَمِيعهم ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بن شاهين وَهُوَ من أَقْرَان الدَّارَقُطْنِيّ وَمن أَصْحَاب الحَدِيث المتسنِّنين مَا قَرَأت على الشَّيْخ أَبِي مُحَمَّد عبد الْكَرِيم بن حَمْزَة ابْن الْخضر بِدِمَشْقَ عَنْ أَبِي مُحَمَّد عبد الْعَزِيز بن أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو النجيب عبد الْغفار بن عَبْدِ الْوَاحِدِ الأرموي ، قَالَ : ثَنَا أَبُو

---

(١) انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/ ٥٠٧) .

(٢) انظر : لسان الميزان (٥/ ١١٤) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٨) .

(٤) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٧) .

ذَر عبد بن أَحْمَدَ الْهَرَوِيّ ، قَالَ : سَمِعت ابْن شاهين يَقُول : رجلَانِ صالحان بُليا بأصحاب سوءٍ : جَعْفَر بن مُحَمَّد ، وأحمد بن حَنْبَل "(١) ...

واستغلوا في تمرير عقائدهم : " جهل الكثيرين ، لأنَّهم لا ينبتون إلَّا حيث يكون الجهل " فأوهموا النَّاس أنَّهم يمثِّلون السَّلف الصَّالح من الصَّحابة ومن بعدهم من التَّابعين لهم بإحسان ، والتَّاريخ يشهد والعلم بكتاب الله ينادي أنَّهم ما مثَّلوا إلَّا سلف سوء من أشياخ المشبِّهة وأئمَّة المجسِّمة ، الذين يفسِّرون الكتاب بأهوائهم ، ويحملون السُّنَّة على آرائهم ، ويتقوَّلون على معاني كتاب الله ، ويضعون على رسول الله ، ويأخذون بالضَّعيف إذا وافق منهم هوى ، ويردُّون الصَّحيح أو يشكِّكون في صحَّته إذا كان حجَّة عليهم " (٢) .

وقال الإمام الفقيه الحافظ ذو التَّصانيف الكثيرة سراج الدِّين أبو حفص عمر ابن الإمام النَّحوي نور الدِّين أبي الحين علي بن أحمد بن محمَّد الأنصاري الشَّافعي ابن الملقِّن ، أحد شيوخ الشَّافعيَّة وأئمَّة الحديث (٨٠٤هـ) : " قوله : " يُنْزِلُ " هو بضم أوَّله ، من أنزل . قَالَ ابن فورك : ضبط لنا بعض أهل النَّقل هذا الخبر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بضم الياء من ينزل ، وذكر أنَّه ضُبط عمَّن سمع منه من الثِّقات الضَّابطين . وكذا قَالَ القرطبي : قد قيَّده بعض النَّاس بذلك فيكون معدَّى إلى مفعول محذوف . أي : يُنزل الله ملكاً . قَالَ : والدَّليل على صحَّة هذا ما رواه النَّسائي من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قَالَ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله – عزَّ وجلَّ – يُمهل حَتَّى يمضي شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمر منادياً يقول : هل من داع فيُستجاب له " الحديث . وصحَّحه عبد الحقّ .

الثَّالث : جاء هنا : " حين يبقى ثلث الليل الآخر " .

وكذا أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه ، وأخرجه مسلم بألفاظ :

أحدها : هذا .

ثانيها : حين يمضي ثلث الليل الأوَّل .

ثالثها : لشطر الليل – أو ثلث الليل – الآخر .

---

(١) انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص١٦٣-١٦٤) .

(٢) انظر : فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص١١) .

وذكر التِّرمذي أنَّ الرِّواية الأولى أصحُّ الرِّوايات ، وصحَّحها أيضاً غيره ، فذكر القاضي عياض (٥٤٤هـ) أنَّ النُّزول عند مضي الثُّلث الأوَّل . و " من يدعوني ... " إلى آخره في الثُّلث الآخر . وقال : يحتمل الشَّارع أعلم بالأوَّل فأخبر به ثمَّ بالثَّاني فأخبر به ، فسمع أبو هريرة الخبرين فنقلهما ، وأبو سعيد خبر الثُّلث الأوَّل فأخبر به مع أبي هريرة . وقال ابن حبَّان في " صحيحه " : صحَّ " حين يمضي شطر الليل أو ثلثاه " ، و " حين يبقى ثلث الليل الآخر " ، و " حتى يذهب ثلث الليل الأوَّل " ، فيحتمل أنَّه في بعض الليالي : حين يبقى ثلث الليل الآخر ، وفي بعضها حين يبقى ثلث الليل الأوَّل .

قلتُ – ابن الملقِّن – : ويجوز – والله أعلم – أن يكون ابتداء الأمر من أوَّل الثُّلث الثَّــاني إلى الثَّالث .

ثمَّ اعلم أنَّ صفات القديم جلَّ جلاله : إمَّا أن يكون استحقَّها لنفسه أو لصفة قامت به أو لفعل يفعله ، ولا يطلق شيء من الألفاظ في أوصافه وأسمائه المتفرِّعة عمَّا تقدَّم إلَّا بتوقيف كتاب أو سنَّة أو اتِّفاق الأمَّة دون قياس ، فلا مجال له فيها ، وقيل : ما يردُ من مثل هذِه الأخبار من مثل هذا اللفظ – أعني : ينزل – إلَّا ونظيره في القرآن... ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى ، فالنُّزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال : ﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، والإعلام : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي : أعلم به الرُّوح الأمين محمَّداً – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وبمعنى القول : ﴿ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، أي : سأقول مثل ما قال . والإقبال على الشَّيء ، وذلك مستعمل في كلامهم ، جار في عرفهم ، يقولون : نزل من مكارم الأخلاق إلى دنيِّها ، أي : أقبل إلى دنيِّها ، ونزل قدْر فلان عند فلان إذا انخفض .

وبمعنى نزول الحكم : من ذلك قولهم : كنَّا في خير وعدل حَتَّى نزل بنا بنو فلان ، أي : حكمهم . وذلك كلّه متعارف عند أهل اللغة .

وإذا كانت مشتركة المعنى وجب حَمْلُ ما وصف به الرَّبّ جلَّ جلاله من النُّزول على ما يليق به من بعض هذِه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته ، وهو إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة والاستعطاف بالتَّذكير والتَّشبه الذي يلقى في قلوب أهل الخير منهم ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، ووجدناه تعالى خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهر بأمره فيضاف إليه ، كما يقال : ضربَ الأميرُ اللصَّ ، ونادى الأميرُ في البلد ، وإنَّما أمر بذلك فيضاف إليه الفعل كما مضى أنَّه عن أمره ظهر ، إذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا بهذا الدُّعاء والنِّداء فيضاف ذلك إلى الله .

وحديث النَّسائي السَّالف يعضُده ، وقد سئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عن معنى هذا الحديث ، فقال : يفعل الله ما يشاء ، وهذِه إشارة منه إلى أنَّ ذلك فعلٌ يظهرُ منه – عزَّ وجلَّ – ، وذكر حديث كاتب مالك عنه أنَّه قَالَ في هذا الخبر : ينزل أمره ورحمته ، وقد رواه مطرف عنه أيضاً ، وأنكر بعض المتأخِّرين هذا اللفظ ، فقال : كيف يفارقه أمره ؟ وهذا كلام من اعتقد أنَّه ينزل أمره القديم ، وليس كذلك ، وإنَّما المراد ما أشرنا إليه ، وهو ما يحدث عن أمره ، قَالَ الإمام أبو بكر محمَّد بن فورك : روى لنا بعض أهل النَّقل هذا الخبر عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بما يؤيِّد هذا التَّأويل ، وهو بضم الياء من ينزل ، وقد تقدَّم نقل ذلك عنه ، فإذا كان ذلك محفوظاً فوجهه ظاهر .

وقد سُئل بعض العلماء عن حديث التَّنزيل ، فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أَفَلَ النَّجمُ : " قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ " [الأنعام :٧٦] ، فَطَلَبَ رَبّاً لا يجوز عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النُّزول ، وقد مدحه الله تعالى بذلك وأثنى عليه في كتابه بقوله : " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوْتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِيْنَ" [الأنعام : ٧٥] ، فوصفه باليقين ، وحُكي عن بعض السَّلف في هذا الحديث وشبهه : الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها (١) ، ونفي الكيفيَّة عنها .

وكان مكحول (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) يقولان : أمرُّوا الأحاديث . وقال أبو عبد الله : نحن نروي هذِه الأحاديث ولا نرفع بها المعاني . وإلى نحو هذا نحى مالك في سؤال الاستواء على العرش .

---

(١) أي : ظاهر لفظها لا ظاهر معناها .

وحمل الدَّاودي مذهبه في هذا الحديث على نحو من ذلك ، وقال فيما تقدَّم عنه : نقله حبيب ، وليس حبيب بالقوي ، وضعَّفه غيره أيضاً ، لكنَّا أسلفنا أنَّه لم ينفرد به ، فصارت مذاهب العلماء في هذا الحديث وشبهه ثلاثة : فرقة قائلة بالتَّأويل كما سلف ، محتجِّين بالحديث الآخر: " إذا تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة " (١) ، وفرقة قـــالت بالوقُّف عن جميعها ، وفرقة قالت بالتَّأويل في بعضها .

سئل مالك (١٧٩هـ) في " العتبيَّة " عن الحديث الذي جاء في جنازة سعد بن معاذ في العرش : قال : لا يتحدَّث به ، وما يدعو الإنسان إلى أن يتحدَّث به ، وهو يرى ما فيه من التَّغرير ؟!

وحديث : " إنَّ الله خلق آدم على صورته " (٢) ، وحديث السَّاق .

قَالَ ابن القاسم : لا ينبغي لمن يتقي الله أن يتحدَّث بمثل هذا . قيل له : فالحديث الذي جاء : " إنَّ الله يضحك " . فلم يره من هذا وأجازه ، وكذلك حديث النُّزول . ويحتمل أن يفرَّق بينهما من وجهين :

أحدهما : أنَّ حديث النُّزول والضَّحك صحيحان لا طعن فيهما ، وحديث اهتزاز العرش قد سلف الإنكار له والمخالفة فيه من الصَّحابة . وحديث الصُّورة والسَّاق ليس تبلغ أسانيدهما في الصحَّة درجة حديث النُّزول .

والثَّاني : أنَّ التَّأويل في النُّزول أبين وأقرب ، والعذر بسوء التَّأويل فيها أبعد ، وبالله التَّوفيق " (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦/ ٣٦٢ برقم ١٠٦١٩) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. سليمان التيمي: هو ابن طرخان، وأنس: هو ابن مالك الصحابي الجليل.

وأخرجه مسلم ص٢٠٦٧ (٢٠) ، وأبو عوانة في الدعوات كما في "إتحاف المهرة" ٥/ ورقة ١١٨ من طريق محمد بن أبي عدي، بهذا الإسناد. ولفظه عند مسلم: "وإذا أتاني يمشي أتيته هرولةً"، بدل قوله: "وإذا تقرب مني بوعا- أو باعاً-".

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠ برقم ٦٢٢٧) ، ونص الحديث هو : " " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ " . فالضَّمِير رَاجع إِلَى آدم لَا إِلَى ذَات الله ، أَي : إِنَّ الله خلق آدم مُنْذُ اللحظة الأولى الَّتِي أوجده فِيهَا على صورته وهيئته الَّتِي كَانَ يتمتَّع بهَا فِيمَا بعد ، فَلم يتطوَّر من شكل إِلَى آخر ، ويحتمل أن يعود الضَّمير فيه على الأخ المذكور في صدر الحديث ، حسب الرِّواية التي ساقها مسلم في صحيحه ، وهي : " فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ، فإنَّ الله خلق آدم على صورته " ، أي : فليكرم الوجه الذي هو مظهر لخلقة آدم عليه الصَّلاة والسَّلام . انظر : انظر : كبرى اليقينيات الكونية (ص١٤١) .

فابن الملقِّن ذكر في معرض كلامه منهج التَّفويض ومنهج التَّأويل ، وركَّز على مسألة التَّأويل ، وأنَّ الحديث الصَّحيح الوارد بضم الياء في " يُنْزِلُ " يعضد ويقوي تأويل حديث النُّزول ، وأنَّ الواجب يقضي بمراعاة جانب تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث حين البحث في هذه المسألة ، ذلك أنَّ معجم اللغة العربيَّة ذكرت عدَّة معان للنُّزول ، فيجب حَمْل ما وصف به الرَّبّ جلَّ جلاله من النُّزول على ما يليق به من بعض هذِه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته ، وهو إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة والاستعطاف ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، ولذلك خصَّ الله تعالى بالمدح المستغفرين بالأسحار الذين هجروا النَّوم وتحمَّلوا السَّهر للوقوف بين يدي الله تعالى منيبين مستغفرين ضارعين وَجِلين يدعونه راجين رحمته ومغفرته ، ويخافون عذابه ...

ويحتمل أن يكون ذلك فعلًا يظهر بأمره فيضاف إليه ، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا بهذا الدُّعاء والنِّداء ، فيضاف ذلك إلى الله ، وحديث النَّسائي السَّالف يعضده ...

وقال أبو بكر بن محمَّد بن عبد المؤمن الإمام العالم الرَّبَّاني الزَّاهد الورع تقي الدِّين الحصني الدِّمشقي الحسيني (٨٢٩هـ) : " ... ومنها حديث النُّزول ، وهو في الصَّحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال : " ينزل ربُّنا كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعوني فأستجيب له " إلى آخره ، وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وقد تقدَّم أنَّه يستحيل على الله عزَّ وجلَّ الحركة والتَّنقُّل والتَّغيُّر ، لأنَّ ذلك من صفات الحدث ، فمن قال ذلك في حقِّه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق ، وذلك كفرٌ صريح لمخالفة القرآن في تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى .

ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، مع أنَّ معدنه في الأرض ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ [الزمر : ٦] ، فيا لله ، العجب من شخص لم يعرف نزول الجَمَل ، كيف يتكلَّم في تفصيلها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ

(١) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٩/ ٩٨-١٠٦) .

الْكِتابَ ﴾ [المائدة : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ [الطلاق : ١٠] ، فنسب الإنزال إلى هاتين الغايتين إليه سبحانه وتعالى .

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٨] ، أي : ببدعته ﴿ مَنْ يُضْلِلِ الله فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٦] ، والعَمَه في البصيرة ، كما أنَّ العمى في البصر ، والعَمَه في البصيرة منه الهلكة ، أعاذنا الله من ذلك .

وروى أبو عيسى التِّرمذي عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) ، وسفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، وابن المبارك (١٨١هـ) أنَّهم قالوا : أَمِرُّوا هذه الأحاديث بلا كيف ، قال الأَئمَّة : فواجب على الخلق اعتقاد التَّنزيه وامتناع تجويز النُّقلة والحركة ، فإنَّ النُّزول الذي هو انتقال من مكان إلى آخر يفتقر الى الجسميَّة والمكان العالي ، والمكان السَّافل ضرورة ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] ، فإنَّ الفوقيَّة باعتبار المكان لا تكون بالضّرورة إلَّا في الأجرام ، والأجسام مركَّبة كانت أو بسيطة ، والرَّبُّ سبحانه وتعالى منزَّه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث .

وقال ابن حامد الرَّاسم نفسه بالحنبلي : هو فوق العرش بذاته ، وينزل من مكانه الذي هو فيه ، فينزل وينتقل . ولمَّا سمع تلميذه القاضي منه هذا استبشعه ، فقال : النُّزول صفة ذاتيَّة ، ولا نقول نزوله انتقال ، أراد أن يغالط الأغبياء بذلك .

وقال غيره : يتحرَّك إذا نزل ، وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجوراً منه ، بل هو كذب محض على هذا السيِّد الجليل السَّلفي المنزَّه ، فإنَّ النُّزول إذا كان صفة لذاته لزم تجدُّدها كلّ ليلة وتعدُّدها ، والإجماع منعقد على أنَّ صفاته قديمة ، فلا تجدُّد ولا تعدُّد ، تعالى الله عمَّا يصفون .

وقد بالغ في الكفر من ألحق صفة الحقِّ بالخلق ، وأدرج نفسه في جريدة السَّامرة واليهود الذين هم أشدُّ عداوة للذين آمنوا ... " (١) .

وقد تضمَّن كلام الإمام تقي الدِّين الحصني الدِّمشقي عدَّة مسائل ، منها :

---

(١) انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص١٣-١٤) .

١ – استحالة الحركة والتنقُّل والتَّغيُّر على الله عزَّ وجلَّ ، لأنَّ ذلك من صفات الحدث ، فمن قال ذلك في حقِّه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق ، وذلك كفرٌ صريح ...

٢ – أنَّ من لا يعرف نُزول الجَمَل لا يجوز له أن يتكلم في معاني الجُمَل ...

٣–أشار إلى كذب من يدَّعون السَّلفيَّة على الإمام المبجَّل أحمد بن محمد بن حنبل حيث زعموا بأنَّه يقول بأنَّ الله تعالى يتحرَّك إذا نزل ، مع الإجماع منعقد على أنَّ صفاته قديمة ، فلا تجدُّد ولا تعدُّد ، تعالى الله عمَّا يصفون ...

وافتراء من يدَّعون السَّلفيَّة على الإمام أحمد له ألوان وأشكال عديدة ، وهو الذي دفع الكثير من العلماء للذبِّ عن هذا السيِّد الجليل ، قال الإمام تقي الدِّين أبي بكر الحصني الشَّافعي في مقدمة كتابه : " دفع شُبه من شَبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل أحمد : " وبعد : فإنَّ سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة ؛ ما دهمني من الحيرة من أقوام خبث السَّريرة ؛ يظهرون الانتماء إلى مذهب السيِّد الجليل الإمام أحمد ؛ وهم على خلاف ذلك والفرد الصَّمد ، والعجب أنَّهم يعظِّمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقيَّة الأئمَّة ... ، ويضلِّون عقول العوام وضعاف الطَّلبة بالتَّمويه الشَّيطاني ، وإظهار التَّعبُّد والتقشُّف وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند ، وكلُّ ذلك خزعبلات منهم وتمويه ... فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزَّاغوني من التَّشبيه والصِّفات التي لا تليق بجناب الحقِّ سبحانه وتعالى ، هـي نزعة ساميَّة في التَّجسيم ، ونزعة يهوديَّة في التَّشبيه ، وكذا نزعة نصرانيَّة ... " (١) . وكذلك قال الإمام ابن الجوزي في دفع شُبه التَّشبيه ...

ولم يسلم الإمام أحمد – ممَّن انتسبوا له – حتى بعد وفاته ، لا بل غلوا غلوَّاً فاحشاً متفحِّشاً في سرد مناقبه ... ومن غلوِّهم فيه أنَّهم قالوا :

– من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر (٢) ، ونسبوا ذلك للإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) ولا يصحُّ عنه .

– أنَّ الإمام أحمد به يُعرف المسلم من الزَّنديق (٣) .

---

(١) انظر : دفع شُبه من شَبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد (ص٤–٧ باختصار) .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ١٣) .

(٣) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٥٨) .

- أنَّ الله تعالى يزور قبر أحمد بن حنبل (1) .
- أنَّ أحمد بن حنبل غضب على منكر ونكير لأنَّهما سألاه : من ربُّك (2) ...
- أنَّ الجنَّ نَعت أحمد بن حنبل قبل مَوته بأربعين صباحاً (3) .
- أنَّ نَظرة من أَحمد بن حنبل خير من عبادة سَنة (4) .
- أنَّ الله عزَّ وجلَّ ينظر كل يوم سبعين ألف نظرة في تربة أحمد بن حنبل (5) .
- أنَّ من خالف أحمد بن حنبل عُذِّب (6) ...

أمَّا عن غلوِّهم في ابن تيمية ، فحدِّث ولا حرج ... وقد ذكرت ذلك وغيره الكثير في كتاب خاصّ ...

ومن إساءتهم للإمام أحمد بعد وفاته : أنَّهم كتبوا كُتباً نسبوها له ، ومن ذلك : كتاب " الرَّدُّ على الجهميَّة والزَّنادقة " ، وممَّا جاء في هذا الكتاب الباطل العاطل : " لمَّا سمع موسى كلام ربِّه ، قال : يا ربِّ هذا الذي سمعته هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، إنَّما كلَّمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لِمَتَّ .

قال : فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صف لنا كلام ربِّك ؟!!! قال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟! قالوا : فشبِّهه !!! قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله " (7) .

أرأيتم كيف نسب الصَّوت إلى الله تعالى مع أنَّ الصَّوت لم تأت إضافته إلى الله تعالى في حديث صحيح ... ثمَّ كيف شبَّه صوت الله تعالى بصوت الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ... !!!

---

(1) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٠٧) .

(2) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٠٦) .

(3) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٥٦٨) .

(4) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٢٠٢) .

(5) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٤٠) .

(6) انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٦٢٢) .

(7) انظر : الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٣٧) .

وعن نسبة الكتاب للإمام أحمد قال الإمام الذَّهبي : " ... لاَ كَرِسَالَةِ الإِصْطَخْرِيِّ ، وَلاَ كَالرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ المَوْضُوْعِ عَلَى أَبِي عَبْدِالله ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ تَقياً وَرِعاً ، لاَ يَتَفَوَّهُ بِمِثلِ ذَلِكَ " (١) .

وقال محقِّق " سير أعلام النُّبلاء " : " يرى الذَّهبي المؤلِّف أنَّ كتاب " الرَّدُّ على الجهميَّة " موضوع على الامام أحمد . وقد شكَّك أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين في تعليقه على " الاختلاف في اللفظ ، والرَّدّ على الجهميَّة " لابن قتيبة . ومستنده أنَّ في السَّند إليه مجهولاً ، فقد رواه أبو بكر غلام الخلَّال ، عن الخلَّال ، عن الخضر بن المثنَّى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ... والخضر بن المثنَّى هذا مجهول ، والرِّواية عن مجهول مقدوح فيها ، مطعون في سندها . وفيه ما يخالف ما كان عليه السَّلف من معتقد ، ولا يتَّسق مع ما جاء عن الإمام في غيره ممَّا صحَّ عنه ، وهذا هو الذي دعا الذَّهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد ، ومع ذلك فإنَّ غير واحد من العلماء قد صحَّحوا نسبة هذا الكتاب إليه ، ونقلوا عنه ، وأفادوا منه ، منهم القاضي أبو يعلى ، وأبو الوفاء بن عقيل ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وتوجد من الكتاب نسخة خطيَّة في ظاهريَّة دمشق ، ضمن مجموع رقم (١١٦) ، وهي تشتمل على نصِّ " الرَّدُّ على الجهميَّة " فقط ، وهو نصف الكتاب ، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشَّام ، بتحقيق الأستاذ محمَّد فهر الشَّقفة . وممَّا يؤكِّد أنَّ هذا الكتاب ليس للإمام أحمد : أنَّنا لا نجد له ذكراً لدى أقرب النَّاس إلى الامام أحمد بن حنبل ممَّن عاصروه وجالسوه ، أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته كالإمام البخـــاري (٢٥٦هـ) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وأبي سعيـــد الدَّارمي (٢٨٠هـ) . والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه " مقالات الإسلاميِّين "، ولكنَّه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستفد منه شيئاً " (٢) .

٤-ردَّ على ابن حامد الذي قال : هو فوق العرش بذاته ، وينزل من مكانه الذي هو فيه ، فينزل وينتقل . ولَّما سمع تلميذه القاضي منه هذا استبشعه ، فقال : النُّزول صفة ذاتيَّة ، ولا نقول نزوله انتقال ، أراد أن يغالط الأغبياء بذلك . وعلَّق على ذلك بأنَّ الموسومين بالحنابلة استمرأوا الكذب على الإمام المبجَّل أحمد ابن حنبل ، وهذا أمرٌ فرغتُ منه في مصنَّف خاص بعبثهم بكتب التُّراث ، وكذبهم على العلماء لنصرة باطلهم ، وسمَّيته : " كشف الخفاء عن عبث الوهَّابيَّة بكُتُب العلماء " ... وهو مطبوع .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦-٢٨٧) .

(٢) انظر : هامش سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧) .

ثمَّ إنَّ ابن حامد الذي أشار إليه الإمام التَّقي الحصني صاحب طامَّات وأوابد ، وقد ردَّ عليه الإمام ابن الجوزي في كتابه الطيِّب : " دفع شُبه التَّشبيه بأكفِّ التنزيه " ، وممَّا قاله ابن الجوزي نقلاً عن ابن حامد :

قال الإمام ابن الجوزي : " وقال ابن حامد : أثبتنا لله وجهاً ، ولا نجوز إثبات رأس .

قلت – ابن الجوزي – : ولقد اقشعرَّ بدني من جراءته على ذكر هذا ، فما أعوزه في التَّشبيه غير الرَّأس " .

وقال أيضاً : " ... وحكى ابن حامد أعظم من هذا ، فقال : ذهبت طائفة في قوله تعالى : ﴿ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] ، إلى أنَّ تلك الرُّوح صفة من ذاته ، وأنَّها إذا خرجت رجعت إلى الله تعالى .

قلت – ابن الجوزي – : وهذا أقبح من كلام النَّصارى ، فما أبقى هذا من التَّشبيه بقيَّة " .

وقال أيضاً : " قال ابن حامد : يجب الإيمان بأنَّ لله تعالى ساقاً صفة لذاته ، فمن جحد ذلك كفر .

قلت – ابن الجوزي – : ولو تكلَّم بهذا عامِّي جلف كان قبيحاً ، فكيف بمن يُنسب إلى العلم ، فإنَّ المتأوِّلين أعذر منهم ، لأنَّهم ردُّوا الأمر إلى اللغة ، وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذَّات ، وَقَدَماً ، حتى يتحقَّق التَّجسيم والصُّورة " .

وقال أيضاً : " وقال ابن حامد : الحقُّ يختصُّ بمكان دون مكان ، ومكانه الذي هو فيه وجود ذاته على عرشه . وقال : وذهبت طائفة إلى أنَّ الله تعالى على عرشه قد ملأه ، والأشبه أنَّه مماس للعرش ، والكرسي موضع قدميه " .

وقال أيضاً : " وقال ابن حامد : نؤمن بأن لله تعالى جنباً بهذه الآية – يعني بالآية قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِّ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

قلت – ابن الجوزي – : وآعجباً من عدم العقول ، إذا لم يتهيَّأ التَّفريط في جنب مخلوق ، كيف يتهيَّأ في صفة الخالق " .

وقال أيضاً : " قال ابن حامد : هذا خطأ ، إنَّما ينزل بذاته بانتقال " .

وقال أيضاً : " قال ابن حامد : هو على العرش بذاته ، مماسّ له ، وينزل من مكانه الذي هو فيه فيزول وينتقل .

قلت – ابن الجوزي – : وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى " .

وقال أيضاً : " وروى ابن حامد المجسم : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، قال : خرج منه أوَّل مفصل من خنصره " .

قال ابن حامد : يجب التَّصديق بأنَّ لله تعالى حقواً ، فتأخذ الرَّحم بحقوه . قال : وكذلك نؤمن بأنَّ لله جنباً ، لقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] . قلت – ابن الجوزي – : وهذا لا فهم له أصلاً ، كيف يقع التَّفريط في جنب الذَّات " .

وقال أيضاً : " قال ابن حامد : والمراد بالتعلُّق : القُرب والمماسَّة بالحقو ، كما روي أنَّ الله تعالى يُدني إليه داود حتى يمسَّ بعضَه " .

وقال أيضاً : " قال ابن حامد : يجب الإيمانُ بما ورد من المماسَّة والقُرب من الحقِّ لنبيِّه في إقعاده على العرش ، قال : وقال ابن عمر : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٤٠] ، قال : ذكر الله الدُّنو منه حتى يمسَّ بعضه .

قلت – ابن الجوزي – : وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعيض الذَّات كفر بالإجماع !!! " .

وقال ابن حامد : رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله وصفاً في ذاته ، بأنَّه يتنفَّس ، قال : وقالوا : الرِّياح الهابَّة مثل الرِّياح العاصفة ، والعقيم ، والجنوب ، والشِّمال ، والصّبا ، والدبُّور ، مخلوقة إلَّا ريحاً من صفاته ، هي : ذات نسيم حياتي ، وهي من نفس الرَّحمن .

قلت – ابن الجوزي – : على من يعتقد هذا اللعنة ، لأنَّه يثبت جسداً مخلوقاً ، وما هؤلاء بمسلمين " [1] .

---

(١) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١١٣) ، (ص١١٧) ، (ص١٢٠-١٢١) ، (ص١٣٥) ، (ص١٤٠) ، (ص١٤١) ، (ص١٩٧) ، (ص٢١٤) ، (ص٢٣١) ، (ص٢٣٢) ، (ص٢٤٥) ، (ص٢٧٤) بالترتيب.

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " قَوْلُهُ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء الدُّنيا " اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ أَثْبَتَ الْجِهَةَ ، وَقَالَ : هِيَ جِهَة الْعُلُوّ ، وَأنكر ذَلِك الْجُمْهُور !!! لِأَنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ يُفْضِي إِلَى التَّحَيُّز ، تعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ .

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى النُّزول عَلَى أَقْوَالٍ :

فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَهُمُ الْمُشَبِّهَةُ ، تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِهِمْ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ صِحَّةَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً ، وَهُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ ، وَهُوَ مُكَابَرَةٌ ، وَالْعَجَبُ أَنَّهم أَوَّلُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ نَحوِ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوا مَا فِي الْحَدِيثِ إِمَّا جَهْلًا وإِمَّا عِنَادًا .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَجْرَاهُ عَلَى مَا وَرَدَ مُؤْمِنًا بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ ، مُنَزِّهاً اللهَّ تَعَالَى عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ ، وَهُمْ جُمْهُورُ السَّلف . وَنَقَلَهُ الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) وَغَيْرُهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَالسُّفْيَانَيْنِ (سفيان الثوري (١٦١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، وَالْحَمَّادَيْنِ (حمَّاد بن سلمة ١٦٧هـ ، وحمَّاد بن زيد ١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) ، وَاللَّيْثِ (١٧٥هـ) ، وَغَيْرِهِمْ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَوَّلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ مُسْتَعْمَلٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْرَطَ فِي التَّأْويل حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّحْرِيفِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَلَ بَيْنَ مَا يَكُونُ تَأْوِيلُهُ قَرِيباً مُسْتَعْمَلاً فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَبَيْنَ مَا يَكُونُ بَعِيدًا مَهْجُوراً ، فَأَوَّلَ فِي بَعْضٍ ، وَفَوَّضَ فِي بَعْضٍ ، وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ مَالك (١٧٩هـ) ، وَجزم بِهِ من الْمُتَأَخِّرين : بن دَقِيقِ الْعِيدِ (٧٠٢هـ) ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) : وَأَسْلَمُهَا : الْإِيمَانُ بِلَا كَيْفٍ ، وَالسُّكُوتُ عَنِ الْمُرَادِ إِلَّا أَنْ يَرِدَ ذَلِك عَن الصَّادِق فيصار إِلَيْهِ . وَمن الدَّليل عَلَى ذَلِكَ : اتِّفَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ التَّأويل الْمُعَيَّنَ غَيْرُ وَاجِبٍ ، فَحِينَئِذٍ التَّفْوِيضُ أَسْلَمُ ، وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَسْطٍ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ – إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى – .

وَقَالَ بن الْعَرَبِيِّ (٥٤٣هـ) : حُكِيَ عَنِ الْمُبْتَدِعَةِ رَدُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، وَعَنِ السَّلف إِمْرَارُهَا ، وَعَنْ قَوْمٍ تَأْوِيلُهَا ، وَبِهِ أَقُول .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : " يَنْزِلُ " فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَفْعَالِهِ لَا إِلَى ذَاتِهِ ، بَلْ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ مُلْكِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . والنُّزول كَمَا يَكُونُ فِي الْأَجْسَامِ يَكُونُ فِي الْمَعَانِي ، فَإِنْ حملته فِي الحَدِيث على الْحسي فتلك صِفَةُ الْمَلَكِ الْمَبْعُوثِ بِذَلِكَ ، وَإِنْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَعْنوِيِّ بِمَعْنَى أَنَّه لَمْ يَفْعَلْ ثمَّ فَعَلَ ، فَيُسَمَّى ذَلِكَ نُزُولاً عَنْ مَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ ، فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ ، انْتهَى .

وَالحَاصِلُ أَنَّه تَأَوَّلَهُ بِوَجْهَيْنِ إمَّا بِأَنَّ المُعْنَى يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوِ المَلَكُ بِأَمْرِهِ وإمَّا بِأَنَّهُ اسْتِعَارَةٌ بِمَعْنَى التَّلَطُّفِ بِالدَّاعِينَ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ وَنَحْوِهِ ، وَقَدْ حَكَى أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكَ (٦٠٤هـ) أَنَّ بَعْضَ المَشَايِخِ ضَبَطَهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَذْفِ المَفْعُولِ ، : أَيْ يُنْزِلُ مَلَكاً ، وَيُقَوِّيهِ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَغَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ بِلَفْظِ : " إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ، يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ... " الحَدِيث . وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ : " يُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ... " الحَدِيثَ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَبِهَذَا يَرْتَفِعُ الْإِشْكَالُ ، وَلَا يُعَكِّرُ عَلَيْهِ مَا فِي رِوَايَةِ رِفَاعَةَ الجُهَنِيِّ : " يَنْزِلُ الله إِلَى السَّماء الدُّنيا ، فَيَقُول : لَا يسْأَل عَنْ عِبَادِي غَيْرِي " لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْفَعُ التَّأويل المَذْكُورَ .

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ (٦٨٥هـ) : وَلَمَّا ثَبَتَ بِالْقَوَاطِعِ أَنَّه سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الجِسْمِيَّةِ وَالتَّحَيُّزِ ، امْتَنَعَ عَلَيْهِ النُّزول عَلَى مَعْنَى الاِنْتِقَالِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَخْفَضَ مِنْهُ . فَالمُرَادُ : نُورُ رَحْمَتِهِ ، أَيْ : يَنْتَقِلُ مِنْ مُقْتَضَى صِفَةِ الجَلَالِ الَّتِي تَقْتَضِي الْغَضَبَ وَالاِنْتِقَامَ إِلَى مُقْتَضَى صِفَةِ الْإِكْرَام الَّتِي تَقْتَضِي الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ .

قَوْلُهُ : " حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ " بِرَفْعِ الآخِرِ ، لِأَنَّهُ صِفَةُ الثُّلُثِ ، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) فِي تَعْيِينِ الْوَقْتِ ، وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ (٢٧٩هـ) : رِوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ ، وَيُقَوِّي ذَلِكَ : أَنَّ الرِّوَايَاتِ المُخَالِفَةَ اخْتُلِفَ فِيهَا عَلَى رُوَاتِهَا ، وَسَلَكَ بَعْضُهُمْ طَرِيقَ الجَمْعِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرِّوَايَاتِ انْحَصَرَتْ فِي سِتَّةِ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا : هَذِهِ ، ثَانِيهَا : إِذَا مَضَى الثُّلُثُ الْأَوَّلُ ، ثَالِثُهَا : الثُّلُثُ الْأَوَّلُ أَوِ النِّصْفُ ، رَابِعُهَا : النِّصْفُ ، خَامِسُهَا : النِّصْفُ أَوِ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ ، سَادِسُهَا : الْإِطْلَاقُ . فَأَمَّا الرِّوَايَاتُ المُطْلَقَةُ ، فَهِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى المُقَيَّدَةِ ، وأَمَّا الَّتِي بِأَوْ فَإِنْ كَانَتْ أَوْ لِلشَّكِّ ، فَالمَجْزُومُ بِهِ مُقَدَّمٌ عَلَى المَشْكُوكِ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّرَدُّدِ بَيْنَ حَالَيْنِ ، فَيُجْمَعُ بِذَلِكَ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ لِكَوْنِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ تَخْتَلِفُ فِي الزَّمَانِ وَفِي الْآفَاقِ بِاخْتِلَافِ تَقَدُّمِ دُخُولِ اللَّيْلِ عِنْدَ قَوْمٍ وَتَأَخُّرِهِ عِنْدَ قَوْمٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النُّزول يَقَعُ فِي الثُّلُثِ الْأَوَّلِ ، وَالْقَوْلُ يَقَعُ فِي النِّصْفِ وَفِي الثُّلُثِ الثَّاني . وَقِيلَ : يُحْمَلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ ، وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْلِمَ بِأَحَدِ الْأُمُورِ فِي وَقْتٍ فَأَخْبَرَ بِهِ ، ثمَّ أُعْلِمَ بِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَأَخْبَرَ بِهِ ، فَنَقَلَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ عَنْهُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " (١) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " ... فَمُعْتَقَدُ سَلَفِ الْأَئِمَّةِ وَعُلَمَاءِ السُّنَّة مِنَ الْخَلَفِ أَنَّ اللهَّ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّحَوُّلِ وَالْحُلُولِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ... " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " (قَوْلُهُ : بَابُ الدُّعَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ) :

أَيْ : بَيَانُ فَضْلِ الدُّعَاءِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى غَيْرِهِ إِلَى طُلُوع الْفجْر . قَالَ بن بَطَّالٍ : هُوَ وَقْتٌ شَرِيفٌ خَصَّهُ الله بِالتَّنْزِيلِ فِيهِ فَيَتَفَضَّلُ عَلَى عِبَادِهِ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِمْ وَإِعْطَاءِ سُؤْلِهِمْ وَغُفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ ، وَهُوَ وَقْتُ غَفْلَةٍ وَخَلْوَةٍ وَاسْتِغْرَاقٍ فِي النَّوْمِ وَاسْتِلْذَاذٍ لَهُ ، وَمُفَارَقَةُ اللَّذَّةِ وَالدَّعَةُ صَعْبٌ ، لَا سِيَّمَا أَهْلُ الرَّفَاهِيَةِ وَفِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، وَكَذَا أَهْلُ التَّعَبِ ، وَلَا سِيَّمَا فِي قِصَرِ اللَّيْلِ ، فَمَنْ آثَرَ الْقِيَامَ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ وَصِحَّةِ رَغْبَتِهِ فِيمَا عِنْدَ رَبِّهِ ، فَلِذَلِكَ نَبَّهَ الله عِبَادَهُ عَلَى الدُّعَاءِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي تَخْلُو فِيهِ النَّفْسُ مِنْ خَوَاطِرِ الدُّنيا وَعُلَقِهَا لِيَسْتَشْعِرَ الْعَبْدُ الْجِدَّ وَالْإِخْلَاصَ لِرَبِّهِ .

قَوْلُهُ : " يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا " كَذَا لِلْأَكْثَرِ هُنَا بِوَزْنِ يَتَفَعَّلُ مُشَدَّداً ، وَلِلنَّسَفِيِّ وَالْكُشْمِيهَنِيِّ : " يَنْزِلُ " بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ وَكَسْرِ الزَّايِ .

قَوْلُهُ : " حِينَ يبْقى ثلث اللَّيْل " . قَالَ بن بَطَّالٍ (٤٤٩هـ) : تَرْجَمَ بِنِصْفِ اللَّيْلِ ، وَسَاقَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ التَّنَزُّلَ يَقَعُ ثُلُثَ اللَّيْلِ ، لَكِنَّ الْمُصَنِّفَ عَوَّلَ عَلَى مَا فِي الْآيَةِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴾ [المزمل : ٢-٣] ، فَأَخَذَ التَّرْجَمَةَ مِنْ دَلِيلِ الْقُرْآنِ ، وَذِكْرُ النِّصْفِ فِيهِ يَدُلُّ عَلَى تَأْكِيدِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى وَقْتِ التَّنَزُّلِ قَبْلَ دُخُولِهِ لِيَأْتِيَ وَقْتُ الْإِجَابَةِ ، وَالْعَبْدُ مُرْتَقِبٌ لَهُ مُسْتَعِدٌّ لِلِقَائِهِ .

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ (٧٨٦هـ) : لَفْظُ الْخَبَرِ : " حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ " ، وَذَلِكَ يَقَعُ فِي النِّصْفِ الثَّانِي . انْتَهَى . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْبُخَارِيَّ جَرَى عَلَى عَادَتِهِ ، فَأَشَارَ إِلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي وَرَدَتْ بِلَفْظِ النِّصْفِ ، فَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ عَنْ محمَّد بْنِ عُمَرَ وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، بِلَفْظِ : " يَنْزِلُ الله إِلَى السَّماء الدُّنيا نِصْفَ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ أَوْ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ " . وَأَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي كِتَابِ الرُّؤْيَا مِنْ رِوَايَةِ

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٣٠-٣١) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٢٤) .

عُبَيْدِ اللهَّ الْعُمَرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَهُ وَمِنْ طَرِيقِ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنِ الْأَغَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ : " شَطْرِ اللَّيْلِ مِنْ غَيْرِ تُرَدَّدٍ . وَسَأَسْتَوْعِبُ أَلْفَاظَهُ فِي التَّوْحِيدِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى .

وَقَالَ أَيْضاً : النُّزول مُحَالٌ عَلَى اللهَّ ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ الْحَرَكَةُ مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ إِلَى السُّفْلِ ، وَقَدْ دَلَّتِ الْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ عَلَى تَنْزِيهِهِ عَلَى ذَلِكَ ، فَلْيُتَأَوَّلْ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُرَادَ : نُزُولُ مَلَكِ الرَّحْمَةِ وَنَحْوُهُ أَوْ يُفَوَّضُ مَعَ اعْتِقَادِ التَّنْزِيهِ " (١) .

فالحافظ ابن حجر العسقلاني بيَّن ووضَّح مُجمل كلام العلماء سلفاً وخلفاً في مسألة النُّزول ، وعلى النحو التالي :

١- أنَّ جمهور العلماء أنكر على من يستدلُّ بحديث النُّزول على إثبات الجهة لله تعالى ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ يُفْضِي إِلَى التَّحَيُّزِ ، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ .

٢-أنَّ السَّلف والخلف أجمعوا على تنزيه الله تعالى عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّحَوُّلِ وَالْحُلُولِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ، فالنُّزول المادي مُحَالٌ عَلَى اللهَّ ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ الْحَرَكَةُ مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ إِلَى السُّفْلِ ، وَقَدْ دَلَّتِ الْبَرَاهِينُ الْقَاطِعَةُ عَلَى تَنْزِيهِهِ سبحانه وتعالى عن ذَلِك ..

٣- أنَّ جمهور السَّلف أجروا حديث النُّزول عَلَى مَا وَرَدَ ، مُؤْمِنين بِهِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ ، مُنَزِّهِينَ اللهَّ تَعَالَى عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ ...

٤- أنَّ المشبِّهة حملوا النُّزول على ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِهِمْ .

٥-أنَّ الخوارج والمعتزلة أَنْكَروا صِحَّةَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً ، وَهُوَ مُكَابَرَةٌ .

٦-أنَّ جمهور الخلف أوَّلوا حديث النُّزول أمره أو بنُزُولُ مَلَكِ الرَّحْمَةِ وَنَحْوُهُ ، ويؤيِّد هذا التَّأويل أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ضَبَطَهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ ، أَيْ : يُنْزِلُ مَلَكًا ، كما تقدَّم ...

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " قَوْله : " ينزل " ، بِفَتْح الْيَاء ، فعل مضارع : وَالله ، مَرْفُوع بِهِ . وَقَالَ ابْن فورك : ضبط لنا بعضُ أهل النَّقْل هَذَا الْخَبَر عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَم الْيَاء من : ينزل ، يَعْنِي : من الْإِنْزَال . وَذكر أَنَّه ضبط عَمَّن سمع مِنْهُ من الثِّقَات الضابطين . وَكَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيّ : قد قَيَّده بعضُ النَّاس بذلك فَيكون معدًّى إِلَى مفعول مَحْذُوف ، أَي : يُنزل الله مَلَكاً . قَالَ : والدَّليل على صِحَّة هَذَا مَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٢٩) .

(٣٠٣هـ) من حَدِيث الْأَغر عَن أبي هُرَيْرَة وَأبي سعيد ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الله ، عزَّ وَجلَّ ، يُمْهل حَتَّى يمْضِي شطر اللَّيْل الأول ثمَّ يَأْمر منادياً يَقُول : هَل من دَاع فيستجاب لَهُ ... ؟ الحَدِيث ، وَصَحَّحهُ عبد الْحق .

وَحمل صَاحب " الْمُفْهم " الحَدِيث على النُّزول الْمَعْنَوِيّ على رِوَايَة مَالك عَنهُ عِنْد مُسلم ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا : " يتنزَّل رَبُّنَا " ، بِزِيَادَة : تَاء ، بعد : يَاء المضارعة ، فَقَالَ : كَذَا صحَّت الرِّوَايَة هُنَا ، وَهِي ظَاهِرَة فِي النُّزول الْمَعْنَوِيّ وإليها يرد " ينزل " ، على أحد التَّأويلات ، وَمعنى ذَلِك أَن مُقْتَضى عَظمَة الله وجلاله واستغنائه أَن لَا يعبأ بحقير ذليل فَقير ، لَكِن ينزل بِمُقْتَضى كرمه ولطفه لِأَن يَقُول : من يقْرض غير عدوم وَلَا ظلوم ، وَيكون قَوْله : " إِلَى السَّماء الدُّنيا " ، عبارَة عَن الْحَالة الْقَرِيبَة إِلَيْنَا والدُّنيا بِمَعْنى : الْقُرْبَى ، وَالله أعلم .

ثمَّ الْكَلَام هُنَا على أَنْوَاع :

الأوَّل : احْتجَّ بِهِ قوم على إِثْبَات الْجِهَة لله تَعَالَى ، وَقَالُوا: هِيَ جِهَة الْعُلُوّ ، وَمِمَّنْ قَالَ بذلك : ابْن قُتَيْبَة ، وَابْن عبد الْبر (٤٦٣هـ) ، وَحكي أَيْضاً عَن أبي مُحَمَّد بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) ، وَأنكر ذَلِك جُمْهُور الْعلمَاء ، لِأَنَّ القَوْل بالجهة يُؤَدِّي إِلَى تحيُّز وإحاطة ، وَقد تَعَالَى الله عَن ذَلِك .

الثَّاني : أَنَّ الْمُعْتَزلَة أَو أَكْثَرهم : كجهم بن صَفْوَان (١٢٨هـ) ، وَإِبْرَاهِيم بن صَالح ، وَمَنْصُور بن طَلْحَة ، والخوارج ، أَنْكَرُوا صِحَّة تِلْكَ الْأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ مُكَابَرَة ، وَالْعجب أَنَّهم أولُوا مَا ورد من ذَلِك فِي الْقُرْآن وأنكروا مَا ورد فِي الحَدِيث إِمَّا جهلاً وإِمَّا عنادا .

وَذكر الْبَيْهَقِيّ (٤٥٨هـ) فِي " كتاب الْأَسْمَاء والصِّفات " : عَن مُوسَى بن دَاوُد ، قَالَ : قَالَ لي عباد ابْن عوام : قدم علينا شريك بن عبد الله مُنْذُ نَحْو من خمسين سنة ، قَالَ : فَقال : يَا أَبَا عبد الله إِن عندنَا قوما من الْمُعْتَزلَة يُنكرُونَ هَذِه الْأَحَادِيث ؟ قَالَ : فَحَدثني نَحْو عشرَة أَحَادِيث فِي هَذَا ، وَقَالَ : أَمَّا نَحن فقد أَخذنَا ديننَا هَذَا عَن التَّابِعين عَن أَصْحَاب النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم عَمَّن أخذُوا ؟ وَقد وَقع بَين إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه (٢٣٨هـ) وَبَين إِبْرَاهِيم بن صَالح المعتزلي ، وَبَينه وَبَين مَنْصُور بن طَلْحَة أَيْضا مِنْهُم كَلَام ، بعضه عِنْد عبد الله بن طَاهِر بن عبد الله المعتزلي ، وَبَعضه عِنْد أَبِيه طَاهِر بن عبد الله .

قَالَ إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه (٢٣٨هـ) : جمعني وَهَذَا المبتدع ، يَعْنِي إِبْرَاهِيم بن صَالح ، مجْلِس الْأَمِير عبد الله بن طَاهِر ، فَسَأَلَنِي الْأَمِير عَن أَخْبَار النُّزول فسردتها ، فَقَالَ إِبْرَاهِيم : كفرت بِرَبّ ينزل من سَمَاء إِلَى

سَمَاء . فَقلت : آمَنت بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء . قَالَ : فَرضِي عبد الله كَلَامي ، وَأنكر عَليّ إبراهيم ، وَقد أَخذ إِسْحَاق كَلَامه هَذَا من الفضيل بن عِيَاض (١٨٧هـ) ، رَحمَه الله ، فَإِنَّهُ قَالَ : إِذا قَالَ الجهمي : أَنا أكفر بِرَبّ ينزل ويصعد ، فَقلت : آمَنت بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء ، ذكره أَبُو الشَّيخ ابْن حبَّان فِي " كتاب السُّنَّة " ذكر فِيهِ : عَن أبي زرْعَة ، قَالَ : هَذِه الْأَحَادِيث المتواترة عَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الله ينزلُ كل لَيْلَة إِلَى السَّمَاء الدُّنيا "، قد رَوَاهُ عدَّة من أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهِي عندنَا صِحَاح قَوِيَّة . قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزلُ " وَلم يقل : كَيفَ ينزل ، فَلَا نقُول : كَيفَ ينزل ؟ نقُول ، كَمَا قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى الْبَيْهَقِيّ فِي " كتاب الْأَسْمَاء والصِّفات " أخبرنَا أَبُو عبد الله الْحَافِظ ، قَالَ : سَمِعت أَبَا مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله الْمُزنِيّ (٣٥٦هـ) ، يَقُول : حَدِيث النُّزول قد ثَبت عَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وُجُوه صَحِيحَة ، وَورد فِي التَّنْزِيل مَا يصدِّقــــهُ ، وَهُوَ قَوْله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

الثَّالِث : أَنَّ قوماً أفرطوا فِي تَأْوِيل هَذِه الْأَحَادِيث حَتَّى كَاد أَن تخرج إِلَى نوع من التَّحريف ، وَمِنْهُم من فصَّل بَين مَا يكون تَأْوِيله قَرِيباً مُسْتَعْملاً فِي كَلَام الْعَرَب ، وَبَين مَا يكون بَعيداً مَهْجُوراً ، وَأوَّلُوا فِي بعض وفوَّضوا فِي بعض ، وَنقل ذَلِك عَن مَالك (١٧٩هـ) .

الرَّابع : أَنَّ الْجُمْهُور سلكوا فِي هَذَا الْبَاب الطَّرِيق الْوَاضِحَة السَّالمة ، وأجروا على مَا ورد مُؤمنين بِهِ منزِّهين لله تَعَالَى عَن التَّشْبِيه والكيفيَّة ، وهم : الزُّهري (١٢٤هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، وَابْن الْمُبَارك (١٨١هـ) ، وَمَكْحُول (١١٢هـ) ، وسُفْيَان الثَّوْريّ (١٦١هـ) ، وسُفْيَان بن عُيَيْنَة (١٩٨هـ) ، وَاللَّيْث بن سعد (١٧٥هـ) ، وَحَمَّاد بن زيد (١٧٩هـ) ، وَحَمَّاد بن سَلمَة (١٦٧هـ) ، وَغَيرهم من أَئِمَّة الدِّين . وَمِنْهُم الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة : مَالك (١٧٩هـ) ، وَأَبُو حنيفَة (١٥٠هـ) ، وَالشَّافِعِيّ (٢٠٤هـ) ، وَأحمد . قَالَ الْبَيْهَقِيّ فِي " كتاب الْأَسْمَاء والصِّفات " : قَرَأت بِخَط الإِمَام أبي عُثْمَان الصَّابُونِي (٤٤٩هـ) ، عقيب حَدِيث النُّزول : قَالَ الاستاذ أَبُو مَنْصُور يَعْنِي الجمشاذي (٣٨٨هـ) : وَقد اخْتلف الْعلمَاء فِي قَوْله : " ينزل الله " ، فَسئلَ أَبُو حنيفَة (١٥٠هـ) ، فَقَالَ : بِلَا كَيفَ ، وَقَالَ حَمَّاد بن زيد (١٧٩هـ) : نُزُوله إقباله . وروى الْبَيْهَقِيّ (٤٥٨هـ) فِي " كتاب الِاعْتِقَاد " بِإِسْنَادِهِ إِلَى يُونُس بن عبد الْأَعْلَى (٢٦٤هـ) ، قَالَ : قَالَ لي مُحَمَّد بن إِدْرِيس الشَّافِعِي (٢٠٤هـ) : لَا يُقَال للْأَصْل : لِمَ وَلَا كَيفَ ، وروى بِإِسْنَادِهِ إِلَى الرّبيع بن سُلَيْمَان (٢٧٠هـ) ، قَالَ : قَالَ

الشَّافِعِي (٢٠٤هـ) : الأَصْل كتاب أَو سنَّة أَو قَول بعض أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَو إِجْمَاع النَّاس ، قلت : لَا شكّ أَنَّ النُّزول انْتِقَالُ الْجِسْم من فَوق إِلَى تَحت ، والله منزَّه عَن ذَلِك ، فَمَا ورد من ذَلِك فَهُوَ من المتشابهات ، فَالْعُلَمَاء فِيهِ على قسمَيْنِ :

الأوَّل : المفوِّضة : يُؤمنُونَ بهَا ويفوِّضون تَأْوِيلهَا إِلَى الله ، عزَّ وَجلَّ ، مَعَ الْجَزْم بتنزيهه عَن صِفَات النُّقْصَان .

والثَّاني : المؤولة : يؤولون بهَا على مَا يَلِيق بِهِ بِحَسب المواطن ، فأولوا بِأَنَّ معنى : " ينزل الله " : ينزل ، أي : أمره أَو مَلَائكته ، وَبِأَنَّهُ اسْتِعَارَة ، وَمَعْنَاهُ : التلطُّف بالداعين والإجابة لَهُم وَنَحْو ذَلِك .

وَقَالَ الْخطابِيّ : هَذَا الحَدِيث من أَحَادِيث الصِّفَات ، مَذْهَب السَّلف فِيهِ : الْإِيمَان بهَا وإجراؤها على ظَاهرهَا وَنفي الْكَيْفِيَّة عَنهُ : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وَقَالَ القَاضِي الْبَيْضَاوِيّ (٦٨٥هـ) : لمَّا ثَبت بالقواطع الْعَقْلِيَّة أَنَّه منزَّه عَن الجسميَّة والتَّحيُّز ، امْتنع عَلَيْهِ النُّزول على معنى الِانْتِقَال من مَوضِع أَعلَى إِلَى مَا هُوَ أَخفض مِنْهُ ، فَالْمُرَاد : دنوُّ رَحمته ، وَقد رُوِيَ : يهْبط الله من السَّمَاء الْعليا إِلَى السَّمَاء الدُّنيا ، أَي : ينْتَقل من مُقْتَضى صِفَات الْجلَال الَّتِي تَقْتَضِي الأنفة من الأراذل وقهر الْأَعْدَاء والانتقام من العصاة إِلَى مُقْتَضى صِفَات الْإِكْرَام للرَّأفة وَالرَّحْمَة وَالْعَفو ، وَيُقَال : لَا فرق بَين الْمَجِيء والإتيان والنُّزول إِذا أضيف إِلَى جسم يجوز عَلَيْهِ الْحَرَكَة ، والسُّكون ، والنُّقلة ، الَّتِي هِيَ تَفْرِيغ مَكَان وشغل غَيره ، فَإِذا أضيف ذَلِك إِلَى من لَا يليق بِهِ الِانْتِقَال وَالْحَرَكَة ، كَانَ تَأْوِيل ذَلِك على حسب مَا يَلِيق بنعته وَصفته تَعَالَى .

فالنُّزول : لُغَة ، يسْتَعْمل لمعان خَمْسَة مُخْتَلفَة : بِمَعْنى الِانْتِقَال : ﴿ وَأَنۡزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴾ [الفرقان : ٤٨] . و: الْإِعْلَام ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أَي : أعلم بِهِ الرُّوح الْأمين محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِمَعْنى : القَوْل ﴿ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٩٣] . أَي : سأقول مثل مَا قَالَ ، والإقبال على الشَّيء ، وَذَلِكَ مُسْتَعْمل فِي كَلَامهم جَار فِي عرفهم ، يَقُولُونَ : نزل فلَان من مَكَارِم الأخلاف إِلَى دنيِّها ، وَنزل قدر فلَان عِنْد فلَان إِذا انخفض ، وَبِمَعْنى : نُزُول الحكم ، من ذَلِك قَوْلهم : كُنَّا فِي خير وَعدل حَتَّى نزل بِنَا بَنو فلَان ، أَي : حكم ، وَذَلِكَ كُله مُتَعَارَف عِنْد أهل اللُّغَة : وَإِذا كَانَت مُشْتَرَكَة فِي الْمَعْنى وَجب حمل مَا وصف بِهِ الرَّبُّ ، جلَّ جَلَاله ، من النُّزول على مَا يَلِيق بِهِ من بعض هَذِه

الْمَعَانِي ، وَهُوَ : إقباله على أهل الأَرْض بِالرَّحْمَةِ والاستيقاظ بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يُلقى فِي الْقُلُوب ، والزَّواجر الَّتِي تزعجهم إِلَى الإقبال على الطَّاعَة . ووجدناه تَعَالَى خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] (١) .

وقال الإمام بدر الدِّين العيني أيضاً : " اعلم أنَّ النُّزول والصُّعود ، والحركة والسُّكون من صفات الأجسام ، والله تعالى منزَّه عن ذلك . فقيل : معناه : ينتقل كلّ ليلة من صفات الجلال إلى صفات الرَّحمة والكمال ، وقيل : المراد به نزول الرَّحمة والألطاف الإلهيَّة ، وقربها من العباد ، أو نزول مَلك من خواص ملائكته فينقل حكاية الرَّبّ . قيل : هذا من المتشابهات .

وهذا الحديث روي من طرق صِحاح بألفاظ متقاربة ومعنى واحد ، وأخرجه البخاري في ثلاث مواضع من " صحيحه " بلفظ : وحين يبقى ثلث الليل الآخر " ، وذكر التِّرمذي : أنَّ أصحَّ الرِّوايات : " حين يبقى ثلث الليل الآخر " ، وصحَّح ذلك غيره أيضاً ، وقال : كذا قال شيوخ أهل الحديث ، وهو الذي تتظاهر الأخبار بمعناه ولفظه ، وقد يحتمل الجمع بأنَّ الحديثين أن يكون النُّزول الذي أراده النَّبي- عليه السَّلام- وعناه - والله أعلم - بحقيقته عند مضي الثلث الأوَّل ، والقول : " من يدعوني " إلى آخره في الثلث الأخير ، وأحسن الألفاظ في هذا الحديث وأبعدها من سوء التَّأويل ، ما أخرجه النَّسائي في " سننه " من حديث الأغرّ أبي مسلم ، قال : سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري يقولان : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إنَّ الله يُمهل حتى يمضي شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمرُ منادياً ينادي ويقول : هل من داعٍ يُستجاب له ، هل من مستغفر يُغفر له ، هل من سائل يُعطى" ، فإن قيل : ما وجه اختصاص نزول أَمر الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ؟ قلت : لأَنَّه وقت هدوء الأصوات ، وانقطاع الحركات ، واشتغال أكثر الخلق بالنَّوم والغفلة في هذا الوقت ، وأنَّه وقت انتشار الأنوار ووقت نشور الخلائق من الموت ، الذي هو النَّوم ، فيكون وقتاً شريفاً ، وكان أقرب إلى الإجابة والإعطاء والمغفرة ، وإن كان الله تعالى يستجيب دعوة الدَّاعين ، ويعطي سؤال السَّائلين ، ويغفر ذنوب المستغفرين

---

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٩٩-٢٠٠) .

في جميع الأوقات ، وأيضاً هذا حثٌّ عظيم على قيام الليل في آخره بعد كسر النَّوم ، وبعد الفراغ عن الأشغال ، لأنَّ أود الليل وقت الشّغل والنَّوم " (١) .

فالإمام العيني عقيدة أهل الحق في النُّزول ، وأنَّه ليس بنقلة ولا حركة ، وعرَّج على وقت نزول أمر الله تعالى إلى السَّماء حين يبقى الثُّلث الأخير من الليل ، وهو وقت الأعطيات والهِبات الذي لا يفطن له إلَّا الراغبون الفطنون الأوَّابون ... قال الإمام ابن رجب (٧٩٥هـ) : " كان أبو سليمان يقول : أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدُّنيا . وسط الليل للمحبِّين للخلوة بمناجاة حبيبهم ، والسَّحر للمذنبين للاستغفار من ذنوبهم ، فوسط الليل خاصٌّ لخلوة الخواص ، والسَّحر عام لرفع قصص الجميع وبروز التَّواقيع لأهلها بقضاء الحوائج ، فمن عجز عن مسابقة المحبِّين في ميدان مضمارهم ، فلا يعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم واعتذارهم ، صحائف التَّائبين خدودهم ، ومدادهم دموعهم ، قال بعضهم : إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم ، رسائل الأسحار تحمل ولا يدري بها الفلك وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك .

صحائفنا إشارتنـــا وأكثر رسلنا الحرق
لأنَّ الكتب قد تقرأ بغير الـــدَّمع لا تثق

لا تزال القصص تستعرض ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر ، ينزل الله كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من داع فأجيب دعوته ؟ إلى أن ينفجر الفجر ، فلذلك كانوا يفضِّلون صلاة آخر الليل على أوله .

نحن الذين إذا أتانا ســـــــائل نوليه إحساناً وحسن تكرم
ونقول في الأسحار هل من تائب مستغفر لينـــال خير المغنم

الغنيمة تقسم على كلِّ من حضر الوقعة ، فيعطي منها الرّجالة ، والأجراء ، والغلمان مع الأمراء ، والأبطال ، والشُّجعان ، والفرسان ، فما يطلع فجر الأجر إلَّا وقد حاز القوم الغنيمة ، وفازوا بالفخر ، وحمدوا عند الصَّباح السّرى ، وما عند أهل الغفلة والنَّوم خبر مما جرى . كان بعض الصَّالحين يقوم الليل ، فإذا كان السَّحر نادى بأعلى صوته : يا أيُّها الرَّكب المعرسون أكلّ هذا الليل ترقدون ، ألا تقومون

(١) انظر : شرح سنن أبي داود ، العيني (٥/ ٢٢٢-٢٢٣) .

فترحلون ، فإذا سمع النَّاس صوته وثبوا من فُرُشهم ، فيسمع من هنا باكٍ ، ومن هنا داعٍ ، ومن هنا تالٍ ، ومن هنا متوضِّيء ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصَّباح يحمد القوم السّرى .

يا نفس قومي فقد نـــام الورى إن تصنعي الخير فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى عند الصَّبــاح يحمد القوم السّرى

يا قوَّام الليل اشفعوا في النوَّام ، يا أحياء القلوب ترحَّموا على الأموات . قيل لابن مسعود رضي الله عنه : ما نستطيع قيام الليل ؟ قال : أقعدتكم ذنوبكم ، وقيل للحسن : قد أعجزنا قيام الليل ؟ قال : قيَّدتكم خطاياكم ، وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النَّهار ، فاعلم أنَّك محروم ، كبَّلتك خطيئتك . قال الحسن : إنَّ العبد ليذنب الذَّنب ، فيحرم به قيام الليل . قال بعض السَّلف : أذنبت ذنباً فحرمت به قيام الليل ستَّة أشهر . ما يؤهِّل الملوك للخلوة بهم إلَّا من أخلص في ودِّهم ومعاملتهم . فأمَّا من كان من أهل المخالفة ، فلا يؤهِّلونه . في بعض الآثار : إنَّ جبريل عليه السَّلام يُنادي كلَّ ليلة : أقم فلاناً وأنم فلاناً . قام بعض الصَّالحين في ليلة باردة وعليه ثياب رثَّة ، فضربه البرد فبكى ، فهتف به هاتف : أقمناك وأنمناهم ثمَّ تبكي علينا .

يا حُسنهم والليـــــــــــل قد جنَّهم ونورهم يفــوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر فـــــــــــــي ليلهم فعيشهم قد طـاب في الترنُّم
قلـــــــــــوبهم للذِّكر قد تفرَّغت دمـــــوعهم كلؤلؤ منظم
أسحــــــــــارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير القســــــــــم

الليل منهل يرده أهل الإرادة كلّهم ، ويختلفون فيما يردون ويريدون ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة : ٦٠] ، فالمحبُّ يتنعَّم بمناجاة محبوبه ، والخائف يتضرَّع لطلب العفو ويبكي على ذنوبه ، والرَّاجي يلحُّ في سؤال مطلوبه ، والغافل المسكين أحسن الله عزاءه في حرمانه وفوات نصيبه ... " (١) .

وقال الإمام بدر الدِّين العيني أيضاً في كلامه على حديث النُّزول : " ... والْحَدِيث من المتشابهات ، وَلَا بُدَّ من التَّأويل ، إِذْ الْبَرَاهِين القاطعة دلّت على تنزُّه مِنْهُ ، فَالْمُرَاد نزُولُ مَلك الرَّحْمَة وَنَحْوه ، ويُروى

---

(١) انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص٤٥-٤٦) .

: يُنزل . قَوْله : " ثلث اللَّيْل الآخر " بِكَسْر الْخَاء وَهُوَ صفة الثُّلُث . قيل : ذكر فِي التَّرْجَمَة نصف اللَّيْل وَفِي الحَدِيث الثُّلُث ؟ وَأجِيب : بِأَنَّهُ حِين يبْقى الثُّلُث يكون قبل الثُّلُث ، وَهُوَ الْمَقْصُود من النّصْف .

وَقَالَ ابْن بطَّال (٤٤٩هـ) : عدل الْمُصَنّف لِأَنَّهُ أَخذ التَّرْجَمَة من دَلِيل الْقُرْآن وَذكر النّصْف ، وَقيل : أَشَارَ البُخَارِيّ (٢٥٦هـ) إِلَى الرِّوَايَة الَّتِي وَردت بِلَفْظ النّصْف . وَقد أخرجه أَحْمد ، عَن يزِيد بن هَارُون ، عَن مُحَمَّد بن عَمْرو ، عَن أبي سَلمَة ، عَن أبي هُرَيْرَة بِلَفْظ : " ينزل الله إِلَى سَمَاء الدُّنيا نصف اللَّيْل أَو ثلث اللَّيْل الآخر " ، وروى الدَّارَقُطْنِي من طَرِيق حبيب بن أبي ثَابت عَن الْأَغَر عَن أبي هُرَيْرَة بِلَفْظ : " شطر اللَّيْل " ، من غير تردُّد " (١) .

فقد ذكر الإمام بدر الدِّين العيني مسالك العلماء في مسألة النُّزول ... وأنَّ الله تعالى منزَّه عن النُّزول بمعنى الحركة والنُّقلة ، وأنَّ جُمْهُور السَّلف أجروا ما جاء من المتشابهات على ظاهر لفظها لا على ظاهر معناها ، وآمنوا بها مع تنزيه الله تعالى عَن التَّشْبِيه والكيفيَّة ، وهم : الزُّهري (١٢٤هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، وَابْن الْمُبَارك (١٨١هـ) ، وَمَكْحُول (١١٢هـ) ، وسُفْيَان الثَّوْريّ (١٦١هـ) ، وسُفْيَان بن عُيَيْنَة (١٩٨هـ) ، وَاللَّيْث بن سعد (١٧٥هـ) ، وَحَمَّاد بن زيد (١٧٩هـ) ، وَحَمَّاد بن سَلمَة (١٦٧هـ) ، وَغَيرهم من أَئِمَّة الدِّين . وَمِنْهُم الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة : مَالك (١٧٩هـ) ، وَأَبُو حنيفَة (١٥٠هـ) ، وَالشَّافِعِيّ (٢٠٤هـ) ، وَأحمد (٢٤١هـ) .

وأمَّا جمهور الخلف فذهب إلى التَّأويل ، فحملوا الحَدِيث على النُّزول الْمَعْنَوِيّ ، وَمعنى ذَلِك : أنَّ النُّزول يعني : نزول أمره أَو مَلَائِكَته ، أو أنَّه خرج مخرج الاسْتِعَارَة ، وَمَعْنَاهُ : التَّلطُّف بالدَّاعين والإجابة لَهُم ، أو أنَّ المقصود بالنُّزول : إقباله تعالى على أهل الأَرْض بِالرَّحْمَةِ والاستيقاظ بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يلقى فِي الْقُلُوب ، والزَّواجر الَّتِي تزعجهم إِلَى الإقبال على الطَّاعَة . ولذلك خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] .

وقال الإمام أبو عبد الله السَّنوسي هو محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السَّنوسي (٨٩٥هـ) : " لمَّا ثبت بالقواطع العقليَّة والنقليَّة أنَّه تبارك وتعالى منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز والحلول امتنع عليه النُّزول بمعنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، بل المعني به إذا لم نقدر حذف المضاف على ما ذكره أهل الحقّ : دنوّ رحمته ومزيد لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن

---

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٢٩١) .

الملوك الكرماء والسَّادة الرُّحماء إذا نزلوا بقوم مكان ينزل يأمر منادياً ينادي يقول : هل من داع ، الحديث ذكره النَّسائي ، وهذا يرفع الإشكال ، وقيَّده بعض النَّاس بضم الياء من أنزل ، أي يُنزل مَلَكاً ، ويشهد للثَّاني ما في الحديث من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يبسط يديه " ، فإنَّه استعارة لكثرة إعطائه وإجابة دعائه ، ولا يعترض هذا بأنْ يُقال فعله وأمره ونهيه في كلِّ حين ، فلا يختصُّ بوقت لأنَّه لا يمتنع أنْ يُخصص ذلك ببعض الأوقات ، وقد يكون المراد بالأمر هاهنا ما يختص بقائم الليل ، كما اختصّ رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة النِّصف من شعبان بأوامر من أوامره وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات ... " (١) .

فممَّا نفهمه من عقيدة الإمام السَّنوسي بالنُّزول ، أنَّه يؤمن ويعتقد بـ :

١-امتناع النُّزول المادي على الله تعالى ، لما ثبت من كونه تعالى يتنزَّه عن الجسميَّة ولوازمها من التحيُّز والحلول والحركة والانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ...

٢-أنَّ المقصود بنزوله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا : دنوّ رحمته ومغفرته أ بإعطاء السَّائلين سؤلهم ، والتَّوبة على التَّائبين ، والمغفرة للمستغفرين ،... وهذا هو التَّفويض الإجمالي ...

٣- أو أنَّ يكون النُّزول متعلِّق بنزول ملك يأمره الله تعالى أن ينزل فينادي ، يقول : هل من داع ، كا تقدَّم ... وقد يكون المراد بالأمر هاهنا ما يختصُّ بقائم الليل ، كما اختصَّ رمضان ويوم عرفة وليلة القدر وليلة النِّصف من شعبان بأوامر من أوامره وقضايا من قضاياه لا تكون في سائر الأوقات ، لأنَّ قيام الليل سبيلٌ للمكرمات والهِبات والأُعطيات ، فقد وصفهم الله تعالى وامتدحهم بأنَّهم : ﴿ كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨] ، وقال الله تعالى في وصفهم : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَوَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٩] ، فمكابدة الليل بالسَّهر وهجر النَّوم بالإقبال على الله تعالى عنوان الإخلاص ، لأنَّه لا أحد يعلم عنك ، ولا أحد يراك ... ولهذا سُئل الإمام الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : " ما بال المتهجِّدين - الذين يصلُّون بالليل - وجوههم فيها النُّور ، فيها الضِّياء ؟ فقال الإمام - رحمه الله - : لأنَّهم خلوا بالرَّحمن فأعطاهم من نوره " (٢) .

---

(١) انظر : مكمل إكمال الإكمال المطبوع مع إكمال إكمال المعلم (٢/ ٣٨٥-٣٨٦) .

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدِّين (١/ ٣٥٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في كلامه على حديث النُّزول : " ... هَذَا من الْمُتَشَابه الَّذِي يُسكت عَن الْخَوْض فِيهِ ، وَإِن كَانَ لا بدّ ، فَأولى مَا يُقَال فِيهِ مَا فِي رِوَايَة النَّسَائِيّ : " إِنَّ الله يُمْهِلُ حَتَّى يمْضِي شطر اللَّيْل ثمَّ يَأْمر منادياً ، يَقُول : هَل من دَاع فيستجاب لَهُ " ، فَالْمُرَاد إِذن : نزُول أمره أَو الْملك بأَمْره . وَذكر بن فورك أَنَّ بعض الْمَشَايِخ ضَبطه ينزل بِضَم أَوله على حذف الْمَفْعُول ، أَي : يُنزل مَلَكاً " (١) .

فعقيدة الإمام السُّيوطي في النُّزول هي : الاعتقاد بأنَّ النُّزول من المتشابه الذي يتهيَّب المرء من الدُّخول فيه ، لكن إن كان ولا بدَّ من الخوض إن دعت الحاجة للتَّوضيح ورفع ما يقع لدى البعض من إشكال ، فَأولى مَا يُقَال فِيهِ مَا فِي رِوَايَة النَّسَائِيّ : " إِنَّ الله يُمْهِلُ حَتَّى يمْضِي شطر اللَّيْل ثمَّ يَأْمر منادياً ، يَقُول : هَل من دَاع فيستجاب لَهُ " ، فَالْمُرَاد إِذن : نزُول أمره أَو الْملك بأَمْره . يؤيد ذلك ما ذكرهَ ابن فورك من أَنَّ بعض الْمَشَايِخ ضَبطه ينزل بِضَم أَوله على حذف الْمَفْعُول ، أَي : يُنزل الله تعالى مَلَكاً ، وهذا هو مذهب المؤولة ... مع التَّأكيد على أنَّ التَّأويل إنَّما هو تفويض إجمالي ...

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " ... نزول رحمة ، ومزيد لطف ، وإجابة دعوة ، وقبول معذرة ، كما هو ديدن الملوك الكرماء ، والسَّادة الرُّحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين ، فقراء مستضعفين ، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله تعالى ، فهو نزول معنويّ . نعم ، يجوز حمله على الحسِّي ، ويكون راجعاً إلى أفعاله لا إلى ذاته ، بل هو عبارة عن مَلكه الذي ينزل بأمره ونهيه .

وقد حكى ابن فورك : أنَّ بعض المشايخ ضبطه بضمِّ الياء من : ينزل . قال القرطبي : وكذا قيَّده بعضهم ، فيكون معدّى إلى مفعول محذوف ، أي : يُنزل الله مَلكاً . قال : ويدلُّ له رواية النَّسائي : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُمهلُ حتى شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمر منادياً ، يقول : هل من داعٍ فيُستجاب له ... " الحديث . وبهذا يرتفع الإشكال . قال الزّركشي : لكن روى ابن حبَّان في صحيحه : " ينزلُ الله إلى السَّماء ، فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري " (٢)

(١) انظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ١٦٧) .

(٢) أخرجه ابن حبَّان في صحيحه (١/ ٤٤٥ برقم ٢١٢) .

وأجاب عنه في المصابيح بأنَّه : لا يلزم من إنزاله الملك أن يسأله عمَّا صنع العباد ، ويجوز أن يكون الملك مأموراً بالمناداة ، ولا يسأل البتَّة عمَّا كان بعدها ، فهو سبحانه وتعالى أعلم بما كان وبما يكون ، لا تخفى عليه خافية ، وقوله : (تبارك وتعالى) ، جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه ، وهو قوله : " كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " ، لأنَّه لما أسند ما لا يليق إسناده بالحقيقة ، أتى بما يدلُّ على التَّنزيه " حين يبقى ثلث الليل الآخر " منه ، بالرَّفع صفة وتخصيصه بالليل ، وبالثُّلث الأخير منه لأنَّه وقت التَّهجُّد ، وغفلة النَّاس عمَّن يتعرَّض لنفحات رحمة الله ، وعند ذلك تكون النيَّة خالصة ، والرَّغبة إلى الله تعالى وافرة ، وذلك مظنَّة القبول والإجابة .

ولكن اختلفت الرِّوايات في تعيين الوقت على ستَّة أقوال ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في كتاب : الدُّعاء نصف الليل بعون الله .

" يقول من يدعوني فأستجيب له " بالنَّصب على جواب الاستفهام ، وبالرَّفع على تقدير مبتدأ ، أي : فأنا أستجيب له . وكذلك حكم : فأعطيه فأغفر له . وليست السِّين للطَّلب ، بل أستجيب بمعنى : أجيب " من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له " . وزاد حجَّاج بن أبي منيع ، عن جدِّه ، عن الزُّهري (١٢٤هـ) عند الدَّارقطني في آخر الحديث : حتى الفجر . والثَّلاثة : الدُّعاء ، والسُّؤال ، والاستغفار ، إمَّا بمعنى واحد ، فذكرها للتَّوكيد ، وإمَّا لأنَّ المطلوب لدفع المضار أو جلب المسار ، وهذا إمَّا دنيوي أو ديني ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأوَّل ، وفي السُّؤال إشارة إلى الثَّاني ، وفي الدُّعاء إشارة إلى الثَّالث .

وإنَّما خصَّ الله تعالى هذا الوقت بالتَّنزُّل الإلهي ، والتَّفضُّل على عباده باستجابة دعائهم ، وإعطائهم سؤلهم ، لأنَّه وقت غفلة واستغراق في النَّوم . واستلذاذ به ، ومفارقة اللذَّة والدَّعة صعب ، لا سيَّما أهل الرَّفاهيَّة ، وفي زمن البرد ، وكذا أهل التَّعب ، ولا سيَّما في قصر الليل . فمن آثر القيام لمناجاة ربَّه والتَّضرُّع إليه مع ذلك ، دلَّ على خلوص نيَّته وصحَّة رغبته فيما عند ربِّه تعالى " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) في شرحه لحديث : " يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يدعوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ " :

---

(١) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ٣٢٤-٣٢٥) .

هذا من المتشابهات وحظُّ السَّلف من الرَّاسخين في العلم أن يقولوا : آمنَّا به كلٌّ من عند ربِّنا ، ونقله البيهقي (٤٥٨هـ) وغيره عن الأئمَّة الأربعة ، والسُّفيانين (سفيان الثوري (١٦١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، والحمَّادين (حمَّاد بن سلمة ١٦٧هـ ، وحمَّاد بن زيد ١٧٩هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، والليث (١٧٥هـ) ، ومنهم من أوَّل على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ، ومنهم من أفرط في التَّأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التَّحريف ، ومنهم من فصَّل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب وما يكون بعيداً مهجوراً ، فأوَّل في بعض ، وفوَّض في آخر ، ونقل هذا عن مالك (١٧٩هـ) .

قال البيهقي (٤٥٨هـ) : وأسلمها : الإيمان بلا كيف ، والسُّكوت عن المراد ، إلَّا أن يردَ ذلك عن الصَّادق فيُصار إليه ، ونقل عن مالكَ أنَّه أوَّل النُّزول هنا بنزول رحمته تعالى وأمره أو ملائكته ، كما يقال : فعل الملك كذا ، أي : أتباعه بأمره ، ومنهم من أوَّله على الاستعارة ، والمعنى : الإِقبال على الدَّاعي باللطف والإجابة ، وقد سبق في التَّهجُّد من أواخر كتاب الصَّلاة مباحثه ، ويأتي إن شاء الله تعالى بعون الله غير ذلك في كتاب التَّوحيد .

وقال البيضاوي (٦٨٥هـ) : لَمَّا ثبت بالقواطع أنَّه سبحانه منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز ، امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد دنوّ رحمته ، أي : ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرَّحمة والرَّأفة .

" حين يبقى ثلث الليل الآخر " بكسر المعجمة والرَّفع صفة لثلث ، لأنَّه وقت خلوة ، ومناجاة ، وتضرُّع ، وخلوّ النَّفس من خواطر الدُّنيا وشواغلها .

وساق المؤلّف التَّرجمة بلفظ : " نصف الليل " ، والحديث مصرِّح أنَّ التنزُّل ثلث الليل ، فيحتمل أنَّه جرى على عادته بالإشارة إلى حديث أحمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ : " ينزل الله إلى سماء الدُّنيا نصف الليل الآخر أو ثلث الليل الآخر " ، وأخرجه الدَّارقطني (٣٨٥هـ) عن الأغرّ عن أبي هريرة بلفظ : " شطر الليل " من غير تردُّد . وقد اختلفت الرِّوايات في تعيين الوقت على ستَّة : الثُّلث الأخير كما هنا أو الثُّلث الأوَّل أو الإطلاق فيُحمل المطلق على المقيَّد ، والذي بأوان كان للشَّك المجزوم به مقدَّم على المشكوك فيه ، وإن كان للتَّردُّد بين حالين ، فيُجمع بذلك بين الرِّوايات بأنَّ ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال ، لكون أوقات الليل تختلف في الزَّمان والأوقات باختلاف تقدُّم دخول الليل عند قوم وتأخُّره عند قوم ، أو يكون النُّزول يقع في الثُّلث الأوَّل ، والقول يقع في النِّصف ، وفي الثُّلث الثَّاني

، أو أنَّه يقع في جميع الأوقات التي وردت به ، ويُحمل على أنَّه أعلم بأحدها في وقت فأخبر به ثمَّ الآخر فأخبر به فنقلت الصَّحابة ذلك عنه " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " حدَّثنا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الأَغَرِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : " يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " ؟ .

وبه قال : (حدَّثنا إسماعيل) بن أبي أويس ، قال : (حدَّثني) بالإفراد (مالك) هو ابن أنس إمام دار الهجرة الأصبحي ، (عن ابن شهاب) محمَّد بن مسلم الزُّهري (١٢٤هـ) ، (عن أبي عبد الله الأغر) بالغين المعجمة المفتوحة والرَّاء المشدَّدة ، واسمه سلمان الجهني المدني ، (عن أبي هريرة) رضى الله عنه (أنَّ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال) : (يتنزَّل) بتحتيَّة ففوقيَّة وتشديد الزَّاي في باب التَّفعّل ، ولأبي ذر عن الكشميهني : ينزل (ربُّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) ، أي : ينزل ملك بأمره ، وتأوله ابن حزم بأنَّه فعل يفعله الله في سماء الدُّنيا ، كالفتح لقبول الدُّعاء ، وأنَّ تلك السَّاعة من مظانّ الإجـــابة ، وهذا معهود في اللغة ، يقال : فلان نزل لي عن حقِّه بمعنى وهبه لي ... " (٢) .

فعقيدة الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني في النُّزول ، هي عين ما ذكره العلماء الذين ذكرناهم سابقاً ، وقد التزم جميعهم جانب تنزيه الله تعالى عمَّا يوهم التَّشبيه من الجسميَّة والحركة والنُّقلة ، وسائر لوازم المحدثات ...

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن أحمد الشَّعراني (٩٧٣هـ) : " ... وسمعت سيِّدي عليّاً المرصفي – رحمه الله تعالى – يقول كثيراً : إنَّما أخبر الحقُّ – تعالى – أنَّه ينزل كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا ، وإن كان النُّزول على وجه النَّقل محالاً في حقِّه – تعالى – ليعلمنا التَّواضع مع العباد ، ولا نرى نفوسنا على أحد منهم " (٣) .

---

(١) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ١٨٧–١٨٨) .

(٢) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٣٥) .

(٣) انظر : القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصِّفات الإلهية (ص١٣٩) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري الشَّافعي ، المتكلِّم ، الأشعري ، الصُّوفي (٩٧٣ هـ) : " نزول الله كناية عن نزول رحمته أو بعض ملائكته ، لتعاليه تبارك وتعالى عن الجهة ، والمكان ، والجسم ، والزَّمان ، تعالى الله عمَّا يقول الظَّالمون والجاحدون علوَّاً كبيراً " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " يَنْزِلُ الله ، أَيْ : أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ينزل الله إلى سماء الدُّنيا ... أي : أمره " (٣) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا ") ، أَيْ : أَمْرُهُ لِبَعْضِ مَلَائِكَتِهِ أَوْ يَنْزِلُ مُنَادِيهِ (" تَبَارَكَ ") : كَثُرَ خَيْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَآثَارُ جَمَالِهِ (" وَتَعَالَى ") : عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الطُّلُوعِ والنُّزول ، وَارْتَفَعَ عَنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ بِكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، قِيلَ : إِنَّهُمَا جُمْلَتَانِ مُعْتَرِضَتَانِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَظَرْفِهِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى التَّنْزِيهِ ، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِسْنَادِ مَا هُوَ حَقِيقَتُهُ ، (" كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا ") ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : أَيْ : يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ أَوْ مَلَائِكَتُهُ ، وَهَذَا تَأْوِيلُ الْإِمَام مَالِكٍ (١٧٩هـ) وَغَيْرِهِ وَيَدُلُّ لَهُ الْحَدِيثُ الصَّحِيح " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً يُنَادِي ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ؟ " الْحَدِيثَ .

والتَّأويل الثَّاني ، وَنُسِبَ إِلَى مَالِكٍ أَيْضاً : أَنَّه عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعِي بِالْإِجَابَةِ وَاللُّطْفِ وَالرَّحْمَةِ وَقَبُولِ الْمَعْذِرَةِ ، كَمَا هُوَ عَادَةُ الْكُرَمَاءِ ، لَا سِيَّمَا الْمُلُوكَ إِذَا نَزَلُوا بِقُرْبِ مُحْتَاجِينَ مَلْهُوفِينَ مُسْتَضْعَفِينَ .

---

(١) انظر : الإيضاح والبيان بما جاء في ليلة النصف من شعبان ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي (ل٥/ أ) ، مخطوط محفوظ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات برقم (١٠٢٤٧) .

(٢) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٨٨) .

(٣) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٢٠٢) .

قَالَ النَّووي (٦٧٦هـ) فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَشِبْهِهِ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات وَآيَاتِهَا مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ :

فَمَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلف وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ : الْإِيمَانُ بِحَقِيقَتِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَـــارَفَ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِنَا تَنْزِيهَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ سَائِرِ سِمَاتِ الْحُدُوثِ .

والثَّاني : مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلف ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ مَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) : إِنَّمَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ بَوَاطِنِهَا ، فَعَلَيْهِ : الْخَبَرُ مُئَوَّلٌ بِتَأْوِيلَيْنِ ، أَي : الْمَذْكُورَيْنِ ، وَبِكَلَامِهِ وَبِكَلَامِ الشَّيخ الرَّبَّانِيِّ أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ (٤٧٦هـ) ، وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ (٤٧٨هـ) ، وَالْغَزَالِيِّ (٥٠٥هـ) وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّتِنَا وَغَيْرِهِمْ يُعْلَمُ أَنَّ الْمَذْهَبَيْنِ مُتَّفِقَانِ عَلَى صَرْفِ تِلْكَ الظَّوَاهِرِ ، كَالْمَجِيءِ ، وَالصُّورَةِ ، وَالشَّخْصِ ، وَالرِّجْلِ ، وَالْقَدَمِ ، وَالْيَدِ ، وَالْوَجْهِ ، وَالْغَضَبِ ، وَالرَّحْمَةِ ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالْكَوْنِ فِي السَّماء ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُفْهِمُهُ ظَاهِرُهَا لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ مِنْ مُحَالَاتٍ قَطْعِيَّةِ الْبُطْلَانِ تَسْتَلْزِمُ أَشْيَاءَ يُحْكَمُ بِكُفْرِهَا بِالْإِجْمَاعِ ، فَاضْطَرَّ ذَلِكَ جَمِيعَ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ ، وإِنَّمَا اخْتَلَفُوا هَلْ نَصْرِفُهُ عَنْ ظَاهِرِهِ مُعْتَقِدِينَ اتِّصَافَهُ سُبْحَانَهُ بِمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نُئَوِّلَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ أَهْلِ السَّلف ، وَفِيهِ تَأْوِيلٌ إِجْمَالِيٌّ أَوْ مَعَ تَأْوِيلِهِ بِشَيْءٍ آخَرَ ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْخَلَفِ وَهُوَ تَأْوِيلٌ تَفْصِيلِيٌّ ، وَلَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ مُخَالَفَةَ السَّلف الصَّالح ، مَعَاذَ اللهَّ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ ذَلِكَ ، وإِنَّمَا دَعَتِ الضَّرُورَةُ فِي أَزْمِنَتِهِمْ لِذَلِكَ ؛ لِكَثْرَةِ الْمُجَسِّمَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ فِرَقِ الضَّلَالَةِ ، وَاسْتِيلَائِهِمْ عَلَى عُقُولِ الْعَامَّةِ ، فَقَصَدُوا بِذَلِكَ رَدْعَهُمْ وَبُطْلَانَ قَوْلِهِمْ ، وَمِنْ ثَمَّ اعْتَذَرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلف الصَّالح مِنْ صَفَاءِ الْعَقَائِدِ وَعَدَمِ الْمُبْطِلِينَ فِي زَمَنِهِمْ لَمْ نَخُضْ فِي تَأْوِيلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَالِكاً (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيَّ (١٥٧هـ) ، وَهُمَا مِنْ كِبَارِ السَّلف أَوَّلَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلاً تَفْصِيلِيّاً ، وَكَذَلِكَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٦١هـ) أَوَّلَ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ بِقَصْدِ أَمْرِهِ ، وَنَظِيرُهُ ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [البقرة : ٢٩] ، أَيْ : قَصَدَ إِلَيْهَا ، وَمِنْهُمُ الْإِمَامُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ ، بَلْ قَالَ جَمْعٌ مِنْهُمْ وَمِنَ الْخَلَفِ : إِنَّ مُعْتَقِدَ الْجِهَةِ كَافِرٌ ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْعِرَاقِيّ ، وَقَالَ : أَنَّه قَوْلٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ (١٥٠هـ) ، وَمَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَالشَّافِعِيِّ (٢٠٤هـ) ، وَالْأَشْعَرِيِّ (٣٢٤هـ) ، وَالْبَاقِلَّانِيِّ (٤٠٣هـ) ..." (١) .

---

(١) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٢٣-٩٢٤) .

فالإمام القاري ذكر مذهبين للعلماء في النُّزول شأنه في ذلك شأن جمهور العلماء :

١-مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلف وَبَعْضِ الْمُتكَلِّمِينَ ، وَفِيهِ تَأْوِيلٌ إِجْمَالِيٌّ ، وهو قائم على الْإِيمَانُ بِحَقِيقَتِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفَ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ ...

٢-مَذْهَبُ أَكْثَرِ الْمُتكَلِّمِينَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ السَّلف ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنْ مَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) : إِنَّمَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا بِحَسَبِ بَوَاطِنِهَا ، أَيْ : يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ أَوْ مَلَائِكَتُهُ ...

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " إنَّ الله تعالى يُمهلُ حتى إذا كان ثلث الليل الآخر " ، بالرَّفع صفة ثلث ، وفي رواية : الثُّلث الأوَّل ، وأخرى النّصف ، وجمع باختلاف الأحوال ، يعني : يكون أوقات الليل في الزَّمان والآفاق تقدم الليل عند قوم وتأخّره عند آخرين ، " نزل " ، وفي رواية للبخاري : ينزل " إلى السَّماء الدُّنيا " ، أي : القربى ، قيل : المراد نزول رحمة ، ومزيد لطف ، وإجابة دعوة ، وقبول معذرة ، كما هو ديدن الملوك الكُرماء ، والسَّادات الرُّحماء ، إذا نزلوا بقرب قوم مستضعفين ، ملهوفين ، لا نزول حركة وانتقال ، لاستحالته عليه ، تقدَّس ، فهو نزول معنوي ، ويمكن حمله على الحسِّ ، ويكون راجعاً إلى أفعاله ، لا ذاته ، وقيل : المراد بنزوله : نزول رحمته وانتقاله من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام المقتضية للرَّحمة والإنعام ، (فنادى : هل من مستغفر) فأغفر له ، (هل من تائب) فأتوب عليه ، (هل من سائل) فيُعطى ، وفيه توبيخ لهم على غفلتهم عن السُّؤال ، (هل من داع) فأستجيب له ، ولا يزال كذلك (حتى ينفجر الفجر) ، جمع بينهما للتَّأكيد ، إن كانتا بمعنى ، وإلَّا فلأنَّ المطلوب دفع ما لا يلائم أو جلب الملائم ، وهو إمَّا دنيوي أو ديني ، فأشير بالاستغفار إلى الأوَّل ، وبالسُّؤال إلى الثَّاني ، وبالدُّعاء إلى الثَّالث ، وخصَّ أخر الليل ، لأنَّه وقت التَّعرُّض لنفحات الرَّحمة ، وزمن عبادة المخلصين ، ولأنَّه وقت غفلة ، واستغراق نوم ، والتذاذ به ، ومفارقة اللذَّة والدَّعة صعب ، سيَّما لأهل الرَّفاهيَّة ، فمن آثر القيام لمناجاته والتَّضرُّع إليه فيه ، دلَّ على خلوص نيَّته ، وصحَّة رغبته فيما عند ربِّه ، فلذلك خصَّ ذلك الوقت بالتنزُّل الإلهي الرحمني ، وفيه : أنَّ الدُّعاء في الثلث الأخير مُجاب ، وتخلُّفه في البعض لخلل في الدَّاعي أو الدُّعاء .

(حم م عن أبي هريرة وأبي سعيد معاً) ورواه أيضاً البخاري في مواضع من صحيحه بألفاظ متقاربة المعنى : (إنَّ الله تعالى ينزل (١)) بفتح أوَّله (ليلة النِّصف من شعبان) ، أي : ينزل أمره أو رحمته على ما تقرَّر ، قال القاضي : لَمَّا ثبت بالقواطع العقليَّة أنَّه تعالى منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز والحلول ، امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع أعلا إلى أخفض منه ، بل المعنى به على ما ذكره أهل الحقّ : دنوّ رحمته ، ومزيد لطفه على العباد ، وإجابة دعوتهم ، وقبول معذرتهم ، كما هو ديدن الملوك والسَّادة الرُّحماء إذا نزلوا بقُربِ محتاجين ، ملهوفين ، مستضعفين ، فقوله : (إلى سماء الدُّنيا) ، أي : ينتقل من مقتضى صفات الجلال المقتضية للأنفة من الأرذال ، وعدم المبالاة ، وقهر العداوة والانتقام من العصاة ، إلى مقتضى صفات الإكرام ، المقتضية للرَّحمة والرَّأفة ، وقبول المعذرة ، والتَّلطُّف بالمحتاج ، واستعراض الحوائج ، والمساهلة ، والتَّخفيف في الأوامر والنَّواهي ، والإغضاء عمَّا يبدو من المعاصي والتَّركيب في سماء الدُّنيا من قبيل مسجد الجامع والقياس السَّماء الدُّنيا ، كما في الحديث المتقدم .

تنبيه : قال بعض العارفين ، رضي الله عنه : ما من ليلة إلَّا وينزل من السَّماء في الثُّلث الأخير فتوح ربَّاني ، ومددٌ ، فيلتقطه أهل التَّسليم ثمَّ أهل التَّفويض ثمَّ تقع الإفاضة من هؤلاء على أصحاب الدَّوائر

---

(١) ونصُّ الحديث هو : " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ " . أخرجه أحمد في المسند (٤٣/ ١٤٧ برقم ٢٦٠١٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف لضعف حجاج بن أرطاة، ولانقطاعه قال البخاري فيما فيما نقله عنه الترمذي عقب الرواية (٧٣٩) : يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين.

وأخرجه عبد بن حميد في "المنتخب" (١٥٠٩) ، والترمذي (٧٣٩) وابن ماجه (١٣٨٩) ، والدارقطني في "النزول" (٨٩) ، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٧٦٤) ، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٢٦) والبغوي في "شرح السنة" (٩٩٢) من طرق عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وقال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمداً - أي البخاري - يضعِّف هذا الحديث.

وأخرجه - مطولاً ومختصراً - ابن أبي شيبة ١/ ٤٣٧-٤٣٨، وابن راهويه (٨٥٠) و (١٧٠٠) و (١٧٠١) ، والدارقطني في "النزول" (٩٠) و (٩١) ، والبيهقي في "الشعب" (٣٨٢٤) من طرق عن حجاج، به. وقال البيهقي: إنما المحفوظ هذا الحديث، من حديث الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً.

وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٣٨٢٥) من طريق محمد بن رمح، عن يزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبي كثير قال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فذكره هكذا مرسلاً.

وأخرجه الدارقطني في "النزول" (٩٢) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة بنحوه ومطولاً. وسليمان ابن أبي كريمة ضعَّفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: وعامة أحاديثه مناكير " .

العليَّة ، أقطاب الأفلاك الكليَّة ، ثمَّ تقع منهم على الحفظة والنّواب وولاة الأمر ، ثمَّ منهم على الملكين والصَّالحين والعلماء العاملين ممَّن حضر فتح الباب ، وتنزل الأمداد ، فإنَّ الهديَّة لمن حضر ، قال : وأمَّا النَّائمون في الثُّلث الآخر ، فتصيبهم عند أخذ الرّجال الخمس المعروفين بين الأولياء ، فإنَّه يأخذ لكلِّ من غاب نصيباً عند صلاة الصُّبح ، إمَّا قبل فراغه أو معه ، ومن تخلَّف عن اليقظة عند صلاة الصُّبح ، فإنَّ نصيبه يُعطاه في أسبابه الدُّنيويَّة إذا رضي بإقامة الله له فيها ، وما بقي بعد ذلك فهو حظ الأنعام ، وأمثالهم من العوام الغافلين عن الأسباب (فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) ، قال الزّين العراقي : مزيَّة ليلة نصف شعبان مع أنَّ الله تعالى ينزل كلّ ليلة أنَّه ذكر مع النُّزول فيها وصف آخر لم يذكر في نزول كلّ ليلة ، وهو قوله : فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب ، وليس ذا في نزول كلّ ليلة ، ولأنَّ النُّزول في كلِّ ليلة مؤقت بشرط الليل أو ثلثه ، وفيها من الغروب ، وخصَّ شعر غنم كلب ، لأنَّه لم يكن في العرب أكثر غنماً منهم ، وورد في حديث آخر استثناء جماعة من المغفرة " (١) .

وكلام الإمام المناوي يدور حول كون النُّزول ليس نزول حركة وانتقال ، لأنَّ الانتقال يستحيل عليه تعالى ، لأنَّه منزَّه عن الجسميَّة والتحيُّز والحلول ، وقد دلَّت القواطع العقليَّة على ذلك ، ولذلك فالنُّزول نزول معنوي ، ويمكن حمله على الحسِّ ، ويكون راجعاً إلى أفعاله ، لا ذاته ...

وقال الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) : " وَمن الْمُتَشَابه : النُّزول فِي حَدِيث أَحْمد ، وَالتِّرْمِذِيّ ، وَابْن مَاجه عَن عَائِشَة ، رَضِي الله عَنْهَا ، عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الله ينزل لَيْلَة النّصْف من شعبان إِلَى سَمَاء الدُّنيا ، ليغفر لأكْثر من عدد شعر غنم بني كلب (٢) " .

وَحَدِيث أَحْمد ، وَمُسلم عَن أبي سعيد ، وَأبي هُرَيْرَة ، عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الله تَعَالَى يُمْهل حَتَّى إِذا كَانَ ثلث اللَّيْث الْأَخير ، نزل إِلَى السَّماء الدُّنيا ، فَنَادَى : هَل من مُسْتَغْفِر ، هَل من تائب ، هَل من سَائل ، هَل من دَاع ، حَتَّى ينفجر الْفجْر " ، وَفِي رِوَايَة الْبُخَارِيّ : " ينزل رَبنَا عزَّ وَجلَّ إِلَى السَّماء الدُّنيا " .

وَقَالَ الْحَافِظ ابْن حجر : وَقد اخْتلف فِي معنى النُّزول على أَقْوَال :

---

(١) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣١٦-٣١٧) .

(٢) بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة... قبيلة عريقة من أكبر قبائل شبه الجزيرة العربية ...

فَمنهمْ : من حمله على ظَاهره وَحَقِيقَته ، وهم المشبِّهة ، تَعَالَى الله عَن قَوْلهم .

وَمِنْهُم : من أنكر صِحَّة الْأَحَادِيث ، وهم الْخَوَارِج .

وَمِنْهُم : من أجراه على مَا ورد ، مُؤمناً بِهِ على طَرِيق الْإِجْمَال ، منزّهاً لله تَعَالَى عَن الْكَيْفِيَّة والتشبيه ، وهم جُمْهُور السَّلف ، وهم جُمْهُور السّلف وَنَقله الْبَيْهَقِيّ وَغَيره عَن الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة ، والسُّفيانين ، والحمَّادين ، وَالْأَوْزَاعِيّ ، والليث ، وَغيرهم .

وَمِنْهُم : من أَوَّله على وَجه يَلِيق مُسْتَعْمل فِي كَلَام الْعَرَب .

وَمِنْهُم : من أفرط فِي التَّأْوِيل ، حَتَّى كَاد يخرج إِلَى نوع من التَّحريف .

قَالَ الْبَيْهَقِيّ (٤٥٨هـ) : وأسلمها الْإِيمَان بِلَا كَيفَ ، وَالسُّكُوت عَن المُرَاد ، إِلَّا أَن يردَ ذَلِك عَن الصَّادِق فيُصار إِلَيْهِ ، قَالَ : وَمن الدَّلِيل على ذَلِك : اتِّفَاقهم على أَنَّ التَّأْوِيل الْمعِيَّن غير وَاجِب ، فَحِينَئِذٍ التَّفْوِيض أسلم . انْتهى

قلت : وبمذهب السَّلف أقول وأدين الله تَعَالَى بِهِ ، وأسأله سُبْحَانَهُ الْمَوْت عَلَيْهِ مَعَ حسن الخاتمة فِي خير وعافية ...

وَقَالَ أهل التَّأْوِيل : إِنَّ الْعَرَب تنْسب الْفِعْل إِلَى من أَمر بِهِ ، كَمَا تنسبه إِلَى من فعله وباشره بِنَفسِهِ ، كَمَا يَقُولُونَ : كتب الْأَمِير إِلَى فلَان ، وَقطع يَد اللص ، وضربه ، وَهُوَ لم يُبَاشر شَيْئاً من ذَلِك بِنَفسِهِ ، وَلِهَذَا احْتِيجَ للتَّأْكِيد ، فَيَقُولُونَ : جَاءَ زيد نَفسه ، وَفعل كَذَا بِنَفسِهِ ، وَتقول الْعَرَب : جَاءَ فلَان ، إِذْ جَاءَ كِتَابه أَو وَصيته ، وَيَقُولُونَ : أَنْت ضربت زيداً ، لمن لم يضْربهُ ، وَلم يَأْمر ، إِذا كَانَ قد رَضِي بذلك ، قَالَ تَعَالَى : " فَلِمَ تَقْتُلُوْنَ أَنْبِيَاءَ اللهِّ " [البقرة : ٩١] ، والمخاطبون بِهَذَا لم يقتلوهم ، لكِنهمْ لما رَضوا بذلك ، ووالوا القتلة ، نسب الْفِعْل إِلَيْهِم ، وَالْمعْنَى هُنَا : أَنَّ الله تَعَالَى يَأْمر مَلَكاً بالنُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا ، فينادي بِأَمْرِه .

وَقَالَ بَعضهم : إِنَّ قَوْله : " ينزل " رَاجع إِلَى أَفعاله ، لَا إِلَى ذَاته المقدسة ، فَإِنَّ النُّزول كَمَا يكون فِي الْأَجْسَام يكون فِي الْمعَانِي ، أَو رَاجع إِلَى الْملك الَّذِي ينزل بِأَمْره وَنَهْيه تَعَالَى ، فَإِن حملت النُّزول فِي الحَدِيث على الْجِسْم ، فَتلك صفة الْملك الْمَبْعُوث بذلك ، وَإِن حَملته على الْمَعْنَوِيّ بِمَعْنى أَنَّه لم يفعل ثمَّ فعل ، فَسمى ذَلِك نزولاً عَن مرتبَة إِلَى مرتبَة فَهِيَ عَرَبِيَّة صَحِيحَة .

وَالْحَاصِل : أَنَّ تَأْوِيله بِوَجْهَيْنِ : إِمَّا بِأَنَّ الْمُرَاد ينزل أمره أَو الْملك بِأَمْره ، وإِمَّا بِمَعْنى : أَنَّه اسْتِعَارَة ، بِمَعْنى التلطف بالداعين ، والإجابة لَهُم ، وَنَحْو ذَلِك ، كَمَا يُقَال : نزل البَائِع فِي سلْعَته ، إِذا قَارب الْمُشْتَرِي بعد مباعدة ، وَأمكنهُ مِنْهَا بعد مَنْعَة ، وَالْمعْنَى هُنَا : أَنَّ العَبْد فِي هَذَا الْوَقْت أقرب إِلَى رَحْمَة الله مِنْهُ فِي غَيره من الْأَوْقَات ، وَأَنه تَعَالَى يقبل عَلَيْهِم ، والعطف فِي هَذَا الْوَقْت بِمَا يلقيه فِي قُلُوبهم من التَّنْبِيه والتذكر الباعثين لَهُم على الطَّاعَة .

وَقد حكى ابْن فورك أَنَّ بعض الْمَشَايِخ ضبط رِوَايَة البُخَارِيّ بِضَم أَوَّله على حذف الْمَفْعُول ، أَي : يُنزل مَلكاً . ويقويه مَا رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَغَيره عَن أبي هُرَيْرَة ، وَأبي سعيد ، رَضِي الله عَنْهُمَا ، قَالَا : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الله عزَّ وَجلَّ يُمْهل حَتَّى يمْضِي شطر اللَّيْل الأول ، ثمَّ يَأْمر منادياً ، يَقُول : هَل من دَاع يُسْتَجَاب لَهُ ، هَل من مُسْتَغْفِر يغْفر لَهُ ، هَل من سَائل يعْطى " ، قَالَ الْقُرْطُبِيّ : صَحَّحهُ أَبُو مُحَمَّد عبد الحق ، قَالَ ك وَهَذَا يرفع الْإِشْكَال ، ويزيل كلَّ احْتِمَال ، والسُّنَّة يُفَسِّر بَعْضهَا بَعْضاً ، وَكَذَلِكَ الْآيَات ، وَلَا سَبِيل إِلَى حمله على صِفَات الذَّات المقدَّسة ، فَإِن الحَدِيث فِيهِ التَّصْرِيح بتجدُّد النُّزول ، واختصاصه بِبَعْض الْأَوْقَات والسَّاعات ، وصفات الرَّبِّ يجب اتِّصافها بالقِدم ، وتنزيهها عَن الْحُدُوث والتَّجدُّد بِالزَّمَانِ .

قيل : وكلّ مَا لم يكن فَكَانَ ، وَلم يثبت فَثَبت من أَوْصَافه تَعَالَى ، فَهُوَ من قبيل صِفَات الْأَفْعَال ، فالنُّزول والاستواء من صِفَات الْأَفْعَال ، وَالله تَعَالَى أعلم " (١) .

ونخلص من خلال ما سبق إلى أنَّ الإمام الكرمي يرجِّح مذهب السَّلف القائم على تفويض الكيْف والمعنى في جميع الألفاظ الموهمة للتَّشبيه ، وبه يقول ويدين الله تَعَالَى به ...

وقال الإمام عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم البعلي (١٠٧١هـ) : " ... ومنها : نزول الرَّبِّ سبحانه وتعالى كلَّ ليلة إلى سماء الدُّنيا ، من غير تشبيه بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، بل يثبت الحنابلة ما أثبته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويمرُّون الخبر الصَّحيح الوارد بذكره على ظاهره (٢) ، ويكِلُون علمه إلى الله تعالى " (٣) .

---

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص١٩٨-٢٠٥ باختصار) .

(٢) أي : ظاهر اللفظ لا ظاهر المعنى ، وهذا هو مذهب جمهور السلف وبعض الخلف ...

(٣) انظر : العين والعبر في عقائد أهل الأثر (ص٦٠-٦١) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) في كلامه عن النُّزول : " ... اخْتُلِفَ فِيهِ ، فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ مُنَزِّهِينَ للهَّ تَعَالَى عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ .

وَنَقَلَهُ الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) وَغَيْرُهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَالسُّفْيَانَيْنِ (سفيان الثوري (١٦١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، وَالْحَمَّادَيْنِ (حمّاد بن سلمة ١٦٧هـ ، وحمّاد بن زيد ١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) ، وَغَيْرِهِمْ ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهُوَ أَسْلَمُ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ التَّأويل الْمُعَيَّنَ لَا يَجِبُ فَحِينَئِذٍ التَّفْوِيضُ أَسْلَمُ .

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ (٥٤٣هـ) : النُّزول رَاجِعٌ إِلَى أَفْعَالِهِ لَا إِلَى ذَاتِهِ ، بَلْ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ مَلَكِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فالنُّزول حِسِّيٌّ صِفَةُ الْمَلَكِ الْمَبْعُوثِ بِذَلِكَ ، أَوْ مَعْنَوِيٌّ بِمَعْنَى لَمْ يَفْعَلْ ثمَّ فَعَلَ فَسُمِّيَ ذَلِكَ نُزُولًا عَنْ مَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ .

وَالْحَاصِلُ أَنَّه تَأَوَّلَهُ بِوَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنَّ الْمَعْنَى : يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوْ الْمَلَكُ ، وإِمَّا أَنَّه اسْتِعَارَةٌ بِمَعْنَى التَّلَطُّفِ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ وَنَحْوِهِ .

وَكَذَا حُكِيَ عَنْ مَالِكٍ (١٧٩هـ) أَنَّه أَوَّلَهُ بِنُزُولِ رَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ أَوْ مَلَائِكَتِهِ ، كَمَا يُقَالُ : فَعَلَ الْمَلِكُ كَذَا ، أَيْ : أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ ، لَكِنْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (٤٦٣هـ) : قَالَ قَوْمٌ : يَنْزِلُ أَمْرُهُ وَرَحْمَتُهُ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ يَنْزِلُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، بِلَا تَوْقِيتِ ثُلُثِ اللَّيْلِ وَلَا غَيْرِهِ ، وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ لَكَانَ مَعْنَاهُ : أَنَّ الْأَغْلَبَ فِي الِاسْتِجَابَةِ ذَلِكَ الْوَقْتُ . وَقَالَ الْبَاجِيُّ : هُوَ إِخْبَارٌ عَنْ إِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَغُفْرَانِهِ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ ، وَتَنْبِيهٌ عَلَى فَضْلِ الْوَقْتِ كَحَدِيثِ : " إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شِبْراً ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً " . الْحَدِيثَ ، لَمْ يُرِدْ قُرْبَ الْمَسَافَةِ لِعَدَمِ إِمْكَانِهِ ، وإِنَّمَا أَرَادَ الْعَمَلَ مِنَ الْعَبْدِ وَمِنْهُ تَعَالَى الْإِجَابَةُ .

وَحَكَى ابْنُ فُورَكَ : أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ضَبَطَهُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ ، أَيْ : يُنْزِلُ مَلَكًا ، قَالَ الْحَافِظُ : وَيُقَوِّيهِ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَغَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ : " أَنَّ اللهَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً ، يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ ؟ " الْحَدِيثَ .

وَحَدِيثُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عِنْدَ أَحْمَدَ: " يُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ " الْحَدِيثَ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : وَبِهَذَا يَرْتَفِعُ الْإِشْكَالُ ، وَلَا يَعْكِرُ عَلَيْهِ حَدِيثُ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ عِنْدَ النَّسَائِيِّ : " يَنْزِلُ اللهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ، فَيَقُولُ : لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي " ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ إِنْزَالِهِ الْمَلَكَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ

صُنْعِ الْعِبَادِ ، بَلْ يَجُوزُ أَنَّه مَأْمُورٌ بِالْمُنَادَاةِ ، وَلَا يَسْأَلُ الْبَتَّةَ عَمَّا بَعْدَهَا ، فَهُوَ أَعْلَمُ سُبْحَانَهُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ ، انْتَهَى .

وَلَكَ أَنْ تَقُولَ : الْإِشْكَالُ مَدْفُوعٌ حَتَّى عَلَى أَنَّه يَنْزِلُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ الَّذِي هُوَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ . وَكُلٌّ مِنْ حَدِيثَي النَّسَائِيِّ وَأَحْمَدَ يُقَوِّي تَأْوِيلَهُ بِأَنَّهُ مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ أَوْ الِاسْتِعَارَةِ . وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ (٦٨٥هـ) : لَمَّا ثَبَتَ بِالْقَوَاطِعِ أَنَّه سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَالتَّحَيُّزِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ النُّزول عَلَى مَعْنَى الِانْتِقَالِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَخْفَضَ مِنْهُ ، فَالْمُرَادُ دُنُوُّ رَحْمَتِهِ ، أَيْ : يَنْتَقِلُ مِنْ مُقْتَضَى صِفَةِ الْجَلَالِ الَّتِي تَقْتَضِي الْغَضَبَ وَالِانْتِقَامَ إِلَى مُقْتَضَى صِفَةِ الْإِكْرَامِ الَّتِي تَقْتَضِي الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ .

(تبارَكَ وَتَعَالَى) جُمْلَتَانِ مُعْتَرِضَتَانِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَظَرْفِهِ وَهُوَ (كُلَّ لَيْلَةٍ) لَمَّا أُسْنِدَ النُّزول إِلَى مَا لَا يَلِيقُ إِسْنَادُهُ حَقِيقَةً إِلَيْهِ اعْتُرِضَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّنْزِيهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ " [النحل : ٥٧] ، " إِلَى السَّماء الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ" بِرَفْعِهِ صِفَةُ " ثُلُثُ " ، وَتَخْصِيصُهُ بِاللَّيْلِ وَثُلُثُهُ الْآخِرُ ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ التَّهَجُّدِ وَغَفْلَةِ النَّاس عَنِ التَّعَرُّضِ لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النِّيَّةُ خَالِصَةً وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ وَافِرَةً ، وَذَلِكَ مَظِنَّةُ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ . وَلَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) فِي تَعْيِينِ الْوَقْتِ ، وَاخْتُلِفَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ .

قَالَ التِّرْمِذِيُّ : رِوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَصَحُّ الرِّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ ، وَيُقَوِّيهِ أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْمُخَالِفَةَ لَهُ اخْتُلِفَ فِيهَا عَلَى رَاوِيهَا وَانْحَصَرَتْ فِي سِتَّةٍ هَذِهِ ثَانِيهَا : إِذَا مَضَى الثُّلُثُ الْأَوَّلُ . ثَالِثُهَا : الثُّلُثُ الْأَوَّلُ أَوِ النِّصْفُ . رَابِعُهَا : النِّصْفُ . خَامِسُهَا : الثُّلُثُ الْأَخِيرُ أَوِ النِّصْفُ . سَادِسُهَا : الْإِطْلَاقُ فَجَمَعَ بَيْنَهَا بِحِمِلِ الْمُطْلَقَةِ عَلَى الْمُقَيَّدَةِ . وأَمَّا الَّتِي بِأَوْ فَإِنْ كَانَتْ لِلشَّكِّ فَالْجَزْمُ مُقَدَّمٌ عَلَى الشَّكِّ ، وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّرَدُّدِ بَيْنَ حَالَتَيْنِ فَيُجْمَعُ بِأَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ ؛ لِأَنَّ أَوْقَاتَ اللَّيْلِ تَخْتَلِفُ فِي الزِّيَادَةِ ، وَفِي الْأَوْقَاتِ بِاخْتِلَافِ تَقَدُّمِ اللَّيْلِ عِنْدَ قَوْمٍ وَتَأَخُّرِهِ عِنْدَ قَوْمٍ ، أَوِ النُّزول يَقَعُ فِي الثُّلُثِ الْأَوَّلِ ، وَالْقَوْلُ يَقَعُ فِي النِّصْفِ ، وَفِي الثُّلُثِ الثَّاني ، أَوْ يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَى وُقُوعِهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ ، وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّه ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أُعلِمَ بِأَحَدِ الْأُمُورِ فِي وَقْتٍ ، فَأَخْبَرَ بِهِ ، ثمَّ أُعلِمَ بِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَأَخْبَرَ بِهِ ، فَنَقَلَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ عَنْهُ .

" فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ " ، أَيْ : أُجِيبَ " لَهُ " دُعَاءَهُ ، فَلَيْسَتِ السِّينُ لِلطَّلَبِ " مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ " مَسْئُولَهُ " مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " ذُنُوبَهُ ، بِنَصْبِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ فِي جَوَابِ الِاسْتِفْهَامِ ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ ، وَبِهِمَا قُرِئَ : " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَّ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ " [البقرة : ٢٤٥] ، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) فِي الِاقْتِصَارِ عَلَى الثَّلَاثَةِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ أَمَّا رَفْعُ الْمَضَارِّ أَوْ جَلْبُ الْمَسَارِّ ، وَذَلِكَ إِمَّا دُنْيَوِيٌّ أَوْ دِينِيٌّ ، فَفِي الِاسْتِغْفَارِ إِشَارَةٌ إِلَى الْأَوَّلِ ، وَالدُّعَاءُ إِشَارَةٌ إِلَى الثَّاني ، وَالسُّؤَالُ إِشَارَةٌ إِلَى الثَّالِثِ .

وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ : يُحْتَمَلُ أَنَّ الدُّعَاءَ مَا لَا طَلَبَ فِيهِ ، وَالسُّؤَالُ الطَّلَبُ ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمَقْصُودَ وَاحِدٌ وَإِنِ اخْتَلَفَ اللَّفْظُ ، انْتَهَى .

وَزَادَ سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " هَلْ تَائِبٌ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ " وَزَادَ أَبُو جَعْفَرٍ عَنْهُ : " مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي فَأَرْزُقَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَكْشِفُ الضُّرَّ فَأَكْشِفَ عَنْهُ ؟ " وَزَادَ عَطَاءٌ مَوْلَى أُمِّ صُبَيَّةَ ، بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ وَمُوَحَّدَةٍ ، عَنْهُ : " أَلَا سَقِيمٌ يَسْتَشْفِي فَيُشْفَى ؟ " رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (١) ، وَمَعَانِيهَا دَاخِلَةٌ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَزَادُ سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ عَنْهُ : " مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ " (٢) ، وَفِيهِ تَحْرِيضٌ عَلَى عَمَلِ الطَّاعَةِ وَإِشَارَةٌ إِلَى جَزِيلِ ثَوَابِهَا .

---

(١) لم أجده عند النسائي بل هو عند أحمد (١/ ١٢٠ برقم٩٦٧) ، الدارمي (٢/ ٩٣١ برقم ١٥٢٥) ، أبو يعلى (١١/ ٤٤٧ برقم ٦٥٧٦) ، اللالكائي (٣/ ٤٨٥ برقم ٧٤٩) . ونصّ الحديث عند أحمد : " ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ، وَلَأَخَّرْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ هَبَطَ اللهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَيَقُولَ قَائِلٌ: أَلا سَائِلٌ يُعْطَى، أَلا دَاعٍ يُجَابُ، أَلا سَقِيمٌ يَسْتَشْفِي فَيُشْفَى، أَلا مُذْنِبٌ يَسْتَغْفِرُ فَيُغْفَرَ لَهُ؟ " ، قال الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث مسند أحمد : " حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عطاء المدني مولى أمِّ صبية، وانظر "الفتح" ١٣/ ٤٦٨.

وأخرجه الدارمي (١٤٨٤) من طريق يعقوب بن إبراهيم، بهذا الإسناد. وسيأتي تتمة تخريجه في مسند أبي هريرة ٢/ ٥٠٩ . قوله: "هَبَطَ اللهُ تعالى" قال السندي: أي: نزل نزولاً يليق به، وبالجملة فحقيقة النزول تُفوض إلى علمه تعالى، والقدر المقصود بالإفهام يعرفه كل أحد، وهو أن ذلك الوقت وقت قرب الرحمة إلى العباد، فلا ينبغي لهم إضاعته بالغفلة، ثم وقت النزول في هذا الحديث هو أول الثلث الثاني، وقد جاء كذلك في حديث أبي سعيد كما في مسلم، وبعض روايات أبي هريرة في مسلم، وفي بعضها الثلث الثالث، وفي بعضها النصف، ولكن سَوْق هذه الرواية لا يقبل التأويل والتخطئة، فهو يُؤيد رواية النزول بعد الثلث الأول، والله تعالى أعلم " .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١/ ٥٥٢ برقم ٧٥٨).

وَزَادَ حَجَّاجُ بْنُ أَبِي مَنِيعٍ عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) عَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ (٣٨٥هـ) : " حَتَّى الْفَجْرِ " .

وَفِي رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ : " حَتَّى الْفَجْرِ " . وَعَلَيْهِ اتَّفَقَ مُعْظَمُ الرِّوَايَاتِ . وَلِلنَّسَائِيِّ عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : " حَتَّى تَحُلَّ الشَّمْسُ " ، وَهِيَ شَاذَّةٌ .

وَفِي الْحَدِيثِ تَفْضِيلُ آخِرِ اللَّيْلِ عَلَى أَوَّلِهِ ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ " [آل عمران : ١٧] ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ ذَلِكَ الْوَقْتَ مُجَابٌ ، وَلَا يُعْتَرَضُ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ بَعْضِ الدَّاعِينَ ؛ لِأَنَّ سَبَبَهُ وُقُوعُ الْخَلَلِ فِي شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِ الدُّعَاءِ كَالِاحْتِرَازِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ ، أَوِ اسْتِعْجَالِ الدَّاعِي ، أَوْ بِأَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، أَوْ تَحْصُلُ الْإِجَابَةُ وَيَتَأَخَّرُ وُجُودُ الْمَطْلُوبِ لِمَصْلَحَةِ الْعَبْدِ ، أَوْ لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ الله تَعَالَى ، هَذَا وَقَدْ حَمَلَ الْمُشَبِّهَةُ الْحَدِيثَ ، وَأَحَادِيثَ التَّشْبِيهِ كُلَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا - تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِهِمْ - وأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ فَأَنْكَرُوا صِحَّتَهَا جُمْلَةً وَهُوَ مُكَابَرَةٌ ، وَالْعَجَبُ أَنَّهم أَوَّلُوا مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَأَنْكَرُوا الْأَحَادِيثَ جَهْلاً أَوْ عِناداً ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ التَّأويل الْقَرِيبِ الْمُسْتَعْمَلِ لُغَةً ، وَبَيْنَ الْبَعِيدِ الْمَهْجُورِ ، فَأَوَّلَ فِي بَعْضٍ وَفَوَّضَ فِي بَعْضٍ ، وَجَزَمَ بِهِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وَنُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ ، قَالَ الْبَاجِيُّ : مَنَعَ مَالِكٌ فِي الْعُتْبِيَّةِ التَّحْدِيثَ بِحَدِيثِ : " اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ " ، وَحَدِيثِ : " إِنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " ، وَحَدِيثِ : " السَّاقِ " وَقَالَ: مَا يَدْعُو الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْرِيرِ ، وَلَمْ يَرَ مِثْلَهُ حَدِيثَ : " إِنَّ اللهَّ يَضْحَكُ " ، وَحَدِيثَ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا " ، فَأَجَازَ التَّحْدِيثَ بِهِمَا .

قَالَ : فَيُحْتَمَلُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ حَدِيثَ التَّنَزُّلِ وَالضَّحِكِ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ ، لَمْ يُطْعَنْ فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا ، وَحَدِيثُ الْعَرْشِ وَالصُّورَةِ وَالسَّاقِ لَا تَبْلُغُ أَحَادِيثُهَا فِي الصِّحَّةِ دَرَجَةَ التَّنَزُّلِ وَالضَّحِكِ ، وَبِأَنَّ التَّأويل فِي حَدِيثِ التَّنَزُّلِ أَقْرَبُ وَأَبْيَنُ ، وَالْعُذْرَ بِسُوءِ التَّأويل فِيهَا أَبْعَدُ ، انْتَهَى " (١) .

فالإمام الزّرقاني تابع جمهور أهل الحقّ في هذه المسألة ، وناقشها من جميع جوانبها ، واستشهد بأدلّة النّقل والعقل ، وساق أقوال العلماء ، وخلص إلى جملة أمور ، من أهمها :

---

(١) انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٢/ ٤٧-٤٩) .

١- أنَّ حظَّ الرَّاسِخُينَ فِي الْعِلْمِ ، يأن يقُولُونا : آمَنَّا بِهِ ، مع تنَزيهِ اللهِّ تَعَالَى عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيه ، وهذا تفويض إجمالي بالاجمال ، وهذا ما عليه جمهور السَّلف وبعض الخلف ، مع أنَّه ورد عن بعض السَّلف ، كالإمام مالك (١٧٩هـ) ، أنَّه أوَّل النُّزول بِنُزُولِ رَحْمَتِهِ ...

٢- أنَّ البعض أوَّلَ النُّزول بنزول أَمْرِه تعالى أَوْ نزول الْمَلَك ...

٣- أنَّه لا يجوز أن يمرَّ الحديث على المعنى الظَّاهر ، المستلزم للحركة والنُّقلة ، لَمَّا ثَبَتَ بِالْقَوَاطِعِ النَّقليَّة والعقليَّة أنَّه سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَالتَّحَيُّزِ ...

٣- أنَّ الْمُشَبِّهَةُ حَمَلَوا الْحَدِيثَ ، وَأَحَادِيثَ المتشابه كُلَّهَا عَلَى ظَاهِرِ المعنى - تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِهِمْ - ، وأنَّ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ أَنْكَرُوا صِحَّتَهَا جُمْلَةً وَهُوَ مُكَابَرَةٌ ...

وقال الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، أبو الحسن ، نور الدِّين السِّندي (١١٣٨هـ) في شرحه لحديث : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ " : " قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا أَقْرَبُ بِالرُّتْبَةِ وَالْكَرَامَةِ ، لَا بالمسافة والمساحة ، لِأَنَّهُ تَعَالَى منزَّه عَن الْمَكَان وَالزَّمَانِ .

وَقَالَ الْبَدْرُ بْنُ الصَّاحِبِ فِي تَذْكِرَتِهِ : فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى نَفْيِ الْجِهَةِ عَنِ اللهِّ تَعَالَى ، وَأَنَّ الْعَبْدَ فِي انْخِفَاضِهِ غَايَةُ الانخفاض يكون أقرب إِلَى الله تَعَالَى . قلت : بني ذَلِك على أَنَّ الْجِهَة المتوهم ثُبُوتهَا لَهُ تَعَالَى جلّ وَعلا جِهَة الْعُلُوّ . والْحَدِيث يدلُّ على نَفيهَا ، والَّا فالجهة السُّفْلى لَا ينافيها هَذَا الحَدِيث ، بل يُوهم ثُبُوتهَا ، بل قد يبْحَث فِي نفي الْجِهَة الْعليا بِأَنَّ الْقرب إِلَى العالي يُمكن حَالَة الانخفاض بنزول العالي إِلَى المنخفض ، كَمَا جَاءَ نُزُوله تَعَالَى كل لَيْلَة إِلَى السَّماء ، على أَنَّ الْمُرَاد : الْقرب مَكَانَة ورتبة وكرامة لَا مَكَاناً ، فَلَا تتمّ الدّلَالَة أصلاً ثمَّ الْكَلَام فِي دلَالَة الحَدِيث على نفي الْجِهَة ، والا فكونه تَعَالَى منزهاً عَن الْجِهَة مَعْلُوم بأدلته ، وَالله تَعَالَى أعلم " [١] .

جدير بالذِّكر هنا أنَّ القائمين على المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، عبثوا — كعادتهم — فحرَّفوا وبدَّلوا وقالوا : (على أَنَّ الْمُرَاد الْقرب مَكَانَهُ ورتبة وكرامة) ، فبدلاً من المكانة قالوا : مَكَانَهُ) .مع أنَّها في الكتاب المطبوع الذي نزَّلوا عنه للشَّاملة بالتَّاء المربوطة ... ولذلك وغيره الكثير ، فإنَّني أنصح طلبة العلم خاصَّة بعدم الوثوق بأي معلومة من المكتبة الشَّاملة إلَّا بعد عرضها على الطَّبعات الورقيَّة القديمة

---

[١] انظر : حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن) (٢/ ٢٢٧) .

الموثوقة ... فالدِّين النَّصيحة ، لأنَّ القوم ما فتئوا يعبثون بكتب التُّراث حتى توافق هواهم ومدَّعاهم ومنهجهم الأعوج الأعرج ...

وقال الإمام شمس الدِّين ، أبو العون محمَّد بن أحمد بن سالم السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) : " قَالَ أَهْلُ التَّأويل : أَنَّ الْعَرَبَ تَنْسِبُ الْفِعْلَ إِلَى مَنْ أَمَرَ بِهِ ، كَمَا تَنْسِبُهُ إِلَى مَنْ فَعَلَهُ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ، قَالُوا : وَالْمَعْنَى هُنَا : أَنَّ اللهَّ تَعَالَى يَأْمُرُ مَلَكاً بالنُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا فَيُنَادِي بِأَمْرٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَنَّ قَوْلَهُ وَيَنْزِلُ رَاجِعٌ إِلَى أَفْعَالِهِ لَا إِلَى ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِنَّ النُّزول كَمَا يَكُونُ فِي الْأَجْسَادِ يَكُونُ فِي الْمَعَانِي ، أَوْ رَاجِعٌ إِلَى الْمَلَكِ الَّذِي يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ تَعَالَى ، فَإِنْ حُمِلَ النُّزول فِي الْأَحَادِيثِ عَلَى الْجِسْمِ فَتِلْكَ صِفَةُ الْمَلَكِ الْمَبْعُوثِ بِذَلِكَ ، وَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْمَعْنَوِيِّ بِمَعْنَى أَنَّه لَمْ يَفْعَلْ ثمَّ فَعَلَ سُمِّيَ ذَلِكَ نُزُولاً عَنْ مَرْتَبَةٍ إِلَى مَرْتَبَةٍ فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ تَأْوِيلَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، إمَّا بِأَنَّ الْمُرَادَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ أَوِ الْمَلَكُ بِأَمْرِهِ ، وإمَّا أَنَّه اسْتِعَارَةٌ بِمَعْنَى التَّلَطُّفِ بِالدَّاعِينَ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ كَمَا يُقَالُ : نَزَلَ الْبَائِعُ فِي سِلْعَتِهِ إِذَا قَارَبَ الْمُشْتَرِيَ بَعْدَ مَا بَاعَدَهُ ، وَأَمْكَنَهُ مِنْهَا بَعْدَ مَنْعِهِ ، وَالْمَعْنَى هُنَا : أَنَّ الْعَبْدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَقْرَبُ إِلَى رَحْمَةِ اللهَّ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُقْبِلُ عَلَيْهِمْ بِالتَّحَنُّنِ وَالْعَطْفِ فِي هَذَا الْوَقْتِ بِمَا يُلْقِيهِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ الْبَاعِثَيْنِ لَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ .

وَقَدْ حَكَى ابْنُ فُورَكَ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ضَبَطَ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ ، أَيْ يُنْزِلُ مَلَكاً قَالُوا : وَيُقَوِّيهِ مَا رَوَى النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِي شَطْرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ، ثمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً يَقُولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى " ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : صَحَّحَهُ عَبْدُ الْخَالِقِ . قَالُوا وَهَذَا يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ ، وَيُزِيلُ كُلَّ احْتِمَالٍ ، والسُّنَّة يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَكَذَا الْآيَاتُ .

قَالُوا : وَلَا سَبِيلَ إِلَى حَمْلِهِ عَلَى صِفَاتِ الذَّات الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ التَّصْرِيحُ بِتَجَدُّدِ النُّزول وَاخْتِصَاصِهِ بِبَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ، وَصِفَاتُ الرَّبِّ جَلَّ شَأْنُهُ يَجِبُ اتِّصَافُهَا بِالْقِدَمِ وَتَنْزِيهُهَا عَنِ التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ . قَالُوا : وَكُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ فَكَانَ أَوْ لَمْ يَثْبُتْ فَثَبَتَ مِنْ أَوْصَافِهِ تَعَالَى فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ صِفَةِ الْأَفْعَالِ ، قَالُوا : فالنُّزول وَالِاسْتِوَاءُ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ ، وَاللهُّ أَعْلَمُ " (١) .

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٢٤٧-٢٤٨) .

فالإمام السَّفـــاريني الحنبلي !!! لم يخرج في تفسيره للنُّزول عمَّا ذهب إليه جمهور أهل العلم ، وأكَّد على :

١-أَنَّ الْمُرَادَ بالنُّزول : نزول أَمْرِه تعالى أَوِ الْمَلَكُ ينزل بِأَمْرِهِ سبحانه ، والْعَرَبَ تَنْسِبُ الْفِعْلَ إِلَى مَنْ أَمَرَ بِهِ ، كَمَا تَنْسِبُهُ إِلَى مَنْ فَعَلَهُ وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ ، أو أن يكون الحديث خرج مخرج الاسْتِعَارَةُ بِمَعْنَى التَّلَطُّفِ بِالدَّاعِينَ وَالْإِجَابَةِ لَهُمْ ...

٢- أَنَّه لَا سَبِيلَ إِلَى حَمْلِهِ عَلَى صِفَاتِ الذَّات الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ التَّصْرِيحُ بِتَجَدُّدِ النُّزول وَاخْتِصَاصِهِ بِبَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ، وَصِفَاتُ الرَّبِّ جَلَّ شَأْنُهُ يَجِبُ اتِّصَافُهَا بِالْقِدَمِ وَتَنْزِيهُهَا عَنِ التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ ... فالنُّزُوْلُ وَالِاسْتِوَاءُ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " ... فالرَّبُّ إذاً موصوف بالعلوِّ وفوقيَّة الرُّتبة والعظمة ، منزَّه عن الكون في المكان وعن المحاذاة ، ثمَّ قال : وقد نبغت نابغة من الرّعاع لولا استزلالهم للعوام بما يقربُ من أفهامهم ويتُصوَّر في أوهامهم ، لأجللتُ هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم !!! يقولون : نحن نأخذ بالظَّاهر ، ونُجري الآيات الموهمة تشبيهاً ، والأخبار المقتضية حدَّاً وعضواً على الظَّاهر ، ولا يجوز أن نطرق التَّأويل إلى شيء من ذلك ، ويتمسَّكون بقول الله تعالى : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضرُّ على الإسلام من اليهود والنَّصارى والمجوس وعبدَة الأوثان !!! لأنَّ ضلالات الكفَّار ظاهرة يتجنَّبها المسلمون ، وهؤلاء أتوا الدِّين والعوام من طريق يغترُّ به المستضعفون ، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع ، وأحلُّوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء ، والجوارح ، والرُّكوب ، والنُّزول ، والاتِّكاء ، والاستلقاء ، والاستواء بالذَّات ، والتَّردُّد في الجهات ، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيُّل المحسوسات ، فاعتقد الفضائح ، فسال به السَّيلُ وهو لا يدري " (١) .

فالإمام الزَّبيدي ، لخَّص حال المشبِّهة ... وقد أجاد في ذلك وأفاد ، وبيَّن الحقَّ في حكم المشبِّهة الذين ما وجدوا في مكان إلَّا أفسدوه ، ولا زمان إلَّا بترهاتهم وسوء تفكيرهم ضيَّعوه ، لا يحترمون عالماً

---

(١) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ١٠٧-١٠٨) .

، ولا أحداً من غير طينتهم سالم ، تَمادى بهم الجَهْل إِلَى اللَّعْن الظَّاهِر وربَّما التَّكفير لغير واحد من أعيان العلماء ، بعد أن تركوا الحبل على الغارب لغلمانهم السُّفهاء ، تمسَّحوا وتشبثوا بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، وتبعهم سوقة لَا نسب لَهُم وَلَا حسب ، صرفوا شهادات البهتان لمن على غير منهجهم حسب الطَّلب ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " والنُّزول الْمَذْكُور فِي الْأَحَادِيثِ قَدْ طَوَّلَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ الْكَلَامَ فِي تَأْوِيلِهِ ، وَأَنْكَرَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَة بِهِ كَثِيرٌ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَالطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ التَّابِعُونَ كَالزُّهْرِيِّ (١٢٤هـ) ، وَمَكْحُولٍ (١١٢هـ) ، والسفيانين (سفيان الثوري (١٦١هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، وَاللَّيْثِ (١٧٥هـ) ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ (١٦٧هـ) ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيِّ (١٥٧هـ) ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) ، وَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ : مَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَالشَّافِعِيِّ (٢٠٤هـ) ، وَأَبِي حَنِيفَةَ (١٥٠هـ) ، وَأَحْمَدَ ، وَغَيْرِهِمْ . فَإِنَّهُمْ أَجْرَوْهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَعَرُّض لِتَأْوِيلِ " [١] .

ويمكن مناقشة كلام الإمام الشَّوكاني بالآتي :

١ -أنَّ الزَّعم بأنَّ السَّلف لم ينحوا منحى التَّأويل زعم ساقط وباطل ، وقد دلَّلنا في غير ما كتاب من كتبنا على بطلانه ، وفي هذا الكتاب ذكرنا عن غير واحد من العلماء ، أنَّهم ذكروا تأويل الإمام مالك (١٧٩هـ) وغيره من السَّلف للنُّزول والإتيان والمجيء ... وقد خصَّصت لذلك رسالة كاملة ، بعنوان : " إعلام الخلف بتأويلات السَّلف " ... [٢] .

---

[١] انظر : نيل الأوطار (٣/ ٧١) .

[٢] لقد اعتاد مدَّعو السَّلف على إنكار قيام السَّلف بتأويل شيء ممَّا يسمُّونه بالصِّفات ... وهي شنشنة نعرفها من أخزم ... وحالهم في ذلك حال من ينكر الشَّمس في رابعة النَّهار ...

والحقّ التَّأويل ثابت عن السَّلف مهما تنطَّع مدَّعو السَّلفيَّة في إنكاره ... ذلكم الإنكار الذي اقتضاه منهجهم القائم على إنكار المجاز من لغة القرآن العظيم ... وإثباته يعني نقض مذهبهم ومنهجهم وبنيانهم الذي بنوا ، ذلكم البنيان الذي ساروا فيه على سنن ابن تيمية ...

فمنكر التَّأويل منكر على الصَّحابة والتَّابعين ، بل على مجموع الأمَّة المحمَّديَّة التي أوَّل علماؤها كلَّ ما من شأنه أن يتعارض من تنزيه الله تعالى عن النَّقائص ...

وسيتبيَّن لك يا قارئي أنَّ الذي ذهب إليه الأشاعرة والماتريديَّة – الذين يشكِّلون غالب الأمَّة – في النُّصوص المُضافة إلى الله تعالى هو نفسه الذي نُقل عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ... فاتِّهام الأشاعرة والماتريديَّة اتِّهام لحبر الأمَّة وترجمان القرآن ... وكذا لغيره من السَّلف الصَّالح الذين أوَّلوا تلكم النُّصوص ...

فمن أوَّل من الخلف لم يبتدع قولاً ، ولا منهجاً جديداً ، بل سلك مسلك السَّلف الصَّالح ، وعلى رأسهم ابن عبَّاس ، رضي الله عنهما ... وقد ذكرت – لاحقاً – العديد م تأويلات السلف ... وخاصة تأويلات حبر الأمَّة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ...

ومن تأويلات السَّلف الصَّالح الأُخرى للنُّصوص التي يسمِّيها البعض بالصِّفات :

قال الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ) في كلامه على قول الله تعالى : " كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ " [القصص: ٨٨] : " إِلَّا مُلْكَهُ ، وَيُقَالُ : إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ " . انظر : صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، (٦/ ١١٢) ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .

وقال الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله (٢٥٦هـ) : " حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، أَنَا عَبْدُ اللهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (٧٣هـ) رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا ابْنَ عُمَرَ ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : " يَدْنُو مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ " ، قَالَ : " فَذَكَرَ صَحِيفَتَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ ، حَتَّى يَبْلُغَ بِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَبْلُغَ فَيَقُولُ : إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُنَادِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ " ، قَالَ الله : " وَيَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ " [هود: ١٨] ، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) : كَنَفُهُ : يَعْنِي سِتْرَهُ " . انظر : خلق أفعال العباد ، البخاري ، (ص٧٨) ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف ، الرياض .

وقال الإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك ، التِّرمذي ، أبو عيسى (٢٧٩هـ) : " حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، وَالمَعْنَى وَاحِدٌ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَ الحَسَنُ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ ، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ ... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللهِ . ثُمَّ قَرَأَ : " وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ " [الحديد: ٣] . هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

وَيُرْوَى عَنْ أَيُّوبَ ، وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، قَالُوا : لَمْ يَسْمَعِ الحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَفَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا هَبَطَ عَلَى عِلْمِ الله وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ... " . انظر : سنن الترمذي ، الترمذي ، (٥/ ٢٥٦) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

وقال الإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك ، التِّرمذي ، أبو عيسى (٢٧٩هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْراً اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَيُرْوَى عَنِ الأَعْمَشِ (١٤٧هـ) فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، يَعْنِي بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَهَكَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذَا الحَدِيثَ . قَالُوا : إِنَّمَا مَعْنَاهُ يَقُولُ : إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ بِطَاعَتِي وَبِمَا أَمَرْتُ تُسَارِعُ إِلَيْهِ مَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي " . انظر : سنن الترمذي ، الترمذي ، (٥/ ٤٧٣) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

وقال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) في كلامه على قول الله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ " [البقرة: ٢٩] ، عَلَا عَلَيْهِنَّ وَارْتَفَعَ فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِهِ وَخَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ . وَالْعَجَبُ مِمَّنْ أَنْكَرَ الْمَعْنَى الْمَفْهُومَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللهِ: " ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ " [البقرة: ٢٩] الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ هَرَباً عِنْدَ نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يُلْزِمَهُ بِزَعْمِهِ إِذَا تَأَوَّلَهُ بِمَعْنَاهُ الْمُفْهِمِ كَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا عَلَا وَارْتَفَعَ بَعْدَ أَنْ كَانَ تَحْتَهَا ، إِلَى أَنْ تَأَوَّلَهُ بِالْمَجْهُولِ مِنْ تَأْوِيلِهِ الْمُسْتَنْكَرِ ، ثُمَّ لَمْ يَنْجُ مِمَّا هَرَبَ مِنْهُ . فَيُقَالُ لَهُ : زَعَمْتَ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِهِ : " اسْتَوى " أَقْبَلَ ، أَفَكَانَ مُدْبِراً عَنِ السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا ؟ فَإِنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِإِقْبَالِ فِعْلٍ وَلَكِنَّهُ إِقْبَالُ تَدْبِيرٍ ، قِيلَ لَهُ : فَكَذَلِكَ فَقُلْ : عَلَا عَلَيْهَا عُلُوَّ مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ لَا عُلُوَّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ . ثُمَّ لَنْ يَقُولُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ ، وَلَوْلَا أَنَّا كَرِهْنَا إِطَالَةَ الْكِتَابِ بِمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ لَأَنْبَأْنَا عَنْ فَسَادِ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ قَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا لِقَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ فِيهِ مُخَالِفاً ، وَفِيمَا بَيَّنَّا مِنْهُ مَا يُشْرِفُ بِذِي الْفَهْمِ عَلَى مَا فِيهِ لَهُ الْكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري ، (١/ ٢٥٧-٢٥٨) ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

وقال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : " فَثَمَّ وَجْهُ اللهِّ "[البقرة: ١١٥] ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَأْوِيلُ ذَلِكَ : فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِّ ، يَعْنِي بِذَلِكَ : وَجْهَهُ الَّذِي وَجَّهَهُمْ إِلَيْهِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا وَكِيعٌ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠١هـ) : " فَثَمَّ وَجْهُ اللهِّ " [البقرة: ١١٥] ، قَالَ : قِبْلَةُ اللهِّ " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري ، (٢/ ٤٥٩) ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

وقال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " [طه: ٣٩] ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : وَلِتُغَذَّى وَتُرَبَّى عَلَى مَحَبَّتِي وَإِرَادَتِي .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ : " وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي " [طه: ٣٩] ، قَالَ : هُوَ غِذَاؤُهُ ، وَلْتُغَذَّى عَلَى عَيْنِي .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ : " " [طه: ٣٩] ، قَالَ : جَعَلَهُ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ يَنْعَمُ وَيَتْرَفُ غِذَاؤُهُ عِنْدَهُمْ غِذَاءُ الْمَلِكِ ، فَتِلْكَ الصَّنْعَةُ وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ : وَأَنْتَ بِعَيْنِي فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثني حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، " وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي " [طه: ٣٩] ، قَالَ : أَنْتَ بِعَيْنَيَّ إِذْ جَعَلَتْكَ أُمُّكَ فِي التَّابُوتِ ، ثُمَّ فِي الْبَحْرِ ، وَ " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ " [طه: ٤٠] ، وَقَرَأَ ابْنُ نَهِيكٍ : " وَلِتَصْنَعَ " بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَأَوَّلَهُ .

كَمَا : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا نَهِيكٍ ، يَقْرَأُ " وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي " [طه: ٣٩] فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَلْتُعْمَلَ عَلَى عَيْنِي ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا أَسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِغَيْرِهَا " وَلِتُصْنَعَ " [طه: ٣٩] بِضَمِّ التَّاءِ ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ بِهِ التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلَهُ قَتَادَةُ ، وَهُوَ : " وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي " [طه: ٣٩] ، وَلِتُغَذَّى عَلَى عَيْنِي ، أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ الْمَحَبَّةَ مِنِّي . وَعَنَى بِقَوْلِهِ : " وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي " [طه: ٣٩] بِمَرْأًى مِنِّي وَمَحَبَّةً وَإِرَادَةً " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري ، (١٦/ ٥٩-٦٠) ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

وقال الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " وَقَوْلُهُ : " أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ " [الزمر: ٥٦] ، يَقُولُ : عَلَى مَا ضَيَّعْتُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَنِي الله بِهِ ، وَقَصَرْتُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللهَّ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ :

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنْبَسَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠١هـ) ، فِي قَوْلِهِ : " يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ " ، يَقُولُ : فِي أَمْرِ اللهَّ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عِيسَى ؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثنا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثنا وَرْقَاءُ ، جَمِيعاً عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠١ه) ، فِي قَوْلِ اللهَّ : " يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ " [الزمر: ٥٦] ، قَالَ : فِي أَمْرِ اللهَّ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثنا أَحْمَدُ ، قَالَ ثنا أَسْبَاطٌ ، عَنِ السُّدِّيِّ (١٢٧هـ) ، فِي قَوْلِهِ : " يَا حَسْرَتى عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهَّ " [الزمر: ٥٦] ، قَالَ : تَرَكْتُ مِنْ أَمْرِ اللهَّ " . انظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الطبري ، (٢٠/ ٢٣٤-٢٣٥) ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " ... وَفِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو نَصْرِ بْنُ قَتَادَةَ مِنْ كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيِّ حِكَايَةً عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ (٢٠٣هـ) أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : " حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ " ، أَيْ : مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ " . انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (٢/ ١٩٠) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

قال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) في كلامه على حديث : " لَقَدْ ضَحِكَ الله اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا " : " قَالَ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦هـ) : مَعْنَى الضَّحِكِ : الرَّحْمَةُ . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٣٨٨هـ) : قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللهَّ قَرِيبٌ ، وَتَأْوِيلُهُ عَلَى مَعْنَى الرِّضَى لِفِعْلِهِمَا أَقْرَبُ وَأَشْبَهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الضَّحِكَ مِنْ ذَوِي التَّمْيِيزِ يَدُلُّ عَلَى الرِّضَى وَالْبِشْرِ ، وَالِاسْتِهْلَالُ مِنْهُمْ دَلِيلُ قَبُولِ الْوَسِيلَةِ ، وَمُقَدِّمَةُ إِنْجَاحِ الطَّلَبَةِ ، وَالْكِرَامُ يُوصَفُونَ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ اللِّقَاءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : " يَضْحَكُ الله إِلَى رَجُلَيْنِ" ؛ أَيْ : يُجْزِلُ الْعَطَاءَ لَهُمَا ؛ لِأَنَّهُ مُوجَبُ الضَّحِكِ وَمُقْتَضَاهُ " . انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (٢/ ٤٠٢) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " وَللهَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ إِنَّ اللهَّ واسِعٌ عَلِيمٌ " [البقرة: ١١٥] ، فَقَدْ حَكَى الْمُزَنِيُّ عَنِ الشَّافِعِيِّ (٢٠٤هـ) رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : يَعْنِي وَاللهُّ أَعْلَمُ : فَثَمَّ الْوَجْهُ الَّذِي وَجَّهَكُمُ الله إِلَيْهِ " . انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (٢/ ١١٠٧) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، وَأَبُو بَكْرٍ الْقَاضِي قَالَا : ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَفَّانَ ، ثنا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنِ النَّضْرِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ (١٠١هـ) ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَللهَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ إِنَّ اللهَّ واسِعٌ عَلِيمٌ " [البقرة: ١١٥] ، قَالَ : قِبْلَةُ اللهَّ فَأَيْنَمَا كُنْتَ فِي شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ فَلَا تَوَجَّهَنَّ إِلَّا إِلَيْهَا " . انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (٢/ ١١٠٧) ، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٢-أنَّ تنزيه الله تعالى عن الكيْف أمرٌ لا يختلف فيه اثنان من أهل الحقّ ... فلا يُقال لمن كيَّف الكيْف : كيْف ، لأنَّ الكيفيَّة من لوازم الجسميَّة ، والله تعالى ليس بجسم ... قال الشَّيخ محمَّد عبده مبيناً عجز العقل البَشَرى عن إدراك كُنه الحقائق الكونيَّة : " إنَّنا مع جهلنا بكُنْهِ الكَوْنِ وحقيقته ، فللكون أو بعبارة أخرى : فللمخلوق صفات وظواهر وأعراض تحدِّد مخلوقيَّته واحتياجه لخالقه.... فإذا ما ورد نصٌّ أوهم ظاهره التَّشبيه فليس كافياً في التَّنزيه أن نفسِّر اللفظ بحقيقته اللغويَّة ، ثمَّ نتناقض ونظن أنَّنا منزِّهين حينما نقول : أنَّنا نجهل كُنه الذَّات ، بل يجب أن ننفي عن الله عزَّ وجلَّ المعنى الظَّاهر ، ولا نتفكَّر في ذات الخالق ، لأنَّ التفكُّر في الذَّات عبثٌ ومهلكة ، وطلب للاكتناه وهو مستحيل على العقل البَشَرى . فكلُّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] (١) .

وقال الإمام محيي السنَّة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٠هـ) في كلامه على قول الله تعالى : " وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] : " قَالَ الْحَسَنُ (١١٠هـ) : جَاءَ أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ (١٤٦) : يَنْزِلُ حكمه " . انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، البغوي ، (٥/ ٢٥٢) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) في كلامه على حديث : " لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ " .

قلت : الواجب علينا أن نعتقد أنَّ ذات الله تعالى لا تتبعَّض ، ولا يحويها مكان ، ولا توصف بالتَّغيُّر ولا بالانتقال .

وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري (١١٠هـ) أنَّه قال : القَدَم هم الذين قدَّمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ، ابن الجوزي ، (ص١٧٠) ، تحقيق : الأستاذ حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

وقال الإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) : " قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) عن أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) أنَّه قال في قوله تعالى : " يَأْتِيَهُمُ " [البقرة: ٢١٠]، قال : المراد به قدرته وأمره ، قال : وقد بيَّنه في قوله تعالى : " أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ " [النحل: ٣٣] ، ومثل هذا في القرآن : " وَجاءَ رَبُّكَ " [الفجر: ٢٢] ، قال : إنَّما هو قدرته " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ، ابن الجوزي الحنبلي ، (ص١٤١) ، تحقيق : حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

وقال الإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) : " وقال الضَّحَّاك (توفي بعد المائة) وأبو عبيدة (٢٠٩ه) في قوله تعالى : " كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ " [القصص : ٨٨] ، أي : إلَّا هو " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ، ابن الجوزي الحنبلي ، (ص١١٣) ، تحقيق : الأستاذ حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

وفي كتابنا : " اتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة " ذكرنا كمَّاً كبيراً من تأويلات السَّلف الصَّالح ...

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص٦١) .

٣-أنَّ العلماء الذين وضَّحوا عقيدة السَّلف في المتشابه ، ذكروا أنَّهم قالواَ في عقيدتهم : تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا وَيُؤْمَنُ بِهَا ، وَلاَ يُتَوَهَّمُ !!! وَلاَ يُقَالُ : كَيْفَ ؟ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ (١٧٩هـ) ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ (١٩٨هـ) ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) ، وعندما ناقش الإمام البيهقي(٤٥٨هـ) بعض من أثبتوا لله تعالى الحركة والنُّقلة ، قال في ردِّه عليه : " فَلَوْ جَرَى هَذَا الشَّيخ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلف الصَّالح ، وَلَمْ يُدْخِلْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ . قَالَ : وإِنَّما ذَكَرْتُ هَذَا لِكَيْ يُتَوَقَّى الْكَلَامُ فِيمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، فَإِنَّهُ لَا يُثْمِرُ خَيْراً وَلَا يُفِيدُ رُشْداً ، وَنَسْأَلُ اللهَّ الْعِصْمَةَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَالْقَوْلِ بِمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْفَاسِدِ وَالْمُحَالِ ، وقد ذكرنا هذا الكلام وغيره سابقاً ...

وذكر ذلك الإمامُ النَّوويُّ في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج " ، ووضَّح أنَّ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلف وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ : أَنَّه يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهَّ تَعَالَى ، وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللهَّ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ ، وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات ، وسائر سمات الخلق ...

وقال الإمام سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البِشْري ، شيخ الجامع الأزهر ، من فقهاء المالكيَّة (١٣٣٥هـ) : " وما تمسَّك به المخالفون القائلون بالجهة أُمور واهية وهميَّة ، لا تصلح أدلَّة عقليَّة ولا نقليَّة ، قد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه ، وما تمسَّكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة ، كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] ، وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] ، وقوله : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك: ١٦] ، وقوله : " وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ " [الأنعام : ١٨] ، وكحديث : " أَنَّه تعالى ينزلُ إلى سماء الدُّنيا كلّ ليلة " ، وفي رواية : " في كلّ ليلة جمعة ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟

ومثل هذه يجاب عنها : بأنّها ظواهر ظنيَّة لا تعارض الأدلّة القطعيَّة اليقينيَّة الدالَّة على انتفاء المكان والجهة ، فيجب تأويلها وحملها على محامل صحيحة لا تأباها الدَّلائل والنُّصوص الشَّرعيَّة ، إمَّا تأويلاً إجماليَّاً بلا تعيين للمراد منها ، كما هو مذهب السَّلف ، وإمَّا تأويلاً تفصيليَّاً بتعيين محاملها ، وما يراد منها ، كما هو رأي الخلف ، كقولهم : إنَّ الاستواء بمعنى الاستيلاء ، كما في قول القائل :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهـراق

... ونزوله إلى السَّماء محمولٌ على لطفه ورحمته ، وعدم المعاملة بما يستدعيه علوُّ رتبته ، وعظم شأنه ، على سبيل التَّمثيل ، وخصَّ الليل لأنَّه مظنَّة الخلوة وحضور القلب ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي (١٣٥٤هـ) في كلامه عن النُّزول : " ... استدلَّ به من أثبت الجهة ، وقال : هي جهة العلو ، وأنكر ذلك الجمهور ؛ لأنَّ القول بذلك يفضي إلى التَّحيُّز ، تعالى الله عن ذلك .

وقد اختلف في معنى النُّزول على أقوال :

فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته ، وهم المشبِّهة ، تعالى الله عن قولهم .

ومنهم مَنْ أنكر صحَّة الأحاديث الواردة في ذلك جملةً ، وهم الخوارج والمعتزلة ، وهو مكابرة ، والعجب أنَّهم أَوَّلوا ما في القرآن من نحو ذلك ، وأنكروا ما في الحديث ، إمَّا جهلاً ، وإمَّا عناداً .

ومنهم مَنْ أجراه على ما ورد ، مؤمناً به على طريق الإجمال ، منزِّهاً لله تعالى عن الكيفيَّة والتَّشبيه ، وهم جمهور السَّلف . ونقله البيهقيّ (٤٥٨هـ) وغيره عن الأئمَّة الأربعة ، والسُّفيانين (سفيان الثوري ١٦١هـ ، سفيان بن عيينة ١٩٨هـ) ، والحمَّادين (حمَّاد بن سلمة ١٦٧هـ ، وحمَّاد بن زيد ١٧٩هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، والليث (١٧٥هـ) ، وغيرهم .

ومنهم مَنْ أوَّله على وجه يليق ، مستعملٍ في كلام العرب ، صارفاً له عن ظاهره المستحيل على الله تعالى ، الواجب تنزيهه عنه ؛ لأنَّ النُّزول انتقال من مكان إلى مكان ، يفتقر إلى ثلاثة أجسام : عالٍ هو مكان لساكنه ، وجسم سافل ، وجسم منتقل ، وهذا لا يجوز على الله تعالى .

ومنهم مَنْ أفرط في التَّأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التَّحريف .

ومنهم مَنْ فصَّل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب ، وبين ما يكون بعيداً مهجوراً ، فأوَّل في بعض ، وفوَّض في بعض ، وهو منقول عن مالك (١٧٩هـ) ، وجزم به ابن دقيق العيد من المتأخِّرين .

قال البيهقيّ (٤٥٨هـ) : وأسلمها الإيمان بلا كيف ، والسُّكوت عن المراد إلَّا أن يردَ ذلك عن الصَّادق فيُصار إليه . ومن الدَّليل على ذلك : اتِّفاقهم على أنَّ التَّأويل المعني غير واجب ، فحينئذٍ

---

(١) انظر : فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص٦٦) .

التَّفويض أَسْلَم . وقال ابن العربي : حُكي عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث ، وعن السَّلف إمرارها ، وعن قوم تأويلها وبه أقول .

فأمّا قوله : " ينزل " فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته ، بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزلُ بأمره ونهيه ، والنُّزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني ، فإن حملته في الحديث على الحسيّ ، فتلك صفة الملك المبعوث بذلك ، وإنّ حملته على المعنويّ ، بمعنى أنَّه لم يفعل ثمَّ فعل ، فيسمَّى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة ، فهي عربيَّة صحيحة .

والحاصل : أنَّه تأوَّله بوجهين ، إمَّا بأنَّ المعنى ينزل أمره ، أو الملك بأمره ، وإمَّا بأنَّه استعارة بمعنى التَّلطُّف بالدَّاعين ، وإجابة لهم ونحوه ، وقد حكى أبو بكر بن فورك أنَّ بعضِ المشائخ ضبطه بضمّ أوَّله على حذف المفعول ، أي : يُنزل مَلكاً ، ويقوِّيه ما رواه النَّسائيُّ عن الأَغَرّ عن أبي هُريرة وأبي سعيد بلفظ : " إنَّ الله يُمهلُ حتى يمضي شطر الليل ، ثمَّ يأمر منادياً يقول : هل من داعٍ فيستجاب له " الحديث . وفي حديث عثمان بن أبي العاص : " ينادي منادٍ : هل من داعٍ يُستجاب له " الحديث . قال القرطبي : وبهذا يرتفع الإشكال ، ولا يعكِّر عليه ما في رواية رِفاعة الجُهَنِيّ " ينزل الله إلى السَّماء الدُّنيا فيقول : لا يسأل عن عبادي غيري " ؛ لأنَّه ليس في ذلك ما يدفع التَّأويل المذكور .

وقال البيضاويّ (٦٨٥هـ) : ولَّما ثبت بالقواطع أنَّه سبحانه منزَّه عن الجسميَّة والتّحيِّز ، امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه ، فالمراد : نور رحمته ، أي : ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام ، إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرَّأفة والرَّحمة . وتأوَّل ابن حزم النُّزول بأنَّه فعلٌ يفعله الله في سماء الدُّنيا ، كالفتح لقبول الدُّعاء ، وأنَّ تلك السَّاعة من مظانّ الإجابة ، وهو معهود في اللغة ، تقول : فلان نزل لي عن حقِّه ، بمعنى وهبه . قال : والدَّليل على أنَّها صفة فعل ، تعليقه بوقت محدود ، ومن لم يزل لا يتعلَّق بالزَّمان ، فصحَّ أنَّه فِعْلٌ حادث . وقال ابن العربيّ أيضاً في " العواصم " : قوله : " ينزل ربُّنا كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا " أنَّ الحركة والانتقال ، وإن كانا محالاً عليه عقلاً ، فإنَّه يلزمهم على محالهم أن يكونا محالاً عليه عندهم ، يعني المشبِّهين ، فإنَّهم قالوا : أنَّه أكبر من العرش بمقدار يسير ، فكيف ينزل إلى السَّماء وهو أكبر من جميعها ولم يفهموا أنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إنَّما خاطب بذلك العرب الفصحاء اللُّسُن .

وقد ثبت في اللغة أنَّ النُّزول على وجهين : نزول حركة ، ونزول إحسان وبركة . فإنَّ من أعطاك قد نزل إليك إلى درجة النُّبل المحبوبة عندك ، عن درجة المنع المكروهة ، كما أنَّه نزل في ودِّه لك عن حال البغضاء والإعراض عنك . وهو نزول حقيقيّ في بابه ، كما أنّ نزول المرء عن الجبل إلى السَّفح حقيقة في بابه ، ألا ترى إلى قول عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فلا تَظُني غَيْرَه   منِّي بمنزلةِ المُحَبِّ المكْرمِ

وقال عمر رضي الله تعالى عنه ، في الإِسلام : ما ينزل بعبد مسلم من منزل شدَّة إلخ ، وهو معنوي لا حركة فيه ولا انتقال ، وفائدته في الحديث ، هي أنَّ الكريم إذا حلَّ بموضعٍ ، ونزل بأرض ، ظهرت فيها أفعاله ، وانتشرت بركته ، وبدت آثاره ، فما بثَّ الله من رحمته من السَّماء الدُّنيا على الخلق في تلك السَّاعة ، عبَّر عنه بالنُّزول فيه ، وهو عربيَّة صحيحة ، وقد ذكر الله تعالى أشياء بالنُّزول لا يراد بها النُّزول قطعاً ، فقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد : ٢٥] ، ومعدنه بالأرض ، وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ [الزمر : ٦] ، والمراد بالإنزال فيهما الظُّهور والخلق .

قال ابن الجوزيّ : مَنْ لم يعرف نزول الجَمل كيف يتكلَّم في الجُمل ؟ وكون المراد بهما الإنزال حقيقة ، لا يلتفت إليه ، لضعفه . وقد قال ابن بطَّال : إنَّ قوله تعالى : ﴿ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٨] ، فيه بيانٌ لكل ما أشكل من كلِّ فعل ينسب إلى الله تعالى ، ممَّا لا يليق به فعله المجيء والنُّزول ، ونحو ذلك ؛ لأنَّ الفعل في الآية أسند إلى الله تعالى ، والفاعل له حقيقة الملك الذي أمره بقراءته .

وقد عقد شيخ الإِسلام أبو إسماعيل الهَرَوي ، وهو من المبالغين في الإثبات حتى طعن فيه بعضهم ، بسبب ذلك ، في كتابه " الفاروق " باباً لهذا الحديث ، وأورده من طرق كثيرة ، ثمَّ ذكره من طرق زعم أنَّها لا تقبل التَّأويل ، مثل حديث عطاء أُم صُبَيّة عن أبي هُريرة بلفظ : " إذا ذهب ثلث الليل " ، وذكر الحديث ، وزاد : " فلا يزال بها حتى يطلع الفجر ، فيقول : هل من داعٍ يستجاب له " . أخرجه النَّسائيّ وابن خزيمة في صحيحه [١] ، وهو من رواية محمَّد بن إسحاق ، وفيه اختلاف ، وحديث ابن مسعود ، وفيه : " فإذا طلع الفجر صعد إلى العرش" ، أخرجه ابن خُزيمة ، وهو من رواية إبراهيم الهجريّ ، وفيه

(١) انظر : السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٨١ برقم ١٠٢٤٦) .

مقال . وأخرجه أبو إسماعيل عن ابن مسعود أيضاً ، قال : جاء رجل من بني سُليم إلى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فقال : علِّمني ، فذكر الحديث ، وفيه : " فإذا انفجر الفجر صعد " ، وهو من رواية عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود عن عم أبيه ، ولم يسمع منه ، ومن حديث عُبادة بن الصَّامت وفي آخره : " ثمَّ يعلو ربُّنا على كرسيه " ، وهو من رواية إسحاق بن يحيى عن عبادة ، ولم يسمع منه ، ومن حديث جابر ، وفيه : " ثمَّ يعلو ربُّنا إلى السَّماء العليا إلى كرسيه " ، وهو من رواية محمَّد بن إسماعيل الجعفريّ عن عبد الله بن سلمة بن أسلم ، وفيهما مقال . ومن حديث أبي الخطاب : " أنَّه سأل النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الوِتر ، فذكر الوتر ، وفي آخره : " حتى وإذا طلع الفجر ارتفع " ، وهو من رواية ثُوَير بن أبي فاخِتة ، وهو ضعيف ، فهذه الطُّرق كلّها ضعيفة ، وعلى تقدير ثبوتها ، لا يقبل قوله : أنَّها لا تقبل التَّأويل ، فإنَّ محصّلها ذكر الصُّعود بعد النُّزول ، فكما قبل النُّزول التَّأويل ، لا يمتنع قبول الصُّعود التَّأويل ، والتّسليم أسلم كما مرّ .

وقد أجاد هو في قوله في آخر كتابه ، فأشار إلى ما ورد من الصِّفات ، وكلّها من التَّقريب لا من التَّمثيل ، وفي مذاهب العرب سعة ، يقولون : أمرٌ بّينٌ كالشَّمس ، وجواد كالرِّيح ، وحقٌ كالنَّهار ، ولا تريد تحقيق الاشتباه ، وإنَّما تريد تحقيق الإثبات والتَّقريب على الإفهام ، فقد علم من عقل أنَّ الماء أبعد الأشياء شبهاً بالصَّخر ، والله يقول : ﴿ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ ﴾ [هود : ٤٢] ، فأراد العِظَم والعلوّ لا الشّبه في الحقيقة ، والعرب تشبِّه الصُّورة بالشَّمس والقمر ، والقول بالسِّحر ، والمواعيد الكاذبة بالرِّياح ، ولا تعد شيئاً من ذلك كذباً ، ولا توجب حقيقة . وقال بعض العلماء : النُّزول ، لغةً ، يُستعمل لمعانٍ خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال ، ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، والإعلام ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي: أعلم به الروح الأمين محمَّدا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وبمعنى القول : ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، أي : سأقول مثل ما قال . والإقبال على الشَّيء ، وذلك مستعمل في كلامهم ، جار في عرفهم ، يقولون : نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دَنيّها ، ونزل قدر فلان عند فلان ، إذا انخفض . وبمَعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهـــم : كنَّا في خيرٍ وعدلٍ حتى نزل بنا بنو فلان ، أي : حَكَم .

وذلك كلّه متعارفٌ عند أهل اللغة ، وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الربُّ ، جلَّ جلاله ، من النُّزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني ، وهي إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة والاستيقاظ بالتَّذكير والتَّنبيه ، الذي يلقى في القلوب ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، وقد بسطت القول في النُّزول في كتابي : " استحالة المعية بالذَّات ، وما يضاهيها من متشابه الصِّفات " .

وقوله : حين يبقى ثلث الليل الآخر ، برفع الآخر ؛ لأنَّه صفة الثُّلث ، ولم تختلف الرِّوايات عن الزُّهري (١٢٤هـ) في تعيين الوقت ، واختلفت عن أبي هريرة وغيره ، قال التِّرمذيّ : رواية أبي هريرة أصحُّ الرِّوايات في ذلك ، ويقوّي ذلك أنَّ الرِّوايات المخالفة لها اختلف فيها على رواتها ، وسلك بعضهم طريق الجمع ، وذلك أنَّ الرِّوايات انحصرت في ستَّة أشياء :

أوَّلها : هذه، ثلث الليل الآخر ، وهي أصحّها ، وإنَّما خصّ الثُّلث الأخير لأنَّه وقت التَّهجُّد ، وغفلة النَّاس ، عمَّن يتعرَّض لنفحات رحمة الله ، وعند ذلك تكون النيَّة خالصةً ، والرَّغبة إلى الله تعالى وافرة ، وذلك مظنَّة القبول والإجابة .

ثانيها : إذا مضى الثُّلث الأوَّل .

ثالثها : الثُّلث الأوَّل ، أو النِّصف .

رابعها : النِّصف .

خامسها : النِّصف أو الثُّلث .

سادسها : الإِطلاق .

فأمَّا الرِّوايات المطلقة ، فهي محمولة على المقيَّدة ، وأمَّا التي بأو ، فإن كانت "أو" للشَّكِّ ، فالمجزوم به مقدَّم على المشكوك فيه ، وإن كانت للتَّردُّد بين حالين ، فيجمع بذلك بين الرِّوايات بأنَّ ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال ، لكون أوقات الليل تختلف في الزَّمان وفي الآفاق ، باختلاف تقدُّم دخول الليل عند قوم ، وتأخُّره عند قوم . وقال بعضهم : يُحمل على أنَّ ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار ، ويُحمل على أنَّ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به ، ثمَّ أعلم به في وقت آخر ، فأخبر به ، فنقل الصَّحابة ذلك عنه " (١) .

فالمسائل التي بحثها الإمام محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشَّنقيطي ، هي :

---

(١) انظر : كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري (١١/ ٥٥-٥٨) .

١-أنَّ النُّزول يستدلُّ به من أثبت الجهة ، وقال : هي جهة العلو ، وأنكر ذلك الجمهور ؛ لأنَّ القول بذلك يفضي إلى التَّحيُّز ، تعالى الله عن ذلك .

٢-أنَّ الذين أجروا لفظ النُّزول على ظاهره وحقيقته ، هم المشبهة ، تعالى الله عن قولهم ...

٣-أنَّ مَنْ أنكر صحَّة الأحاديث الواردة في ذلك جملةً ، وهم الخوارج والمعتزلة ، وهو مكابرة ، والعجب أنَّهم أَوّلوا ما في القرآن من نحو ذلك ، وأنكروا ما في الحديث ، إمَّا جهلاً ، وإمَّا عناداً .

٤-أنَّ من أجرى النُّزول على ظاهر اللفظ لا على ظاهر المعنى ، مؤمناً به على طريق الإجمال ، منزِّهاً لله تعالى عن الكيفيَّة والتشبيه ، هم جمهور السَّلف ، وبعض الخلف .

٥-أنَّ مَنْ أوَّل لفظ النُّزول على وجه يليق ، مستعملٍ في كلام العرب ، صارفاً له عن ظاهره المستحيل على الله تعالى ، الواجب تنزيهه عنه ؛ هم جمهور الخلف ، ومعهم بعض السَّلف .

٦-أنَّ قوله : " ينزل " راجع إلى أفعاله تعالى لا إلى ذاته ...

٧-ذكر العديد من روايات النُّزول الواردة في غير الصَّحيحين ، وناقشها مناقشة حديثيَّة ، وحكم على أغلبها بالضَّعف ، وبأسلوب علمي رصين ، دلَّ على باعه وطول ذراعة في هذا العلم ...

٨-ذكر أنَّ النُّزول يُستعمل لغة لمعانٍ عديدة ، وإذا كانت مشتركة في المعنى وجب حمل ما وصف به الربُّ ، جلَّ جلاله ، من النُّزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني ...

وقال الأستاذ جميل صدقي بن محمَّد فيضي بن الملا أحمد بابان الزَّهاوي (١٩٣٦م) : " وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنَّه تعالى ينزلُ إلى السَّماء الدُّنيا في كلِّ ليلة ، فيقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له " ، معناه : تنزل رحمتهُ ، وخصَّ بالليل لأنَّه مظنَّة الخلوات ، وأنواع الخضوع والعبادات ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث . لأنَّه لو نزل بذاته من أجل أن يسمعنا ، فما أسمعنا ، فيكون النُّزول شيء آخر ، وهو الرَّحمة " [1] .

وقال الإمام محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (١٣٦٧هـ) : " ... قد ورد في الصَّحيح أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " ينزل ربُّنا كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه من ، يستغفرني فأغفر له " . رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، فكيف تأخذون بظاهر هذا الخبر مع أنَّ الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب ، وإذا كان

[1] انظر : الفجر الصادق في الرد على المارق (ص٣١) .

ينزل لأهل كلّ أفق نزولاً حقيقيّاً في ثلث ليلهم الأخير ، فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون ؟ ومتى يكون في السَّماء حقيقة كما تقولون ؟ مع أنَّ الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ، ولا في ساعة من السَّاعات ، كما هو ثابت مسطور لا يماري فيه إلَّا جهول مأفون !

سادساً : نقول لهؤلاء ما قاله حجَّة الإسلام الغزالي ، ونصُّه : نقول للمتشبِّث بظواهر الألفاظ : إن كان نزوله من السَّماء الدُّنيا ليسمعنا نداءه ، فما أسمعنا نداءه ، فأي فائدة في نزوله ، ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو على السَّماء العليا ، فلا بدَّ أن يكون ظاهر النُّزول غير مراد ، وأنَّ المراد به شيء آخر غير ظاهره ، وهل هذا إلَّا مثل من يريد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب ، فتقدَّم إلى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه ، وهو يعلم أنَّه لا يسمع نداءه ، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً ، وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً ، لا فائدة فيه ، وكيف يستقرُّ مثل هذا في قلب عاقل ؟ " (١) .

فقد ردَّ وناقش الإمام محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني المشبِّهة الذين أخذوا بظاهر معنى النُّزول ، وناقشهم مناقشة علميَّة ، وشنَّع عليهم في ذلك ، وقال لهم : كيف تأخذون بظاهر هذا الخبر مع أنَّ الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب ، وإذا كان ينزل لأهل كلّ أفق نزولاً حقيقيّاً في ثلث ليلهم الأخير ، فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون ؟ ومتى يكون في السَّماء حقيقة كما تقولون ؟ ... ومع ذلك كلّه ... ولأجل نصرة معتقده أنكر البعض منهم ما التزمته العقول من كرويَّة الأرض ، والتي تفيد أنَّ الأرض لا تخلو من الليل في أي وقت من الأوقات ، وكتب كتاباً بعنوان : الشِّهاب المنقض على من قال بكرويَّة الأرض " ، فسبحان مقسِّم العقول ...

وقال الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) : " ومعنى النُّزول : فتحه لباب الإجابة لعباده ، وهو استعمال عربي صحيح ، وحمله على الانتقال من فوق إلى تحت جهل بما يجوز في الله وما لا يجوز، فلا بدَّ من حمل النُّزول على الإسناد المجازي ، بمعنى : بعثه من ينادي هذا النِّداء ، كما يدلُّ على ذلك حديث النَّسائي ، أو على المجاز في الطرف ، بمعنى : أنَّه يُقبل على المستغفرين ، كما ذهب إلى ذلك حمَّاد بن زيد (١٧٩هـ) وغيره . والغروب وثلث الليل ممَّا يختلف باختلاف المطالع ، فيستمر هذا وذاك بالنَّظر إلى مختلف البلاد ، فلا يتصوَّر أن يُراد الهبوط الحسي في مطلق أحاديث النُّزول ، فيكون على نمطها حديث ليلة

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٩٥) .

النِّصف من شعبان ، بل حديث شعبان متكلَّم فيه ، فسوق ابن خزيمة له في صدد الاحتجاج به على النُّزول الحسِّي باطل مردود بالمرة " (١) .

والجدير بالذِّكر في هذا المقام أنَّ العلماء شنَّعوا على الإمام ابن خزيمة بسبب كتابه : " التَّوحيد " حتى سمَّاه الإمام الرَّازي بكتاب الشِّرك ، قال الإمام الرَّازي : " وَاعْلَمْ أَنَّ محمَّد بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَوْرَدَ اسْتِدْلَالَ أَصْحَابِنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي سَمَّاهُ بِـ " التَّوْحِيدِ " ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كِتَابُ الشِّرْكِ ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهَا ، وَأَنَا أَذْكُرُ حَاصِلَ كَلَامِهِ بَعْدَ حَذْفِ التَّطْوِيلَاتِ ، لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلاً مُضْطَرِبَ الْكَلَامِ ، قَلِيلَ الْفَهْمِ ، نَاقِصَ الْعَقْلِ ، فَقَالَ : نَحْنُ نُثْبِتُ للهَّ وَجْهاً ، وَنَقُولُ : إِنَّ لِوَجْهِ رَبِّنَا مِنَ النُّورِ وَالضِّيَاءِ وَالْبَهَاءِ ، مَا لَوْ كُشِفَ حِجَابُهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ ، وَوَجْهُ رَبِّنَا مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْهَلَاكُ وَالْفَنَاءُ ، وَنَقُولُ إِنَّ لِبَنِي آدَمَ وُجُوهاً كَتَبَ الله عَلَيْهَا الْهَلَاكَ وَالْفَنَاءَ ، وَنَفَى عَنْهَا الْجَلَالَ وَالْإِكْرَامَ ، غَيْرَ مَوْصُوفَةٍ بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ وَالْبَهَاءِ ، وَلَوْ كَانَ مُجَرَّدُ إِثْبَاتِ الْوَجْهِ للهَّ يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ لَكَانَ مَنْ قَالَ إِنَّ لِبَنِي آدَمَ وُجُوهاً وَلِلْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ وَالْكِلَابِ وُجُوهاً ، لَكَانَ قَدْ شَبَّهَ وُجُوهَ بَنِي آدَمَ بِوُجُوهِ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ وَالْكِلَابِ . ثمَّ قَالَ :

وَلَا شَكَّ أَنَّه اعْتِقَادُ الْجَهْمِيَّةِ لِأَنَّهُ لَوْ قِيلَ لَهُ : وَجْهُكَ يُشْبِهُ وَجْهَ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ لَغَضِبَ وَلَشَافَهَهُ بِالسُّوءِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّه لَا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ للهَّ إِثْبَاتُ التَّشْبِيهِ بَيْنَ اللهَّ وَبَيْنَ خَلْقِهِ .

وَذَكَرَ فِي فَصْلٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ الْقُرْآنَ دَلَّ عَلَى وُقُوعِ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ ذَاتِ اللهَّ تَعَالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي صِفَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَلَمْ يَلْزَمْ مِنْهَا أَنْ يكون القائل مشبها فكذا هاهنا " (٢) .

ثمَّ إنَّ الإمام ابن خزيمة اعترف بأنَّه لا يُحسن الكلام ، فقد نقل البيهقي (٤٥٨هـ) في الأسماء والصِّفات ، قال : " وَقَدْ أَخبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْنَ العبَّاس الضَّبِّيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الْبَطَايِينِيَّ ، وَنَحْنُ بِالرِّيِّ يقُول - وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ يَحْجُبُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ إِذَا رَكِبَ ـ قَالَ : خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ يَوْماً قُرْبَ الْعَصْرِ مِنْ مَنْزِلِهِ فَتَبِعْتُهُ وَأَنَا لَا أَدْرِي أَيْنَ مَقْصِدُهُ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ بَابَ مَعْمَرٍ ، فَدَخَلَ دَارَ أَبِي عَبْدِ الرَّحمن ثمَّ خَرَجَ وَهُوَ مُنْقَسِمُ الْقَلْبِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُرَبَّعَةَ الصَّغِيرَةَ وَقَرُبَ مِنْ خَانِ مَكِّيٍّ وَقَفَ وَقَالَ لِمَنْصُورٍ الصَّيْدَلَانِيِّ : تَعَالَ . فَعَدَا إِلَيْهِ

---

(١) انظر : مقالات الكوثري (ص٨٢) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٧/ ٥٨٢) .

مَنْصُورٌ ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : مَا صَنْعَتُكَ ؟ قَالَ : أَنَا عَطَّارٌ . قَالَ : تُحْسِنُ صَنْعَةَ الْأَسَاكِفَةِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : تُحْسِنُ صَنْعَةَ النَّجَّارِينَ ؟ قَالَ : لَا . فَقَالَ لَنَا : إِذَا كَانَ الْعَطَّارُ لَا يُحْسِنُ غَيْرَ مَا هُوَ فِيهِ ، فَمَا تُنْكِرُون عَلَى فَقِيهٍ رَاوِي حَدِيثٍ أَنَّه لَا يُحْسِنُ الْكَلَامَ " (١) .

وقال البيهقي (٤٥٨هـ) : " ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ الْفَقِيهَ أَمْلَى اعْتِقَادَهُ وَاعْتِقَادَ رُفَقَائِهِ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ ، وَعَرَضَهُ عَلَى محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ فَاسْتَصْوَبَهُ محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ وَارْتَضَاهُ وَاعْتَرَفَ فِيمَا حَكَيْنَا عَنْهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَنَّه لَمْ يُحْسِنِ الْكَلَامَ " (٢) .

وقد علَّق الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري على كلام الإمام ابن خزيمة السَّابق فقال : " وقد أنصف من نفسه حيث اعترف أنَّه يجهل علم الكلام ، وكان الواجب على مثله أن لا يخوض في الكلام فتزلّ له قَدَمٌ ، ومع هذا الجهل ألَّف " كتاب التَّوحيد " فأساء إلى نفسه . ومن أهل العلم من قال عنه أنَّه كتاب الشِّرك . ومن جملة مخازيه فيه استدلاله على إثبات الرِّجْل له تعالى بقوله سبحانه : " أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا "[الأعراف : ١٩٥] ، وهذا غاية في السُّقوط ، وأسقط منه من يسعى في إذاعة كتابه هذا " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) : " قوله : " ينزلُ ربُّنا " ، أي : نزولاً يليق بجنابة المقدَّس . والحاصل : أنَّ التَّفويض والتَّسليم أسلم ، والقدر الذي قصد إفهامه معلوم ، وهو أنَّ الثُّلث الأخير وقت استجابة وعموم رحمة ، ووفور مغفرة ، فينبغي لطالب الخير أن يدركه ولا يفوته ، فعلى الإنسان أن يقتصر على هذا القدر ، ولا يتجاوز عنه ، إذ لا يتعلَّق بأزيد منه غرض ، قاله السّندي .

واعلم أنَّه اختلف في ضبط قوله : " ينزل " ، فقيل : بضم الياء من الإنزال .

قال أبوبكر بن فورك : ضبط لنا بعضُ أهل النَّقل هذا الخبر عن النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بضم الياء من " ينزل " ، يعني : من الإنزال ، وذكر أنَّه ضبط عمَّن سمع منه من الثِّقات الضَّابطين . وكذا قال القرطبي : قد قيَّده بعض النَّاس بذلك ، فيكون معدياً إلى مفعول محذوف ، أي : يُنزل الله مَلَكاً

---

(١) انظر : الأسماء والصِّفات ، البيهقي (٢/ ٢١) .

(٢) انظر : الأسماء والصِّفات ، البيهقي (٢/ ٢١) .

(٣) انظر : هامش كتاب الأسماء والصِّفات للبيهقي (ص٣٤٠) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

، قال : ويقوِّيه ما رواه النسائي من حديث الأغرّ عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ : " أنَّ الله يُمهلُ حتى يمضي شطر الليل ثمَّ يأمرُ منادياً ، يقول : هل من داع فيُستجاب له " الحديث . وصحَّحه عبد الحق . وفي حديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد : " يُنادي مناد هل من داع يُستجاب له " الحديث . وعلى هذا فلا إشكال في الحديث . وأمَّا على ما هو المشهور في ضبطه ، وهو فتح الياء من النُّزول ، فالحديث مشكلٌ ، لأنَّ النُّزول انتقال الجسم من فوق إلى تحت ، والله تعالى منزَّه عن ذلك . ويؤيِّد هذا الضَّبط رواية مسلم بلفظ : " يتنزَّل ربُّنا " ، بزيادة تاء بعد ياء المضارعة ، وعلى هذا فالحديث من المتشابهات . والعلماء فيه على قسمين :

الأوَّل : المفوِّضة ، أجروه على ما ورد مؤمنين به على طريق الإجمال ، منزِّهين الله تعالى عن الكيفيَّة والتَّشبيه ، وهم جمهور السَّلف ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمَّة الأربعة ، والسُّفيانين ، والحمَّادين ، والأوزاعي ، والليث ، وابن المبارك ، والزُّهري ، ومكحول ، وغيرهم .

والثَّاني : المؤوِّلة ، فأوَّلوه بتأويلين :

أحدهما : أنَّ معنى ينزل ربُّنا : ينزل أمره لبعض ملائكته ، أو ينزل مَلَكَهُ بأمره ، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه .

والثَّاني : أنَّه استعارة ، ومعناه الإقبال على الدَّاعي بالإجابة واللطف والرَّحمة وقبول المعذرة ، كما هو ديدن الملوك الكُرماء والسَّادة الرُّحماء إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين فقراء مستضعفين .

قال البيضاوي (٦٨٥هـ) : لمَّا ثبت بالقواطع أنَّه سبحانه منزَّه عن الجسميَّة والتَّحيُّز امتنع عليه النُّزول على معنى الانتقال من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، فالمراد : وفور رحمته ، أي : ينتقل من مقتضى صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأرذال وقهر الأعداء والانتقام من العصاة إلى مقتضى صفات الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة والعفو ، انتهى .

هذا ، وقد أفرط بعضهم في التَّأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التَّحريف ، وحمله بعضهم على ظاهره وحقيقته ، وهم المشبِّهة تعالى الله عن قولهم ، وأنكر بعضهم صحَّة الأحاديث الواردة في ذلك جملة ، وهم الخوارج والمعتزلة ، وهو مكابرة . والعجب أنَّهم أوّلوا ما في القرآن من نحو ذلك ، وأنكروا ما في الحديث إمَّا جهلاً وإمَّا عناداً . قلت : الحقُّ عندنا هو قول جمهور السَّلف ، فنؤمن بما ورد في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة على طريق الإجمال ، وننزِّه الله سبحانه وتعالى عن الكيف والشّبه بخلقه ،

ونذهب إلى ما وسع سلفنا الصَّالح من السُّكوت عن التَّأويل ، ونقول ما قال البيهقي (٤٥٨هـ) : وأسلمها الإيمان بلا كيف والسُّكوت عن المراد ، إلَّا أن يردَ ذلك عن الصَّادق فيُصار إليه ، نقله الحافظ في الفتح ، وقال : من الدَّليل على ذلك اتِّفاقهم على أنَّ التَّأويل المعيَّن غير واجب ، فحينئذٍ التَّفويض أسلم هذا ... (تبارك وتعالى) جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه ، وهو قوله : " كلّ ليلة " ، أي : في وقت خاص . " إلى السَّماء الدُّنيا " ، وفي حديث أبي الخطَّاب : رجل من أصحاب النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أنَّ الله يهبط من السَّماء العليا إلى السَّماء الدُّنيا ، الحديث . أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السُّنَّة بإسناده .

(حين يبقى ثلث) بضم لام وسكونه . (الليل) بالجر . (الآخر) بكسر الخاء المعجمة وضم الراء المهملة صفة ثلث ، وتخصيصه بالليل وبالثُّلث الأخير منه ، لأنَّه وقت التَّهجُّد وغفلة النَّاس عمَّن يتعرَّض لنفحات رحمة الله تعالى ، وعند ذلك تكون النيَّة خالصة ، والرَّغبة إلى الله وافرة ، وذلك مظنَّة القبول والإجابة ، ولكن اختلف الرِّوايات في تعيين الوقت على ستَّة أقوال :

الأولى : هي التي ههنا ، وهي حين يبقى ثلث الليل الآخر ، قال التِّرمذي : هذا أصحّ الرِّوايات في ذلك . وقال العراقي : أصحُّها ما صحَّحه التِّرمذي ، وقال الحافظ : ويقوي ذلك أنَّ الرِّوايات المخالفة له اختلف فيها على رواتها .

والثَّانية : حين يمضي الثُّلث الأوَّل ، وهي عند التِّرمذي ، ومسلم .

والثَّالثة : حين يبقى نصف الليل الآخر ، وفي لفظ : إذا كان شطر الليل . وفي آخر : إذا مضى شطر الليل .

الرَّابعة : ينزلُ الله تعالى شطر الليل أو ثلث الليل الآخر على الشَّك أو التَّنويع .

الخامسة : إذا مضى نصف الليل أو ثلثُ الليل ، أي : الأوَّل ، وفي لفظ : إذا ذهب ثلثُ الليل أو نصفه .

والسَّادسة : الإطلاق ولا تعارض بين رواية من عين الوقت ومن لم يعيِّن ، كما هو ظاهر جلي ، فالرِّوايات المطلقة تحمل على المقيَّدة . وأمَّا من عيَّن الوقت ، واختلفت ظواهر رواياتهم ، فقد صار بعض العلماء إلى التَّرجيح كالتِّرمذي على ما تقدَّم ، إلا أنَّه عبَّر بالأصح ، فلا يقتضي تضعيف غير تلك الرِّواية . وأمَّا القاضي عياض فعبَّر في التَّرجيح بالصَّحيح ، فاقتضى ضعف الرِّواية الأخرى ، وردَّه النَّووي بأنَّ مسلماً رواها في صحيحه بإسناد لا يطعن فيه عن صحابيَّين ، فكيف يضعِّفها ؟ وإذا أمكن الجمع ولو

على وجه فلا يُصار إلى التَّضعيف . قال النَّووي : ويُحتمل أن يكون النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به ، ثمَّ أعلم بالآخر في وقت فأعلم به ، وسمع أبو هريرة الخبرين جميعاً فنقلهما ، وسمع أبوسعيد الخدري خبر الثُّلث الأوَّل فقط فأخبر به ، انتهى .

وقال الحافظ : أمَّا الرِّواية التي بأو ، فإن كانت أو للشَّك فالمجزوم به مقدَّم على المشكوك فيه ، وإن كانت للتَّردُّد بين حالين فيُجمع بين الرِّوايات بأنَّ ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال ، لكون أوقات الليل تختلف في الزَّمان ، وفي الآفاق باختلاف تقدُّم دخول الليل عند قوم ، وتأخُّره عند قوم . وقال بعضهم : يُحتمل أن يكون النُّزول يقع في الثُّلث الأوَّل ، والقول يقع في النِّصف وفي الثُّلث الثَّاني . وقيل : يُحتمل على أنَّ ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار ، ويُحمل على أنَّ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعلم بأحد الأمور في وقت فأخبر به ، ثمَّ أعلم به في وقت آخر فأخبر به ، فنقل الصَّحابة ذلك عنه ، انتهى كلام الحافظ .

وقال القاري : لا تنافي بين الرِّوايات ، لأنَّه يحتمل أن يكون النُّزول في بعض الليالي هكذا وفي بعضها هكذا ، كذا قاله ابن حبَّان . وقال ابن حجر : ويُحتمل أن يتكرَّر النُّزول عند الثّلث الأوَّل والنِّصف والثُّلث الأخير ، واختصّ بزيادة الفضل لحثِّه على الاستغفار بالأسحار ، ولاتِّفاق الصَّحيحين على روايته ، انتهى . (من يدعُوني فاستجب له) بالنَّصب على جواب الاستفهام ، وبالرَّفع على تقدير مبتدأ ، أي : فأنا أستجيب له ، وكذلك حكم فأعطيه فأغفر له .

وقال الشَّيخ أحمد محمَّد شاكر في تعليقه على الترمذي (ج٢:ص٣٠٨) : ضبطت هي وما بعدها في النُّسخة اليونينيَّة من البخاري (ج٢:ص٥٣) بالنَّصب فقط ، ولكن قال الحافظ في الفتح : بالنَّصب على جواب الاستفهام ، وبالرَّفع على الاستئناف . وكذا قوله : فأعطيه وأغفر له . وقد قرئ بهما في قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَّ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] الآية . وليست السِّين في قوله تعالى : فأستجيب للطَّلب ، بل أستجيب بمعنى أجيب . (من يسألني فأعطيه) بفتح الياء وضم الهاء وبسكون الياء وكسر الهاء . (من يستغفرني فأغفر له) ، قيل : الثَّلاثة المذكورة ، وهي الدُّعاء والسُّؤال والاستغفار ، بمعنى واحد وإن اختلف اللفظ ، يعني أن المقصود واحد ، واختلاف العبارات لتحقيق القضيَّة وتأكيدها . وقيل : الفرق بين الثَّلاثة أنَّ المطلوب إمَّا لدفع المضار أو جلب المسار ، والثَّاني : إمَّا ديني

وإمَّا دنيوي ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأوَّل ، وفي السُّؤال إشارة إلى الثَّاني ، وفي الدُّعاء إشارة إلى الثَّالث . وزاد في رواية عند النَّسائي : " هل من تائب فأتوب عليه " ؟ وزاد في رواية عنده أيضاً : " من ذا الذي يسترزقني فأرزقه " ؟ ، " من ذا الذي يستكشف الضرَّ فأكشفه عنه " ، وزاد في رواية : " ألا سقيمٌ يستشفي فيشفى " ؟ ومعانيها داخلة في ما تقدَّم . (متَّفق عليه) . وأخرجه أيضاً أحمد ومالك والتِّرمذي في الصَّلاة ، وفي الدَّعوات ، وأبو داود في الصَّلاة ، والنَّسائي في النُّعوت ، وفي اليوم والليلة ، وابن ماجه في الصَّلاة ، والبيهقي (ج٣:ص٢) .

وفي الباب عن علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد ، ورفاعة الجهني ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعود ، وأبي الدَّرداء ، وعثمان بن أبي العاص ، وجابر بن عبد الله ، وعبادة بن الصَّامت ، وعقبة بن عامر ، وعمرو بن عبسة ، وأبي الخطَّاب ، وأبي بكر الصدِّيق ، وأنس بن مالك ، وأبي موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، وأبي ثعلبة الخشني ، وعائشة ، وابن عبَّاس ، ونواس بن سمعان ، وأُمّ سلمة ، وجد عبد الحميد بن سلمة ، سرد أسماءهم العيني في شرح البخاري (ج٧:ص١٩٧، ١٩٨) مع تخريج أحاديثهم ، وإنَّما أشرت إلى كثرة الرِّوايات في ذلك ، لأنَّ بعض النَّاس يستنكفون عن مثل هذا ، وينكرون صحَّة الأحاديث الواردة في هذا الباب ؛ لقلَّة فهمهم وكثرة جهلهم أو لعنادهم ، كما تقدَّم عن الخوارج والمعتزلة .

وذكر ابن حبَّان في كتاب السُّنَّة عن أبي زرعة ، قال : هذه الأحاديث المتواترة عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أنَّ الله ينزلُ كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " . قد رواه عدَّة من أصحاب رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وهي عندنا صِحاح قويَّة ، قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ينزلُ ، ولم يقل كيف ينزل ، فلا نقول كيف ينزل ، نقول كما قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . وروى البيهقي في كتاب الأسماء والصِّفات عن أبي محمَّد أحمد بن عبد الله المزني ، يقول : حديث النُّزول قد ثبت عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من وجوه صحيحـــة ، وورد في التَّنزيل ما يصدِّقه ، وهو قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، انتهى .

وذكر البيهقي (٤٥٨هـ) عنه مثل هذا في " السُّنن الكبرى " (ج٣:ص٣) أيضاً. (وفي رواية لمسلم : ثمَّ يبسط يديه) قال النَّووي (٦٧٦هـ) : هو إشارة إلى نشر رحمته ، وكثرة عطائه ، وإجابته ، وإسباغ نعمته .

(ويقول) ، أي : بذاته ، أو على لسان مَلك من خواصِّ ملائكته . (من يقرض) بضم الياء من الإقراض . والمراد بالقرض : عمل الطَّاعة ، سواء فيه الصَّدقة والصَّلاة والصَّوم والذِّكر وغيرها من الطَّاعات ، وسمَّاه قرضاً ملاطفة للعباد ، وتحريضاً لهم على المبادرة إلى الطَّاعة ، فإنَّ القرض إنَّما يكون ممَّن يعرفه المقترض ، وبينه وبينه موانسة ومحبَّة ، فحين يتعرَّض للقرض يبادر المطلوب منه بإجابته لفرحه بتأهيله للاقتراض منه ، وإدلاله عليه ، وذكره له . والمعنى : من يعطي العبادة البدنيَّة والماليَّة على سبيل القرض وأخذ العوض . (غير عدوم) ، أي : رباً غنياً غير فقير عاجز عن العطاء . (ولا ظلوم) بعدم وفاء دينه أو بنقصه أو بتأخير أدائه عن وقته . وإنَّما خصَّ نفي هاتين الصِّفتين ، لأنَّهما المانعان غالباً عن الإقراض ، فوصف الله تعالى ذاته بنفي هذا المانع .

وحاصل المعنى : من يعمل خيراً في الدُّنيا يجد جزاءه كاملاً في العقبى ، فشبَّه هذا المعنى بالإقراض . وفيه تحريض على عمل الطَّاعة ، وإشارة إلى جزيل الثَّواب عليها . (حتى ينفجر الفجر) ، أي : ينشق أو يطلع ويظهر الصُّبح ، وهي غاية للبسط والقول ، أي : لا يزال يقول ذلك حتى يضيء الفجر . وفيه دليل على امتداد وقت الرَّحمة واللطف التَّام إلى إضاءة الفجر . وزاد في رواية للدَّارقطني في آخر الحديث : ولذلك كانوا يفضِّلون صلاة آخر الليل على أوَّله ، وله من رواية ابن سمعان عن الزُّهري (١٢٤هـ) ما يشير إلى أنَّ قائل ذلك هو الزُّهري . وبهذه الزِّيادة تظهر وتتَّضح مناسبة ذكر الحديث في باب التَّحريض على قيام الليل .

وفي الحديث من الفوائد تفضيل صلاة آخر الليل على أوَّله ، وتفضيل تأخير الوتر ، لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه ، وأنَّ آخر الليل أفضل للدُّعاء والاستغفار . ويشهد له قوله تعالى ، وإنَّ الدُّعاء في ذلك الوقت مُجاب . ولا يعترض على ذلك بتخلُّفه عن بعض الدَّاعين ، لأنَّ سبب التَّخلُّف وقوع الخلل في شرط من شروط الدُّعاء ، كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس ، أو لاستعجال الدَّاعي أو بأن يكون الدُّعاء بإثم أو قطيعة رحم أو تحصل الإجابة ، ويتأخَّر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله تعالى " (١) .

فالإمام المباركفوري لخَّص كلَّ ما سبق بيانه من عقيدة الأمَّة في مسألة النُّزول ، وذكر أغلب ما ذكره أهل العلم في المسألة ، السَّلف منهم والخلف على حدٍ سواء ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ...

---

(١) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٢١٨-٢٢١) .

وقال الإمام محمَّد بن السيِّد علوي المالكي الحسني (١٤٢٥هـ) : " ونزول الجسم ومجيئه إنَّما يكون بالانتقال اللائق بالأجسام ، ونزول من ليس بجسم يستحيل أن يكون النُّزول المعروف من الأجسام ، وإنَّما هو نزولٌ إلهيٌّ منـزَّه عن الانتقال والمثل ، كما أنّ الذَّات تعالت وتقدَّست عن المثْل .

وكما أنَّ أهل السُّنَّة لا خلاف بينهم في أنَّ اليد في قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، هي غير الجارحة المعلومة ، وكذلك السَّاق والأصبع ، ونحو ذلك ، فهي غير اليد التي نعرفها ، والسَّاق التي نعرفها ، والأصبع التي نعرفها ، فيجب أن نقول : نزوله ومجيئه واستواؤه ، غير النُّزول المعروف في الأجسام ومجيئها واستوائها .

ومن أثبت للحقِّ النُّزول والمجيء والاستواء الجسماني اللازم للأجسام ، فقد ضلّ ، وقد آمن أهل الحقِّ بالنُّزول والمجيء الإلهي المنـزَّه عن صفات الأجسام وسمات الحدوث ، وكفروا بالنُّزول والمجيء الجسماني بالانتقال من مكان إلى مكان ، وآمنوا بالاستواء الإلهي على العرش ، وكفروا بالاستواء المعروف من الأجسام ، لأنَّ الاستواء المعروف من الأجسام مكيَّف .

وهذه هي الطَّريقة السَّلفيَّة الصَّحيحة التي كان عليها خير الأمَّة من الصَّحابة والتَّابعين !!! وقد آمنَّا بما جاء عن الله على مراد الله عزَّ وجلَّ ، وآمنَّا بما جاء عن الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو الذي يليق بالمنـزَّه عن الجسميَّة قطعاً ، لا على مراد الخيالات والتَّصوُّرات والأوهام . وكلُّ ما خطر ببالك – من تصوُّر للذَّات العليَّة – فهو هالك ، والله بخلاف ذلك . وليس للإنسان أن يذهب في تصوُّر الذَّات العليَّة المذهب الخاطئ حيث يقيس الخالق على المخلوق مع علمه بأنَّه المنـزَّه الذي ليس له مثيل " (١) .

وللعلم ... فإنَّ الإمام محمَّد بن علوي بن عبَّاس الإدريسي الحسني الهاشمي المالكي هو أحد أبرز علماء المسلمين ، من أئمَّة المذهب المالكي، ويُلقب بمحدّث الحرمين ، له ما يزيد على أربعين مؤلَّفاً في

---

(١) انظر : منهج السَّلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق (ص١٧-١٨).

حقول الشَّرع المختلفة ... ومع ذلك فقد صدرت في حقّه فتاوى بكفره وخروجه من ربقة الإيمان من قِبَلِ من يدَّعون السَّلفيَّة (١) ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ...

وقال الأستاذ أبو عاصم ، نبيل بن هاشم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد الغمري : " ... وعقيدتنا في هذا – ولله الحمد – هي عقيدة مشايخنا ومن أدركنا من أهل العلم والمعرفة بالله ،

---

(١) جاء في موقع الشيخ ابن باز : " في هذا الزمان في الآونة الأخيرة منذ سنتين أو ثلاث ألف المدعو محمد علوي المالكي، وكان شابا وكان يرجى فيه قبل ذلك العلم والخير، ولكنه أخيرا أظهر شيئا ما كنا نظن أنه يظهره، فأظهر أنواعا من الشرك وأنواعا من البدع، وألف كتابا سماه "الذخائر المحمدية" فأوجد فيه أشياء تدل على جهله بالتوحيد وجهله بالسنة، ولذلك رد عليه أهل العلم وردت عليه هيئة كبار العلماء، ورد عليهم غيرهم من إخواننا في مصر وغير مصر من أهل العلم والإيمان وذلك أنه... سبحانه وتعالى بل يعطيها من يشاء ، وجعل هذه المواليد من السنن، وجعل من جهله ليلة المولد أفضل من ليلة القدر، هذا يقوله عاقل؟! جعل ليلة المولد ليلة اثنا عشر من ربيع أول أفضل من ليلة القدر التي قال فيها الرب تعالى : " لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [القدر:٣] فجعل الليلة التي أنزل الله فيها القرآن وجعلها أفضل ليلة جعل المولد أفضل منها، وسبقه إلى هذا بعض الجهال من بعض المغاربة.

فهذا كله يدل على الجهل العظيم المطبق والبعد عن معرفة الدين على الحقيقة، فلهذا رددنا عليه، ورد عليه غيرنا من أهل العلم لأجل إيضاح الحق وبيان الهدى، وطالبنا من الدولة –وفقها الله– أن تمنعه من الحديث في المسجد الحرام، وفي الإذاعة، وفي غير ذلك حتى يعلن توبته، وحتى يبين رجوعه عن هذا الباطل لئلا يغتر به الناس، ولئلا يُعلّم الطلبة الشرك بالله الأكبر والبدع المنكرة، فهذا الذي جرى من هذا الرجل وألفت فيه المؤلفات في بيان هذا الباطل، وهو رد عليه وعلى غيره من أشباهه – ليس ردًا عليه وحده بل رد عليه وعلى أشباهه– ولا نزال نطالب ولا نزل نطلب من ولاة الأمور أن يمنعوه من التدريس في المسجد الحرام، وفي الإذاعة، وفي التلفاز، وفي الصحف حتى يعلن توبته إلى الله من هذا الشرك الذي وقع فيه، فإن أعلن توبته من الشرك والبدع فلا بأس إذا أعلن ذلك فهو أخونا في الله، ومتى لم يعلن ذلك فنحن براء منه، ونشهد الله على أنه ضل عن السبيل، وكفر بالله بعد الإيمان، على ما أحدث من الضلال في كتابه العظيم، ونسأل الله العافية.

والنبي ﷺ يقول: من بدل دينه فاقتلوه هكذا قال النبي ﷺ، وقد جاء معاذ ذات يوم إلى أبي موسى في اليمن والرسول ﷺ بعث أبا موسى إلى اليمن داعيا ومعلما ومرشدا، وبعث معاذا أيضا إلى اليمن، وقدر أن أبا موسى بُلغ عن اليهودي أسلم ثم ارتد، فدعاه أبو موسى واستتابه ليرجع إلى الإسلام فأبى وجيء به مقيدا ليقتل إن لم يتب يقتل، فجاء معاذ، فقال: ما هذا المقيد؟ قالوا: هذا رجل أسلم ثم ارتد إلى دينه الباطل اليهودية. فقال معاذ: لا أنزل من بين دابتي حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، فقال أبو موسى إنما جئنا به ليقتل، جئنا به ليقتل إن لم يتب، قال: ما أنزل حتى يقتل ما دام ما أعلن التوبة، لا أنزل حتى يقتل قضاء الله ورسوله.

فالردة عن الإسلام بين المسلمين شأنها خطير، شأنها عظيم، ونشر الكفر بن بين الناس بالكتب شأنه خطير وبلاؤه عظيم، فعلوي أو غير علوي من الناس زيد أو عمرو إذا أظهر الكفر بالله ووراءه بدع وجب أن يؤخذ على يديه، ووجب أن يمنع ولو كان من أولاد الأنبياء، ولو كان من أولاد الحكومة، ولو كان العلماء الكبار، ولو كان من أعيانهم، فإن ارتد عن دينه وأظهر الكفر وجب أن يؤخذ على يديه كائنًا من كان، سواء كان زيدًا أو عمرًا، والله المستعان، نعم نسأل الله أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يهدي ضال المسلمين جميعًا " . ولا حول ولا قوة إلا بالله ... وعند الله تجتمع الخصوم ...

وهي عقيدة السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن جاء بعدهم من أهل المذاهب الأربعة ، وهي أنَّ الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء قبله ، وهو سبحانه على ما كان ، وأنَّه سبحانه واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في مخلوقاته ، لا تشبه ذاته سبحانه الذَّوات ، ولا صفاته الصِّفات ، والتَّصرُّف في أدلَّتها وتأويلها لا يشبه التَّصرُّفات ، الموجودات كلّها مفتقرة إليه ، وهو سبحانه غير مفتقر إلى شيء ، " ينزل كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " - كما ثبت - كيف يشاء ، بلا كيف ولا تفسير ولا تأويل ، بل إذا جاءنا الحديث عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نصغي إليه ، كما قال ابن المبارك (١٨١هـ) ، وكذلك سائر الصِّفات ممَّا أخبر به جل شأنه أو جاء عن رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المجيء والإتيان ، نؤمن به على مراد الله ومراد رسوله ، وقد قال بعضهم : ينزل نزولًا يليق بالرُّبوبيَّة بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بالتَّجلِّي والتَّملِّي منزَّهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق ، فمجيئه ، وإتيانه ، ونزوله بحسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف ، وأنَّ كل ما يخطر ببال أحدنا أو يتصوَّر في ذهنه ، فالله تعالى بخلافه " (١) .

وقال الأستاذ أبو عاصم ، نبيل بن هاشم الغمري أيضاً : " ... قال الإمام العارف بالله الحافظ أبو سليمان الخطَّابي رحمه الله : وهذا من العلم الذي أمرنا أن نؤمن بظاهره ، وأن لا نكشف عن باطنه ، وهو من جملة المتشابه الذي ذكره الله تعالى في كتابه ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] الآية ، فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم الظَّاهر ، ويوكل باطنه إلى الله عزَّ وجلَّ ، وهو معنى قوله : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] الآية ، وإنَّما حظُّ الرَّاسخين أن يقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ﴾ ، وكذلك ما جاء من هذا الباب في القرآن كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والقول في جميع ذلك عند علماء السَّلف هو ما قلناه ، قال : وإنَّما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النُّزول الذي هو نزلة من أعلى إلى أسفل ، وانتقال

(١) انظر : فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن المسمّى بـ : المسند الجامع ، محمَّد الغمري (٦/ ٥٧٣-٥٧٤) .

من فوق إلى تحت ، وهذا صفة الأجسام والأشباح ، فأمَّا نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإنَّ هذه المعاني غير متوهَّمة فيه ، وإنَّما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده ، وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم ، يفعل ما يشاء ، لا يتوجَّه على صفاته كيفيَّة ولا أفعاله كميَّة ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير " [1] .

فالأستاذ الغمري ذكر عقيدة جمهور السَّلف وجمهور والخلف في مسألة النُّزول ، شأنه شأن غيره من العلماء الذين نزَّهوا الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، حين تكلَّموا عن الألفاظ المتشابهة ...

وفي نهاية الحديث عن مسألة النُّزول ، أرى أنَّه لا بُدَّ من التَّعريج ولو قليلاً على بعض الآيات التي اشتملت على لفظ النُّزول الذي لا يدلُّ ولا يعني البتَّة التحوُّل والحركة والانتقال من مكان إلى آخر ...

قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً ﴾ [الأعراف : ٢٦] . وقد أجمع أهل العلم على أنَّ المراد بالإنزال الوارد في الآية الكريمة : خلقنا ، أو أَنْزَلْنَا أَسْبَابَهُ ، ومن أسبابه صنعتم ملابسكم التي تستر عوراتكم وتَقيْكم حرَّ الصَّيف وبرد الشِّتاء ، فسمَّى ما يحدثُ عنه منزلاً أيضاً ؛ لأنَّه عنه كان ، وبه تمّ . ومن المعلوم أنَّ الثِّياب غير منزلة من السَّماء ، لكن لما كانت الثِّياب من الكتَّان والقطن ، والكتَّان والقطن إنَّما يكونان عن النَّبات بالماء ، فالماء هو المنزل ، ، وبه تم ، ونما ونبت ، وهذا يسمَّى : " التَّدريج " : لأنَّ الثِّياب عن الماء اندرجت ...

قال الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (١٥٠هـ) : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، يَقُولُ : من أمري كان اللباس فِي الأرض يُوارِي سَوْآتِكُمْ ... " [2] .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، يقول خلقنا لكم الثِّياب يُوارِي سَوْآتِكُمْ يعني يستر عوراتكم ، ويقال معناه : أنزلنا عليكم المطر ينبت لكم القطن والكتَّان لباساً لكم وَرِيشاً ، قرأ الحسن البصري :

---

[1] انظر : فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن المسمّى بـ : المسند الجامع ، الغمري (٦/ ٥٧٥-٥٧٦) .

[2] انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٣) .

ورياشاً بالألف ، وقرأ غيره : وريشاً بغير ألف ، وقال القتبي : الرِّيش والرّياش ما ظهر من اللباس، وريش الطَّائر ما ستره الله به . ويقال : الرياش : المال والمعاش . قال الفقيه : حدَّثنا محمَّد بن الفضل ، قال : حدَّثنا محمَّد بن جعفر ، حدَّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبي أُمامة ، عن عوف بن أبي جميلة ، عن معبد الجهني في قوله : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، قال : هو ما تلبسون " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : " قوله : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، واللباس هو : الثِّياب ، وهي غير منزلة ، لكن لما كان حدوث الثِّياب من الكتَّان والقطن ، والكتَّان والقطن إنَّما يكونان عن النَّبات بالماء ، فالماء هو المنزل ، فسمَّى ما يحدث عنه منزلاً أيضاً ؛ لأنَّه عنه كان ، وبه تم ، ونما ونبت ، وهذا يسمَّى : " التَّدريج " : لأنَّ الثِّياب عن الماء اندرجت " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : " ... فقال الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، أي : ما تلبسون من الثِّياب . فإن قيل : فليس ذلك بمنزل من السَّماء ، فعنه جوابان :

أحدهما : أنَّه لما كان ينبت من المطر الذي نزل من السَّماء صار كالمنزل من السَّماء ، قاله الحسن (١١٠هـ) .

والثَّاني : أن هذا من بركات الله ، والبركة تنسب إلى أنَّها تنزل من السَّماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] (٣) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْله تَعَالَى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ [الأعراف

---

(١) انظر : بحر العلوم (١/ ٥٢٥) .

(٢) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٤/ ٢٣٢٢) .

(٣) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٢/ ٢١٣) .

: ٢٦] ، فَإِن قَالَ قَائِل : كَيفَ قَالَ : أنزلنَا . وَلم ينزل اللبَاس من السَّماء ؟ قيل : قد أنزل الْمطَر ، وكل نَبَات من الْمطَر ؛ فَكَأَنَّهُ أنزلهُ ، وَقيل : مَعْنَاهُ : أَن كل مَا فِي الأَرْض فَهُوَ من بَركَات السَّماء ؛ فَيكون كالمنزل من السَّماء ، وعَلى هَذَا معنى قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وإِنَّما يسْتَخْرج من الأَرْض ، لَكِن نسبه إِلَى السَّماء ، كَذَا هَذَا " (١) .

وقال الإمام محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني ، ويعرف بتاج القرَّاء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) : " قوله : ﴿ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، أي : خلقنا ، وذكر بلفظ الإنزال ليدلَّ على علوّ المرتبة " (٢) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، أَيْ : خَلَقْنَا لَكُمْ لِباساً ، وَقِيلَ : إِنَّما قال : أَنْزَلْنا لأَنَّ اللباس يَكُونُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ ، وَالنَّبَاتُ يَكُونُ بِمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماء ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ أَنْزَلْنا ﴾ ، أَيْ : أَنْزَلْنَا أَسْبَابَهُ . وَقِيلَ : كُلُّ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ منسوبة إلى السَّماء كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وإِنَّما يُسْتَخْرَجُ الْحَدِيدُ مِنَ الْأَرْضِ " (٣) .

وبنحو الذي ذكرنا في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، قال جمهور أهل العلم (٤) ...

---

(١) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر ، السمعاني (٢/ ١٧٣) .

(٢) انظر : غرائب التفسير وعجائب التَّأويل (١/ ٤٠٠) .

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ١٨٥) .

(٤) انظر للاستزادة : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٩٧) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٣٨٨) ، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١٠٩) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٤/ ٢٢١) ، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٨٤) ، أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٣/ ٩) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٢/ ٢١٩) ، البحر المحيط في التفسير (٥/ ٣٠) ، تفسير الجلالين (ص١٩٦) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ١٨) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٤٦٩) ، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٣/ ٢٢٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٠٧) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/ ٢٢٤) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/ ٣٤٣) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٤/ ٣٢٢) ،

ومن الآيات التي اشتملت على لفظ النُّزول الذي لا يدلُّ على التَّحوُّل والحركة والانتقال من مكان إلى آخر : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] .

وقد اجتمعت كلمة أهل العلم على أنَّ النُّزول الوارد في الآية إنَّما معناه : الخلق ، ، فأنزلنا بمعنى خلقنا ، وقد أوَّله التَّابعي الشَّهير الحسن البصري بذلك ، وهو حقّ ، وإنَّما أخبر عن ذلك بالنُّزول ، لأنَّها إنَّما نشأت وترعرت بالنَّبات ، والنَّبات إنَّما نبت بالمطر النَّازل من السَّماء ، فالمطر هو المُنْزَلُ ، فأخبر عمَّا اندرج وتكوَّن منه بالإنزال . وهذا من التَّدريج ، وله نظائر كثيرة ...

قال الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (١٥٠هـ) : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، يعني : وجعل لكم من أمره ، مثل قوله في الأعراف : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، يقول : جعلنا ، ومثل قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، يقول : وجعلنا الحديد " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) : " ... وقيل : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، أي : جعل لكم ، عن الحسن (١١٠هـ) " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي (٤٣٧هـ) : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ... وإنَّما أخبر عنها بالنُّزول ، لأنَّها إنَّما نشأت وتكوَّنت بالنَّبات ، والنَّبات إنَّما نشأ وتكوّن بالمطر ، فالمطر هو المُنْزَلُ ، فأخبر عمَّا اندرج وتكوّن منه بالإنزال . وهذا من التَّدريج وله نظائر كثيرة ، ومنه قوله : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً

مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٣٦٦) ، الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف (ص٨٠-٨١) ، شرح مختصر الروضة (١/ ٥١٥-٥١٦) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٣/ ٦٦) ، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه (١/ ٤٢٠) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٥٩) ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص٨٠٥) ...

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٠) .

(٢) انظر : تفسير ابن فورك (٢/ ٣١٢) .

﴾ [الأعراف : ٢٦] ، فاللباس لم ينزل لكنَّه تكوّن عمَّا نبت بالمطر الذي هو مُنْزَلٌ ، فسمي ما تكوَن عن المطر : منزل " (١) .

وبنحو ما ذكرنا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، قال جمهور أهل العلم (٢) .

ومن الآيات التي اشتملت على لفظ النُّزول الذي لا يدلُّ التَّحوُّل والحركة والانتقال من مكان إلى آخر : قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، والنُّزول الوارد في الآية معناه : خلقنَا الْحَدِيد أو جعلناه ، أو أظهرناه وأنشأناه وأحدثناه ، فالله تعالى هو الذي أَخْرَجَ لَهُمُ الْحَدِيدَ مِنَ الْمَعَادِنِ ، وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ بِوَحْيِهِ ...

قال الإمام عبد الله بن عبَّاس – رضي الله عنهما – (٦٨هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] : " خلقنَا الْحَدِيد " (٣) .

وقال الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (١٥٠هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، يقول : وجعلنا الحديد " (٤) .

---

(١) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١٠/ ٦٣٠٠) .

(٢) انظر للاستزادة : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٣/ ٢٦٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٥٧١) ، تفسير القرآن ، السمعاني (٤/ ٤٥٩) ، غرائب التفسير وعجائب التَّأويل (٢/ ١٠١٠) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٤/ ٨٠) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦/ ٤٢٤) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٣٥) ، البحر المحيط في التفسير (٩/ ١٨٦) ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤١٠-٤١١) ، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٨٦) ، اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٤٧٤-٤٧٥) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٦١٥) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٤٥٠) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢/ ٢٣١) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٨٢-٨٣) ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (٢٣/ ٣٣٢) ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ١٠٩) ، طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٨١) .

(٣) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس (ص٤٥٩) ...

(٤) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٧) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، أَي : وَجَعَلنَا الْحَدِيد ، أخرجه اللهَّ من الأَرْض " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فَمن أهل التَّأْوِيل من قَالَ : مَعْنَاهُ : وخلقنا الْحَدِيد ، وَمِنْهُم من قَالَ : إِنَّ الْحَدِيد أَنزَلْنَاهُ على معنى النَّقْل من علو إِلَى أَسْفَل . فَأَما قَوْله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣] ، فَإِن إِنْزَال الْقُرْآن لَيْسَ هُوَ على معنى النَّقْل والتحويل لاستحالة الانتقال على الْكَلَام ، وإِنَّما هُوَ بِمَعْنى الْإِعْلَام والإسماع والإفهام .

وَقَوله : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٤] ، يكْشف أَيْضاً على أَنَّه لَيْسَ كلّ نزُول وإنزال نقل وتحويل ، بل ذَلِك لفظ مُشْتَرك الْمَعْنى قد يكون نقلاً وتحويلاً وَيكون على غير هَذَا الْوَجْه أَيْضاً على الْمُتَعَارف والمعهود بَين أهل اللُّغَة ، وَإِذا كَانَ اللَّفْظ مُشْتَرك الْمَعْنى وَجب التَّرْتِيب وَإِضَافَة مَا يَلِيق فِي الْمَذْكُور والمضاف إِلَيْهِ على حسب مَا يَلِيق بِهِ ، أَلا ترى أَنَّه إِذا أضيف إِلَى السَّكِينَة لم يكن حَرَكَة وَلَا نقلة ، وَإِذا أضيف إِلَى الْكَلَام لم يكن أَيْضاً تَفْرِيغ مَكَـــان وشغل مَكَان ، وَإِذا أُرِيد بِهِ الحكم وَتغَير الْمرتبَة ... " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " ... قال أهل المعاني : يعني أنَّه أخرج لهم الحديد من المعادن ، وعلمهم صنيعته بوحيه .

وقال قطرب : هذا من النزل كما تقول : أنزل الأمر على فلان نزلاً حسناً ، فمعنى الآية أنَّه جعل ذلك نزلاً لهم ، ومثله قوله : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] (٣) .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العزيز ، ابن أبي زَمَنِين المالكي (٤/ ٣٥٥) .

(٢) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢٠٣) .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٢٤٦) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فيه قولان : ... الثَّاني : أنَّه من الأرض غير منزل من السَّماء ، فيكون معنى قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا ﴾ [الحديد : ٢٥] ، محمولاً على أحد وجهين : أحدهما : أي : أظهرناه ... " (١) .

وقال الإمام عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (٤٦٥هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، أي : خلقنا الحديد " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : " ... قال أهل المعاني : معنى ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] : أنشأناه وأحدثناه ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، وهذا معنى قول مقاتل : بأمرنا كان الحديد . وقال قطرب : معنى أنزلنا ههنا : هيأنا ، وخلقنا من النزل ، وهو ما يهيَّأ للضَّيف . والمعنى : أنعمنا بالحديد ، وجعلناه مهيَّأ لكم " (٣) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فِيهِ قَولَانِ : أَحدهمَا : أَنَّ مَعْنَاهُ : وخلقنا الْحَدِيد وأحدثناه ... " (٤) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) : " ... قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي مَعْنَى قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، أَنْشَأْنَا وَأَحْدَثْنَا ، أَيْ : أَخْرَجَ لَهُمُ الْحَدِيدَ مِنَ الْمَعَادِنِ وَعَلَّمَهُمْ صَنْعَتَهُ بِوَحْيِهِ . وَقَالَ قُطْرُبٌ : هَذَا مِنَ النَّزْلِ ، كَمَا يُقَالُ : أَنْزَلَ الْأَمِيرُ عَلَى

---

(١) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٥/ ٤٨٣) .

(٢)انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (٣/ ٥٤٥) .

(٣) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٥٣) .

(٤) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر (٥/ ٣٧٨).

فُلَانٍ نَزْلاً حَسَناً ، فَمَعْنَى الْآيَةِ : أَنَّه جَعَلَ ذَلِكَ نَزْلاً لَهُمْ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ [الزمر : ٦] (١) .

وبنحو الذي ذكرنا في تفسير قولـــه تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ، قال جمهور أهل العلم (٢) ...

---

(١) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٥/ ٣٣) ، دار إحياء التراث العربي .

(٢) انظر للاستزادة : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل (٤/ ٤٧٨) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٦٩) ، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (٣/ ٤٤٨) ، باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن (٣/ ١٤٧٦) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٣٧-٢٣٨) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٩/ ٤٧٠-٤٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٦١) ، تفسير النسفي (٤/ ١٧٩) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٤٨) ، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١١٤) ، تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٧) ، تفسير الجلالين (ص٧٢٣) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٩٤) ، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٢٦٩) ، المدهش ، ابن الجوزي (ص٢٣) ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص١٢٨) ، طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٥١) ، كفاية النبيه في شرح التنبيه (٣/ ٣٤٦) ، النجم الوهاج في شرح المنهاج (٥/ ٤٣٩) ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس (ص١٠) ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤/ ٢١٤) ، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٨/ ٢١٢) ، فتح القدير (٥/ ٢١٣) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤/ ١٨٨) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٤٢١) ، تفسير المراغي (٢٧/ ١٨٣) ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ١٠٩) ...

الفَصْلُ الثَّانِيْ

أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِيْ تَفْسِيْرِ الإِتْيَانِ المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى

إنَّ النَّاظر في كلام فحول وأساطين العلم وجهابيذه من السَّلف الذين تكلَّموا على آيات الإتيان المُضاف إل الله تعالى ، يجد أنَّهم في تفسيرهم للآيات الكريمات نزَّهوا الله تعالى عن جميع لوازم المحدثات ، كالحركة ، والسُّكون ، والانتقال من مكان إلى آخر ، وكذا التَّحيُّز في العرش ، وقالوا عن جميع النُّصوص المشكلة والمتشابهة : أمرُّوها من غير تفسير ، وقراءتها تفسيرها ، ولم يزيدوا على ذلك ، بمعنى أنَّهم لم يتعرَّضوا لبيان معناها ، حيث لم تدع الحاجة لذلك ، ففوَّضوا الكيف والمعنى معاً ، أمَّا جمهور الخلف فقد ألجأتهم الظُّروف للكلام في معاني تلك النُّصوص ، فبيَّنوها بناء على المسلَّمات العقديَّة وقواعد اللغة العربيَّة التي اشتملت على الحقيقة والمجاز ... وردُّوا على المشبِّهة الذين استدلُّوا على نسبة الإتيان والانتقال والحركة والنُّزول المادي الحسِّي لله تعالى ، فوصفوا الله تعالى بالإتيان والحركة ، والانتقال ... وبيَّنوا في ردِّهم عليهم أنَّ الإتيان والحركة ، والانتقال ، والسُّكون من صفات المحدثات ولوازمها ، والله سبحانه لا يوصف بالإتيان ... بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر ... لأنَّ الإتيان ، والحركة ، والانتقال ، والسُّكون ، من أعراض الحدَث وأوصاف المحدثات ، والله عزَّ وجلَّ مُتعالٍ عن ذلك كلّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ...

ففي كلامهم على إتيان الربِّ الوارد في قوله تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ " [البقرة : ٢١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، ذهب جمهور السَّلف – كما هو معلوم – إلى السُّكوت عن تفسير ذلك ، وتفويض العلم فيه إلى الله تعالى ، وقالوا : قراءتها تفسيرها ...بينما ذهب جمهور الخلف – كما هو معلوم – إلى أنَّ الإتيان المضاف إلى الله تعالى مجاز ، والمراد به : إتيان عذابه العظيم ، فهو لعظيم هوله جعل إتيانه مسنداً إلى الآمر به أمراً جازماً ، ليعرف مقدار عظمته ، بحسب عظيم قدرة فاعله وآمره ، فالإسناد مجازي من باب : بنى الأمير المدينة ، وضرب الوالي اللصَّ ، وهذا مجاز وارد مثله في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر :

٢] ، ويجوز أن يكون المراد بإتيانه تعالى : إتيان أمره كما قال سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، والمعنى : إتيان أمره بحساب النَّاس يوم القيامة ...

وإليك أخي القارئ طرفاً يسيراً من أقوال علماء الأمَّة في تفسير آيتي الإتيان السَّابقتين ...

قال الإمام السَّلفي الرَّبيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (توفي ما بين سنة ١٧١ و١٨٠هـ) : " وأمَّا قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فإنَّ الكلبي روى عن أبي صالح (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) ، قال : يأتيهم بأمره وقضائه ، فيفصل بينهم ، وهو قول الحسن (١١٠هـ) ، ومجاهد (١٠٤هـ) " (١) . فإتيان الله تعالى على ما قاله الحسن ومجاهد هو مجيء أمره وقضائه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، أي : عذابُه ...

وقال الإمام السَّلفي أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) : " وقوله : ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني : أمرهُ ، لأَنَّ اللهَ تبارك وتعالى لا يزُولُ ، كما تقول : " قَدْ خَشِينا أنْ تَأْتِينَا بنُو أُمَيَّة ". وإنَّما تعني حكمهم " (٢) .

فهذا عَالِمٌ آخر من السَّلف الصَّالح يؤوِّل إتيان الله تعالى بإتيان أمره ، وينزِّه الله سبحانه عن النُّزول والحركة والانتقال ...

وقال الإمام السَّلفي محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطَّبري (٣١٠هـ) : " ثمَّ اختلف في صفة إتيان الربِّ تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذي وصَف به نفسه عزَّ وجلَّ من المجيء ، والإتيان ، والنُّزول ، وغيرُ جائز تكلُّف القول في ذلك لأحد إلَّا بخبر من الله جلَّ جلاله ، أو من رسول مرسل . فأمَّا القول في صفات الله وأسمائه ، فغيرُ جائز لأحد من جهة الاستخراج إلَّا بما ذكرنا .

---

(١) انظر : الجامع الصَّحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب (١/ ٣٣١) .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٣) .

وقال آخرون : إتيانه عزَّ وجلَّ ، نظيرُ ما يعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع ، وانتقاله من مكان إلى مكان .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني به : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم أمرُ الله ، كما يقال : " قد خشينا أن يأتينا بنو أميَّة " ، يُراد به : حُكمهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ﴾ [سبأ : ٣٣] ، وكما يقالَ : " قطع الوالي اللصَّ أو ضَربه " ، وإنَّما قطعه أعوانُه " (١) .

فالإمام الطَّبري السَّلفي نقل جميع الأقوال الواردة في الإتيان ... وأنَّ بعضم ذهب إلى التَّأويل الإجمالي ، وذهب البعض إلى التَّفويض التَّفصيل ، فقال : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم أمرُ الله ، كما يقال : قد خشينا أن يأتينا بنو أميَّة ، يراد به : حُكمهم . والبعض الآخر ذهب إلى تفسير الإتيان بالإتيان المعهود من البشر ، وهؤلاء هم المشبِّهة ، الذين كانت له معهم قصَّة مشهورة ، ذكرها الإمام ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، قال : " ... وقَصَدَهُ الحنابلة ، فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة ، وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر : أمَّا أحمد بن حنبل فلا يعدّ خلافه ، فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الاختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيت له أصحاباً يعوَّل عليهم ، وأمَّا حديث الجلوس على العرش فمحالٌ ، ثمَّ أنشد :

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلمَّا سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم ، وقيل : كانت ألوفاً ، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره ، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتلّ العظيم ، وركب نازوك صاحب الشُّرطة في عشرات ألوف من الجند يمنع عنه العامَّة !!! ووقف على بابه يوماً إلى الليل ، وأمر برفع الحجارة عنه ، وكان قد كتب على بابه : سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس " (٢) .

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٤/ ٢٦٣-٢٦٤) .

(٢) انظر : معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (٦/ ٢٤٥٠) .

والغريب في هذه المسألة أنَّ ابن قيِّم الجوزية افترى على الإمام الطَّبري أنَّه يعتقد بعقيدة الإقعاد على العرش ، فقال : " وهو قول ابن جرير الطَّبري ... " (١) . مع أنَّ الإمام الطَّبري قال في تفسير قول الله تعالى : " عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً " [الإسراء : ٧٩] : " فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة للشَّفاعة للنَّاس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدَّة ذلك اليوم " (٢) . ثمَّ قال الطَّبري بعدما ذكر ما روي عن مجاهد من الإقعاد على العرش : " وأولى القولين في ذلك بالصَّواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله " (٣) .

فهل عرفتم الآن مدى كذب القوم وافترائهم على علماء الأمَّة ، وتقويلهم ما لم يقولوا ؟!! إنَّها كذبة متمسلفيَّة بامتياز ... فهل يطمئنُّ المرء بعد هذا الكذب وغيره الكثير لنقلهم ولأقوالهم التي طالما ألصقوها بالسَّلف الصَّالح ظلماً وزُوْراً وبُهتاناً وعُدواناً ؟!!

وعقيدة الإقعاد على العرش هي ما يعتقده من يدَّعون السَّلفيَّة ، بل وصل بهم الأمر إلى تكفير من لا يعتقد بها ، ورواياتهم في التَّكفير في هذه المسألة تجدها في كتاب " السُّنَّة " للخلَّال ، و " اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة " للالكائي ، وغيرها من كتبهم المعتبرة عندهم ....

وقال الإمام السَّلفي إبراهيم بن السَّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أو يأتي إهْلاَكُ رَبِّك إيَّاهم وانْتِقامُهُ مِنْهُم ، إمَّا بعذَاب عاجل أو بالقيامة . وهذا كقولنا : قَدْ نَزَلَ فُلانٌ ببَلَد كَذا وكَذَا ، وقد أتَاهُمْ فُلانٌ ، أي : قَدْ أوْقَع بِهِمْ " (٤) .

فأهل اللغة الذين يفهمون اللغة العربيَّة بحقيقتها ومجازها – على ما قاله الإمام الزَّجَّاج السَّلفي اللغوي – لا يتردَّدون في تأويل الإتيان المضاف إلى الله تعالى ، أمَّا من أنكروا جوهر اللغة وجمالها المتمثِّل

---

(١) انظر : بدائع الفوائد (٤/ ٣٩) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ٥٢٦) .

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ٥٢٩) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧) .

بالمجاز الذي نعتوه بالطَّاغوت ، فلم يعجبهم إلَّا أن يعاندوا المسلَّمات اللغويَّة والعقديَّة ، ويفتروا على سلف الأمَّة بحجَّة المتابعة الزَّائفة ، والتَّشدُّق ، والتَّنطُّع ...

ومن تأويلات أهل اللغة التي ذكرها الإمام الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : أن يأتيهم اللهَّ بما وعدهم من العذاب ، والحساب ، أو انتقامه منهم في الدُّنيا أو الآخرة ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : " قيل : ﴿ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بأمره . وهو قول الحسن . وقيل : ﴿ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي أمر اللهَّ ؛ وهو كقوله : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، وكقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ على إضمار الأمر فيه .

وقيل : قوله : " فِي ظُلَلٍ " [البقرة : ٢١٠] ، في بمعنى (الباء) ، وكأنَّه قال : يأتيهم اللهَّ بظلل من الغمام ، وذلك جائز – استعمال (في) مكان (الباء) ؛ لأنَّهما جميعًا من حروف الخفض ، والعرب تفعل ذلك ولا تأبى .

والأصل في هذا ونحوه : أنَّ إضافة هذه الأشياء إلى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لا توجب حقيقة وجود تلك الأشياء منه على ما يوجد من الأجسام ، إذ لا يجوز إضافته إلى ما لا يوجد منه تحقيق ذلك ، نحو ما يقال : جاء إليَّ أمرٌ فظيعٌ ، وجاء الحقُّ وزهق الباطل ، وجاء فلان بأمر كذا ، وجاءكم رسول . فذكر المجيء والإتيان لا على تحقيق وجود ذلك منه ، فعلى ذلك يخرج ما أضاف عَزَّ وَجَلَّ إلى نفسه من المجيء والإتيان والاستواء ، أليس على تحقيق المجيء والإتيان والاستواء ، ليس على تحقيق الإتيان والمجيء والاستواء منه على ما يكون من الأجسام .

وفي الشاهد أنَّ ملوك الأرض يضيفون إلى أنفسهم ما عُمِلَ بأمرهم من غير أن يتولُّوها بأنفسهم . كذلك أضاف جلَّ ذكره أمر القيامة إلى نفسه لفضل ذلك الأمر .

ثمَّ الأصل : أنَّ الإتيان والانتقال والزَّوال في الشَّاهد إنَّما يكون لخلَّتين : إمَّا لحاجة بدت فيحتاج إلى الانتقال من حال إلى حال ، والزَّوال من مكان إلى مكان ليقضيها ، أو لسآمة ووحشة يأخذه ، فينتقل من

مكان إلى مكان لينفي عن نفسه ذلك . وهذان الوجهان في ذي المكان ، واللهَّ – تعالى – يتعالى عن المكان ، كان ولا مكان فهو على ما كان .

فاللهَّ تعالى يتعالى عزَّ أن يمسّه حاجة أو يأخذه سآمة . فبطل الوصف بالإتيان والمجيء والانتقال من حال إلى حال أو من مكان إلى مكان . ...

وقيل : أنَّ النَّصَّ قد ورد بالاستواء والمجيء ، وأورد الخبر بالنُّزول، والرُّؤية ، ثمَّ قد ورد السَّمع بأن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، لزم نفي التَّشبيه فيما ورد عن ذاته ، ولزم الإقرار بما جاء من عنده من غير طلب الكيفيَّة له والتَّفسير ، فالسَّبيل فيه الإيمان بالتَّنزيل ، والكفّ عن التَّفسير .

وفي الشَّاهد الإتيان في العرض : ظهوره ، وفي الجسم : نقله من مكان إلى مكان ، وهو – جلَّ ذكره – جلَّ أن يُوصف بجسم أو عَرَض . كذلك إتيانه لا يُشبه إتيان الأجسام والأعراض ، ويكون إتيان لا يعرف كيفيَّته ، وكما جاز أن يكون هو مثبتًا بدليل لا يشبهه عَرَضٌ ولا جسمٌ ، واللهَّ أعلم " (١) .

وقال الإمام الماتريدي أيضاً : "وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، على إضمار الأمر ؛ كأنَّه قال : أو يأتي أمر ربِّك ؛ على ما ذكر في سورة النَّحل : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] .

ثمَّ الأمر فيه عذاب اللهَّ ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنا ﴾ [هود : ٦٦] ، يعني : عذابنا ؛ فعلى ذلك في هذا : أمر اللهَّ عذاب اللهَّ ، والأصل فيما أضيف إلى اللهَّ في موضع الوعيد لا يراد به الذَّات ، ولكن يُراد به نقمتهُ وعذابهُ وعقوبتهُ ؛ كقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، لا يُريد به ذاته ، ولكن يُريد به نقمتهُ ، وعذابهُ وقوَّتهُ ، كقولهِ : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] ؛ كقوله : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ الله﴾ [العنكبوت: ٥] ، لا يريد به لقاء ذاته ؛ وكذلك قوله : ﴿ وَإِلَى اللهَّ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] ، ﴿ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وغيرها من الآيات ، لا يراد به ذاته ، ولكن يراد به عذابه ونقمته .

أو نقول : إنَّ كلّ شيء يراد به تعظيمه ، يضاف إلى اللهَّ – تعالى – فيراد به تعظيم ذلك الشَّيء ، أو تعظيم عذابه ونقمته " (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٢/ ١٠٤-١٠٥) .

(٢) انظر : : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٤/ ٣٢٦) .

وقال الإمام أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمَّد (٣٣٨هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قال مجاهد (١٠٤هـ) : إنَّ الله يأتي يوم القيامة في ظُلَل من الغمام ، وقيل : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحسنات والعذاب ، ﴿ فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، أي : بخذلانه إيَّاهم ، وهذا قول أبي إسحق ، وقال الأخفش سعيد (٢١٥هـ) : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني : أمرُه ، لأنَّ الله تعالى لا يزول ، كما تقول : خشينا أن تأتينا بنو أميَّة ، وإنَّما تعني : حكمهم " (١) .

فالإمام النحَّاس (٣٣٨هـ) ذكر في معرض كلامه طائفة من تأويلات السَّلف لقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، منها : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحسنات والعذاب ، ومنها : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني : أمره ، لأنَّ الله تعالى منزَّه عن الزَّوال والانتقال ...

وقال الإمام الحَافِظُ ، الثِّقَةُ ، الرَّحَّالُ ، الجَوَّالُ ، مُحَدِّثُ الإِسلاَمِ ، علمُ المعمَّرينَ ، أَبُو القَاسِمِ سُلَيْمَانُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَيُّوْبَ بنِ مُطَيْرٍ اللَّخْمِيُّ ، الشَّامِيُّ ، الطَّبَرَانِيُّ ، صَاحِبُ المَعَاجِمِ الثَّلاَثَةِ (٣٦٠هـ) : " افترق النَّاس في تفسير هذه الآية على أربعة أقوال : فرقةٌ منهم يتأوَّلونها على ظاهرها ، ويصفون الله بالإيتاء الذي هو زوال من مكان إلى مكان . وهذا القول غير مُرْضٍ ، تعالى الله عنه .

وفرقةٌ يفسِّرون الإتيان تفسيراً مجملاً لا يعدون ظاهر اللفظ ، يقولون : يأتي كيف يشاء بلا كيف . وهذا غير مُرْضٍ أيضاً .

وأمَّا الفرقتان الأخريان من أهل السُّنَّة ، فإحداهما لا يفسِّرون هذه الآية ، ويقولون : نؤمن بظاهرها ، ونسكت عن الخوض في معناها ، لما فيه من الاشتباه والتَّشبيه . وقال الكلبي : هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وقال ابن عبَّاس : نؤمن بها ولا نفسِّرها ، كما قال تعالى في المتشابهات : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] .

(١) انظر : معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس (١/ ١٥٥) .

وأمَّا الفرقة الرَّابعة ، فيفسِّرونها ، ويردُّون هذه المتشابهات إلى الآيات المحكمات ، ويقولون : معناها : ما ينظر الكفَّار بعد قيام الحجَّة عليهم ، إلَّا أن يأتيهم أمر الله ، وهو الحساب ، أو أن يأتيهم عذاب الله ، لأنَّ الإتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة الإتيان ، ويحتمل إتيان الأمر ، وقد قامت الدّلالة على أنَّ الله تعالى لا يجوز عليه الإتيان والمجيء والانتقال والمزاولة ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام والمحْدَثين ، والله تعالى منزَّه عن ذلك ، قال عليٌّ رضي الله عنه : " من زعم أنَّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء ، فقد ألحد ، لأنَّه لو كان من شيء لكان محدثاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان على شيء لكان محمولاً " .

وإذا كان لفظ الإتيان مشتبهاً ، وجب ردُّه إلى المحكم ، نحو قولــه في سورة النَّحل : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

وقال بعضهم : معناه : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة ، فتكون " في " في معنى الباء ، فعلى هذا التَّأويل زال الإشكال وسهل الأمر . وأمَّا ذكر الظلَّة في الآية ، فإنَّ الهول إذا جاء من الظلّة المظلمة من السَّحاب ، كان أعظم وأشدّ ، يدلُّ عليه قوله تعالى في قصَّة شُعيب : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ [الشعراء : ١٨٩] (١) .

فقد ذكر الإمام الطَّبراني أنَّ النَّاس افترقوا في تفسير الإتيان الوارد في الآية ، فذكر ما عليه جمهور السَّلف وبعض الخلف الذين قالوا : نؤمن بظاهرها ، ونسكت عن الخوض في معناها ، لما فيه من الاشتباه والتَّشبيه ، وذكر أيضاً ما عليه جمهور الخلف وبعض السَّلف الذين فسَّروا الآية بردِّ المتشابه إلى المحكم ، وقالوا في تفسيرها : ما ينظر الكفَّار بعد قيام الحجَّة عليهم ، إلَّا أن يأتيهم أمر الله وحسابه أو عذابه ... وقد قامت الدّلالة على أنَّ الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المُحدثات المخلوقات من النُّزول والحركة والنُّقلة من مكان إلى آخر ، لأنَّ ذلك من صفات الأجسام والمحْدَثين ، والله تعالى منزَّه عن ذلك .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (١/ ٣٥٨-٣٥٩) .

وذكر ما عليه المشبِّهة والمجسِّمة الذين آمنوا بظاهر اللفظ والمعنى ، فوصفوا الله تعالى بالإيتاء الذي هو زوال وانتقال من مكان إلى مكان ، وهوأمرٌ مرفوضٌ مُخالفٌ لما ذهب إليه جمهور أهل العلم ، فقد أجمعت على نفي الحركة والسُّكون عنه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقد قال الإمام الطَّحاوي (٣٢١هـ) في عقيدته التي تلقَّتها الأمَّة بالقبول – على ما نقله السُّبكي – : " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر " ، ومن المعلوم أنَّ الحركة والسَّكون من معاني البشر ...

وقال الإمام أحمد بن علي أبو بكر الرَّازي الجصَّاص الحنفي (٣٧٠هـ) : " وقَوْله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، هَذَا مِنْ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي أَمَرَنَا الله بِرَدِّهِ إلَى الْمُحْكَمِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٧]

وإنَّما كَانَ مُتَشَابِهاً لِاحْتِمَالِهِ حَقِيقَةَ اللَّفْظِ ، وَإِتْيَانُ اللهَّ وَاحْتِمَالُهُ أَنْ يُرِيدَ : أَمْرَ اللهَّ ، وَدَلِيلَ آيَاتِهِ كَقَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، فَجَمِيعُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَا بيَّنه في قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨]، لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِتْيَانُ ، وَلَا الْمَجِيءُ ، وَلَا الِانْتِقَالُ ، وَلَا الزَّوَالُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، وَدَلَالَاتِ الْحَدَثِ ، وَقَالَ تَعَالَى فِي آيَةٍ مُحْكَمَةٍ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وَجَعَلَ إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا شَهِدَهُ مِنْ حركات النجوم وانتقالها دليلاً على حدثها ، وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، يَعْنِي : فِي حَدَثِ الْكَوَاكِبِ وَالْأَجْسَامِ ، تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ عُلُوّاً كَبِيراً . فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، بِمَعْنَى : جَاءَ كِتَابُهُ ، أَوْ جَاءَ رَسُولُهُ ، أَوْ مَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ ؟ قِيلَ لَهُ : هَذَا مَجَازٌ ، وَالْمَجَازُ لَا يُسْتَعْمَلُ إلَّا فِي مَوْضِعٍ يَقُومُ الدَّليل عليه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وَهُوَ يُرِيدُ : أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] ، وَهُوَ يَعْنِي

: أَوْلِيَاءَ اللهَّ ، وَالْمَجَازُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقُومُ الدَّلِيل عَلَى اسْتِعْمَالِهِ فِيهِ أَوْ فِيمَا لَا يَشْتَبِهُ مَعْنَاهُ عَلَى السَّامِعِ " (١) .

وكلام الإمام الجصَّاص (٣٧٠هـ) يتلخَّص بأنَّ لفظ الإتيان من الْمُتَشَابِهِ الَّذِي أَمَرَنَا الله بِرَدِّهِ إِلَى الْمُحْكَمِ ، فإتيان الله تعالى عبارة عن إتيان أمره ، وهو سبحانه وتعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقات من التَّحوُّل والانتقال والحركة والهرولة وسائر صفات المخلوقات ...لأنَّها صفات ملازمة للمحدثات ، أمَّا هو سبحانه فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ...

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرَّازي الحنفي (٣٧٠هـ) : " وأمَّا المراد بالإتيان مثل قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : يأتيهم أمر الله " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فالغمام مَعْرُوف فِي كَلَام الْعَرَب ، إِلَّا أَنا لَا نَدْرِي كَيفَ الْغَمَام الَّذِي يَأْتِي الله جلّ وعزّ يَوْم الْقِيَامَة فِي ظُلَل مِنْهُ ، فَنحْن نؤمن بِهِ ، وَلَا نكيِّف صفته . وَكَذَلِكَ سَائِر صِفَات الله جلّ وعزّ " (٣) .

وهنا يذهب الإمام أبو منصور الهروي (٣٧٠هـ) مذهب التَّأويل الإجمالي من غير خوض في المعنى ، وهذا مذهب جمهور السَّلف وبعض الخلف ...

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : ما ينظرون . وقال ابن عبَّاس في رواية أبي صالح (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) : هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر ... وروى عبد الرزَّاق ، عن سفيان الثَّوري (١٦١هـ) ، قال : قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير تعرفه العرب ، وتفسير لا يقدر أحد عليه لجهالته ، وتفسير لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ ، ومن ادَّعى علمه

(١) انظر : أحكام القرآن (١/ ٣٩٧-٣٩٨) .

(٢) انظر : شرح بدء الأمالي (ص٢٠٣) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٣/ ١٥٦-١٥٧) .

فهو كاذب . وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، وكذلك هذه الآية سكت بعضهم عن تأويلها ، وقالوا : لا يعلم تأويلها إلَّا الله . وبعضهم تأوَّلها فقال : هذا وعيدٌ للكفار ، فقال : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ " [البقرة : ٢١٠] ، أي : ما ينتظرون ولا يؤمنون ﴿ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني : أمرُ الله تعالى ، كما قال في موضع آخر : ﴿ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، يعني : أمرُ الله . وقال بعضهم : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يعني : بما وعد من العذاب " (١) .

فالإمام السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ذكر أقوال العلماء في الإتيان ، وأنَّ جمهور السَّلف ذهبوا إلى التَّفويض المُطلق الإجمالي ، أي : تفويض المعنى والكيْف ، وأنَّ الإتيان من المكتوم الذي لا يفسَّر والذي لا يعلمه إلَّا الله تعالى ... بينما ذهب جمهور الخلف إلى بيان معناها وبما ينسجم مع تنزيه الله تعالى ... وأنَّ المقصود وعيدٌ للكفار ، أو بما توعَّدهم مِنْ العذاب ...

وقال الإمام السَّمرقندي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يعني : يأتي أمرُ ربِّك بما وعد لهم ، كقوله : ﴿ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، ويقال : أن تأتي عقوبة ربِّك وعذابه . وقد ذكر المضاف إليه ويُراد به المضاف . كقوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، يعني : أهل القرية . وكقوله : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ، يعني : حبَّ العجل . كذلك هاهنا يأتي أمرُ ربك ، يعني : عقوبة ربِّك وعذاب ربِّك . ويقال : هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله " (٢) .

فالإمام السَّمرقندي (٣٧٣هـ) هنا يؤوِّل الإتيان بإتيان أمْرِ الربِّ جلَّ وعلا بما وعد لهم ، أو أن تأتي عقوبة ربِّك وعذابه ...

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " وَاخْتلفُوا فِي الْإِتْيَان والمجيء والنُّزول ، فَقَالَ الْجُمْهُور مِنْهُم : أَنَّها صِفَات لَهُ كَمَا يَلِيق بِهِ ، وَلَا يعبَّر عَنْهَا بِأَكْثَرَ من التِّلَاوَة وَالرِّوَايَة ، وَيجب الْإِيمَان بهَا وَلَا يجب الْبَحْث عَنْهَا .

---

(١) انظر : بحر العلم (١/ ١٦٥) .

(٢) انظر : بحر العلوم (١/ ٥١٤) .

وَقَالَ محمَّد بن مُوسَى الوَاسِطِيّ (٣٢٠هـ) : كَمَا أَنَّ ذَاته غير معلولة ، كَذَلِك صِفَاته غير معلولة ، وَإِظْهَار الصَّمديَّة إِيَاس عَن المطالعة على شيء من حقائق الصِّفات أَو لطائف الذَّات .

وأوَّلها بَعضهم ، فَقَالَ : معنى الْإِتْيَان مِنْهُ إيصاله مَا يُرِيد إِلَيْهِ ، ونزوله إِلَى الشَّيء إقباله عَلَيْهِ ، وقربه كرامته ، وَبُعده إهانته ، وعَلى هَذَا جَمِيع هَذِه الصِّفات المتشابهة " (١) .

فالإمام أبو بكر الكلاباذي البخاري الحنفي ذهب إلى أنَّ جمهور السَّلف وبعض الخلف قالوا : أنَّها صِفَات لَهُ تعالى كَمَا يَلِيق بِهِ ، وَلَا يعبَّر عَنْهَا بِأَكْثَرَ من التِّلَاوَة وَالرِّوَايَة ، وَيجب الْإِيمَان بهَا وَلَا يجب الْبَحْث عَنْهَا ، وهذا هو التَّأويل الإجمالي ...

وأوَّلها جمهور الخلف وبعض السَّلف ، فَقَالوا : معنى الْإِتْيَان مِنْهُ : إيصاله مَا يُرِيد إِلَيْهِ ، ونزوله إِلَى الشَّيء : إقباله عَلَيْهِ ، وقربه كرامته ، وَبُعده إهـــانته ، وهذا هو التَّأويل التَّفصيلي ...

وقال الإمام أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطَّاب البستي المعروف بالخطَّابي (٣٨٨هـ) : " قلت : مذهب علماء السَّلف وأئمَّة الفقهاء أن يُجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها ، وأن لا يريغوا لها المعاني ، ولا يتأوَّلوها ، لعلمهم بقصور علمهم عن دركها .

حدَّثنا الزَّعفراني ، حدَّثنا ابن أبي خيثمة ، حدَّثنا عبد الوهَّاب بن نجدة الحوطي ، حدَّثنا بقيَّة ، عن الأوزاعي (١٥٧هـ) ، قال : كان مكحول (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) يقولان : أمرُّوا الأحـــاديث كما جاءت .

قلت : وهذا من العلم الذي أُمرنا أن نؤمن بظاهره ، وأن لا نكشف عن باطنه ، وهو من جملة المتشابه الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾ [آل عمران : ٧] الآية ؛ فالمُحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل ، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم بالظَّاهر ، ونُوكل باطنه إلى الله سبحانه ؛ وهو معنى قوله : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، وإنَّما حظُّ الرَّاسخين في العلم أن يقولوا : " آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا " [آل عمران : ٧] ، وكذلك كلّ ما جاء من هذا الباب في القرآن ، كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ

---

(١) انظر : التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف (ص٣٧) .

وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والقول في جميع ذلك عند علماء السَّلف : هو ما قلنا ، وقد رُوي مثل ذلك عن جماعة من الصَّحابة . وقد زلَّ بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرِّجال ، فحاد عن هذه الطَّريقة ، حين روى حديث النُّزول ، ثمَّ أقبل يسأل نفسه عليه ، فقال : إن قال قائل : كيف ينزلُ ربُّنا إلى السَّماء ؟ قيل له : ينزلُ كيف شاء ، فإن قال : هل يتحرَّك إذا نزل أم لا ؟ فقال : إن شاء تحرَّك ، وإن شاء لم يتحرَّك .

قلت : وهذا خطأ فاحش ، والله سبحانه لا يوصف بالحركة ، لأنَّ الحركة والسُّكون يتعاقبان في محلّ واحد ، وإنَّما يجوز أن يوصف بالحركة مَنْ يجوز أن يوصف بالسُّكون ، وكلاهما من أعراض الحدث ، وأوصاف المخلوقين ، والله جلَّ وعزَّ متعال عنهما ، ليس كمثله شيء ، فلو جرى هذا الشَّيخ - عفا الله عنا وعنه - على طريقة السَّلف الصَّالح ، ولم يُدخل نفسه فيما لا يعنيه ، لم يكن يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وإنَّما ذكرت هذا لكي يتوقَّى الكلام فيما كان من هذا النَّوع ، فإنَّه لا يثمر خيراً ، ولا يفيد رشداً ، ونسأل الله العصمة من الضَّلال ، والقول بما لا يجوز من الفاسد المحال " (١) .

وفي كلام الإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) نجد :

١ -التَّأكيد على أنَّ مذهب علماء السَّلف وأئمَّة الفقهاء أن يُجروا مثل هذه الأحاديث على ظاهرها ، وأن لا يريغوا لها المعاني ، ولا يتأوَّلوها ... وهذا ردٌّ على من يدَّعون السَّلفيَّة ، الذين يقولون بتفويض الكيْف دون المعنى ...

٢- ردَّ الإمام الخطابي على من جعلوا السَّلف شمَّاعة وضعوا عليها خزعبلاتهم وترَّهاتهم ، أولئك النَّفر الذين قالوا بأنَّ الله يتحرَّك ويسكُن ...

وقال الإمام محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلَّاني المالكي (٤٠٣هـ) : " ... قالوا : والمجيء ، والإتيان ، حركة وزوال ، وذلك عندهم مُحال في صفته ، فالجواب عن ذلك عند بعض الأمَّة : أنَّه يجيء ويأتي بغير زوالٍ ، ولا انتقالٍ ، ولا تكييف ، بل يجبُ تسليمُ ذلك على ما رُوي وجاء به القرآن .

---

(١) انظر : معالم السنن (٤/ ٣٣١-٣٣٢) .

والجواب الآخر : أنَّه يَفْعل معنىً يُسميه مجيئاً وإتياناً ، فيقال : جاء الله ، بمعنى أنَّه فعلَ فعلاً كأنَّه جائياً ، كما يُقال : أحسنَ الله ، وأنعم ، وتفضَّلَ ، على معنى : أنَّه فعل فعلاً استوجبَ به هذه الأشياء .

ويمكن أن يكون أراد بذلك : إتيان أَمْرِه وحُكمِه ، والأهوالِ الشديدةِ التي توعَّدهم بها ، وحذرهم من نزولها ، ويكون ذلك نظيراً لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر : ٢] ، ولا خلافَ في أنَّ معنى هذه الآية : أنَّ أمْره وحُكْمَه إيَّاهم وعقوبته ونكالَه ، وكذلك قوله : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] (١) ...

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) : " ... ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَقَوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

وَاعْلَم أَنَّه لَا فرق بَين الْإِتْيَان والمجيء والنُّزول إِذا أضيف جَمِيع ذَلِك إِلَى الْأَجْسَام الَّتِي تتحرَّك وتنتقل وتحازي مَكَاناً ، إِنَّ جَمِيع ذَلِك يعقل من ظَاهرهَا ، وَالْمعْنَى الَّذِي هُوَ : الْحَرَكَة ، والنُّقلة الَّتِي هِيَ : تَفْرِيغ مَكَان وشغل مَكَان ، وَإِذا أضيف إِلَى مَا لَا يَلِيق بِهِ الانتقال من مَكَان إِلَى مَكَان لاستحالة وَصفه ، كَانَ معنى مَا يُضَاف إِلَيْهِ من الْإِتْيَان والمجيء على حسب مَا يَلِيق بنعمته وَصفته إِذا ورد بِهِ الْكتاب ، وَكَذَلِكَ إِذا أضيف النُّزول إِلَيْهِ وَورد بِهِ الْخَبَر الصَّحِيح الموثق بروايته وَنَقله وَصِحَّته فِي بَاب ، أَنَّه يحمل على نَحْو مَا حمل عَلَيْهِ معنى الْمَجِيء والإتيان إِذا ذكرا فِي أَوْصَافه فِي الْكتاب . وَإِذا كَانَ كَذَلِك ، تأمَّلنا معنى مَا ورد فِي هَذَا الْخَبَر من لفظ النُّزول ، ونزلناه على الْوَجْه الَّذِي يَلِيق بوصفه ، وعَلى الْمَعْنى الَّذِي لَا يُنكر اسْتِعْمَال مثله فِي اللِّسَان فِي مثل مَعْنَاهُ ، وَلَا أَن يرد الْخَبَر بِمثلِهِ .

فَمن ذَلِك : أَنَّا وجدنَا لفظة النُّزول فِي اللُّغَة مستعملة على معَان مُخْتَلفَة ، وَلم تكن هَذِه اللّفظَة مِمَّا يخصّ أمراً وَاحِداً ، حَتَّى لَا يُمكن الْعُدُول عَنهُ إِلَى غَيره ، بل وَجَدْنَاهُ مُشْتَرك الْمَعْنى ، وَاحتمل التَّأْوِيل والتَّخريج وَالتَّرْتِيب ، فَمن ذَلِك : النُّزول بِمَعْنى الانتقال ، وَذَلِكَ فِي قَوْله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، على معنى النُّقلة والتَّحويل ، وَمن ذَلِك : النُّزول بِمَعْنى الْإِعْلَام ، كَقَوْلِه عزَّ

(١) انظر : الانتصار للقرآن (٢/ ٧٣٦-٧٣٧) .

وَجلَّ : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] ، أَي : أعلم بِهِ الرُّوح الْأمين محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والنُّزول أَيْضاً بِمَعْنى : القَــوْل وَالْعِبَادَة ، وَذَلِكَ فِي قَوْلــه عزَّ وَجلَّ : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

والنُّزول أَيْضاً بِمَعْنى : الإقبال على الشَّيْء ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَعْمل فِي قَوْلهم والجاري فِي عرفهم ، وَهُوَ أَنَّهم يَقُولُونَ : أَنَّ فلَاناً أَخذ بمكارم الْأَخْلَاق ثمَّ نزل مِنْهَا إِلَى سفافها ، أَي : أقبل مِنْهَا إِلَى رديئها . وَمثله فِي نُقْصَان الدرجَة والمرقبة ، لأَنَّهم يَقُولُونَ : نزلت منزلَة فلَان عَن فلَان عَمَّا كَانَت عَلَيْهِ إِلَى مَا دونهَا : إِذا انحطَّ قدره عِنْده .

وَمن ذَلِك أَيْضاً : النُّزول بِمَعْنى نزُول الحكم ، من ذَلِك : قَول النَّاس : قد كُنَّا فِي عدْل وَخير حَتَّى نزل بِنَا بَنو فلَان إِلَى حكمهم ، وكل ذَلِك فِي معنى النُّزول مُتَعَارَف بَين أهل اللُّغَة ، غير مَرْفُوع عِنْدهم اشْترَاك مَعْنَاهُ .

فَأَمَّا قَوْله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فَمن أهل التَّأْويل من قَالَ : مَعْنَاهُ : وخلقنا الْحَدِيد ، وَمِنْهُم من قَالَ : إِنَّ الْحَدِيد أَنزَلْنَاهُ ، على معنى النَّقْل من علو إِلَى أَسْفَل .

فَأَمَّا قَوْله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣] ، فَإِنَّ إِنْزَال الْقُرْآن لَيْسَ هُوَ على معنى النَّقْل والتَّحويل لاستحالة الانتقال على الْكَلَام ، وإِنَّما هُوَ بِمَعْنى الْإِعْلَام والإسماع والإفهام ، وَقَوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح : ٤] ، يكْشف أَيْضاً على أَنَّه لَيْسَ كلّ نزُول وإنزال نقل وتحويل ، بل ذَلِك لفظ مُشْتَرك الْمَعْنى قد يكون نقلاً وتحويلاً ، وَيكون على غير هَذَا الْوَجْه أَيْضاً ، على الْمُتَعَارف والمعهود بَين أهل اللُّغَة ، وَإِذا كَانَ اللَّفْظ مُشْتَرك الْمَعْنى وَجب التَّرْتِيب وَإِضَافَة مَا يَلِيق فِي الْمَذْكُور والمضاف إِلَيْهِ على حسب مَا يَلِيق بِهِ ، أَلا ترى أَنَّه إِذا أضيف إِلَى السَّكينَة لم يكن حَرَكَة وَلَا نُقلة ، وَإِذا أضيف إِلَى الْكَلَام لم يكن أَيْضاً تَفْرِيغ مَكَان وشغل مَكَان ، وَإِذا أُرِيد بِهِ الحكم وَتغَيُّر الْمرتبَة ، فَكَذَلِك ، وَإِذا كَانَ مَا وُصف بِهِ الرَّبُّ جلَّ ذكره من النُّزول مَحْمُولاً على بعض هَذِه الْمعَانِي الَّتِي لَا تَقْتَضِي

لَهُ مَا لَا يَلِيق بنعته من إِيجَاب حدث يحدث فِي ذَاته ، وتغيير يلْحقهُ أَو نقص ، تمثيلاً أَو تحديداً ، وَهُوَ أَن يكون على أحد وُجُوه من الْمعَانِي .

إِمَّا أَن يُرَاد بِهِ إقباله على أهل الأَرْض بِالرَّحْمَةِ والاستعطاف بالتَّذكير والتَّنبيه الَّذِي يُلقى فِي قُلُوب أهل الْخَيْر مِنْهُم من أسعده بتوفيقه لطاعته حَتَّى يزعجهم إِلَى الْجدِّ والانكماش فِي التَّوْبَة والإنابة والإقبال على الطَّاعَة . وَوجدنَا الله عزَّ وَجلَّ قد خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، وَقَالَ فِي وَصفهم أَيْضاً : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] ، فَيحْتَمل أَن يكون ذَلِك هُوَ المُرَاد بِهِ ، وَهُوَ الإِخْبَار عَمَّا يظْهر من ألطافه ومعونته وتأييده لأَهل ولَايَته فِي مثل هَذَا الْوَقْت بالزَّواجر الَّتِي يقيمها فِي نُفُوسهم ، والمواعظ الَّتِي تنبِّههم بِقُوَّة التَّرْغِيب والتَّرهيب .

وَيحْتَمل أَن يكون ذَلِك فعلاً يظهره بأَمْره ، فيضاف إِلَيْهِ ، كَمَا يُقَال : ضربَ الْأَمِيرُ اللصَّ : ونادى الْأَمِيرُ فِي الْبَلَد الْيَوْم ، وإِنَّما أَمر بذلك ، فيضاف إِلَيْهِ على معنى : أَنَّه عَن أمره ظهر ، وبأمره حصل ، وَإِذا كَانَ ذَلِك مُحْتملاً فِي اللُّغَة ، لم يُنكر أَن يكون لله عزَّ وَجلَّ مَلَائِكَة يَأْمُرهُم بالنُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا بِهَذَا النداء وَالدُّعَاء ، فيضافُ ذَلِك إِلَى الله عزَّ وَجلَّ ، على الْوَجْه الَّذِي يُقَال : ضرب الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادى فِي الْبِلَاد .

وَقد روى لنا بعضُ أهل النَّقْل هَذَا الْخَبَر عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤَيّد هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ بِضَم الْيَاء من ينزل ، وَذكر أَنَّه قد ضَبطه عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضَّابطين ، وَإِذا كَانَ ذَلِك مَحْفُوظًا مضبوطاً ، كَمَا قَالَ : فوجهه ظَاهر ، وَلما ذَكَرْنَاهُ مِمَّا يحْتَملهُ من التَّأويل مؤيِّد شَاهد ، وَيحْتَمل أَيْضاً : أَن يكون على معنى أَنَّهم يَقُولُونَ : ما زلنا فِي خير حَتَّى نزل بِنَا بَنو فلَان ، على معنى : نُزُول حكمهم وَأمرهمْ ، فَيكون تَقْدِير التَّأويل : مَا قُلْنَا فِيهِ من الْأَخْبَار عَمَّا يَفْعَله الله تَعَالَى فِي كل لَيْلَة من أَفعاله الَّتِي هِيَ ترغيب لأهل الْخَيْر فِي الْخَيْر ، وَزِيَادَة فِي الدَّوَاعِي إِلَى الطَّاعَة والاستعطاف لأهل الْعَطف ، مَعَ أَنَّه إِذا لم يحل مَا أطلق عَلَيْهِ من هَذَا الْوَصْف من أَن يكون مِمَّا يلْزم الذَّات لأجل فعل أَو يكون مِمَّا يجب لأجل أفعال ، وَبَطل أَن يكون ذَلِك مِمَّا يلْزم الذَّات ، وَجب أَن يكون ذَلِك مِمَّا يُوصف بِهِ من أجل فعل يَفْعَله .

وَقد رُوِيَ لنا عَن الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) رَحمَه الله أَنَّه سُئِلَ عَن هَذَا الْخَبَر ،فَقَالَ : يفعل مَا يَشَاء ، وَهَذَا إِشَارَة مِنْهُ إِلَى أَن ذَلِك فعل يظْهر مِنْهُ عزَّ ذكره ، وَرُوِيَ عَن مَالك بن أنس (١٧٩هـ) أَنَّه قَالَ فِي هَذَا الْخَبَر : ينزل أمره فِي كلِّ شَيْء ، وأَمَّا هُوَ جلَّ ذكره فَهُوَ دَائِم لَا يَزُول ، ولسنا ننكر تَسْمِيَة الله تَعَالَى بأسماء أَفعاله إِذا ورد التَّوْقِيف بهَا كَسَائِر مَا يُسمَّى لأجل الْفِعْل " (١) .

وقال الإمام ابن فورك أيضاً : " فَإِن قَالَ قَائِل : فَإِذا حملتم مَا رُوِيَ من النُّزول فِي الْخَبَر على مَا ذكرْتُم ، فعلام تحملون قَوْله : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وَقَوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قيل : هَذَا تَأْوِيل أهل الْعلم هَذِه الْآي فِي وُجُوه كَثِيرَة ، فَمن ذَلِك : أَنَّهم تأوَّلوا قَوْله عزَّ وَجلَّ : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، أَنَّ مَعْنَاهُ : الإستئصال فِي الْهَلَاك والدَّمار ، بإرسال الْعَذَاب ، كَمَا يَقُول النَّاس : أَتَى السُّلْطَان بلد كَذَا فقلبه ظهراً لبطن ، أَي : استأصله ، وَلَيْسَ يُرِيدُونَ حُضُوره الْبَلَد بِنَفسِهِ ، وَلَا شُهُوده ، بل يُرِيدُونَ الْهَلَاك والتَّدمير .

وَقَالَ بَعضهم : إِنَّمَا أَرَادَ بذلك ظُهُور فعل من جِهَته فِي الْبُنيان ، سَمَّاهُ : إتياناً ، وَللهَّ أَن يُسَمِّي أَفعاله بِمَا شَاءَ ، وَأَن يصف نَفسه من ذَلِك بِمَا أَرَادَ ، وأَمَّا قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فَمنهمْ من قَالَ : إِنَّ مَعْنَاهُ : جَاءَ رَبُّك بِالْملكِ صفاً ، وَزعم أَنَّ الْوَاو هُنَا بِمَعْنى الْبَاء .

وَمِنْهُم من قَالَ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] : أَمرُ رَبِّك وَحكمه ، يُرِيد : أَمرُ الْقِيَامَة ، وَمَا يخْتَص بِهِ ذَلِك الْوَقْت من أمره الْمَخْصُوص ، وَحكمه الَّذِي لَا يَقع الشّركَة فِيهِ بالدُّعَاءِ والنداء .

وَقد بَيَّنَّا فِيمَا قبل أَنَّه لَا تدافع بَين أهل اللُّغَة فِي قَوْلهم : ضربَ الْأَمِيرُ اللصَّ ، ونادى الْأَمِيرُ فِي الْبَلَد بِكَذَا ، وإِنَّمَا يُرَاد بذلك : أَنَّ ذَلِك الْفِعْل وَقع بِأَمْرِه وَعَن حكمه ، فيضاف الْفِعْل إِلَيْهِ بِاللَّفْظِ الَّذِي يُضَاف إِلَى من فعله وتولاه ، وَنَظِير ذَلِك قَوْله عزَّ وَجلَّ فِي قصَّة قوم لوط : ﴿ فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر : ٣٧] ، وَكَانَ الطمس للأعين من الْمَلَائِكَة بِأَمْر الله عزَّ وَجلَّ .

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢٠١-٢٠٥) .

وَإِذا كَانَ مثله مُتَعَارَف فِي اللُّغَة وإِنَّمَا ورد الْخطاب فِي الْقُرْآن على الْمُتَعَارف فِي اللُّغَة والمعهود فِيمَا بَين أَهلهَا ، لم يُنكر أَن يحمل على ذَلِك قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وأَمَّا قَوْله سُبْحَانَهُ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فقد قَالَ بعض أهل التَّفْسِير : إِنَّ مَعْنَاهُ : هَل ينظرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله بِالْعَذَابِ فِي ظلل من الْغَمَام ، وَهَذَا سَائِغ فِي اللُّغَة أَن يعبّر عَن الشَّيْء بِفِعْلِهِ إِذا وَقع عَن أمره وتدبيره ، كَقَوْلِهِم : أَتَى الْأَمِير بلد فلَان : إِذا وصل إِلَيْهِ جَيْشُه ، وَدخل السُّلْطَانُ بلد كَذَا : إِذا نفذ فِيهِ أمرُه وَحُكمه " (١) .

وقال الإمام ابن فورك أيضاً : " وروى ابْن أبي نجيح عِنْد مُجَاهِد فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قَالَ : يَأْتِيهم بوعده ووعيده ، وَأَنَّ الله عزَّ وَجلَّ يكْشف لَهُم يَوْم الْقِيَامَة عَن أُمُور كَانَت مستورة عَنْهُم ، وَقد رُوِيَ مثل قَول ابْن عبَّاس عَن الْحسن (١١٠هـ) .

وَاعْلَم أَنَّه إِذا كَانَ مَا حملناه عَلَيْهِ تَأْوِيل الْخَبَر وَالْآيَة مَنْقُولاً عَن الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ ، كَانَ ذَلِك مِمَّا يُؤَيّد مَا قُلْنَاهُ ، وَيُؤْنس المستعلم التَّأْويل مَا ذكرنَا ، ويكشف للنَّاظِر أَنَّ الْأَلْفَاظ الْوَارِدَة فِي الْأَخْبَار ، كتأويل الْأَلْفَاظ الْوَارِدَة فِي الْقُرْآن ، وَأَنَّ طَرِيق التَّخْرِيج فِيهَا وَاحِد ، إِذاً وَجب أَن يُحمل مَا ورد فِي الْكتاب من أَلْفَاظ الْمَجِيء والإتيان على غير معنى النُّزول والانتقال الَّذِي هُوَ صفة الْجِسْم الْمَحْدُود ، والمتحرِّك المتنقِّل المتمكِّن فِي مَكَان بعد مَكَان ، بل هُوَ على معنى مَا ورد بِهِ الْكتاب من الْإِتْيَان والمجيء ، وَلَا فرق بَين أَن يرد ذَلِك من طَرِيق صَحِيح من جِهَة الْأَثر والسُّنَّة ، وَبَين أَن يرد ذَلِك فِي الْكتاب فِي بَاب مَا يُحمل عَلَيْهِ من التَّأْويل على الْوَجْه الَّذِي يَلِيق بِاللهَّ تَعَالَى ، فعلى هَذَا تَرْتِيب الْبَاب ، فَاعْلَم " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) أيضاً : " فَأَمَّا معنى قَوْله فِي الْخَبَر الآخر : " فيأتيهم الله فِي صورته الَّتِي يعْرفُونَ فَيَقُولُونَ : أَنْت رَبنَا " ، فقد تقدَّم تَأْوِيل ذَلِك ، وَبينَّا أَنَّه نَظِير مَا فِي الْآيَة من قَوْله جلَّ ذكره : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، فَروِيَ عَن ابْن عبَّاس (٦٨هـ) فِي تَأْوِيله أَنَّ مَعْنَاهُ : بظلل من الْغَمَام ، وَأَنَّ " فِي "

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢٠٧-٢٠٩) .

(٢) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢١٠-٢١١) .

بِمَعْنى " الْبَاء " ، وَكَذَلِكَ قَوْله : " فيأتيهم فِي غير صورته " ، بِمَعْنى : بِغَيْر صورته ، وَإِضَافَة الصُّورَة إِلَيْهِ من طَرِيق الْملك . وَقيل أَيْضاً : أَنَّ الْآتِي فِي غير صورته غير الله جلَّ ذكره ، بِدلَالَة قَوْله : " أَنَّهم يَقُولُونَ : نَعُوذ بِاللهَّ مِنْك "، وَلَو كَانَ الْآتِي هُوَ الله لَكَانَ قَوْلهم : " نَعُوذ بك " وَلم يَقُولُونَ : " نَعُوذ بِاللهَّ مِنْك حَتَّى يأتينا رَبُّنَا هَذَا مَكَاننَا " .

وأمَّا قَوْله : " وَيَقُولُونَ : فَإِذا جَاءَ رَبُّنَا عرفْنَاهُ " ، فَتَأْوِيل مَجِيء الرَّبِّ على مَا تقدَّم ذكره فِي تَأْوِيل الْآيَة من قَوْله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَأَنَّ ذَلِك بِظُهُور فعل لَا بتحويل من مَكَان إِلَى مَكَان ..." (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السلمي (٤١٢هـ) : " قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . قال جعفر : هل ينظرون إلَّا إقبال الله عليهم بالعصمة والتَّوفيق ، فيكشف عنهم أستار الغفلة ، فيشهدون برَّه ولطفه ، بل ويشاهدون البارَّ الرَّحيم اللطيف " (٢) .

وقال الإمام القَاضِي عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ أَحْمَدَ بنِ خَلِيْلٍ الهَمَذَانِيُّ ، العَلاَّمَةُ ، المُتَكَلِّمُ ، شَيْخُ المُعْتَزِلَة ، أَبُو الحَسَنِ الهَمَذَانِيّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، مِنْ كِبَار فُقَهَاء الشَّافِعِيَّة (٤١٥هـ) : " مسألة : قالوا : ثمَّ ذكر تعالى ما يدلُّ على أنَّه جسم يجوز عليه المجيء والذَّهاب ، فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

والجواب عن ذلك : أنَّ ظاهر الكلام لا يصحّ أن يقول به قوم ، لأنَّه يوجب أنَّه تعالى يأتيهم في ظلل من الغمام ، بمعنى أنَّه مكان له وظرف ، وهذا يوجب أنَّه أصغر من الظُّللِ والظُّللُ أعظم ، ويوجبُ أن تكون الملائكة معه في الظُّلل ، لمكان العطف . وذلك يوجب اجتماعه والملائكة في الظُّلل ، وليس ذلك ممَّا يقوله القوم ، ومتى تأوَّلوه على وجه فقد زالوا عن الظَّاهر . ومَن حمل ذلك على حقيقته فلا بدَّ من أن يعترف فيه تعالى بأنَّه جسم مؤلَّف مصوَّر ، وذلك يوجب فيه الحدوث ، على ما قدَّمناه من قبل .

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٤١٤-٤١٥) .

(٢) انظر : تفسير السلمي وهو حقائق التفسير (١/ ٧٢) .

والمراد بذلك عندنا : أنَّ متحمِّلي أمره يأتون على هذا الوجه ، وقد بيَّن ذلك في سورة النَّحل ، فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ٣٣] ، ونبَّه بذلك على أنَّه ذكر نفسه في هذا الموضع وأراد أمره ، ولو صحَّ حمل ذلك على ظاهره لوجب مثله في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وفيما شاكله من آي التَّشبيه " (١) .

فقد ردَّ الإمام عَبْدُ الجَبَّارِ على المشبِّهة الذين قالوا : إنَّ ظاهر قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يدلُّ على أنَّه جسم ، وبالتَّالي يجوز عليه المجيء والذَّهاب ، ولذا فظاهر الكلام لا يصحُّ ولا يجوز أن يقول به قومٌ ... فالمراد من الآية : أنَّ متحمِّلي أمره يأتون على هذا الوجه ...

وقال الإمام أبو على أحمد بن محمَّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (٤٢١هـ) : " ... قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، لأنَّ المعنى : يأتيهم أمرُ الله " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " ... واختلف النَّاس في ذلك ، فقال بعضهم : " في " بمعنى الباء ، وتعاقب حروف الصِّفات شائع مشهور في كلام العرب ، تقدير الآية : إلّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة ، وبهذا التَّأويل زال الإشكال ، وسهل الأمر وأجرى الباقون للآية فهي ظاهرة .

ثمَّ اختلفوا في تأويلها : ففسَّره قوم على الإتيان الذي هو الانتقال من مكان إلى مكان ، وأدخلوا فيه : بلا كيف يدلُّ عليه ظواهر أخبار وردت لم يعرفوا تأويلها ، وهذا غير مرضيّ من القول ، لأنَّه إثبات المكان لله سبحانه ، وإذا كان متمكِّناً ، وجب أن يكون محدوداً متناهياً ومحتاجاً وفقيراً ، وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

---

(١) انظر : متشابه القرآن (ص١٢١) .

(٢) انظر : الأزمنة والأمكنة (ص٥٦) .

وقال بعض المحقِّقين الموفَّقين ، أظنُّه علي بن أبي طالب عليه السَّلام : من زعم أنَّ الله تعالى من شيء أو في شيء أو على شيء فقد ألحد ، لأنَّه لو كان من شيء لكان محدثاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو كان على شيء لكان محمولاً .

وسكت قوم عن الخوض في معنى الإتيان ، فقالوا : نؤمن بظاهره ونقف عن تفسيره ، لأنّا قد نُهينا أن نقول في كتاب الله تعالى ما لا نعلم ، ولم ينبّهنا الله تعالى ولا رسوله على حقيقة معناه .

قال يحيى : هذه من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وكان مالك (١٧٩هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، ومحمَّد ، وإسحاق (٢٣٨) ، وجماعة من المشايخ ، يقولون فيه وفي أمثاله : أمرّوها كما جاءت بلا كيف .

وزعم قوم أنَّ في الآية إضماراً أو اختصاراً تقديرها : إلَّا أن يأتيهم أمرُ الله ، وهو الحساب والعذاب ، دلَّ عليه قوله : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وجب العذاب وفرغ من الحساب ، قالوا هذا كقوله : ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، ويقول العرب : قطع الوالي اللصَّ ، يعني : يده ، وإنَّما فعل ذلك آخر ، لأنَّه بأمره .

ويقال : خطبتان مأتينا بنو أميَّة أي حكمهم .

وعلى هذا يُحمل: ١٧] ، لأنَّ الله تعالى قال ذلك ، وهذا معنى قول الحسن البصري (١١٠هـ) . قوله : ﴿وَلكِنَّ اللهَّ رَمَى ﴾ [الأنفال

وقالت طائفة من أهل الحقائق : إنَّ الله يُحدث فعلاً يسمِّيه إتياناً ، كما سمعت ، فهلّا سمّاه نزولاً ، وأفعاله بلا آلة ولا علَّة .

قال الثَّعلبي (٤٢٧هـ) : قلت : ويحتمل أن يكون معنى الإتيان هاهنا راجعاً إلى الجزاء ، فسمَّى الجزاء إتياناً ، كما سمَّى التَّخويف والتَّعذيب في قصَّة نمرود إتياناً ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾[النحل : ٢٦] .

وقال في قصَّة بني النَّضير : ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر : ٢] ، ﴿ وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ ﴾[الأنبياء : ٤٧] ، وإنَّما احتمل الإتيان هذه المعاني ، لأنَّ أصل الإتيان عند أهل اللسان هو : القصد إلى المشي في للآية فهل ينظرون إلَّا أن يظهر الله خلاف أفعاله مع خلق من

خلقه ، فيقصد إلى مجازاتهم ، ويقضي في لعنهم ما هو قاض ومجازيهم على فعل ، ويمضي فيهم ما أراد " (١) .

فالإمام الثَّعلبي ذكر ما كان عليه جمهور السَّلف وبعض الخلف من التَّأويل الإجمالي ، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، وكذا ما كان عليه جمهور الخلف وبعض السَّلف من التَّأويل التَّفصيلي ...

وقال الإمام الثَّعلبي أيضاً : " أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ " [الأنعام : ١٥٨] ، بلا كيف لفصل القضاء من خلقه في موقف القيامة ، وقال الضَّحَّاك (١٠٢هـ) : يأتي أمرُه وقضاؤه " (٢) .

وقال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) في شرحه لحديث النُّزول : " قال ابن فورك (٤٠٦هـ) : ... حجَّة أهل البدع هذا الحديث وشبهه ، وقالوا : لا يمكن حمل شيء منه على تأويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه ، أو تحديد ، أو وصف للرَّبِّ تعالى بما لا يليق به ، وقد ورد التَّنزيل ، بمعنى هذا الحديث وهو قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، و ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، و ز فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] . ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عزَّ وجلَّ . فمن ذلك : أنَّا وجدنا لفظة النُّزول في اللغة مستعملة على معانٍ مختلفة ، فمنها : النُّزول بمعنى الانتقال والتَّحويل كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، ومنها : النُّزول بمعنى الإعلام كقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي : أعلم به الرُّوحُ الأمين محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ومنها : النُّزول بمعنى القول في قوله تعالى : ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، أي : سأقول مثل ما قال ، ومنها : النُّزول بمعنى الإقبال على الشَّيء ، وذلك هو المستعمل في كلامهم الجاري في عرفهم ، وهو أنَّهم يقولون : نزل فلان من مكارم

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ١٢٩-١٣٠) .

(٢) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ٢٠٧) .

الأخلاق إلى دنيّها ، أي : أقبل إلى دنيِّها ، ونزل قدر فلان عند فلان ، أي : انخفض . ومنها : النُّزول بمعنى نُزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي : حكمهم ، وكلُّ ذلك متعارف عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة المعنى فينبغي حمل ما وصف به الرَّبّ تعالى من النُّزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني . إمَّا أن يراد به إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة ، والتَّنبيه الذى يلقى في قلوب أهل الخير منهم ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهر بأمره ، فيضاف إليه ، كما يقال : ضرب الأمير اللصَّ ، ونادى الأميرُ في البلد ، وإنَّما أمر بذلك ، فيُضاف إليه الفعل على معنى أنَّه عن أمره ظهر ، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا بهذا النِّداء والدُّعاء ، فيضاف إلى الله . وقد روي هذا التَّأويل في بعض طرق هذا الحديث ، روى النَّسائي ، قال : حدَّثنا إبراهيم ابن يعقوب ، حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدَّثنا أبي ، عن الأعمش ، حدَّثنا أبو إسحاق ، حدَّثنا أبو مسلم ، عن الأغرّ ، قال : سمعت أبا هريرة ، وأبا سعيد الخدري ، يقولان : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله يُمهل حتى يمضى شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمر منادياً ينادى ، يقول : هل من داعٍ يُستجاب له ، هل من مستغفر يُغفر له ، هل من سائل يُعطى " . وقد سُئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عن معنى هذا الحديث ، فقال : يفعل الله ما يشاء . وهذه إشارة منه إلى أنَّ ذلك فعلٌ يظهر منه تعالى ، وقد روى حبيب ، عن مالك ، أنَّه قال في هذا الحديث : ينزل أمرُه ورحمته ، وقد رواه غير حبيب عنه ، روى محمَّد بن على البجلي بالقيروان ، قال : حدَّثنا جامع بن سوادة ، قال : حدَّثنا مطرف ، عن مالك بن أنس ، أنَّه سئل عن هذا الحديث ، فقال : ذلك تنزُّل أمره . وقد سئل بعض العلماء عن حديث النُّزول ، فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفل النَّجم : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، فطلب ربَّاً لا يجوز عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النُّزول ، وقد مدحه الله بذلك وأثنى عليه في كتابه ، فقال : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، فوصفه لأنَّه بقوله هذا ، موقن " (١) .

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ، ابن بطال (٣/ ١٣٧-١٣٩) .

وقال الإمام ابن بطَّال أيضاً : " ... وقيل معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٨] ، أي : اعمل بما فيه ، فأمَّا إضافته فعل القراءة إليه بقوله : ﴿ فَإِذا قَرَأْناهُ ﴾ [القيامة : ١٨] ، والقارئ لكلامه تعالى على محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو جبريل ، دونه تعالى ، فهذه إضافة فعل فعله في غيره ، كما تقول : قتل الأميرُ اللصَّ وصلبه ، وهو لم يلِ ذلك بنفسه ، إنَّما أمر من فعله . ففيه بيان لما يُشكل من كلِّ فعل ينسب إلى الله تعالى ، ممَّا لا يليق به فعله من الإتيان ، والنُّزول ، والمجيء ، أنَّ ذلك الفعل إنَّما هو منتسب إلى الملك المرسل به ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والمجيء مستحيل عليه لاستحالة الحركة ، وإنَّما معناه : وجاء أمرُ ربِّك ، ورسول ربِّك ، فكما استحالت عليه الحركة والانتقال ، كذلك استحالت عليه القراءة المعلومة منَّا ، لأنَّها محاولة حركة أعضاء وآلات ، والله يتعالى عن ذلك ، وعن شبه الخليقة في قول أو عمل " (١) .

وما ذكره الإمام ابن بطَّال في كلامه السَّابق يؤيِّد ويدعمُ ما عليه أهل الحقّ في مثل هذه المسألة ، وهي محصورة بين تأويل السَّلف الإجمالي وتأويل الخلف التَّفصيلي ...

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي (٤٥٠هـ) : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، فيه وجهان : أحدهما : أمرُ ربِّك بالعذاب ، قاله الحسن (١١٠هـ) . والثَّاني : قضاءُ ربِّك في القيامة ، قاله مجاهد (١٠٤هـ) " (٢) .

فالماوردي يذكر هنا تأويلين لعلمين من أعلام السَّلف : الحسن البصري (١١٠هـ) ، ومجاهد (١٠٤هـ) ، فالحسن أوَّل الإتيان بإتيان أمر ربِّك بالعذاب ، وأوَّله مجاهد بإتيان قضاء ربِّك في القيامة ... فماذا يقول من يزعمون بأنَّ السَّلف لا يؤولون ؟ تبَّاً للجهل والتَّنطُّع ما أرذله وأسفله ...

وقال الإمام ذُو الفُنُوْنِ وَالمعَارِفِ ، أَبُو محمَّد عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمِ بنِ غَالِبِ بنِ صَالِحِ بنِ خَلَفِ بنِ مَعْدَانَ بنِ سُفْيَانَ بنِ يَزِيْدَ الفَارِسِيُّ الأَصْل ، ثمَّ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ اليَزِيْدِيُّ مَوْلَى الأَمِيْرِ يَزِيْدَ

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ، ابن بطال (١٠/ ٥٢٦-٥٢٧) .

(٢) انظر : تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٢/ ١٩٠) .

بنِ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبِ الأُمَوِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – المَعْرُوف بيَزِيْد الخَيْر ، نَائِب أَمِيْر المُؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَر عَلَى دِمَشْقَ ، الفَقِيْهُ ، الحَافِظُ ، المُتَكَلِّمُ ، الأَدِيْبُ ، الوَزِيْرُ ، الظَّاهِرِيُّ ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ (٤٥٦هـ) : "... وَلَا كَقَوْلِه تَعَالَى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَلَا كَقَوْل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزل الله تبَارك وَتَعَالَى كل لَيْلَة فِي ثلث اللَّيْل الْبَاقِي إِلَى سَماء الدُّنيا " ، لِأَنَّ هَذَا كُله على ظَاهره بِلَا تكلّف تَأْوِيل إِنَّما هِيَ أَفعَال يَفْعَلهَا الله عزَّ وَجلَّ تُسمَّى مجيئاً ، وإتياناً ، وتنزُّلاً ... " (١) .

وقال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) أيضاً : " وَكَذَلِكَ القَوْل فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فَهَذَا كُله على مَا بَيَّنَّا من أَنَّ الْمَجِيء والإتيان يَوْم الْقِيَامَة : فعلٌ يَفْعَله الله تَعَالَى فِي ذَلِك الْيَوْم يُسمّى ذَلِك الْفِعْل مجيئاً ، وإتياناً ، وَقد روِّينَا عَن أَحْمد بن حَنْبَل رَحمَه الله أَنَّه قَــالَ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، إِنَّما مَعْنَاهُ : وَجَاء أَمرُ رَبِّك" (٢) .

فالإمام ابن حزم يؤوِّل الإتيان ، والمجيء ، والنُّزول ، بأنها أَفعَال يَفْعَلهَا الله عزَّ وَجلَّ ، تُسمَّى : مجيئاً ، وإتياناً ، وتنزلاً ...

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " وفي الجملة : يجب أن يعلم أنَّ استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ، ولا استقرار في مكان ، ولا مماسَّة لشيء من خلقه ، لكنَّه مستو على عرشه ، كما أخبر ، بلا كيف ، بلا أين ، بائن من جميع خلقه ، وأنَّ إتيانه ليس بإتيانٍ من مكان إلى مكان ، وأنَّ مجيئه ليس بحركة ، وأنَّ نزوله ليس بنقلة ، وأنَّ نفسه ليس بجسم ، وأنَّ وجهه ليس بصورة ، وأنَّ يده ليست بجارحة ، وأنَّ عينه ليست

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٢٤) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٣٢) .

بحدقة ، وإنَّما هذه أوصاف جاء بها التَّوقيف ، فقُلنا بها ، ونفينا عنها التَّكييف ، فقد قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقال : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ " [الإخلاص : ٤] ، وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] (١) .

وقال الإمام أيضاً : " مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢]

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو ، قَالَا : ثنا أَبُو العبَّاس محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ الصَّائِغُ ، ثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسَ ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ (٩٣هـ) ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، يَقُولُ : الْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجِيءُ فِيمَا يَشَاءُ ، وَهِيَ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَةِ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ وَالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٥] . قُلْتُ : فَصَحَّ بِهَذَا التَّفْسِيرِ أَنَّ الْغَمَامَ إِنَّما هُوَ مَكَانُ الْمَلَائِكَةِ وَمَرْكَبُهُمْ ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا مَكَانَ لَهُ وَلَا مَرْكَبَ ، وأَمَّا الْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ ، فَعَلَى قَوْلِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، يُحْدِثُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِعْلاً يُسَمِّيهِ إِتْيَاناً وَمجيئاً ، لَا بِأَنْ يَتَحَرَّكَ أَوْ يَنْتَقِلَ ، فَإِنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ وَالِاسْتِقْرَارَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، وَاللهُ تَعَالَى أَحَدٌ صَمَدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهَذَا كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل : ٢٦] ، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ إِتْيَاناً مِنْ حَيْثُ النُّقلة ، إِنَّما أَرَادَ إِحْدَاثَ الْفِعْلِ الَّذِي بِهِ خَرِبَ بُنْيَانُهُمْ وَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَسَمَّى ذَلِكَ الْفِعْلَ إِتْيَاناً ، وَهَكَذَا قَالَ فِي أَخْبَارِ النُّزول : إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ فِعْلٌ يُحْدِثُهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سَماءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ يُسَمِّيهِ نُزُولاً بِلَا حَرَكَةٍ وَلَا نُقْلَةٍ ، تَعَالَى الله عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ .

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص١١٧-١١٨) .

أَخبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النِّجَادُ ، قَالَ : قُرِئَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ الْأَشْجَعِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ ، ثنا الْقَعْنَبِيُّ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ الْأَغَرِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يَنْزِلُ الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟

وَأَخبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، ثنا أَبُو عَبْدِ اللهَّ محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ محمَّد بْنِ الْحُسَيْنِ ، ثنا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ فَذَكَرَ بِمَعْنَاهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحيح عَنِ الْقَعْنَبِيِّ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ، وَرَوَاهُ أَيْضاً يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ وَمحمَّد بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، ثنا أَبُو العبَّاس محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيُّ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ محمَّد الدُّورِيُّ ، قَالَا : ثنا مُحَاضِرُ بْنُ الْمُوَرِّعِ ، ثنا سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، أنا سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَنْزِلُ الله إِلَى السَّماء الدُّنيا لِشَطْرِ اللَّيْلِ ـ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ ـ الْأَخِيرِ فيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ ثمَّ يَقُولُ : مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ ؟ " رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحيح عَنْ حَجَّاجِ بْنِ الشَّاعِرِ ، عَنْ مُحَاضِرِ بْنِ الْمُوَرِّعِ ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَرَوَاهُ أَيْضاً أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَلِيٍّ فِي آخرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ .

أَخبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُورَكٍ ، أنا عَبْدُ اللهَّ بْنُ جَعْفَرٍ ، ثنا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ ، ثنا أَبُو دَاوُدَ ، ثنا شُعْبَةُ ، أنا أَبُو إِسْحَاقَ ، قَالَ : سَمِعْتُ الْأَغَرَّ ، يَقُولُ : أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ : " إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمْضِيَ ثُلُثَا اللَّيْلِ ثمَّ يَهْبِطُ فيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مِنْ ذَنْبٍ ؟ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحيح مِنْ حَدِيثِ غُنْدَرٍ عَنْ شُعْبَةَ ، وَقَالَ : فَيَنْزِلُ ، بَدَلَ قَوْلِهِ : ثمَّ يَهْبِطُ . وَبِمَعْنَاهُ قَالَهُ مَنْصُورٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ : يَنْزِلُ إِلَى السَّماء الدُّنيا .

أَخبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحمن بْنُ محمَّد بْنِ شَبَانَةَ الشَّاهِدُ بِهَمَذَانَ ، ثنا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي ، ثنا محمَّد بْنُ أَيُّوبَ ، أنا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ ، ح. وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ

الْفَقِيهُ ، ثنا محمَّد بْنُ عِيسَى الْوَاسِطِيُّ ، ثنا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّيَالِسِيُّ ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ (١٦٧هـ) ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يَنْزِلُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ قَالَ : وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ " . لَفْظُ حَدِيثِ الْوَاسِطِيِّ وَهُوَ أَتَمُّ . وَقَدْ رُوِيَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَرِفَاعَةَ بْنِ عَرَابَةَ ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ الله عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرُوِيَ فِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عبَّاس وَأُمِّ سَلَمَةَ وَغَيْرِهِمَا رَضِيَ الله عَنْهُمْ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ، وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو ، قَالَا : ثنا أَبُو العبَّاس محمَّد بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيُّ ، أنا سَلْمُ بْنُ قَادِمٍ ، ثنا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، قَالَ : قَالَ لِي عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ : قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ مُنْذُ نَحْوٍ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ ، إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ . قَالَ : فَحَدَّثَنِي بِنَحْوٍ مِنْ عَشْرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا ، وَقَالَ : أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا دِينَنَا هَذَا عَنِ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُمْ عَمَّنْ أَخَذُوا ؟

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا العبَّاس محمَّد بْنَ إِسْحَاقَ الثَّقَفِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرْوِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ قَاضِيَ فَارِسٍ ، يَقُولُ : قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ (٢٣٨هـ) : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ طَاهِرٍ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَعْقُوبَ ، تَقُولُ إِنَّ اللهَّ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : وَيَقْدِرُ . فَسَكَتَ عَبْدُ اللهَّ . قَالَ أَبُو العبَّاس : أَخْبَرَنِي الثِّقَةُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ ، يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ طَاهِرٍ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَعْقُوبَ ، تَقُولُ إِنَّ اللهَّ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ اللهَّ تَعَالَى بَعَثَ إِلَيْنَا نَبِيًّا ، نُقِلَ إِلَيْنَا عَنْهُ أَخْبَارٌ بِهَا نُحَلِّلُ الدِّمَاءَ ، وَبِهَا نُحَرِّمُ ، وَبِهَا نُحَلِّلُ الْفُرُوجَ ، وَبِهَا نُحَرِّمُ ، وَبِهَا نُبِيحُ الْأَمْوَالَ وَبِهَا نُحَرِّمُ ، فَإِنْ صَحَّ ذَا صَحَّ ذَاكَ ، وَإِنْ بَطَلَ ذَا بَطَلَ ذَاكَ . قَالَ : فَأَمْسَكَ عَبْدُ اللهَّ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحَافِظُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سَلَمَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ ، يَقُولُ : جَمَعَنِي وَهَذَا الْمُبْتَدِعُ ـ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي صَالِحٍ ـ مَجْلِسُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ طَاهِرٍ فَسَأَلَنِي الْأَمِيرُ عَنْ أَخْبَارِ النُّزول فَسَرَدْتُهَا ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

كَفَرْتُ بِرَبٍّ يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ . فَقُلْتُ : آمَنْتُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ . قَالَ فَرَضِيَ عَبْدُ اللهِ كَلَامِي وَأَنْكَرَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. هَذَا مَعْنَى الْحِكَايَةِ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا العبَّاس ، يَقُولُ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، يَقُولُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى طَاهِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَعِنْدَهُ مَنْصُورُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَعْقُوبَ ، إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ لَهُ : تُؤْمِنُ بِهِ ؟ فَقَالَ طَاهِرٌ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا الشَّيخِ ، مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا ؟ قَالَ إِسْحَاقُ: فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا أَنْتَ لَمْ تُؤْمِنْ أَنَّ لَكَ رَبًّا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ تَسْأَلَنِيَ . قُلْتُ : فَقَدْ بَيَّنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ النُّزول عِنْدَهُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ ، ثمَّ أَنَّه كَانَ يَجْعَلُهُ نُزُولاً بِلَا كَيْفٍ ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّه كَانَ لَا يَعْتَقِدُ فِيهِ الِانْتِقَالَ وَالزَّوَالَ .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ الْفَقِيهُ ، أنا أَبُو محمَّد بْنُ حَيَّانَ أَبُو الشَّيخ الْأَصْبَهَانِيُّ ، قَالَ : وَفِيمَا أَجَازَنِي جَدِّي يَعْنِي مَحْمُودَ بْنَ الْفَرَحِ ، قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ : سَأَلَنِي ابْنُ طَاهِرٍ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَعْنِي فِي النُّزول ـ فَقُلْتُ لَهُ : النُّزول بِلَا كَيْفٍ . قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي الصِّفات كَانَ مَذْهَبُ السَّلف فِيهَا الْإِيمَانَ بِهَا ، وَإِجْرَاءَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا . وَذَكَرَ الْحِكَايَةَ الَّتِي :

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ الْفَقِيهُ ، أنا أَبُو محمَّد بْنُ حَيَّانَ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ محمَّد الدَّارْكِيُّ ، ثنا أَبُو زُرْعَةَ ، ثنا ابْنُ مُصَفًّى ، ثنا بَقِيَّةُ ، ثنا الْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧هـ) ، عَنِ الزُّهري (١٢٤هـ) ، وَمَكْحُولٍ (١١٢هـ) ، قَالَا : امْضُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى مَا جَاءَتْ .

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، ثنا أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالَوَيْهِ ، ثنا محمَّد بْنُ بِشْرِ بْنِ مَطَرٍ ، ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : سُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ ، وَمَالِكٌ (١٧٩هـ) ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٦١هـ) ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ (١٧٥هـ) عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِي التَّشْبِيهِ فَقَالُوا : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُثْمَانَ ، ثنا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَدْلُ ، ثنا مَحْبُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن الْقَاضِي ، ثنا جَدِّي أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْبُوبٍ ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ حَيَوَيْهِ ، حدَّثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحمن الْعَتَكِيُّ ، ثنا محمَّد

بْنُ سَلَّامٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) . فَذَكَرَ حِكَايَةً قَالَ فِيهَا : فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحمن ، كَيْفَ يَنْزِلُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنِ الْمُبَارَكِ : «كدخاي كارخويش كن» يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله : وإِنَّما يَنْكِرُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْحَدِيثِ مَنْ يَقِيسُ الْأُمُورَ فِي ذَلِكَ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنَ النُّزول الَّذِي هُوَ نَزْلَةٌ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، وَانْتِقَالٌ مِنْ فَوْقٍ إِلَى تَحْتٍ ، وَهَذَا صِفَةُ الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ ، فَأَمَّا نُزُولُ مَنْ لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَجْسَامِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيهِ ، وإِنَّما هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ ، وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِ دُعَائِهِمْ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لَا يَتَوَجَّهُ عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةٌ ، وَلَا عَلَى أَفْعَالِهِ كِمِّيَّةٌ ، سُبْحَانَهُ " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ (٣٨٨هـ) رَحِمَهُ الله فِي مَعَالِمِ السُّنَنِ : وَهَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِظَاهِرِهِ ، وَأَنْ لَا نَكْشِفَ عَنْ بَاطِنِهِ ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي ذَكَرَهُ الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، فَقَالَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] ، الْآيَةَ فَالْمُحْكَمُ مِنْهُ يَقَعُ بِهِ الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ وَالْعَمَلُ ، وَالْمُتَشَابِهُ يَقَعُ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْعِلْمُ الظَّاهِرُ ، وَيُوكَلُ بَاطِنُهُ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، وإِنَّما حَظُّ الرَّاسِخِينَ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا . وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَالْقَوْلُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ عِنْدَ عُلَمَاءِ السَّلف هُوَ مَا قُلْنَاهُ ، وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ . وَقَدْ زَلَّ بَعْضُ شُيُوخِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ يُرْجَعُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ ، فَحَادَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ رَوَى حَدِيثَ النُّزول ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : إِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّماء ؟ قِيلَ لَهُ : يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ . فَإِنْ قَالَ : هَلْ يَتَحَرَّكُ إِذَا نَزَلَ ؟ فَقَالَ : إِنْ شَاءَ يَتَحَرَّكُ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَتَحَرَّكْ . وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ عَظِيمٌ ، وَاللهَّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْحَرَكَةِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ يَتَعَاقَبَانِ فِي مَحِلٍّ وَاحِدٍ ، وإِنَّما يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَرَكَةِ مَنْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِالسُّكُونِ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ أَعْرَاضِ الْحَدَثِ ، وَأَوْصَافِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَاللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَعَالٍ عَنْهُمَا ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . فَلَوْ جَرَى هَذَا الشَّيخ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلف

الصَّالح وَلَمْ يُدْخِلْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ لَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ بِهِ الْقَوْلُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ . قَالَ : وإنَّما ذَكَرْتُ هَذَا لِكَيْ يُتَوَقَّى الْكَلَامُ فِيمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ ، فَإِنَّهُ لَا يُثْمِرُ خَيْرًا وَلَا يُفِيدُ رُشْداً ، وَنَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَالْقَوْلِ بِمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الْفَاسِدِ وَالْمُحَالِ .

وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ (٢٧٦هـ) : قَدْ يَكُونُ النُّزول بِمَعْنَى إِقْبَالٍ عَلَى الشَّيء بِالْإِرَادَةِ وَالنِّيَّةِ ، وَكَذَلِكَ الْهُبُوطُ وَالِارْتِفَاعُ وَالْبُلوغُ وَالْمَصِيرُ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا الْكَلَامِ ، وَذَكَرَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَلَا يُرَادُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا انْتِقَالٌ يَعْنِي بالذَّات ، وإِنَّما يُرَادُ بِهِ الْقَصْدُ إِلَى الشَّيء بِالْإِرَادَةِ وَالْعَزْمِ وَالنِّيَّةِ . قُلْتُ : وَفِيمَا قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله كِفَايَةٌ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَعْنَاهُ الْقُتَيْبِيُّ فِي كَلَامِهِ ، فَقَالَ : لَا نُحَتِّمُ عَلَى النُّزول مِنْهُ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنَّا نُبَيِّنُ كَيْفَ هُوَ فِي اللُّغَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ . وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْأُسْتَاذِ أَبِي عُثْمَانَ رَحِمَهُ الله فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ عَقِيبَ حَدِيثِ النُّزول : قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ يَعْنِي الْحَمْشَاذِيَّ (٣٨٨هـ) عَلَى إِثْرِ الْخَبَرِ : وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ : " يَنْزِلُ الله " فَسُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ (١٥٠هـ) عَنْهُ فَقَالَ : يَنْزِلُ بِلَا كَيْفٍ . وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ (١٧٩هـ) : نُزُولُهُ إِقْبَالُهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَنْزِلُ نُزُولاً يَلِيقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ بِلَا كَيْفٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نُزُولُهُ مِثْلَ نُزُولِ الْخَلْقِ بِالتَّجَلِّي وَالتَّمَلِّي ، لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، كَمَا كَانَ مُنَزَّهاً عَنْ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ مِثْلَ ذَاتِ الْغَيْرِ ، فَمَجِيئُهُ وَإِتْيَانُهُ وَنُزُولُهُ عَلَى حَسْبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفِيَّةٍ . ثمَّ رَوَى الْإِمَامُ رَحِمَهُ الله عُقَيْبَ حِكَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) حِينَ سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ نُزُولِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ : " كد خداي كارخويش كن " يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ . وَقَدْ سَبَقَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ بِإِسْنَادِهِ وَكَتَبْتُهَا حَيْثُ ذَكَرَهَا أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ الله " (١) .

وقال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القُشيري (٤٦٥هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، استبطأ القوم قيام السَّاعة فأخبروا عن شدَّة الأمر إذا قامت السَّاعة بتفصيل ما ذكر .

وتلك أفعال في معنى الأحوال ، يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الإشكال في علوِّ شأنه سبحانه وتعالى ، ونفاذ قدرته فيما يريد ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : انهتك ستر

(١) انظر : الأسماء والصِّفات (٢/ ٣٧٠-٣٧٨) .

الغيب عن صريح التَّقدير السَّابق . ولقد استغنت قلوب الموحدين لما فيها من أنوار البصائر عن طلب التَّأويل لهذه الآية وأمثالها إذ الحق سبحانه منزَّه عن كلِّ انتقال وزوال ، واختصاص بمكان أو زمان ، تقدَّس عن كلِّ حركة وإتيان "(١) .

فالإمام القُشيري (٤٦٥هـ) يؤوِّل الإتيان المضاف إلى الله تعالى بأنَّه فعلٌ يُظهره الله تعالى ، وأنَّه تعالى منزَّه عن الانتقال والزَّوال ، والاختصاص بالمكان أو بالزَّمان ، تقدَّس عن كلِّ حركة وإتيان ...

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : " ... وهو قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : يأتيهم عذابُ الله ، أو أمرُ الله ، فحذف المضاف ، ومثل هذا قوله : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، أي : عذابُ الله " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) : يتنزَّل أمرُ ربِّك فيهم بالقتل . وقال الزجَّاج (٣١٠هـ) : المعنى : أو يأتي إهلاك ربِّك إياهم بعذاب عاجل أو بالقيامة " (٣) .

فالإمام الواحدي نقل في تفسيره عن الصَّحابي الجليل ، تُرجمان القرآن : عبد الله بن عبَّاس ، أنَّه أوَّل إتيان الرَّبِّ تعالى بتنزُّل أمره سبحانه فيهم بالقتل . وقال الزَّجَّاج السَّلفي (٣١٠هـ) : المعنى : أو يأتي إهلاك ربِّك إياهم بعذاب عاجل أو بالقيامة ... فأين من يدَّعون السَّلفيَّة من هذا التَّأويل السَّلفي وغيره الكثير الكثير ؟!!! فقاتل الله الجهلَ ما أرذله ...

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أَيْ : أمرُه فيهم بالقتل " (٤) .

---

(١) انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (١/ ١٧٢) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ٣١٣) .

(٣) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٣٤٠) .

(٤) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٨٣) .

فالإمام الواحدي بعد أن نقل في النَّصِّ السَّابق بعضاً من تأويلات السَّلف ، ذهب إلى أنَّ معنى الإتيان إنَّما هو إتيان أمره فيهم بالقتل ، أو أن يأتيهم عذاب الله ، أو أمر الله ، فحذف المضاف ، كما في النصِّ الأوَّل ، وهو تأويل متوائم مع ما قاله السَّلف ... فالسَّلف مؤوِّلة ، وسيتبيَّن لك ذلك واضحاً عند اطِّلاعك يا قارئي على كتابنا الخاصّ بتأويلات السَّلف ... وهو بعنوان : " إعلامُ الخَلفِ بتأويلات السَّلف " ...

وقال الإمام ، شَيْخُ العَرَبِيَّة ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ القَاهِرِ بنُ عَبْدِ الرَّحمن الجُرْجَانِيُّ (٤٧١هـ) : ومن قدح في المجاز وهمَّ أن يصفه بغير الصِّدق فقد خبط خبطًا عظيماً ، وتهدَّف لما لا يخفى . ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به حتى تُحصل ضروبه ، وتُضبط أقسامه ، إلَّا للسَّلامة من مثل هذه المقالة ، والخلاص ممَّا نحا نحو هذه الشُّبهة ، لكان من حقِّ العاقل أن يتوفَّر عليه ، ويصرف العناية إليه ، فكيف وبطالب الدِّين حاجة ماسَّة إليه من جهات يطول عدُّها ، وللشَّيطان من جانب الجهل به مداخل خفيَّة يأتيهم منها ، فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون ، ويُلقيهم في الضَّلالة من حيث ظنُّوا أنَّهم يهتدون ؟ وقد اقتسمهم البلاء فيه من جانبي الإفراط والتَّفريط ، فمن مغرور مُغْرًى بنفيه دَفْعة ، والبراءة منه جملة ، يشمئز من ذكره ، وينبو عن اسمه ، يرى أنَّ لزوم الظَّواهر فرض لازم ، وضربَ الخيام حولها حتمٌ واجب ، وآخر يغلو فيه ويفرط ، ويتجاوز حدَّه ويخبط ، فيعدل عن الظَّاهر والمعنى عليه ، ويسوم نفسه التَّعمُّق في التَّأويل ولا سبب يدعو إليه .

أمَّا التَّفريط ، فما تجد عليه قوماً في نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾ [طه : ٥] ، وأشباه ذلك من النُّبوِّ عن أقوال أهل التحقيق . فإذا قيل لهم : إنَّ الإتيان والمجيء ، انتقال من مكان إلى مكان ، وصفة من صفات الأجسام ، وأنَّ الاستواء إنْ حُمل على ظاهره لم يصح إلَّا في جسم يشغل حَيِّزاً ويأخذ مكاناً ، والله عزَّ وجلَّ خالق الأماكن والأزمنة ، ومنشئ كلّ ما تصحُّ عليه الحركة والنُّقلة والتَّمكُّن والسُّكون ، والانفصال والاتِّصال ، والمماسَّة والمحاذاة ، وأنَّ المعنى على : ﴿ إلَّا أن يأتيهم أمرُ الله ﴾ ، و "﴿ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٧٦] ، وأنَّ حقَّه أن يعبّر بقوله تعالى : ﴿ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٥] ، وقول الرجل : آتيك من حيث لا تشعر ، يريد : أُنزِل بك المكروهَ ، وأفعلُ ما يكون جزاءً لسوء صنيعك ، في حال غفلة منك ، ومن حيث تأمن حلوله بك . وعلى ذلك قوله :

أتيناهُمُ مِن أيمنِ الشِّقِّ عندهمْ ويأتي الشَّقيَّ الحَيْن من حيث لا يدري

نعم ، إذا قلت ذلك للواحد منهم ، رأيته إن أعطاك الوفاق بلسانه ، فبين جنبيه قلبٌ يتردَّد في الحيْرة ويتقلَّب ، ونفس تَفِرُّ من الصَّواب وتهرُب ، وفكر واقف لا يجيء ولا يذهب ، يُحضره الطَّبيب بما يبرئه من دائه ، ويريه المرشد وجه الخلاص من عنائه ، ويأبى إلَّا نِفارًا عن العقل ، ورجوعاً إلى الجهل . لا يحضره التَّوفيق بقدر ما يعلم به أنَّه إذا كان لا يجري في قوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، على الظَّاهر لأجل علمه أنَّ الجماد لا يُسأل ، مع أنَّه لو تجاهل متجاهل فادَّعى أنَّ الله تعالى خلق الحياة في تلك القرية حتى عقلت السُّؤال ، وأجابت عنه ونطقت ، لم يكن قال قولاً يكفر به ، ولم يزد على شيء يعلم كذبه فيه ، فمن حقِّه أن لا يجثم ها هنا على الظَّاهر ، ولا يضرب الحجاب دون سمعه وبصره حتى لا يعي ولا يراعى، مع ما فيه ، إذا أخذ على ظاهره ، من التَّعرُّض للهلاك والوقوع في الشِّرك " (١) .

ومن المؤسف حقَّاً أن يقوم مدَّعو السَّلفيَّة بالعبث بكتاب " أسرار البلاغة " التي لا يجيدون فنَّها ، ولم يعرفوا جماها وأفيائها ... فيشطبون هذه الفقرة برمَّتها من " أسرار البلاغة " للجرجاني ، والسَّبب أنَّها لا تتوائم ولا تتوافق مع ما ذهبوا إليه من إنكار المجاز ، فقد قام المشرفون على المكتبة الشَّاملة (الإصدار السَّادس) بشطب هذه الفقرة من " أسرار البلاغة " ، وهذه خيانة علميَّة توارثوها جيلاً بعد جيل ، فقد سبق لأسلافهم العبث بكتب أهل العلم ، بل تعدُّوه إلى كتابة كتب نسبوها للعديد من أساطين العلم لنصرة مذهبهم وباطلهم ... وقد تتبَّعت بحمد الله تعالى جرائمهم العبثيَّة بكتب أهل العلم ، وكذا سرقاتهم لكتب وأفكار العلماء ... وقد صدر من هذه المجموعة الكتاب الأوَّل وهو بعنوان : " كَشْفُ الخَفَا عَنْ عَبَثِ الوَهَّابيَّةِ بِكُتُبِ العُلَمَا " ، والمجموعة الأُخرى الآن في طريقها للنَّشر ، بإذن الله تعالى ...

وقال الإمام أبو عبد الله الحسين بن محمَّد الدّامغاني (٤٧٨هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : يُهلك ربُّك " (٢) .

---

(١) انظر : أسرار البلاغة (ص٢٨٧-٢٨٩) .

(٢) انظر : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (ص١٤) .

وقال الإمام أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولِّي الشَّافعي (٤٧٨هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ... والمراد به : جاء أمرُ ربِّك ... ويأتيهم أمرُ الله .

والدَّليل عليه أنَّ الله تعالى ذكر في سورة الأنعام إخباراً عن إبراهيم : أنَّه استدلَّ بأفول الشَّمس والقمر والكواكب على أنَّها ليست بآلهة ، وتبرَّأ منها ، ولو كان الباريء يجوز عليه الإتيان والمجيء لبطلت الدّلالة " (١) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبَّار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " قَوْله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَالْآيَة من المتشابهات " (٢) .

فالإمام أبو المظفَّر السَّمعاني يرى كغيره من علماء الأمَّة أنَّ الآية من المتشابه ، وبما أنَّها من المتشابه ، إذاً فالموقف حيالها : إمَّا بالتَّأويل الإجمالي ، بلا كيْف ولا معنى ، كما ذهب جمهور السَّلف وبعض الخلف ، وإمَّا بالتَّأويل التَّفصيلي ، كما ذهب جمهور الخلف وبعض السَّلف ، مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث المفهوم من قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " ... الإتيان: مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسَّيل المارِّ على وجهه : أَتِيّ وأَتَاوِيّ ، وبه شبّه الغريب فقيل : أتاويّ .

والإتيان يقال للمجيء بالذَّات وبالأمر وبالتَّدبير ، ويقال في الخير وفي الشَّرِّ ، وفي الأعيان والأعراض ، نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾ [الأنعام : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ أَتى أَمْرُ اللهِ ﴾ [النحل : ١] ، وقوله : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، أي : بالأمر

---

(١) انظر : المغني ، الإمام أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولي الشافعي (ص٣٣) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، السمعاني (١/ ٢١٠) .

والتَّدبير ، نحو : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢]، وعلى هذا النَّحو قول الشَّاعر: أتيت المروءة من بابها ، ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها ﴾ [النمل : ٣٧] (١) .

وقال الإمام الرَّاغب الأصفهاني أيضاً : ﴿ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : عذابُه يأتيهم " (٢) .

وقال الإمام الرَّاغب الأصفهاني أيضاً : " ... قد تصوَّر بعضُ النَّاس ما لا يليق بصفات الله تعالى في لفظ المجيء والإتيان الذي وصف الله – عزَّ وجلَّ به بنفسه في هذه الآية ، وفي قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر: ٢] ، وقوله : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وذلك لأمرين :

أحدهما : لقصورهم عن معرفة البارئ عزَّ وجلَّ .

والثَّاني : لضيق مجالهم في مجاري الألفاظ ومجازها ، وليس يقال الإتيان والمجيء لانتقال الحي المتحرِّك من مكان إلى مكان فقط ، بل قد يقال لقصد القاصد بعنايته أمراً يستصلحه ، كقوله : أتيت المروة من بابها ، ويقال أيضاً لاستيفاء فعل يتولَّاه ، كقولك : أتيت على ما في الكتاب ، وقد يقال أيضاً لفعل يفعله على يد من يستكفيه ، كقولك : إنَّ الأمير ناحية كذا بجيش عظيم ، ومنه : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها ﴾ [النمل : ٣٧] ، ولما جرت العادة أنَّ الرَّئيس يتولَّى الأمير بمن يستكفيه تارة وبنفسه تارة ، وأن لا يتولَّى بنفسه إلَّا ما كان أكبر وأعظم ، فلمَّا أراد الله تعالى أن يبيِّن العذاب الذي لا غاية وراءه ، جعله منسوباً إلى نفسه وإتياناً له ، وعلى هذا النَّحو جعل كلَّ ما يستعظمه فعلاً له نحو خلق أدم بيده ، وعلى هذا قوله : ﴿ وَقَدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، ووجه آخر ، قد أشير إليه في صدر الكتاب ، وهو أنَّ الفعل كما يُنسب إلى المباشر له ، ينسب إلى ما هو سببه ومسهله ،

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٦٠) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٣١٤) .

نحو أن يقال : ﴿ الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [الرَّحمن : ١-٢] ، وإنَّما علمنا من علَّمه النَّبي ، وعلم النَّبيَّ جبريلُ ، وجبريل علَّمه الله عزَّ وجلَّ ، فصحَّ أن يُنسب إليه ، ولهذا قد يُنسب فعل واحد تارة إلى الله عزَّ وجلَّ ، وتارة إلى غيره ، نحو : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها ﴾ [الزمر : ٤٢] (١) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) في تفسيره لآية الإتيان : " ... وَالْأَوْلَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا شَاكَلَهَا : أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِظَاهِرِهَا وَيَكِلَ عِلْمَهَا إِلَى اللهَّ تَعَالَى ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَّ عَزَّ اسمه منزَّه عن سمات الحدوث ، عَلَى ذَلِكَ مَضَتْ أَئِمَّةُ السَّلف وَعُلَمَاءُ السُّنَّة ، قَالَ الْكَلْبِيُّ : هَذَا من العلم المكتوم الذي لا يفسَّر ، والله أعلم بمراده منه ، وَكَانَ مَكْحُولٌ (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيُّ (١٥٧هـ) ، وَمَالِكٌ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ (١٨١هـ) ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (١٦١هـ) ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ (١٧٥هـ) ، وَأَحْمَدُ (٢٤١هـ) ، وَإِسْحَاقُ (٢٣٨هـ) ، يَقُولُونَ فيه وفي أمثاله : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (١٩٨هـ) : كُلُّ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَفْسِيرُهُ : قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عنه ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا الله تَعَالَى وَرَسُولُهُ " (٢) .

وقال الإمام البغوي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، بِلَا كَيْفٍ ، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ " (٣) .

وعلى ضوء ما تقدم فإنَّ عقيدة السَّلف الحقَّة كانت كما يقول البغوي (٥١٦هـ) : أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِظَاهِرِ لفظها ، وَيَكِلَ العِلْمَ بمعناها إِلَى اللهَّ تَعَالَى ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَّ عَزَّ اسمه منزَّه عن سمات الحدوث ...ومن المعلوم أنَّ ابن تيمية امتدح تفسير الإمام البغوي ، وحكم بأنَّه من أسلم التَّفاسير من البدعة ...

فقد سئل ابن تيمية : " أَيُّ : التَّفَاسِيرِ أَقْرَبُ إلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: الزَّمَخْشَرِيُّ (٥٣٨هـ) ، أَمْ الْقُرْطُبِيِّ ، أَمْ الْبَغَوِيّ (٥١٦هـ) ، أَوْ غَيْرُ هَؤُلَاءِ ... وأَمَّا التَّفَاسِيرُ الثَّلَاثَةُ الْمَسْئُولُ عَنْهَا ، فَأَسْلَمُهَا مِنْ الْبِدْعَةِ

---

(١) انظر : تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٣٤-٤٣٥) .

(٢) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١/ ٢٦٩) .

(٣) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ٢٠٧) .

وَالْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ : الْبَغَوِيّ ، لَكِنَّهُ مُخْتَصَرٌ فِي تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ ، وَحَذَفَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الْمَوْضُوعَةَ ، وَالْبِدَعَ الَّتِي فِيهِ ، وَحَذَفَ أَشْيَاءَ غَيْرَ ذَلِكَ " (١) .

وقال الإمام أبو الوفاء ، علي بن عقيل بن محمَّد بن عقيل البغدادي الظّفري ، (٥١٣هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وأنَّه ليس بالانتقال المشاكلِ لأُفولِ النُّجومِ ... " (٢)

فالإمام ، العَلاَّمَةُ ، البَحْرُ ، شَيْخُ الحنابلَة !!! أَبُو الوَفَاءِ بنِ عَقِيْلِ بن عَبْدِ الله البَغْدَادِيّ ، الحَنْبَلِيّ ، المُتَكَلِّم ، ينصُّ على وجوب تنزيه الله تعالى عن الحركة والانتقال ... فما رأي من يدَّعون السَّلفيَّة ؟!!

وقال الإمام أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي (٥٢٠هـ) : " ... ونحو ذلك من الأحاديث التي يقتضي ظاهرها التَّشبيه ، مخافة أن يُتحدَّث بها ، فيكثر التَّحدُّث بها ، وتشيع في النَّاس ، فيسمعها الجهَّال الذين لا يعرفون تأويلها ، فيسبق إلى ظنونهم التَّشبيه بها . وسبيلها- إذا صحَّت الرِّوايات بها- أن تتأوَّل على ما يصحُّ ممَّا ينتفي به التَّشبيه عن الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه ، كما يصنع بما جاء في القرآن ممَّا يقتضي ظاهره التَّشبيه ، وهو كثير ، كالإتيان في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، والمجيء في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والاستواء في قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وكما يفعل أيضاً بما جاء من ذلك في السُّنن المتواترة ، كالضَّحك ، والتَّنزيل ، وشبه ذلك ممَّا لم يكره روايتها لتواتر الآثار بها ، لأنَّ سبيلها كلّها في اقتضاء ظاهرها التَّشبيه وإمكان تأويلها على ما ينتفي به تشبيه الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه سواء . وأبعدها كلّها من التَّشبيه ما جاء من أنَّ عرش الرَّحمن اهتزَّ لموت سعد بن معاذ ، لأنَّ العرش مخلوقٌ خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ ، فلا يستحيل عليه الحركة والاهتزاز ، وإضافته إلى الله تعالى إنَّما هي بمعنى التَّشريف له ، كما يقال : بيت الله وحرمه ، لا بمعنى أنَّه يحلُّ فيه وموضع لاستقراره ، إذ ليس في مكان ولا مستقرَّاً بمكان ، فقد كان قبل أن يخلق المكان ، فلا يلحقه عزَّ وجلَّ باهتزاز عرشه ما

---

(١) انظر : الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية الحراني (٥/ ٨٤) ، دار الكتب العلمية .

(٢) انظر : الوَاضِح في أصُولِ الفِقه (٤/ ٧) .

يلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحرُّكه بحركته ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً . ويُحتمل أن يكون الكلام مجازاً فيكون المراد بتحرُّك العرش : تحرُّك حَمَلَتُهُ استبْشاراً وفرحاً بقدوم روحه ، وهذا جائز في كلام العرب أن يقال : اهتزَّ المجلس لقدوم فلان عليه ، أي : اهتز أهله لقدومه ، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، يريد أهلها ، ومثل قول النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " هذا جبل يحبُّنا ونحبّه " (١) ، أي : يحبُّنا أهلُه ونحبُّ أهله . وقد قيل : إنَّ المراد باهتزاز العرش : سريره الذي حُمل عليه ؛ وهذا يردُّه النَّص الذي في بعض الآثار من إضافة العرش الذي اهتزَّ بموته إلى الرَّحمن عزَّ وجلَّ " (٢) .

وكلام الإمام ابن رشد القرطبي هذا يرشد إلى :

١ -أنَّ سبيل النصوص الموهمة لتشبيه الله تعالى بخلقه كالإتيان والنُّزول : أن تتأوَّل على ما يصحُّ ممَّا ينتفي به التَّشبيه عن الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه ...

---

(١) أخرجه ابن حبان في الصحيح (٩/ ٤٢ برقم ٣٧٢٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين، والقواريري: اسمه عبيد الله بن عمر وأخرجه مسلم ١٣٩٣ في الحج: باب أحد جبل يحبنا ونحبه، وأبو يعلى ٣١٣٩ عن عبيد الله بن عمر بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٣/ ١٤٠، وابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٨١، والبخاري ٤٠٨٣ في المغازي: باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ومسلم ١٣٩٣ من طرق عن قرة بن خالد به.

وأخرجه مطولاً ومختصراً: مالك ٢/ ٨٨٩ في الجامع: باب ما جاء في تحريم المدينة، وعبد الرزاق ١٧١٧٠، وأحمد ٣/ ١٤٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢-٢٤٣، وابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٨١، والبخاري ٢٨٨٩ في الجهاد: باب فضل الخدمة في الجهاد، و ٢٨٩٣ باب من غزا بصبي للخدمة، و ٣٣٦٧، و ٣٣٦٧ في الأنبياء: باب رقم ١٠، و ٤٠٨٤، و ٥٤٢٥ في الأطعمة: باب الحيس، و ٦٣٦٣ في الدعوات: باب التعوذ من غلبة الرجال، و ٧٣٣٣ في الاعتصام: باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم، والترمذي ٣٩٢٢ في المناقب: باب ما جاء في فضل المدينة، من طرق عن عمرو مولى المطلب، عن أنس.

وأخرجه ابن ماجه ٣١١٥ في المناسك: باب فضل المدينة، عن هناد بن السريّ، عن عبدة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن مِكْنَف، عن أنس، وزاد فيه: "وهو على تُرعة من ترع الجنة، وعَير على ترعة من ترع النار".

وفي الباب عن أبي حميد الساعدي عند مسلم ١٣٩٢، وابن شبة ١/ ٨٢. وعن أبي هريرة عند أحمد ٢/ ٣٣٧، ٣٨٧، وابن شبة ١/ ٨٢، وعن عروة مرسلاً عند مالك ٢/ ٢٩٣، وعبد الرزاق ١٧١٦٩، وابن شبة ١/ ٨٢. وانظر "تاريخ المدينة المنورة" لابن شبة ١/ ٧٩-٨٦ " .

(٢) انظر : البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٨/ ٥٠٦-٥٠٧) .

٢-أنَّ إضافة العرش إلى الله تعالى إنَّما هي بمعنى التَّشريف له ، كما يقال : ناقة الله وبيت الله ، لا بمعنى أنَّه يحلُّ فيه وموضع لاستقراره ، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، والله تعالى كان ولا مكان ، وهو على ما كان ، لا يحتاج إلى شيء من خلقة ...

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، إتيان اللهَّ : إتيان أمره وبأسه ، كقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، ﴿ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ [الأنعام : ٤٣] ، ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً ، بمعنى : أن يأتيهم اللهَّ ببأسه أو بنقمته للدّلالة عليه ، بقوله : ﴿ أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] (١) .

فالزَّمخشري يؤوِّل الإتيان المضاف إلى الله تعالى بإتيان أمره وبأسه وعذابه ...

وقال الإمام علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدِّين جامع العلوم الأَصْفهاني الباقولي (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ) : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُ الله " (٢) .

وقال الإمام ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) :

" قاصمة :

وقد بينَّا في غير موضع أنَّ الكائدين للإسلام كثير ، والمقصِّرون فيه كثير ، وأولياؤه المشتغلون به قليل ، فممَّن كاده : الباطنيَّة ، وقد بينَّا جملة أحوالهم . وممَّن كاده : الظَّاهريَّة ، وهم طائفتان :

إحداهما : المتَّبعون للظَّاهر في العقائد والأصول .

الثَّانية : المتَّبعون للظَّاهر في الأصول .

وكلا الطَّائفتين في الأصل خبيثة ، وما تفرَّع عنهما خبيث مثلهما ، فالولد من غير نكاح لغية ، والحيَّة لا تلد إلَّا حيَّة .

وهذه الطَّائفة الآخذة بالظَّاهر في العقائد هي في طرف التَّشبيه ، كالأولى في التَّعطيل ، وقد بُليتُ بهم في رحلتي وتعرَّضوا لي كثيراً دون بُغيتي ، وأكثر ما شاهدتهم بمصرَ والشَّام وبغداد .

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٥٣) .

(٢) انظر : إعراب القرآن (١/ ٨٤) .

يقولون : إنَّ الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته ومخلوقاته منَّا ، وهو معلِّمنا ، فإذا أخبرنا بأمره آمنَّا به كما أخبر ، واعتقدناه كما أمر .

وقالوا حين سمعوا : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، و ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، و ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، و " ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " : أنَّه يتحرَّك ، وينتقل ، ويجيء ، ويذهب من موضع إلى موضع .

ولمَّا سمعوا قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، قالوا : أنَّه جالسٌ عليه ، متَّصل به ، وأنَّه أكبر بأربع أصابع ، إذ لا يصحُّ أن يكون أصغر منه ، لأنَّه العظيم ، ولا يكون مثله لأنَّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، فهو أكبر من العرش بأربع أصابع .

ولقد أخبرني جماعة من أهل السُّنَّة بمدينة السَّلام أنَّه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيري الصُّوفي من نيسابور ، فعقد مجلساً للذِّكر ، وحضر فيه كافَّة الخلق ، وقرأ القارئ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، قال لي أخصّهم : فرأيت – يعني الحنابلة – يقومون في أثناء المجلس ، ويقولون : قاعدٌ قاعدٌ بأرفع صوتٍ وأبعده مدى ، وثار إليهم أهل السُّنَّة من أصحاب القُشيري ومن أهل الحضرة ، وتثاور الفئتان ، وغلبت العامَّة ، فأجحروهم المدرسة النِّظاميَّة ، وحصروهم فيها ، فرموهم بالنشَّاب ، فمات منهم قوم ، وركب زعيم الكفاة ، وبعض الدِّارية ، فسكَّنوا ثورتهم ، وأطفوا نورتهم .

وقالوا : أنَّه يتكلَّم بحرف وصوت ، وعزوه إلى أحمد بن حنبل ، وتعدَّى بهم الباطل إلى أن يقولوا : إنَّ الحروف قديمة !!

وقالوا : أنَّه ذو يد ، وأصابع ، وساعد ، وذراع ، وخاصرة ، وساق ، ورجل يطأ بها حيث شاء ، وأنَّه يضحك ، ويمشي ، ويهرول .

وأخبرني من أثق به من مشيختي أنَّ أبا يعلى محمَّد بن الحسين الفرَّاء – رئيس الحنابلة ببغداد – كان يقول إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظَّواهر في صفاته ، يقول : ألزموني ما شئتم فإنِّي ألتزمه إلَّا اللحْيَة والعورة !!

وانتهى بهم القول إلى أن يقولوا : إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه فإنَّه الله بعينه ، إلَّا أنَّ الله منزَّه عن الآفات قديم لا أوَّل له دائم لا يفنى ، لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله خلق آدم على صورته " ، وفي رواية : " على صورة الرَّحمن " ، وهي صحيحة . فلله الوجه بعينه لا ننفيه ولا نتأوَّله ، إلى محالات لا يرضى بها ذو نهى .

وكان رأس هذه الطَّائفة بالشَّام أبو الفرج الحنبلي بدمشق ، وابن الرّميلي المحدِّث ببيت المقدس ، والقطرواني بنواحي نابلس ، والفاخوري بديار مصر ، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفرَّاء ، وكلّ منهم ذو أتباع من العوام !!! ، جمعاً غفيراً ، وعصبة عصيَّة عن الحقِّ ، وعصبيَّة على الخلق .

ولو كانت لهم أفهام ورزقوا معرفة بدين الإسلام ، لكان لهم من أنفسهم وازع ، لظهور التَّهافت على مقالاتهم ، وعموم البطلان لكلماتهم . ولكن الفدامة (١) استولت عليهم ، فليس لهم قلوب يعقلون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ . ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الاسفراييني أنَّه خرج يوماً على أصحابه مسروراً فسألوه ، فقال : ناظرت اليوم عاميَّاً فظهرت عليه . فقيل له : وأنت تظهر على الأيمَّة ، فكيف تفرح بالظُّهور على العوام ؟ فقال : العالم يردُّه علمه وعقله ودينه ، والعامِّي لا يردُّه فهمٌ ولا يردعه دين ، فغلبته نهزة ونادرة .

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : وأنبئكم بغريبة ، أنِّي ما لقيت طائفة إلَّا وكانت لي معهم وقفة في مقالاتهم – عصمني الله بالنَّظر بتوفيقه منها – إلَّا الباطنيَّة والمشبِّهة ، فإنَّها زعنفة تحقَّقت أنَّه ليس وراءها معرفة . فقذفتْ نفسي كلامها من أوَّل مرَّة ، وسائر الطَّوائف لا بدَّ أن يقف الفكر عقلاً وشرعاً من أي وجه طلبت الدَّليل حتى يرشده العقل والشَّرع إلى مأخذ النَّجاة " (٢) .

وقال الإمام ابن العربي المالكي أيضاً في كامه على المُشبِّهة المُجسِّمة من المتمسلفة : " عاصمة :
قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : وقبل وبعد ، فينبغي أنَّ تعلموا أنَّ هذه الطَّائفة في حفظ ظاهر هذه الأخبار ، لا يقال : أنَّها بنت قصراً ، أو هدمت مصراً ، بل هدمت الكعبة ، واستوطنت البيعة ، وحذار أن تنشؤوا معهم دليلاً ، ولا تستأنفوا معهم من الكلام نقيراً ولا فتيلاً ، فليسوا لذلك أهلاً ، ولا

(١) يقصد : ضعف الفهم وعدم امتلاك الحجّة .

(٢) انظر : العواصم من القواصم (النص الكامل) (ص٢٠٨-٢١١) .

ينجع فيهم أن ينشر ذلك معهم ، إلَّا أن تدخل إليهم من بابهم ، وهو أيسر طريق إليهم في الكشف لضلالهم ، ولا تلتزم معهم مذهباً إلَّا أن تبطل رأيهم ، ولا يظهر لك اعتقاد إلَّا ردّ الكلام إلى القرآن والسُّنَّة ، وما أجمعت عليه هذه الأمَّة ، وهم قد خالفوا الكلَّ ، فالمهم إفساد مقالتهم ، وبيان ضلالتهم ، فيقال لهم : ما لكم أصحاب إلَّا اليهود ، فإنَّها ألفت في التَّوارة : حين خلق الله السَّموات والأرض ، ذكر فيه أنَّه خلقها في ستَّة أيام ، واستراح يوم السَّبت ، فكذَّبهم الله في قوله فقال : "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ" [ق : ٣٨] ، فأخذوا لفظ الرَّاحة بظاهره ، وهو إعفاء النَّفس من كدِّ التَّعب ، بعد تسخيرها فيه ، واعتقدته بحاله فكفَّرهم الله ، وكذبهم . ثمَّ نعطف عنان القول ، فنقول : قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وأنتم قد قلتم : أنَّه أكبر من العرش مقداراً ، كيف يشتمل عليه ظلّ الغمام ؟ وكيف يأتي الحقّ مع الخلق يوم الفصل أو يأتي البنيان وهو أكبر من العرش ، والعرش أكبر من السَّموات والأرض ؟ وقوله : ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه:٥] ، يقال لهم : قال الله : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه: ٥] ، ما العرش ؟ وما معنى استوى ؟ وينبغي أن تعلموا كلّكم أنتم وهم قبل وبعد أن بناء " ظ هـ ر" مفيد في العربيَّة لكلِّ شيء خرج عن حدِّ الخفاء والجهل إلَّا العلم ، كان من المحسوس يخفى على البصر والسَّمع وسائر الحواس ، أو من المعاني يخفى على العقل . فاحذروا من يأخذ الظَّاهر فيجعله في حدِّ الباطن بتأويله له ، أو يحكم بظاهر على معنى هو خفي ، فلما قال : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾ [طه : ٥] ، كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة معان : معنى الرَّحمن ، ومعنى استوى ، ومعنى العرش ، فأمَّا الرَّحمن فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام . وأمَّا العرش فهو في العربيَّة لمعان فأيّها تريدون ، وكذا استوى عليه ، يحتمل خمسة عشر معنى في اللغة ، فأيّها تريدون ؟ أو أيّها تدّعون ظاهراً منها ؟ ولم قلتم : إنَّ العرش ها هنا المراد به مخلوق مخصوص ؟ فادَّعيتموه على العربيَّة والشَّريعة ، ولِمَ قلتم : إنَّ معنى استوى ، قعد أو

جلس ؟ فتحكمون باتِّصاله به ، ثمَّ تقولون أنَّه أكبر منه من غير ظاهر ، ولم يكن عظيماً بقدر جسمي حتى تقولوا : أنَّه أكثر أجزاء منه . ثمَّ تحكمكم بأنَّه أكبر منه بأربع أصـــــابع ، تحكُّم لا معنى له " (١) .

فكلام الإمام ابن العربي حمل تحذيراً لعموم الأمَّة من فتن المشبِّهة والمجسِّمة ، أولئك النَّفر الذين أخذوا بظاهر معنى الألفاظ الموهمة للتَّشبيه ، وفسَّروا بها جميع الألفاظ المضافة إلى الله تعالى في الكتاب والسُّنَّة ، وبيَّن ضررهم وخطرهم ... وممَّا يؤسف له : أن يقوم محب الدِّين الخطيب – غفر الله له – بتلخيص كتاب : " العواصم من القواصم " للإمام ابن العربي ، فيهدم بتلخيصه وتبخيسه هذا الكتاب الرَّائع ، الذي شوَّهه ببتر جواهره التي لا تستقيم معها عقائد من يدَّعون السَّلفيَّة ... وهذا هو صنيعهم مع الكُتب التي تُعارض فكرهم من أساسه ، فتارة يشوِّهونها بالتَّلخيص أو ما يسمُّونه بالتَّهذيب ، وتارة بدعوى التَّحقيق الذي غدا بسبب التَّشويه المتعمَّد تلفيقاً لا تحقيقاً ، فإلى الله وحده المشتكى ، ولذلك يجب الحذر عند شراء أو قراءة أي كتاب حقَّقوه أو حكَّكوه ... وكذلك فعل الشَّيخ الألباني بـ " كتاب العلو للعليِّ الغفَّار " للذَّهبي ...فحذف منه ما يُضحك الثَّكلى ... ولو اطَّلع القارئ العاديّ على النُّصوص المحذوفة لاندهش من حشوه بتلك النُّصوص التي كان بوضعها في كتابه كحاطب ليل ... وهذا هو صنيعهم في كلِّ كتاب حقَّقوه !!! أو طبعوه !!! أو لخَّصوه ...

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام بن عطيَّة الأندلسي المحاربي (٥٤٦هـ) : " وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] الآية ، الخطاب للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهَلْ من حروف الابتداء كأما ، ويَنْظُرُونَ معناه ينتظرون . والمراد هؤلاء الذين يزلون ، والظُّلل جمع ظُلَّة وهي ما أظلَّ من فوق ، وقرأ قتادة (١١٨هـ) ، والضَّحَّاك (١٠٢هـ) " في ظلال " ، وكذلك روى هارون بن حاتم ، عن أبي بكر ، عن عاصم هنا ، وفي الحرفين في الزُّمر . وقال عكرمة (١٠٥هـ) : ﴿ ظُلَلٍ ﴾ طاقات ، وقرأ الحسن (١١٠هـ) ، ويزيد بن القعقاع (١٢٧هـ) ، وأبو حيوة (٢٠٣هـ) " والملائكة " بالخفض عطفاً على الْغَمامِ ، وقرأ جمهور النَّاس بالرَّفع عطفا على الله ، والمعنى : يأتيهم حُكم الله وأمرُه ونهيهُ وعقابهُ إيَّاهم ، وذهب ابن جريج وغيره إلى أنَّ هذا التَّوعُّد هو بما يقع في الدُّنيا .

(١) انظر : العواصم من القواصم (النص الكامل) (ص٢١٣-٢١٤) .

وقال قومٌ : بل هو توعُّد بيوم القيامة ، وقال قومٌ : قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وعيد بيوم القيامة " (١) .

وقال الإمام ابن عطيَّة الأندلسي أيضاً : " وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال الطَّبري (٣١٠هـ) : لموقف الحساب يوم القيامة ، وأسند ذلك إلى قتادة (١١٨هـ) ، وجماعة من المتأوِّلين . ويحكي الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : أنَّ المراد بقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : العذاب الذي يسلطه الله في الدُّنيـــا على من يشاء من عباده ، كالصَّيحات ، والرَّجفات والخسف ، ونحوه .

قال القاضي أبو محمَّد : وهذا الكلام على كلِّ تأويل ، فإنما هو بحذف مضاف ، تقديره : أمرُ ربِّك ، أو بطشُ ربِّك ، أو حسابُ ربِّك ، وإلَّا ، فالإتيان المفهوم من اللغة مستحيل في حقِّ الله تعالى .
ألا ترى أنَّ الله تعالى يقول : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، فهذا إتيان قد وقع ، وهو على المجاز وحذف المضاف " (٢) .

وقال الإمام محمود بن أبي الحسن بن الحسين النَّيسابوري أبو القاسم ، نجم الدِّين (المتوفى: نحو ٥٥٠هـ) : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : آياته ، أو أمرُه ، كقوله : ﴿ أَتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ " (٣) .

وقال الإمام محمود بن أبي الحسن النَّيسابوري أيضاً : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، المراد : إتيان آيات الله ، فذكر الله لتفخيم شأن الآيات ، وقيل : بل التَّقدير : يأتيهم أمرُ الله ، فحذف المضاف ، كما هو في قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، يبيِّن ذلك : أنَّ في الآيتين الإخبار عن حال القيامة ، فلمَّا كان الأمر في أحدهما مذكوراً ، كان في الأخرى مقدَّراً مفهوماً ، وقيل : إنَّ اللفظ وإن كان يثبت الإتيان فالفحوى ينفيه ؛ لأنَّ الحال على صورة من قدم إلى عبيده بكلِّ موعظة ورسول يستصلحهم

---

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٨٣) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٣٠) .

(٣) انظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ١٤٨) .

بذلك ، ثمَّ يقول : – إذا لم يصلحوا– هل ينتظرون إلَّا أن آتيكم ؟ على تقرّر امتناع إتيانه في نفوسهم " (١) .

وقال الإمام محمود بن أبى الحسن النَّيسابوري أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يصير الأمر كلُّه لله " (٢) .

فالإمام النَّيسابوري فسَّر الإتيان بإتيان آياته تعالى ، فذكر الله لتفخيم شأن الآيات ، أو أمرِه تعالى فحذف المضاف ، كما هو في قوله : ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، يبيِّن ذلك : أنَّ في الآيتين الإخبار عن حال القيامة ، فلمَّا كان الأمر في أحدهما مذكوراً ، كان في الأخرى مقدَّراً مفهوماً أو يصير الأمر كلُّه لله ...

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال الحسن (١١٠هـ) : أو يأتي أمْرُ ربِّك . وقال الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : أو يأتيَ إهلاكه وانتقامه ، إمَّا بعذاب عاجل ، أو بالقيامة " (٣) .

وقال الإمام ابن الجوزي الحنبلي أيضاً : " قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : بظلل ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر : ٢٢] .

قلت : قال القاضي أبو يعلى عن أحمد بن حنبل أنَّه قال في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ﴾[البقرة : ٢١٠] ، قال : المراد به قدرته وأمره ، قال : وقد بيَّنه في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، ومثل هذا في القرآن : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، قال : إنَّما هو قدرته " (٤) .

---

(١) انظر : باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن (١/ ٢٠٤–٢٠٥) .

(٢) انظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٣١٦) .

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٩٥) .

(٤) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٤١) .

وقال الإمام ابن الجوزي الحنبلي أيضاً : " قال ابن حامد يأتي يوم القيامة إلى المحشر ، لقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وقت نزوله إلى السَّماء . وقال القاضي أبو يعلى : الآية تشهد لحديث عمر ، وهي قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

قلت – ابن الجوزي – : ولا يدري أنَّ المعنى : يأتيهم الله بظلل .

قال أبو حـــامد : ولا يمتنع إمراره على ظاهره ، لأنَّه لا بدَّ من مشيه وإنتهائه إلى مجلسه لا عن انتقال .

قلت : من يقول : يُحمل هذا على ظاهره ، كيف يقول بلا انتقال ؟ وإنَّما يقول هذا إرضاء للجهَّال ، وهل المشي إلَّا انتقال ؟!! " (١) .

وقال الإمام ابن الجوزي أيضاً : " قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، كان جماعة من السَّلف يُمسكون عن الكلام في مثل هذا . وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنَّه قال : المراد به : قدرته وأمرُه . قال : وقد بيَّنه في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] .

قوله تعالى : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : بظلل . والظُّلل : جمع ظلَّة ،﴿ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] : السَّحاب الذي لا ماء فيه . قال الضَّحَّاك (١٠٢هـ) : في قطع من السَّحاب . ومتى يكون مجيء الملائكة ؟ فيه قولان : أحدهما : أنَّه يوم القيامة أيضاً ، وهو قول الجمهور . والثَّاني : أنَّه عند الموت ، قاله قتادة (١١٨هـ) " (٢) .

وكلام ابن الجوزي السَّابق يدور حول المنهجين الصَّحيحين لعلماء الأمَّة في مسألة المتشابه ، فقد ذكرنا منهج جمهور السَّلف القائم على الإمساك عن الخوض في المتشابه ، ومنهج جمهور الخلف القائم على تفسيرها بمعنى يتوائم ويتلائم مع جلال الله تعالى وعظمته ، مع البعد عن كلِّ ما من شأنه أن يوهم التَّشبيه بأي وجه من الوجوه ... فقد :

---

(١) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص٢٤٣) .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٧٤-١٧٥) .

١-نقل عن الإمام الحسن البصري السَّلفي تأويله لقول الله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال : يأتي أمْرُ ربِّك . ونقل عن أحمد بن حنبل أنَّه قال في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قال : المراد به قدرته وأمره ، وقال الزجَّاج (٣١٠هـ) : أو يأتيَ إهلاكه وانتقامه ، إمَّا بعذاب عاجل ، أو بالقيامة ، وهذا مذهب جمهور الخلف وبعض السَّلف ، وهو التَّفويض التَّفصيلي . كما ذكر أنَّ جماعة من السَّلف كانوا يُمسكون عن الكلام في مثل هذا ، وهو التَّفويض الإجمالي ، وهو ما عليه جمهور السَّلف وبعض الخلف ...

٢- فسَّر قول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : بظلل ، فتكون " في " في معنى " الباء " ، وبهذا يزول الإشكال ...

٣- ردَّ الإمام ابن الجوزي على مجسِّمة الحنابلة كابن حامد الذي قال : ولا يمتنع إمراره على ظاهره ، لأنَّه لا بدَّ من مشيه وانتهائه إلى مجلسه لا عن انتقال ... وهذا منه مراوغة وسبيلٌ لإرضاء الجهَّال الغوغائيين من أتباعه ... لأنَّ الإمرار على ظاهر المعنى لا يكون إلَّا بانتقال ...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " أَجْمَعَ الْمُعْتَبِرُونَ مِنَ الْعُقَلَاءِ عَلَى أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وُجُوهٌ :

أَحَدُهَا : مَا ثَبَتَ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ : أَنَّ كُلَّ مَا يَصِحُّ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ، وَهُمَا مُحْدَثَانِ ، وَمَا لَا يَنفَكُّ عَنِ الْمُحْدَثِ فَهُوَ مُحْدَثٌ ، فَيَلْزَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَصِحُّ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُحْدَثاً مَخْلُوقاً ، وَالْإِلَهُ الْقَدِيمُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ .

وَثَانِيهَا : أَنَّ كُلَّ مَا يَصِحُّ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ كَالْجُزْءِ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ ، وإمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ بَلْ يَكُونُ شَيْئاً كَبِيراً ، فَيَكُونُ أَحَدُ جَانِبَيْهِ مُغَايِراً لِلْآخَرِ ، فَيَكُونُ مُرَكَّباً مِنَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَبْعَاضِ ، وَكُلُّ ما كَانَ مُرَكَّباً ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمُرَكَّبَ يَكُونُ مُفْتَقِراً فِي تَحَقُّقِهُ إِلَى تَحَقُّقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَجْزَائِهِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَجْزَائِهِ غَيْرُهُ ، فَكُلُّ مُرَكَّبٍ هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى غَيْرِهِ ، وَكُلُّ مُفْتَقِرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مُمْكِنٌ لِذَاتِهِ ، وَكُلُّ مُمْكِنٍ لِذَاتِهِ فَهُوَ مُحْتَاجٌ فِي وُجُودِهِ إِلَى

الْمُرَجِّحِ وَالْمُوجِدِ ، فَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ مَسْبُوقٌ بِالْعَدَمِ ، وَالْإِلَهُ الْقَدِيمُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ .

وَثَالِثُهَا : أَنَّ كُلَّ مَا يَصِحُّ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَهُوَ مَحْدُودٌ وَمُتَنَاهٍ ،فَيَكُونُ مُخْتَصّاً بِمِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ ، مَعَ أَنَّه كَانَ يَجُوزُ فِي الْعَقْلِ وُقُوعُهُ عَلَى مِقْدَارٍ أَزْيَدَ مِنْهُ أَوْ أَنْقَصَ ، فَاخْتِصَاصُهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ الْمُعَيَّنِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ لِتَرْجِيحِ مُرَجِّحٍ ، وَتَخْصِيصِ مُخَصِّصٍ ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِعْلاً لِفَاعِلٍ مُخْتَارٍ ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ ، فَالْإِلَهُ الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ .

وَرَابِعُهَا : أَنَّا مَتَى جَوَّزْنَا فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَصِحُّ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ أَنْ يَكُونَ إِلَهاً قَدِيماً أَزَلِيّاً ، فَحِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَحْكُمَ بِنَفْيِ الْإِلَهِيَّةِ عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَكَانَ بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا ، يَقُولُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا عَيْبَ فِيهِمَا يَمْنَعُ مِنَ القول بإلهيتهما سوى أَنَّهم جِسْمٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْغَيْبَةُ وَالْحُضُورُ ، فَمَنْ جَوَّزَ الْمَجِيءَ وَالذَّهَابَ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، فَلِمَ لَا يَحْكُمُ بِإِلَهِيَّةِ الشَّمْسِ ، وَمَا الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحُكْمَ بِإِثْبَاتِ مَوْجُودٍ آخَرَ يَزْعُمُ أَنَّه إِلَهٌ .

وَخَامِسُهَا : أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَكَى عَنِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَامُ أَنَّه طَعَنَ فِي إِلَهِيَّةِ الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ بِقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، وَلَا مَعْنَى لِلْأُفُولِ إِلَّا الْغَيْبَةُ وَالْحُضُورُ ، فَمَنْ جَوَّزَ الْغَيْبَةَ وَالْحُضُورَ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، فَقَدْ طَعَنَ فِي دَلِيلِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَذَّبَ اللهَ فِي تَصْدِيقِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ .

سَادِسُهَا : أَنَّ فِرْعَوْنَ لَعْنَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ لَمَّا سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْمَاهِيَّةَ وَالْجِنْسَ وَالْجَوْهَرَ ، فَلَوْ كَانَ تَعَالَى جِسْماً مَوْصُوفاً بِالْأَشْكَالِ وَالْمَقَادِيرِ لَكَانَ الْجَوَابُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ لَيْسَ إِلَّا بِذِكْرِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ وَالْقَدْرِ : فَكَانَ جَوَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَبُّ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [مريم : ٦٥] ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان : ٨] " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " [المزمل : ٩] ، خَطَأً وَبَاطِلاً ، وَهَذَا يَقْتَضِي تَخْطِئَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا ذَكَرَ مِنَ الْجَوَابِ ، وَتَصْوِيبَ فِرْعَوْنَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء : ٢٧] ، وَلَمَّا كَانَ كُلُّ ذَلِكَ بَاطِلاً ، عَلِمْنَا أَنَّه تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ جِسْماً ، وَأَنْ يَكُونَ فِي مَكَانٍ ، وَمُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَصِحَّ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ .

وَسَابِعُهَا : أَنَّه تَعَالَى قَالَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ، وَالْأَحَدُ هُوَ الْكَامِلُ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَكُلُّ جِسْمٍ فَهُوَ مُنْقَسِمٌ بِحَسَبِ الْغَرَضِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى جُزْأَيْنِ، فَلَمَّا كَانَ تَعَالَى أَحَدًا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ جِسْماً أَوْ مُتَحَيِّزاً ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ جِسْماً وَلَا مُتَحَيِّزاً ، امْتَنَعَ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ ، وَأَيْضاً قَالَ تَعَالَى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، أَيْ : شَبِيهاً ، وَلَوْ كَانَ جِسْماً مُتَحَيِّزاً ، لَكَانَ مُشَابِهاً لِلْأَجْسَامِ فِي الْجِسْمِيَّةِ ، إِنَّمَا الِاخْتِلَافُ يَحْصُلُ فِيمَا وَرَاءَ الْجِسْمِيَّةِ ، وَذَلِكَ إِمَّا بِالْعِظَمِ أَوْ بِالصِّفَاتِ وَالْكَيْفِيَّاتِ ، وَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي حُصُولِ الْمُشَابَهَةِ فِي الذَّات ، وَأَيْضاً قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وَلَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مَثَلًا لِلْأَجْسَام

وَثَامِنُهَا : لَوْ كَانَ جِسْماً مُتَحَيِّزاً لَكَانَ مُشَارِكاً لِسَائِرِ الْأَجْسَامِ فِي عُمُومِ الْجِسْمِيَّةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُخَالِفاً فِي خُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وإِمَّا أن لَا يَكُونُ ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ فَمَا بِهِ الْمُشَارَكَةُ غَيْرُ مَا بِهِ الْمُمَايَزَةُ ، فَعُمُومُ كَوْنِهِ جِسْماً مُغَايِرٌ لِخُصُوصِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّا إِذَا وَصَفْنَا تِلْكَ الذَّات الْمَخْصُوصَةَ بِالْمَفْهُوم مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً كُنَّا قَدْ جَعَلْنَا الْجِسْمَ صِفَةً ، وَهَذَا مُحَالٌ لِأَنَّ الْجِسْمَ ذَاتُ الصِّفَةِ ، وَإِنْ قُلْنَا بِأَنَّ تِلْكَ الذَّات الْمَخْصُوصَةَ الَّتِي هِيَ مُغَايِرَةٌ لِلْمَفْهُوم مِنْ كَوْنِهِ جِسْماً وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِكَوْنِهِ جِسْماً ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ ذَاتُ اللهِ تَعَالَى شَيْئاً مُغَايِراً لِلْمَفْهُومِ مِنَ الْجِسْمِ ، وَغَيْرَ مَوْصُوفٍ بِهِ وَذَلِكَ يَنْفِي كَوْنَهُ تَعَالَى جِسْماً ، وأَمَّا إِنْ قِيلَ : إِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ كَانَتْ جِسْماً لَا يُخَالِفُ سَائِرَ الْأَجْسَامِ فِي خُصُوصِيَّةٍ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَثَلاً لَهَا مُطْلَقاً ، وَكُلُّ مَا صَحَّ عَلَيْهَا فَقَدْ صَحَّ عَلَيْهِ ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَجْسَامُ مُحْدَثَةً وَجَبَ فِي ذَاتِهِ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ ، فَثَبَتَ أَنَّه تَعَالَى لَيْسَ بِجِسْمٍ ، وَلَا بِمُتَحَيِّزٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ عَلَيْهِ .

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ : اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهاً .

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلف الصَّالح أَنَّه لَمَّا ثَبَتَ بِالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ أَنَّ الْمَجِيءَ وَالذَّهَابَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مُحَالٌ ، عَلِمْنَا قَطْعاً أَنَّه لَيْسَ مُرَادُ اللهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْمَجِيءَ وَالذَّهَابَ ، وَأَنَّ مُرَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ آخَرُ فَإِنْ عَيَّنَّا ذَلِكَ الْمُرَادَ لَمْ نَأْمَنِ الْخَطَأَ ، فَالْأَوْلَى السُّكُوتُ عَنِ التَّأْويل ، وَتَفْوِيضُ مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عبَّاس أَنَّه قَالَ : نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ

أَوْجُهٍ : وَجْهٌ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ لجِهَالَتِهِ ، وَوَجْهٌ يَعْرِفُهُ الْعُلَمَاءُ وَيُفَسِّرُونَهُ ، وَوَجْهٌ نَعْرِفُهُ مِنْ قِبَلِ الْعَرَبِيَّةِ فَقَطْ ، وَوَجْهٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَدِ اسْتَقْصَيْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الم ﴾ [البقرة : ١] .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ : وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ : أَنَّه لَا بُدَّ مِنَ التَّأويل على سبيل التَّفصيل ثمَّ ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهاً :

الْأَوَّلُ : الْمُرَادُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ الله ، أَيْ : آيَاتُ اللهَّ ، فَجَعَلَ مَجِيءَ الْآيَاتِ مَجِيئاً لَهُ عَلَى التَّفْخِيمِ لِشَأْنِ الْآيَاتِ ، كَمَا يُقَالُ : جَاءَ الْمَلِكُ ، إِذَا جَاءَ جَيْشٌ عَظِيمٌ مِنْ جِهَتِهِ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأويل أَنَّه تَعَالَى قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ ، ثمَّ أَنَّه تَعَالَى أَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّقْدِيرَ أَنْ يَصِحَّ الْمَجِيءُ عَلَى اللهَّ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدُ حُضُورِهِ سَبَباً لِلتَّهْدِيدِ وَالزَّجْرِ ، لِأَنَّهُ عِنْدَ الْحُضُورِ كَمَا يَزْجُرُ الْكُفَّارَ وَيُعَاقِبُهُمْ ، فَهُوَ يُثِيبُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخُصُّهُمْ بِالتَّقْرِيبِ ، فَثَبَتَ أَنَّ مُجَرَّدَ الْحُضُورِ لَا يَكُونُ سَبَباً لِلتَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، فَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ ، وَجَبَ أَنْ يُضْمَرَ فِي الْآيَةِ مَجِيءُ الْهَيْبَةِ وَالْقَهْرِ وَالتَّهْدِيدِ ، وَمَتَى أَضْمَرْنَا ذَلِكَ زَالَتِ الشُّبْهَةُ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ حَسَنٌ مُوَافِقٌ لِنَظْمِ الْآيَةِ .

وَالْوَجْهُ الثَّاني : فِي التَّأويل أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ، أَيْ : أَمْرُ اللهَّ ، وَمَدَارُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّه تَعَالَى إِذَا ذَكَرَ فِعْلًا وَأَضَافَهُ إِلَى شَيْءٍ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُحَالاً ، فَالْوَاجِبُ صَرْفُهُ إِلَى التَّأويل ، كَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ : الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ ، والمراد : يحاربون أولياءه ، وقال : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وَالْمُرَادُ : وَاسْأَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ، فَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ الْمُرَادُ بِهِ : يَأْتِيهِمْ أَمْرُ اللهَّ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر : ٢٢] ، الْمُرَادُ : جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا حَذْفُ الْمُضَافِ ، وَإِقَامَةُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مُقَامَهُ ، وَهُوَ مَجَازٌ مَشْهُورٌ ، يُقَالُ : ضَرَبَ الْأَمِيرُ فُلَانا ، وَصَلَبَهُ ، وَأَعْطَاهُ ، وَالْمُرَادُ أَنَّه أَمَرَ بِذَلِكَ ، لَا أَنَّه تَوَلَّى ذَلِكَ الْعَمَلَ بِنَفسِهِ ، ثمَّ الَّذِي يُؤَكِّدُ الْقَوْلَ بِصِحَّةِ هذا التَّأويل وجهان :

الأَوَّل : أَنَّ قوله هاهنا : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ١١٠] ، وَقَوْلَهُ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْقِيَامَةِ ، ثمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ بِعَيْنِهَا فِي سورة النَّحل ، فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، فَصَارَ هَذَا الْحُكْمُ مُفَسِّراً لِذَلِكَ الْمُتَشَابِهِ ، لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ لَمَّا وَرَدَتْ فِي وَاقِعَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَبْعُدْ حَمْلُ بَعْضِهَا عَلَى الْبَعْضِ .

والثَّاني : أَنَّه تَعَالَى قَالَ بعده : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لِلْمَعْهُودِ السَّابِقِ ، فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ قَدْ جَرَى ذِكْرُ أَمْرٍ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَكُونَ الْأَلِفُ وَاللَّامُ إِشَارَةً إِلَيْهِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا الَّذِي أَضْمَرْنَاهُ مِنْ أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَيْ : يَأْتِيهِمْ أمر الله ، فَإِنْ قِيلَ : أَمْرُ اللهَّ عِنْدَكُمْ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ ، فَالْإِتْيَانُ عَلَيْهَا مُحَالٌ ، وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ أَنَّه أَصْوَاتٌ فَتكُـــونُ أَعْرَاضاً ، فَالْإِتْيَانُ عَلَيْهَا أَيْضًا مُحَالٌ .

قُلْنَا : الْأَمْرُ فِي اللُّغَةِ لَهُ مَعْنَيَانِ ، أَحَدُهُمَا الْفِعْلُ وَالشَّأْنُ وَالطَّرِيقُ ، قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر : ٥٠] ، ﴿ وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود : ٩٧] ، وَفِي الْمَثَلِ : لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ ، لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ مَنْ يسود فيحمل الأمر هاهنا عَلَى الْفِعْلِ ، وَهُوَ مَا يَلِيقُ بِتِلْكَ الْمَوَاقِفِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَإِظْهَارِ الْآيَاتِ الْمُبَيِّنَةِ ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيل الأول الذي ذكرناه ، وأَمَّا إن حَمَلْنَا الْأَمْرَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ النَّهْيِ ، فَفِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ أَنَّ مُنَادِياً يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَلَا إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ بِكَذَا وَكَذَا ، فَذَاكَ هُوَ إِتْيَانُ الْأَمْرِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ ، أَيْ : مَعَ ظُلَلٍ ، وَالتَّقْدِيرُ : إِنَّ سَمَاعَ ذَلِكَ النِّدَاءِ وَوُصُول تِلْكَ الظُّلَلِ يَكُونُ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ .

والثَّاني : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ إِتْيَانِ أَمْرِ اللهَّ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ حُصُولَ أَصْوَاتٍ مُقَطَّعَةٍ مَخْصُوصَةٍ فِي تِلْكَ الْغَمَامَاتِ تَدُلُّ عَلَى حُكْمِ اللهَّ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، أَوْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّه تَعَالَى خَلَقَ نُقُوشًا مَنْظُومَةً فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهَا وَسَوَادُ تِلْكَ الْكِتَابَةِ يُعْرَفُ بِهَا حَالُ أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِهِمَا وَتَكُونُ فَائِدَةُ الظُّلَلِ مِنَ الْغَمَامِ أَنَّه تَعَالَى جعلَهُ أَمَارَةً لِمَا يُرِيدُ إِنْزَالَهُ بِالْقَوْمِ فَعِنْدَهُ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ حَضَرَ وَقَرُبَ .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ : فِي التَّأويل أَنَّ الْمعْنَى : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله بِمَا وَعَدَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحِسَابِ ، فَحَذَفَ مَا يَأْتِي بِهِ تَهْوِيلاً عَلَيْهِمْ ، إِذْ لَوْ ذَكَرَ مَا يَأْتِي بِهِ كَانَ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ الْوَعِيدِ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ كَانَ أَبْلَغَ لِانْقِسَامِ خَوَاطِرِهِمْ ، وَذَهَابِ فِكْرِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، ومثله قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] ، وَالْمعْنَى : أَتَاهُمُ الله بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، فقوله : ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ ﴾ [النحل: ٢٦] ، كَالتَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وَيُقَالُ فِي الْعُرْفِ الظَّاهِرِ إِذَا سُمِعَ بِوِلَايَةِ جَائِرٍ : قَدْ جَاءَنَا فُلَانٌ بِجَوْرِهِ وَظُلْمِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مَجَازٌ مَشْهُورٌ .

الْوَجْهُ الرَّابِعُ : فِي التَّأويل أَنْ يَكُونَ فِي بِمَعْنَى الْبَاءِ ، وَحُرُوفُ الْجَرِّ يُقَامُ بَعْضُهَا مُقَامَ الْبَعْضِ ، وَتَقْدِيرُهُ : هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله بِظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ، وَالْمُرَادُ الْعَذَابُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ فِي الْغَمَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ .

الْوَجْهُ الْخَامِسُ : أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْآيَةِ تَصْوِيرُ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَوْلِهَا وَشِدَّتِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمُذْنِبِينَ إِذَا حَضَرُوا لِلْقَضَاءِ وَالْخُصُومَةِ ، وَكَانَ الْقَاضِي فِي تِلْكَ الْخُصُومَةِ أَعْظَمَ السَّلَاطِينِ قَهْرًا وَأَكْبَرَهُمْ هَيْبَةً ، فَهَؤُلَاءِ الْمُذْنِبُونَ لَا وَقْتَ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنْ وَقْتِ حُضُورِهِ لِفَصْلِ تِلْكَ الْخُصُومَةِ، فَيَكُونُ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ إِتْيَانِ اللهَّ تَصْوِيرَ غَايَةِ الْهَيْبَةِ وَنِهَايَةِ الْفَزَعِ ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَما قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، مِنْ غَيْرِ تَصْوِيرِ قَبْضَةٍ وَطَيٍّ وَيَمِينٍ ، وإِنَّما هُوَ تَصْوِيرٌ لِعَظَمَةِ شَأْنِهِ لِتَمْثِيلِ الْخَفِيِّ بالجلي ، فكذا هاهنا وَاللهَّ أَعْلَمُ .

الْوَجْهُ السَّادِسُ : وَهُوَ أَوْضَحُ عِنْدِي مِنْ كُلِّ مَا سَلَفَ : أَنَّا ذَكَرْنَا أَنَّ قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، إِنَّما نَزَلَتْ فِي حَقِّ الْيَهُودِ ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ، فَقَوْلُهُ : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، يَكُونُ خِطَاباً مَعَ الْيَهُودِ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ،

حِكَايَةً عَنِ الْيَهُودِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهم لا يَقْبَلُونَ دِينَكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهم فَعَلُوا مَعَ مُوسَى مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥] ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حِكَايَةً عَنْ حَالِ الْيَهُودِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ إِجْرَاءَ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ التَّشْبِيهِ ، وَكَانُوا يُجَوِّزُونَ عَلَى اللهِ الْمَجِيءَ وَالذَّهَابَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : أَنَّه تَعَالَى تَجَلَّى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الطَّوْرِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَطَلَبُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ محمَّد عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَامُ ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ حِكَايَةً عَنْ مُعْتَقَدِ الْيَهُودِ الْقَائِلِينَ بِالتَّشْبِيهِ ، فَلَا يُحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى التَّأويل ، وَلَا إِلَى حَمْلِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَجَازِ ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْماً يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهم مُحِقُّونَ فِي ذَلِكَ الِانْتِظَارِ أَوْ مُبْطِلُونَ ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ يَسْقُطُ الْإِشْكَالُ " (١) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " فَإِنْ قِيلَ : قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، هَل يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْمَجِيءِ وَالْغَيْبَةِ عَلَى اللهِ ؟

قُلْنَا : الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ :

الْأَوَّلُ : أَنَّ هَذَا حِكَايَةً عَنْهُمْ ، وَهُمْ كَانُوا كُفَّاراً ، وَاعْتِقَادُ الْكَافِرِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ .

والثَّاني : إِنَّ هَذَا مَجَازٌ . وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ ﴾ [الأحزاب:٥٧] .

وَالثَّالِثُ : قِيَامُ الدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ الْمَجِيءَ وَالْغَيْبَةَ عَلَى اللهَ تَعَالَى مُحَالٌ ، وَأَقْرَبُهَا قَوْلُ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللهَ عَلَيْهِ فِي الرَّدِّ عَلَى عَبَدَةِ الكواكب : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

فَإِنْ قِيلَ : قَوْلُهُ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، لَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى إِثْبَاتِ أَثَرٍ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ ، لِأَنَّ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ : يَصِيرُ هَذَا عين قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، فَوَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ إِتْيَانُ الرَّبِّ .

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٥/ ٣٥٦-٣٦٠) .

قُلْنَا : الْجَوَابُ الْمُعْتَمَدُ : أَنَّ هَذَا حِكَايَةُ مَذْهَبِ الْكُفَّارِ ، فَلَا يَكُونُ حُجَّةً ، وَقِيلَ : يَأْتِي رَبُّكَ بِالْعَذَابِ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ، وَهُوَ الْمُعْجِزَاتُ الْقَاهِرَةُ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) أيضاً : " الفصل التَّاسع : في المجيء والنُّزول : احتجُّوا بقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وبقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، واحتجُّوا بالأخبار ، فمنها : ما رواه صاحب شرح السُّنَّة رحمه الله في باب : " إحياء آخر الليل وفضله " ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، رضي الله عنهما ، عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ " .

وَقَالَ: " إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، نَزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، فَنَادَى هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ يَتُوبُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ إِلَى الْفَجْرِ " (٢) ، قال صاحب هذا الكتاب : هذا حديث متَّفق على صحَّته .

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٤/ ١٨٨) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٨/ ٣٨٩ برقم ١١٨٩٢) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، ومعمر: وهو ابن راشد الأزدي -وإن لم يتحرر لنا أسمع من أبي إسحاق: وهو السبيعي قبل الاختلاط أم بعده- متابع، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير الأغر أبي مسلم: وهو المديني، نزيل الكوفة، فمن رجال مسلم.

وهو مطولاً في "مصنف" عبد الرزاق (٢٠٥٥٧) ، ومن طريقه أخرجه عبد بن حميد في "المنتخب" (٨٦١) ، والبغوي في "شرح السنة" (٩٤٧) ، ولكن في رواية المصنف: حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول.

وقوله: "إن الله يمهل ... ".

هو كذلك في "مصنف" عبد الرزاق (١٩٦٥٤) ، ومن طريقه أخرجه الطبراني في "الدعاء" (١٤١) ، والآجري في "الشريعة" ص٣١٠.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٤٠-٣٤١، ومسلم (٧٥٨) (١٧٢) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٤٨١) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٠٢) ، وأبو عوانة ٢/ ٢٨٨-٢٨٩، وابن حبان (٩٢١) ، والطبراني في "الدعاء" (١٤٣) و (١٤٤) و (١٤٥) و (١٤٦) و (١٤٧) ، والآجري في "الشريعة" ص٣٠٩، ٣١٠، من طرق عن أبي إسحاق، به. وكلهم: حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول غير أبي عوانة فعنده: حتى ذهب ثلث الليل الأوسط.

وفي هذا الباب أيضاً عن أبي هريرة أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " ينزل ربُّنا كلّ ليلة إلى سماء الدُّنيا ، حين يبقى ثلث الليل الأخير ، فيقول : من يدعوني فأستجب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ " ثمَّ قال : هذا حديث متَّفق على صحَّته .

وروى أيضاً : عن أبي هريرة ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث المذكور ، وزاد فيه : " ثمَّ يبسط يديه تبارك وتعالى ، فيقول : من يقرض غير عديم ولا مظلوم (١) ؟ " .

وروى صاحب هذا الكتاب في باب ليلة النِّصف من شعبان ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : فقدت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة ، فخرجت ، فإذا هو بالبقيع ، فقال : أكنت تخافين أن يحيف الله ورسوله ؟ فقلت : يا رسول الله ظننت أنَّك أتيت نسائك . فقال : " إنَّ الله ينزل ليلة النِّصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب " ، والبخاري ضعَّف هذا الحديث .

واعلم : أنَّ الكلام في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، من وجهين :

الأوَّل : أن نبيِّن بالدَّلائل القاهرة أنَّ الله سبحانه وتعالى منزَّه عن المجيء والذَّهاب .

والثَّاني : أن نذكر التَّأويلات في هذه الآيات .

أمَّا النَّوع الأوَّل : فنقول : الذي يدلُّ على امتناع المجيء والذَّهاب على الله تعالى وجوه :

وقوله: "حتى إذا كان ثلث الليل الآخر" له شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) (١٦٨) ، وقد سلف في مسنده برقم (٨٩٧٤) من طريق أبي عوانة، عن أبي إسحاق، عن الأغر، به.

وآخر من حديث عبد الله بن مسعود، سلف برقم (٣٦٧٣) ذكر الحافظ في "الفتح" ٣/ ٣١ الاختلاف في تعيين الوقت، ونقل عن الترمذي قوله: رواية أبي هريرة أصح الروايات في ذلك، ويقوي ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها، ثم قال: وسلك بعضهم طريق الجمع ... فيجمع بذلك بين

الروايات بأن فى ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال، لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم الليل عند قوم، وتأخره عند آخرين، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الأول، والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني. وقيل: يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها الأخبار، ويحمل على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم بأحد الأمور في وقت، فأخبر به، ثم أعلم به في وقت آخر، فأخبر به، فنقل الصحابة فى ذلك عنه، والله أعلم " .

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٢٢ برقم ٧٥٨) ، وغيره ...

الأوَّل : ما ثبت في علم الأصول : أنَّ كلَّ ما يصحُّ عليه المجيء والذَّهاب ، فإنَّه لا ينفكُّ عن المحدث ، وما لا ينفكّ عن المحدث فهو محدث ، فيلزم أنَّ كلَّ ما يصحُّ عليه المجيء والذَّهاب وجب أن يكون محدثاً مخلوقاً ، فالإله القديم يستحيل أن يكون كذلك .

والثَّاني : أنَّ كل ما يصحُّ عليه الانتقال والمجيء من مكان إلى مكان ، فهو محدود متناه ، فيكون مختصًّا بمقدار معيَّن ، مع أنَّه كان يجوز في العقل وقوعه على مقدار أزيد منه أو أنقص منه ، فحينئذ يكون اختصاصه بذلك المقدار ، لأجل تخصيص مخصِّص ، وترجيح مرجِّح ، وذلك على الإله القديم محال .

والثَّالث : وهو أنَّا لو جوَّزنا ، فيما يصحُّ عليه المجيء والذَّهاب ، أن يكون إلهاً قديماً أزليًّا ، فحينئذ لا يمكننا أن نحكم بنفي إلهيَّة الشَّمس والقمر .

الرَّابع : أنَّه تعالى حكى عن الخليل عليه السَّلام : أنَّه طعن في إلهيَّة الكواكب والقمر والشَّمس ، بقوله : ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، ولا معنى للأفول إلَّا الغيبة والحضور . فمن جوَّز الغيبة والحضور على الإله تعالى ، فقد طعن في دليل الخليل ، وكذَّب الله في تصديق الخليل في ذلك . حيث قال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

وأمَّا النَّوع الثَّاني وهو في بيان التَّأويلات المذكورة في هذه الآية ، فنقول فيه وجوه : الأوَّل : المراد : هل ينظرون إلَّا أن تأتيهم آيات الله ، فجعل مجيء آيات الله مجيئاً له ، على التَّفخيم لشأن الآيات . كما يقال : جاء الملك ، إذا جاء جيش عظيم من جهته ، والذي يدلُّ على صحَّة هذا التَّأويل : أنَّه تعالى قال في الآية المتقدِّمة : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، فذكر ذلك في معرض الزَّجر والتَّهديد . ثمَّ أنَّه تعالى أكَّد ذلك بقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ومن المعلوم : أنَّ بتقدير أن يصح المجيء والذَّهاب على الله تعالى ، لم يكن مجرَّد حضوره سبباً للزَّجر والتَّهديد ، لأنَّه عند الحضور كما يزجر قوماً ويعاقبهم ، فقد يثيب قوماً ويكرمهم . فثبت أنَّ مجرَّد الحضور ، لا يكون سبباً للزَّجر والتَّهديد والوعيد . فلمَّا كان المقصود من الآية ، إنَّما هو التَّهديد ، وجب أن يضمر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتَّهديد . ومتى أضمرنا ذلك ، زالت الشُّبهة بالكليَّة ، وهذا تأويل حسنٌ موافقٌ لنظم الآية .

الوجه الثَّاني : أن يكون المراد : هل ينظرون إلَّا يأتيهم أمر الله ، ومدار الكلام في هذا الباب : أنَّه تعالى إذا أضاف فعلاً إلى شيء ، فإن كان ظاهر تلك الإضافة ممتنعاً ، فالواجب صرف ذلك الظَّاهر إلى التَّأويل . كما قال العلماء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَّ يعني يعادون الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة : ٢٠] ، والمراد : يحادُّون أوليائه .

وقد قال تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، والمراد : أهل القرية . فكذا قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : يأتيهم أمر الله ، وليس فيه إلَّا حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وذلك مجازٌ مشهور . يقال : ضربَ الأميرُ فلاناً ، وأعطاه ، والمراد : أنَّه أمر بذلك .

والذي يؤكِّد صحَّة هذا التَّأويل وجهان :

الأوَّل : أنَّ قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، إخبار عن حال القيامة . ثمَّ إنَّ الله تعالى ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النَّحل ، فقال : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْملائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، فصار هذا مفسِّراً لذلك المتشابه ، لأنَّ كلَّ هذه الآيات لمَّا وردت في واقعة واحدة ، لم يبعد حملُ بعضها على البعض .

والثَّاني : أنَّه تعالى قال بعد هذه الآية : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ولا شكَّ أنَّ الألف واللام للمعهود السَّابق . وهذا يستدعي أن يكون قد جرى ذكره من قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه ، وما ذاك إلَّا الذي أضمرناه من أنَّ قوله : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : يأتيهم أمرُ الله .

فإن قيل : أمرُ الله عندكم صفة قديمة . فالإتيان عليها : محالٌ . قلنا : الأمر في اللغة له معنيان : أحدهما : الفعْل . والثَّاني : الطَّريق . قال تعالى : ﴿ كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾ [القمر : ٥٠] ، وقال : ﴿ وَما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود : ٩٧] ، فيحمل الأمر في هذه الآية على الفعل ، وهو ما يليق بتلك المواقف من الأهوال ، وإظهار الآيات المهيبة ، وهذا هو التَّأويل الأوَّل الذي ذكرناه .

وأمَّا إن حملنا الأمر ، على الأمر الذي هو ضدُّ النَّهي . ففيه وجهان :

الأوَّل : أن يكون التَّقدير هو أنَّ منادياً ينادي يوم القيامة : ألا إنَّ الله يأمركم بكذا وكذا ، ويكون إتيان الأمر : هو وصول ذلك النِّداء إليهم . وقوله في : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : مع ظلل . والتَّقدير : أنَّ سماع ذلك النِّداء ، ووصول تلك الظُّلل في زمان واحد .

الثَّاني : أن يكون المراد من إتيان أمر الله تعالى في ظلل : حصول أصوات مقطَّعة مخصوصة في تلك الغمامات ، دالة على حكم الله تعالى على كلِّ واحد ، ممَّا يليق به من السَّعادة والشَّقاوة . أو يكون المراد : أنَّه تعالى خلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام ، وتكون النُّقوش جليَّة ظاهرة ، لأجل شدَّة بياض ذلك الغمام ، وسواد تلك الكتابة . وهي دالَّة على أحوال أهل الموقف في الوعد والوعيد وغيرهما ، وتكون فائدة الظُّلل من الغمام : أنَّه تعالى جعلها أمارة لما يريد إنزاله بالقوم ، فيعلمون : أنَّ الأمر قد قَرُب وحضر .

الوجه الثَّالث في التَّأويل : أن يكون المعنى : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب ؟ فحذف ما يأتي به تعويلاً على الفهم . إذ لو ذكر ذلك العذاب الذي يأتيهم به ، كان ذلك أسهل عليهم في باب الوعيد .

وأمَّا إذا لم يذكره كان أبلغ في التَّهويل ، لأنَّه حينئذ تنقسم خواطرهم ، وتذهب أفكارهم في كلِّ وجه . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ ﴾ [الحشر : ٢] ، والمعنى : وأتاهم الله بخذلانه من حيث لم يحتسبوا ، وكذا قوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، ويقال في الكلام المتعارف المشهور ، إذا سمع بولاية رجل : جاءنا فلان بجوره وظلمه . ولا شكَّ أنَّه مجاز مشهور .

الوجه الرَّابع في التَّأويل : أن تكون " في " بمعنى " الباء " ، وحروف الجر يُقام بعضها مقام البعض ، وتقديره : هل ينظرون أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة ، والمراد : أنَّه يأتيهم الله بالغمام مع الملائكة .

الوجه الخامس : وهو أقوى من كلِّ ما سبق أنَّا ذكرنا في " التَّفسير الكبير " أنَّ قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، إنَّما نزله في حقِّ اليهود . وعلى هذا التَّقدير يكون قوله

تعالى : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، خطاباً مع اليهود ، فيكون قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، حكاية عنهم . والمعنى : أنَّهم لا يقبلون دينكم ، إلَّا لأنَّهم ينظرون أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام !!! وممَّا يدلَّ على أنَّ المراد ذلك : أنَّهم فعلوا ذلك مع موسى عليه السَّلام ، فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] ، وإذا ثبت أنَّ هذه الآية حكاية عن حال اليهود واعتقادهم ، لم يمتنع إجراء الآية على ظاهرها . وذلك لأنَّ اليهود كانوا على دين التَّشبيه ، وكانوا يجوِّزون المجيء والذَّهاب على الله تعالى ، وكانوا يقولون : أنَّه تعالى تجلَّى لموسى عليه السَّلام على الطُّور في ظُلل من الغمام ، فظنُّوا مثل ذلك في زمان محمَّد عليه السَّلام . ومعلوم : أنَّ مذهبهم ليس بحجَّة .

وبالجملة : فإنَّه يدلَّ على أنَّ قوماً ينتظرون أن يأتيهم الله . وليس في الآية دلالة على أنَّ أولئك الأقوام محقُّون أو مبطلون . وعلى هذا التَّقدير زال الإشكال . وهذا هو الجواب المعتمد عن تمسُّكهم بالآية المذكورة في سورة الأنعام .

فإن قيل : هذا التَّأويل كيف يتعلَّق بهذه الآية ؟ وأنَّه قال في آخرها : ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . قلنا : أنَّه تعالى حكى عنادهم ، وتوقيفهم قبول الدِّين الحق ، على الشَّرط الفاسد . ثمَّ ذكر بعده ما يجري مجرى التَّهديد لهم ، فقال : ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، فالكلام فيه أيضاً على وجهين :

الأوَّل : أن تُحمل هذه الآية على باب المضاف ، وعلى هذا الوجه ، ففي الآية وجوه :

أحدها : وجاء أمر ربِّك بالمحاسبة والمجازاة .

وثانيها : وجاء قهر ربِّك ، كما يقال : جاءنا الملك القاهر . إذا جاء عسكره .

وثالثها : وجاء ظهور معرفة الله تعالى بالضّرورة في ذلك اليوم ، فصار ذلك جارياً مجرى مجيئه وظهوره .

الوجه الثَّاني : أنَّا لا نحمل هذه الآية على حذف المضاف ، ثمَّ فيه وجهان :

الأوَّل : أن يكون المراد من هذه الآية : التَّمسُّك بظهور آيات الله تعالى ، وسر آثار قدرته وقهره وسلطانه . والمقصود : تمثيل تلك الحالة بحال الملك إذا حضر ، فإنَّه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسِّياسة ، ما لا يظهر بظهور عساكره كلها .

الثَّاني : أنَّ الربَّ هو المربِّي . فلعلَّ مَلكاً عظيماً هو أعظم الملائكة ، كان مربيّاً للنَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان هو المراد من قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] (١) .

فقد أجاد الإمام الرَّازي وأفاد في جميع المسائل التي ذكرها ، وهي مسائل طالما زلَّت بها أقلامٌ وتعثَّرت بها أقدامٌ ، وبيَّن وجه الحقّ فيها ، وأنّ العقلاء أجمعوا عَلَى أَنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ ، المقتضي للحركة والنُّقلة ، ودلَّل على ذلك بالنَّقل والعقل ... وبيَّن أنَّ التفسير المختار لتفسير الآية هو أنَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، كَنايَةٌ عَنِ الْيَهُودِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهم لَا يَقْبَلُونَ دِينَكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهم فَعَلُوا مَعَ مُوسَى مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : " لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَّ جَهْرَةً " [البقرة : ٥٥] ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حِكَايَةً عَنْ حَالِ الْيَهُودِ ، وَلَمْ يَمْنَعْ إِجْرَاءَ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ التَّشْبِيهِ ، وَكَانُوا يُجَوِّزُونَ عَلَى اللهَّ الْمَجِيءَ وَالذَّهَابَ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : أَنَّه تَعَالَى تَجَلَّى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الطَّوْرِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ...

قلت : والدَّليل على أنَّ الخطاب مع اليهود : قوله تعالى بعد الآية المذكورة : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴾ [البقرة:٢١١] .

ومن المعلوم يقيناً أنَّ العديد من عقائد المجسِّمة مأخوذة عن عقائد اليهود الذين ينسبون لله الجلوس على العرش ، والجسم ، والجوارح ، والأعضاء ، وغير ذلك ... ومع ذلك نسبوا أنفسهم زوراً وبُهتاناً للسَّلف الصَّالح ، والعياذ بالله تعالى ...

ومن تلك العقائد التَّجسيميَّة :

أَوَّلاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إلى الله تَعَالَى الصُّوْرَة ...

---

(١) انظر : أساس التقديس (ص١٩٥-٢٠٤) .

فقد جاء في (سفر التّكوين ١: ٢٦) وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا ، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاء وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ».

وجاء في (سفر التّثنية ٤:١٥-١٦) : فَإِنَّكُمْ لمْ تَرُوا صُورَةً مَا يَوْمَ كَلمَكُمُ الرَّب فِي حُورِيبَ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. لِئَلَّا تَفْسُدُوا وَتَعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً صُورَةَ مِثَالٍ مَا شِبْهَ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى .

وعلى سَنَن اليهود في نسبة الصُّورة وإضافتها إلى الله تعالى سار المتمسلفة ...

قال الإمام ابن تيمية : " ... فقوله : " فإذا أنا بربِّي في أحسن صورة " ، صريحٌ في أنَّ الذي كان في أحسن صورة هو ربُّه " .

فماذا تقولون في هذا التَّشبيه ؟؟

وقال أيضاً : " ... أنَّ حديث أُم الطُّفيل نصٌّ في أنَّ الصُّورة كانت للمرئي ، حيث قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر أنَّه رأى ربَّه في صورة شاب موفّر ، رِجْلاه في خضر ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب " (١) .

وهذا أيضاً ... ألا يُعتبر ما تضمَّنه الحديث تشبيهاً لله تعالى بخلقه ؟!! أم ماذا هو ؟!! وألا يعتبر الحديث تحديداً لله تعالى ؟ وألا يشتمل الحديث على كونه تعالى متحيِّزاً ؟!! لأنَّ الشابَّ الأمرد لا يعيش إلَّا ضمن حيِّز ، ثمَّ أليس الحديث لوناً من ألوان التَّجسيم بأبعاده الثَّلاثة من الطُّول والعَرْض والارتفاع ؟!! . مع أنَّ حديث أُم الطُّفيل هذا حديث باطل منكر ، حكم بضعفه الإمام أحمد ، قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : " ورأيت فِي مسائل مهنا بن يحيى الشَّامي (٢٦٠هـ) ، قَالَ : سألته يعني أَحْمَد عن حديث رواه ابن وهب ، عن عمرو بن الحرث ، عن سعيد بن أَبِي هلال ، أن مروان بن عثمان حدثه ، عن أُم الطُّفيل امرأة أَبِي بن كعب ، أنَّها قالت : سمعت النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يذكر أنَّه رأى ربَّه فِي المنام فِي صورة شابٍّ موفر ، رجلاه فِي خضر ، عليه نعلان من ذهب ، عَلَى وجهه فراش من ذهب " فحوَّل وجهه عنِّي ، وَقَالَ : هَذَا حديث منكر، وَقَالَ : لا نعرف هَذَا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان ، فظاهر هَذَا التَّضعيف من أَحْمَد لحديث أُم الطُّفيل " (٢) .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٥٨) ، (٧/ ٣٦٥) بالترتيب .

(٢) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٤٠-١٤١) .

فالحديث موضوعٌ تالفٌ ، وقد ضعَّفه الإمام أحمد كما سبق ... (١) .

(١) قال الأستاذ حسن السقَّاف في تخريجه للحديث : " هذا الحديث لا يثبت من ناحية سنده ومتنه من وجوه :

الأوَّل : رواه التِّرمذي في سننه (٥/ ٣٦٦) وحسَّنه ، والخطيب البغدادي في تاريخه (٨ / ١٥٢) ، وابن الجوزي في " الموضوعات " (١/ ١٢٥) ، والطَّبراني في " المعجم الكبير " (١/ ٣١٧) ، وأورده الحافظ السُّيوطي في كتابه " اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة " (١/ ٣١) ، وذكر أنَّ في سنده حمَّاد بن سلمة (١٦٧هـ) ، وقد روي الحديث عن حمَّاد بلفظ آخر ، كما قال السُّيوطي في " اللآلئ المصنوعة " (١/ ٣١) ، ذكر هذا اللفظ الحافظ الذَّهبي في " الميزان " ، وابن عدي في الكامل في الضُّعفاء ، ففي الميزان - أعني " ميزان الاعتدال " - (١/ ٥٩٣) ، قال : رأيت ربِّي جعداً أمرد عليه حلَّة خضراء . قلت : أورد الذَّهبي صدر الحديث الذي نحن بصدده والذي اضطرب فيه الرُّواة وماجوا اضطراباً عجيباً ، في كتابه القيِّم " سير أعلام النُّبلاء " (١٠/ ١١٣-١١٤) من طريق حمَّاد هذا ، وقال : وهو بتمامه في تأليف البيهقي (٤٥٨هـ) ، وهو خبر منكر ، نسأل الله السَّلامة في الدِّين .. ا.هـ . قلت : الإمام الحافظ البيهقي قال في كتابه " الأسماء والصِّفات " (ص ٣٠٠ بتحقيق المحدث الكوثري) : وقد روي من وجه آخر وكلها ضعيف . ا.هـ قلت : وهذا تصريحٌ من البيهقي بضعف طرق هذا الحديث ، وقول الذَّهبي معه بأنه منكر ، مع إيراد الحافظ السُّيوطي وابن الجوزي له في الموضوعات يثبت وضعه بلا شكٍّ ولا ريب . كما أنَّ الحافظ ابن خزيمة أطال في ردَّ أحاديث الصُّورة في كتابه في الصِّفات .

فإن قال قائل : قد حسَّن التِّرمذي الحديث بل قد صحَّحه في بعض الرِّوايات عنه ، قلنا : هذا لا ينفع لوجوه : منها : أنَّ التِّرمذي رحمه الله تعالى متساهل في التَّصحيح والتَّحسين ، مثله مثل الحاكم رحمه الله في المستدرك ، يصحِّح الموضوعات ، كما هو مشهور عند أهل الحديث . ومنها : أنَّ تضعيف هؤلاء الحفاظ الذين ذكرناهم وهم جهابذة أهل الحديث الذين حكموا على الحديث بأنه منكر وموضوع وغير ذلك ، مقدَّم على تحسين التِّرمذي أو تصحيحه . ومنها : أنَّ الثَّابت من كلام التِّرمذي رحمه الله من نسخ سننه أنَّه قال : حسن غريب ، كما نقل ذلك عنه الحافظ المزِّي في " تحفة الأشراف " (٤/ ٣٨٢/ ٤) ، والمنذري في " التَّرغيب والتَّرهيب " ، وقد فصَّل القول في المسألة الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال في كتابه : " النُّكت الظِّراف " المطبوع مع تحفة الأشراف معلقاً على قول التِّرمذي حسن غريب ما نصه : " حديث : أتاني ربِّي في أحسن صورة ... الحديث . قلت : قال محمَّد بن نصر المروزي في كتاب " تعظيم قدر الصَّلاة " : هذا حديث اضطرب الرُّواة في إسناده ، وليس يثبت عند أهل المعرفة " . ا.هـ كلام ابن حجر العسقلاني . وقال الحافظ ابن حجر في " تهذيب التَّهذيب " (٦ / ١٨٥ طبعة دار الفكر) : قال أبو زرعة الدِّمشقي : قلت لأحمد : إنَّ ابن جابر يحدِّث عن ابن اللجلاج عن عبد الرَّحمن بن عائش حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة " ، ويحدث به قتادة ، عن أبي قلابة ، عن خالد بن اللجلاج ، عن ابن عباس ، قال : هذا ليس بشيء . ا.هـ . وقال ابن الجوزي في كتابه " العلل المتناهية " (١/ ٣٤) عقب هذا الحديث : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ، قال الدَّارقطني : كلُّ أسانيده مضطربة ليس فيها صحيح ا.هـ. قلت : والمضطرب من أقسام الضَّعيف كما هو معلوم ...

الوجه الثَّاني : هناك ألفاظ منكرة في متن الحديث تؤكِّد وضعه ، منها : إثبات الصُّورة لله تعالى ، وكذلك إثبات الكفِّ له سبحانه وتعالى عن ذلك ، وأنها بقدر ما بين كتفي سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإثبات علم ما في السَّماوات والأرض للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وغير ذلك ممَّا لا أودُّ الآن الإطالة بسرده ، فأقول مجيباً عن بعض هذه المسائل : أمَّا الأولى : فالله عزَّ وجلَّ ليست له صورة ، بلا شكٍّ ، وذلك لأنَّه بيَّن أنَّ المخلوقات ، ومنها الإنسان : مركَّبة من صورة ، وهو سبحانه " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، إذ قال سبحانه : " يا

ومن العجائب والغرائب أن يقوم ابن تيمية بتصحيح رواية الشَّاب الأمرد ، فقد قال في كتابه : " بيان تلبيس الجهميَّة : " كما في الحديث الصَّحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاس قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " رأيت ربِّي في صورة شابٍّ أمرد له وفرة جعد قطط في روضة خضراء " (١) .

وقام المدعو حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرَّحمن التُّويجري (١٤١٣هـ) ، بتصنيف كتاب سمَّاه : " عقيدة أهل الإيمان في خلق ءادم على صورة الرَّحمن " ، جاء فيه : " أنَّ الله جلَّ وعزَّ لما خلق السَّماء والأرض ، قال : نخلقُ بشراً بصورتنا ، فخلق آدم ... " .

وفي كتابه سالف الذِّكر نقل التُّويجري عن التَّوراة المحرَّفة ، فقال : " وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتَّوراة فإنَّ في السِّفر الأوَّل منها : سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها " (٢) .

أَيُّها الْإِنسانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ " [الانفطار: ٦ – ٨] ، وأجمع أهل السنَّة على استحالة الصُّورة على الله عزَّ وجلَّ ، كما نقل ذلك الاجماع الشَّيخ الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه العظيم : " الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَق " (ص ٣٣٢) ، وقال الشَّافعي (٢٠٤هـ) رحمه الله تعالى ورضي عنه ، كما في " سير أعلام النُّبلاء " ، و " الحِلية " (٩ / ١٠٥) ، و " آداب الشَّافعي " لابن أبي حاتم (٢٣١) ، وغير ذلك : الاجماع أكبر من الحديث المنفرد . ا هـ. أي أنَّ الاجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقط الاحتجاج به ، بل يدلُّ ذلك على وضعه ، وأنه لا أصل له ، كما يقول الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه : " الفقيه والمتفقِّه " (١ / ١٣٢) .

كما أنَّ قوله في الحديث : " فعلمت ما بين السَّماوات والأرض " تنقضه نصوص صحيحة صريحة ، منها : قوله تعالى : " وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ" [الأنعام: ٥٩] ، ، فالله عزَّ وجلَّ أوضح لنا وبيَّن أنَّ علمه بهذه الأشياء الموجودة في ظلمات الأرض ممَّا لا يعلمها إلَّا هو ، وأما الملائكة فكلٌّ منهم موكَّل بشيء محدود معلوم في السَّماء أو في الأرض ، أمَّا علم جميع وظائفهم ، وما في السَّماء والأرض فهو لله عزَّ وجلَّ . ومنها : قوله سبحانه : " إِنَّ اللهَّ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللهَّ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ " الحجرات: ١٨] ، فلو كان سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ذلك أيضاً لقال : " إنَّ الله ورسوله يعلمان غيب السَّماوات والأرض " . وفي الحديث الصَّحيح : سئل النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أي البقاع خير ؟ فقال : " لا أدري " ، فقال السَّائل : أي البقاع شرّ ؟ فقال : " لا أدري " ، فسأل سيِّدنا جبريل ، فقال : لا أدري ، فسأل الله تعالى ، فأوحى إليه : إنَّ خير البقاع المساجد ، وشرّ البقاع الأسواق ... " (انظر : أقوال احفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربي في أحسن صورة ، مطبوع بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص٢٨١ فما بعدها .

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٩٠) .

(٢) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق ءادم على صورة الرَّحمن (ص٧٦) .

وقال أيضاً : " ... وكذلك حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجَّر ، وقال : " اشربوا يا حمير " ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : " عمدت إلى خلقٍ من خلقي ، خلقتُهم على صُورتي ، فشبَّهتهم بالحمير " ، فما برح حتى عُوتب " .

وقال أيضاً : " ... عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من قاتل فليجتنب الوجه ، فإنَّ صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرَّحمن " .

وقال أيضاً : " ... وثانيها : حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " لا تقبِّحوا الوجه ، فإنَّ الله خلق آدم على صورة الرَّحمن " (١) . وهذا نصٌّ صريحٌ في أَنَّ الله تعالى خلق الإنسان على صورة وجهه الذي هو صفة من صفات ذاته . وهذا النَّصُّ لا يحتمل التَّأويل ، وفيه أبلغُ ردٍّ على ابن خزيمة ، وعلى كلِّ من تأوَّل الحديث بتأويلات الجهميَّة المعطِّلة " (٢) .

والكتاب المذكور قام بتقريظه الشَّيخ ابن باز ، حيث قال في تقريظه له :

بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحِيمِ

المملكة العربيَّة السعوديَّة ... (الرقم ٣٨٠/خ)

رئاسة إدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد ... التَّاريخ (٣٠/ ٣/١٤٠٨هـ)

---

(١) أخرجه ابن خزيمه في كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل (١/ ٨٥) ، وقال : " وقد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء عالم ممن لم يتحر العلم وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات ، فغلطوا في هذا غلطاً بيناً ، وقالوا مقالة شنيعة مضاهية لقول المشبهة ، أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم .

والذى عندي في تأويل هذا الخبر إن صح من جهه النقل موصولاً فإن في الخبر عللاً ثلاثاً :

إحداهن : أن الثورى قد خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثورى ولم يقل عن ابن عمر .

والثانية : أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت .

والثالثة : أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء سمعت إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد يقول ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال قال حبيب بن أبي ثابت لو حدثني رجل عنك بحديث لم أبال أن أرويه عنك يريد لم أبال أن أدلسه .

قال أبو بكر ومثل هذا الخبر لا يكاد يحتج به علماؤنا من أهل الأثر لا سيما إذا كان الخبر في مثل هذا الجنس فيما يوجب العلم لو ثبت لا فيما يوجب العمل بما قد يستدل على صحته وثبوته بدلائل من نظر وتشبيه وتمثيل بغيره من سنن النبي من طريق الأحكام والفقه .

فإن صح هذا الخبر مسندا بأن يكون الأعمش قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت وحبيب قد سمعه من عطاء بن أبي رباح وصح أنه عن ابن عمر على ما رواه الأعمش فمعنى هذا الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه " .

(٢) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن (ص١٦) ، (ص٣١) ، (ص٧٦) ، (ص١٢٩) ، (ص٤٠) .

الحمد لله وحده ، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أمَّا بعد :

فقد اطَّلعتُ على ما كتبه صاحب الفضيلة الشَّيخ حمود بن عبد الله التُّويجري وفقه الله وبارك في أعماله ، فيما ورد من الأحاديث في خلق آدم على صورة الرَّحمن ، وسمَّى مؤلَّفه في ذلك : " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرَّحمن " ، فألفيته كتاباً قيِّماً !!! كثير الفائدة !!! قد ذكر فيه الأحاديث الصَّحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرَّحمن ، وفيما يتعلَّق بمجيء الرَّحمن يوم القيامة على صورته !!! وقد أجاد وأفاد !!! وأوضح ما هو الحقّ في هذه المسألة !!! وهو أَنَّ الضَّمير في الحديث الصَّحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عزَّ وجلَّ !!! وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر : أَنَّ الله خلق آدم على صورة الرَّحمن . وقد صحَّحه الإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، والآجري ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وآخرون من الأئمَّة رحمة الله عليهم جميعاً . وقد بيَّن كثيرٌ من الأئمَّة خطأ الإمام ابن خزيمة رحمه الله في إنكار عود الضَّمير إلى الله سبحانه في حديث ابن عمر ، والصَّواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضَّمير إلى الله عزَّ وجلَّ ، بلا كيف ، ولا تمثيل ، بل صورة الله سبحانه تليق به وتناسبه كسائر صفاته ، ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى ، كما قال عزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقال سبحانه : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والواجب على أهل العلم والإيمان إمرار آيات الصِّفات وأحاديثها الصَّحيحة كما جاءت ، وعدم التَّأويل لها بما يخالف ظاهرها ، كما درج على ذلك سلف الأمَّة وأئمَّتها ، مع الإيمان بأَنَّ الله سبحانه ليس كمثله شيء ، في صورته ، ولا وجهه ، ولا يده ، ولا سائر صفاته ، بل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه في جميع صفاته ، لا شبيه له ، ولا مثْل له ، ولا تكيَّف صفاته بصفات خلقه ، كما نصَّ على ذلك سلف الأمَّة وأئمَّتها من أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بإحسان رحمهم الله جميعاً وجعلنا من أتباعهم بإحسان . ومن تأمَّل ما كتبه أخونا العلَّامة الشَّيخ حمود التُّويجري في هذا الكتاب وما نقله عن الأئمَّة اتَّضح له ما ذكرنا ، فجزاه الله خيراً ، وزاده من العلم والإيمان ، وجعلنا وإيَّاه وسائر إخواننا من أنصار السُّنَّة والقرآن ، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمَّد وآله وأصحابه ومن استقام على نهجه إلى يوم الدِّين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرَّئيس العام لإدارات البحوث العلميَّة والإفتاء والدَّعوة والإرشاد (١) .

وقال الدكتور المتوهبن المتمسلف محمَّد خليل هرَّاس في تعليقه على كتاب " التَّوحيد " لابن خزيمة : " فالصُّورةُ لا تُضاف إلى الله كإضافة خلقه إليه ، لأنَّها وصفٌ قائمٌ به " (٢) .

وقد رددتُ عليهم – بحمد الله تعالى – في هذه المسألة وغيرها في رسالة منشورة بعنوان : " أقوالُ العلماء المنثورة في تنزيه الله عن الصُّورة " ...

ثَانِيَاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إلى الله تَعَالَى الصَّوْتَ ...

فقد جاء في (سفر التَّكوين ٣: ٨) : وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ .

وجاء في (سفر التَّثنية ٤: ١٢) : فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا.

وجاء في (سفر التَّثنية ٥: ٢٤) وَقُلْتُمْ: هُوَذَا الرَّبُّ إِلهُنَا قَدْ أَرَانَا مَجْدَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَسَمِعْنَا صَوْتَهُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. هذَا الْيَوْمَ قَدْ رَأَيْنَا أَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الإِنْسَانَ وَيَحْيَا.

وجاء في (سفر التَّثنية ٥: ٢٥) : إِنْ عُدْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِنَا .

وجاء في (سفر التَّثنية ٥: ٢٦) : لأَنَّه مَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتَ اللهِ الْحَيِّ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ مِثْلَنَا وَعَاشَ؟

وجاء في (سفر الخروج ١٩: ٥) : وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلى اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: ... فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي ...

وجاء في (سفر الخروج ١٩: ١٩) : فَكَانَ صَوْتُ الْبُوقِ يَزْدَادُ اشْتِدَادًا جِدًّا، وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ .

وجاء في (سفر أيوب ٣٧: ٥) : اَللهُ يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا.

---

(١) انظر : عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص٧–٨) .

(٢) انظر : هامش كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (ص٣٩) ، ط١٩٧٨م .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات الصَّوت لله تعالى ... سار من يدَّعون السَّلفيَّة ...

قال الإمام ابن تيمية : " وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ كَلَامُ اللَّهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ بِحَرْفِ وَصَوْتٍ " (١) .

وقال أيضاً : " ... عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ : أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نُودِيَ مِنْ الشَّجَرَةِ " فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ " [طه:١٢] أَسْرَعَ الْإِجَابَةَ وَتَابَعَ التَّلْبِيَةَ وَمَا كَانَ ذَلِكَ إلَّا اسْتِئْنَاسًا مِنْهُ بِالصَّوْتِ وَسُكُونًا إلَيْهِ. وَقَالَ: إنِّي أَسْمَعُ صَوْتَك وَأُحِسُّ حِسَّك وَلَا أَدْرِي مَكَانَك فَأَيْنَ أَنْتَ ؟ (٢) .

وقال أيضاً : " كَمَا رَوَى الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فِيمَا رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : " لَمَّا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللَّهِ ، قَالَ : يَا رَبِّ هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي أَسْمَعُ هُوَ كَلَامُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا مُوسَى ، هُوَ كَلَامِي ، وإنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشَرَةِ آلَافِ لِسَانٍ ، وَلِي قُوَّةُ الْأَلْسُنِ كُلِّهَا ، وَأَنَا أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، وإنَّمَا كَلَّمْتُكَ عَلَى قَدْرِ مَا يُطِيقُ بَدَنُكَ ، وَلَوْ كَلَّمْتُكَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا لَمِتَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ قَالُوا لَهُ : صِفْ لَنَا كَلَامَ رَبِّكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَهَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : فَشَبِّهْهُ لَنَا !!! قَالَ : هَلْ سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تُقْبِلُ فِي أَحْلَى حَلَاوَةٍ سَمِعْتُمُوهَا ، فَكَأَنَّهُ مِثْلُهُ !!! "(٣) .

وقال أيضاً : " عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نُودِيَ مِنْ الشَّجَرَةِ " فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ " [طه: ١٢] ، أَسْرَعَ الْإِجَابَةَ ، وَتَابَعَ التَّلْبِيَةَ ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إلَّا اسْتِئْنَاساً مِنْهُ بِالصَّوْتِ ، وَسُكُوناً إلَيْهِ . وَقَالَ : إنِّي أَسْمَعُ صَوْتَك ، وَأُحِسُّ حِسَّك ، وَلَا أَدْرِي مَكَانَك ، فَأَيْنَ أَنْتَ ؟!!! " (٤) .

وقال أيضاً : " وَاَللَّهُ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ بِحُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ بِصَوْتِ نَفْسِهِ ، وَنَادَى مُوسَى بِصَوْتِ نَفْسِهِ ؛ كَمَا ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ . وَصَوْتُ الْعَبْدِ لَيْسَ هُوَ صَوْتُ الرَّبِّ ، وَلَا مِثْلُ صَوْتِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ : لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ . وَقَدْ نَصَّ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ أَحْمَد وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُنَادِي بِصَوْتِ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ تَكَلَّمَ بِهِ بِحَرْفِ وَصَوْتٍ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ كَلَاماً لِغَيْرِهِ ، لَا جِبْرِيلَ وَلَا غَيْرِهِ . وَأَنَّ الْعِبَادَ يَقْرَءُونَهُ بِأَصْوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٦) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٨) .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ١١) ، مجموع الفتاوى (٦/ ١٥٤) ، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٩٤) ، (٥/ ١٦٠) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٨) ، شرح حديث النزول (ص٦١) .

، فَالصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ مِنْ الْعَبْدِ صَوْتُ الْقَارِئِ ، وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِئِ . وَكَثِيرٌ مِنْ الْخَائِضِينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ صَوْتِ الْعَبْدِ وَصَوْتِ الرَّبِّ ... " (١) .

وقال إمامهم حافظ الحكمي (١٣٧٧هـ) : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... فَيَضَعُ اللهُ كُرْسِيَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ مِنْ أَرْضِهِ ثُمَّ يَهْتِفُ بِصَوْتِهِ فَيَقُولُ ... " (٢) .

وقال المدعو محمَّد خليل هرَّاس في تعليقه على كتاب التَّوحيد لابن خزيمة : " وأنَّ كلامه حروف وأصوات ، يسمعها من يشاء من خلقه " (٣) .

وقال الشَّيخ ابن عثيمين : " ... في هذا إثبات القول لله وأنَّه بحرف وصوت ؛ لأنَّ أصل القول لا بدَّ أن يكون بصوت ، ولو كان قولاً بالنَّفس لقيَّده الله كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة:٨] ، فإذا أطلق القول فلا بدَّ أن يكون بصوت " (٤) .

مع العلم أنَّ نسبة الصَّوت لله تعالى لم تأت لا في القرآن ، ولا في أيِّ حديث صحيح ... (٥) .

ثَالِثَاً : أَنَّ الْيَهُوْدَ يُثْبِتُوْنَ لله النُّزُوْلَ بِمَعْنَى النُّقْلَة وَالحَرَكَة ...

فقد جاء في (سفر التَّكوين ٣: ٨) : وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.

وجاء في (سفر التَّكوين ١١: ٥) : فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا .

وجاء في (سفر الخروج ١٣: ٢١) : وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً.

وعلى سَنَن اليهود في إثبات الحركة والنُّقلة لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى الحركة التي تعني الانتقال من مكان إلى مكان ... وما هومسطَّر في هذا الكتاب من أقوالهم يثبت ذلك ...

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٤-٥٨٥) .

(٢) انظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/ ٨٠٣) .

(٣) انظر : هامش كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (ص١٣٨) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ٢١٢) .

(٥) انظر الأحاديث التي يستشهدون بها على إثبات الصوت لله تعالى والكلام عليها في كتاب : " إتحاف الكائنات " لمحمود خطاب السبكي " (ص٥٠ فما بعدها) ، بتحقيقنا .

رَابِعَاً : أَنَّ اليَهود يُثْبِتُوْنَ القُعُوْدَ وَالجُلُوْسَ لله تَعَالَى ...

فقد جاء في (سفر أخبار الأيام الثاني ١٨ : ١٨) : وَقَالَ: «فَاسْمَعْ إِذًا كَلاَمَ الرَّبِّ. قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّماء وُقُوفٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ.

وجاء في (سفر المزامير ٤٧: ٨) اللهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات القعود الجلوس لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى ما يسمُّنه بصفة الجلوس ...

قال إمامهم عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ رَجَاءٍ أبنا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ خَلِيفَةَ قَالَ: "أَتَتِ امْرَأَةٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: ادْعُ اللهَّ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَعَظَّمَ الرَّبَ. فَقَالَ: إِنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَمَا يَفْضَلُ مِنْهُ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، وَمَدَّ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ ، وَإِن لَهُ أطيطًا الرحل الْجَدِيد إِذْ رَكبه من يثقله" (١) .

ومن المعلوم أنَّ ابن تيمية كان يوصي بقراءة كُتُب عثمان بن سعيد الدَّارمي (٢٨٠هـ) ، ويقول بأنَّ فيها منْ تَقْرِيرِ التَّوحيد ما ليسَ في غيرها ، قال الإمام ابن قيِّم الجوزية (٧٥١هـ) ، تلميذ ابن تيمية : " وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهَّ يُوصِي بِهَذَيْنَ الْكِتَابَيْنِ – أي : كتابَيْ عثمان بن سعيد الدَّارمي : الرَّدّ على الجهميَّة ، وكتاب الرَّدّ على بشر المريسي - أَشَدَّ الْوَصِيَّةِ وَيُعَظِّمُهُمَا جِدّاً ، وَفِيهِمَا مِنْ تَقْرِيرِ التَّوحيد وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ بِالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِمَا !!! " (٢) .

خَامِسَاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إِلى الله تَعَالَى الوَجْهَ بِمَعْنَى الجَارِحَة ...

فقد جاء في (سفر التكوين الإصحاح ٣٢ رقم ٣١) : وسمَّى يعقوبُ ذلِكَ المَوضِعَ فنوئيلَ، وَقَالَ: لأَنِّي رأيتُ اللهَ وَجهًا إلى وَجهٍ ونَجَوْتُ بِحَيَاتي.

وجاء في (سفر التكوين الإصحاح ٣٣ رقم ١٠) : رأيتُ وجهَكَ فكأَنِّي رأيتُ وجهَ الله .

وجاء في (سفر التثنيه الاصحاح ٥ رقم ٤) : وجهًا إلى وجهٍ كلَّمَكُمُ الرّبُّ في الجبَلِ مِنْ وسَطِ النَّارِ ...

وجاء في (سفر المزامير الإصحاح ٣١ رقم ١٧) : أَنِرْ بوجهِكَ على عبدِكَ .

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التَّوحيد (١/ ٤٢٥-٤٢٦) .

(٢) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١) .

وجاء في (سفر المزامير الإصحاح ٤٤ رقم ٤) : بل بيمينِكَ وساعِدِكَ ونورِ وجهِكَ .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات الوجه لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى الوجه بمعنى الجارحة ...

قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) : ﴿ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] نَفْسُهُ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ، وَأَجْمَلُ الْوُجُوهِ وَأَنْوَرُ الْوُجُوهِ، الْمَوْصُوفُ بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الصِّفَةَ غَيْرُ وَجْهِهِ، وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْهُ غَيْرُ الْيَدَيْنِ، وَالْيَدَيْنِ مِنْهُ غَيْرِ الْوَجْهِ عَلَى رَغْمِ الزَّنَادِقَةِ والجهمية " (١) .

وقال الإمام ابن تيمية : " بَلْ إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْمَعْرِفَةِ وَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنْ الْكُلَّابِيَة والكَرَّامِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ للهَّ صِفَةَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ الْأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ أَنَّ هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَالَ: أَنَّه بِهِ يَقُولُ. فَقَالَ فِي جُمْلَةِ مَقَالَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: " جُمْلَةُ مَقَالَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ: الْإِقْرَارُ بِكَذَا وَكَذَا وَأَنَّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ، وَكَمَا قَالَ: ﴿ بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ ﴾ [المائدة:٦٤] ، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنا ﴾ [القمر:١٤] ، وَأَنَّ لَــهُ وَجْهًا كَمَا قَالَ: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ ﴾ [الرحمن:٢٧] (٢) .

وقال الشَّيخ ابن عثيمين : " والوجه: معناه معلوم، لكن كيفيَّته مجهولة، لا نعلم كيف وجه الله عزَّ وجلَّ ، كسائر صفاته، لكنَّنا نؤمن بأنَّ له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام، وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنُّور العظيم " (٣) .

وقال الشَّيخ ابن عثيمين أيضاً : " وأجمع السَّلف على إثبات الوجه لله تعالى فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله " (٤) .

---

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التَّوحيد (٢/ ٧٠٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٨٣) .

(٤) انظر : تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص٤٨) .

وقال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي : " ... قال فيأتون إلى الرَّحمن الرَّحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه فإذا رأوه قالوا : اللهمَّ أنت السَّلام ومنك السَّلام وحقَّ لك الجلال والإكرام " (١) ...

سَادِسَاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إِلى الله تَعَالَى الفَم ...

فقد جاء في (سفر أيوب ٣٧: ٢) : اسْمَعُوا سَمَاعًا رَعْدَ صَوْتِهِ وَالزَّمْزَمَةَ الْخَارِجَةَ مِنْ فِيْهِ .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات الفَم لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى الفَم ...

قال إمامهم أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) : " قَرَأْتُ عَلَى أَبِي الْيَمَانِ ، قُلْتُ : أُخْبِرُكُمْ شُعَيْبٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، أَنَّه أَخْبَرَهُ جَزْءُ بْنُ جَابِرٍ الْخَثْعَمِيُّ ، أَنَّه سَمِعَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ !!! يَقُولُ : " لَمَّا كَلَّمَ اللهُّ مُوسَى بِالْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا قَبْلَ لِسَانِهِ ، طَفِقَ مُوسَى يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، مَا أَفْقَهُ هَذَا ، حَتَّى كَلَّمَهُ آخِرَ الْأَلْسِنَةِ بِلِسَانِهِ بِمِثْلِ صَوْتِهِ ، يَعْنِي بِمِثْلِ لِسَانِ مُوسَى ، وَبِمِثْلِ صَوْتِ مُوسَى ... فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ قَدْ رُوِيَتْ ، وَأَكْثَرُ ، مِنْهَا مَا يُشْبِهُهَا ، كُلُّهَا مُوَافِقَةٌ لِكِتَابِ اللهَّ فِي الْإِيمَانِ بِكَلَامِ اللهَّ " (٢) .

وقال أيضاً : " وَأُخْرَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ شَيْئاً يُرَى ويحس إِلَّا بِلِسَانٍ مُتَكَلِّمٍ بِهِ " .

وقال أيضاً : " وَهُوَ يَعْلَمُ الْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مِنْهَا: إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَإِنْ شَاءَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَإِن شَاءَ بالسُّرْيَانيَّة " (٣) .

وقال أيضاً : " قَرَأْتُ عَلَى أَبِي الْيَمَانِ، قُلْتُ: أُخْبِرُكُمْ شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، أَنَّه أَخْبَرَهُ جَزْءُ بْنُ جَابِرٍ الْخَثْعَمِيُّ، أَنَّه سَمِعَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ، يَقُولُ: " لَمَّا كَلَّمَ اللهُّ مُوسَى بِالْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا قَبْلَ لِسَانِهِ، طَفِقَ مُوسَى يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، مَا أَفْقَهُ هَذَا، حَتَّى كَلَّمَهُ آخِرَ الْأَلْسِنَةِ بِلِسَانِهِ بِمِثْلِ صَوْتِهِ، يَعْنِي بِمِثْلِ لِسَانِ مُوسَى، وَبِمِثْلِ صَوْتِ مُوسَى ... قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللهُّ: فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ قَدْ رُوِيَتْ، وَأَكْثَرُ، مِنْهَا مَا يُشْبِهُهَا، كُلُّهَا مُوَافِقَةٌ لِكِتَابِ اللهَّ فِي الْإِيمَانِ بِكَلَامِ اللهَّ، وَلَوْلَا مَا اخْتَرَعَ هَؤُلَاءِ الزَّائِغَةُ مِنْ هَذِهِ الْأُغْلُوطَاتِ وَالْمَعَانِي يَرُدُّونَ بِهَا صِفَاتِ اللهَّ، وَيُبَدِّلُونَ بِهَا كَلَامَهُ، لَكَانَ مَا

(١) انظر : كتاب التَّوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص١٨٧) .

(٢) انظر : الرد على الجهمية (ص١٧٨-١٧٩) .

(٣) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التَّوحيد (١/ ٥٦٦) .

ذَكَرَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ كَافِيًا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ، مَعَ أَنَّه كَمَيْلٍ شَافٍ إِلَّا لِمُتَأَوِّلِ ضَلَالٍ، أَوْ مُتَّبِعِ رِيبَةٍ، فَحِينَ رَأَيْنَا ذَلِكَ أَلَّفْنَا هَذِهِ الْآثَارِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، لِيَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَّةِ لَمْ يَزَالُوا يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَعْرِفُونَ لَهُ تَأْوِيلًا غَيْرَ مَا يُتْلَى مِنْ ظَاهِرِهِ أَنَّه كَلَامُ الرَّحمنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى نَبَغَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اقْتَرَبُوا لَرَدِّ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْطِيلِ كَلَامِهِ وَصِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ بِهَذِهِ الْأُغْلُوطَاتِ " (١) .

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى الفرَّاء ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾ [النساء: ١٦٤] ، من فِيْه ، وناوله التَّوراة من يده إلى يده " (٢) .

وقال أيضاً : " حديث آخر : رَوَاهُ أَبُو بكر أحمد بْن سلمان النجاد فِي السنَّة، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْن أحمد قَالَ: نا معمر، قَالَ: نا وكيع، عَن مُوسَى بْن عبيد، عَن محمَّد بْن كعب، قَالَ: كأنَّ النَّاس إِذَا سمعوا القرآن من فِيْ الرَّحمن عزَّ وجلَّ يوم القيامة، فكأنَّهم لَمْ يسمعوه قبل ذلك .

وناه أَبُو محمَّد الحسن بْن محمد، قَالَ: نا عمر بْن أحمد بْن عثمان، قَالَ: نا محمَّد بْن هارون بْن حميد، قَالَ: نا عثمان بْن أَبِي شيبة، قَالَ: نا وكيع، قَالَ: نا مُوسَى بْن عبيدة، قَالَ: سمعت محمَّد بْن كعب القرظي يقول: إِذَا سمع القرآن من فِيْ الرَّحمن فِي القيامة فكأنَّهم لَمْ يسمعوه قبل ذلك .

ونا أَبُو القسم عبد العزيز بِإِسْنَادِهِ، عَن أَبِي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كأنَّ الخلق لَمْ يسمعوا القرآن حين سمعوه من فِيْهِ يوم القيامة " اعلم أنَّه غير ممتنع إطلاق الفيْ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا لَمْ يمتنع إطلاق اليد والوجه والعين .

وقد نصَّ أحمد عَلَى ذلك فِي رسالة أَبِي العبَّاس أحمد بْن جعفر الفارسي فَقَالَ: كلَّم اللهَّ مُوسَى تكليماً من فِيْهِ ، فإن قِيلَ: هَذَا الحديث ضعيف يرويه مُوسَى بْن عبيدة، وَقَالَ يَحْيَى بْن سعيد القطان: مُوسَى بْن عبيدة ضعيف ، قيل: هَذَا غلط، لأَنَّ مُوسَى بْن عبيدة رجل من أهل الرّبذة لا بأس به، وقد روي عَنْهُ وكيع وَهُوَ من أئمَّة أصحاب الحديث وأمَّا محمَّد بْن كعب: فهو من علماء التَّابعين بالتَّفسير والفتيا، وأبوه كعب بْن سليمان من الصَّحابة فإن قِيلَ: فنتأوَّل قوله: " من فِيْ الرَّحمن " معناه من الرَّحمن قيل: هَذَا غلط، لأنَّه يتضمَّن حذف صفة قد ورد الخبر بها، وعلى أنَّه إن جاز هَذَا التَّأويل وجب مثله فِي قوله : ﴿ خَلَقْتُ

---

(١) انظر : الرد على الجهمية (١/ ٥٤٦) ، (ص١٧٨-١٧٩) بالترتيب .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٢٩) .

بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] معناه بذاتي ويكون ذكر اليد زائد، وكذلك قوله: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ ﴾ [الرحمن:٢٧] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] المراد به: ذاته، وليس المراد به الوجه الَّذِي هُوَ صفة، ولما لَمْ يجز هَذَا هناك كذلك ها هنا، ولأن هَذَا يؤدِّي إلى جواز القول بأنَّ لله فِيْ ، وأنَّه يجوز أن يدعى فيقال: يَا فِيْ اغفر لنا، وَهَذَا لا يجوز، فامتنع أَنْ يَكُونَ المراد بالفِيْ الذَّات، لأنَّه لا يجوز وصفه ودعاءه بذلك " (١) ...

سَابِعَاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إِلى الله تَعَالَى القَدَمَ التِي بِهَا يَتَحَرَّك ...

فقد جاء في (سفر الخروج ١٣: ٢١) : وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ .

وجاء في (سفر التكوين ٣: ٨) : وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات القَدم لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى القَدم ...

قال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) : " والله عزَّ وجلَّ على العرش والكرسي موضع قدميه ، وهو يعلم ما في السَّموات والأرضين السَّبع وما بينهما وما تحت الثَّرى " (٢) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " والسَّماوات والأرض كلّها بالنِّسبة للكرسي موضع القدمين كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض " (٣) .

وقال أيضاً : " ونؤمن بأنَّ لله تعالى عينين اثنتين حقيقيَّتين لقوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا ﴾ [هود:٣٧] " (٤) .

وقال أيضاً : " الكرسي موضع قدمي الرَّحمن سبحانه وتعالى وعظمته ، كما جاء في الحديث : «ما السَّماوات السَّبع والأرضون السَّبع بالنِّسبة إلى الكرسي إلَّا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإنَّ فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» .

---

(١) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ٣٨٧-٣٨٩) .

(٢) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٢٨) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١٦٦) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٢٣٤) .

وهذا يدلُّ على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، والكرسي غير العرش؛ لأنَّ الكرسي موضع القدمين " (١) ...

ثامِناً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبْوْنَ إلى الله تَعَالَى اليَدَ وَالقَبْضَةَ وَاليَمِيْنَ وَالكَفَّيْن ...

فقد جاء في (سفر الخروج ١٥: ١٦) : تَقَعُ عَلَيْهِمِ الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ. بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَا رَبُّ. حَتَّى يَعْبُرَ الشَّعْبُ الَّذِي اقْتَنَيْتَهُ.

وجاء في (سفر الخروج ١٥: ٦) : يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ.

وجاء في (سفر إشعياء ٢٥: ١٠) : لأَنَّ يَدَ الرَّبِّ تَسْتَقِرُّ عَلَى هذَا الْجَبَلِ، وَيُدَاسُ مُوآبُ فِي مَكَانِهِ كَمَا يُدَاسُ التِّبْنُ فِي مَاءِ الْمَزْبَلَةِ.

وجاء في (سفر أيوب ٣٦: ٣٢) : يُغَطِّي كَفَّيْهِ بِالنُّورِ، وَيَأْمُرُهُ عَلَى الْعَدُوِّ.

وجاء في (سفر مزامير الإصحاح "٤٤" الرقم ٢-٣) : أَنْتَ بِيَدِكَ اسْتَأْصَلْتَ الأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ .

وعلى سَنَن اليهود في إثبات الجوارح والأعضاء لله تعالى ... سار المتمسلفة ، فأثبتوا لله تعالى اليد بمعنى الجارحة ...

قال إمامهم أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) : " وَيَدَ اللهَّ غَيْرُ آدَمَ فَأَكَّدَ اللهُّ لِآدَمَ الْفَضِيلَةَ الَّتِي كَرَّمَهُ وَشَرَّفَهُ بِهَا، وَآثَرَهُ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ إِذْ كُلُّ عِبَادِهِ، خَلَقَهُمْ بِغَيْرِ مَسِيسٍ بِيَدٍ، وَخَلَقَ آدَمَ بِمَسِيسٍ " .

وقال أيضاً : " وَقَدْ قُلْنَا: يَكْفِينَا فِي مَسِّ اللهَّ آدَمَ بِيَدِهِ " .

وقال أيضاً : " يَعْنِي أَنَّ اللهَّ بِخِلَافِهِمْ، لَهُ يَد يبطش بهَا، وَعين يبصر بِهَا، وَسَمْعٌ يَسْمَعُ بِهِ " .

وقال أيضاً : " فيُقَال لِهَذَا الثَّلْجِيِّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَنْفِيَ عَن الله بِهَذِهِ الضَّلالات يَدَيْهِ اللَّتَيْنِ خَلَقَ بِهِمَا آدَمَ وَيْلَكَ أَيُّهَا الثَّلْجِيُّ! إِنَّ تَفْسِيرَهُ عَلَى خِلَافِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ لَيْسَ بِيَدِ اللهَّ نَفْسِهِ، وَأَنَّ يَمِينَ اللهَّ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ غَيْرُ بَائِنٍ مِنْهُ " (٢) .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٤/ ٢٦٧) .

(٢) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التَّوحيد (١/ ٢٣٢) ، (١/ ٢٩١) ، (١/ ٣٠٦) ، (٢/ ٦٩٥) بالترتيب .

وجاء في مجموع فتاوى ابن تيمية منسوباً للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَيَأْخُذُ رَبُّك بِيَدِهِ غَرْفَةً مِنْ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ قِبَلَكُمْ فَلَعَمْرُ إلَهِك مَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ مِنْهَا قَطْرَةٌ " (١) .

وقال المدعو محمَّد خليل هرَّاس في تعليقه على كتاب التَّوحيد لابن خزيمة : " فإنَّ القبض إنَّما يكون باليد الحقيقيَّة لا بالنِّعمة ، فإن قالوا : إنَّ الباء هنا للسَّببيَّة أي بسبب إرادته الإنعام ، قلنا لهم: بماذا قبض؟ فإنَّ القبض محتاج إلى آلة ، فلا مناص لهم لوأنصفوا من أنفسهم إلَّا أن يعترفوا بثبوت ما صرَّح به الكتاب والسُّنَّة " (٢) .

وقال أيضاً " وهذه الآية صريحة في إثبات اليد ، فإنَّ الله يُخبر فيها أنَّ يده تكون فوق أيدي المبايعين لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا شكَّ أنَّ المبايعة إنَّما تكون بالأيدي لا بالنِّعم ولا بالقدر" (٣) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين : " وعلى كلٍّ فإنَّ يديه سبحانه اثنتان بلا شكٍّ ، وكلٌّ واحدة غير الأخرى ، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشِّمال فليس المراد أنَّها أنقص من اليد اليمنى بل كلتا يديه يمين " (٤) ...

تَاسِعَاً : أَنَّ اليَهُوْدَ يَنْسُبُوْنَ إِلى الله تَعَالَى المَكَانَ وَالحَدَّ وَالتَّحَيُّزَ ...

فقد جاء في (سفر التكوين ١٨ : ١) : وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ .

وجاء في (سفر زكريا ٢: ١٣) : اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّه قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ».

وجاء في (سفر المزامير ٢: ٤) : اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ...

وعلى سَنَن اليهود في إثبات المكان لله تعالى سار المتمسلفة ...

قال إمامهم أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدَّارمي السِّجستاني (٢٨٠هـ) : " وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ أَنَّ اللهَّ فِي السَّمَاءِ، وَحَدُّوهُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَرِيسِيَّ الضَّالَّ وَأَصْحَابَهُ،

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ١٨٤) .

(٢) انظر : هامش كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (ص٦٤) .

(٣) انظر : هامش كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (١/ ١٦٥) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١٦٥) .

حَتَّى الصِّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِي شَيْء يرفع يَدَيْهِ إِلى رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّماء دُونَ مَا سِوَاهَا، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللَّهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ " .

وقال أيضاً : " ... بَلْ هُوَ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي أَعْلَى مَكَانٍ وَأَطْهَرِ مَكَانٍ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾ [الأنعام:١٨] ، يَعْلَمُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، يُدَبِّرُ مِنْهُ الْأَمر " .

وقال أيضاً : " ... وَيحك! هَذَا الْمَذْهَب أَنْزَهُ للهِ مِنَ السُّوءِ أَمْ مَذْهَبُ مَنْ يَقُولُ: فَهُوَ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَبَهَائِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوق سمواته، وَفَوق جَمِيع الْخَلَائِقِ فِي أَعْلَى مَكَانٍ، وَأَطْهَرِ مَكَانٍ، حَيْثُ لَا خَلْقَ هُنَاكَ مِنْ إِنْسٍ وَلَا جَانٍّ " .

وقال أيضاً : " لِأَنَّا قد أَيَّنَا لَهُ مَكَانا وَاحِدًا، أَعْلَى مَكَانٍ، وَأَطْهَرَ مَكَانٍ وَأَشْرَف مَكَانٍ: عَلَى عَرْشِهِ الْعَظِيمِ الْمُقَدَّسِ الْمَجِيدِ، فَوْقَ السَّماء السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، حَيْثُ لَيْسَ مَعَهُ هُنَاكَ إِنْسٌ وَلَا جَان وَلَا بجنبيه حُشٌّ وَلَا مِرْحَاضٌ وَلَا شَيْطَانٌ " .

وقال أيضاً : " وَأَمَّا قَوْلُكَ: غَيْرُ بَائِنٍ بِاعْتِزَالٍ، وَلَا بِفُرْجَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَقَدْ كَذَبْتَ فِيهِ وَضَلَلْت ، عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، بَلْ هُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ بِفُرْجَةٍ بَيِّنَةٍ. وَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ مَا هُمْ عَامِلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ كَمَا أَنْبَأَنَا اللهُ تَعَالَى وَرَسُوله وَأَصْحَاب رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال أيضاً : " وَإِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى عَرْشٍ مَخْلُوقٍ عَظِيمٍ فَوْقَ السَّماء السَّابِعَة دون مَا سواهَا مِنَ الْأَمَاكِنِ. مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِذَلِكَ كَانَ كَافِرًا بِهِ وَبِعَرْشِهِ " .

وقال أيضاً : " فَيُقَالُ لِهَذَا الْمُعَارِضِ الْمُدَّعِي مَا لَا عِلْمَ لَهُ: مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ رَأْس الْجَبَلِ لَيْس بِأَقْرَبَ إِلى اللهِ تَعَالَى مِنْ أَسْفَلِهِ؟؛ لأَنَّه مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ رَأْس الْجَبَلِ أَقْرَبُ إِلى اللهَّ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَأَنَّ السَّماء السَّابِعَةَ أَقْرَبُ إِلى عَرْشِ اللهِ تَعَالَى مِنَ السَّادِسَةِ، وَالسَّادِسَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَامِسَةِ، ثمَّ كَذَلِكَ إِلى الْأَرْضِ. كَذَلِكَ رَوَى إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّه قَالَ:

"رَأْسُ الْمَنَارَةِ أَقْرَبُ إلى اللهَّ مِنْ أَسْفَلِهِ وَصَدَقَ ابْنُ الْمُبَارَكِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ إلى السَّماء أَقْرَبُ كَانَ إلى اللهَّ أَقْرَبَ " (١) .

وقال أيضاً : " إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ يَفْتَحُ الذِّكْرَ، فَيَنْظُرُ اللهُّ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَرَهْ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ، وَيَثْبُتُ مَا يَشَاءُ، ثمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ دَارُهُ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلَا يَسْكُنُهَا مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرُ ثَلَاثَةٍ: النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، ثمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ " (٢) ، ونسبه للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال الإمام ابن تيمية : " وَفِي " الْإِنْجِيلِ " أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَا تَحْلِفُوا بِالسَّمَاءِ فَإِنَّهَا كُرْسِيُّ اللهَّ. وَقَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ: إنْ أَنْتُمْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ فَإِنَّ أَبَاكُمْ - الَّذِي فِي السَّماء - يَغْفِرُ لَكُمْ كُلِّكُمْ أُنْظُرُوا إلَى طَيْرِ السَّمَاءِ: فَإِنَّهُنَّ لَا يَزْرَعْنَ وَلَا يَحْصُدْنَ وَلَا يَجْمَعْنَ فِي الْأَهْوَاءِ وَأَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّماء هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ أَفَلَسْتُمْ أَفْضَلَ مِنْهُنَّ؟ (٣) .

وجاء في كتاب " قرَّة عيون الموحِّدين : " وقال أبو عمر الطَّلمنكي في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة على أنَّ الله مستو على عرشه بذاته . ذكره الذَّهبي في كتاب العلو " (٤) .

وجاء في معارج القبول : " يَهْبِطُ الرَّبُّ تَعَالَى مِنَ السَّماء السَّابِعَةِ إلى الْمَقَامِ الَّذِي هُوَ قَائِمُهُ " (٥) ، ونسبه للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

ونواصل الكلام عمَّا قاله علماء الإسلام عن الإتيان المُضاف إلى الله تعالى ...

---

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التَّوحيد (١/ ٢٢٨) ، (١/ ٤٤٧) ، (١/ ٤٥٠) ، (١/ ٤٩٣) ، (١/ ٤٤١) ، (١/ ٤٤٢) ، (١/ ٥٠٤) بالترتيب .

(٢) انظر : الرد على الجهمية (ص٧٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٦) .

(٤) انظر : قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (٤٧٩) .

(٥) انظر : معارج القبول (١/ ٣٠٤)

قال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُ الله " (١) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) : " وأجمعوا أنَّه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا ، لعرض الأمم ، وحسابها ، وعقابها ، وثوابها ، فيغفر لمن يشاء من المؤمنين ، ويعذِّب منهم من يشاء كما قال ، وليس مجيئه بحركة ولا انتقال " (٢) .

فالإمام ابن القطَّان يؤكِّد على أنَّ نزول الله تعالى ومجيئه لا يكون بحركة ولا انتقال ، وهذا هو معتقد ودين الأمَّة سلفاً وخلفاً في هذه المسألة ...

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن سالم المعروف بسيف الدِّين الآمدي (٦٣١هـ) : " ... وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : عذابُ الله في ظُلل من الغمام ، بطريق حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه . وإنَّما خصَّصه بالظُّلل من الغمام ، لأنَّ أكثر العقوبات كانت يتقدَّمها ظُلل من الغمام ، كما نقل " (٣) .

وقال الإمام الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ (٦٣٨هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وإتيان الله في محل الايمان أمرٌ مُبهم (٤) لا يناله علم العالمين ، ويقف دونه إيمان المؤمنين ، لا يأخذونه بكيْف ، ولا يتوهَّمونه بوهم ، وإتيان الله في أوائل فهم الفاهمين ، بدوُّ أمره ... " (٥) .

---

(١) انظر : جامع الأصول في أحاديث الرَّسول (٤/ ١٦) .

(٢) انظر : الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٤٤) .

(٣) انظر : أبكار الأفكار في أصول الدِّين (١/ ٤٨٠) .

(٤) المُبْهم مَا يصعب على الحاسة إِدْرَاكه إِن كَانَ محسوسا وعَلى الْفَهم إِن كَانَ معقولا وَمن الْأَشْيَاء الخَالِص الَّذِي لَا شية فِيهِ تميزه وَمن الْأَجْسَام المصمت وَمن الْكَلَام الغامض لَا يتحدد الْمَقْصُود مِنْهُ . انظر : المعجم الوسيط (١/ ٧٤) .

(٥) انظر : تراث أبي الحسن الحَرَالِّي المراكشي في التفسير (١/ ٣٧٧) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١ هـ) : " قال أبو العالية والرَّبيع : تأتيهم الملائكة في ظُلل من الغمام ، ويأتيهم الله فيما شاء . وقال الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : التَّقدير في ظُلل من الغمام ومن الملائكة . وقيل : ليس الكلام على ظاهره في حقِّه سبحانه ، وإنَّما المعنى : يأتيهم أمرُ الله وحكمه . وقيل : أي : بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظُلل ، مثل : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، أي : بخذلانه إيَّاهم ، هذا قول الزَّجَّاج (٣١٠هـ) ، والأوَّل قول الأخفش سعيد . وقد يُحتمل أن يكون معنى الإتيان راجعاً إلى الجزاء ، فسمَّى الجزاء إتياناً كما سمَّى التَّخويف والتَّعذيب في قصَّة نمروذ إتياناً ، فقال : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] . وقال في قصَّة النَّضير ﴿ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] ، وقال : ﴿ وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . وإنَّما احتمل الإتيان هذه المعاني لأنَّ أصل الإتيان عند أهل اللغة هو القصد إلى الشَّيء ، فمعنى الآية : هل ينظرون إلَّا أن يظهر الله تعالى فعلاً من الأفعال مع خلق من خلقه يقصد إلى مجازاتهم ، ويقضي في أمرهم ما هو قاض ، وكما أنَّه سبحانه أحدث فعلاً سمَّاه نزولاً واستواء ، كذلك يحدث فعلاً يُسمِّيه إتياناً ، وأفعاله بلا آلة ولا علَّة ، سبحانه ! وقال ابن عبَّاس في رواية أبي صالح (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) : هذا من المكتوم الذي لا يُفسَّر . وقد سكت بعضهم عن تأويلها ، وتأوَّلها بعضهم كما ذكرنا . وقيل : الفاء بمعنى الباء ، أي : يأتيهم بظلل ، ومنه الحديث : " يأتيهم الله في صورة " ، أي : بصورة ، امتحاناً لهم ، ولا يجوز أن يُحمل هذا وما أشبهه ممَّا جاء في القرآن والخبر على وجه الانتقال والحركة والزَّوال ، لأنَّ ذلك من صفات الأجرام والأجسام ، تعالى الله الكبير المتعال ، ذو الجلال والإكرام عن مماثلة الأجسام عُلوَّاً كبيراً " (١) .

وقال الإمام القرطبي أيضاً : " قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، معناه : أقمت عليهم الحجَّة ، وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا ، فماذا ينتظرون ؟ ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٥-٢٦) .

[الأنعام: ١٥٨] ، أي : عند الموت لقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) ، والضَّحَّاك (١٠٢هـ) : أمرُ ربِّك فيهم بالقتل أو غيره ، وقد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] ، يعني : أهل القرية . وقول : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣] ، أي : حبَّ العجل . كذلك هنا : يأتي أمرُ ربِّك ، أي : عقوبة ربِّك ، وعذاب ربِّك . ويقال : هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله . وقد تقدَّم القول في مثله " البقرة " وغيرها " (١) .

وقال الإمام القرطبي أيضاً : " ... وَاللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يُوصَفُ بِالتَّحَوُّلِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَأَنَّى لَهُ التَّحَوُّلُ وَالِانْتِقَالُ ، وَلَا مَكَانَ لَهُ وَلَا أَوَانَ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ ، لِأَنَّ فِي جَرَيَانِ الْوَقْتِ عَلَى الشَّيء فَوْتُ الْأَوْقَاتِ ، وَمَنْ فاته شيء ، فَهُوَ عَاجِزٌ " (٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقُرافي (٦٨٤هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، وَالْمَجِيءِ فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَالْوَجْهِ فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرَّحمن: ٢٧] ، وَالْيَدِ فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ يَدُ اللهَّ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] ، والنُّزول فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ " يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " وَالصُّورَةِ فِي حَدِيثِهِمَا أَيْضاً " إِنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " ، فَهَذَا يَجُوزُ إطْلَاقُهُ عَلَى اللهَّ تَعَالَى ، لَكِنْ إمَّا مَعَ التَّأْويل التَّفْصِيلِيِّ ، كَمَا هُوَ طَرِيقَةُ الْخَلَفِ ، بِأَنْ يُقَالَ : الْمُرَادُ بِالِاسْتِوَاءِ : الِاسْتِيلَاءُ وَالْمُلْكُ ، كَمَا قَالَ :

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ   مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

وَبِالْفَوْقِيَّةِ : التَّعَالِي فِي الْعَظَمَةِ دُونَ الْمَكَانِ ، وَبِالْإِتْيَانِ : إتْيَانُ رَسُولِ عَذَابِهِ أَوْ رَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ ، وَكَذَا النُّزول ، وَبِالْوَجْهِ : الذَّات أَوْ الْوُجُودُ ، وَبِالْيَدِ : الْقُدْرَةُ ، وَيَرْجِعُ ضَمِيرٌ عَلَى صُورَتِهِ إلَى الْأَخِ الْمُصَرِّحِ فِي الطَّرِيقِ الْأُخْرَى الَّتِي رَوَاهَا مُسْلِمٌ بِلَفْظِ : " إذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَتَجَنَّبْ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ " ، وَالْمُرَادُ بِالصُّورَةِ : الصِّفَةُ . وإِمَّا مَعَ التَّأْويل الْإِجْمَالِيِّ ، وَيُفَوَّضُ عِلْمُ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٤٤) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٥) .

النَّصِّ تَفْصِيلاً إِلَيْهِ تَعَالَى ، كَمَا هُوَ طَرِيقُ السَّلف ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ (١٧٩هـ) : لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْله تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾ [طه : ٥] : الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ (١) ،كَمَا فِي شَرْحِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ .

---

(١) الحق أنَّ ما ينسبه الكثيرون للإمام مالك (١٧٩هـ) في مسألة الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ... منحول موضوع على مالك ، وهو مرويٌّ كذلك عن ربيعة بن عبد الرَّحمن ، وأمِّ سلمة ، رضي الله عنها ، وهو كلام لم يثبت عنهم ، فقد قال أستاذنا الأستاذ المحقِّق المدقِّق حسَّان عبد المنان – حفظه الله – : " ليس لهذا إسناد يثبتُ وإليك تفصيله :

رواه اللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٦٦٤) ، وإسماعيل بن عبد الرَّحمن الصابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠–١١١) " من الرسائل المنيرية " ، وأبو نعيم في " الحلية " (٦/ ٣٢٥–٣٢٦) من طريق سلمة بن شبيب ، عن مهدي بن جعفر عن جعفر بن عبد الله ، عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) .

وتابعه الدارمي في " الرد على الجهمية " (ص٢٨٠) ، فقال : عن مهدي بن جعفر ، عن جعفر بن عبد الله ، عن رجلٍ قد سمّاه لي ، قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس (١٧٩هـ) ... وفي هذا الإسناد ثلاث عِلَلٍ :

رواية الدارمي المخالفة لرواية سلمة بن شبيب ، فزاد فيها رجلاً مجهولاً ، وجهالة جعفر بن عبد الله فإني لم أتبيَّنه ، وما عند الدَّارمي في روايته من توثيقه لا يُحسِّنُ أمرَه وحالَه ، وأمَّا مهدي بن جعفر ـ وهو الرَّملي ـ ففيه نظر ، إذ نقلوا أنَّ ابن عدي قال : يروي عن الثِّقات أشياء لا يُتابعُه عليها أحدٌ ، وهذا يُشعر بنكارة حديثه ، وهو ما حكم به البخاري ، فقال : حديثُه منكر . " التَّهذيب " .

ورواه ابن عبد البر في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) من طريق بقي بن مخلد ، حدَّثنا بكَّار بن عبد الله القرشي ، حدَّثنا مهدي بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، به . وفي هذه الرِّواية وهمٌ وتدليس ، كأنَّه من بكَّر بن عبد الله ، فقد أسقطَ مَنْ بينَ مهدي بن جعفر ومالك ، وقد بيَّنا ذلك في الرِّواية السَّابقة

ورواه إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني (١/ ١١٠) ، عن أبي الحسن بن إسحاق المدني ، حدَّثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشَّافعي ، حدَّثنا شاذان ، حدَّثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني ، حدَّثنا جعفر بن ميمون ، قال : سُئل مالك بن أنس ... وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فجعفر بن ميمون هو الأنماطي ، وهو ضعيف ، وشاذان وشيخُه لم أعثر لهما على ترجمة !!

ورواه البيهقي (٤٥٨هـ) في " الأسماء والصِّفات " (ص٤٠٨) ، عن أبي عبد الله ، أخبرني أحمد بن محمَّد بن إسماعيل بن مهران ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أبو الربيع ابن أخي رشدين بن سعد ، قال : سمعتُ عبد الله بن وهب ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس .. فذكره .

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ـ وإن جوَّد إسناده ابن حجر في " الفتح " (١٣ـ٤٠٧) ، فأبو الرَّبيع لم أعرفه ، وأحمد : لم أعثر له على ترجمة ، وأبوه مترجم في " اللسان " (٥/ ٨١–٨٢) ، وفيه نظرٌ وضعف في آخر ست سنوات من عمره .

ورواه البيهقي (ص٤٠٨) ، عن أبي بكر أحمد بن محمَّد بن الحارث الفقيه الأصفهاني ، أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن جعفر بن حيَّان المعروف بأبي الشَّيخ ، حدَّثنا أبو جعفر بن زيرك البزي ، سمعتُ محمَّد بن عمرو بن النَّضر النَّيسابوري ، يقول : سمعتُ يحيى بن يحيى ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس فجاء رجل ... فذكره .

وَالْقِسْمُ الثَّاني : مَا وَرَدَ نَظِيرُهُ فِي كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وَإِلَى مِثَالِهِ وَحُكْمِهِ أَشَارَ الْعَلَّامَةُ الْأَمِيرُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الشَّيخ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ ، بِقَوْلِهِ : وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَالَ جِسْمٌ كَالْأَجْسَامِ ، فَاسِقٌ ، وَلَا يُعَوَّلُ عَلَى اسْتِظْهَارِ بَعْضِ أَشْيَاخِنَا كُفْرَهُ كَيْفَ ، وَقَدْ صَحَّ : وَجْهٌ لَا كَالْوُجُوهِ ، وَيَدٌ لَا كَالْأَيْدِي ، نَعَمْ لَمْ تَرِدْ عِبَارَةُ جِسْمٍ فَلْيُتَأَمَّلْ اهـ بِلَفْظِهَا .

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فابنُ زيرك لم أجد له ترجمة ، ومحمَّد بن عمرو بن النَّضر ذكره ابن حجر في " نزهة الألباب " (٢/ ٩٢) ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وانظر " سير أعلام النُّبلاء " (٨/ ١٠٠-١٠١) .

ورواه ابن عبد البر في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) ، عن محمَّد بن مالك ، قال : حدَّثنا عبد الله بن يونس ، قال : حدَّثنا بقي بن مخلد ، قال : حدَّثنا أيُّوب بن صلاح المخزومي بالرَّملة ، قال : كُنَّا عند مالك إذ جاءَه عراقي ، فقال له ... فذكره .

كذا في المطبوع : " أيُّوب بن صلاح " ، وهو تحريف ، إنَّما هو أيُّوب بن صالح بن سلمة الحرَّاني المخزومي ، وهو ضعيف ، ضعَّفه ابن معين وغيرُه . انظر ترجمته في " اللسان " (١/ ٤٨٣-٤٨٤) .

وبهذا يتبيَّن لك خطأ الحافظ الذَّهبي في قوله في " العلو " (ص١٤١ مختصره) :

" هذا ثابت عن مالك " !! ومن ثمَّ خطأ كُلّ مَن سَلَّمَ بما نُسِبَ إلى الإمام مالك رحمه الله ، لأنَّ أسانيده لا تَقُومُ لذلك .

وقد يَرِدُ علينا أنَّ ذلك بمجموع هذه الطُّرق والأسانيد يصحُّ .

فنقولُ : إنَّ مثلَ هذه الأسانيد لا تتقوَّى ، وليس عجيباً أن تتكثَّرَ ، لأنَّ الفتنة في هذه المسألة قد انتشرت في ذاك الحين ، ونُسِبَ زوراً هذا القول إلى مالك وغيره ، فتناقلَه مجاهيلُ من النَّاس لا يُعرفون بصحيح علمٍ ، ولا توثيق ، فانتشرت لشائعاتها ، وإلاَّ فقُل لي بربِّكَ ـ : أين الثِّقات من تلامذة الإمام مالك ، وتلامذتهم عن مثل هذه الحادثة وهذا القول ؟!

وفي الباب ممَّا رُوِيَ بنحوِه :

١-قول أُم سلمة : رواه اللالكائي (٦٦٣) ، والصَّابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠) ، وابن قدامة في " العلو " (٨٢) ، وفي إسنادِه : محمَّد بن أشرس ، وهو متَّهم في الحديث ، وقد تركه غير واحد ، وقال شيخ الإسلام في " الفتاوى " (٥/ ٣٦٥) : وقد رُوِيَ هذا الجواب عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ، ولكن ليس إسناده ممَّا يُعتمد عليه .

٢- قول ربيعة شيخ الإمام مالك : رواه اللالكائي(٦٦٥) ، والبيهقي (ص٤٠٨-٤٠٩) ، وابن قدامة في " العلو " (٩٠) .. بأسانيد لا تصحُّ .

وعلى أيٍّ فالقضية تبقى رأياً من عالم ، غير ملزمٍ للنَّاس ، ولا قاطع للجدل والفهمِ ، ولا محدِّدٍ لفهمٍ واحدٍ ، بل لكُلٍّ مُتَّسع فيما يرى ... والله أعلم " اهـ . انظر : مجموعة رسائل محمَّد نسيب الرفاعي (ص٢٨-٢٩) .

فالكلام المنسوب لمالك ليس دقيقاً ولا صحيحاً ، لأنَّه اقتضى أنَّ لله تعالى كيفيَّة مجهولة ، وهو قول بالتَّجسيم ، قال الإمام المناوي : " الكيف هيئة قارَّة في الشَّيء ، لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاته ، وقال أبو البقاء : الكيفيَّة منسوبة إلى كيف ، وهي معرفة الحال ، لأنَّ كيف سؤال عن الحال ، كيف كلمة مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تُدرك بالحواس " . انظر : التوقيف على مهمات التعاريف ر(ص٦١٤) .

قُلْت : وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ الْقَائِلِ : أَنَّه تَعَالَى فِي مَكَان لَيْس كَمَكَانِ الْحَوَادِثِ ، لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ اسْتِوَاءٌ عَلَى الْعَرْشِ لَا كَالِاسْتِوَاءِ عَلَى السَّرِيرِ ، نَعَمْ لَمْ تَرِدْ عِبَارَةُ مَكَان ، بَلْ قَالَ إمَامُ الْحَرَمَيْنِ : حَدِيثُ " لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ " يُفِيدُ أَنَّه تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ الْمَكَانِ أَزَلاً ، إذْ لَوْلَا تَنَزُّهُهُ عَنْ الْجِهَةِ لَكَانَ محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي مِعْرَاجِهِ أَقْرَبَ مِنْ يُونُسَ فِي نُزُولِ الْحُوتِ بِهِ لِقَاعِ الْبَحْرِ ،كَمَا أَفَادَهُ الْأَمِيرُ فِي الْحَاشِيَة الْمَذْكُورَةِ ... " (١) .

فالإمام القرافي حكى طريق جمهور السَّلف وطريق جمهور الخلف في المتشابه ، وذكر أنَّ المراد بالإتيان – على طريق الخلف – إتْيَانُ رَسُولِ عَذَابِهِ أَوْ رَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ ، وَكَذَا النُّزول ...

وقال الإمام ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، استفهام في معنى النَّفي ، ولذلك جاء بعده : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : يأتيهم أمرُه أو بأسه ، كقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، ﴿ فَجاءَها بَأْسُنا ﴾ [الأعراف : ٤] ، أو يأتيهم الله ببأسه ، فحذف المأتي به للدّلالة عليه بقوله تعالى : ﴿ أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] (٢)

وقال الإمام البيضاوي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه بالعذاب ، أو كلّ آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلِّي " (٣) .

وقال الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي (٧٠١هـ) : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمر الله وبأسه ، كقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، ﴿ فَجاءَها بَأْسُنا ﴾ [الأعراف : ٤] ، أو المأتي به محذوف بمعنى : أن يأتيهم الله ببأسه للدّلالة عليه بقوله : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] (٤) .

---

(١) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٤/ ٢٩٥) .

(٢) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (١/ ١٣٤) .

(٣) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٢/ ١٩٠) .

(٤) انظر : تفسير النسفي (١/ ١١٤) .

وقال الإمام النَّسفي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُ ربِّك وهو العذاب أو القيامة ، وهذا لأنَّ الإتيان متشابه ، وإتيان أمره منصوص عليه محكم (١) ، فيردّ إليه " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرُّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) : " قولُه تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، والغَمام معروفٌ في كلام العرب ، إِلَّا أَنَّا لا ندْري كيف الغَمامُ الذي يأْتي الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة في ظُلَلٍ منه ، فنحن نُؤْمن به ، ولا نُكَيِّفُ صِفَتَه ، وكذلك سائرُ صِفاتِ الله عزَّ وجلَّ " (٣) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (٧٢٥هـ) : " قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : ينتظرون التَّاركون الدُّخول في السّلم والمتَّبعون خطوات الشَّيطان إلَّا أن يأتيهم الله في ظُلل ، جمع ظلَّة ، من الغمام ، يعني : السَّحاب الأبيض الرَّقيق ، سمِّي غماماً لأنَّهم يغم ويستر ، وقيل : هو شيء غير السَّحاب ، ولم يكن إلَّا لبني إسرائيل في تيههم ، وهو كهيئة الضَّباب الأبيض والملائكة ، أي : وتأتيهم الملائكة ...

واعلم أنَّ هذه الآية من آيات الصِّفات ، للعلماء في آيات الصِّفات وأحاديث الصِّفات مذهبان :

أحدهما : وهو مذهب سلف هذه الأمَّة وأعلام أهل السُّنَّة : الإيمان والتَّسليم لما جاء في آيات الصِّفات وأحاديث الصِّفات ، وأنَّه يجب علينا الإيمان بظاهرها ، ونؤمن بها كما جاءت ، ونكِل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع الإيمان ، والاعتقاد بأنَّ الله تعالى منزَّه عن سمات الحدوث ، وعن الحركة والسُّكون .

قال الكلبي : هذا من الذي لا يُفسَّر ، وقال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) : كلُّ ما وصف الله به نفسه في كتابه ، فتفسيره : قراءته ، والسُّكوت عليه ، ليس لأحدٍ أن يفسِّره إلَّا الله ورسوله .

---

(١) يقصد قوله تعالى : " أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ " [النحل :٣٣] .

(٢) انظر : تفسير النسفي (٢/ ٣٩) .

(٣) انظر : لسان العرب (٤/ ٣١١٨) .

وكان الزُّهري (١٢٤هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، ومالك (١٧٩هـ) ، وابن المبارك (١٨١هـ) ، وسفيان الثوري (١٦١هـ) ، والليث بن سعد (١٧٥هـ) ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) ، يقولون في هذه الآية وأمثالها : اقرؤوها كما جاءت ، بلا كيف ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ، هذا مذهب أهل السُّنَّة ، ومعتقد سلف الأمَّة ، وأنشد بعضهم في المعنى :

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته لا ذاته شيء عقيدة صائب

نسلم آيات الصِّفات بأسرها وأخبارها للظَّاهر المتقارب

ونؤيس عنها كُنه فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب المغالب

ونركب للتَّسليم سفناً فإنَّها لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثَّاني : وهو قول جمهور علماء المتكلِّمين ، وذلك أنَّه أجمع جميع المتكلِّمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النَّظر على أنَّه تعالى منزَّه عن المجيء والذَّهاب ، ويدلُّ على ذلك أنَّ كلّ ما يصحُّ عليه المجيء والذَّهاب ، لا ينفكُّ عن الحركة والسُّكون ، وهما محدثان ، وما لا ينفكُّ عن المحدث فهو محدث ، والله تعالى منزَّه عن ذلك ، فيستحيل ذلك في حقِّه تعالى ، فثبت بذلك أنَّ ظاهر الآية ليس مراداً ، فلا بدَّ من التَّأويل على سبيل التَّفصيل ، فعلى هذا قيل في معنى الآية : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ [البقرة :٢١٠] ، فيكون مجيء الآيات مجيئاً لله تعالى على سبيل التَّفخيم لشأن الآيات ، وقيل معناه : إلَّا أن يأتيهم أمر الله ، ووجه هذا التَّأويل أنَّ الله تعالى فسَّره في آية أخرى ، فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، فصار هذا الحكم مفسِّراً لهذا المجمل في هذه الآية .

وقيل : معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب ، فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم ، إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد ، وإذا لم يذكر كان أبلغ . وقيل : يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء ، لأنَّ بعض الحروف يقوم مقام بعض ، فيكون المعنى : هل ينظرون إلَّا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة ، والمراد : العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة . وقيل : معناه : ما ينظرون إلَّا أن يأتيهم قهر الله وعذابُه في ظُلل من الغمام " [١] .

---

[١] انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (١/ ١٩٧-١٩٨) .

وقال الإمام الخازن أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يعني : للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة ، وقد تقدَّم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بما فيه كفاية ، وإنَّ المجيء والذَّهاب على الله مُحالٌ ، فيجب إمرارها بلا تكييف " (١) .

وما ذكره الإمام الخازن في تفسير الإتيان المضاف إلى الله تعالى هو عَيْن ما ذكره مَنْ ذكرنا قوله سابقاً وما سنذكره لاحقاً من أهل العلم الذين يمثِّلون السَّواد الأعظم من علماء الأمَّة الذين ذكروا ما ذهب إليه جمهور السَّلف من السُّكوت وعدم الكلام فيها ، لأنَّها من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وتفسيرها قراءتها ، وكذا ما ذهب إليه جمهور الخلف من بيان معـــانيها التي لا تتصادم مع مطلق التَّنزيه وقواعد اللغة العربيَّة ...

وقال الإمام عبد العزيز بن أحمد بن محمَّد ، علاء الدِّين البخاري الحنفي (٧٣٠هـ) : " وَإِثْبَاتُ الْأَغْيَارِ فِي الْأَزَلِ مُنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ . وَمُجَوِّزُ الْحُدُوثِ فِي الصِّفات تَعَلَّقَ بِنَحْوِ قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ،﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْملائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وَالْبَاغِي احْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ ﴾ [الأنعام : ٥٧] ، ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خالِداً فِيها ﴾ [النساء : ١٤] ، ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها ﴾ [النساء : ٩٣] ، فَكَانَ هَذَا الْجَهْلُ دُونَ الْجَهْلِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَصْلُحُ عُذْراً فِي الْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّهُ ، أَيْ : هَذَا الْجَاهِلُ ، وَهُوَ الْبَاغِي ، وَصَاحِبُ الْهَوَى ، لَمَّا كَانَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهُ بِالْبَغْيِ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ الْإِسْلَامِ وَكَذَلِكَ بِالْهَوَى إذَا لَمْ يَغْلُ فِيهِ ، أَوْ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ ، يَعْنِي : إذَا غَلَا فِي هَوَاهُ حَتَّى كَفَرَ ، وَلَكِنَّهُ يَنْتَسِبُ إلَى الْإِسْلَامِ مَعَ ذَلِكَ كَغُلَاةِ الرَّوَافِضِ وَالْمُجَسِّمَةِ . لَزِمَنَا مُنَاظَرَتُهُ وَإِلْزَامُهُ قَبُولَ الْحَقِّ بالدَّليل فَلَمْ نَعْمَلْ بِتَأْوِيلِهِ الْفَــــاسِدِ " (٢) .

---

(١) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٢/ ٢٠٢) .

(٢) انظر : كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٤/ ٣٣٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله، محمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي ، بدر الدِّين (٧٣٣هـ) : " اعْلَم أَنَّ الْمَجِيء والذهاب والإتيان بالذَّات على الله تَعَالَى مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ من صِفَات الْحَوَادِث المحدودة للانتقال من حيّز إِلَى حيّز ، وَلذَلِك اسْتدلَّ الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَام على نفي إلهيَّة الْكَوَاكِب بأفولهنَّ ، وَصدقه الله تَعَالَى فِي استدلاله ، وَصَحَّحهُ بقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، إِذا ثَبت هَذَا تعيَّن تَأْوِيل ذَلِك وتأويله من وُجُوه :

الأوَّل : وَهُوَ أظهر ، أَنَّ فِي الْكَلَام مُضَافاً مُقَدراً ، تَقْدِيره : إِلَّا أَن يَأْتِيهم أَمرُ الله ، وَهُوَ مجَاز كثير مُسْتَعْمل ، وَمِنْه : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَّ يَنْصُرْكُمْ ﴾ [محمَّد : ٧] ، أَي : دين الله ، أَو نَبِي الله ، أَو الْيَاء الله ، وَمِنْه : ﴿ يُخادِعُونَ اللهَّ ﴾ [البقرة : ٩] و ﴿ يُحَادُّونَ اللهَّ ﴾ [المجادلة : ٥] ، ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وَهُوَ كثير ، فَيدلُّ على مَا أوَّلناه .

قَوْله تَعَالَى فِي الْآيَة الْأُخْرَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، فَتكون هَذِه الْآيَة مفسِّرة لِلْآيَةِ الْأُخْرَى ، وَيُؤَيِّدهُ أَيْضاً قَوْله بعد هَذَا : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَلَيْسَ مَعنا أَمر مَعْهُود إِلَّا الْمُقدر الَّذِي ذكره ، فَيكون حرف التَّعْرِيف لَهُ ، وَكَذَلِكَ قَوْله : ﴿ وَإِلَى اللهَّ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

الْوَجْه الثَّانِي : أَنَّ الْآيَة سيقت للتَّنديد ، وَلَو أُرِيد حَقِيقَة الذَّات لم يكن للتَّنديد معنى ، لأنَّ إِتْيَانه يكون رَحْمَة ونعمة ، فَقَوله أَولاً : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] إِلَى آخِره ، دَلِيل على التَّنديد ، فَيكون الْمُقدَّر : أَمرُ الله تَعَالَى ، أَو عَذَابُه ، أَو قَضَاؤُهُ . قَالَ الإِمَام أَحْمد بن حَنْبَل رَحمَه الله تَعَالَى وَغَيره من الْأَئِمَّة : الْمُرَاد : قُدرتهُ وَأمرُهُ " (١) .

فتفسير الإمام ابن جماعة للإتيان المضاف إلى الله تعالى ينتظم في أَنَّ الْمَجِيء والذَّهاب والإتيان بالذَّات على الله تَعَالَى مُحَالٌ ، لِأَنَّهُ من صِفَات الْحَوَادِث التي تتَّصف بالانتقال من حيِّز إِلَى حيِّز ...وأَنَّ فِي

(١) انظر : إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص١١٧-١١٩) .

الْكَلَام مُضَافاً مُقَدَّراً ، تَقْدِيره : إِلَّا أَن يَأْتِيهم أَمرُ الله ... وآية الإتيان سيقت للتَّنديد ، وَلَو أُرِيد حَقِيقَة الذَّات لم يكن للتَّنديد معنى ...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... وإنَّما نهى مالك رحمه الله أن يتحدَّث بهذين الحديثين وبالحديث الذي جاء : أنَّ الله " خلق آدم على صورته " ، ونحوه من الأحاديث ، لأنَّ ظاهرها يقتضي التَّشبيه ، وسبيلها إذا صحَّت الرِّوايات بها أنَّ تتأوَّل على ما يصحُّ ممَّا ينتفي به التَّشبيه عن الله عزَّ وجلَّ بشيء من خلقه ، كما يصنع بما جاء في القرآن مما يقتضي ظاهره التشبيه ، وهو كثير ، كالإتيان في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، والمجيء في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وذلك يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المراد بقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : عذابه ونقمته لمن كفر به وألحد في آياته ، وكذلك المعنى في قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢] .

الوجه الثَّاني : أن يكون المراد : الظُّهور ، إذ لا فرق بين الدُّنيا والآخرة بالنِّسبة إليه سبحانه وتعالى " (١) .

فقد ذكر الإمام ابن الحاج أنَّ الإمام مالك رحمه الله نهى أن يتحدَّث بكلِّ ما يقتضي ظاهره التَّشبيه ، وأنَّه متى صحَّت الرِّواية صِيْرَ إلى تأويلها ، كما يصنع بما جاء في القرآن ممَّا يقتضي ظاهره التَّشبيه ، كالإتيان والمجيء ، وأنَّ المقصود بالإتيان الوارد في الآية : عذابه ونقمته لمن كفر به وألحد في آياته ...

وقال الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزّي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : ينتظرون ، ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، تأويله عند المتأوّلين : يأتيهم عذابُ الله في الآخرة ، أو أمرُه في الدُّنيا ، وهي عند السَّلف الصَّالح من المتشابه ، يجب الإيمان بها من غير تكييف ، ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ، لأنَّ قوله : ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بمعنى : يطلبون

---

(١) انظر : المدخل (٢/ ١٤٨) .

بجهلهم ، كقولهم : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ "﴾ [البقرة : ١١٨] ، ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ ، جمع ظلَّة ، وهي ما علاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال فيه ، وإن كان لله فهو من المتشابه ... " (١) .

فقوله : " وإن كان لله فهو من المتشابه " ، يعني : أنَّ الأسلم عدم الخوض في معناه ، كما هو منهج جمهور السَّلف وبعض الخلف ...

وقال الإمام أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَالْإِتْيَانُ حَقِيقَةٌ فِي الِانْتِقَالِ مِنْ حَيِّزٍ إِلَى حَيِّزٍ ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى ، فَرَوَى أَبُو صَالِحٍ (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) عَنِ ابْنِ عبَّاس : إِنَّ هَذَا مِنَ الْمَكْتُومِ الَّذِي لَا يُفَسَّرُ ، وَلَمْ يَزَلِ السَّلف فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَيَكِلُونَ فَهْمَ مَعْنَاهُ إِلَى عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ ، وَهُوَ الله تَعَالَى .

وَالْمُتَأَخِّرُونَ تَأَوَّلُوا الْإِتْيَانَ وَإِسْنَادَهُ عَلَى وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّه إِتْيَانٌ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهَّ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ .

الثَّاني : أَنَّه عبَّر به عن المجازات لَهُمْ ، وَالِانْتِقَامِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] .

الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ مُتَعَلَّقُ الْإِتْيَانِ مَحْذُوفًا ، أَيْ : أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الثَّواب ، وَالْعِقَابِ ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ (٣١٠هـ) .

الرَّابِعُ : أَنَّه عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، التَّقْدِيرُ : أَمْرُ اللهَّ ، بِمَعْنَى : مَا يَفْعَلُهُ الله بِهِمْ ، لَا الْأَمْرُ الَّذِي مُقَابِلُهُ النَّهْيُ ، وَيُبَيِّنُهُ قَوْلُهُ بَعْدُ : وَقُضِيَ الْأَمْرُ .

الْخَامِسُ : قُدْرَتُهُ ، ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى عَنْ أَحْمَدَ .

السَّادِسُ : أَنَّ ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ ، بِمَعْنَى بِظُلَلٍ ، فَيَكُونُ : فِي ، بِمَعْنَى : الْبَاءِ ، كما قال : خَبِيرُونَ فِي طَعْنِ الْأَبَاهِرِ وَالْكُلَى ، أَيْ : بِطَعْنٍ ، لِأَنَّ خَبِيراً لَا يَتَعَدَّى إِلَّا بِالْبَاءِ ، كَمَا قَالَ :

خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ ، قَالَ الزَّجَّاجُ (٣١٠هـ) وَغَيْرُهُ .

---

(١) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٧) .

وَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : أَمْرُ اللهَّ ، إِذْ قَدْ صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، وَتَكُونُ عِبَارَةً عَنْ بَأْسِهِ وَعَذَابِهِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّما جاءَتْ مَجِيءَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، وَقِيلَ : الْمَحْذُوفُ : آيَاتُ اللهَّ ، فَجَعَلَ مَجِيءَ آيَاتِهِ مَجِيئًا لَهُ عَلَى التَّفْخِيمِ لِشَأْنِهَا ، قَالَهُ فِي (الْمُنْتَخَبِ) (١) . وَنُقِلَ عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ أَنَّه قَالَ : يَأْتِيهُمْ بِمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى الْغَمَامِ عَلَى عَرْشِهِ تَحْمِلُهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَقِيلَ : الْخِطَابُ مَعَ الْيَهُودِ ، وَهُمْ مُشَبِّهَةٌ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّه مع اليهود قول بَعْدُ : سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَالْمَعْنَى : أَنَّهم لَا يَقْبَلُونَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ، فَالْآيَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، إِذِ الْمَعْنَى : أَنَّ قَوْماً يَنْتَظِرُونَ إِتْيَانَ اللهَّ ، وَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهم مُحِقُّونَ وَلَا مُبْطِلُونَ " (٢) .

وقال الإمام أبو حيَّان الأندلسي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، فِيهِمْ بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ ، قَالَهُ ابْنُ عبَّاس . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، بِلَا أَيْنَ ، وَلَا كَيْفَ ، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ (٣١٠هـ) : أَوْ يَأْتِيَ إِهْلَاكُ رَبِّكَ إِيَّاهُمْ . قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : وَعَلَى كُلِّ تَأْوِيلٍ فَإِنَّما هُوَ بِحَذْفِ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ أَمْرُ رَبِّكَ وَبَطْشُ وَحِسَابُ رَبِّكَ ، وَإِلَّا فَالْإِتْيَانُ الْمَفْهُومُ مِنَ اللُّغَةِ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللهَّ تَعَالَى أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَّ تَعَالَى ، يَقُولُ : ﴿ فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، فَهَذَا إِتْيَانٌ قَدْ وَقَعَ وَهُوَ عَلَى الْمَجَازِ وَحُذِفَ الْمُضَافُ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : أَوْ يَأْتِيَ كُلُّ آيَاتِ رَبِّكَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يُرِيدُ : آيَاتِ الْقِيَامَةِ وَالْهَلَاكَ الْكُلِّيَّ " (٣) .

فقد وضَّح وبيَّن وأكَّد الحافظ أبو حيَّان على أنَّ حقيقة الْإِتْيَانُ هي الِانْتِقَالِ مِنْ حَيِّزٍ إِلَى حَيِّزٍ ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى ، ولذلك فوَّض جمهور السَّلف الكيْف والمعنى ... بينما ذهب جمهور الخلف إلى التَّأويل بما يتناسب مع المسلَّمات والقواطع والعقديَّة وكذا قواعد اللغة العربيَّة ...

---

(١) كتاب المنتخب هو للإمام أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، وهذا الإمامُ تُوفِّيَ سنةَ (٦٥٥هـ) .

(٢) انظر : البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٤٣-٣٤٤) .

(٣) انظر : البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٩٨) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " قَالَ الإِمَام أَبُو الْقَاسِم سعد بن عَليّ الزنجاني سَأَلت أيدك الله بَيَان مَا صَحَّ لديَّ من مَذْهَب السَّلف وَصَالح الْخلف فِي الصِّفات ، فاستخرت الله تَعَالَى ، وأجبت بِجَوَاب الْفَقِيه أبي العبَّاس أَحْمد بن عمر بن سُرَيج ، وَقد سُئِلَ عَن هَذَا ، ذكره أَبُو سعيد عبد الْوَاحِد بن محمَّد الْفَقِيه ، قَالَ : سَمِعت بعض شُيُوخنَا ، يَقُول : سُئِلَ ابْن سُرَيج رَحمَه الله عَن صِفَات الله تَعَالَى ، فَقَالَ : حرَام على الْعُقُول أَن تمثِّل الله ، وعَلى الأوهام أَن تحدَّه !!! وعَلى الْأَلْبَاب أَن تصف إِلَّا مَا وصف بِهِ نَفسه فِي كِتَابه أَو على لِسَان رَسُوله ، وَقد صَحَّ عَن جَمِيع أهل الدّيانَة والسُّنَّة إِلَى زَمَاننَا أَنَّ جَمِيع الْآي وَالْأَخْبَار الصادقة عَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يجب على الْمُسلمين الْإِيمَان بِكُلِّ وَاحِد مِنْهُ كَمَا ورد ، وَأَن السُّؤَال عَن مَعَانِيهَا بِدعَة ، وَالْجَوَاب كفرٌ وزندقة ، مثل قَوْله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَقَوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾ [طه : ٥] ، و﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ونظائرها مِمَّا نطق بِهِ الْقُرْآن كالفوقيَّة ... والنُّزول إِلَى أَن قَالَ : اعتقادنا فِيهِ وَفِي الْآي الْمُتَشَابه فِي الْقُرْآن : أَن نقبلها ، وَلَا نردّها ، وَلَا نتأوَّلها بِتَأْوِيل الْمُخَالفين ، وَلَا نحملها على تَشْبِيه المشبِّهين ، وَلَا نترجم عَن صِفَاته بلغَة غير الْعَرَبيَّة ، ونسلِّم الْخَبَر الظَّاهِر وَالْآيَة الظَّاهِر تنزيلها " (١) .

فالإمام الذَّهبي ينقل عن الإمام ابن سريج السَّلفي المتوفَّى سنة (٣٠٦هـ) أَنَّ السُّؤَال عَن مَعَانِي المتشابهة كالإتيان ، والمجيء ، والنُّزول بِدعَة ، وَالْجَوَاب كفر وزندقة ، وهذا لون من ألوان التَّغليظ والتَّشديد على كلِّ من تسوِّل له نفسه الولوج في خضمِّ هذا البحر الهائج المائج الذي لا ينجو من الغرق فيه إلَّا من اتقن فنون السِّباحة ...ألا فليهنأ مدَّعو السَّلفيَّة بما قاله تلميذ ابن تيمية : الذَّهبي ، من غير تعليق ولا تعقيب ...

---

(١) انظر : العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها (ص٢٠٧-٢٠٨) .

وقال الإمام أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني (٧٧٥هـ) : " قوله : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، هذا مفعول ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ وهو استثناءٌ مفرَّغٌ ، أي : ما ينظرون إلَّا إتيان الله .

والمعنى : ما ينظرون ، يعني التَّاركون الدُّخول في السِّلم .

قوله تعالى : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فيه أربعة أوجهٍ :

أحدها : أن يتعلَّق بيأتيهم ، والمعنى : يأتيهم أمرُه أو قدرته ، أو عقابه ، أو نحو ذلك ، أو يكون كنايةً عن الانتقام ، إذ الإتيان يمتنع إسناده إلى الله تعالى حقيقةً .

والثَّاني : أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّه حال ، وفي صاحبها وجهان :

أحدهما : هو مفعول يأتيهم ، أي : في حال كونهم مستقرِّين في ظلل ، وهذا حقيقة .

والثَّاني : أنَّه الله تعالى بالمجاز المتقدِّم ، أي : أمر الله في حال كونه مستقرَّاً في ظلل .

الثَّالث : أن تكون " في " بمعنى الباء ، وهو متعلِّقٌ بالإتيان ، أي : إلَّا أن يأتيهم بظلل ؛ ومن مجيء " في " بمعنى الباء قوله : خَبِيرُونَ فِي طَعْنِ الكُلَى وَالأَبَاهِرِ [1] ، لأنَّ " خَبِيرِينَ " إنَّما يتعدَّى بالباء ؛ كقوله : فَإِنَّني ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ .

الفصل : أن يكون حالاً من ﴿ المَلاَئِكَةِ ﴾ مقدَّماً عليها ويحكى عن أُبيّ ، والأصل : إلَّا أن يأتيهم الله والملائكة في ظُللٍ ، ويؤيِّد هذا قراءة عبد الله إيَّاه كذلك ، وبهذا – أيضاً – يقلُّ المجاز ، فإنَّه – والحالة هذه – لم يسند إلى الله تعالى إلَّا الإتيان فقط بالمجاز المتقدِّم .

وقرأ أُبيّ وقتادة (١١٨هـ) ، والضَّحَّاك (١٠٢هـ) : في ظلالٍ ، وفيها وجهان :

أحدهما : أنَّها جمع ظلّ ؛ نحو : صلّ وصلال .

والثَّاني : أنَّها جمع ظلَّة ؛ كقلَّة وقلال ، وخلَّة وخلال ، إلَّا أنَّ فعالاً لا ينقاس في فُعلة .

قوله تعالى : ﴿ مِنَ الغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فيه وجهان :

---

(١) الأباهر : بواطن الذراعين . انظر : الجيم ،أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء ،(١/ ٧٩) ، تحقيق: إبراهيم الأبياري،نشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

أحدهما : أنَّه متعلِّق بمحذوف ؛ لأنه صفةٌ لـ ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، التَّقدير : ظُلَلٍ كائنةٍ من الغمام . و ﴿ مِنْ ﴾ على هذا للتَّبعيض .

والثَّاني : أنَّه متعلِّق بـ ﴿ يَأْتِيَهُمُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وهي على هذا لابتداء الغاية ، أي : من ناحية الغمام

والجمهور على رفع " المَلاَئِكَةُ " ؛ عطفاً على اسم " الله " .

وقرأ الحسن وأبو جعفر : بجرِّ ﴿ الملائكةِ ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما: العطف على ﴿ ظُلَلٍ ﴿ [البقرة : ٢١٠] ، أي : إلَّا أن يأتيهم في ظُلَلٍ ، وفي الملائكة .

والثَّاني : العطف على﴿ الغَمَامِ ﴾ ، أي : من الغمام ومن الملائكة ، فتوصِف الملائكة بكونها ظُللاً على التَّشبيه، وعلى الحقيقة ، فيكون المعنى يأتيهم أمر الله وآياته ، والملائكة يأتون ليقومون بما أُمروا به من الآيات والتَّعذيب ، أو غيرهما من أحكام يوم القيامة " (١) .

وقال الإمام ابن عادل الحنبلي أيضاً : " فإن قيل : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، هل يَدلُّ على جوازِ المجيء والغيبة على الله تعالى ؟ فالجواب من وُجُوه :

الأوَّل : أنَّ هذا حكاية عن الكُفَار ، واعتِقَاد الكَافِر ليس بِحُجَّة .

والثَّاني : أنَّ هذا مَجَاوزٌ ، ونظيرُه قولهُ تعالى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾[النحل : ٢٦] .

والثَّالث : قيام الدَّلائل القاطِعَة على أنَّ المَجيء والغيْبَة على اللهَّ مُحَال ، وأقْرَبُها قول إبراهيم – عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلَامُ – في الرَّدِّ على عَبدَة الكواكب : ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

فإن قيل: قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، لا يمكن حَمْلُه على إثْبَاتِ أثر من آثار قُدْرَته ؛ لأنَّ على هذا التَّقْدِير يَصِيرُ هذا عَيْن قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام : ١٥٨] ، مكرَّراً ؛ فوجب حَمْلُه على أنَّ المُرادَ مِنْه : إتْيَان الرَّبِّ .

قلنا : الجوابُ المُعْتَمد : أنَّ هذا حكاية مَذْهب الكُفَّار ؛ فلا يَكُون حُجَّةً .

وقيل : يأتِي ربُّك بلا كَيْف ؛ لِفَصْل القضاء يِوْم القِيَامة ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] .

---

(١) انظر : اللباب في علوم الكتاب (٣/ ٤٨٢–٤٨٣) .

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهما : يَأتي أمْر ربِّك فيهم بالقَتْل أو غَيْره ، وقيل : يَأتِي ربُّك بالعَذَابِ . وقيل : هذا من المُتَشَابه الَّذِي لا يَعْلَمُ تَأوِيله إلَّا اللهَّ " (١) .

فالإمام ابن عادل الحنبلي لم يجنح إلى ما جنح إليه مجسِّمة الحنابلة ، بل فسَّر الإتيان المضاف إلى الله تعالى كما فسَّره جهابيذ العلم من السَّلف والخلف ... فالمعنى على هذا حكاية مَذْهب اليهود المجسِّمة ؛ فلا يَكُون حُجَّةً ... أو أن يكون المعنى : يأتيهم أمرُه أو قدرته ، أو عقابه ، أو نحو ذلك ...

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) : " قوله : ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، إسناد الإتيان إليه مجاز عن التجلِّي لهم ، وقيل : عن رؤيتهم إيَّاه ، لأنَّ الإتيان إلى الشخص مستلزم لرؤيته له . القاضي عياض (٥٤٤هـ) : أي : يأتيهم بعض ملائكته " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) : " قَوْلِهِ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أَيْ : أَمْرُهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] (٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " ... كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . وقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، ... ولم يتأوَّل الصَّحابة ولا التَّابعون شيئاً من ذلك ، ولا أخرجوه عن مدلوله ، بل روي عنهم ما يدلَّ على تقريره والإيمـــان به وإمراره كما جاء ... " (٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) : " ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ

---

(١) انظر : اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٥٢٥-٥٢٦) .

(٢) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٤٢) .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن (٣/ ١١٤) .

(٤) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب (٧/ ٢٢٨-٢٣٢) ،.

مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى ، فالنُّزول لغة يستعمل لمعان خمسة مختلفة : بمعنى الانتقال : ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، والإعلام : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي : أعلم به الرُّوح الأمين محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبمعنى القول : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، أي : سأقول مثل ما قال . والإقبال على الشَّيء ، وذلك مستعمل في كلامهم جار في عرفهم ، يقولون : نزل من مكارم الأخلاق إلى دنيّها . أي : أقبل إلى دنيِّها ونزل قدْر فلان عند فلان إذا انخفض ، وبمعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنَّا في خير وعدل حَتَّى نزل بنا بنو فلان ، أي : حكمهم ، وذلك كلُّه متعارف عند أهل اللغة .

وإذا كانت مشتركة المعنى وجب حمل ما وصف به الرَّب جل جلاله من النُّزول على ما يليق به من بعض هذِه المعاني التي لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من إيجاب حدث يحدث في ذاته ، وهو إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة والاستعطاف بالتَّذكير والتَّشبه الذي يلقى في قلوب أهل الخير منهم ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، ووجدناه تعالى خصَّ بالمدح المستغفرين بالأسحار ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلًا يظهر بأمره فيُضاف إليه كما يقال: ضربَ الأميرُ اللصَّ ، ونادى الأمير في البلد ، وإنَّما أمر بذلك فيضاف إليه الفعل كما مضى أنَّه عن أمره ظهر ، إذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا بهذا الدُّعاء والنِّداء فيضاف ذلك إلى الله .

وحديث النَّسائي السَّالف يعضده ، وقد سئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عن معنى هذا الحديث ، فقال : يفعل الله ما يشاء ، وهذِه إشارة منه إلى أن ذلك فعل يظهر منه عزَّ وجلَّ ، وذكر حديث كاتب مالك عنه أنَّه قَالَ في هذا الخبر : ينزل أمره ورحمته ، وقد رواه مطرف عنه أيضاً ، وأنكر بعض المتأخِّرين هذا اللفظ ، فقال : كيف يفارقه أمره ؟ وهذا كلام من اعتقد أنَّه ينزلُ أمرهُ القديم ، وليس كذلك ، وإنَّما المراد ما أشرنا إليه ، وهو ما يحدث عن أمره ، قَالَ الإمام أبو بكر محمَّد بن فورك : روى لنا بعض أهل النَّقل هذا الخبر عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بما يؤيد هذا التَّأويل ، وهو بضم الياء من ينزل ، وقد تقدَّم نقل ذلك عنه ، فإذا كان ذلك محفوظًا فوجهه ظاهر ، وقد سئل بعض العلماء عن حديث التَّنزيل ، فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفلَ النَّجم : ﴿ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، فَطَلَبَ رَبّاً لا يجوز عليه

الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النُّزول ، وقد مدحه الله تعالى بذلك وأثنى عليه في كتابه بقوله : ﴿وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، فوصفه باليقين ، وحُكي عن بعض السَّلف في هذا الحديث وشبهه : الإيمــان بها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفيَّة عنها .

وكان مكحول (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) يقولان : أمرُّوا الأحاديث . وقال أبو عبد الله : نحن نروي هذِه الأحاديث ولا نرفع بها المعاني . وإلى نحو هذا نحى مالكٌ (١٧٩هـ) في سؤال الاستواء على العرش .

وحمل الدَّاودي مذهبه في هذا الحديث على نحو من ذلك ، وقال فيما تقدَّم عنه : نقله حبيب ، وليس حبيب بالقوي . وضعَّفه غيره أيضاً لكنَّا أسلفنا أنَّه لم ينفرد به .

فصارت مذاهب العلماء في هذا الحديث وشبهه ثلاثة :

فرقة قائلة بالتَّأويل كما سلف ، محتجين بالحديث الآخر : " إذا تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة " . وفرقة قالت بالوقف عن جميعها . وفرقة قالت بالتَّأويل في بعضها .

سئل مالك (١٧٩هـ) في " العتبية " (١) عن الحديث الذي جاء في جنازة سعد بن معاذ في العرش : قال : لا يتحدَّث به ، وما يدعو الإنسان إلى أن يتحدَّث به ، وهو يرى ما فيه من التَّغرير ؟ ! " (٢) .

وقال الإمام ابن الملقِّن أيضاً : " قَالَ تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، و ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : " فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ " [النحل : ٢٦] ، وأهل البدع يحملونها إذا وردت في القرآن على التَّأويل الصَّحيح ، ويأتون من جمل الأخبار على مثل ذلك جحدًا منهم لسنَّة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستخفافًا بذوي النّهى النَّاقلين ، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة : ٣٢] .

---

(١) العتبية وتسمى أيضاً بـ" المستخرجة ... كتاب لمؤلفه محمد العتبي بن أحمد بن عبد العزيز الأموي (٢٤٥هـ) ....

(٢) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٩/ ١٠٠-١٠٥) .

ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف إلى جسم يجوز عليه الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته تعالى ... " (١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن أيضاً : " والحاصل : أنَّ الإتيان هنا مثل قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] . وأنَّ ذلك بظهور فعل لا بتحرُّك ذاته ، أو أنَّه فعل من أفعال ملائكته ، فيضاف إليه من طريق أنَّه تابع أمره ، أو أنَّه عبارة عن رؤيتهم الله تعالى ؛ لأنَّ العادة جارية أنَّ من نحا لا يتوصل إلى رؤيته إلَّا بمجيء ، فعبَّر عن رؤيتـــه بالمجيء جوازاً " (٢) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ) : " وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَي : يأتيهم عذابُه " (٣) .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه أو حكمه ، دليله : قراءة من قرأ وما يؤخّره بالياء ، وقوله : بِإِذْنِهِ . وقيل : المراد الشَّيء المهيب الهائل المستعظم ، فحذف ذكره بتعيينه ، ليكون أقوى في التَّخويف . وقيل : فاعله ضمير اليوم ، والمراد : إتيان هوله وشدائده ، كيلا يصير اليوم ظرفاً لإتيان اليوم " (٤) .

وقال الإمامان : جلال الدِّين محمَّد بن أحمد المحلِّي (٨٦٤هـ) ، وجلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي (٩١١هـ) : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَيْ : أَمْرُهُ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أَيْ : عَذَابه " (٥) .

وقال الإمامان : جلال الدِّين محمَّد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ) ، وجلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي (٩١١هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أَيْ : أَمْرهُ ، بِمَعْنَى عَذَابه " (١) .

---

(١) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٩/ ١٠٠) .

(٢) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٣٣/ ٣٣٠) .

(٣) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٥٣٩) .

(٤) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٥١) .

(٥) انظر : تفسير الجلالين (ص٤٤) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أيْ : ينتظرون ، والمراد : هؤلاء الذين يزلُّون ، والظُّلَلُ : جمع ظُلَّة ، وهي ما أظَلَّ من فوق ، والمعنى : يأتيهم حكم اللهَّ ، وأمره ، ونهيه ، وعقابه إيَّاهم .

وذهب ابن جُرَيْج وغيره إلى أنَّ هذا التوعُّد هو مما يقع في الدُّنيا ، وقال قومٌ : بل هو توعُّد بيوم القيامة ، وقال قوم : إلَّا أن يأتيهم الله وعيدٌ بيوم القيامة " (٢) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال الطَّبري : لموقف الحساب يَوْمَ القيامة ، وأسند ذلك إلى قتادة (١١٨هـ) ، وجماعةٍ من المتأوِّلين ، وقال الزَّجَّاج (٣١٠هـ) : إنَّ المراد : أو يأتي عذابُ رِّبك .

قال ... وعلى كلِّ تأويل فإنما هو بحذفِ مضافٍ ، تقديره : أمرُ ربِّك ، أو بَطْش رَبِّك ، أو حسابُ ربك ، وإلَّا فالإتيانُ المفهومُ من اللغة مستحيلٌ على اللهَّ تعالى ، ألا ترى أنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ [الحشر : ٢] ، فهذا إتيان قد وقع ، وهو على المجازِ ، وحذفِ المضافِ .

قال الفَخْر : والجواب المعتمَدُ عليه هنا أنَّ هذا حكايةُ مذهب الكفَّار ، واعتقادِهم ، فلا يفتقر إلى تأويله ، وأجمعوا على أنَّ المراد بهذه الآيات علاماتُ القيامةِ " (٣) .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : مجد الذي لا يحتمل شيء تجلِّي عظمته وظهور جلاله ، كائناً مجده" فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ " [البقرة : ٢١٠] ، ظلَّة في داخل ظلة ، وهي ما يستر من الشَّمس ، فهي في غاية الإظلام والهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغم على الرَّائي ما فيها وتدمِّر ما أتت عليه – إلى غير ذلك من أنواع المجد الذي لا يقدِّره حقَّ قدره إلا الله " (٤) .

---

(١) انظر : تفسير الجلالين (ص١٩١) .

(٢) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/ ٤٢٨) .

(٣) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٥٣٢) .

(٤) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/ ١٨٣-١٨٤) .

وقال الإمام البقاعي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور بجميع الآيات التي تحملها العقول ، وذلك يوم الجزاء " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) : ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، مذهب السَّلف : الإيمان بمثل ذلك ووكول علمه إلى الله تعالى ، أو تقديره : يأتيهم بأسُهُ " (٢) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَيْ : أَمْرُهُ ، بِدَلِيلِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] " (٣) .

وقال الإمام السُّيوطي أيضاً : " ... وَمِنْ ذَلِكَ صِفَةُ الْمَجِيءِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، أَيْ : أَمْرُهُ ، لِأَنَّ الْمَلَكَ إِنَّمَا يَأْتِي بِأَمْرِهِ أَوْ بِتَسْلِيطِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، فَصَارَ كَمَا لَوْ صَرَّحَ بِهِ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ [المائدة : ٢٤] ، أَيْ : اذْهَبْ بِرَبِّكَ ، أَيْ : بِتَوْفِيقِهِ وَقُوَّتِهِ " (٤) .

وقال الإمام نعمة الله بن محمود النّخجواني ، ويعرف بالشَّيخ علوان (٩٢٠هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : ما ينتظر المزلَّون عن طريق الحقّ سيَّما بعد الوضوح والتَّبيين ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ "﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بعذابه المدرج المكنون ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، السَّحاب الأبيض المظل لهم صورة يتوقَّعون منه الرَّاحة والرَّحمة ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، الموكَّلون بجرِّ سُحُب العذاب إليهم ، فأنزل عليهم العذاب واستأصلهم بالمرَّة " وَقُضِيَ الْأَمْرُ " [البقرة : ٢١٠] ، المحكم والحكم المبرم المقضي

---

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ٣٣٢) .

(٢) انظر : تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ١٤٤) .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٩٦) .

(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٢) .

عليهم من عنده سبحانه لانتقامهم كالأمم الماضية ، وَبالجملة إِلَى اللهِّ لا إلى غيره من الوسائل والأسباب العادية تُرْجَعُ الْأُمُورُ " (١) .

وقال الإمام النّخجواني أيضاً : " ... وبالجملة هَلْ يَنْظُرُونَ يعني أهل مكَّة وما ينتظرون وما يستوفون الايمان والإطاعة إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ، أي : ملائكة العذاب ، كما أتوا للأمم الهالكة ، فيلجئهم إلى الإيمان ، مع أنَّه لا ينفعهم حينئذ إيمانهم﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : يطلبون إتيان ربك يا أكمل الرُّسل معاينة ، كما طلب اليهود من موسى صلوات الله عليه حيث قالوا : ﴿ أَرِنَا اللهَّ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] (٢) .

فالإتيان المتضمِّن في الآية حكاية عن الكُفَار الذين طلبوا إتيان الربِّ ليعاينوه معاينة ، واعتِقَاد الكَافِرِ ليس بِحُجَّة ...

وقال الإمام أحمد شهاب الدِّين بن حجر الهيتمي المكِّي (٩٧٤هـ) : " قوله تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ " [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُ الله " (٣) .

وقال الإمام شمس الدّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، استفهام في معنى النَّفي ، أي : ما ينظرون ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمره أو بأسه ، كقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، أي : عذابه ، ﴿ جَاءَهُمْ بَأْسُنا ﴾ [الأنعام : ٤٣] ، أو يأتيهم الله ببأسه ، فحذف المأتيّ به للدّلالة عليه بقوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] (٤) .

وقال الإمام الشَّافعي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه بالعذاب " (٥) .

---

(١) انظر : الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (١/ ٧٢) .

(٢) انظر : الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (١/ ٢٤٠) .

(٣) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٦٢١) .

(٤) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ١٣٦) .

(٥) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٤٦٠) .

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (٩٨٢هـ) : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُه وبأسُه أو يأتيَهم الله بأمره وبأسِه ، فحُذف المأتيُّ به لدِلالة الحال عليه والالتفاتُ إلى الغَيبة للإيذانِ بأن سوءَ صنيعهم موجبٌ للإعراض عنهم ، وحكايةُ جنايتهم لمن عداهم من أهل الإنصاف على طريقة المباثة ، وإيرادُ الانتظارِ للإشعـــار بأنَّهم لانهماكهم فيما هُم فيهِ من موجبات العقوبة " (١) .

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي أيضاً : "﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، حسبما اقترحوا بقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا ﴾ [الفرقان: ٢١] ، وبقولهم : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٩٢] ، وبقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ [الأنعام : ٨] ، ونحو ذلك أو إلَّا أن تأتيهم ملائكةُ العذاب أو يأتيَ أمرُ ربِّك بالعذاب ، والانتظارُ محمولٌ على التَّمثيل ... " (٢)

وقال الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) : " ... وَذكرتُ فِي كتابي " الْبُرْهَان فِي تَفْسِير الْقُرْآن " عِنْد قَوْله تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَبعد أَن ذكرت مَذَاهِب المتأوِّلين أَنَّ مَذْهَب السَّلف هُوَ عدم الْخَوْض فِي مثل هَذَا ، وَالسُّكُوت عَنهُ ، وتفويض علمه إِلَى الله تَعَالَى ، قَالَ ابْن عبَّاس : هَذَا من المكتوم الَّذِي لَا يُفَسَّر ، فَالْأولى فِي هَذِه الْآيَة وَمَا شاكلها أَن يُؤمن الْإِنْسَان بظاهرها ، ويكِل علمهَا إِلَى الله تَعَالَى ، وعَلى ذَلِك مَضَت أَئِمَّة السَّلف .

وَكَانَ الزُّهري (١٢٤هـ) ، وَمَالك (١٧٩هـ) ، وَالْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، وسُفْيَان الثَّوْريّ (١٦١هـ) ، وَاللَّيْث بن سعد (١٧٥هـ) ، وَابْن الْمُبَارك (١٨١هـ) ، وَأحمد بن حَنْبَل (٢٤١هـ) ، وَإِسْحَاق (٢٣٨هـ) ، يَقُولُونَ فِي هَذِه الْآيَة وأمثالها : أمروها كَمَا جَاءَت .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٣/ ٢٠٣) .

وَقَالَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة (١٩٨هـ) ، وناهيك بِهِ : كلّ مَا وصف الله بِهِ نَفسه فِي كِتَابه فتفسيره قِرَاءَته وَالسُّكُوت عَنهُ ، لَيْسَ لأحد أَن يفسِّره إِلَّا الله وَرَسُوله .

وَسُئِلَ الإِمَام ابْن خُزَيْمَة عَن الْكَلَام فِي الْأَسْمَاء والصِّفات ، فَقَالَ : وَلم يكن أَئِمَّة الْمُسلمين وأرباب الْمَذَاهب أَئِمَّة الدِّين ، مثل : مَالك (١٧٩هـ) ، وسُفْيَان ، وَالْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) ، وَالشَّافِعِيّ (٢٠٤هـ) ، وَأحمد (٢٤١هـ) ، وَإِسْحَاق (٢٣٨هـ) ، وَيحيى بن يحيى ، وَابْن الْمُبَارك (١٨١هـ) ، وَأبي حنيفَة (١٥٠هـ) ، وَمُحَمّد بن الْحسن (١٨٩هـ) ، وَأبي يُوسُف (١٨٢هـ) ، يَتَكَلَّمُونَ فِي ذَلِك ، وَينْهَوْنَ أَصْحَابهم عَن الْخَوْض فِيهِ ، ويدلُّونهم على الْكتاب والسُّنَّة .

وَسمع الإِمَام أَحْمد شخصاً يروي حَدِيث النُّزول ، وَيَقُول : ينزل بِغَيْر حَرَكَة وَلَا انْتِقَال ، وَلَا تغيُّر حَال ، فَأنْكر أَحْمد ذَلِك ، وَقَالَ : قل كَمَـا قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ كَانَ أغير على ربِّه مِنْك .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ (١٥٧هـ) لَمَّا سُئِلَ عَن حَدِيث النُّزول : يفعل الله مَا يَشَاء .

وَقَالَ الفضيل بن عِيَاض (١٨٧هـ) : إِذا قَالَ لَك الجهمي : أَنا أكفر بِرَبّ يَزُول عَن مَكَانَهُ (١) ، فَقل : أَنا أُؤْمِن بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء (٢) .

وَاعْلَم أَن الْمَشْهُور عِنْد أَصْحَاب الإِمَام أَحْمد أَنَّهم لَا يتأولون الصِّفات الَّتِي من جنس الْحَرَكَة ، كالمجيء ، والإتيان فِي الظلل ، والنُّزول ، كَمَا لَا يتأولون غَيرهَا مُتَابعَة للسَّلف " (٣) .

---

(١) مسألة تنزيه الله تعالى عن المكان من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة ... وقد أجمعت الأمَّة على تنزيهه تعالى عن امكان ـ قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) : " وأجمعوا على أنَّه لَا يحويه مَكَان ، وَلَا يجرى عَلَيْهِ زمَان ، خلاف قَول من زعم من الهشاميَّة والكرَّاميَّة أنَّه مماسّ لعرشه ، وَقد قَالَ امير الْمُؤمنِينَ علي رَضِي الله عَنهُ : أنَّ الله تَعَالَى خلق الْعَرْش إظهاراً لقدرته لَا مَكَاناً لذاته ، وَقَالَ أيضاً : قد كَانَ وَلَا مَكَــان ، وَهُوَ الْآن على مَا كَانَ ". انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص٣٢١) .

(٢) نعم فالله تعالى يفعل ما يشاء ممَّا يجوز عليه ... وممَّا لا يجوز عليه تعالى : أن يحلّ في مكان ... تماماً كما لا يجوز عليه تعالى أن يكون له ولد ... قال تعالى : " مَا كَانَ للهِّ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ " [مريم:٣٥] ، وقال : " وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً " [مريم:٩٢] .

(٣) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٦١-٦٣) .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمى أيضاً : " وَقَوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فمذهب السَّلف فِي هَذَا وَأَمْثَاله : السُّكُوت عَن الْخَوْض فِي مَعْنَاهُ ، وتفويض علمه إِلَى الله تَعَالَى ، كَمَا مرت الْإِشَارَة إِلَيْهِ أول الْكتاب .

وَمذهب أهل التَّأْويل ، قَالُوا : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَي : أمرُه وبأسُه ، وَجعل ذَلِك مجيئاً لَهُ تَعَالَى ، على سَبِيل التَّفخيم والتهويل ، لِأَنَّ الْإِتْيَان حَقِيقَة هُوَ الانتقال من حيّز إِلَى حيّز ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيل عَلَيْهِ تَعَالَى عِنْد الْجُمْهُور ، أَو الْمُرَاد : إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله بِأَمْره وبأسه ، فَحذف المأتي بِهِ لدلَالَة الْحَال عَلَيْهِ إيهاماً عَلَيْهِم ، لِأَنَّهُ أبلغ فِي الْوَعيد ، لانقسام خواطرهم وَذَهَاب فكرهم فِي كلِّ وَجه أَو المأتي بِهِ مَذْكُور ، وَهُوَ قَوْله : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَ ﴿ فِي ﴾ بِمَعْنى الْبَاء ، وَقيل : الْمُرَاد بذلك غَايَة الهيبة وَنِهَايَة الْفَزع لشدَّة مَا يكون يَوْم الْقِيَامَة والالتفات إِلَى الْغَيْبَة " (١) .

فالإمام الكرمي الحنبلي وضَّح منهج السَّلف في المتشابه ، وأنَّ مَذْهَبَهم هُوَ عدم الْخَوْض فِي مثل هَذَا ، وَالسُّكُوت عَنهُ ، وتفويض علمه إِلَى الله تَعَالَى ...

ثمَّ ذكر منهج الخلف القائم على التَّأويل ... ولم يعقِّب بشيء ...

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " قوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، الخ : نظر هنا بمعنى انتظر ، والاستفهام إنكاريّ ، وهو نفي في المعنى ، فلذا وقع بعده الاستثناء المفرغ ، ولمَّا كان الإتيان لا يسند حقيقة إليه أوَّل بأنَّ المراد يأتي حكمه وأمره أو المراد يأتيهم الله ببأسه ، أي : يوصله إليهم ، لأنَّ أتى قد يتعدَّى للثَّاني بالباء ، فالمأتي محذوف لدلالة ما قبله عليه من التَّلويح للانتقام " (٢) .

وقال الإمام إسماعيل حقّي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : إلَّا إتيان الله ، أي : عذابُه على حذف المضاف ، لأنَّ

---

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص١٩٧-١٩٨).

(٢) انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ، المُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيْضَاوي (٢/ ٢٩٦) .

الله تعالى منزَّه عن المجيء والذَّهاب المستلزمين للحركة والسُّكون ، لأنَّ كلّ ذلك محدث ، فيكون كلّ ما يصحّ عليه المجيء والذَّهاب محدثاً مخلوقاً له ، والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك . وسئل عليٌّ رضي الله عنه : أين كان تعالى قبل خلق السَّموات والأرض ؟ قال : أين سؤال عن المكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ، وهو اليوم على ما كان .

ومذهب المتقدِّمين في هذه الآية وما شاكلها : أن يؤمن الإنسان بظاهرها ، ويَكِل علمها إلى الله ، لأنَّه لا يأمن في تعيين مراد الله تعالى من الخطأ ، فالأولى السُّكوت ، ومذهب جمهور المتكلِّمين أن لا بدَّ من التَّأويل على سبيل التَّفصيل " (١) .

وقال الإمام إسماعيل حقِّي الإستانبولي أيضاً : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، إلَّا أن يتجلَّى الله في ظلِّ صفات قهرية من جملة تجليَّات الصِّفات السَّاترة لشمس الذَّات ، وهو ملائكة القوى السَّماويَّة ، وَقُضِيَ في اللوح الْأَمْرُ أمر إهلاكهم ، وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ بالفناء ، كذا في التَّأويلات النَّجميَّة (٢) " (٣) .

وقال الإمام إسماعيل حقي الإستانبولي أيضاً : " ... قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُه وبأسُه في ظُلل من الغمام والملائكة " (٤) .

وقال الإمام إسماعيل حقي الإستانبولي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمره بالعذاب والانتقام .

وقال البغوي (٥١٦هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، بلا كيف لفصل القضاء بين موقف القيامة . أو المراد بإتيان الربِّ : إتيان كلّ آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلِّي ... " (١) .

---

(١) انظر : روح البيان (١/ ٣٢٥-٣٢٦) .

(٢) هو كتاب : " التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي " للإمام نجم الدين أحمد بن عمر الكبري، وهو من أصول التفسير الإشاري عند الصوفية ...

(٣) انظر : روح البيان (١/ ٣٢٧) .

(٤) انظر : روح البيان (١٠/ ٣٠٠) .

وقال الإمام المظهري ، محمَّد ثناء الله (١١٤٣هـ) : " ... ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، – ونحو ذلك ممَّا يستحيل حملها على ظواهرها التي تتبَّعها الذين في قلوبهم زيغٌ من المجسِّمة – فإنَّ كلاً منها تدلُّ على صفة من صفات الله تعالى بحيث فهمها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض الكُمَّل من أتباعه – وتوضيح ذلك : أنَّ لله تعالى صفاتاً غير متناهية ، حيث قال الله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [الكهف: ١٠٩] ، وقال عزَّ من قائل : ﴿ وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان : ٢٧] ، ولا شكَّ أنَّ الألفاظ الموضوعة بإزاء المعاني متناهية ، والعقول قاصرة عن درك كُنْه ذات الله تعالى وكنه صفاته ، وإنَّما يتصوَّر دَرْكه بنوعٍ من المعيَّة الذَّاتيَّة أو الصِّفاتيَّة الغير المتكيِّفة ، هيهات هيهات عن فهم العوام بل الخواصّ مع دركهم لا يُدركون ذلك الدَّرك في مرتبة الذَّات ، حيث قال رئيس الصدِّيقين (٢) شعراً : العجز عن درْك الإدراك إدراك ، والبحث عن سرِّ الذَّات اشراك . غير أنَّ بعض صفاته تعالى لَمَّا شارك صفات الممكنات في الغايات أو بعض وجوه المشاكلات عبَّر عنها بالأسماء التي تدلُّ على صفات في المخلوقات ، كالحياة ، والعلم ، والسَّمع ، والبصر ، والإرادة ، والرَّحمة ، والقهر ، وغيرها ، فزعم البشر أنَّه فهمها ، وفي الحقيقة لم يفهم إلَّا بعض وجوهها ، وبعضها ليست بهذا المثابة ، فمنها : ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنها : ما أفهمه الخواصّ من خلقه " (٣) .

وقال الإمام المظهري أيضاً : " أجمع علماء أهل السُّنَّة من السَّلف والخلف أنَّ الله سبحانه منزَّه عن صفات الأجسام وسمات الحدوث ، فلهم في هذه الآية سبيلان :

أحدهما : الإيمان به وتفويض علمه إلى الله تعالى والتحاشي عن البحث فيه وهو مسلك السَّلف ، قال الكلبي : هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وكان مكحول (١١٢هـ) ، والزُّهري (١٢٤هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، ومالك (١٧٩هـ) ، وابن المبارك (١٨١هـ) ، وسفيان الثَّوري (١٦١هـ) ، والليث (١٧٥هـ) ، وأحمد

---

(١) انظر : تفسير روح البيان (٣/ ٩٤) .

(٢) يقصد سيدنا عبد الله بن أبي قُحافة التَّيمي القُرَشيّ أبو بَكر الصّدِّيق (١٣هـ – ٦٣٤م) .

(٣) انظر : التفسير المظهري (١/ ١٥) .

(٢٤١هـ) ، وإسحاق (٢٣٨هـ) ، رحمهم الله تعالى ، يقولون فيه وفي أمثاله : أمرّوها كما جاءت بلا كيف . قال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) : كلّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسُّكوت عنه ، ليس لأحد أن يفسِّره إلَّا الله ورسوله ، وبه قال أبو حنيفة (١٥٠هـ) رحمه الله ، حيث قال : في المتشابهات : ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله بالوقف عليه .

ثانيهما : تأويله بما يليق به بناء على ما قيل : ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بالعطف . قال البيضاوي (٦٨٥هـ) وغيره : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُه أو بأسُه ، بحذف المضاف ، فهو كقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، ﴿جاءَهُمْ بَأْسُنا ﴾ [الأنعام : ٤٣] ، أو المعنى : أن يأتيهم الله ببأسه ، فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله : ﴿ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] (١) .

وقال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) : " قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمرُ الله " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) : " قولُهُ تعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَي : يَأْتِيَهُم عَذابُهُ " (٣) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ... يقول الحقُّ جلَّ جلاله : ما ينتظر هؤلاء المتنعون من الدُّخول في شرائع الإسلام ، إلَّا أن تقوم السَّاعة ، ويأتيهم الله للفصل بين عباده فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ، بأن يتجلَّى لعباده على

---

(١) انظر : التفسير المظهري (١/ ٢٤٩-٢٥٠) .

(٢) انظر : التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير (٣/ ٦٧١) .

(٣) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٢٩/ ٤٠٩) .

ما يليق بجلاله إذ تجلّيات الحقّ لا تنحصر . وتأتيهم الْمَلائِكَةُ تحيط بهم وَقُضِيَ الْأَمْرُ بعذابهم ، وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كلّها ، فهو المتصرف وحده " (١) .

وقال الإمام ابن عجيبة أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه بالعذاب " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المصري الخلوتي المالكي (١٢٤١هـ) : " قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، الاستفهام هنا إنكاري توبيخي . قوله : (الدُّخول فيه) ، أي : في جميع أحكامه . قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، استثناء مُفْرَغ ، والمعنى : لا ينتظرون شيئاً إلَّا إتيان الله في ظلل . قوله : (أي : أمره) ، دفع بذلك ما يقال : إنَّ الإتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث ، وهي مستحيلة على الله تعالى . قوله : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة:٢١٠] ، ظرف للإتيان المذكور ، والمعنى أنَّ الله يرسل عليهم العذاب في صورة الرَّحمة ، وذلك لأنَّ شأن السَّحاب الرَّقيق أن تأتي بالأمطار التي يكون فيها منافع لهم ، وذلك مكر عظيم من الله بهم " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يا محمَّد كما اقترحوه بقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] ، وقيل : معناه : أو يأتي أمرُ ربِّك بإهلاكهم ، وقيل : المعنى : أو يأتي كلُّ آيات ربك ، بدليل قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وقيل : هو من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلَّا الله . وقد جاء في القرآن حذف المضاف كثيراً ، كقوله : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وقوله : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ، أي : حبَّ العجل ، وقيل : إتيان الله : مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه ، كقوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] (٤) .

---

(١) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ٢٣٦) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ١٨٩) .

(٣) انظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (١/ ١٢٧) .

(٤) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/ ١٨١) .

وقال الإمام الشَّوكاني أيضاً : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ ... والمعنى هل ينتظرون إلَّا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة ، قال الأخفش : وقد يحتمل أن يكون معنى الإتيان راجعاً إلى الجزاء ، فسمَّى الجزاء إتياناً كما سمَّى التَّخويف والتَّعذيب في قصَّة ثمود إتياناً ، فقال : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وقال في قصَّة النَّضير : ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، وإنَّما احتمل الإتيان هذا لأنَّ أصله عند أهل اللغة : القصد إلى الشَّيء ، فمعنى الآية : هل ينظرون إلَّا أن يُظهر الله فعلاً من الأفعال مع خلق من خلقه يقصد إلى محاربتهم ، وقيل : أنَّ المعنى : يأتيهم أمرُ الله وحكمُه ، وقيل : أنَّ قوله : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بمعنى بظلل ، وقيل : المعنى : يأتيهم ببأسه في ظلل " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) : " ... ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] بالمعنى اللائق به جلَّ شؤونه عن مشابهة المحدثات والتَّقيد بصفات الممكنات ... ومن النَّاس من قدر في أمثال هذه المتشابهات محذوفاً ، فقال : في الآية الإسناد مجازي ، والمراد : يأتيهم أمر الله تعالى وبأسه أو حقيقي ، والمفعول محذوف ، أي : يأتيهم الله تعالى ببأسه ، وحذف المأتي به للدّلالة عليه بقوله سبحانه : ﴿ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، فإنَّ العزّة والحكمة تدلُّ على الانتقام بحق ، وهو البأس والعذاب ، وذكر الملائكة لأنَّهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ، ويكون ذكر الله تعالى حينئذ تمهيداً لذكرهم ، كما في قوله سبحانه : ﴿ يُخادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة : ٩] ، على وجه ، وخصَّ الغمام بمحليَّة العذاب ، لأنَّه مظنَّة الرَّحمة ، فإذا جاء منه العذاب كان أفظع ، لأنَّ الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أصعب ، فكيف إذا جاء من حيث يحتسب الخير ، ولا يخفى أنَّ من علم أنَّ الله تعالى أن يظهر بما شاء ، وكيف شاء ، ومتى شاء ، وأنه في حال ظهوره باق على إطلاقه حتى عن قيد

(١) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ٢١٠-٢١١) .

الإطلاق ، منزَّه عن التقيد ، مبرَّأ عن التَّعدُّد ، كما ذهب إليه سلف الأمَّة وأرباب القلوب من ساداتنا الصُّوفيَّة !!! قدَّس الله تعالى أسرارهم ، لم يحتجْ إلى هذه الكلفات ، ولم يَحُمْ حول هذه التَّأويلات " (١) .

وقال الإمام الألوسي أيضاً : " ... وعن الحسن : إتيان الربِّ على معنى إتيان أمره بالعذاب . وعن ابن عبَّاس : المراد : يأتي أمر ربِّك فيهم بالقتل ، وقيل : المراد يأتي كلّ آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلِّي لقوله سبحانه : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وأنت تعلم أنَّ المشهور من مذهب السَّلف عدم تأويل مثل ذلك بتقدير مضاف ونحوه ، بل تفويض المراد منه إلى اللطيف الخبير مع الجزم بعدم إرادة الظَّاهر . ومنهم من يبقيه على الظَّاهر إلَّا أنَّه يدَّعي أنَّ الإتيان الذي ينسب إليه تعالى ليس الإتيان الذي يتَّصف به الحادث ، وحاصل ذلك أنَّه يقول بالظَّواهر وينفي اللوازم ويدَّعي أنَّها لوازم في الشَّاهد ، وأين التُّراب من ربِّ الأرباب .

وجوَّز بعض المحقِّقين حمل الكلام على الظَّاهر المتعارف عند النَّاس ، والمقصود منه حكاية مذهب الكفَّار واعتقادهم ، وعلى ذلك اعتمد الإمام ، وهو بعيدٌ أو باطل " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) أيضاً : " ونقل عن بعض السَّلف أنَّه لا يؤوِّل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، على ما هو عادتهم في الصِّفات المتشابهة " (٣) .

فقد وضَّح الإمام الآلوسي أنَّ المشهور من مذهب السَّلف عدم تأويل مثل ذلك بتقدير مضاف ونحوه ، بل تفويض المراد منه إلى اللطيف الخبير مع الجزم بعدم إرادة الظَّاهر ، وذكر أنَّ بعض السَّلف أوَّل ، فعن الحسن : إتيان الربِّ على معنى إتيان أمره بالعذاب . وعن ابن عبَّاس : المراد : يأتي أمرُ ربِّك فيهم بالقتل ، ثم تكلَّم على ما ذهب إليه الخلف من التَّأويل ...

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٤٩٣) .

(٢) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤/ ٣٠٤-٣٠٥).

(٣) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٠/ ٩) .

أمَّا عن قوله : " ونقل عن بعض السَّلف أنَّه لا يؤوِّل " فهو باطل بدليل ما ذكرناه قبلُ من تأويلات عديدة للسَّلف الصَّالح ... وكذا بما أودعناه كتابنا : " إعلامُ الخلف بتأويلات السَّلف " ...

ومن الجدير بالذِّكر هنا : أنَّ الأيدي الآثمة قد عبثت بكتاب الآلوسي : " روح البيان " ، فقد كتب الأستاذ محمَّد بن عبد الله آل رشيد في صحيفة الجزيرة بتاريخ ٢٧ من هذا الشَّهر يوم الأحد مقالاً عن تفسير " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني " لأبي الثناء الألوسي ، وذكر أنَّ أوَّل من طبعه هو نجله نعمان الألوسي ... وكان الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري قد نبَّه على أمر مهم يتعلَّق بطبع نعمان لهذا التَّفسير ، حيث جاء في حاشية (مقالاته) (ص٣٤٤) : (وهو ليس بأمين على طبع تفسير والده ، ولو قابله أحدهم بالنُّسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راغب باشا باسطنبول ، وهي النُّسخة التي كان المؤلِّف أهداها إلى السُّلطان عبدالمجيد خان لوجد ما يطمئن إليه) ... وفي حجِّ العام المنصرم سنة (١٤٢٦هـ) ، التقيت بالأستاذ الباحث أحمد بن عبدالكريم العاني ، فأفادني بفائدة عزيزة ، حلَّت الإشكال المتقدِّم ، حيث إنَّ كليَّة الإمام الأعظم في مدينة بغداد كلَّفت ثلاثين طالباً في مرحلة الماجستير بتحقيق تفسير الألوسي (روح المعاني) ، وكان الأستاذ أحمد العاني أحد هؤلاء الطَّلبة الذين قاموا بتحقيق هذا الكتاب ، وكان القسم الذي قام بتحقيقه يبدأ من الآية خمس وعشرين من سورة آل عمران إلى الآية أربع وتسعين ، وكان اعتمادهم على النُّسخة التي أشار إليها الشَّيخ الكوثري ، فحدَّثني أنَّ النُّسخة المطبوعة مليئة بالتَّصحيف والتَّحريف والإخلال والنَّقص في كثير من المواضع ، ممَّا يؤكِّد كلام الشَّيخ الكوثري ، بأنَّ النَّسخة المتداولة من هذا التَّفسير فيها تحريف ونقص ، وقد وعدني أحد المشايخ الأفاضل بنسخة من التَّفسير المخطوط " .

قلت : ومما لا شكَّ فيه أنَّ التحريف طال أغلب المسائل لا تتوافق مع مشرب من يدَّعون السَّلفيَّة ... وقد قمت بالاتِّصال مع بعض الإخوة العراقيين الذين اشتركوا في تحقيق كتاب " روح المعاني " للإمام الألوسي ، فأكَّدوا لي ما قاله الإمام الكوثري ، وأنَّ الأيدي الآثمة المجرمة قد عبثت بهذا الكتاب النَّفيس وعن سبق الإصرار والتَّرصُّد ، فذهبت ببريقه ونوره ... وكم نتمنى على اللجنة المحقِّقة لهذا الكتاب النَّفيس أن يُبادروا لنشره بصورة القشيبة التي صنعها الإمام الألوسي ، كي يتسنَّى للجميع الاطِّلاع على المزيد والمزيد من عبث هذه الشِّرذمة بكتب أهل العلم ...

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) أيضاً : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بما وعدهم من الحساب والعذاب ، استثناء مفرغ من مقدر ، أي : ليس لهم شيء ينتظرونه إلَّا إتيان العذاب ، وهذا مبالغة في توبيخهم ، " في ظلل " جمع ظلة وهي ما يظلّك ، وقال الأخفش : وقد يحتمل أن يكون معنى الإتيان راجعاً إلى الجزاء فسمَّى الجزاء إتياناً ، كما سمَّى التَّخويف والتَّعذيب في قصَّة ثمود إتياناً ، فقال : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وقال في قصَّة النَّضير : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] . وإنَّما احتمل الإتيان هذا لأنَّ أصله عند أهل اللغة القصد إلى الشَّيء ، فمعنى الآية : فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقيل : أنَّ المعنى يأتيهم أمر الله وحكمه ، وقيل : أنَّ قوله : ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، بمعنى : بظلل ، وقيل : المعنى يأتيهم ببأسه في ظلل " (١) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان القِنَّوجي أيضاً : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، يا محمَّد كما اقترحوه بقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ [الفرقان : ٢١] ، وقيل : معناه : يأتي أمر ربِّك بإهلاكهم ، وقد جاء في القرآن حذف المضاف كثيراً ، كقوله : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وقوله : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩] ، أي : حبَّ العجل ، وقيل : إتيان الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، قاله ابن مسعود ، وقتادة (١١٨هـ) ، ومقاتل ، وقال : يأتي في ظلل من الغمام ، وقيل : كيفية الإتيان من التَّشابه الذي لا يعلم تأويله إلَّا الله فيجب إمرارها بلا تكييف ولا تعطيل " (٢) .

وقال الأستاذ جميل صدقي بن محمَّد فيضي بن الملا أحمد بابان الزَّهاوي (١٩٣٦هـ) : " وقوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : يأتي عذابه " (٣) .

---

(١) انظر : فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١/ ٤٢١) .

(٢) انظر : فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٤/ ٢٨٣) .

(٣) انظر : الفجر الصادق في الردِّ على المارق (ص٣١) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التَّناري بلداً (١٣١٦هـ) ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨] ، أي : بحسب ما اقترحوا بقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] . وهم كانوا كفَّاراً ، واعتقاد الكافر ليس بحجَّة . وقيل : المراد بالملائكة : ملائكة الموت لقبض أرواحهم ، وبإتيان الله تعالى : إتيان كلّ آياته بمعنى آيات القيامة كلّها . وقيل : أو يأتي ربُّك يوم القيـــامة بلا كيف " (١) .

وقال الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) : " ... أَيْ : أَمْرُهُ بِمَعْنَى عَذَابُهُ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمَّد شمس الدِّين بن محمَّد بهاء الدِّين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (١٣٥٤هـ) : " قِيلَ : إِنَّ إِتْيَانَ الرَّبِّ تَعَالَى عِبَارَةٌ عَنْ إِتْيَانِ مَا وَعَدَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّصْرِ ، وَأَوْعَدَ بِهِ أَعْدَاءَهُ مِنْ عَذَابِهِ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنيا ، كَمَا قَالَ فِي الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله : ﴿ فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] الْآيَةَ ، وَقِيلَ : إِتْيَانُ أَمْرِهِ بِالْعَذَابِ أَوِ الْجَزَاءِ مُطْلَقًا ، فَهَاهُنَا مُقَدَّرٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ الَّتِي تُشَابِهُ هَذِهِ السُّورَةَ فِي أَكْثَرِ مَسَائِلِهَا : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، وَقِيلَ : بَلِ الْمُرَادُ : إِتْيَانُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَلَا شَبَهٍ وَلَا نَظِيرٍ ، وَتَعَرُّفُهُ إِلَى عِبَادِهِ وَمَعْرِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ الصَّحيح إِيَّاهُ " (٣) .

وقال الإمام أحمد المراغي (١٣٧١هـ) : " والمراد بإتيان الله : إتيان ما وعد به من النَّصر لأحبابه وأوعد به أعداءه من العذاب في الدُّنيا كما جاء في قوله : ﴿ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر: ٢] الآية . وإتيان أمره هو : جزاؤهم على نحو ما جاء في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ

---

(١) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (١/ ٣٥٦) .

(٢) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٨/ ٣٥٧) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٨/ ١٨٤) .

رَبِّكَ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما ظَلَمَهُمُ الله وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٣٣] . والخلاصة : أنَّهم لا ينتظرون إلَّا أحد أمور ثلاثة : مجيء الملائكة ، أو مجيء ربِّك بحسب ما اقترحوا بقولهم : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] ، وقولهم : ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِّ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٩٢] ، وقولهم : أو مجيء بعض آيات ربِّك غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً ﴾ [الإسراء : ٩٢] ، ونحو ذلك من الآيات العظام التي علَّقوا بها إيمانهم .

وفي الآية إيماء إلى تماديهم في تكذيب آيات الله ، وعدم اعتدادهم بها ، وأنَّه لا أمل في إيمانهم البتَّة " (١) .

وقال الإمام محمود بن عبد الرَّحيم صافي (١٣٧٦هـ) : " ... وفي الكلام حذف مضاف ، أي : يأتي أمرُ الله أو عذابُه " (٢) .

وقال الإمام عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) : " بعد أن أعذر الله للمشركين من قريش ومن حولهم ، بما بعث فيهم من رسول منهم ، وبما أنزل إليهم من كتاب كانوا يتمنَّونه من قبل ليكونوا أهل كتاب كاليهود والنَّصارى ، وبعد أن كان منهم هذا الذي استقبلوا به الكتاب والنَّبيّ الذي حمل إليهم الكتاب ، من مشاقّة وعناد ، وتكذيب – بعد هذا كله لم يكن لهم أن ينتظروا إلَّا أن يصيروا إلى هذا المصير الذي يقودهم إليه كفرهم وضلالهم ، إذ لا هدى لهم بعد هذا الهدى ، ولا كتاب بعد هذا الكتاب.. ولهذا جاء قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، لينكر عليهم هذا العناد الذي هم فيه ، وليدخل اليأس عليهم من أن ينتظروا جديداً ، يطلع في أفقهم بدعوة تدعوهم إلى الله ، إذ ليس هناك دعوة أبلغ ولا أبين من هذه الدَّعوة التي بين أيديهم...

وأنَّهم إن كانوا ينتظرون أن تأتيهم الملائكة ، أو يأتيهم الله ، أو تأتيهم بعض آيات الله... فلينتظروا...

---

(١) انظر : تفسير المراغي (٨/ ٨٠-٨١) .

(٢) انظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢/ ٤٣٠) .

أمَّا الملائكة فلن يأتوا أبداً... والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ٩٥] .

وأمَّا الله سبحانه وتعالى ، فهو معهم أينما كانوا ، ولكنَّهم لن يروه عياناً ، لأنَّه سبحانه منزَّه عن أن يحدّ ، ولو رؤي لكان محدوداً ...

وأمَّا بعض آيات الله ، وهي نُذُر الهلاك المرسل إليهم ، أو علامات السَّاعة التي تكون بين يديها ، فإنَّها إذا جاءت لم تكن من تلك المعجزات التي تكشف للنَّاس طريق الإيمان إلى الله ، وإنَّما هي آيات تطلع عليهم بالمهلكات ، حيث لا فائدة للإيمان بعدها ، ولا أثر له في حياة صاحبها ، لأنَّها تأتي لتنهى حياة النَّاس ، لا لتجدِّد لهم حياة طيِّبة في الحياة... وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، فالإيمان عند استقبال الموت لا ينفع صاحبه ، فهو كإيمان فرعون حين أدركه الغرق " (١) .

وقال الإمام عبد المتعال الصَّعيدي (١٣٩١هـ) : " قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك أو عذابه أو بأسه ، وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : عذابُ الله أو أمره " (٢) .

وقال الإمام محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) : " وَالْإِتْيَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ حَقِيقَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ : مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، مِثْلَ الَّذِينَ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] . وأَمَّا الْمُسْنَدُ إِلَى الرَّبِّ فَهُوَ مَجَازٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِ : إِتْيَانُ عَذَابِهِ الْعَظِيم ، فَهُوَ لعظم هَوْلِهِ جَعَلَ إِتْيَانَهُ مُسْنَداً إِلَى الْآمِرِ بِهِ أَمْراً جَازِماً لِيُعْرَفَ مِقْدَارُ عَظَمَتِهِ ، بِحَسَبِ عَظِيمِ قُدْرَةِ فَاعِلِهِ وَآمِرِهِ ، فَالْإِسْنَادُ مَجَازِيٌّ مِنْ بَابِ : بَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ ، وَهَذَا مَجَازٌ وَارِدٌ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى

---

(١) انظر : التفسير القرآني للقرآن (٤/ ٣٥٢-٣٥٣) .

(٢) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٢/ ٣٤٤) .

: ﴿ فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَوَجَدَ اللهَّ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ ﴾ [النور : ٣٩] . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، إِتْيَانُ أَمْرِهِ بِحِسَابِ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا عَذَابَ الدُّنيا أَوْ عَذَابَ الْآخِرَةِ " (١) .

وقال الإمام محمَّد الأمين بن محمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشَّنقيطي (١٣٩٣هـ) : " ... ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِتْيَانَ اللهَّ جَلَّ وَعَلَا وَمَلَائِكَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَزَادَ فِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَجِيئُونَ صُفُوفاً ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وَذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَزَادَ فِيهِ أَنَّه جَلَّ وَعَلَا يَأْتِي فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ صِفَاتِ اللهَّ تَعَالَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ ، يَمُرُّ كَمَا جَاءَ وَيُؤْمِنُ بِهَا ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّه حَقٌّ ، وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه : ١١٠] (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣٩٤هـ) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . أكثر المفسِّرين على أنَّ ذلك عندما يحين حين هذه الدُّنيا ، والاستفهام إنكاري توبيخي ، لَا ينتظرون بعد هذا التَّكذيب إلَّا أن تأتيهم الملائكة تقبض أرواحهم ، أو يأتيهم ربُّك ، أي : أمر ربِّك ، فهي من قبيل حذف المضاف والاكتفاء بذكر الله تعالى ، وأمر الله شديد لَا قبل لكم باحتماله ، إذ يتغيَّر الكون ، وينفخ في الصُّور " (٣) .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (٨/ ١٨٥) .

(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٥٤٩) .

(٣) انظر : زهرة التفاسير ، محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، (٥/ ٢٧٥٢) ، دار الفكر العربي .

وقال الإمام صبحي الصَّالح (١٩٨٦م) : " وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل أحمد في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال : وهل هو إلَّا أمره ؟! بدليل قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] (١) .

وقال الإمام محمَّد الغزالي (١٩٩٦م) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أمرُه ووعيدُه " (٢) .

وقال الإمام محمَّد متولي الشَّعراوي (١٤١٨هـ) : " ووقف العلماء عند هذا القول الكريم ، لأنَّهم أرادوا أن يفسِّروا الإتيان من الرَّبِّ على ضوء الإتيان منا ، والإتيان منَّا يقتضي انخلاعاً من مكان كان الإنسان فيه إلى مكان يكون فيه ، وهذا الأمر لا يصلحُ مع الله ، ونقول : أفسَّرت كلّ مجيء على ضوء المجيء بالنِّسبة لك ؟ بالله قل لي : ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق : ١٩] . كيف جاءت سكرة الموت وهي المخلوقة لله ؟!! إنَّنا لا نعرف كيف يجيء الموت ، وهو مخلوق ؟ فكيف تريدون أن نعرف كيف يجيء الله ؟ عليكم أن تفسِّروا كلَّ شيء بالنِّسبة لله بما يليق بذات الله في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ولنتأدَّب ونعط العقول مقدارها من الفهم ، ولنجعل كلَّ شيء منسوباً لله بما يناسب ذات الله ؛ لأنَّ المجيء يختلف بأقدار الجائين ، فمجيء الطِّفل غير مجيء الشَّاب ، غير مجيء الرَّجل العجوز ، غير مجيء الفارس ، فما بالنا بمجيء الله سبحانه ؟!! إيَّاك – إذن – أن تفهم المجيء على ضوء مجيء البشر . وأكرِّرها دائماً : عليك أن تأخذ كلّ شيء بالنِّسبة له سبحانه لا بقانونك أنت ، ولكن بقانون الذَّات الأعلى ، واجعل كلّ ما يخصّه في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ولذلك قل : له سمْعٌ ليس كسمعنا ، وبصرٌ ليس كبصرنا ، ويدٌ ليست كأيدينا ، في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] . وإيَّاكم أن تسمعوا

---

(١) انظر : مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصَّالح ، (ص٢٨٥) ، نقلاً عن البرهان (٢/ ٧٩) .

(٢) انظر : نحو تفسير موضوعي (١/ ١٠٣) .

مناقشة في قوله : ﴿ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . وقل إنَّ إتيان الله ومجيئه ليس كفعل البشر ، بل سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] (١) .

وقال الإمام محمَّد سيِّد طنطاوي (٢٠١٠م) : " وقوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : إتياناً يناسب ذاته الكريمة بدون كيْف أو تشبيه للقضاء بين الخلق يوم القيامة ، وقيل: المراد بإتيان الرَّبِّ ، إتيان ما وعد به من النَّصر للمؤمنين والعذاب للكافرين " (٢) .

وقال الدُّكتور وهبة بن مصطفى الزّحيلي (معاصر) : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه ، بمعنى عذابه " (٣) .

وجاء في التَّفسير الوسيط : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] : أَو أَن يأتي ربُّك إليهم ، داعياً إيَّاهم إلى الهدى ، كما اقترحوا ذلك ، في قوله تعالى : ﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا ﴾ [الفرقان : ٢١] ، أَو المراد : إِتيان أمره بالعذاب " (٤) .

وأخيراً ، فإنَّ الإتيان ورد في كتاب الله تعالى غير مرَّة مضافاً إلى الله تعالى ، وكذا إلى أشياء عديدة ، وبمعنى لا يفيد الحركة والانتقال من مكان إلى آخر ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] ، أي سيأتي ، أو قد دنا ، وكلُّ ما هو آتٍ قريب ، وأَمْرُ اللهِ تعالى هو العذاب الذي توعَّدهم الله به جزاء على كفرهم ... ، والعذاب لا يتحرَّك ولا ينتقل من مكان إلى آخر بنفسه ، فالذي يأتي به الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ فالله تعالى هو صاحب الأمر ، وأمر بالعذاب قد مضى وانتهى ، ووقوعه لا يكون إلَّا في زمانه المُقدَّر له منه سبحانه ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً ﴾ [يونس : ٢٤] ...

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي (٧/ ٤٠١٢-٤٠١٣) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمَّد سيد طنطاوي (٥/ ٢٢٦) .

(٣) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٨/ ١١٢) .

(٤) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ١٣٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ٢٦] ، والمعنى : أنَّ الله تعالى أهلك بنيانهم الذي بنوا ، فدمَّره وقوَّضه وخرَّبه واقتلعه من أساسه ، حتى خرَّ عليهم السَّقف من فوقهم ...

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها ﴾ [الأنبياء : ٤٤] ، وهذه استعارة . وقد اختلف النَّاس في المراد بها ، فقال قوم : معنى ذلك نقصان أرض المشركين ، بفتحها على المسلمين . وقال آخرون : المراد بنقصانها : موت أهلها ، وقيل موت علمائها " (١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، والمقصود بالآيات هنا – كما قال جمهور المفسِّرين – : طلوع الشَّمس من مغربها ...

وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، أي : تأتيه جميع أسباب الموت ، ولا يموت ، لأنَّ الله تعالى قضى عليهم بعدم الموت .

وقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً ﴾ [الكهف : ٥٥] ، وسنَّة الأولين هي ما أوقعه الله تعالى بالعصاة والكفرة والمجرمين من العذاب في الأُمَمَ السَّالِفَةَ ...

وكما جاء الإتيان مضافاً إلى الله تعالى في القرآن الكريم ، جاء مضافاً إلى الله في الحديث الشَّريف ، ولم يختلف كلام العلماء في تفسير الإتيان الوارد في الحديث عن كلامهم في تفسير الإتيان الوارد في القرآن ، فقد أكَّدوا على ضرورة تنزيه الله تعالى عن مشـــابهة الحوادث ، ومنها : تنزيهه سبحانه عن الحركة والنُّقلة ...

روى البخاري وغيره بسندهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ النَّاس قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ؟ ، قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ ، قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ الله النَّاس يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ القَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ،

---

(١) انظر : تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢/ ١٧٨) .

وَتَبْقَى هَذِهِ الأمَّة فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا – شَكَّ إِبْرَاهِيمُ – ، فَيَأْتِيهِمُ الله فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ الله فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ ... " [1] ... ، ومن كلام العلمـــاء في تفسير الإتيان الوارد في الحديث :

قال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) : " ... وأمَّا الْإِتْيَان بِهِ فعلى معنى ظُهُور فعله لَهَا مِنْهُ وَهُوَ معنى قَوْله تَعَالَى : ﴿ فَأَتَى الله بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] ، وَقَوله تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى " [طه : ٥] ، على أحد التَّأْوِيل ، أمَّا قَوْله : " غير الصُّورَة الَّتِي يعرفونها " ، فَيحْتَمل أَن يكون الْمَعْنى فِي ذَلِك أَنَّه يَأْتِيهم يَوْم الْقِيَامَة بِصُورَة على خلاف ذَلِك الشَّكل وَتلك الْهَيْئَة الَّتِي كَانَت الصُّورَة عَلَيْهَا فِي الدُّنيا مَا لم يعرفوه وَلم يعهدوه لَيْسَ ذَلِك مُنْكرا لِأَن عادات أهل الْقِيَامَة وَمَا يظْهر لَهُم من الْأَهْوَال وعجائب الْخلق من صُورَة الْمَلَائِكَة وزبانية الْعَذَاب وخزنة الْجنان مِمَّا لم يعهدوا على شكلها وهيئتها فِي الدُّنْيَا .

وأمَّا قَوْله : فَيَقُول : " أَنا ربُّكُم " ، فقد قَالَ بعض أهل الْعلم : إِنَّ هَذَا آخر محنة الْمُؤمن ، وَأَنه يظْهر هَذَا القَوْل فعلاً من الله عزَّ وَجلَّ فِي بعض هَذِه الصُّور ، محنة للمكلَّفين فِي الدُّنيا من أهل الْإِيمَان ، فَيظْهر مِنْهُم عَن صدق توحيدهم وَصِحَّة إِيمَانهم مَا يكون إنكاراً لذَلِك ، وَتَكون الْفَائِدَة فِيهِ يعرفنا تأييد الله تَعَالَى لأهل الْإِيمَان بِهِ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَة وتثبيته لَهُم ، كَمَا قَالَ عزَّ وَجلَّ : ﴿ يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، أَي : يثبتهم فِي الدُّنيا على الْحق عِنْد ظُهُور القَوْل والمحن ، ويثبتهم فِي العقبى أَيْضاً فِي مَوَاضِع المحن .

وإِنَّمَا قيل للدُّنيا : دَار محنة وتكليف مُطلقاً ، وَإِن كَانَ من نوعها قد يَقع مِنْهَا فِي العقبى ، فَلَا يُطلق عَلَيْهَا أَنَّهَا دَار تَكْلِيف ومحنة ، بل يُقَال : أَنَّهَا دَار جَزَاء ، لِأَنَّ الْغَالِب ذَلِك عَلَيْهَا ، وَهَذَا كَمَا يقال فِي الدُّنيا جَزَاء وَلَا يُضَاف إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَا يغلب عَلَيْهَا إِذا لم يكن بِهِ .

---

[1] أخرجه البخاري (٩/ ١٢٨ برقم٧٤٣٧) ، مسلم (١/ ١٦٧ برقم ١٨٣) ، وغيرهما .

وأمَّا قَوْله : " أنَّهم يَقُولُونَ : إذا جَاءَ رَبنَا عَرفْنَاهُ " ، فَيحْتَمل أَن يكون مَعْنَاهُ : مجيئاً بِإِظْهَار فعل يبديه فِي قُلُوبهم من زَوَائِد يَقِين وَعلم وبصر عِنْدَمَا يحدث لَهُم من إِدْرَاكه ومعانيه ، لِأَنَّ سَائِر مَا أضيف إِلَى الله تَعَالَى من إتْيَان ومجيء ، فَهُوَ لظُهُور نوع من تَدْبيره فِي فضل أَو عدل " (١) .

وقال الإمام ابن فورك أيضاً : " فَأَما معنى قَوْله فِي الْخَبَر الآخر : " فيأتيهم الله فِي صورته الَّتِي يعْرفُونَ فَيَقُولُونَ : أَنْت رَبنَا " ، فقد تقدَّم تَأْوِيل ذَلِك ، وَبينَّا أَنَّه نَظِير مَا فِي الْآيَة من قَوْله جلَّ ذكره : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فَروِيَ عَن ابْن عبَّاس فِي تَأْوِيله أَنَّ مَعْنَاهُ : بظلل من الْغَمَام ، وَأَنَّ " فِي " بِمَعْنى " الْبَاء " ، وَكَذَلِكَ قَوْله : " فيأتيهم فِي غير صورته " ، بِمَعْنى : بِغَيْر صورته ، وَإِضَافَة الصُّورَة إِلَيْهِ من طَرِيق الْملك . وَقيل أَيْضاً : أَنَّ الْآتِي فِي غير صورته غير الله جلَّ ذكره ، بِدلَالَة قَوْله : " أنَّهم يَقُولُونَ : نَعُوذ بِاللهَّ مِنْك "، وَلَو كَانَ الْآتِي هُوَ الله لَكَانَ قَوْلهم : " نَعُوذ بك " وَلم يَقُولُونَ : " نَعُوذ بِاللهَّ مِنْك حَتَّى يأتينا رَبُّنَا هَذَا مَكَاننَا " .

وأمَّا قَوْله : " وَيَقُولُونَ : فَإِذا جَاءَ رَبُّنَا عَرفْنَاهُ " ، فَتَأْوِيل مَجِيء الربِّ على مَا تقدَّم ذكره فِي تَأْوِيل الْآيَة من قَوْله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَأَنَّ ذَلِك بِظُهُور فعل لَا بتحويل من مَكَان إِلَى مَكَان ..."(٢) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) أيضاً : " ... وأمَّا اللَّفْظ الآخر الَّذِي ذكره فِي الْخَبَر ، وَهُوَ قَوْله : فَيَجِيء الله تبَارك وَتَعَالَى فيهم ، فتأويله على نَحْو قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] :

أَحدهمَا : أَن يكون الْمُرَاد بِهِ إِظْهَار فعل يُسمَّى مجيئاً .

والثَّاني : أَن يكون يَجِيء فيهم ، أَي : يَجِيء بهم ، وَهَذَا نَحْو مَا رُوِيَ عَن ابْن عبَّاس فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَنَّ مَعْنَاهُ : بظلل ، وَمَا ذكرنَا فِي تَأْوِيل النُّزول والمجيء ، فَهُوَ تَأْوِيل الهبوط ، وَأَنَّ ذَلِك أَيْضاً لَيْسَ هُوَ بِمَعْنى التَّحْوِيل من مَكَان إِلَى مَكَان " (١) .

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (٨٧-٩١) .

(٢) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٤١٤-٤١٥) .

وقال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) : " وقوله : " فيأتيهم الله " ، الإتيان هاهنا إنَّما هو كشف الحجب التي بين أبصارنا وبين رؤية الله ؛ لأنَّ الحركة والانتقال لا تجوز على الله ؛ لأنَّها صفات الأجسام المتناهية ، والله تعالى لا يوصف بشيء من ذلك ، فلم يبق من معنى الإتيان إلَّا ظهوره تعالى إلى أبصار لم تكن تراه ولا تدركه " (٢) .

وقال الإمام ابن بطَّال أيضاً : " قال ابن فورك : حجَّة أهل البدع هذا الحديث وشبهه ، وقالوا : لا يمكن حمل شيء منه على تأويل صحيح من غير أن يكون فيه تشبيه ، أو تحديد ، أو وصف للرب تعالى بما لا يليق به ، وقد ورد التَّنزيل ، بمعنى هذا الحديث وهو قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، و ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، و ﴿ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ ﴾ [النحل: ٢٦] . ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عزَّ وجلَّ . فمن ذلك أنا وجدنا لفظة النُّزول في اللغة مستعملة على معانٍ مختلفة :

فمنها : النُّزول بمعنى الانتقال والتَّحويل ، كقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً﴾ [الفرقان : ٤٨] .

ومنها : النُّزول بمعنى الإعلام ، كقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، أي : أعلم به الرُّوحُ الأمين محمَّداً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومنها : النُّزول بمعنى القول في قوله تعالى : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله﴾ [الأنعام : ٩٣] ، أي : سأقول مثل ما قال .

ومنها : النُّزول بمعنى الإقبال على الشَّيء ، وذلك هو المستعمل في كلامهم الجاري في عرفهم ، وهو أنَّهم يقولون : نزل فلان من مكارم الأخلاق إلى دنيّها ، أي : أقبل إلى دنيّها ، ونزل قدر فلان عند فلان ، أي : انخفض .

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٤٧٢) .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٢٣) .

ومنها : النُّزول بمعنى نزول الحكم ، من ذلك قولهم : كنا في خير وعدل حتى نزل بنا بنو فلان ، أي : حكمهم ، وكل ذلك متعارف عند أهل اللغة ، وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة المعنى فينبغي حمل ما وصف به الرَّب تعالى من النُّزول على ما يليق به من بعض هذه المعاني . إمَّا أن يراد به : إقباله على أهل الأرض بالرَّحمة والتَّنبيه الذى يلقى في قلوب أهل الخير منهم ، والزَّواجر التي تزعجهم إلى الإقبال على الطَّاعة ، ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهر بأمره ، فيضاف إليه ، كما يقال : ضرب الأمير اللصَّ ، ونادى الأمير في البلد ، وإنَّما أمر بذلك ، فيضاف إليه الفعل على معنى أنَّه عن أمره ظهر ، وإذا احتمل ذلك في اللغة لم ينكر أن يكون لله ملائكة يأمرهم بالنُّزول إلى السَّماء الدُّنيا بهذا النِّداء والدُّعاء ، فيضاف إلى الله .

وقد روى هذا التَّأويل في بعض طرق هذا الحديث ، روى النَّسائي ، قال: حدَّثنا إبراهيم ابن يعقوب ، حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدَّثنا أبى ، عن الأعمش ، حدَّثنا أبو إسحاق ، حدَّثنا أبو مسلم ، عن الأغر ، قال : سمعت أبا هريرة ، وأبا سعيد الخدري يقولان : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنَّ الله يُمهل حتى يمضى شطر الليل الأوَّل ، ثمَّ يأمر منادياً ينادى ، يقول : هل من داع يستجاب له ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من سائل يعطى " . وقد سئل الأوزاعي (١٥٧هـ) عن معنى هذا الحديث ، فقال : يفعل الله ما يشاء . وهذه إشارة منه إلى أنَّ ذلك فعلٌ يظهرُ منه تعالى .

وقد روى حبيب ، عن مالك ، أنَّه قال في هذا الحديث : ينزل أمرُه ورحمتُه ، وقد رواه غير حبيب عنه ، روى محمَّد بن على البجلي بالقيروان ، قال : حدَّثنا جامع بن سوادة ، قال : حدَّثنا مطرف ، عن مالك بن أنس (١٧٩هـ) ، أنَّه سئل عن هذا الحديث ، فقال : ذلك تنزُّل أمره . وقد سئل بعض العلماء عن حديث النُّزول ، فقال : تفسيره قول إبراهيم حين أفل النَّجم : ﴿ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، فطلب ربَّاً لا يجوز عليه الانتقال والحركات ، ولا يتعاقب عليه النُّزول ، وقد مدحه الله بذلك وأثنى عليه في كتابه ، فقال : ﴿ وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، فوصفه لأنَّه بقوله هذا ، موقن " (١) .

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ، ابن بطال (٣/ ١٣٧-١٣٩) .

وقال الإمام أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي (٥٢٠هـ) في شرحه لحديث : " ... قالوا يا رسول الله : هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ قال: هل تمارون ..." : " وهذا الحديث من مشكل الحديث ، فقوله أولاً فيه : " يأتيهم الله فيقول : أنا ربُّكم " معناه : فيأتيهم خلقٌ من خلق الله ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَه ، خرج مخرج " واسْأَل القَرْيَةَ " أي : أهلها ، ويحتمل أن يكون معناه :فيأتيهم الله بخلقٍ من خلقه فيقول ، ومعلوم أيضاً أنَّه جائز في اللسان العربي أن تقول ضرب السُّلطان ، وكتب ، ونادى في النَّاس ، وإن لم يفعل هو بنفسه شيئاً من ذلك ، وقد قال بعض العُلماء : إنَّ هذه آخر محنة الله يمتحن بها عباده ، ، فيثبِّت المؤمنين منهم بالقول الثَّابت .

ومعنى قوله : " أنَّهم يقولون : إذا جاء ربُّنا عرفناه " ، أي : إذا تجلَّى لنا ربُّنا بإنعامه علينا بخلقه فينا إدراك رؤيته عرفناه، وهذا معنى قوله : فيأتيهم الله ، لأنَّ الإتيان الذي هو الانتقال من موضع إلى موضع مستحيل في صفة الله تعالى " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) في كلامه على حديث الشَّفاعة الطويل : " قال أبو سليمان الخطَّابي : معنى : " فيأتيهم الله " ، أي : يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً ، كما كانوا عرفوه في الدُّنيا استدلالاً ، فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة إتيان الآتي ، ولم يكن شوهد من قبل . وأمَّا الصُّورة فتتأوَّل على وجهين :

أحدهما : أنَّها بمعنى الصِّفة ، يقال صورة الأمر كذا .

والثاني : أنَّ المذكورات من المعبودات في أوَّل الحديث صور يخرج الكلام على نوعين من المطابقة . وقوله : " في غير الصُّورة التي رأوه فيها " ، دليل على أنَّ المراد بالصُّورة الصِّفة ، لأنَّهم ما رأوه قبلها ، فعلم أنَّ المراد الصِّفة التي عرفوه فيها .

وقال غيره من العلماء : يأتيهم بأهوال القيامة ، وصور الملائكة ، ممَّا لم يعهدوا مثله في الدُّنيا فيستعيذون من تلك الحال ، ويقولون : " إذا جاء ربُّنا عرفناه " ، أي : أتى بما يعرفونه من لطفه ، وهي الصُّورة التي يعرفون ... " (٢) .

---

(١) انظر : البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٧/ ٦١٣-٦١٤) .

(٢) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٥٩-١٦١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " ... وَقَوله : ثمَّ يأتينا رَبنَا . قد قَالَ أَحْمد فِي قَوْله : " أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله " [البقرة : ٢١٠] : يَأْتِي أمره " (١) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " اعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفات وَآيَاتِ الصِّفات ، قَوْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلف أَوْ كُلِّهِمْ : أَنَّه لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا ، بَلْ يَقُولُونَ : يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا ، وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهَّ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ ، مَعَ اعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ : أَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ وَالِانْتِقَالِ وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ ، وَعَنْ سَائِرِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَاخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُحَقِّقِيهِمْ ، وَهُوَ أَسْلَمُ .

وَالْقَوْلُ الثَّاني : وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ : أنَّها تتأول على ما يليق بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا ، وإِنَّما يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ ، بِأَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ، ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ ، فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ، يُقَالُ فِي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فيأتيهم الله " ، أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ ، لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان ، فعبَّر بالإتيان والمجيء هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مجَازاً ، وَقِيلَ : الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهَّ تَعَالَى ، سَمَّاهُ إِتْيَاناً ، وَقِيلَ : المراد بيأتيهم الله ، أَيْ : يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهَّ . قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ (٥٤٤هـ) رَحِمَهُ الله : هَذَا الْوَجْهُ أَشْبَهُ عِنْدِي بِالْحَدِيثِ ، قَالَ : وَيَكُونُ هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي أَنْكَرُوهَا مِنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْمَلَكِ وَالْمَخْلُوقِ ، قَالَ : أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ : يَأْتِيهِمُ الله فِي صُورَةٍ ، أَيْ : يَأْتِيهِمْ بِصُورَةٍ وَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ صُوَرِ مَلَائِكَتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ ، وَهَذَا آخِرُ امْتِحَانِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ أَوْ هَذِهِ الصُّورَةُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِ مَا يُنْكِرُونَهُ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّه لَيْسَ رَبَّهُمْ ، وَيَسْتَعِيذُونَ بِاللهَّ مِنْهُ ... " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدِّين الكرماني (٧٨٦هـ) : " قوله : " فيأتيهم الله " ، فإن قلت : ما معنى إتيان الله ، وهو سبحانه وتعالى منزَّه عن الحركة ؟ قلت : إسناد الإتيان إليه

(١) انظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٨٤) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ١٩-٢٠) .

مجاز عن الظُّهور ، لأنَّ الإتيان مستلزم للظهور وعلى المأتي إليه . فإن قلت : فلم كرَّر لفظ فيأتيهم الله ؟ قلت : لا تكرار ، إذ المراد من الأوَّل : ظهور غير واضح لبقاء بعض الحجب مثلاً ، ومن الثَّاني : ظهور واضح في الغاية أو يقلل أبهمه أولاً ثمَّ فسَّره ثانياً بزيادة بيان قولهم وذكر المكان ودعوتهم إلى دار الإسلام ، أو يراد بالأوَّل إتيان الملك ، ففيه إضمار " (١) .

وقال الإمام الكرماني أيضاً : " قوله : " يأتيهم الله " إسنادُ الإتيان إليه مجاز عن التَّجلِّي لهم ، وقيل : عن رؤيتهم إيَّاه ، لأنَّ الإتيان إلى الشَّخص مستلزم لرؤيته له . القاضي عياض (٥٤٤هـ) : أي : يأتيهم بعض ملائكته أو يأتيهم الله في صورة الملك ، وهذا آخر امتحان المؤمنين ، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصُّورة : أنا ربُّكم ، رأوا عليه من علامة الحدوث ما يعلمون به أنَّه ليس ربّهم " (٢) .

وقال الإمام ابن الملقِّن أيضاً : " قوله : " فيأتيهم الله " الإتيان هنا إنَّما هو كشف الحجب التي بين أبصارنا وبين رؤية الله – عزَّ وجلَّ – ، لأنَّ الحركة والانتقال لا تجوز عَلَى الله تعالى ؛ لأنَّها صفات الأجسام المتناهية ، والله تعالى لا يوصف بشيء من ذَلِكَ ، فلم يبق من معنى الإتيان إلَّا ظهوره – عزَّ وجلَّ – إلى الأبصار ، لم تكن تراه ولا تدركه ، والعادة أنَّ من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلَّا بالإتيان ، فعبَّر به عن الرُّؤية مجازاً ، ولا شكَّ أنَّ ما كان عليه السَّلف من التَّسليم أسلم ، لكن مع القطع بأنَّ الظَّواهر المذكورة يستحيل حملها على ظواهرها لما يعارضها من ظواهر أخر ، والمتأوِّل أوَّلها عَلَى ما يليق بها عَلَى حسب مواقعها ، وإنَّما يسوغ تأويلها لمن كان عارفا بلسان العرب ، وقواعد الأصول " (٣) .

وقال الإمام ابن الملقِّن أيضاً : " قوله : " فيأتيهم الله " الإتيان هنا إنَّما هو كشف الحجب التي بين أبصارنا وبين رؤية الله – عزَّ وجلَّ – ، لأنَّ الحركة والانتقال لا تجوز عَلَى الله تعالى ؛ لأنَّها صفات الأجسام المتناهية ، والله تعالى لا يوصف بشيء من ذَلِكَ ، فلم يبق من معنى الإتيان إلَّا ظهوره – عزَّ وجلَّ – إلى الأبصار ، لم تكن تراه ولا تدركه ، والعادة أنَّ من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلَّا بالإتيان ، فعبَّر به عن الرُّؤية مجازاً ، ولا شك أنَّ ما كان عليه السَّلف من التَّسليم أسلم ، لكن مع القطع بأنَّ الظَّواهر المذكورة يستحيل حملها على ظواهرها لما يعارضها من ظواهر أخر، والمتأوِّل أولها عَلَى ما يليق

---

(١) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ١٦١) .

(٢) انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٤٢) .

(٣) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (١/ ٢١٠) .

بها عَلَى حسب مواقعها ، وإنَّما يسوغ تأويلها لمن كان عارفاً بلسان العرب ، وقواعد الأصول والفروع وزعم القاضي عياض (٥٤٤هـ) أنَّ الإتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه إتياناً . قَالَ : والأشبه أنَّ المراد يأتيهم بعض الملائكة ، ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصُّورة التي أنكروها من سمات الحدث الظَّاهرة عليه ، أو يكون معناه : يأتيهم في صورة لا تشبه صفات الإلهية ؛ ليختبرهم وهو آخر امتحان المؤمنين ، فإذا قَالَ لهم هذا الملك أو هذِه الصورة : أنا ربكم . رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه ويعلمون أنَّه ليس ربّهم فيستعيذون بالله منه .

وقال القرطبي : هذا مقام هائل يمتحن الله فيه عباده ؛ ليميز المُحِقّ من المُبطل ، وذلك أنَّه لمَّا بقي المنافقون والمراءون متلبسين بالمؤمنين المخلصين زاعمين أنَّهم منهم، امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة هائلة قالت للجميع : أنا ربكم . فأجاب المؤمنون بإنكار ذَلِكَ لما سبق لهم من المعرفة به تعالى، وأنَّه منزَّه عن صفات هذِه الصُّورة ؛ إذ سماتها سمات الحدث ؛ فلذلك قالوا في حديث أبي سعيد : نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً . مرتين أو ثلاثاً ، حتَّى أنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب ، وهذا البعض الذي هم بالانقلاب لم يكن لهم رسوخ العلماء ولا ثبوت العارفين ، ولعلَّ هذِه الطَّائفة هي التي اعتقدت الحقّ من غير بصيرة ، فلذلك كان اعتقادهم قابلاً للانقلاب . ثمَّ يقال بعد هذا للمؤمنين : هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون : نعم . فيكشف عن ساق ، أي : يوضح الحقّ ويتجلَّى لهم الأمر ، فيروه حقيقة معاينة - وكشف السَّاق مثل يستعمله العرب في الأمر إِذَا حقّ ووضح - وعند هذا يسجد الجميع ، فمن كان مخلصًا في الدُّنيا صحَّ لَهُ سجوده عَلَى نهايته وكماله ، ومن كان منافقاً أو مرائياً عاد ظهره طبقة واحدة كلَّما رام السُّجود خرَّ عَلَى قفاه ، فعلى هذا تكون الصُّورة التي لا يعرفونها مخلوقة ، والفاء التي دخلت عليها بمعنى الباء ، ويكون معنى الكلام : أنَّ الله تعالى يجيئهم بصورة . كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، ويكون معنى الإتيان هنا : يحضر لهم تلك الصُّورة

وأمَّا الصُّورة الثَّانية التي يعرفون عندما يتجلى لهم الحقّ فهي صفته تعالى التي لا يشاركه فيها شيء من الموجودات ، وهذا الوصف الذي كانوا قد عرفوه في الدُّنيا ، وهو المعبَّر عنه بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، ولهذا قالوا : إِذَا جاء ربنا عرفناه . فقيل لهم في الحديث :

وكيف تعرفونه ؟ قالوا : أنَّه لا شبيه له ولا نظير ، وقد جاء مرفوعاً في كتاب : " التَّصديق بالنَّظر إلى الله تعالى " للآجري من حديث أبي موسى كذلك (١)، ولا يستبعد إطلاق الصُّورة بمعنى الصِّفة والمجيء والإتيان المضاف إلى الرَّب جلَّ جلاله .

ثانياً : هو عبارة عن تجلِّيه لهم ، فكأنَّه كان بعيداً فقرب أو غائباً فحضر ، وكلّ ذَلِكَ خطاب عَلَى وجه الاستعارة ، جار عَلَى المتعارف من توسّعات العرب ، فإنَّهم يسمّون الشَّيء باسم الشَّيء إِذَا جاوره أو قاربه ، والتَّحوُّل المنسوب إليه تعالى في رواية أخرى في الصَّحيح عبارة عن إزالة تلك الصُّورة الأولى المتعوّذ منها ، فيكون قوله : " تحول " حالاً متقدِّمة قبل سجودهم ؛ بمعنى : وقد كان تحوّل . أي : حول تلك الصُّورة وأزالها وتجلَّى هو بنفسه ، فيكون المراد بهذا الكلام : أنَّه تعالى لَمَّا تجلَّى لعباده المؤمنين أوَّل مرَّة رأوه فيها ، لم يزل كذلك ، لكنَّهم انصرفوا عن رؤيته عند سجودهم ، ثمَّ لما فرغوا منه عادوا إلى رؤيته مرةً ثانية .

والخطَّابي قَالَ : الإتيان هنا : كشف الحجاب لهم وقد مر .

والصُّورة إمَّا بمعنى: الصِّفة ، كقولنا : صورة هذا الأمر كذا وكذا . إذ المذكور من المعبودات صور فخرج الكلام عَلَى نوع من المطابقة .

وقوله : " في أدنى صورة " يدلُّ عَلَى أنَّ المراد بالصُّورة: الصِّفة كما مر؛ لأنَّهم ما رأوه قبلها، فعلم أنَّ المراد الصِّفة التي عرفوه بها " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " وأَمَّا نِسْبَةُ الْإِتْيَانِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى ، فَقِيلَ : هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ ، لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ كُلَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ إِلَّا بِالْمَجِيءِ إِلَيْهِ ، فَعَبَّرَ عَنِ الرُّؤْيَةِ بِالْإِتْيَانِ مجَازاً ، وَقِيلَ : الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهَّ تَعَالَى ، يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مَعَ تَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ ، وَقِيلَ : فِيهِ حَذْفٌ ، تَقْدِيرُهُ : يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهَّ ، وَرَجَّحَهُ عِيَاضٌ (٥٤٤هـ) ، قَالَ : وَلَعَلَّ هَذَا الْمَلَكَ جَاءَهُمْ فِي صُورَةٍ أَنْكَرُوهَا لَمَّا رَأَوْا فِيهَا مِنْ سِمَةِ

(١) انظر : التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة ، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري أبو بكر ، (ص٥٥ برقم ٣٩) ، تحقيق : سمير بن أمين الزهيري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٧/ ١٩٥-١٩٩) .

الْحُدُوثِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْمَلَكِ ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ وَجْهاً رَابِعاً ، وَهُوَ : أَنَّ الْمَعْنَى : يَأْتِيهِمُ الله بِصُورَةٍ ، أَيْ : بِصِفَةٍ تَظْهَرُ لَهُمْ مِنَ الصُّوَرِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَةَ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ بِذَلِكَ ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، وَرَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَةِ الْمَخْلُوقِينَ مَا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّه لَيْسَ رَبَّهُمْ اسْتَعَاذُوا مِنْهُ لِذَلِكَ ، انْتَهَى . وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن الْمُشَارِ إِلَيْهَا : " فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ " ، وَهُوَ يُقَوِّي الِاحْتِمَالَ الْأَوَّلَ ، قَالَ : وأَمَّا قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ : " فَيَأْتِيهِمُ الله فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا " ، فَالْمُرَادُ بِذَلِكَ : الصِّفَةُ ، وَالْمَعْنَى : فَيَتَجَلَّى الله لَهُمْ بِالصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَهُ بِهَا ، وإِنَّما عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَتُهُ ، لأَنَّهم يَرَوْنَ حِينَئِذٍ شَيْئاً لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقِينَ ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّه لَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّه رَبُّهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، وَعَبَّرَ عَنِ الصِّفَةِ بِالصُّورَةِ لِمُجَانَسَةِ الْكَلَام لِتَقَدُّم ذِكْرِ الصُّورَةِ ، قَالَ : وأَمَّا قَوْلُهُ : " نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْكَ " ، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ (٣٨٨هـ) : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ صَدَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ (٥٤٤هـ) : وَهَذَا لَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ بِهِ وَقَالَ النَّووي (٦٧٦هـ) : الَّذِي قَالَهُ الْقَاضِي صَحِيحٌ ، وَلَفْظُ الْحَدِيثِ مُصَرِّحٌ بِهِ أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ ، انْتَهَى . وَرَجَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ (٦٧١هـ) فِي التَّذْكِرَةِ ، وَقَالَ : أَنَّه مِنَ الِامْتِحَانِ الثَّانِي يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ : "حَتَّى ان بَعضهم ليكاد يَنْقَلِب " .

وَقَالَ ابن الْعَرَبِيِّ (٥٤٣هـ) : إِنَّما اسْتَعَاذُوا مِنْهُ أَوَّلًا لأنَّهم اعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ اسْتِدْرَاجٌ ، لِأَنَّ اللهَّ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، وَمِنَ الْفَحْشَاءِ اتِّبَاعُ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ ، وَلِهَذَا وَقَعَ فِي الصَّحِيح : " فَيَأْتِيهِمُ الله فِي صُورَةٍ " ، أَيْ : بِصُورَةٍ لَا يَعْرِفُونَهَا ، وَهِيَ الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْبَاطِلِ ، فَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : " إِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ " ، أَيْ : إِذَا جَاءَنَا بِمَا عَهِدْنَاهُ مِنْهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ . وَقَالَ بن الْجَوْزِيِّ : مَعْنَى الْخَبَرِ يَأْتِيهِمُ الله بِأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ صُوَرِ الْمَلَائِكَةِ بِمَا لَمْ يَعْهَدُوا مِثْلَهُ فِي الدُّنيا فَيَسْتَعِيذُونَ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ ، وَيَقُولُونَ : إِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، أَيْ : إِذَا أَتَانَا بِمَا نَعْرِفُهُ مِنْ لُطْفِهِ ، وَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ : " يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" ، أَيْ : عَنْ شِدَّةٍ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : هُوَ مَقَامٌ هَائِلٌ يَمْتَحِنُ الله بِهِ عِبَادَهُ لِيُمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وَذَلِكَ أَنَّه لَمَّا بَقِيَ الْمُنَافِقُونَ مُخْتَلِطِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ زَاعِمِينَ أَنَّهم مِنْهُمْ ظَانِّينَ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، كَمَا جَازَ فِي الدُّنيا ، امْتَحَنَهُمُ الله بِأَنْ أَتَاهُمْ بِصُورَةٍ هَائِلَةٍ قَالَتْ لِلْجَمِيعِ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَأَجَابَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِإِنْكَارِ ذَلِكَ ، لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ هَذِهِ الصُّورَةِ ، فَلِهَذَا قَالُوا : نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْكَ ، لَا

نُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئاً ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ يَنْقَلِبُ ، أَيْ : يَزِلُّ فَيُوَافِقُ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ : وَهَؤُلَاءِ طَائِفَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رُسُوخٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، وَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا الْحَقَّ وَحَوَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ " (١) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " وَقَوْلُهُ فِيهِ : " فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَة " ، اسْتدلَّ بن قُتَيْبَةَ بِذِكْرِ الصُّورَةِ عَلَى أَنَّ للهَّ صُورَةً لَا كَالصُّوَرِ ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّه شَيْءٌ لَا كالأشياء ، وتعقبوه ، وَقَالَ بن بَطَّالٍ : تَمَسَّكَ بِهِ الْمُجَسِّمَةُ ، فَأَثْبَتُوا للهَّ صُورَةً ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْعَلَامَةِ ، وَضَعَهَا الله لَهُمْ دَلِيلاً عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، كَمَا يُسَمَّى الدَّلِيل وَالْعَلَامَةُ صُورَةً ، وَكَمَا تَقُولُ : صُورَةُ حَدِيثِكَ كَذَا ، وَصُورَةُ الْأَمْرِ كَذَا ، وَالْحَدِيثُ وَالْأَمْرُ لَا صُورَةَ لَهُمَا حَقِيقَةً ، وَأَجَازَ غَيْرُهُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِالصُّورَةِ الصِّفَةُ ، وَإِلَيْهِ مَيْلُ الْبَيْهَقِيِّ (٤٥٨هـ) ، وَنقل بن التِّينِ أَنَّ مَعْنَاهُ : صُورَةُ الِاعْتِقَادِ ، وَأَجَازَ الْخَطَّابِيُّ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ خَرَجَ عَلَى وَجْهِ الْمُشَاكَلَةِ ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالطَّوَاغِيتِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَسْطُ هَذَا هُنَاكَ ، وَكَذَا قَوْلُهُ : " نَعُوذُ بِكَ " ، وَقَالَ غَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ : " فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا " ، يَحْتَمِلُ أَنْ يُشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى مَا عَرَفُوهُ حِينَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ ثمَّ أَنْسَاهُمْ ذَلِكَ فِي الدُّنيا ثمَّ يُذَكِّرُهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَقَوْلُهُ : " فَإِذَا رَأَيْنَا رَبَّنَا عَرَفْنَاهُ " ، قَالَ بن بَطَّالٍ عَنِ الْمُهَلَّبِ : إِنَّ اللهَّ يَبْعَثُ لَهُمْ مَلَكاً لِيَخْتَبِرَهُمْ فِي اعْتِقَادِ صِفَاتِ رَبِّهِمُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، فَإِذَا قَالَ لَهُمْ : " أَنَا رَبُّكُمْ " ، رَدُّوا عَلَيْهِ ، لِمَا رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ ، فَقَوْلُهُ : " فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ " ، أَيْ : إِذَا ظَهَرَ لَنَا فِي مُلْكٍ لَا يَنْبَغِي لِغَيْرِهِ وَعَظَمَةٍ لَا تُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَحِينَئِذٍ يَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " قَوْله : " فيأتيهم الله عزَّ وَجلَّ " . وَفِي رِوَايَة أُخْرَى : " فيأتيهم فِي غير الصُّورَة الَّتِي يعْرفُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذ بِاللهَّ مِنْك " . الْإِتْيَان هُنَا إِنَّمَا هُوَ كشف الْحجب الَّتِي بَين أبصارنا وَبَين رُؤْيَة الله عزَّ وَجلَّ ، لِأَنَّ الْحَرَكَة والانتقال لَا تجوز على الله تَعَالَى ، لِأَنَّهَا صِفَات الْأَجْسَام المتناهية ، وَالله تَعَالَى لَا يُوصف بِشَيْء من ذَلِك ، فَلم يكن معنى الْإِتْيَان إِلَّا ظُهُوره عزَّ وَجلَّ إِلَى أبصار لم تكن تَرَاهُ وَلَا تُدْرِكهُ ، وَالْعَادَة أَن من غَابَ عَن غَيره لَا يُمكنهُ رُؤْيَته إِلَّا بالإتيان ، فَعبَّر بِهِ عَن الرُّؤْيَة مجازاً ، لِأَن الْإِتْيَان مُسْتَلْزم للظهور على الْمَأْتِي إِلَيْهِ . وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ : التَّسْلِيم الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ السَّلف أسلم . وَقَالَ عِيَاض (٥٤٤هـ) :

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٥٠-٤٥١) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٢٧-٤٢٨) .

إن الْإِتْيَان فعل من أَفعَال الله تَعَالَى ، سَمَّاهُ إتياناً ، وَقيل : يَأْتِيهم بعض مَلَائكَته . قَالَ القَاضِي : وَهَذَا الْوَجْه عِنْدِي أشبه بِالْحَدِيثِ ، قَالَ : وَيكون هَذَا الْملك الَّذِي جَاءَهُم فِي الصُّورَة الَّتِي أنكروها من سمات الْحُدُوث الظَّاهِرَة عَلَيْهِ... " (١) .

وقال الإمام العيني أيضاً: " قوْله : " فيأتيهم الله " ، إِسْنَاد الْإِتْيَان إِلَى الله تَعَالَى مجَاز عَن التَّجلِّي لَهُم ، وَقيل : عَن رُؤْيَتهمْ إِيَّاه ، لِأَنَّ الْإِتْيَان إِلَى الشَّخْص مُسْتَلْزم لرُؤْيَته ، وَقَالَ عِيَاض (٥٤٤هـ) : أَي : يَأْتِيهم بعض مَلَائكَته " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " " فيأتيهم الله عزَّ وجلَّ " ، أي : يظهر لهم في غير صورته ، أي : في غير صفته التي يعرفونها من الصِّفات التي تبعدهم بها عن الدُّنيا امتحاناً منه ، ليقع التَّمييز بينهم وبين غيرهم ممَّن يعبد غيره تعالى ، " فيقول : أنا ربُّكم " ، فيستعيذون بالله منه ، لم يظهر لهم بالصِّفات التي يعرفونها ، بل بما استأثر بعلمه تعالى ، لأنَّ معهم منافقين لا يستحقون الرُّؤية ، وهم من ربِّهم محجوبون ، " فيقولون : هذا مكاننا " بالرَّفع خبر المبتدأ الذي هو اسم الإشارة " حتى يأتينا " يظهر لنا " ربُّنا ، فإذا جاء " ظهر " ربُّنا عرفناه ، فيأتيهم الله " عزَّ وجلَّ ، أي : يظهر متجلِّياً بصفاته المعروفة عندهم ، وقد تميَّز المؤمن من المنافق " فيقول : أنا ربُّكم " فإذا رأوا ذلك عرفوه به تعالى " فيقولون : أنت ربُّنا" . ويحتمل أن يكون الأوَّل قول المنافقين ، والثَّاني قول المؤمنين .

وقيل : الآتي في الأوَّل ملك ، ورجَّحه عياض (٥٤٤هـ) ، أي : يأتيهم ملك الله ، حذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " فيأتيهم الله " عزَّ وجلَّ إتياناً ، لا يكيَّف عارياً عن الحركة والانتقال أو هو

---

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٨٤) .

(٢) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٢٥) .

(٣) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ١١٥) .

محمول على الإتيان المعروف عندنا ، لكن على معنى : أنَّ الله تعالى يخلقهُ لمَلَك من ملائكتهِ ، فأضافه إلى نفسه على جهة الإسناد المجازي مثل قطع الأميرُ اللصَّ " (١) .

وقال الإمام أمالي محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثمَّ الدّيوبندي (١٣٥٣هـ) : " قوله : " فيأتيهم الله " ، وقد مرَّ مني : أنَّ الأفعال اللازمة المُسْتَعْمَلة في الحضرة الإلهيَّة يُرَاد بها : تَعَلُّق تلك الصِّفة بالمحلّ ، والمتعدِّية منها يُرَاد بها : إحداث هذا المحلّ وإيجاده . فالإتيان والنُّزول والاستواء كلّها أفعال لازمة ، فيُرَاد بها : تَعَلُّق هذه الصِّفات بالمحلّ ، وهذه كلُّها تجلِّيات للرَّب جلَّ مجده " (٢) ...

---

(١) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٠٠) .

(٢) انظر : فيض الباري على صحيح البخاري (٢/ ٣٨١) .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِيْ تَفْسِيْرِ المَجِيءِ المُضَافِ إِلَى الله تَعَالَى

تضافرت أقوال أهل العلم في الكلام على قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وبرهنوا في كلامهم على عدم دلالتها على ما يدَّعيه مدَّعو السَّلفيَّة من إضافة الحركة والنُّقلة إلى الله تعالى ، وأكَّدوا على ضرورة تنزيه الله تعالى عن الحركة ، والتَّحوُّل ، والمجيء ، والإتيان ، والهرولة ، والانتقال من مكان إلى مكان ، وأنَّه سبحانه وتعالى لا يحويه مكان ، ولا يؤثر فيه الزَّمان والمكان ، إذ هما خلق من خلقه تعالى ، وأنَّه سبحـــانه وتعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] .

وها أنذا موردٌ بعضاً !!! من أقوال فحول العلماء في تفسير قوله سبحانه وتعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] .

قال حَبْرُ الأمَّة وتُرجمان القرآن : عبد الله بن عبَّاس (٦٨هـ) ، رضي الله عنهما ، في تفسير المجيء الوارد في قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، قال : أمرُه وقضاؤه " (١)...

وقال الإمام الرَّبيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (توفي ما بين سنة ١٧١ و١٨٠هـ) : " ... وكذلك قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، يعني : بأمره وقضائه ، قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) ، والحسن (١١٠هـ) ، وأبو صالح (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) ، وعمرو : ومعنى : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أي : وجاء أمرُ ربِّك ، أي : قضاؤه " (٢) .

فالإمام الرَّبيع بن حبيب نقل عن حبر الأمَّة وترجمان القرآن تأويله للمجيء المضاف إلى الله تعالى بمجيء أمره وقضائه سبحانه ، وكذا نقل عن غيره من سلف الأمَّة ، فأين من يدَّعون السَّلفيَّة من هذا التَّأويل وغيره ...

يضاف لذلك أنَّ الباحث لو استوعب تأويلات السَّلف المبثوثة في بطون الكتب لصنع سفراً عظيماً ، وقد انتهيت بحمد الله تعالى من تصنيف كتاب بعنوان : " إعلامُ الخلف بتأويلات السَّلف "...

فمن تأويلات حبر الأمَّة وترجمان القرآن :

---

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٤٨٤ ، ٤٨٥) ، غرائب التفسير وعجائب التَّأويل (٢/ ١٣٣٨) ، الجامع الصَّحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب (ص٣٣١ برقم ٨٦٨) .

(٢) انظر : الجامع الصَّحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب (١/ ٣٣١) .

١- تأويله للكرسي الوارد في قوله تعالى : " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ " [البقرة : ٢٥٥] :

فقد جاء في تفسير الطَّبري (٣١٠هـ) عند تفسيره لآية الكرسي ما نصّه : " اختلف أهل التَّأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنَّه وسع السَّموات والأرض ، فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ذكره.... وأمَّا الذي يدُلُّ على ظاهر القرآن فقول ابن عبَّاس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير أنَّه قال : هو علمه... " اهـ (١) ...

قلت : وقد تعمَّدت أن أنقل أغلب تأويلات ابن عبَّاس من تفسير الطَّبري ، لأنَّ من المعلوم أنَّ الإمام ابن تيمية زكَّى وامتدح تفسير الإمام الطَّبري ، وذكر أنَّ النَّقل فيه محرَّر ، وأنَّه ينْقل فِيهِ كَلَام السَّلف بِالْإِسْنَادِ (٢) .

٢- تأويله للنُّور الوارد في قوله تعالى : " الله نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ" [النور : ٣٥] ، قال الطَّبري : حَدَّثَنِي عَلِيٌّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللهَّ ، قَالَ : ثني مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، قَوْلُه : " الله نُورُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ" [النور : ٣٥] ، يَقُولُ : الله سُبْحَانَهُ هَادِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (٣)...

٣- تأويله للأعين الواردة في قوله تعالى : " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ " [هود : ٣٧] ، قال الإمام البغوي (٥١٦هـ) : " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ " [هود : ٣٧] ، قَالَ ابْنُ عبَّاس : بِمَرْأًى مِنَّا " (٤) .

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٣٩٨) ، تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٠٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٠) ، بحر العلوم (١/ ١٩٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (١/ ٣٢٦) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ٣٦٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ٤٤١) ، التحرير والتنوير (٣/ ٢٣) .

(٢) راجع : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/ ٤٧٩) .

(٣) انظر : تفسير الطَّبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) (١٧/ ٢٩٥) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٤/ ١٠٢) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/ ٣٢٠) ، تفسير القرآن ، أبو المظفرالسمعاني (٣/ ٥٢٩) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٦/ ٤٥) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٥/ ٧٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٦/ ٥٧) .

(٤) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ٤٤٧) ، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٠) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٢٩) .

٤- تأويله للأَيْد الواردة في قوله تعالى : " وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ " [الذاريات : ٤٧] ، قال الطَّبري : حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عبَّاس ، قوله : " وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ " [الذاريات : ٤٧] ، يقول : بقوة " (١)...

٥- تأويله للسَّاق الوارد في قوله تعالى : " يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ " [القلم : ٤٢] : قال الطَّبري : " حدَّثني محمَّد بن عبيد المحاربيّ ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عبَّاس " يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ " [القلم : ٤٢] ، قال : هو يوم حرب وشدَّة .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن عبَّاس "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ " [القلم : ٤٢] ، قال : عن أمر عظيم ، كقول الشَّاعر : وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساقٍ " (٢)

٦- تأويله لمجيء الرَّبِّ الوارد في قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] . قال الإمام النسفي (٧٠١هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإنَّ واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصِّه ، وعن ابن عبَّاس : أمره وقضاؤه " (٣) .

---

(١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٤٣٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٨١) ، زاد المسير في علم التفسير (٨/ ٣٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٢) ، تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٧/ ٥٧) ، الدر المنثور (٧/ ٦٢٣) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٢٠٨) .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/ ٥٥٤) ، تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٠٩) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦) ، بحر العلوم (٣/ ٤٦٣) (١٠/ ١٨) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن (١٢/ ٧٦٤٤) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) (٦/ ٧٠) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٣٣٩) ، تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (٦/ ٢٨) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٧٨) ، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٤٨) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٨/ ١٩٩) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٤٧٠) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥/ ٢٧٨) .

(٣) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٦٤١) .

فهذه باقة من تأويلات حبر الأمَّة وترجمان القرآن : ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، الصَّحابي الجليل الذي دعـا له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين ، وَعَلِّمْهُ التَّأويل " (١) .

والجدير بالذِّكر هنا أنَّ ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة والماتريديَّة - والذين يشكِّلون السَّواد الأعظم من كيان الأمَّة – ومن وافقهم ، في النُّصوص المضافة إلى الله تعالى ، هو عينُ ما نُقل عن ابن عبَّاس وغيره من السَّلف والخلف في التَّأويل ، ولذلك فإنَّ اتِّهامهم بالتَّعطيل والابتداع والتَّجهُّم ، هو اتِّهام للسَّلف والخلف ، الذين نقلنا عنهم تأويلاتهم لنصوص المتشابه ، على حدٍّ سواء ، ومن ضمنها : تأويلهم للنُّزول والإتيان والمجيء المضاف إلى الله تعالى ...

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " دثنا يُوسُفُ ، دثنا أَبُو أُسَامَةَ ، دثنا الْأَجْلَحُ ، عَنِ الضَّحَّاكِ (١٠٢هـ) ، قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ الله السَّمَاوَاتِ فَتَشَقَّقَتْ بِأَهْلِهَا ، وَنَزَلَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَأَحَاطُوا بِالْأَرْضِ ، ثمَّ الثَّانِيَةَ ، ثمَّ الثَّالِثَةَ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعاً صَفًّا دُونَ صَفٍّ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٣٢٤هـ) : " وأجمعوا على أنَّه عزَّ وجلَّ يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً ، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها ، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ، ويعذِّب منهم من يشاء كما قال ، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ، وإنَّما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً ، فإذا ثبت أنَّه عزَّ وجلَّ ليس بجسم ولا جوهر ، لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة ... " (٣) .

---

(١) قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط : " إسناده قوي على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم ، فمن رجال مسلم ، وهو صدوق ... وأخرجه يعقوب بن سفيان في " المعرفة والتاريخ " ١/ ٤٩٤ من طريقين عن زهير أبي خيثمة، بهذا الإسناد ، وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤) من طريق داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، به . قوله : " وعلمه التَّأويل " ، قال السندي : المراد بالتأويل : تأويل القرآن ، فكان يُسمى بحراً ، وترجمان القرآن ، والله تعالى أعلم . انظر هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٢٥) .

(٢) انظر : الأهوال ، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (ص١٢٥) .

(٣) انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٢٨ ، ١٢٩) .

فالإمام الأشعري السَّلفي ينزِّه الله تعالى عن الحركة والنُّقلة التي يصف الله تعالى بها من يدَّعون السَّلفيَّة ، فيقول : وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ، وإنَّما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً ، فإذا ثبت أنَّه عزَّ وجلَّ ليس بجسم ولا جوهر ، لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة ، وهذا هو ما أجمعت عليه الأمَّة ... فقد أجمعوا على نفي الحركة والسُّكون عنه سبحانه ولم يشذ عن ذلك إلَّا رعاع تمسَّحوا بالسَّلف وجعلوهم شمَّاعة يعلِّقون عليها أفكارهم التي عارضها علماء الأمَّة عبر الأزمنة المتعاقبة ...

ولنا مع قول الإمام الأشعري : " وإنَّما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً " وِقفة ، ذلك أنَّ الحركة والنُّقلة لا تليق إلَّا بالأجسام ، ولذلك لا يتورَّع مدَّعو السَّلفيَّة عن وصف الله تعالى بالجسم ... وقد ذكرنا طرفاً من أقوالهم في ذلك فيما تقدَّم ... حيث نصَّ شيخهم ابن تيمية على أنَّ اسم المُشبِّهة ليس لهم ذكر بذمٍّ في الكتاب والسُّنَّة ...

وهذا كلام غريب عجيب من الإمام ابن تيمية ، فهل المشبِّهة لا ذكر لهم بذمٍّ في الكتاب ولا في السُّنَّة ؟!! مع أنَّ تشبيههم يصطدم مع القواطع النَّقليَّة والعقليَّة ، وإذا كان أمر المشبِّهة عنده هكذا ، فلا يصحُّ في الأذهان شيء إذا احتاج النَّهار إلى دليل . قال الإمام ابن جماعة (٧٢٧هـ) : " وَمن انتحل قَول السَّلف وَقَالَ بتشبيه أَو تكييف أَو حمل اللَّفْظ على ظَاهره مِمَّا يتعالى الله عَنهُ من صِفَات الْمُحدثين فَهُوَ كَاذِب فِي انتحاله ، بَرِيء من قَول السَّلف واعتداله " (١) .

وقال الإمام العز بن عبد السَّلام فيما نقله عنه الإمام تاج الدِّين السُّبكي في طبقاته : " والحشويَّة المشبِّهة الَّذين يشبِّهون الله بخلقه ضَرْبَان : أَحدهمَا لَا يتحاشى من إِظْهَار الحشو " وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ " [المجادلة : ١٨] ، وَالْآخر يتستَّر بِمذهب السَّلف ، لسحتٍ يَأْكُلــهُ أَو حطام يَأْخُذهُ .

أظهرُوا للنَّاس نسكاً وعَلى المنقوش داروا

" يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ " [النساء : ٩١] ، وَمذهب السَّلف إِنَّمَا هُوَ التَّوْحِيد والتَّنزيه دون التَّجسيم والتَّشبيه ، وَلذَلِك جَمِيع المبتدعة يَزْعمُونَ أَنَّهم على مَذْهَب السَّلف ، فهم كَمَا قَالَ الْقَائِل :

وكلٌّ يدعونَ وصال ليلى وليلى لَا تقر لَهُم بذاكا

---

(١) انظر : إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص٩٣) .

وَكَيف يدَّعي على السَّلف أنَّهم يَعْتَقِدُونَ التَّجسيم والتَّشبيه أَو يسكتون عِنْد ظُهُور الْبدع ، ويخالفون قَوْله تَعَالَى : " وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " [البقرة : ٤٢] ، وَقَوله : " وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ " [آل عمران : ١٨٧] ، وَقَوله : " لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ " [النحل : ٤٤] (١) .

فكلُّ هذا وغيره هو الذي دفع شيخ الإسلام تقي الدِّين السُّبكي (٧٥٦هـ) إلى أن يقول : " وأمَّا الحشويَّة ، فهي طائفة رذيلة جهَّال ينتسبون إلى أحمد ، وأحمد مبرَّأ منهم ، وسبب نسبتهم إليه أنَّه قام في دفع المعتزلة ، وثبت في المحنة رضي الله عنه ، ونُقلت عنه كليات ما فهمها هؤلاء الجهَّال ، فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيّء ، وصار المتأخِّر منهم يتبع المتقدِّم إلَّا من عصمه الله ، وما زالوا من حين نبغوا مستذلّين ، ليس لهم رأس ولا من يناظر ، وإنَّما كانت لهم في كلِّ وقت ثورات ، ويتعلَّقون ببعض أتباع الدُّول !!! ويكفي الله شرَّهم . وما تعلَّقوا بأحد إلَّا كانت عاقبته إلى سوء !!! ... ثمَّ جاء في أواخر المائة السَّابعة رجلٌ له فضلُ ذكاء واطّلاع ، ولم يجد شيخاً يهديه ، وهو على مذهبهم ، وهو جسورٌ ، متجرِّدٌ لتقرير مذهبه ، ويجد أُموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرَّبِّ سبحانه وتعالى ، وأنَّ الله سبحانه ما زال فاعلاً ، وأنَّ التَّسلسل ليس بمحال في ما مضى ، كما هو في ما سيأتي ، وشقَّ العصا ، وشوَّش عقائد المسلمين ، وأغرى بينهم ، ولم يقتصر ضرره على العقائد في علم الكلام ، حتّى تعدَّى ، وقال : إنَّ السَّفر لزيارة النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية " (٢) .

وفتوى ابن تيمية في اعتبار السَّفر لزيارة قبر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة موجودة بصريح العبارة في كتبه ... قال الإمام ابن تيمية : " بَلْ نَفْسُ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ قَبْرٍ مِنْ الْقُبُورِ - قَبْرُ نَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ - مَنْهِيٌّ عَنْهُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى أنَّهم لَا يُجَوِّزُونَ قَصْدَ الصَّلاة فِيهِ بِنَاءً عَلَى أَنَّه سَفَرُ مَعْصِيَةٍ " . وقال أيضاً " ... لأنَّ السَّفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصَّالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصَّحابة ولا التَّابعين ، ولا أمر بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا استحبَّ ذلك أحد من أئمَّة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسُّنَّة ولإجماع الأئمَّة " (٣) .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٢٢-٢٢٣) .

(٢) انظر : السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل (ص١٦-١٨ ببعض الاختصار) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢٠) ، (٢٧/ ١٨٧) بالترتيب .

وقال أيضاً : " وإذا سافر لاعتقاده أنَّ ذلك طاعة كان ذلك محرَّماً بالإجماع " (١) .

ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ... وللعبد الفقير كتاب مستقل في الرَّدِّ عليه في هذه المسألة التي أثارت عليه أهل العلم في القديم والحديث ، ولأجلها وغيرها دخل السَّجن عدَّة مرَّات ، ومات فيه ...

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : " وقوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، يحتمل أوجهاً :

أحدها : أن يكون معناه : وجاء ربُّك بالملك ؛ إذ يجوز أن تستعمل الواو مكان الباء ؛ ألا ترى إلى قوله – تعالى – : " قالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ " [المائدة : ٢٤] ، ومعناه : بربك ، وإذا حمل على هذا ارتفعت الشُّبهة ، واتضح الأمر ؛ لأنَّه لو كان قال : وجاء ربُّك بالملك ، لكان لا ينصرف وهْمُ أحد إلى الانتقال من مكان إلى مكان ، وقال تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ " [البقرة : ٢١٠] ، ومعناه – والله أعلم – : بظللٍ من الغمامِ ؛ لأنَّه قال في موضع آخر : " وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ " [الفرقان : ٢٥] ؛ فثبت أنَّ معناه ما ذكرنا ، وإذا ثبت هذا ارتفع الرَّيب والإشكال .

ومنهم من ذكر أنَّ معنى قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وقوله : " إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله " [البقرة : ٢١٠] ، أي : أمر الله ؛ دليله ما ذكر في سورة النَّحل قوله : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ " [النحل : ٣٣] ، فذكر مكان قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] : " أَمْرُ رَبِّكَ " [النحل : ٣٣] . ويحتمل أن يكون قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر: ٢٢] ، أي : جاء وعدُه ووعيدُه ، فنسب المجيء إلى الله تعالى ، وإن لم يكن ذلك وصفاً له ؛ لأنَّه يجوز أن تُنسب آثار الأفعال إلى الله – تعالى – نسبة حقيقة الفعل وإن لم يوصف به ، كما قال الله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [التحريم : ١٢] ، فأضيف النَّفخ إليه وإن لم يوصف بأنَّه نافخ !!! وقال : " وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ " [المائدة : ٤٥] ، فأضيفت الكتابة إليه وإن لم يوصف بأنَّه كاتب !!! لما أنَّ ما ظهر من آثار فعله ، ويقال : المطر رحمة الله ؛ أي : من آثار رحمته ، لا أن يكون المطر صفة له ، ويقال . الصَّلاة أمر الله ، والزَّكاة أمر الله ، أي : بأمر الله نصلِّي ، وبأمره نزكِّي ، لا أن يكونا وصفين له .

---

(١) انظر : الإخنائية (أو الرد على الإخنائي) (ص١١٣).

ووجه آخر : أن يكون معنى قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء الوقت الذي به صار إنشاء هذا العالم حكمة ؛ إذ لولا البعث للجزاء ، لكان إنشاء هذا العالم ثمَّ الإهلاك خارجاً مخرج العبث ؛ لما وصفناه من قبل ؛ لقوله : " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ " [المؤمنون : ١١٥] ؛ فثبت أنَّ خلقه إنَّما صار حكمة بالبعث ، وقال اللهَّ تعالى : " لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهَّ الْواحِدِ الْقَهَّارِ " [غافر : ١٦] ، وقد كان الملك له قبل ذلك اليوم ، ولكن ملكه لكلِّ أحد يتبيَّن في ذلك الوقت ، وقال : " وَبَرَزُوا للهَّ جَمِيعاً " [إبراهيم : ٢١] ، وقد كان كلُّ شيء له بارزًا، ولكـــن معناه : أنَّه أتى الوقت الذي له برز الخلائق .

ثمَّ الأصل في كلِّ ما أُضيف إلى اللهَّ تعالى أن ينظر إلى ما يليق أن يوصل بالمضاف إليه ، فتصله به وتجعله مضمراً فيه ، قال اللهَّ تعالى : " مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ " [المجادلة : ٧] ، ولم يفهم إثبات الحضور ، وكان معناه : أنَّ علمه محيط بهم ، وهو مطَّلع عليهم .

وقال : " فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا " [الحشر : ٢] ، ولم يفهم به الانتقال ؛ بل كان معناه : أنَّه جاءهم بأسه ، وجاء لأوليائه نصره .

وقال : " قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ " [النحل : ٢٦] ، ولم يفهم بهذا الإتيان ما فهم من الإتيان الذي يضاف إلى الخلق . وقال اللهَّ تعالى : " إِنْ تَنْصُرُوا اللهَّ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ " [محمَّد : ٧] ، وكان معناه : إن تنصروا دين اللهَّ ؛ لا أنَّ اللهَّ تعالى يلحقه ضعف يحتاج إلى من يقوِّيه .

وقال اللهَّ تعالى : " وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ " [آل عمران : ٢٨] ، وكان معناه : أنَّه يحذِّركم عذابه ؛ لا أن أريد به تحقيق النَّفس .

ومثل هذا في القرآن أكثر من أن يحصى ؛ فثبت أنَّ محل الإضافات ما ذكرنا ؛ فلذلك حمل على الوعد والوعيد ، أو على الوقت الذي به صار خلق العالم حكمة ، أو على ما صلح فيه من الإضمار .

وممَّا يدلُّ على أنَّه لا يُفهم بالمجيء معنى واحد ، بل يقتضي معاني : أنَّ المجيء إذا أضيف إلى الأعراض ، فُهِم به غير الذي يفهم به إذا أضيف إلى الأجسام ؛ فإنه إذا أضيف إلى الأعراض أُريد به الظُّهور ؛ قال اللهَّ تعالى : " إِذا جَاءَ نَصْرُ اللهَّ وَالْفَتْحُ " [النصر : ١] ، ومعناه : إذا ظهر نصره ، ولم يرد به الانتقال ، ولو كان مضافاً إلى الجسم ، فهم منه الانتقال من موضع إلى موضع .

وقال اللهَّ تعالى : " وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ " [الإسراء : ٨١] ، ومعناه : ظهر الحق ، واضمحل الباطل ، لا أن يكون الحقّ في مكان ، فنقل عنه إلى غيره ؛ فثبت أنَّ المجيء إذا أضيف إلى شيء وجب أن يوصل به ما يليق به ؛ لا أن يُفهم به كله معنى واحد " (١) .

وقال الإمام ، الحَافِظُ ، الثِّقَةُ ، الرَّحَّالُ ، الجَوَّالُ ، مُحَدِّثُ الإِسلاَمِ ، علمُ المعمَّرينَ ، أَبُو القَاسِمِ سُلَيْمَانُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَيُّوْبَ بنِ مُطَيِّرٍ اللَّخْمِيُّ ، الشَّامِيُّ ، الطَّبَرَانِيُّ ، صَاحبُ المَعَاجِمِ الثَّلاَثَةِ (٣٦٠هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : وجاء أمرُ ربِّك بالمجازاة والمحاسبة ، والملائكة صفوف صفّاً بعد صفٍّ عند حساب النَّاس ، يشاهدون ما يجري عليهم ، ويقال : إنَّ الملائكة يصفُّون صفّاً حول الجنِّ والإنس يحيطون بهم " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي أبو بكر الرَّازي الجصَّاص الحنفي (٣٧٠هـ) : " وقَوْله تَعَالَى : " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ " [الأحزاب : ٥٧] ، بِمَنْزِلِهِ : إنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَوْلِيَاءَ اللهَّ ، " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، كَقَوْلِهِ : جَاءَ أَمْرُ رَبِّك ". فَتَصِيرُ الدَّلَائِلُ الْمُوجِبَةُ لِكَوْنِ اللَّفْظِ مَجَازاً هِيَ الْمُوجِبَةَ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً " (٣) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرَّازي الحنفي (٣٧٠هـ) : " وأمَّا المراد بالإتيان مثل قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، قال بعض المفسِّرين : أي : وجاء أمرُ ربِّك " (٤) .

وقال الإمام أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، قال بعضهم : هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وقال أهل السُّنَّة وجاء ربُّك بلا كيف ، وقال بعضهم : معناه : وجاء أمرُ ربِّك بالحساب " (٥) .

وقال الإمام علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن الرمَّاني المعتزلي (٣٨٤هـ) في كلامه على ضروب المبالغة : " الضّرب الثَّالث : إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، كقول القائل : جاء الملك ، إذا جاء جيش عظيم له ، ومنه قوله عزَّ وجلَّ : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، فجعل

---

(١) انظر : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (١٠/ ٥٢٣-٥٢٥) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (٦/ ٤٩٩) .

(٣) انظر : الفصول في الأصول (١/ ١٤٠) .

(٤) انظر : شرح بدء الأمالي (ص٢٠٣) .

(٥) انظر : بحر العلوم (٣/ ٥٨٠) .

مجيء دلائل الآيات مجيئاً له على المبالغة في الكلام ، ومنه : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ " [النحل : ٢٦] ، أي : أتاهم بعظيم بأسه ، فجعل ذلك إتياناً له على المبالغة " (١) .

وقال الإمام أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) : " وحمل قوله سبحانه : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، على أنَّ المراد والمجيء أمرُ الرَّبِّ أو جنوده وملائكته الفعالة لقيام الأدلَّة القاطعة على امتناع ... المجيء ، والذَّهاب ، وأمثالهما عليه سبحانه " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلَّاني المالكي (٤٠٣هـ) : " ... أنَّه يجيء ويأتي بغير زوالٍ ولا انتقالٍ ولا تكييف ، بل يجبُ تسليمُ ذلك على ما رُوي وجاء به القرآن .

والجواب الآخر : أنَّه يَفْعل معنىً يُسمِّيه مجيئاً وإتياناً ، فيقال : جاء الله بمعنى أنَّه فعلَ فعلاً كأنَّه جائياً ، كما يقال : أحسنَ الله ، وأنعم وتفضلَ على معنى أنَّه فعل فعلاً استوجبَ به هذه الأشياء .

ويمكن أن يكون أراد بذلك إتيان أمْرِه وحُكمِه والأهوالِ الشَّديدةِ التي توعدَّهم بها وحذَّرهم من نزولها ، ويكون ذلك نظيراً لقوله عزَّ وجلَّ : " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ " [الحشر : ٢] ، ولا خلافَ في أنَّ معنى هذه الآية : أنَّ أمْره وحُكْمَه إياهم وعقوبته ونكالَه ، وكذلك قوله : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ " [النحل : ٢٦] (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (٤٠٦هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء بجلائل آياته ، فحصل عن جلائل الآيات مجيئاً له تفخيماً لشأنه ، ويجوز : جاء ظهر بضرورة المعرفة ، كما يوصف به ما تقوم مقام الرُّؤية " (٤) .

وقال الإمام ابن فورك أيضاً : " وأمَّا قَوْله تَعَالَى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، فَمنهمْ من قَالَ : إِنَّ مَعْنَاهُ : جَاءَ رَبك بِالْملكِ صفاً ، وَزعم أَنَّ الْوَاو هُنَا بِمَعْنى الْبَاء .

(١) انظر : النكت في إعجاز القرآن ، (مطبوع ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) (ص١٠٤-١٠٥) .

(٢) انظر : معجم الفروق اللغوية (ص١٣٤) .

(٣) انظر : الانتصار للقرآن (ص٧٣٦) .

(٤) انظر : تفسير ابن فورك (٣/ ٢١٨) .

وَمِنْهُم من : قَالَ : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر: ٢٢] ، أَمر رَبك وَحكمه ، يُرِيد أَمر الْقِيَامَة ، وَمَا يخْتَصُّ بِهِ ذَلِك الْوَقْت من أمره الْمَخْصُوص وَحكمه الَّذِي لَا يَقع الشّركَة فِيهِ بِالدُّعَاءِ والنداء .

وَقد بَينَّا فِيمَا قبل أَنَّه لَا تدافع بَين أهل اللُّغَة فِي قَوْلهم : ضرب الْأَمِير اللص ، ونادى الْأَمِير فِي الْبَلَد بِكَذَا ، وإِنَّمَا يُرَاد بذلك : أَنَّ ذَلِك الْفِعْل وَقع بِأَمْرِه ، وَعَن حكمه ، فيضاف الْفِعْل إِلَيْهِ بِاللَّفْظِ الَّذِي يُضَاف إِلَى من فعله وتولاه ، وَنَظِير ذَلِك قَوْله عزَّ وَجلَّ فِي قصَّة قوم لوط : " فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ " [القمر : ٣٧] ، وَكَانَ الطَّمس للأعين من الْمَلَائِكَة بِأَمْر الله عزَّ وَجلَّ .

وَإِذا كَانَ مثله مُتَعَارَف فِي اللُّغَة ، وإِنَّمَا ورد الْخطاب فِي الْقُرْآن على الْمُتَعَارف فِي اللُّغَة ، والمعهود فِيمَا بَين أَهلهَا ، لم يُنكر أَن يُحمل على ذَلِك قَوْله تَعَالَى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] (١) .

وقال الإمام محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السّلمي (٤١٢هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] . قال الواسطي رحمه الله : ظهرت قدرة ربِّك وقد استوت الأمور . وقال بعضهم : الحقُّ ليس له تحوُّل من مكان إلى مكان وكيف له التَّحوُّل والتَّنقل ، ولا مكان له ولا أوان له ، ولا يجري عليه وقت ، لأنَّ في جريان الوقت على الشَّيء فوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز ، والحقُّ متنزِّه أن تحوى صفاته الطَّبائع أو تحيط به الصُّدور " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي ، أبو إسحاق (٤٢٧هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، قال الحسن (١١٠هـ) : أمره وقضاؤه ، وقال أهل الإشارة : ظهر قدرة ربِّك وقد استوت الأمور ، وأنَّ الحقَّ لا يوصف بتحوَّل من مكان إلى مكان ، وأنَّى له التَّحوُّل والتَّنقّل ، ولا مكان له ولا أوان ، ولا يجري عليه وقت وزمان ، لأنَّ في جريان الوقت على الشَّيء فوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز ، والحقُّ ينزَّه أن تحوي صفاته الطَّبائع أو تحيط به الصُّدور " (٣) .

والمطالع للنُّصوص السَّابقة يجد أنَّها متقاربة في المعنى الذي ذكره العلماء للمجيء المضاف إلى الله تعالى ، لأنَّها نصَّت على :

---

(١) انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص٢٠٨) .

(٢) انظر : تفسير السلمي وهو حقائق التفسير (٢/ ٣٩٤) .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٠١) .

(١) اتِّفاق الجميع على وجوب تنزيه الله تعالى عن الحركة والانتقال من مكان إلى آخر ، لأنَّه تعالى ليس في مكان ، وأنّى له التَّحوُّل والتَّنقُّل ، وليس هوفي مكان ، لأنَّه خالق المكان ، وهو سبحانه كان ولا مكان ... ولا يجري عليه وقت ولا زمان ، لأنَّ في جريان الوقت على الشَّيء فوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز ، والحقُّ ينزَّه أن تحوي صفاته الطَّبائع أو تحيط به الصُّدور ...

(٢) أنَّ البعض نقل عقيدة جمهور السَّلف في المتشابه ، وأنَّ المجيء المضاف إلى الله تعالى هو من المكتوم الذي لا يفسَّر ، وبعضهم نقل عن الحسن البصري (١١٠هـ) أنَّه قال في المجيء : مجيء أمره وقضائه ، لأنَّ الثَابت أنَّ بعض السَّلف قال بالتَّأويل ...

(٣) وأخيراً اشتملت النُّصوص السَّابقة على العديد من التَّأويلات الصَّحيحة لمجيء الربِّ تعالى ، منها : أنَّ المراد بالمجيء : مجيءأمرُ الرَّبِّ أو جنوده وملائكته ...أو أنَّه يَفْعل معنىً يُسمِّيه مجيئاً وإتياناً ، ويمكن أن يكون أراد بذلك إتيان أمْرِه وحُكمِه والأهوالِ الشَّديدةِ التي توعدَّهم بها وحذَّرهم من نزولها ، وقال بعضهم : أي : جاء بجلائل آياته ، فحصل عن جلائل الآيات مجيئاً له تفخيماً لشأنه ...

وقال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) في كلامه على قوله تعالى : " فَإِذا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " [القيامة : ١٨] : " ففيه بيان لما يشكل من كلِّ فعل ينسب إلى الله تعالى ، ممَّا لا يليق به فعله من الإتيان ، والنُّزول ، والمجيء ، أنَّ ذلك الفعل إنَّما هو منتسب إلى الملك المرسل به ، كقوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، والمجيء مستحيل عليه لاستحالة الحركة ، وإنَّما معناه : وجاء أمرُ ربِّك ورسولُ ربِّك ، فكما استحالت عليه الحركة والانتقال ، كذلك استحالت عليه القراءة المعلومة منَّا لأنَّها محاولة حركة أعضاء وآلات ، والله يتعالى عن ذلك " (١) .

وقال الإمام ابن بطَّال أيضاً : " ولا فرق بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنُّقلة التي هي تفريغ مكان وشغل غيره ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عزَّ وجلَّ " (٢) .

وحاصل كلام ابن بطَّال في النَّصَّين السَّابقين : أنَّ المجيء مستحيل عليه سبحانه وتعالى ، لاستحالة الحركة والنُّقلة عليه ، فالحركة تستدعي جسماً يتحرَّك ومكان منتقل منه وآخر منتقل إليه ،

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ، ابن بطال (١٠/ ٥٢٧) .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري (٣/ ١٣٧) .

والله تعالى يتنزَّه عن ذلك كلِّه ، لأنَّه سبحانه وتعالى ليس جسماً ولا هو في مكان ... ولا فرق في ذلك بين الإتيان والمجيء والنُّزول إذا أضيف جميع ذلك إلى الأجسام التي يجوز عليها الحركة والنُّقلة ، فإذا أضيف ذلك إلى من لا يليق به الانتقال والحركة ، كان تأويل ذلك على حسب ما يليق بنعته وصفته عزَّ وجلَّ ، ومعناه : وجاء أمرُ ربِّك ورسول ربِّك ...

وقال الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظَّاهري (٤٥٦هـ) : " ... وَقد حمد الله إِبْرَاهِيم خَلِيله وَرَسُوله وَعَبده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَيَّن لِقَوْمِهِ بنقلة الْقَمَر أَنَّه لَيْسَ رَبًّا ، فَقَالَ : " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ " [الأنعام : ٧٦] ، وكلُّ منتقل عَن مَكَان فَهُوَ آفل عَنهُ ، تَعَالَى الله عَن هَذَا ، وَكَذَلِكَ القَوْل فِي قَوْله تَعَالَى : " وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله تَعَالَى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ " [البقرة : ٢١٠] ، فَهَذَا كُلُّه على مَا بَينَّا من أَنَّ الْمَجِيء والإتيان يَوْم الْقِيَامَة فعلٌ يَفْعَله الله تَعَالَى فِي ذَلِك الْيَوْم يُسمَّى ذَلِك الْفِعْل : مجيئاً وإتياناً . وَقد روِّينَا عَن أَحْمد بن حَنْبَل رَحمَه الله أَنَّه قَالَ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، إِنَّما مَعْنَاهُ : وَجَاء أَمر رَبِّك " (١) .

فالإمام ابن حزم يرى أنَّ المجيء فعلٌ يَفْعَله الله تَعَالَى فِي ذَلِك الْيَوْم يُسمِّيه مجيئاً وإتياناً ، وأكَّد ما ذكرناه غير مرَّة عن أحمد بن حنبل أنَّه أوَّل المجيء الوارد في قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، بمجيء أمره تعالى ...

وقال الإمام أبو سعد المحسن بن محمَّد الجشمي البيهقي ، المشهور بالحاكم الجشمي (٤٥٧هـ) : " قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، قيل : أمره وقضاؤه ومحاسبته ، عن الحسن (١١٠هـ) وأبي علي (٣٠٣هـ) ، وقيل : جلائل آياته ، فجعل مجيئها مجيئه تفخيماً لها ، وقيل : جاء أمره الذي لا أمر لغيره معه ، قال أبو مسلم : وذلك يكون يوم القيامة بخلاف حال الدُّنيا . قال الحاكم (٤٠٥هـ) : ولا يجوز حمله على مجيء ذاته ، لأنَّه ليس بجسم ، فلا يجوز عليه المجيء والذَّهاب " (٢) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " وَقَدْ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وَلَيْسَ مَجِيئُهُ حَرَكَةً ، وَلَا زَوَالاً ،

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٣٢) .

(٢) انظر : الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير (ص٢٩٤) .

وَلَا انْتِقَالاً ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ الْجَائِي جِسْماً أَوْ جَوْهراً ، فَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّه لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ ، لَمْ يَجِبْ أَنْ يَكُونَ مَجِيئُهُ حَرَكَةً وَلَا نَقْلَةً ، وَلَوِ اعْتَبَرْتَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ : جَاءَتْ فُلَاناً قِيَامَتُهُ ، وَجَاءَهُ الْمَوْتُ ، وَجَاءَهُ الْمَرَضُ ، وَشِبْهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ نَازِلٌ بِهِ وَلَا مَجِيءَ لَبَانَ لَكَ ، وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ " (١) .

فالنَّاظر يجد أنَّ جمهور العلماء ركَّز وهو يفسِّر آيات المتشابه على ضرورة تنزيه الله تعالى عن الجسميَّة ولوازمها ... مع أنَّ آيات القرآن ناطقة بذلك ، كقوله تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، والآية نصٌّ محكمٌ ، يفيد أنَّ الله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه بأيِّ وجه من الوجوه ...

وقوله تعالى : " وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى " [النحل : ٦٠] ، أي : لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره .

وقوله تعالى : " هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا " [مريم : ٦٥] ، قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا : هل تعلم للرَّبِّ مِثلًا أو شبهاً " (٢) .

وقوله تعالى : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ " [الإخلاص : ٤] . أي : ليس له سبحانه : نظير ، ولا مثيل ، ولا شبيه ، ولا شريك ، ولا ضدَّ له ولا ندّ ...

وفي كتابة : " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، أورد الإمام الأصفهاني (٤٣٠هـ) جواب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سؤال وُجِّه إليه عن الله ، فقال : " إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَبْدُ مِمَّا ، وَلَا مُمَازَجُ مَعِمّاً ، ولا حَالٌّ وَهْمًا، وَلَا شَبَحٌ يُتَقَصَّى ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى ، وَلَا كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَيُقَالُ: حَادِثٌ ، بَلْ جَلَّ أَنْ يُكَيِّفَ الْمُكَيِّفَ لِلْأَشْيَاءِ كَيْفَ كَانَ ، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ لِاخْتِلَافِ الْأَزْمَانِ ، وَلَا لِتَقَلُّبِ شَانٍ بَعْدَ شَانٍ ، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِالْأَشْبَاحِ ، وَكَيْفَ يُنْعَتُ بِالْأَلْسُنِ الْفِصَاحِ ، مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ : بَائِنٌ ، وَلَمْ يَبِنْ عَنْهَا فَيُقَالُ : كَائِنٌ ، بَلْ هُوَ بِلَا كَيْفِيَّةٍ ، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبَلِ الْوَرِيدِ ، وَأَبْعَدُ فِي الشَّبَهِ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ ، فِي غَسَقِ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا إِدْلَاجٍ لَا يَتَغَشَّى عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَلَا انْبِسَاطُ الشَّمْسِ ذَاتِ النُّورِ ، بِضَوْئِهَا فِي الْكُرُورِ ، وَلَا إِقْبَالُ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَلَا إِدْبَارُ نَهَارٍ مُدْبِرٍ ، إِلَّا وَهُوَ مُحِيطٌ بِمَا يُرِيدُ مِنْ تَكْوِينِهِ ، فَهُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَكُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَكُلِّ نِهَايَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَالْأَمَدُ إِلَى الْخَلْقِ مَضْرُوبٌ ، وَالْحَدُّ إِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَوَّلِيَّةٍ ، وَلَا بِأَوَائِلٍ كَانَتْ قَبْلَهُ بَدِيَّةً ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ

---

(١) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٧) .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤) .

خَلْقَهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ ، تَوَحَّدَ فِي عُلُوِّهِ ، فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ انْتِفَاعٌ ، إِجَابَتُهُ لِلدَّاعِينَ سَرِيعَةٌ ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ لَهُ مُطِيعَةٌ ، عَلِمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْبَائِدِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْمُتَقَلِّبِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، لَا تُحَيِّرُهُ الْأَصْوَاتُ ، وَلَا تَشْغَلُهُ اللُّغَاتُ ، سَمِيعٌ لِلْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، بِلَا جَوَارِحٍ لَهُ مُؤْتَلِفَةٍ ، مُدْبِرٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ بِالْأُمُورِ ، حَيٌّ قَيُّومٌ . سُبْحَانَهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا بِلَا جَوَارِحٍ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا شَفَةٍ وَلَا لَهَوَاتٍ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ تَكْيِيفِ الصِّفات ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ ، فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ ، وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَمَاكِنَ بِهِ تُحِيطُ ، لَزِمَتْهُ الْحِيرَةُ وَالتَّخْلِيطُ ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ مَكَانٍ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ الرَّحمن ، بِخِلَافِ التَّنْزِيلِ وَالْبُرْهَانِ ، فَصِفْ لِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ هَيْهَاتَ أَتَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ ، وَتَصِفُ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ ، وَأَنْتَ تُدْرِكُ صِفَةَ رَبِّ الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ ، فَكَيْفَ مَنْ لَمْ تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِي الْأَرَضِينَ وَالسَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ " (١) .

وقال الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القُشيري (٤٦٥هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : الملائكة بأمره . ويقال : يفعل فعلاً فيسمِّيه مجيئاً " (٢) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : " وقوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، معنى هذا كمعنى قوله : " إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ " [البقرة : ٢١٠] ، وقد مرَّ ، على أنَّ الحسن (١١٠هـ) قد قال في هذه الآية : جاء أمرُ ربِّك وقضاء ربِّك ، فيكون هذا من باب حذف المضاف ، ونحو هذا روي عن الكلبي : وجاء أمرُ ربِّك .

وذكر أهلُ المعاني في هذا قولين :

أحدهما : أنَّ المعنى : وجاء جلائل آياته ، لأنَّ هذا يكون يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم تظهر العظائم ، وجلائلُ الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأنها .

الثَّاني : أنَّ المعنى : وجاء ظهوره بضرورة المعرفة ، وضرورة المعرفة التي تقوم مقام ظهوره ورؤيته ، ولَمَّا صارت المعارف في ذلك اليوم بالله تعالى ضرورة ، صار ذلك كظهوره ، وتجلِّيه للخلق ، فقيل :

(١) انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٧٢-٧٣) .

(٢) انظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) (٣/ ٧٢٧) .

وجاء ربُّك ، أي : زالت الشُّبهة ، وارتفعت الشُّكوك ، كما ترتفع عند مجيء الشَّيء الذي كان يشكّ فيه ، وهذه أوجه في هذه الآية صحيحة " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي (٤٦٨هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] . قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) في رواية الكلبي (١٤٦هـ) ، والحسن (١١٠هـ) : وجاء أمرُ ربِّك ، وقضاء ربِّك ، لأنَّ في يوم القيامة تجيء جلائل آيات الله ، وتظهر العظائم .

وقال أهل المعاني : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : وجاء ظهوره بضرورة المعرفة ، وضرورة المعرفة بالشَّيء تقوم مقام ظهوره ورؤيته ، ولمَّا صارت هذه المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورة ، صار ذلك كظهوره ، وتجليه للخلق فقيل : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أي : زالت الشُّبهة ، وارتفعت الشُّكوك ، كما ترتفع عند مجيء الشَّيء الذي كان يشكُّ فيه " (٢) .

فالإمام النَّيسابوري نقل عن الحسن البصري في هذه الآية ، قال : جاء أمرُ ربِّك وقضاء ربِّك ، وذكر عدَّة تأويلات صحيحة للمجيء ... فماذا يقول مدَّعو السَّلفيَّة الين لا زالوا يصرُّون على أنَّ السَّلف ما طرقوا بباب التأويل ؟!!!

وقال الإمام أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولِّي الشَّافعي (٤٧٨هـ) : " ... ومنه قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، وقوله تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ " [الأنعام : ١٥٨] ، والمراد به : جاء أمرُ ربِّك ، ويأتيهم أمرُ الله تعالى .

والدَّليل عليه : أنَّ الله تعالى ذكر في سورة الأنعام إخباراً عن إبراهيم أنَّه استدلَّ بأفول الشَّمس والقمر والكواكب على أنَّها ليست بآلهة وتبرَّأ منها ، ولو كان الباري يجوز عليه الإتيان والمجيء لبطلت الدّلالة " (٣) .

وقال الإمام علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني ، أبو الحسن (٤٧٩هـ) : " قال الحسن (١١٠هـ) : المعنى : وجاء أمر ربِّك وقضاء ربك ، وقال المتكلِّمون : يفعل الله فعلاً يسمِّيه مجيئاً ،

---

(١) انظر : التَّفْسِيرُ البَسِيْط (٢٣/ ٥١٧-٥١٩) .

(٢) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٤٨٤-٤٨٥) .

(٣) انظر : الغنية في أصول الدِّين (ص١١٥) .

ومثل هذا قول النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " ينزل ربُّنا في كلِّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا " ، أي : أمره ، وهذا كما تقول : ضرب الأمير فلاناً ، أي : ضربه صاحبه بأمره ، ولا يجوز أن يكون المجيء انتقالاً ؛ لأنَّ الانتقال لا يصحُّ على القديم تعالى " (١) .

وقال الإمام أبو المظفَّر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السَّمعاني التَّميمي الحنفي ثمَّ الشَّافعي (٤٨٩هـ) : " وَقَوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، وَهُوَ من الْمُتَشَابه الَّذِي يُؤمن بِهِ وَلَا يُفَسَّر ، وَقد أوَّل بَعضهم : وَجَاء أَمرُ رَبك ، وَالصَّحِيح مَا ذكرنَا " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، فهذا بالأمر لا بالذَّات ، وهو قول ابن عبَّاس رضي الله عنه " (٣) .

وقال الإمام محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني ، ويعرف بتاج القرَّاء (٥٠٥هـ) : " قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أي : ظهر بضرورة المعرفة . وقيل : جاء بلا كيف . ابن عبَّاس : أمرُ ربِّك " (٤) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، قَالَ الْحَسَنُ (١١٠هـ) : جَاءَ أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ (١٤٦هـ) : يَنْزِلُ حكمه " (٥) .

قلت : وقد قال ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) في الإمام البغوي : " مُحْيِي السُّنَّة الَّذِي اجْتَمَعَتِ الأمَّة عَلَى تَلَقِّي تَفْسِيرِهِ بِالْقَبُولِ وَقِرَاءَتِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ " (٦) .

ومن المعلوم أنَّ الإمام البغوي (٥١٦هـ) لم يذكر في المجيء إلَّا ما ذكرناه ، أعني : مجيء أمره وقضائه ونزول حكمه ... ولذا فإنَّنا نقول لأتباعه ومن يسير على منهجه من مدَّعي السَّلفيَّة : هذا كلام إمامكم

(١) انظر : النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) (ص٥٥٥) .

(٢) انظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر السمعاني (٦/ ٢٢٢) .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن (ص٢١٢) .

(٤) انظر : غرائب التفسير وعجائب التَّأويل ، غرائب التفسير وعجائب التَّأويل (٢/ ١٣٣٨) .

(٥) انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٥/ ٢٥٢) .

(٦) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٦٢) .

ابن القيِّم ينصُّ على أنَّ الأمَّة تلقَّت تفسير الإمام البغوي بالقبول ومن غير نكير ، فمن خالفه ، فقد خالف الأمَّة ... فهلَّا التزمتم واعتقدتم ما جاء فيه ممَّا التزمته الأمَّة من غير نكير ؟!!

وقال الإمام أبو الوفاء ، علي بن عقيل بن محمَّد بن عقيل البغدادي الظَّفري ، (٥١٣هـ) : " وإذا وردَ في القرآن : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، " يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ " [هود : ١٠٥] ، فأوهم أنَّه يزولُ وينتقلُ ، أزالَ هذا التَّوهُّمَ عن المجيء المضافِ إليه ، والإتيانِ الواقعِ عليه : قولُه سبحانه : " وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ " [الأنعام :٧٥- ٧٦] ، فأبان عن الأفُولِ ، وهو الغروبُ بعد الطُّلوع : أنَّه يخرجُ عن صفةِ القِدَمِ والإلهية ، وقامَ دليلُ العقلِ : أنَّ من يتحرَّكُ وينتقلُ ، وخارجٌ من حالٍ إلى حال ، محدَثٌ " (١) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد بن الفضل بن علي القرشي الطّليحي التَّيمي الأصبهاني ، أبو القاسم ، الملقب بقوام السُّنَّة (٥٣٥هـ) : " قال الحسن (١١٠هـ) : المعنى : وجاء أمرُ ربِّك ، وقضاءُ ربِّك ، وقال المتكلمون : يفعلُ الله فعلاً يسمِّيه مجيئاً " (٢) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري الخوارزمي (٥٣٨) : " فإن قلت : ما معنى إسناد المجيء إلى الله ، والحركة والانتقال إنَّما يجوزان على من كان في جهة ؟ قلت : هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه : مثِّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ، ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسِّياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصِّه عن بكرة أبيهم " (٣) .

---

(١) انظر : الوَاضِح في أُصُولِ الفِقه (٤/ ٢٠-٢١) .

(٢) انظر : إعراب القرآن للأصبهاني (ص٥٢١) .

(٣) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، (٤/ ٧٥٤-٧٥٥) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (٥٤٢هـ) : " وقوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، معناه : وجاء قدرُه وسلطانُه وقضاؤه ، قال منذر بن سعيد (٣٥٥هـ) : معناه : ظهوره للخلق هنالك ، ليس مجيء نقلة " (١) .

وقال الإمام القاضي محمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (٥٤٣هـ) : " قولُه : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] الآية ، اعْلَم أنَّه لم يُرِدْ به مجيءَ الانتقالِ والاتيانِ .

وقال بعض العلماء : إنّ الواو هاهنا بمعنى الباء .

ومنهم من قال : جاءَ أَمْرُ ربِّكَ وحُكْمُه ، يريدُ أمرُ الله في القيامة وما يختصُّ به ذلك .

وقال آخر : يحتمل : وجاءَ ربُّك بالملائكة ، فيكون المجيءُ للملائكة .

وتحقيقُ القولِ في هذا : أنّ كلَّ فِعْلٍ يضافُ إلى الله تعالى ممّا يتعلَّقُ بأبداننا ، يتعالى الله عنه ، وإنَّما المرادُ به مخلوقاته ، وذلك جائزٌ من وجهين :

إمَّا بأنْ يفعلَ فِعْلًا فيسمى إتياناً .

وإمَّا أنّ تأتي الملائكة بآمْرِهِ ، كما قال الله تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ " [البقرة : ٢١٠] ، بخَفْضِ الهاء وبرفعها ، فَبِرَفْعِها يكونُ الفعْلُ المسمَّى إثباتاً مخصوصاً بالظُّلَلِ ، وبكسرها يكون الفعلُ المسمَّى إثباتاً عامّاً فيه " (٢) .

وقال الإمام أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشَّهرستاني (٥٤٨هـ) : " اعلم أنَّ جماعة كثيرة من السَّلف كانوا يثبتون الله تعالى صفاته أزليَّة من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والإرادة ، والسَّمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والجود ، والإنعام ، والعزة ، والعظمة ، ولا يفرِّقون بين صفات الذَّات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً ، وكذلك يثبتون صفات خبريَّة ، مثل : اليدين ، والوجه ، ولا يؤوِّلون ذلك ، إلَّا أنَّهم يقولون : هذه الصِّفات قد وردت في الشَّرع ، فنسمِّيها صفات خبريَّة . ولما كانت المعتزلة ينفون الصِّفات والسَّلف يثبتون ، سُمي السَّلف صفاتيَّة ، والمعتزلة معطِّلة .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٥٢) .

(٢) انظر : المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (٣/ ٤٥٦) .

فبالغ بعض السَّلف في إثبات الصِّفات إلى حدِّ التَّشبيه بصفات المحدثات ، واقتصر بعضهم على صفات دلَّت الأفعال عليها وما ورد به الخبر ؛ فافترقوا فرقتين : فمنهم من أوَّله على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقف في التَّأويل ، وقال : عرفنا بمقتضى العقل أنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيءٌ منها ، وقطعنا بذلك ؛ إلَّا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى " [طه : ٥] ، ومثل قوله : " خَلَقْتُ بِيَدَيَّ " [ص : ٧٥] ، ومثل قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، إلى غير ذلك. ولسنا مكلَّفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التَّكليف قد ورد بالاعتقاد بأنَّه لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقيناً .

ثمَّ إنَّ جماعة من المتأخِّرين زادوا على ما قاله السَّلف ؛ فقالوا : لا بدَّ من إجرائها على ظاهرها ، فوقعوا في التَّشبيه الصّرف ، وذلك على خلاف ما اعتقده السَّلف . ولقد كان التَّشبيه صرفاً خالصاً في اليهود ، لا في كلّهم بل في القرَّائين منهم ، إذ وجدوا في التَّوراة ألفاظاً كثيرة تدلُّ على ذلك .

ثمَّ الشيعة في هذه الشَّريعة وقعوا في غلوٍّ وتقصير ، أمَّا الغلو فتشبيه بعض أئمَّتهم بالإله تعالى وتقدَّس ، وأمَّا التَّقصير فتشبيه الإله بواحد من الخلق . ولَمَّا ظهرت المعتزلة والمتكلِّمون من السَّلف رجعت بعض الرَّوافض عن الغلو والتَّقصير ، ووقعت في الاعتزال ، وتخطَّت جماعة من السَّلف إلى التَّفسير الظَّاهر فوقعت في التَّشبيه .

وأمَّا السَّلف الذين لم يتعرَّضوا للتأويل ، ولا تهدَّفوا للتَّشبيه ، فمنهم : مالك بن أنس رضي الله عنهما ؛ إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفيَّة مجهولة ، والإيمان به واجب ، والسُّؤال عنه بدعة . ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله ، وسفيان الثَّـوري (١٦١هـ) ، وداود بن علي الأصفهـاني (٢٧٠هـ) ، ومن تابعهم ... " (١) .

وقال الإمام محمود بن أبى الحسن بن الحسين النَّيسابوري أبو القاسم ، نجم الدِّين (٥٥٠هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] : أمرُهُ وقضاؤه " (٢) .

(١) انظر : الملل والنحل (١/ ٩٢-٩٣) .

(٢) انظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٨٧٦) .

وقال الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " قال الحاكم (٤٠٥هـ) : سمعت أبا محمَّد المزني (٣٥٦هـ) ، يقول : حديث النُّزول قد ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجوه صحيحة . وورد في التنزيل ما يصدّقه وهو قوله عزَّ وجلَّ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، والنُّزول والمجيء صفتان منفيَّتان من صفات الله عزَّ وجلَّ من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال ، بل هما صفتان من صفات الله عزَّ وجلَّ بلا تشبيه ، جلَّ الله عمَّا تقول المعطِّلة بصفاته والمشبِّهة بها علوّاً كبيراً " (١) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] ، أي : جاء أمرُه " (٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي أيضاً : " قلت : قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) عن أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) أنَّه قال في قوله تعالى : " يَأْتِيَهُمُ " [البقرة : ٢١٠] ، قال : المراد به قدرته وأمره ، قال : وقد بيَّنه في قوله تعالى : " أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ " [النحل : ٣٣] ، ومثل هذا في القرآن : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، قال : إنَّما هو قدرته " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرَّازي الملقب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الري (٦٠٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّه ثَبَتَ بالدَّليل الْعَقْلِيِّ أَنَّ الْحَرَكَةَ عَلَى اللهَّ تَعَالَى مُحَالٌ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ جِسْماً ، وَالْجِسْمُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ أَزَلِيّاً ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ التَّأْوِيلِ ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، ثمَّ ذَلِكَ الْمُضَافُ مَا هُوَ ؟ فِيهِ وُجُوهٌ :

أَحَدُهَا : وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ بِالْمُحَاسَبَةِ وَالْمُجَازَاةِ .

وَثَانِيهَا : وَجَاءَ قَهْرُ رَبِّكَ ، كَمَا يُقَالُ : جَاءَتْنَا بَنُو أُمَيَّةَ ، أَيْ : قَهْرُهُمْ .

وَثَالِثُهَا : وَجَاءَ جَلَائِلُ آيَاتِ رَبِّكَ ، لِأَنَّ هَذَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَظْهَرُ الْعَظَائِمُ وَجَلَائِلُ الْآيَاتِ ، فَجُعِلَ مَجِيئُهَا مَجِيئاً لَهُ تَفْخِيماً لِشَأْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ .

---

(١) انظر : تاريخ دمشق (٧١/ ٢٣٩) .

(٢) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١١٠) .

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣١/ ١٥٩) .

وَرَابِعُهَا : وَجَاءَ ظُهُورُ رَبِّكَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اللهَّ تَصِيرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ضَرُورِيَّةً ، فَصَارَ ذَلِكَ كَظُهُورِهِ وَتَجَلِّيهِ لِلْخَلْقِ ، فَقِيلَ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : زَالَتِ الشُّبْهَةُ وَارْتَفَعَتِ الشُّكُوكُ .

وخَامِسُهَا : أَنَّ هَذَا تَمْثِيلٌ لِظُهُورِ آيَاتِ اللهَّ وَتَبْيِينِ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ ، مُثِّلَتْ حَالُهُ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ بِمُجَرَّدِ حُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كُلِّهَا .

وَسَادِسُهَا : أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمُرَبِّي ، وَلَعَلَّ مَلَكاً هُوَ أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ هُوَ مُرَبِّي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ فَكَانَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] (١) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : المسألة السَّابعة : في جواز دخول المجاز في خطاب الله تعالى وخطاب رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الأكثرون جوَّزوا ذلك ، خلافاً لأبي بكر بن داود الأصفهاني . لنا قوله تعالى : " فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ " [الكهف : ٧٧] ، " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وقد ثبت بالدَّليل أنَّه لا يجوز أن يكون المراد منها ظواهرها ، فوجب صرفُها إلى غير ظواهرها ، وهو المجاز . واحتجَّ المخالفُ بأمور ، أحدها : لو خاطب الله بالمجاز لجاز وصفه بأنَّه متجوِّز ومستعير . وثانيها : أنَّ المجاز لا ينبئ بنفسه عن معناه ، فورود القرآن به يقتضي الالتباس . وثالثها : أنَّ العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة ، وهو على الله تعالى مُحال . ورابعها : أنَّ كلام الله تعالى كلّه حقّ ، وكلّ حقٍّ فله حقيقة ، وكلّ ما كان حقيقة فإنَّه لا يكون مجازاً .

والجواب عن الأوَّل : أنَّ أسامي الله تعالى توقيفيَّة ، وبتقدير كونها اصطلاحيَّة ، لكن لفظ المتجوِّز يوهم كونه تعالى فاعلاً ما لا ينبغي فعله ، وهو في حقِّ الله تعالى مُحال . وعن الثَّاني : أنَّه لا التباس مع القرينة الدالَّة على المراد . وعن الثَّالث : أنَّ العدول عن الحقيقة إلى المجاز لأغراض سنذكرها إن شاء الله تعالى . وعن الرَّابع : أنَّ كلام الله تعالى كلّه حقيقة بمعنى أنَّه صدق لا بمعنى كون ألفاظه بأسرها مستعملة في موضوعاتها الأصلية ، والله أعلم " (٢) .

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢١/ ١٥٩) .

(٢) انظر : المحصول (١/ ٣٣٣) .

وقال الإمام يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السكَّاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ) : " من فصول المجاز في المجاز اللغوي الرَّاجع على حكم الكلمة في الكلام : هو عند السَّلف رحمهم الله أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلي على غيره ، كما في قوله علت كلمته : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، فالأصل : وجاء أمرُ ربِّك ، فالحكم الأصلي في الكلام لقوله : " رَبُّكَ " هو الجر ، وأمَّا الرفع فمجاز " (١) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن سالم المعروف بسيف الدِّين الآمدي (٦٣١هـ) : " ... وقوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وليس المراد به الحركة والانتقال ، بل المراد : مجيء أمر الرَّبِّ تعالى لفصل القضاء يوم الدِّين بطريق حذف المضاف ، إقامة المضاف إليه مقامه ، وذلك كما في قوله تعالى : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ "[النحل : ٢٦] ، أي : أمرُه ، بالاتِّفاق منَّا ، ومن الخصوم " (٢) .

وقال الإمام الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ (٦٣٨هـ) ، في أثناء حديثه عن المتشابه : " ... وأمَّا الرُّتبة الثَّانية فمتشابه الخطاب المفصل ، المشتمل على إخبار الله عن نفسه وتنزُّلات أمره ، ورتَّب إقامات خلقه بإبداع كلمته ، وتصيير حكمته ، وباطن ملكوته ، وعزيز جبروته ، وأحوال أيامه .

وأوَّل ذلك في ترتيب القرآن : إخباره عن استوائه في قوله تعالى : " ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ " [فصلت : ١١] ، إلى قوله : " فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ " [البقرة : ١١٥] ، إلى سائر ما أخبر عنه من عظيم شأنه ، في جملة آيات متعدِّدات كقوله تعالى ... " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، إلى سائر ما أخبر فيه عن تنزُّلات أمره وتسوية خلقه ، وما أخبر عنه حبيبه محمَّد ، – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، من محفوظ الأحاديث التي عرف بها أمَّته ، ما يحملهم في عبادتهم على الانكماش والجدّ والخشية والوجل والاشفاق ، وسائر الأحوال المشار إليها في حرف المحكم ، من نحو حديث النُّزول ، والنَّعلين ، والصُّورة ، والضَّحك ، والكفّ ، والأنامل ، وحديث التَّقرُّب بالنَّوافل ، وغير ذلك من الأحاديث التي

---

(١) انظر : مفتاح العلوم (ص٣٩٢) .

(٢) انظر : أبكار الأفكار في أصول الدِّين (١/ ٤٧٩) .

ورد بعضها في الصَّحيحين ، واعتنى بجمعها الحافظ المتفنِّن أبو الحسين الدَّارقطني رحمه الله ، ودون بعض المتكلِّمين جملة منها لمقصد التَّأويل .

وشدَّد النَّكير في ذلك أيمَّة المحدِّثين ، يؤثر عن الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رضي الله عنه ، أنَّه قال : آيات الصِّفات ، وأحاديث الصِّفات صناديق مقفلة ، مفاتيحها بيد الله ، تأويلها تلاوتها ، وعلى ذلك أئمَّة الفقهاء وفتياهم لعامَّة المؤمنين .

والذي أجمعت عليه الصَّحابة ، ولقنته العرب كلّها : أنَّ ورود ذلك من الله ، ومن رسوله ، ومن الأئمَّة ، إنَّما لمقصد الإفهام ، لا لقصد الإعلام ، فلذلك لم تستشكل الصَّحابة منه شيئاً قط ، بل كلَّما كان وارده عليهم أكثر ، كانوا به أفرح ، وللخطاب به أفهم ، حتى قال بعضهم ، لمَّا ذكر النَّبي ، – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أنَّ الله يضحك من عبده " ، لا نعدم الخير من ربٍّ يضحك ، وهم وسائر العلماء بعدهم صنفان :

إمَّا متوقِّف عنه في حدِّ الإيمان ، قانع بما أفاد من الإفهام .

وإمَّا مفتوح عليه بما هو في صفاء الإيقان ، وذلك أنَّ الله ، سبحانه ، تعرَّف لعباده في الأفعال والآثار في الآفاق ، وفي أنفسهم تعليماً ، وتعرَّف للخاصَّة منهم بالأوصاف العليا والأسماء الحسنى ، ممّا يمكنهم اعتباره تعجيزاً ، فجاوزوا حدود التَّعلُّم بالإعلام إلى عجز الإدراك ، فعرفوا أن لا معرفة لهم ، وذلك هو حدُّ العرفان ، وإحكام قراءة هذا الحرف المتشابه في منزل القرآن ، وتحقَّقوا أن : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ " [الإخلاص : ٤] ، فتهدَّفوا بذلك لما يفتحه الله على من يحبُّه من صفاء الإيقان ، والله يحبُّ المحسنين " (١) .

وقال الإمام عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني ، البغدادي ثمَّ المصري (٦٥٤هـ) : " ... والضّرب الثَّالث من المبالغة إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، والإخبار عنه مجاز ، كقول من رأى موكباً عظيماً أو جيشاً خضمّاً : جاء الملك نفسه وهو يعلم حقيقة أن ما

(١) انظر : تراث أبي الحسن الحَرَالِّي المراكشي في التفسير (١/ ٨٢-٨٦ باختصار) .

جاء جيشه ، وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي (٦٦٦هـ) : " ... فإن قيل : كيف قال الله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، الانتقال والحركة على الله محالان لأنَّهما من خواص الكائن في جهة ؟

قلنا : قال ابن عبَّاس (٦٨هـ) ، رضي الله عنهما ، وجاء أمرُ ربِّك ، لأنَّ في القيامة تظهر جلائل آيات الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ " [الأنعام : ١٥٨] ، وقيل : معناه : وجاء ظهورُ ربِّك ، لضرورة معرفته يوم القيامة ، ومعرفة الشَّيء بالضَّرورة تقوم مقام ظهوره ورؤيته ، فمعناه : زالت الشُّكوك وارتفعت الشُّبهة ، كما ترتفع عند مجيء الشَّيء الذي كان يشكُّ فيه " (٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١ هـ) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَجاءَ رَبُّكَ" [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَهُوَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ. وَقِيلَ: أَيْ جَاءَهُمُ الرَّبُّ بِالْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ " [البقرة: ٢١٠] ، أَيْ بِظُلَلٍ. وَقِيلَ: جَعَلَ مَجِيءَ الْآيَاتِ مَجِيئًا لَهُ، تَفْخِيمًا لِشَأْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ: " يا بْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، وَاسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، وَاسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي " . وَقِيلَ: وَجاءَ رَبُّكَ أَيْ زَالَتِ الشُّبَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَصَارَتِ الْمَعَارِفُ ضَرُورِيَّةً، كَمَا تَزُولُ الشُّبَهُ وَالشَّكُّ عِنْدَ مَجِيءِ الشَّيْءِ الَّذِي كَانَ يُشَكُّ فِيهِ. قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَةِ: ظَهَرَتْ قُدْرَتُهُ وَاسْتَوْلَتْ ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يُوصَفُ بِالتَّحَوُّلِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَأَنَّى لَهُ التَّحَوُّلُ وَالِانْتِقَالُ، وَلَا مَكَانَ لَهُ وَلَا أَوَانَ، وَلَا

---

(١) انظر : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني ، البغدادي ثمَّ المصري ، (ص١٥١) ، تحقيق : الدكتور حفني محمَّد شرف ، نشر : الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(٢) انظر : أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٥٧١) .

يَجْرِي عَلَيْهِ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ، لِأَنَّ فِي جَرَيَانِ الْوَقْتِ عَلَى الشَّيْءِ فَوْتُ الْأَوْقَاتِ، وَمَنْ فاته شي فَهُوَ عَاجِزٌ " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] . وقد ثبت بالدَّليل أنَّه لا يجوز أن يكون المراد منها ظواهرها ؛ فوجب صرف إلى غير ظواهرها، وهو المجاز " (٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن إدريس القرافي (٦٨٤هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، من باب الحذف ، أي : أمرُ ربِّك أو جند ربِّك ، ونحو ذلك ، فهو من مجاز التَّركيب ، والأوَّل من مجاز الإفراد " (٣) .

وقال الإمام ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : ظهرت آياتُ قدرته وآثارُ قهره ، مثَّل ذلك بما يظهر عند حضور السُّلطان من آثار هيبته وسياسته " (٤) .

وقال الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النَّسفي (٧١٠هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإنَّه واحداً من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصّه ، وعن ابن عبَّاس : أمرُه وقضاؤه " (٥) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (٧٢٥هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، اعلم أنَّ هذه الآية من آيات الصِّفات التي سكت عنها وعن مثلها عامَّة السَّلف وبعض الخلف ، فلم يتكلَّموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل ،

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٥) .

(٢) انظر : نفائس الأصول في شرح المحصول (٢/ ٨٦٤) .

(٣) انظر : نفائس الأصول في شرح المحصول (٢/ ٩٢١) .

(٤) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل (٥/ ٣١١) .

(٥) انظر : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٦٤١) .

وقالوا يلزمنا الإيمان بها وأجراؤها على ظاهرها ، وتأولها بعض المتأخِّرين ، وغالب المتكلِّمين فقالوا ثبت بالدَّليل العقلي ، أنَّ الحركة على الله محالٌ ، فلا بدَّ من تأويل الآية .

فقيل في تأويلها : وجاء أمرُ ربك بالمحاسبة والجزاء .

وقيل : جاء أمرُ ربِّك وقضاؤه .

وقيل : وجاء دلائل آيات ربِّك ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لتلك الآيات " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... كَمَا يُصْنَعُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِمَّا يَقْتَضِي ظَاهِرُهُ التَّشْبِيهَ ، وَهُوَ كَثِيرٌ كَالْإِتْيَانِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ " [البقرة : ٢١٠] ، وَالْمَجِيءِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] ، انْتَهَى .

وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله " [البقرة : ٢١٠] ، أَيْ : عَذَابُهُ ، وَنِقْمَتُهُ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِــهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِــهِ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] .

الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الظُّهُورَ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الدُّنيا ، وَالْآخِرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وإِنَّمَا الْحِجَابُ مِنَّا ، فَإِذَا كَشَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحِجَابَ عَنَّا ظَهَرَ لَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ حَدٍّ ، وَلَا تَكْيِيفٍ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْ الصُّورَةِ، وَالْكَيْفِيَّةِ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمره أو عذابه " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر ، أبو المعالي، جلال الدِّين القزويني الشَّافعي ، المعروف بخطيب دمشق (٧٣٩هـ) : " ... وأدلَّة الحذف كثيرة ... ومنها : أن يدلَّ العقل على الحذف والتَّعيين ،

---

(١) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (٧/ ٢٤٦) .

(٢) انظر : المدخل (٢/ ١٤٨) .

(٣) انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٦٠٢) ، (٢/ ٢٠٣) .

كقوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك أو عذابُه أو بأسُه ، وقوله : " هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله " [البقرة : ٢١٠] ، أي : عذابُ الله أو أمره " (١) .

وقال الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، تأويله عند المتأوِّلين : جاء أمره وسلطانه . وقال المنذر بن سعيد (٣٥٥هـ) : معناه : ظهوره للخلق هنالك . وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل " (٢) .

وقال الإمام شرف الدِّين الحسين بن عبد الله الطِّيبي (٧٤٣هـ) : " واعلم أنَّ للناس فيما جاء من صفات الله ما يشبه صفات المخلوقين تفصيلاً ، وذلك أنَّ المتشابه قسمان : قسم يقبل التَّأويل ، وقسم لا يقبله ، بل علمه مختصٌّ بالله تعالى ، ويقفون عند قوله : " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله " [آل عمران : ٧] ، كالنَّفس في قوله تعالى : " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " [المائدة : ١١٦] ، والمجيء في قوله : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وتأويل فواتح السُّور ، مثل : " حَم " [غافر : ١] و " الم " [البقرة : ١] ، من هذا القبيل " (٣) .

وقال الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الحسيني العلويّ الطَّالبي الملقَّب بالمؤيَّد باللهَّ (٧٤٥هـ) : " ... وذلك أن ندرك من الكلام ما يوقفنا على أمور تشعرنا بالتَّفرقة بينهما ، وذلك من أوجه أربعة : ... " وثالثها " : أنَّهم إذا علّقوا الكلمة بما يستحيل عقلاً تعلّقها به ، علم أنَّها في أصل اللغة غير موضوعة لها فيعلم كونها مجازاً فيها ، وهذا كقوله تعالى في النُّقصان : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، فإنَّه يستحيل عقلاً تعلّق المجيء بالذَّات ، لاستحالته عليها ، فيعلم أن استعمالها مجاز بالنُّقصان ، وأنَّ الأصل وجاء أمرُ ربِّك " (٤) .

---

(١) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ١٩٥) .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨١) .

(٣) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (٣/ ٥٤٣) .

(٤) انظر : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١/ ٥١) .

وقال الإمام أبو حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، قَالَ الْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ (٣٥٥هـ) : مَعْنَاهُ : ظُهُورُهُ لِلْخَلْقِ هُنَالِكَ ، وَلَيْسَ بِمَجِيءِ نُقْلَةٍ ، وَكَذَلِكَ مَجِيءُ الطَّامَّةِ وَالصَّاخَّةِ . وَقِيلَ : وَجَاءَ قُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ . وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ (٥٣٨هـ) : هُوَ تَمْثِيلٌ لِظُهُورِ آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبْيِينِ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، مُثِّلَتْ حَالُهُ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كُلِّهَا وَوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّهِ " (١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وَمَسْأَلَةُ النُّزول فَالإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَتَرْكُ الخوضِ فِي لوازِمِهِ أَوْلَى ، وَهُوَ سَبِيْلُ السَّلف ، فَمَا قَالَ هَذَا : نُزُولُهُ بِذَاتِهِ ، إِلَّا إرغاماً لِمَنْ تَأَوَّلَهُ ، وَقَالَ : نُزولُهُ إِلَى السَّماء بِالعِلْمِ فَقَطْ ، نَعُوذُ بِالله مِنَ المِرَاءِ فِي الدِّين .

وَكَذَا قَوْلُهُ : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وَنَحْوُهُ ، فَنَقُوْلُ : جَاءَ ، وَيَنْزِلُ ، وَننهَى عَنِ القَوْلِ : يَنْزِلُ بِذَاتِهِ ، كَمَا لاَ نَقُوْلُ : يَنْزِلُ بِعِلْمِهِ ، بَلْ نَسكتُ وَلاَ نَتفَاصَحُ عَلَى الرَّسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعبارات مبتدعة ، والله أعلم " (٢) .

وقال الإمام عضد الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد الإيجي (٧٥٦هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمره " (٣) .

وقال الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمَّد ، جمال الدِّين ، ابن هشام (٧٦٣هـ) : " قَوْله تَعَالَى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] ، أَي : أمره " (٤) .

وقال الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمَّد ، جمال الدِّين ، ابن هشام (٧٦٣هـ) : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر: ٢٢] ، " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ " [النحل : ٢٦] ، أَي : أمرُه ، لِاسْتِحَالَة الْحَقِيقِيّ " (٥) .

---

(١) انظر : البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٧٥) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٣١) .

(٣) انظر : كتاب المواقف (٣/ ٣٨)

(٤) انظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (ص٥٥١) .

(٥) انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٨١١) .

وقال الإمام ابن هشام أيضاً : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمر ربِّك " (١) .

وقال الإمام ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرَّحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ) : " يحذف المضاف لقيام قرينة تدلُّ عليه ويقام المضاف إليه مقامه فيعرب بإعرابه ، كقوله تعالى : " وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ " [البقرة : ٩٣] ، أي : حبَّ العجل ، وكقوله تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك ... " (٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ناقلاً عن ابن جهبل (٧٣٣هـ) في ردِّه على ابن تيمية : " ... وورد قوله تعالى : " وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " [ق : ١٦] ، وذلك يقتضي أن يكون الله داخل الزردمة ، فلم لا بينه الله ولا رسوله ولا سلف الأمَّة . وقال تعالى : " كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ " [العلق : ١٩] ، ومعلوم أنَّ التقرُّب في الجهة ليس إلَّا بالمسافة ، فلم لا بينه الله تعالى ، ولا رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا سلف الأمَّة . وقال تعالى : " فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ " [البقرة : ١١٥] ، وقال تعالى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، وقال تعالى : " فَأَتَى الله بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ " [النحل : ٢٦] ، وقال تعالى : " مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ " [الأنبياء : ٢] ، ... وكلّ هذه هل تأمن من المجسِّم أن يقول لك : ظواهر هذه كثرة تفوت الحصر أضعاف أحاديث الجهة ، فإن كان الأمر كما يقول في نفي الجسمية مع أنَّه لم يأت في شيء من هذه ما يبيِّن خلاف ظواهرها لا عن الله تعالى ، ولا عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن سلف الأمَّة ، فحينئذ يكيل لك المجسِّم بصاعك ، ويقول لك : لو كان الأمر كما قلت ، لكان ترك النَّاس بلا كتاب ولا سنَّة أهدى لهم . وإن قلت : إنَّ العمومات قد بيَّنت خلاف ظواهر هذه لم نجد منها نافياً للجسميَّة إلَّا وهو ناف للجهة ... ثمَّ حاصل كلامك أنَّ مقالة الشَّافعية ، والحنفيَّة ، والمالكيَّة ، يلزمها أن يكون ترك النَّاس بلا كتاب ولا سنَّة أهدى لهم ، أفتراهم يكفِّرونك بذلك أم لا ؟!! ثمَّ جعلت أنَّ مقتضى كلام المتكلِّمين : أنَّ الله تعالى ورسوله وسلف

---

(١) انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ١٤٤) .

(٢) انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/ ٧٦) .

الأمَّة تركوا العقيدة حتى بيَّنها هؤلاء ، فقل لنا : إنَّ الله ورسوله وسلف الأمَّة بيَّنوها ، ثمَّ انقل عنهم أنَّهم قالوا كما تقول : إنَّ الله تعالى في جهة العلو ، لا في جهة السُّفل ، وإنَّ الإشارة الحسيَّة جائزة إليه ، فإذا لم تجد ذلك في كتاب الله تعالى ، ولا كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا كلام أحد من العشرة ، ولا كلام أحد من السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، رضي الله عنهم ، فعُد على نفسك باللائمة ، وقل : لقد ألزمت القوم بما لا يلزمهم ، ولو لزمهم لكان عليك اللوم .

ثمَّ قلت عن المتكلِّمين : أنَّهم يقولون ما يكون على وفق قياس العقول فقولوه وإلَّا فانفوه . والقوم لم يقولوا ذلك ، بل قالوا : صفة الكمال يجب ثبوتها لله ، وصفة النَّقص يجب نفيها عنه ، كما قاله الإمام أحمد ، رضي الله عنه ، قالوا : وما ورد من الله تعالى ومن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليعرض على لغة العرب ، التي أرسل الله تعالى محمَّداً بلغتها ، كما قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ " [إبراهيم : ٤] ، فما فهمت العرب فافهمه ، ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الحذاء المرقَّع ، واضرب بقوله حائط الحشّ .

ثمَّ نعقد فصلاً إن شاء الله تعالى بعد إفساد ما نزغ به في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه ، فإنه إنَّما تلقف ما نزغ به في مخالفة الجماعة ، وأساء القول على الملَّة من حثالة الملاحدة الطَّاعنين في القرآن .

وسنبيِّن إن شاء الله تعالى ضلالهم ، ويعلم إذ ذاك من هو من فراخ الفلاسفة والهنود ، ثمَّ لو استحيى الغافل لعرف مقدار علماء الأمَّة رحمهم الله تعالى ، ثمَّ هل رأى من ردَّ على الفلاسفة والهنود والرُّوم والفرس غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم ، وهل اتَّكلوا في الرَّدِّ على هذه الطَّوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك ثمَّ يذرونهم يستدلُّون على إثبات الله تعالى في الحجاج على منكره بالنَّقل وعلى منكري النُّبوَّة بالنَّقل حتى يصير مضغة للماضغ ، وضحكة للمستهزئ ، وشماتة للعدو وفرحاً للحسود ، وفي قصَّة الحسن بن زياد اللؤلؤي عبرة للمعتبر .

ثمَّ أخذ بعد هذا في أنَّ الأمور العامَّة إذا نفيت عنها إنَّما يكون دلالتها على سبيل الإلغاز . قلنا وكذلك المجسِّم يقول لك دلالة الأمور العامَّة على نفي الجسميَّة إلغاز .

ثمَّ قال بعد هذا : يا سبحان الله كيف لم يقل الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً ما الدهر ولا أحد من سلف الأمَّة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه فيقال له ما الذي دلت عليه حتى يقولوا أنَّه لا يعتقد هذا تشنيع بحت .

ثمَّ يقول لك المجسِّم : يا سبحان الله ، لِمَ لمْ يقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أحد من سلف الأمَّة : إنَّ الله تعالى ليس بجسم ، ولا قالوا : لا تعتقدوا من الأحاديث الموهمة للجسميَّة ظواهرها ، ثمَّ استدلَّ بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفة الفرقة النَّاجية : " هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " قال المدعي : فهلَّا قال : من تمسَّك بظاهر القرآن في آيات الاعتقاد فهو ضال ، وإنَّما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم .

فليعلم النَّاظر أنَّه هاهنا باهت وزخرف وتشبَّع بما لم يعطه ، فإنه قد ثبت أنَّ طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، رضي الله عنهم : الكفّ عن ذلك ، فما نحن الآمرون به ، وأنَّه هو ليس بساكت ، بل طريقه الكلام ، وأمر الدهماء بوصف الله تعالى بجهة العلو ، وتجويز الإشارة الحسيَّة إليه ، فليت شعري ، من الموافق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه !! ولكن صدق القائل : رمتني بدائها وانسلَّت .

ثمَّ المجسِّم يقول له ، حذو النَّعل بالنَّعل ما قاله لنا ، ونقول له : لم لا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاجية من قال : إنَّ الله في جهة العلو ، وإنَّ الإشارة الحسيَّة إليه جائزة ، فإن قال : هذه طريقة السَّلف ، وطريقة الصَّحابة ، قلنا : من أين لك هذا ؟ !! ثمَّ لا تأمن من كلِّ مبتدع أن يدعي ذلك ... " (١) .

هذا بعضٌ ممَّا قاله الإمام أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر بن جهبل الحلبي ثمَّ الدِّمشقي الشَّافعي في ردِّه على ابن تيمية في مسألة العلو ، وقد ردَّ عليه في هذه المسألة أساطين العلم في زمانه وبعد زمانه ، ومناسبة كلامه لمسألة النُّزول : أنَّ من قال بالنُّزول الحقيقي لله تعالى ، قال بالعلو الحقيقي لله تعالى ، والنُّزول لا يكون إلَّا من علو إلى سفل ... وقد أشبعت المسألة في كتاب سمَّيته : " العلو للعليِّ الغفَّار علوّ مكانة لا علوّ مكان " ، كما قمت بحمد الله تعالى ومنِّه بشرح رسالة ابن جهبل في

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٦٧-٧١) .

ردّه على ابن تيمية بكتاب سميته : " الفهم الأكمل في شرح رسالة ابن جهبل " ، فالحمد لله الذي بحمده تتمُّ الصَّالحات ...

والجدير بالذِّكر هنا أنَّ العلماء اجتمعت كلمتهم على الثَّناء على ابن جهبل صاحب الرَّدِّ على ابن تيمية ، ومن كلام العلماء في ذلك :

قال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (٧٧٤هـ) : " الشَّيخ ، الْإِمَامُ ، الفاضل ، مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ ، شِهَابُ الدِّين أَبُو العبَّاس أَحْمَدُ بْنُ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بْنِ تَاجِ الدِّين إِسْمَاعِيلَ بْنِ طَاهِرِ بْنِ نَصْرِ اللَّهِ بْنِ جَهْبَلٍ الْحَلَبِيُّ الْأَصْلِ ثمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْفُقَهَاءِ ، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، واشتغل بالعلم ، ولزم المشايخ ، ولزم الشَّيخ الصَّدْرَ بْنَ الْوَكِيلِ ، وَدَرَّسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ بِالْقُدْسِ ، ثمَّ تركها إِلَى دِمَشْقَ ، فَبَاشَرَ مَشْيَخَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الظَّاهِرِيَّةِ مُدَّةً ، ثمَّ وَلِيَ مَشْيَخَةَ الْبَادَرَائِيَّةِ ، فَتَرَكَ الظَّاهِرِيَّةَ ، وأقام بتدريس الْبَادَرَائِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مَعْلُوماً مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ بَعْدَ الْعَصْرِ تَاسِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ الصَّلاة وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً " (١) .

ومن المعلوم أنَّ الإمام ابن كثير من تلاميذ الإمام ابن تيمية ، فقد أثنى على الإمام ابن جهبل مع أنَّه من المشنِّعين عليه ... فالحقّ دائماً أحقُّ أن يُتَّبع ...

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في ترجمة ابن جهبل : " أَحْمد بن يحيى بن إِسْمَاعِيل بن طَاهِر بن نصر بن جهبل الْحلَبِي ثمَّ الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي ولد سنة (٦٧٠هـ) ، وتفقه على الْمَقْدِسِي وَابْن الْوَكِيل وَابْن النَّقِيب ، وَسمع الحَدِيث من الْفَخر والفاروتي ، وَغَيرهمَا ، وَولى تدريس الصلاحيَّة بالقدس مُدَّة ، ثمَّ تَركهَا وَسكن دمشق ، ودرس بالبادرائيَّة بِدِمَشْق بعد الشَّيخ برهَان الدِّين ، وولِّي مشيخة الحَدِيث بالظاهريَّة ، ثمَّ تَركهَا ، فَأَخذهَا الذَّهبي . قَالَ ابْن كثير : كَانَ من أَعْيَان الْفُقَهَاء ، وَلم يَأْخُذ مَعْلُوماً من البادرائيَّة ، وَلَا من الظَّاهِرِيَّة . وَقَالَ الذَّهبي : كَانَ فِيهِ خير وَتعبُّد ، وَله محَاسِن ، وفضائل ، وفطنة ، وَتقدم فِي الْعلم بالفروع . وَقَالَ ابْن الكتبي : كَانَ عَالماً ورعاً ، وَلَّما مرض

(١) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ١٨٩) .

تصدّق كثيراً حَتَّى بثيابه ، وَمَات فِي جُمَادَى الْآخِرَة سنة (٧٣٣ هـ) . قلت : حدَّثنا عَنهُ بِالسَّمَاعِ شَيخنَا الْبُرْهَان الشَّامي " (١) .

فهذا هو ابن جهبل الذي ردَّ على ابن تيمية في مسألة العلو ، تلكُمُ المسألة التي اعتمدها مدَّعو السَّلفيَّة في تكفيرهم لعموم الأمَّة المحمَّديَّة ... والعياذ بالله تعالى ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) ، عَنِ الْحَاكِمِ (٤٠٥هـ) ، عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ (٣٤٤هـ) ، عَنْ حَنْبَلٍ (٢٧٣هـ) أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَنَّه جَاءَ ثَوَابُهُ . ثمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ " (٢) .

وقال الإمام أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدِّمشقي النعماني (٧٧٥هـ) : " قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، أي : جاء أمره وقضاؤه ، قاله الحسن (١١٠هـ) ، وهو من باب حذف المضاف .

وقيل : جاءهم الرَّبُّ بالآيات ، كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أي : بظلل .

وقيل : جعل مجيء الآيات مجيئاً له ، تفخيماً لشأن تلك الآيات ، كقوله تعالى في الحديث : " يَا ابْنَ آدم مَرضتُ فلمْ تعُدِنِي ، واسْتسْقَيتُكَ فَلَمْ تَسقِنِي ، واسْتطعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي " .

وقيل : زالت الشُّبه ، وارتفعت الشُّكوك ، وصارت المعارف ضرورية ، كما تزول الشُّبه والشُّكوك عند مجيء الشَّيء الذي كان يشك فيه ، وقيل : وجاء قهر ربِّك ، كما تقــول : جاءتنا بنو أميَّة ، أي : قهرُهم .

قال أهل الإشارة : ظهرت قدرته واستوت ، والله – سبحانه وتعالى – لم يوصف بالتَّحوُّل من مكان إلى مكان ، وأنَّى له التَّحوُّل والانتقال ، ولا مكان ولا أوان ، ولا يجري عليه وقت ولا زمان ؛ لأنَّ في جريان الوقت على الشَّيء فوات الأوقات ، ومن فاته الشَّيء ، فهو عاجز " (٣) .

---

(١) انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ٣٨٩-٣٩٠) .

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٦١)

(٣) انظر : اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٣١) .

وقال الإمام سعد الدِّين التَّفتازاني (٧٩٣هـ) : " ... ومنها أن يدلَّ العقل عليهما " أي : على الحذف وتعيين المحذوف ، نحو : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فالعقل يدلُّ على امتناع مجيء الرَّبِّ تعالى وتقدَّس ، ويدلُّ على تعيين المراد أيضاً ، أي : أمرُه أو عذابُه ، فالأمر المعيَّن الذي دلَّ عليه العقل هو أحد الأمرين ، لا أحدهما على التَّعيين " (١) ..

وقال الإمام سعد الدِّين التفتازاني (٧٩٣هـ) أيضاً : " فصل في بيان معنى آخر يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك أو التَّشابه : وقد يطلق المجاز على كلمة تغيّر حكم إعرابها ، أي : حكمها الذي هو الإعراب على أنَّ الإضافة للبيان ، أي : تغير إعرابها من نوع إلى نوع آخر ، بحذف لفظ أو زيادة لفظ ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، والثَّاني مثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، أي : جاء أمرُ ربِّك ، لاستحالة المجيء على الله تعالى " (٢) .

وقال الإمام سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التَّفتازاني (٧٩٣هـ) أيضاً : " وأمَّا القائلون بحقيقة الجسميَّة والحيِّز والجهة ، فقد بنوا مذهبهم على قضايا وهميَّة كاذبة تستلزمها ، وعلى ظواهر آيات وأحاديث تشعر بها ، أمَّا الأوَّل فكقولهم ... وأمَّا الثَّاني فكقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ... إلى غير ذلك ، وكقوله عليه السَّلام للجارية الخرساء : " أين الله " ؟ فأشارت إلى السَّماء " ، فلم ينكر عليها ، وحكم بإسلامها ، كقوله عليه السَّلام : " إنَّ الله تعالى ينزلُ إلى سماء الدُّنيا " الحديث ، ... والجواب : أنَّها ظنِّيَّات سمعيَّة في معارضة قطعيَّات عقليَّة ، فيقطع بأنَّها ليست على ظواهرها ، ويفوَّض العلم بمعانيها إلى الله تعالى ، مع اعتقاد حقيقتها جرياً على الطَّريق الأسلم الموافق للوقف على : ﴿ إِلاَّ الله ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧]

(١) انظر : مختصر المعاني (ص١٦٥)

(٢) انظر : مختصر المعاني (ص٢٤١) .

، أو تأوّل تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلَّة العقليَّة على ما ذكر في كتب التَّفاسير وشروح الأحاديث سلوكاً للطَّريق الأحكم الموافق للعطف في ﴿ إِلَّا اللهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ... " (١) .

وبمناسبة تطرُّق الإمام التَّفتازاني للحديث عن حديث الجارية ... فللعبد الفقير كتاب ضخم حول الموضوع زادت صفحاته بحمد الله تعالى على (٥٠٠) صفحة ، ذكرنا فيه ما قاله علماء الأمَّة حول حديث الجارية ...

وقال الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) : " قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، قِيلَ : اسْتِعَارَةُ الْوَاوِ مَوْضِعَ الْبَاءِ لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا فِي مَعْنَى الْجَمْعِ ، إِذِ الْبَاءُ مَوْضُوعَةٌ لِلْإِلْصَاقِ ، وَهُوَ جَمْعٌ ، وَالْوَاوُ مَوْضُوعَةٌ لِلْجَمْعِ ، وَالْحُرُوفُ يَنُوبُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، وَتَقُولُ عُرْفاً : جَاءَ الْأَمِيرُ بِالْجَيْشِ ، إِذَا كَانَ مَجِيئُهُمْ مُضَافاً إِلَيْهِ بِتَسْلِيطِهِ أَوْ بِأَمْرِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَلَكَ إِنَّمَا يَجِيءُ بِأَمْرِهِ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، فَصَارَ كَمَا لَوْ صَرَّحَ بِهِ ، وَقَالَ : جَاءَ الملك بأمرِ ربِّك ، وهو كقوله : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، أَي : اذْهَبْ أَنْتَ بِرَبِّكَ ، أَيْ : بِتَوْفِيقِ رَبِّكَ وَقُوَّتِهِ ، إِذْ مَعْلُومٌ أَنَّه إِنَّما يُقَاتِلُ بِذَلِكَ مِنْ حَيْثُ صَرْفُ الْكَلَامِ إِلَى الْمَفْهُومِ فِي الْعُرْفِ " (٢) .

وقال الإمام الزّركشي أيضاً : " وَقَدْ يَخْرُجُ الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَعْظَمِ الأكبر للمبالغة ، وَهُوَ مَجَازٌ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فَجَعَلَ مَجِيءَ جَلَائِلِ آيَاتِهِ مَجِيئًا لَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُبَالَغَةِ " (٣) .

وقال الإمام الزّركشي أيضاً : " ... وَمِنْهَا : أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا ، أَيْ : عَلَى الْحَذْفِ وَالتَّعْيِينِ كَقَوْلِهِ تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ أَوْ مَلَائِكَتُهُ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَى أَصْلِ الْحَذْفِ ، وَلِاسْتِحَالَةِ مَجِيءِ الباريء عَقْلاً ، لِأَنَّ الْمَجِيءَ مِنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ ، وَدَلَّ الْعَقْلُ أَيْضاً

---

(١) انظر : شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٦٦-٦٧) .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن (٢/ ٨٣-٨٤) .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن (٣/ ٥٣)

عَلَى التَّعْيِينِ ، وَهُوَ الْأَمْرُ ، وَنَحْوُهُ وَكَلَامُ الزَّمَخْشَرِيِّ (٥٣٨هـ) يَقْتَضِي أَنَّه لَا حَذْفَ أَلْبَتَّةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ : هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَمْثِيلٌ ، مَثَّلَتْ حَالَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ " (١) .

وقال الإمام الزّركشي أيضاً : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُ رَبِّكَ " (٢) .

وقال الإمام الزّركشي أيضاً : " ... وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِ " مِنْهَاجِ الْوُصُولِ " عَنْ أَحْمَدَ أَنَّه قَالَ فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُ رَبِّك " (٣) .

وقال الإمام الزّركشي أيضاً : " ... أنَّ كل ما ورد في الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة من الصِّفات اللائقة بجلاله ، نعتقد ظاهر المعنى ، وما ورد فيهما من المشكل ممَّا ظاهره الاتصاف بالحدوث والتَّغيُّر كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ينزلُ ربُّنا كلّ ليلة " ، فإنَّا ننزِّه عند سماعه عمَّا لا يليق به .

وللعلماء فيه مذهبان مشهوران :

فمنهم : من يفوِّض علمه إلى الله تعالى ، ويسكت عن التَّأويل ، بشرط الجزم بالتَّنزيه والتَّقديس واعتقاد عدم إرادة الظَّواهر المفضية للحدوث والتَّشبيه ، وهذا مذهب السَّلف رحمهم الله تعالى ، ولهذا يقفون على قوله تعالى : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، ثمَّ يبتدئون ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، وقالوا : أمرُّوها كما جاءت بلا كيف . فقولهم : " كما جاءت " ، ردٌّ على المعطلة ، وقولهم : " بلا كيف " ، ردٌّ على المشبِّهة .

ومنهم : من يقول بالتَّأويل ، وهو مذهب الخلف ، وشرطوا كون التَّأويل لإيفاء بجلال الله تعالى ، وكون المؤول متَّسعاً في لغة العرب ... " (٤) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " ... وقال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ولم يتأوَّل

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٠٩) .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٤٨) .

(٣) انظر : : البحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ٤٣) .

(٤) انظر : تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدِّين السبكي (٤/ ٦٧٦-٦٧٧) .

الصَّحابة ولا التَّابعون شيئاً من ذلك ، ولا أخرجوه عن مدلوله ، بل روي عنهم ؛ ما يدلُّ على تقريره والإيمان به وامراره كما جاء ؟

وقد روي عن الإمام أحمد ، أنَّه قال في مجيئه : هو مجيء أمره ، وهذا ممَّا تفرَّد به حنبل عنه .

فمن أصحابنا من قال : وهم حنبل فيما روى ، وهو خلاف مذهبه المعروف المتواتر عنه ، وكان أبو بكر الخلَّال (٣١١هـ) وصاحبه لا يثبتان بما تفرَّد به حنبل ، عن أحمد رواية .

ومن متأخِّريهم من قال : هو رواية عنه ، بتأويل كل ما كان من جنس المجيء والإتيان ونحوهما .

ومنهم من قال : إنَّما قال ذلك إلزاماً لمن ناظره في القرآن ، فإنهم استدلُّوا على خلقه بمجيء القرآن ، فقال: إنَّما يجيء ثوابه ، كقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : كما تقولون أنتم في مجيء الله أنَّه مجيء أمره ، وهذا أصحّ المسالك في هذا المروي .

وأصحابنا في هذا على ثلاث فرق :

فمنهم من يثبت المجيء والإتيان ، ويصرِّح بلوازم ذلك في المخلوقات ، وربما ذكروه عن أحمد من وجوه لا تصحُّ أسانيدها عنه .

ومنهم من يتأوَّل ذلك على مجيء أمره .

ومنهم من يقرُّ ذلك ، ويمرُّه كما جاء ، ولا يفسِّره ، ويقول : هو مجيء وإتيان يليق بجلال الله وعظمته سبحانه ، وهذا هو الصَّحيح عن أحمد ، ومن قبله من السَّلف ، وهو قول إسحاق وغيره من الأئمة " (١) .

ولنا هنا وقفة قصيرة مع ما جاء في كلام الإمام ابن رجب من قوله : " وكان أبو بكر الخلَّال وصاحبه لا يثبتان بما تفرَّد به حنبل ، عن أحمد رواية " . فأقول : موقف الإمام الخلَّال القاضي بعدم إثبات شيء ممَّا تفرَّد به حنبل عن أحمد لا يقدِّم ولا يؤخِّر ، لأنَّ ردَّ الرِّواية في حالة الانفراد لا يكون على الإطلاق ... فإذا صدر التفرُّد عن متَّهم أو ضعيف جاز الرَّدُّ ، وهذ لا ينطبق على حنبل ، لأنَّه كان ثقة ثبتاً ، كما قال عنه الإمام الخطيب البغدادي (٢) .

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب (٧/ ٢٢٨-٢٣٠) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (٩/ ٢١٧) .

وقال الإمام ابن الجوزي في ترجمة حنبل : " وكان ثقة ثبتاً صدوقاً " (١) . يضاف لذلك أنَّ الإمام ابن كثير روى ما قاله أحمد وهو من رواية حنبل ، ولم يعقِّب عليه ...

قال الإمام ابن كثير(٧٧٤هـ) : " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) ، عَنِ الْحَاكِمِ (٤٠٥هـ) ، عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ (٣٤٤هـ) ، عَنْ حَنْبَلٍ (٢٧٣هـ) ، أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (٢٤١هـ) تَأَوَّلَ قَوْلَ اللهَّ تَعَالَى : " وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أَنَّه جَاءَ ثَوَابُهُ . ثمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ " (٢) .

ثم إنَّ الخلَّال على المشرب الذي ينتسب للإمام أحمد ، فهو ممَّن يصحِّح مسألة إقعاد الله لرسوله إلى جواره على العرش ، وقد روى عشرات الرِّوايات في كتابه " السُّنَّة " في تكفير الإمام التِّرمذي ، لأنَّه أنكر مسألة الإقعاد التي اعتبرها الخلَّال فضيلة للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... كما أنَّ حنبلاً ليس ببعيد من الإمام أحمد ، فهو ابن عمِّه ، وهو أحد ثلاثة استمعوا المسند من أحمد ، وهم : عبدالله وصالح ابنا أحمد ، وحنبل ، ثمَّ إنَّ مضمون الرِّواية يتوافق مع العقيدة التي كان عليها الإمام أحمد ، فقد نقل الإمام أبو الفضل التميمي الحنبلي عن الإمام أحمد أنَّه قال : " والله تعالى لا يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش " (٣) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " وكان أحمد لا يقول بالجهة للباري " (٤) .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي : " عقيدة إِمَام السُّنَّة أَحْمد بن حَنْبَل رَضِي الله عَنهُ وأرضاه ، وَجعل جنان المعارف متقلَّبه ومأواه ، وأفاض علينا وَعَلِيهِ من سوابغ امتنانه ، وبوأه الفردوس الْأَعْلَى من جنانه ، مُوَافقَة لعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من الْمُبَالغَة التَّامَّة فِي تَنْزِيه الله تَعَالَى عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علواً كَبِيراً ، من الْجِهَة ، والجسميَّة ، وَغَيرهمَا من سَائِر سمات النَّقْص ، بل وَعَن كل وَصْف لَيْسَ فِيهِ كَمَال مُطلق ، وَمَا اشْتهر بَين جهلة المنسوبين إِلَى هَذَا الإِمَام الْأَعْظَم الْمُجْتَهد من أَنَّه قَائِل بِشَيْء من الْجِهَة أَو نَحْوهَا فكذب وبُهتان وافتراء عَلَيْهِ " (٥) .

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٢/ ٢٥٦)

(٢) انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٦) .

(٣) انظر : اعتقاد الإمام أحمد (ص ٣٨ -٣٩) .

(٤) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٣٥) .

(٥) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧٠-٢٧١) .

وأخيراً فإنَّ الرِّواية احتجَّ بها من الحنابلة : ابن عقيل (٥١٣هـ) ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزَّاغوني ، وابن الجوزي ، وابن حمدان ، وغيرهم ، ... وقد نقل ابن تيمية ذلك عن أحمد في مجموع الفتاوى ، (٥/ ٤٠٠) ، وردَّها كعادته .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) أيضاً : " ومن جملة صفات الله التي نؤمن بها ، وتُمرُّ كما جاءت عندهم : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ونحو ذلك ممَّا دلَّ على إتيانه ومجيئه يوم القيامة ، وقد نصَّ على ذلك أحمد (٢٤١هـ) ، وإسحاق (٢٣٨هـ) ، وغيرهما .

وعندهما : أنَّ ذلك من أفعال الله الاختياريَّة التي يفعلها بمشيئته واختياره . وكذلك قاله الفُضَيل بن عياض وغيره من مشايخ الصَّوفيَّة أهل المعرفة .

وقد ذكر حرب الكرماني أنَّه أدرك على هذا القول كلَّ من أخذ عنه العلم في البلدان ، سمَّى منهم : أحمد (٢٤١هـ) ، وإسحاق (٢٣٨هـ) ، والحميدي (٢١٩هـ) ، وسعيد بن منصور (٢٢٧هـ) .

وكذلك ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه المسمَّى بـ " الإبانة " ، وهو من أجلِّ كتبه ، وعليه يعتمد العلماء وينقلون منه ، كالبيهقي (٤٥٨هـ) ، وأبي عثمان الصَّابوني (٤٤٩هـ) ، وأبي القاسم ابن عساكر ، وغيرهم ، وقد شرحه القاضي أبو بكر ابن الباقلَّاني (٤٠٣هـ) ... " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) أيضاً : " ... وقال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ولم يتأوَّل الصَّحابة ولا التَّابعونَ شيئاً من ذلك ، ولا أخرجُوه عن مدلوله . بل رُوي عنهم ما يدلُّ على تقريرِه والإيمانِ به وإمرارِه كما جاء . وقد رُوي عن الإمامِ أحمدَ ، أنَّه قال في مجيئِهِ : هو مجيءُ أمرِهِ ، وهذا مما تفرَّدَ به حنبلٌ عنه .

فمن أصحَابنا من قال : وهِمَ حنبلٌ فيما رَوى ، وهو خلافُ مذهبه المعروفِ المتواتر عنه . وكان أبو بكر الخلاَّلُ وصاحبُه لا يثبتان بما تفرد به حنبلٌ ، عن أحمدَ روايةً . ومن متأخِّريهم من قال : هو روايةٌ عنه ، بتأويلِ كلِّ ما كان من جنسِ المجيءِ والإتيانِ ونحوِهما . ومنهم من قال : إنَّما قال ذلك إلزاماً لمن ناظرَهُ في القرآن ، فإنهم استدلُّوا على خلقِهِ بمجيءِ القرآنِ ، فقال: إنَّما يجيءُ ثوابُهُ ، كقولِهِ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن رجب (٧/ ٢٣٦) .

وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : كما تقولون أنتم في مجيءِ اللهَّ أنَّه مجيءُ أمر ، وهذا أصحُّ المسالكِ في هذا المرويِّ .

وأصحابُنا في هذا على ثلاثِ فرقٍ :

فمنهم من يثبتُ المجيءَ والإتيانَ ، ويصرِّحُ بلوازمِ ذلك في المخلوقاتِ . وربَّما ذكروه عن أحمدَ من وجوهٍ لا تصحُّ أسانيدُها عنه .

ومنهم من يتأوَّل ذلك على مجيء أمره .

ومنهم من يقرُّ ذلك ، ويُمِرُّه كما جاء ، ولا يفسِّره ، ويقولُ : هو مجيءٌ وإتيانٌ يليقُ بجلالِ اللهَّ وعظمتِهِ سبحانه . وهذا هو الصَّحيح عن أحمدَ ، ومن قبلَه منَ السَّلف ، وهو قولُ إسحاقَ وغيرِه من الأئمَّةِ " (١) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى (٨١٧هـ) : " بصيرة في المجيء والجيئة : وقد ورد في القرآن على خمسة عشر وجهاً :

الأوّل : جَيْئة الهَيْبة من الملِك والملَك ، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، الثَّاني : جَيئة السيَّارة ، ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [يوسف : ١٩] ، الثَّالث : جيئة الخَجَالة ، ﴿ وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦] ، الرّابع : جَيْئة الصّيانة ، ﴿ فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ ﴾ [القصص : ٢٥] ، الخامس : جَيْئَة النَّصيحة من حزقيل لموسى ، ﴿ وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى ﴾ [القصص : ٢٠] ، السَّادس : جَيئة الدّعوة من حبيب النَّجار لأَصحاب ياسين ، ﴿ وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى ﴾ [يس : ٢٠] ، السَّابع : جَيئة الرِّسالة من المصطفى ، ﴿ لَقَدْ جاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، الثَّامن : جيئة المَعْذِرة ، ﴿ وَإِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا ﴾ [الأنعام : ٥٤] ، التَّاسع : جَيْئَة النَّصيحة من المنافقين ، ﴿ إِذَا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ ﴾ [المنافقون : ١] ، العاشر : جيئة الغَمْز والنَّميمة ، ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] ، الحادي عشر : جيئة أَهل الطَّاعة والمعصية إِلى جهنَّم والجنَّة ، ﴿ حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها ﴾ [الزمر : ٧١] ، الثَّاني عشر : جيئة الحَسْرة والنَّدامة على قُرناءِ السّوءِ بالصُّحبة ، ﴿ حَتَّى إِذا جاءَنا

(١) انظر : روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٢/ ٥٧٤-٥٧٥) .

قالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ [الزخرف : ٣٨] ، الثَّالث عشر : جَيْئة المكر والحِيلة من الكَفَرة لنبيّ الأمَّة ، ﴿ إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ١٠] ، الرَّابع عشر : جيئة النَّصرة من ربّ المغفرة لنبيّ المَلْحَمة ، ﴿ إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] ، الخامس عشر : جيئة المناجاة والقُرْبة ، ﴿ وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

والجَيْئة والمجيء بمعنى الإِتيان لكن المجيء أَعمّ ؛ لأَنَّ الإِتيان مجيء بسهولة ، والإِتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإِن لم يكن منه الحصولُ ، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول .

وقد يقال : جاءَ في الأَعيان والمعاني ، وربّما يكون مجيئهُ بذاته وبأَمره ، ولمن قصد مكاناً أَو عملاً أَو زماناً ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ ﴾ [غافر : ٣٤] ، ﴿ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب : ١٩] ، ﴿فَقَدْ جَاؤُ ظُلْماً وَزُوراً ﴾ [الفرقان : ٤] ، أَي : قصدوا الكلام وتعمَّدوهُ ، فاستعمل فيه المجيء كما استعمل فيه القصد ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فهذا بالأَمر لا بالذَّات ، وهو قول ابن عبَّاس (٦٨هـ) . ويقال : جاء بكذا وأَجاءَه ، قال تعالى : ﴿ فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم : ٢٣] ، قيل : أَلجأَها ... " (١) .

وقال الإمام ولي الدِّين أبي زرعة أحمد بن عبد الرَّحيم العراقي (٨٢٦هـ) : " لاَ تَنْحَصِرُ صِفَاتُ اللهَّ العَلِيَّةِ فِي الثَّمَانيةِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكرُهَا ، بَلْ نقولُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الكتَابِ أَو السُّنَّة الصّحيحةِ ، ثمَّ إِنْ كَانَ ظَاهِرُ المَعْنَى لاَ إِشكَالَ فِيهِ اعتقدنَاه كَمَا وَرَدَ . وإِنْ كَانَ مُشْكِلَ المَعْنَى يُوهِمُ ظَاهرُه الحُدُوثَ أَو التّغيُّرَ ، كَقَوْلِهِ تعالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، وقولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلاَمُ : " يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " فإِنَا نُنَزِّهُ اللهَّ تعَالَى عِنْدَ سمَاعِه عَمَّا لاَ يَلِيقُ بِهِ ، ولأَئمتِنَا فِيهِ مَذْهَبَانِ مشهورَانِ : أَحَدُهُمَا : تفويضُ الْمُرَادِ مِنْهُ إِلَى اللهَّ تعالَى ، وَالسكُوتُ عَنِ التَّأويل ، مَعَ الجَزْمِ بِأَنّ الظّواهرَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى الحدوثِ أَو التّشبيهِ غَيْرُ مُرَادَةٍ ، وهو مذهبُ السَّلف ، وسُئِلَ مَالكٌ (١٧٩هـ) – رَحِمَهُ الله – عَنْ قَوْلِهِ تعالَى

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٤١١-٤١٣) .

: " الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى " [طه : ٥] ، فقَالَ : الاستوَاءُ معلومٌ ، وَالكَيْفُ مجهولٌ ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجبٌ ، وَالسؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ

وقَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي الكلاَمِ علَى حديثِ الرُّؤْيَةِ : المذهبُ فِي هذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الأَئمةِ مِثْلُ : سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ (١٦١هـ) ، ومَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (١٧٩هـ) ، وَابْنِ المُبَارَكِ (١٨١هـ) ، وسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ (١٩٨هـ) ، وَوَكِيعٍ (١٩٧هـ) ، وَغَيْرِهم : أَنَّهم قَالُوا : تُرْوَى هذه الأَحَاديثُ كَمَا جاءَتْ ، ونُؤْمِنُ بِهَا ، ولاَ يُقَالُ : كيفَ ؟ ولاَ نُفَسِّرُ ولاَ نَتَوَهَّمُ ، وهو الذي اختَارَه أَهْلُ الحديثِ .

ثَانِيهُمَا : أَنَّا نُؤَوِّلُهَا على مَا يَلِيقُ بِجَلاَلِ اللهَّ تعَالَى ، بِشَرْطِ كَوْنِ المُتَأَوِّلِ مُتَّسِعًا فِي لُغَةِ العربِ .

وَقَدْ قِيلَ : مَذْهَبُ السَّلف فِي هذَا أَسْلَمُ ، ومذهبُ الخَلَفِ أَحْكَمُ لِزَعْمِ قَائِلِه : أَنَّه وَقَفَ علَى المُرَادِ وَاهتدَى إِلَيْهِ بالدَّليل ، أَوْ أُعلِمَ لِتوَقُّفِهِ على زيَادةِ عِلْمٍ وَاتسَاعٍ فِيهِ .

وكَانَ إِمَامُ الحَرَمَيْنِ (٤٧٨هـ) يَذْهَبُ إِلَى التَّأويل أَوَّلاً ثمَّ رَجِعَ عَنْهُ ، فَقَالَ فِي الرِّسَالةِ النِّظَامِيَّةِ : وَالذي نَرْتَضِيهِ رَأْياً ونَدِينُ اللهَّ بِهِ عَقْدًا اتباعُ سَلَفِ الأمَّة ؛ فَإِنَّهُمْ دَرَجُوا عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لمعَانِيهَا .

وقَالَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين بْنُ عبدِ السّلاَمِ (٦٦٠هـ) : طريقةُ التَّأويل بشرطِه أَقربُهَا إِلَى الحَقِّ .

وتَوَسَّطَ الشَّيخ تَقِيُّ الدِّين بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ (٧٠٢هـ) ، فقَالَ : إِذَا كَانَ التَّأويل قريبًا علَى مَا يقتضِيه لِسَانُ العربِ لَمْ يُنْكَرْ ، وإِنْ كَانَ بَعِيدًا تَوَقَّفْنَا عَنْهُ ، وآمَنَّا بِمَعْنَاه علَى الوَجْهِ الذي أُرِيدَ بِهِ مَعَ التّنزيهِ .

قَدْ : ومَا كَانَ معنَاه مِنْ هذه الأَلفَاظِ ظاهراً مفهوما مِنْ تَخَاطُبِ العربِ قُلْنَا بِهِ وأَوَّلْنَاهُ مِنْ غَيْرِ تَوْقِيفٍ ... " (١) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي (٨٢٩هـ) : " ... ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، قال الإمام أحمد : معناه : جاء أمر ربك . قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) : قال الإمام أحمد : المراد به قدرته وأمره ، وقد بيَّنه في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل : ٣٣] ، يُشير إلى حمل المطلق على المقيَّد ، وهو كثير في القرآن والسُّنَّة والإجماع وفي كلام علماء الأمَّة ، لأنه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى . ومثله حديث النُّزول ، وممَّن صرَّح بذلك الإمام الأوزاعي (١٥٧هـ)

---

(١) انظر : الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (ص٧٤١-٧٤٣) .

والإمام مالك (١٧٩هـ) ، لأنَّ الانتقال والحركة من صفات الحدث ، والله عزَّ وجلَّ قد نزَّه نفسه عن ذلك " (١) .

وقال الإمام ابن الوزير ، محمَّد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ، أبو عبد الله، عز الدِّين ، من آل الوزير (٨٤٠هـ) : " ... وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٢) .

وقال الإمام نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) : " قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه بالجزاء والحساب ، أو قهره ، أو دلائل قدرته . ويجوز أن يكون تمثيلاً لهول ذلك اليوم ، كما إذا حضر الملك بنفسه وجنوده كان أهيب " (٣) .

وقال الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السِّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) : " قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُ رَبِّك " (٤) .

وقال الإمامان : جلال الدِّين محمَّد بن أحمد المحلي (٨٦٤هـ) ، وجلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي (٩١١هـ) : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُه " (٥) .

وقال الإمام أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (٨٧٥هـ) : " وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، معناه : جَاءَ أَمرُهُ وقضاؤه ، وقال منذرُ بنُ سعيد (٣٥٥هـ) : معناه : ظهورُه للخَلْقِ ، هنالك ليس مجيءَ نَقَلةٍ وكذلك مجيءُ الصَّاخَّةِ ، ومجِيءُ الطَّامَّة " (٦) .

وقال الإمام أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشَّهير بالقُرافي (٦٨٤هـ) : " فَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، فَعَبَّرَ – تَعَالَى – عَنْ أَمْرِهِ الْوَارِدِ مِنْ قِبَلِهِ بِاللَّفْظِ الْخَاصِّ بِالرُّبُوبِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ ، مِنْ بَابِ إطْلَاقِ لَفْظِ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ ، وَلَفْظِ

(١) انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسي ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص٥) .

(٢) انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٥/ ٢٢٦، ٥/ ٢٣١) .

(٣) انظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٩٨-٤٩٩) .

(٤) انظر : فتح القدير (٩/ ١٥٧) .

(٥) انظر : تفسير الجلالين (ص٨٠٧) .

(٦) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٨٨) .

الْمُؤَثِّرِ عَلَى الْأَثَرِ ، وَهُوَ مَجَازٌ مَشْهُورٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ، وَمَسْطُورٌ فِي كُتُبِ الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ ، وَفِي التَّوْرَاةِ : جَاءَ اللهُ مِنْ سَيْنَاءَ ، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاغَيْنِ ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ ، إِشَارَةً إِلَى التَّوْرَاةِ النَّازِلَةِ بِطُورِ سَيْنَاءَ ، وَالْإِنْجِيلِ النَّازِلِ بِسَاغَيْنِ ، مَوْضِعٌ بِالشَّامِ ، وَالْقُرْآنِ النَّازِلِ بِمَكَّةَ ، وَاسْمُهَا فَارَانُ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ : أَنَّ الْحَقَّ جَاءَ مِنْ سَيْنَاءَ ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ وَكَثُرَ ظُهُورُهُ وَعَلَنُهُ بِتَقْوِيَةِ الْإِنْجِيلِ لَهُ ، فَإِنَّ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – بُعِثَ لِنُصْرَةِ التَّوْرَاةِ وَتَقْوِيَتِهَا وَإِرَادَةِ الْعَلَانِيَةِ وَالظُّهُورِ ، وَاسْتُكْمِلَ الْحَقُّ وَاسْتُوْفِيَتْ الْمَصَالِحُ وَوَصَلَ الْبَيَانُ وَالْكَمَالُ فِي الشَّرْعِ إِلَى أَقْصَى غَايَاتِهِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ بِاسْمِ اللهِ – تَعَالَى ؛ لِأَنَّهَا مِنْ جِهَتِهِ وَقِبَلِهِ عَلَى الْمَجَازِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ... " (١) .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ المحسن إليك ، بإظهار رفعتك العظمى في ذلك اليوم الأعظم ، لفصل القضاء بين العباد بشفاعتك ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] " والملك " ، أي : هذا النَّوع حال كون الملائكة مصطفِّين ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : موزعاً اصطفافهم على أصنافهم كلّ صنف صف على حدة ، ويحيط أهل السَّماء الدُّنيا بالجن والإنس ، وأهل كلّ سماء كذلك ، وهم على الضَّعف ممَّن أحاطوا به حتى يحيطوا أهل السَّماء السَّابعة بالكل ، وهم على الضعف من جميع من أحاطوا به من الخلائق ، ومعنى مجيئه سبحانه وتعالى ، بعد أن ننفي عنه أن يشبه مجيء شيء من الخلق ، لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فإذا صحَّحنا العقد في ذلك في كل ما كان من المتشابه ، قلنا في هذا : أنَّه مثَّل أمره سبحانه وتعالى في ظهور آيات اقتداره ، وتبيين آثار قدرته وقهره وسلطانه ، بحال الملك إذا حضر بنفسه ، فظهر بحضوره من آثار الهيبة والسِّياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلّها خالية عنه ، فمجيئه عبارة عن حكمه وإظهار عظمته وبطشه ، وكلّ ما يظهره الملوك إذا جاؤوا إلى مكان ، وهو سبحانه وتعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه وقدرته ، لم يوصف بغيبة أصلاً أزلاً ولا أبداً ، فحضوره في ذلك الحال وبعده كما كان قبل ذلك من غير فرق أصلاً ولم يتجدد شيء غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق ، ولو غاب في وقت أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجيء لكان محتاجاً ، ولو كان محتاجاً لكان عاجزاً ، ولو عجز أو

---

(١) انظر : الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٤/ ٢٤٦-٢٤٧) ، (٤/ ٢٧٢) .

أمكن عجزه في حال من الأحوال لم يصلح للإلهيَّة - تعالى الله عما يقول الظَّالمون والجاحدون علوَّاً كبيراً " (١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصَّفُّوري (٨٩٤هـ) : " قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٢) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن عيسى ، أبو الحسن ، نور الدِّين الأُشْمُوني الشَّافعي (٩٠٠هـ) : " ... وما يلي المضاف " وهو المضاف إليه " يأتي خلفاً عنه في الإعراب " غالباً " إذا ما حذفا " لقيام قرينة تدلُّ عليه ، نحو: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] : لفصل القــضاء ، جيئة تليق بقدسه من غير حركة ونقلة " (٤) .

وقال الإمام خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد الجرجاويّ الأزهري ، زين الدِّين المصري ، وكان يعرف بالوقاد (٩٠٥هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن أبي بكر ، جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) : " وأمَّا : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُهُ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْوَالُ الْقِيَامَةِ الْمُشَاهَدَةُ " (٦) .

وقال الإمام السُّيوطي أيضاً : " ... ومن ذلك صفة المجيء في قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، أي : أمرُه ، لأنَّ الملك مجيء بأمره أو بتسليطه ، كما قال تعالى : " وَهُمْ

---

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٢١) .

(٢) انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ٧) .

(٣) انظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/ ١٧٢) .

(٤) انظر : تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٤٨٧-٤٨٨) .

(٥) انظر : شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو (١/ ٧٢٧) .

(٦) انظر : الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٦٥) .

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، فصار كما لو صرَّح به ، وكذا قوله : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، أي : اذهب بربك ، أي : بتوفيقه وقربه " (١) .

وقال الإمام السُّيوطي أيضاً : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] " ... ، أي : أمره ، بمعنى عذابه ، لأنَّ العقل دلَّ على استحالة مجيء الباري ، لأنَّه من سمات الحادث ، وعلى أنَّ الجائي أمره " (٢) .

وقال الإمام السُّيوطي أيضاً : " ... ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه ، فإنَّ المراد به أهوال القيامة والمشاهدة " (٣) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السّنيكي (٩٢٦هـ) : " قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٤) .

وقال الإمام السّنيكي أيضاً : " قوله تعالى : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه " (٥) .

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن خلف المنوفي المصري الشَّاذلي (٩٣٩هـ) : " ... قال تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وعدل عن لفظ الآية وعبَّر بالمستقبل قصد بذلك تفسيرها ، لأنَّ العرب تعبِّر بالماضي عن المستقبل إذا تحقق وقوعه . وإسناد المجيء إليه تعالى مصروف عن ظاهره إجماعاً ، إذ يستحيل عليه الجهات والأمكنة والتحوُّل ، فالسَّلف الصَّالح قالوا : هذا من السرِّ المكتوم الذي لا يفسَّر ، وكان مالك (١٧٩هـ) وغيره يقول في هذه الآية وأمثالها : اقرؤوها كما جاءت بلا كيف ، وجمهور المتكلِّمين أوَّلها .

فمنهم : من قال : معنى مجيئه تعالى : ظهوره ، لأنَّ الظهور في العادة لا يكون إلَّا بمجيء وانتقال ، فعبَّر عن المسَّبب باسم السَّبب .

---

(١) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ١١٥) .

(٢) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٢٣٥-٢٣٦) .

(٣) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ٤٨٦) .

(٤) انظر : إعراب القرآن العظيم ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ص٥٥٩) .

(٥) انظر : فتح الرَّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (ص٦١١) .

ومنهم : من قال : جاء أمره ونهيه ، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وأول يوم القيامة من النَّفخة الثَّانية إلى استقرار الخلق في الدَّارين الجنَّة والنَّار ، والألف واللام في الملك للجنس ، وهو معطوف على ربِّك ، وفيه الجمع بين الحقيقة والمجاز ، بناء على أنَّ الفعل ينصب على المعطوف والمعطوف عليه انصبابة واحدة ، لأنَّ مجيء الله تعالى مغاير لمجيء الملك في الحقيقة " (١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرَّملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] " ، أَيْ : أَمْرُهُ " (٢) .

وقال الإمام شمس الدين، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشافعي (٩٧٧هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، قال الحسن : أمرُه وقضاؤه " (٣) .

وقال الإمام أبو السُّعود العمادي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (٩٨٢هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : ظهرتْ آياتُ قُدرتِه وآثارُ قهرِهِ ، مثّلَ ذلكَ بما يظهرُ عندَ حضورِ السُّلطانِ من أحكامِ هيبتِه وسياستِه . وقيلَ : جاءَ أمرُهُ تعالَى وقضاؤُه على حذفِ المضافِ للتَّهويلِ " (٤) .

وقال الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) : " ... وَقَالَ الطَّيِّبيّ (٧٤٣هـ) : اعْلَم أَنَّ للنَّاس فِيمَا جَاءَ من صِفَات الله فِيمَا يشبه صِفَات المخلوقين تَفْصِيلاً ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَشَابه قِسْمَانِ : قسم يقبل التَّأويل ، وَقسم لَا يقبله ، بل علمه مُخْتَصّ بِاللهَّ تَعَالَى ، ويقفون عِنْد قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، كالنَّفس فِي قَوْله : " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ " [المائدة : ١١٦] ، والمجيء فِي قَوْله : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَتَأْوِيل فواتح السُّور مثل : ﴿ الم ﴾ [البقرة : ١] ، و ﴿ حَم ﴾ [غافر : ١] ، من هَذَا الْقَبِيل .

وَذكر الشَّيخ السَّهروردي (٦٣٢هـ) فِي كتاب العقائد : أخبر الله تَعَالَى أَنَّه اسْتَوَى على الْعَرْش ، وَأخْبر رَسُوله بالنُّزول ، وَغير ذَلِك مِمَّا جَاءَ فِي : الْيَد ، والقدم ، والتَّعجُّب ، فَكل مَا ورد من هَذَا الْقَبِيل دَلَائِل

---

(١) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني (١/ ١١٠-١١١) .

(٢) انظر : فتاوى الرملي (٤/ ٢٧٩) .

(٣) انظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٤/ ٥٣٥) .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (٩/ ١٥٧) .

التَّوْحِيد ، فَلَا يتَصَرَّف فِيهِ بتشبيه وَلَا تَعْطِيل ، فلولا إِخْبَار الله تَعَالَى وإخبار رَسُوله مَا تجاسر عقل أَن يحوم حول ذَلِك الْحمى وتلاشى دونه عقل الْعُقَلَاء ولبّ الألباء .

قَالَ الطَّيِّبِيّ (٧٤٣هـ) : هَذَا الْمَذْهَب هُوَ الْمُعْتَمد عَلَيْهِ ، وَبِه يَقُول السَّلف الصَّالح ، وَمن ذهب إِلَى التَّأْوِيل شَرط فِيهِ أَن يكون مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى تَعْظِيم الله تَعَالَى وجلاله وتنزيهه وكبريائه ، وَمَا لَا تَعْظِيم فِيهِ فَلَا يجوز الْخَوْض فِيهِ ، فَكيف بِمَا يُؤَدِّي إِلَى التَّجسيم والتَّشبيه ، انْتهى .

وَهُوَ كَلَام فِي غَايَة التَّحْقِيق ، إِلَّا أَن ترك التَّأْوِيل مُطلقاً ، وتفويض الْعلم إِلَى الله أسلم " [١] .

وقال الإمام مرعي بن يوسف الكرمي أيضاً : " وَمن الْمُتَشَابه : الْمَجِيء فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وَقَوله : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠]

فمذهب السَّلف فِي هَذَا وَأَمْثَاله : السُّكُوت عَن الْخَوْض فِي مَعْنَاهُ ، وتفويض علمه إِلَى الله تَعَالَى ، كَمَا مرَّت الْإِشَارَة إِلَيْهِ أول الْكتاب ، وَمذهب أهل التَّأْوِيل ، قَالُوا : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، أَي : أمره وبأسه ، وَجعل ذَلِك مجيئاً لَهُ تَعَالَى ، على سَبِيل التَّفخيم والتَّهويل ، لِأَنَّ الْإِتْيَان حَقِيقَة هُوَ الانتقال من حيِّز إِلَى حيِّز ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيل عَلَيْهِ تَعَالَى عِنْد الْجُمْهُور ، أَو الْمُرَاد : إِلَّا أَن يَأْتِيهم الله بِأَمْره وبأسه ، فَحذف الْمَأْتِي بِهِ لدلَالَة الْحَال عَلَيْهِ إيهاماً عَلَيْهِم ، لِأَنَّهُ أبلغ فِي الْوَعيد ، لانقسام خواطرهم وَذَهَاب فكرهم فِي كلِّ وَجه ، أَو الْمَأْتِي بِهِ مَذْكُور ، وَهُوَ قَوْله : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وَ " فِي " بِمَعْنى " الْبَاء " ، وَقيل ، الْمُرَاد بذلك : غَايَة الهيبة وَنِهَايَة الْفَزع ، لشدَّة مَا يكون يَوْم الْقِيَامَة ، والالتفات إِلَى الْغَيْبَة بعد قَوْله : ﴿ فَاعْلَمُوا ﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، للإيذان بِأَنَّ سوء صنيعهم مُوجب للإعراض عَنْهُم ، وَترك الْخطاب مَعَهم ، وإيراد الانتظار للإشعار بِأَنَّهُم لانهماكهم فِيمَا هم فِيهِ من مُوجبَات الْعقُوبَة ، كَأَنَّهُمْ طالبون لَهَا مترقِّبون لوقوعها .

وَقَالَ مسلمة بن الْقَاسِم فِي كتاب : "غرائب الْأُصُول " ، حَدِيث تجلِّي الله يَوْم الْقِيَامَة ومجيئه فِي الظُّلل مَحْمُول على أَنَّه تَعَالَى يُغيِّر أبصار خلقه حَتَّى يروه كَذَلِك وَهُوَ على عَرْشه غير متغيِّر عَن عَظمته ، وَلَا متنقِّل عَن ملكه ، كَذَلِك جَاءَ مَعْنَاهُ عَن عبد الْعَزِيز الْمَاجشون ، قَالَ : فَكلُّ حَدِيث جَاءَ فِي التنقُّل

---

[١] انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص١٦١-١٦٢) .

والرؤية فِي الْمَحْشَر ، فَمَعْنَاه : أَنَّه تَعَالَى يُغيِّر أبصار خلقه فيرونه نازلاً ومتجلياً ، ويناجي خلقه ويخاطبهم ، وَهُوَ غير متغيِّر عَن عَظمته ، وَلَا متنقِّل عَن مُلكه ؟ انْتهى . وَهُوَ تَأْوِيلٌ حسنٌ يطَّرد فِي كثير من الْمَوَاضِع "(١) .

وقال الإمام أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَي : أمرُه " (٢) .

وقال الإمام علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسيني المعروف بـ ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه بالجزاءِ ونحوِه ، أو صارت معرفتُه ضروريّةً فكانت كحضورِه وزالَ الشَّكُّ " (٣) .

وقال الإمام المظهري ، محمَّد ثناء الله (١١٢٥هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] ، عطف على دكت وهى من المتشابهات وقد ذكرنا ما فيها من القول السَّلف والخلف واصحاب القلوب في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] (٤) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (١١٢٧هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السُّلطان بنفسه من أحكام هيبته وسياسته ، فإنَّه عند حضوره ظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره ، وقال الامام أحمد : جاء أمرُه وقضاؤه على حذف المضاف للتَّهويل .

وفي " التَّأويلات النَّجميَّة " : تجلَّى في المظهر الجلالي القهري " (٥) .

---

(١) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص١٩٧-١٩٨) .

(٢) انظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص٥٤٩) .

(٣) انظر : الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول (١/ ٥٤) .

(٤) انظر : التفسير المظهري (١٠/ ٢٥٩) .

(٥) انظر : تفسير روح البيان (١٠/ ٣٣٢) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) : " وأمَّا النُّصُوصُ الظَّوَاهِرُ فِي التَّجَسُّمِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلْمَكَانِ نَحْوَ قَوْله تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى ﴾ [طه : ٥] ، ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

قَالَ صَاحِبُ الْمَوَاقِفِ : أَنَّهَا ظَوَاهِرُ ظَنِّيَّةٌ لَا تُعَارِضُ الْيَقِينِيَّاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نَفْيِ الْمَكَانِ ، فَلَزِمَ أَنَّهَا مُتَشَابِهَاتٌ ، فَنُفَوِّضُ عِلْمَهَا إلَى اللهَّ تَعَالَى ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلف ، أَوْ نُؤَوِّلُهَا بِنَحْوِ الِاسْتِيلَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، " وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : أَمْرُ رَبِّك ، وَ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] ، أَيْ : يَرْتَضِيهِ ، (وَلَا يُجْرَى عَلَيْهِ زَمَانٌ) ، لِأَنَّ الزَّمَانَ مُتَجَدِّدٌ يُقَدَّرُ بِهِ مُتَجَدِّدٌ آخَرُ ، كَمَا هُوَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَوْ مِقْدَارُ الْحَرَكَةِ ، وَاللهَّ مُنَزَّهٌ عَنْهُمَا ، لِأَنَّ التَّجَدُّدَ لَا يُتَصَوَّرُ فِي الْقَدِيمِ ، وَكَذَا الْمِقْدَارُ ، (وَلَيْس لَهُ جِهَةٌ مِنْ الْجِهَاتِ السِّتِّ وَلَا هُوَ فِي جِهَةٍ مِنْهَا) ، وَهِيَ فَوْقُ تَحْتُ وَيَمِينُ وَيَسَارُ وَقُدَّامُ وَخَلْفُ ، وَالْجِهَةُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ :نَفْسُ الْمَكَانِ بِإِضَافَةِ جِسْمٍ آخَرَ إلَيْهِ ، فَإِذَا انْتَفَتْ الْجِسْمِيَّةُ وَالْمَكَانِيَّةُ تَنْتَفِي الْجِهَةُ ، لِأَنَّهَا مِنْ خَوَاصِّ الْأَجْسَامِ ، وَلِأَنَّهُ تَعَالَى لَوْ كَانَ فِي جِهَةٍ أَوْ زَمَانٍ لَزِمَ قِدَمُ الْمَكَانِ أَوْ الزَّمَانِ ، وَلِأَنَّهُ أَمَارَةُ الْإِمْكَانِ لِلِافْتِقَارِ إلَيْهِ ... " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي ابن القاضي محمَّد حامد بن محمَّد صابر الفاروقي الحنفي التَّهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك ، بمعنى عذابه ، لأنَّ العقل دلَّ على استحالة مجيء الرَّبِّ تعالى ، وعلى أنَّ الجائي أمرُه " (٢) .

وقال الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشَّافعي الشَّهير بالجمل (١٢٠٤هـ) : قوله : (أي : أمرُه) ، أي : حصل تجلِّيه على الخلائق ، وظهر سلطان قهره ، وظهرت أهوال يوم الموقف ، وغير ذلك ممَّا لا يكاد يحصر . وقال البيضاوي (٦٨٥هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : ظهرت آياتُ قدرته وآثار قهره ، مثّل ذلك بما يظهر عند ظهور السَّلطان من آثار هيبته وسياسته " (٣) .

---

(١) انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمَّدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (١/ ١٥٩) .

(٢) انظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٦٣٧) .

(٣) انظر : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٨/ ٣١٩) .

وقال الإمام أبو العرفان محمَّد بن علي الصبَّان الشَّافعي (١٢٠٦هـ) : " وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (١) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : تجلَّى لفصل قضائه بين عباده ، وعن ابن عبَّاس : أمرُه وقضاؤه " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المصري الخلوتي المالكي (١٢٤١هـ) : " قوله : (أي : أمرُه) : دفع بذلك ما يقال : إنَّ المجيء يقتضي الانتقال ، وهو على الله محال . فأجاب : بأنَّ الكلام على حذف مضاف ، أي : حصل أمره وظهر سلطانه وقهره وتجلِّيه على عباده " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَيْ : جَاءَ أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ وَظَهَرَتْ آيَاتُهُ ، وَقِيلَ : الْمَعْنَى : أَنَّهَا زَالَتِ الشُّبَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَظَهَرَتِ المعارف ، وصارت ضروريَّة ، كما يزول الشَّكُّ عند مَجِيءِ الشَّيءِ الَّذِي كَانَ يُشَكُّ فِيهِ ، وَقِيلَ : جاء قهرُ ربّك وسلطانه وانفراده وَالتَّدْبِيرِ ، مِنْ دُونِ أَنْ يَجْعَلَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ " (٤) .

وقال الإمام الألوسي (١٢٧٠هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، قال منذر بن سعيد (٣٥٥هـ) : معناه : ظهر سبحانه للخلق هنالك ، وليس ذلك بمجيء نقلة ، وكذلك مجيء الطَّامَّة والصَّاخَّة . وقيل : الكلام على حذف المضاف للتَّهويل ، أي : وجاء أمرُ ربِّك وقضاؤه سبحانه . واختار جمعٌ أنَّه تمثيل لظهور آيات اقتداره تعالى ، وتبين آثار قدرته عزَّ وجلَّ ، وسلطانه عزَّ سلطانه ، مثلت حاله سبحانه في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر لمحضوره من آثار الهيبة والسِّياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصّه عن بكرة أبيهم ، وأنت تعلم ما للسَّلف في المتشابه من الكلام ... " (٥) .

---

(١) انظر : حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (٢/ ٤١٠) .

(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ٣٠٢) .

(٣) انظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٦/ ٢٧٩) .

(٤) انظر : فتح القدير (٥/ ٥٣٥) .

(٥) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥/ ٣٤٢-٣٤٣) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء أمرُه وقضاؤه ، وظهرت آياته ، وقيل : المعنى : أنَّها زالت الشُّبه في ذلك اليوم ، وظهرت المعارف ، وصارت ضروريَّة ، كما يزولُ الشكُّ عند مجيء الشَّيء الذي كان يشكُّ فيه ، وقيل : جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالأمر والتدبير من دون أن يجعل إلى أحد من عباده شيئاً من ذلك ، وقيل : تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه ، وقيل : جاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء ، وقيل غير ذلك .

والحقُّ أنَّ هذه الآية من آيات الصِّفات التي سكت عنها وعن مثلها عامَّة سلف الأمَّة ، وأئمَّتها ، وبعض الخلف ، فلم يتكلموا فيها ، بل أجروها كما جاءت من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، وقالوا : يلزمنا الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها ، والتَّأويل ديدن المتكلِّمين ودين المتأخرين ، وهو خلاف ما عليه جمهور السَّلف الصَّالحين " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء ظهوره وقهره ، أي : حصل تجلِّيه تعالى على الخلائق ، أي : زالت الشُّبهة ، وارتفعت الشُّكوك وظهر سلطان قهره " (٢) .

وقال الإمام حسن بن عمر بن عبد الله السّيناوني المالكي (المتوفى: بعد ١٣٤٧هـ) : " ... فلذا قال الخطيب في تلخيص المفتاح : وقد يُطلق المجاز على كلمة تغيَّر حكم إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، أي : أمرُ ربِّك ، وأهل القرية ، وليس مثله شيء " (٣) .

---

(١) انظر : فتحُ البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٢٣٠) .

(٢) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٦٣١) .

(٣) انظر : الأصل الجامع لإيضاح الدُّرر المنظومة في سلك جمع الجوامع (١/ ٨٥) .

وقال الأستاذ جميل صدقي بن محمَّد فيضي بن الملا أحمد بابان الزَّهاوي (١٩٣٦هـ) : " وقوله : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾: [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء أمرُه " (١) .

وقال الإمام محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (١٣٦٧هـ) : " ... والمجيء في قوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، بمجيء أمرِه " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) : " وأدلَّة الحذف كثيرة ، منها : ... ب- العقل الدالُّ عليهما معاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه ، أو عذابه .

ويرى صاحب " الكشَّاف " أنَّ هذا ليس من باب الحذف ، وإنَّما هو تمثيل لظهور قدرته وتبيين لسلطانه وقهره ، فمثِّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسِّياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصِّه على بكرة أبيهم " (٣) .

وقال الإمام المراغي أيضاً : " ... في المجاز بالحذف أو الزِّيادة . كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي ، كما تقدَّم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظي إذا تغيَّر حكم إعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ أو زيادته . فالحذف كقوله تعالى : ظ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، إذ الأصل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونظيره : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٤) .

وقال الإمام المراغي أيضاً : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : وتجلَّت لأهل الموقف السَّطوة الإلهيَّة ، كما تتجلَّى أبَّهة الملك للأعين إذا جاء الملك في جيوشه ومواكبه ، ولله المثل الأعلى " (٥) .

(١) انظر : الفجر الصادق في الرد على المارق (ص٣٠) .

(٢) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٩١) .

(٣) انظر : علوم البلاغة " البيان ، المعاني ، البديع " (ص١٨٧) .

(٤) انظر : علوم البلاغة " البيان ، المعاني ، البديع " (ص٢٩٠) .

(٥) انظر : تفسير المراغي (٣٠/ ١٥٢) .

وقال الإمام محمود بن عبد الرَّحيم صافي (١٣٧٦هـ) : " وجملة : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمره ، في محلّ جرّ معطوفة على جملة دكّت ... وورد ذلك في الآية التي نحن بصددها ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (١) .

وقال الشَّهيد سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاربي (١٣٨٥هـ) : " ... فأمَّا مجيء ربِّك والملائكة صفَّاً صفَّاً ، فهو أمرٌ غيبيٌّ لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض . ولكنَّا نحسُّ وراء التَّعبير بالجلال والهول " (٢) .

وقال الإمام عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) : " وقوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء أمرُ الله وسلطانه ، ونصبت موازين الحساب ، ووقف الملائكة في المحشر جنداً حراساً ، ينفِّذون أمرَ الله ، ويسوقون أهل الضَّلال إلى النَّار ، وأهل الإيمان إلى الجنَّة " (٣) .

وقال الإمام عبد المتعال الصَّعيدي (١٣٩١هـ) : " وأدلَّة الحذف كثيرة ، منها : ... ومنها : أن يدلَّ العقل على الحذف والتَّعيين ؛ كقوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك أو عذابُه أو بأسُه ، وقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، أي : عذابُ الله أو أمره " (٤) .

وقال الإمام عبد المتعال الصَّعيدي أيضاً : " فصل : المجاز بالحذف والزِّيادة : واعلم أنَّ الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ؛ تُوصَف به أيضاً لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ؛ أمَّا الحذف فكقوله تعالى : ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، أي : أهل القرية ؛ فإعراب القرية في الأصل هو الجرّ ، فحذف المضاف وأعطي المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله تعالى : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك " (٥) .

---

(١) انظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم (٣٠/ ٣٢٦-٣٢٧) .

(٢) انظر : في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٠٦) .

(٣) انظر : التفسير القرآني للقرآن ،(١٦/ ١٥٦١) .

(٤) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٢/ ٣٤٣-٣٤٤) .

(٥) انظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٣/ ٥٣٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النَّجدي (١٣٩٢هـ) : " قوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، هو من مجاز اللغة ، تقديره : وجاء أمرُ ربِّك " (١) .

وقال الإمام محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الطَّاهر بن عاشور التُّونسي (١٣٩٣هـ) : " وَإِسْنَادُ الْمَجِيءِ إِلَى اللهِ إِمَّا مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ، أَيْ : جَاءَ قَضَاؤُهُ ، وإِمَّا اسْتِعَارَةٌ بِتَشْبِيهِ ابْتِدَاءِ حِسَابِهِ بِالْمَجِيءِ ... " (٢) .

وقال الإمام محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الجكني الشَّنقيطي (١٣٩٣هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، مِنْ آيَاتِ الصِّفات مَوَاضِعُ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ .

وَتَقَدَّمَ لِلشَّيْخِ – رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ – مِرَاراً فِي الْأَضْوَاءِ فِي عِدَّةِ مَحَلَّاتٍ ؛ وَلْيُعْلَمْ أَنَّهَا ، وَالِاسْتِوَاءُ ، وَحَدِيثُ النُّزول ، وَالْإِتْيَانُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيخ – رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ – مَبْحَثَ آيَاتِ الصِّفات كَامِلَةً فِي مُحَاضَرَةٍ أَسْمَاهَا : " آيَاتُ الصِّفات " ، وَطُبِعَتْ مُسْتَقِلَّةً .

كَمَا تَقَدَّمَ لَهُ – رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ – فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِصِفَةِ الْمَجِيءِ بِذَاتِهَا ، إِلَّا أَنَّه قَالَ : إِنَّ جَمِيعَ الصِّفات مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، أَيْ : أَنَّهَا ثَابِتَةٌ للهِ تَعَالَى عَلَى مَبْدَأِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ لِلْمَخْلُوقِ ، فَثَبَتَ اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ لِلْمَخْلُوقِ .

وَكَذَلِكَ هُنَا كَمَا ثَبَتَ اسْتِوَاءٌ ثَبَتَ مَجِيءٌ ، وَكَمَا ثَبَتَ مَجِيءٌ ثَبَتَ نُزُولٌ .

وَالْكُلُّ مِنْ بَابِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، أَيْ : عَلَى مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ (٢٠٤هـ) – رَحِمَهُ الله – : نَحْنُ كُلِّفْنَا بِالْإِيمَانِ ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِصِفَاتِ اللهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ عَلَى مُرَادِ اللهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نُكَيِّفَ ، إِذِ الْكَيْفُ مَمْنُوعٌ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ " (٣) .

---

(١) انظر : حاشية مقدمة التفسير (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله) (١/ ٨٣)

(٢) انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (٣٠/ ٣٣٧) .

(٣) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٢٧) .

وقال الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، جلَّت عظمته ، وهذا تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيين لآثار قهره وسلطانه ، لأنَّ الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من أمارات الهيبة وعلامات العزَّة وإشارات العظمة ، ما لا يحضر بحضور غيره من خواصّه ... وهذه من آيات الصِّفات التي سكت عن تفسيرها السَّلف الصَّالح وبعض الخلف ، وأجروها على حالها ، كما جاءت من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ، والتزموا فيها الإيمان بظاهرها ، وتأوَّلها المتكلِّمون وبعض المتأخِّرين ، فقالوا : جاء أمره ، أو قضاؤه ، أو دلائل آياته ، وجعلوا مجيئها مجيئاً له تفخيماً وإجلالاً ، لأنَّ الحركة والسُّكون محالٌ عليه جلَّ شأنه ، ولكل وجهة ، واجراؤها على ما هي عليه أولى " (١) .

وقال الإمام محمَّد محمَّد عبد اللطيف بن الخطيب (١٤٠٢هـ) : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : جاء أمرُه وقضاؤه ، وظهرت آيات عظمته وقدرته " (٢) .

وقال الإمام صبحي الصَّالح (١٩٨٦م) : " ... فالسَّلف ينزِّهون الله عن هذه الظَّواهر المستحيلة عليه ، ويؤمنون بها بالغيب ، كما ذكرها الله ، ويفوِّضون علم حقائقها إليه ، أمَّا الخلف فيحملون الاستواء على العلوِّ المعنوي بالتَّدبير من غير معاناة ، ومجيء الله على مجيء أمره ... " (٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي (معاصر) : " ... وقد قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وليس مجيئه حركة ، ولا زوالاً ، ولا انتقالاً ، لأنَّ ذلك إنَّما يكون إذا كان الجائي جسماً ، أو جوهراً ، فلمّا ثبت أنَّه ليس بجسم ولا جوهر ، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ، ولا نقلة ، ولو اعتبرت ذلك بقولهم : جاءت فلاناً قيامته ، وجاءه الموت ، وجاءه المرض ، وشبه ذلك مما هو موجود نازل به ، ولا مجيء ، لبان لك . وبالله العصمة والتَّوفيق " (٤) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي (معاصر) أيضاً : " ... ومثل قوله : ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، كلُّهم يقول : ينزل ، ويتجلَّى ، ويجيء بلا كيف ، لا يقولون

---

(١) انظر : بيان المعاني (١/ ١٤٩-١٥٠) ، وهو يقصد بقوله : " واجراؤها على ما هي عليه أولى " أي : إجراؤها على اهر لفظها لا معناها .

(٢) انظر : أوضح التفاسير (ص٧٤٩) .

(٣) انظر : مباحث في علوم القرآن (ص٢٨٥) .

(٤) انظر : شرح سنن النسائي المسمَّى " ذخيرة العقبى في شرح المجتبى " (١٤/ ٢٧٧) .

: كيف يجيء ؟ ، وكيف يتجلّى ؟ ، وكيف ينزل ؟ ، ولا من أين جاء ؟ ، ولا من أين تجلَّى ؟ ، ولا من أين ينزل ؟ ، لأنَّه ليس كشيء من خلقه ، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن علي الإثيوبي الوَلَّوِي أيضاً نقلاً عن البيهقي : " قوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والنُّزول ، والمجيء صفتان منفيّتان عن اللهَّ تعالى من طريق الحركة ، والانتقال من حال إلى حال ، بل هما صفتان من صفات اللهَّ تعالى ، بلا تشبيه ، جلَّ اللهَّ تعالى عمَّا تقول المعطّلة لصفاته ، والمشبّهة بها علوّاً كبيراً " (٢) .

وقال الأستاذ أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري : " ... سمعت أبا محمَّد المُزَني (٣٥٦هـ) يقول : حديث النُّزول قد ثبت عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من وجوه صحيحة ، وورد في التنزيل ما يصدقه ، وهو قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والنُّزول والمجيء صفتان منفيَّتان من صفات الله –عزَّ وجلَّ – من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال ، بل هما صفتان من صفات الله –عزَّ وجلَّ– بلا تشبيه ، جلَّ الله عمَّا تقول المعطِّلة بصفاته والمشبِّهة بها علوَّاً كبيراً " (٣) .

وقال الأستاذ أبو عاصم ، نبيل بن هاشم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد الغمري : " وقوله : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، والقول في جميع ذلك عند علماء السَّلف هو ما قلناه ، قال : وإنَّما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النُّزول الذي هو نزلة من أعلى إلى أسفل ، وانتقال من فوق إلى تحت ، وهذا صفة الأجسام والأشباح ، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام ، فإنَّ هذه المعاني غير متوهَّمة فيه ، وإنَّما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده ، وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم ، يفعل ما يشاء ، لا يتوجَّه على صفاته كيفيَّة ، ولا أفعاله كميَّة ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير " (٤) .

---

(١) انظر : شرح سنن النسائي المسمى " ذخيرة العقبى في شرح المجتبى " (١٤/ ٢٨٢)

(٢) انظر : شرح سنن النسائي المسمى " ذخيرة العقبى في شرح المجتبى " (٢٢/ ٣٤١) .

(٣) انظر : الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم (١/ ٢٣٦-٢٣٧) .

(٤) انظر : فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن المسمّى بـ: المسند الجامع (٦/ ٥٧٥-٥٧٦) .

وقال الأستاذ أبو عاصم الغمري أيضاً : " وقوله تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، يقال : هنا من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه .

قال الإِمام العارف بالله أبو سليمان الخطَّابي (٣٨٨هـ) رحمه الله وأعاد علينا من بركاته : هذا موضع يحتاج الكلام فيه إلى تأويل وتخريج ، وليس ذلك من أجل أننا ننكر رؤية الله سبحانه ، بل نثبتها ، ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب وفي أخبار رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من ذلك المجيء والإِتيان ، غير أنا لا نكيِّف ذلك ، ولا نجعله حركة وانتقالاً ، كمجيء الأشخاص وإتيانها ، فإنَّ غير ذلك من نعوت الحدث ، وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً " (١) .

وجاء في التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أَي : وجاءَ أَمرُ ربِّك وقضاؤُه بحذف المضاف للتَّهويل ، واختار جماعة أنَّه تمثيل لظهور آيات اقتداره ، ووضوح آثار قدرته وسلطانه - عزَّ وجلَّ - ورأَي السَّلف - رضي الله عنهم - أنَّه مجيء من غير تكييف ، ولا تمثيل ، نؤمن به ولا نطلب معناه " (٢) .

وقال الشَّيخ خليل ياسين (معاصر) :

س -٨- الحركة والانتقال لا يجوزان عليه سبحانه ، فكيف أسند المجيء إليه ؟

ج- هذا على حذف مضاف تقديره : وجاء أمرُ ربِّك ، تمثيلاً لظهور آيات اقتداره ، وتبييناً لآثار قهره وسلطانه ، وتشبيهاً بحال الملك إذا حضر ، فإنَّه يظهر بحضوره من آثار الهيبة والعظمة ، ما لا يظهر بحضور جنده كلّه " (٣) .

وقال الأستاذ محمَّد إبراهيم الحفناوي : " دخول المجاز في خطاب الله تعالى : اختلف العلماء في وجود المجاز في القرآن الكريم على مذهبين :

المذهب الأوَّل: أنّ الله عزَّ وجلَّ قد خاطبنا في القرآن بالمجاز ، وهذا مذهب الجمهور الذى يرى أنَّ دخول المجاز في القرآن أمر حسن ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل القرآن بلغة العرب وإنزاله جلَّ شأنه القرآن

---

(١) انظر : فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن المسمّى بـ: المسند الجامع (٩/ ٧٠٦-٧٠٧) .

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠/ ١٩٠٥)

(٣) انظر : أضواء على متشابهات القرآن (٢/ ٣١٧) .

بلغتهم يقتضى حسن خطابه إيَّاها فيه بلغتها ما لم يكن فيه تنفير كالكلام السَّخيف المنسوب قائله إلى الغيّ ، ولا شكَّ أنَّ أكثر الفصاحة تظهر بالمجاز والاستعارة .

وقد استدلَّ الجمهور على الوقوع بما يلي :

١- قال تعالى : ﴿ فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ ﴾ [الكهف : ٧٧] . قال البيضاوي رحمه الله تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ ﴾ [الكهف : ٧٧] . يريد أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم . وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ [الكهف : ٧٧] ، أي : قرب أن يسقط وهذا مجاز وتوسع ... وجميع الأفعال التي حقها أن تكون للحيّ النَّاطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنَّما هي استعارة ، أي : لو كان مكانهما إنسان لكان ممتثلاً لذلك الفعل.

٢- قال تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُه وقضاؤه ، وهو من باب حذف المضاف ، وقيل : جاءهم الرَّبُّ بالآيات العظيمة ، وقيل : جعل مجيء الآيات مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات .

وقال أهل الإشارة : ظهرت قدرته واستولت ، والله جلَّ شأنه لا يوصف بالتَّحوُّل من مكان إلى مكان ، وأنّى له التَّحوُّل والانتقال ولا مكان له ولا أوان ، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان ، لأنَّ في جريان الوقت على الشَّيء فوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز " (١) .

وقال الدكتور أحمد مطلوب أحمد النَّاصري الصيَّادي الرِّفاعي في كلامه على أدلَّة الحذف : " أن يدلّ العقل على الحذف والتَّعيين ، كقوله تعالى: ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ، أي : أمر ربِّك أو عذابه أو بأسه " (٢) .

وقال الأستاذ محمَّد عبد العزيز النجَّار : " فصل : يجوز أن يحذف ما علم من مضاف ومضاف إليه . فإن كان المحذوف المضاف ؛ فالغالب أن يخلفه في إعرابه المضاف إليه ؛ نحو : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ

(١) انظر : دراسات أصولية في القرآن الكريم (ص٢٣١) .

(٢) انظر : أساليب بلاغية ، الفصاحة – البلاغة – المعاني (ص٢١٣) .

صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أي : أمرُ ربِّك ، ونحو : ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ أي : أهل القرية " (١)
.

ونختم هذا الفصل ببعض الآيات القرآنيَّة التي اشتملت على لفظ المجيء الذي لا يقصد منه الحركة والانتقال من مكان إلى آخر ... ومن تلك الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] ، والمعنى : جاءت شدَّته وغمرته ، ولا يقصد بها النُّقلة والحركة ...

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى ﴾ [النازعات : ٣٤] ، والمعنى : صيحة القيامة ...

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ [عبس : ٣٣] ، والمعنى : صيحة القيامة ...

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ٨٤] ، والمعنى : لقي الله تعالى بقلب مخلص سليم من الشِّرك وأمراض القلوب ...

وقوله تعالى : ﴿ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [هود : ١٠١] ، والمعنى : جاء عذاب ربِّك أو قضاؤه ...

والآيات في هذا الباب كثيرة ...

---

(١) انظر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك (٢/ ٣٦٨-٣٦٩) .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

أَقْوَالُ فُحُوْلِ عُلَمَاءِ الأمَّة وَأَسَاطِيْنُهَا فِي التَّقَرُّبِ وَالْهَرْوَلَةِ الْمُضَافَيْنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

جاء في الحديث الصَّحيح قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تبارك وتعالى ، قَالَ : " إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " (١) .

وفي هذا الفصل ذكرنا أقوال نخبة طيِّبة من أهل العلم في تأويل التقرُّبِ والهرولة المضافين إلى الله تعالى ، وهم : الإمام سليمان بن مهران الأَعْمَشِ (١٤٨هـ) ، والإمام قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ بنِ قَتَادَةَ بنِ عَزِيْزٍ السَّدُوْسِيُّ (١١٨هـ) ، والإمام أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري (٢٧٦هـ) ، والإمام محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك ، الترمذي ، أبو عيسى (٢٧٩هـ) ، والإمام محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، والإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) ، والإمام القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) ، والإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، والإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنا الحنبلي البغدادي (٤٧١هـ) ، والإِمَامُ ، البَحْر ، حجَّةُ الإِسْلاَمِ ، أُعجوبَة الزَّمَان ، زَيْنُ الدِّين ، أَبُو حَامِد محمَّد بنُ محمَّد بنِ محمَّد بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ ، الشَّافِعِي ، الغَزَّالِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، وَالذَّكَاءِ المُفرط (٥٠٥هـ) ، والإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفراء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) ، والإمام أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (٥٣٦هـ) ، والإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السَّبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) ، والإمــام إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ، أبو إسحاق ابن قرقول (٥٦٩هـ) ، والإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) ، والإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) ، والإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) ، والإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، والإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، والإمام محمَّد بن مكرم

(١) أخرجه البخاري ، (٩/ ١٥٧ برقم٧٥٣٦) .

بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي (٧١١هـ) ، والإمام سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين (٧١٦هـ) ، والإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النويري (٧٣٣هـ) ، والإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥هـ) ، والإمام أبو عبد الله ، محمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي ، بدر الدِّين (٧٣٣هـ) ، والإمام شرف الدِّين الحسين بن عبد الله الطِّيبي (٧٤٣هـ) ، والإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) ، والإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) ، والإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، والإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، والإمام جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) ، وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) ، والإمام جمال الدِّين ، محمَّد طاهر بن علي الصدِّيقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) ، والإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، والإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، والإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) ، والإمام محمَّد علي بن محمَّد بن علان بن إبراهيم البكري الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، والإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) ، والإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) ، والإمام أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، والإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) ، والإمام أمالي محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثمَّ الدّيوبندي (١٣٥٣هـ) ، والإمام أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) ، والإمام فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النَّجدي (١٣٧٦هـ) ، والإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، والإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، والإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين

الرّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) ... وكلُّهم أجمعوا على تأويل التقرُّب والهرولة المضافين إلى الله تعالى ... وهذه أقوالهم :

قال الإمام أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (٢٧٦هـ) : " ... وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ هَذَا تَمْثِيلٌ وَتَشْبِيهٌ ، وإنَّما أَرَادَ : مَنْ أَتَانِي مُسْرِعاً بِالطَّاعَةِ ، أَتَيْتُهُ بِالثَّوَابِ أَسْرَعَ مِنْ إِتْيَانِهِ ، فَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْيِ وَبِالْهَرْوَلَةِ .

كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ مُوضِعٌ فِي الضَّلَالِ ، وَالْإِيضَاعُ : سَيْرٌ سَرِيعٌ ، لَا يُرَادُ بِهِ أنَّه يَسِيرُ ذَلِكَ السَّيْر ، وإنَّما يُرَادُ أنَّه يُسْرِعُ إِلَى الضَّلَالِ ، فَكَنَّى بِالْوَضْعِ عَنِ الْإِسْرَاعِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحج : ٥١] ، وَالسَّعْيُ : الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ ، وَلَيْسَ يُرَادُ أنَّهم مَشَوْا دَائِماً ، وإنَّما يُرَادُ : أنَّهم أَسْرَعُوا بِنِيَّاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، وَالله أعلم " (١) .

فالحديث على ما قاله الإمام ابن قتيبة من باب التَّمثيل والتَّصوير ، والمعنى : أنَّ من جاء بشيء يسير من الطَّاعة جاءه الله تعالى بأضعاف ما جاء به من الأجر ، وليس هو من باب التقرُّب الحسِّي والعياذ بالله تعالى ، لأنَّ البراهين النَّقليَّة والعقليَّة قامت على امتناعه ، فليس هنالك تقرُّب حسِّي ، ولا مشي ، ولا هرولة منه سبحانه وتعالى لأنَّه منزَّه عن صفات المحدثين ...

وقال الإمام محمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحَّاك ، التِّرمذي ، أبو عيسى (٢٧٩هـ) : " وَيُرْوَى عَنِ الْأَعْمَشِ (١٤٨هـ) فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، يَعْنِي بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَهَكَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ . قَالُوا : إِنَّمَا مَعْنَاهُ يَقُولُ : إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ بِطَاعَتِي وَبِمَا أَمَرْتُ تُسَارِعُ إِلَيْهِ مَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي " (٢) .

فالإمام السَّلفي : سليمان بن مهران أبو محمَّد الأسدي الكاهلي (الأَعْمَشِ) المتوفَّى سنة (١٤٨هـ) على ما روى عنه الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) : يؤوِّل تقرُّب الله تعالى من العبد بالمغفرة والرَّحمة ، وبهذا وغيره الكثير نردُّ على من يدَّعون السَّلفيَّة الذين ما فتئوا يملئون الدُّنيا ضجيجاً وجعجعة بأنَّ السَّلف لم يؤوِّلوا

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص٣٢٧) .

(٢) انظر : الجامع الكبير (سنن الترمذي) (٥/ ٤٧٣) .

البتَّة ، قال الإمام ابن تيمية : " فَلم أجد إِلَى سَاعَتِي هَذِه عَن أحد من الصَّحَابَة أَنَّه أوَّل شَيْئاً من آيَات الصِّفات أَو أَحَادِيث الصِّفات بِخِلَاف مقتضاها الْمَفْهُوم الْمَعْرُوف " (١) .

وأنا أقول له : إن لم تجد أنت أحداً من الصَّحابة أوَّل شيئاً من المتشابه ، فغيرُك وجد الكثير منهم ، وعلى رأسهم : حبر الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس ، رضي الله عنهما ، فهل الإسلام هو ما أحاط به ابن تيمية فقط ؟!! وهل ابن تيمية قيِّم على دين الله تعالى ، أفيقوا من سُباتكم، وتحرَّروا من تقليدكم ...

وقد ذكرنا فيما سبق عشرات التَّأويلات لحبر الأمَّة وترجمان القرآن : ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، فالتَّأويل جائز ، بل قد يكون واجباً في بعض المواطن ... وقد فعله بعض السَّلف الصَّالح ، وإن كان الغالب عليهم تفويض المعاني إلى الله ، حيث قالوا : أمرُّوها كما جاءت ، قراءتها تفسيرها ... وفي كتابي : " إعلام الخلف بتأويلات السَّلف " ذكرت العديد العديد من تأويلات الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم ، الأمر الذي يقطع ويحسم الأمر في هذه المسألة ، ويبيِّن الحقّ الذي لا مِرية ولا شكَّ فيه ، إلَّا أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة يُغمضون أعينهم ويصمُّون آذانهم عن كلِّ ما من شأنه أن ينسف ما يعتقدون ممَّا خالفوا فيه الأمَّة ، وإلَّا فقد قرأوا تأويل البخاري للضَّحك الوارد في الحديث الصَّحيح : " ضحك الله الليلة ... " . قال الحافظ ابن حجر : " وَقَدْ تَأَوَّلَ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦هـ) الضَّحِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ ، وَهُوَ قَرِيبٌ ، وَتَأْوِيلُهُ عَلَى مَعْنَى الرِّضَا أَقْرَبُ ، فَإِنَّ الضَّحِكَ يَدُلُّ على الرِّضَا وَالْقَبُول ، قَالَ : والكرام يوصفون عِنْدمَا يَسْأَلُهُمُ السَّائِلُ بِالْبِشْرِ وَحُسْنِ اللِّقَاءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : " يَضْحَكُ الله " ، أَيْ : يُجْزِلُ الْعَطَاءَ ، قَالَ : وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ : أَنْ يُعَجِّبَ الله مَلَائِكَتَهُ وَيُضْحِكَهُمْ مِنْ صَنِيعِهِمَا ، وَهَذَا يَتَخَرَّجُ عَلَى الْمَجَازِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ يَكْثُرُ .

وَقَالَ بن الْجَوْزِيِّ (٥٩٧هـ) : أَكْثَرُ السَّلف يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَأْوِيلِ مِثْلِ هَذَا ويمرونه كَمَا جَاءَ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى فِي مِثْلِ هَذَا الْإِمْرَارِ اعْتِقَادُ أَنَّه لَا تُشْبِهُ صِفَاتُ اللَّهَّ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَمَعْنَى الْإِمْرَارِ : عَدَمُ الْعِلْمِ بِالْمُرَادِ مِنْهُ مَعَ اعْتِقَادِ التَّنْزِيه . قُلْتُ : وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالضَّحِكِ الْإِقْبَالُ بِالرِّضَا تَعْدِيَتُهُ بِإِلَى ، تَقُولُ : ضَحِكَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ : إِذَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ طَلِقَ الْوَجْهِ مُظْهِراً لِلرِّضَا عَنْهُ " (٢) .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠) .

وقال الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) : " وأَمَّا الضَّحِكُ الْمَذْكُورُ فِي الْخَبَرِ ، فَقَدْ رَوَى الْفِرَبْرِيُّ (٣٢٠هـ) عَنْ محمَّد بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ الله أَنَّه قَالَ : مَعْنَى الضَّحِكِ فِيهِ : الرَّحْمَةُ " [١] .

وأمَّا الإمام أحمد الذي يزعم مدَّعو السَّلفيَّة الانتساب إليه ظلماً وزوراً وعدواناً ، فقد ثبت عنه التَّأويل ... قال الإمام ابن كثير(٧٧٤هـ) : " وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ (٤٥٨هـ) ، عَنِ الْحَاكِمِ (٤٠٥هـ) ، عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ (٣٤٤هـ) ، عَنْ حَنْبَلٍ (٢٧٣هـ) ، أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (٢٤١هـ) تَأَوَّلَ قَوْلَ اللهَّ تَعَالَى : " وَجَاءَ رَبُّكَ " [الفجر : ٢٢] ، أَنَّه جَاءَ ثَوَابُهُ . ثمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ " [٢] .

ولهذا وغيره الكثير رأينا الإمام ابن الجوزي الحنبلي يشنِّع على من منعوا التَّأويل ، فيقول : " وكيف يُمكن أن يقال : إنَّ السَّلف ما استعملوا التَّأويل ، وقد ورد في الصَّحيح عن سيِّد الكونين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قدّم له ابن عبَّاس وضوءه ، فقال : " من فعل هذا " فقال : قلت : أنا يا رسول الله ، فقال : " اللهمَّ فقِّهه في الدِّين وعلّمه التَّأويل " [٣] ، فلا يخلو إمَّا أن يكون الرَّسول أراد أن يدعو له أو عليه ، فلا بدَّ أن تقول : أراد الدُّعاء له لا دعاءً عليه ، ولو كان التَّأويل محظوراً لكان هذا دعاءً عليه لا له . ثمَّ أقول : لا يخلو إمَّا أن تقول : إنَّ دعاء الرَّسول ليس مستجاباً فليس بصحيح ، وإن قلت : أنَّه مستجاب ، فقد تركت مذهبك ، وبطَل قولك : أنَّهم ما كانوا يقولون بالتَّأويل " [٤] .

والغريب في أمر هؤلاء الزَّاعمين والمدَّعين للسَّلفية : أنَّهم ملأوا الدُّنيا صياحاً بأنَّ " التَّأويل تعطيل " ، مع أنَّهم أوَّلوا العديد من الآيات التي لم يسعهم إلَّا تأويلها ، فقد أوَّلوا قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] ، وأوَّلوا كلَّ آية ظاهرها أنَّ الله في الأرض ، كقوله تعالى : ﴿ وَللهِ

---

[١] انظر : الأسماء والصِّفات (٢/ ٧٢) .

[٢] انظر : البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٦) .

[٣] جاء في هامش مسند أحمد : إسناده قوي على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم ، فمن رجال مسلم ، وهو صدوق . زهير أبو خيثمة : هو ابن معاوية . وأخرجه يعقوب بن سفيان في " المعرفة والتاريخ " ١/ ٤٩٤ من طريقين عن زهير أبي خيثمة ، بهذا الإسناد . وأخرجه الطبراني (١٠٦١٤) من طريق داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير ، به . وسيأتي برقم (٢٨٧٩) و (٣٠٣٢) و (٣١٠٢) ، وانظر (١٨٤٠) و (٢٤٢٢) و (٣٠٢٢) و (٣٠٦٠) . قوله : " وعلمه التَّأويل " ، قال السندي: المراد بالتأويل : تأويل القرآن ، فكان يُسمى بحراً ، وترجمان القرآن ، والله تعالى أعلم

[٤] انظر : كتاب المجالس ، ابن الجوزي (ص/ ١٣) .

المُشْرِقُ وَالمُغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِّ إِنَّ اللهَّ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ... ولم يأخذوا بالظَّاهر كعادتهم ، وهم فيه متقلِّبون متناقضون ، وعليهم ينطبق قول القائل :

يوماً يمانياً إذا ما لاقى ذا يمن   وإن يلاقي معدِّيا فعدناني

فإلى الله تعالى المُشتكَى ...

وقال الإمام أبو محمَّد حرب بن إسماعيل الكرماني (٢٨٠هـ) : " سمعت إسحاق (٢٣٨هـ) ، يقول في حديث النَّبي عليه السَّلام : " من تقرَّب إلى الله شبراً ، تقرَّب الله إليه باعاً " ، قال : يعني من تقرَّب إلى الله شبراً بالعمل ، تقرَّب الله إليه بالثواب باعاً .

حدَّثنا علي بن عثمان ، قال : حدَّثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدَّثنا أبو سليمان ، قال : حدَّثنا أبو صالح (توفي ما بين ٩٠-١٠٠هـ) ، قال : سمعت أبا هريرة ، يقول : قال النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " قال الله : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه حيث يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ، ذكرته في ملأٍ خير منهم ، ومن تقرَّب إليَّ شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً ، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً ، تقرَّبت إليه باعاً ، ومن جاءني يمشي جئته هرولة " (١) .

فالإمام الكبير ، شيخ المشرق ، سيِّد الحفَّاظ ، أحد أئمَّة المسلمين ، وعلماء الدِّين ، الذي اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصِّدق والورع والزُّهد ... إسحاق بن راهويه الحنظلي التَّميمي (٢٣٨هـ) فيما ينقل عنه السَّلفي الحافظ الفقيه تلميذ أحمد بن حنبل ، الإمام الحافظ الفقيه حرب بن إسماعيل الكرماني الحنظلي (٢٨٠هـ) ، يؤوِّل تقرُّب العبد إلى الله شبراً بالعمل ، وتقرُّب الله إلى العبد بالثَّواب... فهل الإمام ابن راهويه معطِّل ومحرِّف للنُّصوص ... ؟!!! فالتَّأويل حقٌّ لا مِرية فيه ، قال به السَّلف والخلف على حدٍّ سواء ، ومن يقول بخلافه فقوله التَّلف ... ومن المعلوم أنَّ آيات القرءان وكذا أحاديث الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قسمين : محكم ومتشابه ، فالمحكم معانيه ظاهرة ، والمتشابه معانيه غير ظاهرة ، بل ظاهر بعضه يُوهم ما لا يجوز على الله . فالمحكم منه لا إشكال فيه ، وأمَّا المتشابه ، فالواجب أن يُردَّ إلى المحكم حتى يبين معناه ، فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، آية محكمة تنفي عن الله تعالى مشابهة الخلق من كلِّ الوجوه ... فكلُّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ، فالله تعالى موجود ليس كشيء من هذه الموجودات ...

---

(١) انظر : مسائل حرب (٢/ ٩٥١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : " وروي عن النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنَّه قال – حكاية عن اللهَّ تعالى – : " من تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً ، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً ، تقرَّبت إليه باعاً ، ومن أتاني ساعياً أتيته هرولة " . ولم يفهم من هذا التقرُّب ما يفهم منه إذا أُضيف إلى الخلق ، وكان معناه : من تقرَّب إليَّ بالطَّاعة والعبادة ، تقرَّبت إليه بالتَّوفيق والنَّصر أو بالإحسان والإنعام " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) : " اللهُ أَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ خَرَجَتْ مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَارُفِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاس مِمَّا بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي نَفْسِهِ بِنُطْقٍ أَوْ عَمَلٍ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ، ذَكَرَهُ اللهُ فِي مَلَكُوتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ تَفَضُّلاً وَجُوداً ، وَمَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ فِي مَلَأٍ مِنْ عِبَادِهِ ، ذَكَرَهُ اللهُ فِي مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُ ، وَقَبُولِ مَا أَتَى عَبْدُهُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ شِبْرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ ، كَانَ وُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ الرَّبِّ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِذِرَاعٍ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ ذِرَاعٍ مِنَ الطَّاعَاتِ كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِبَاعٍ ، وَمَنْ أَتَى فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ بِالسُّرْعَةِ كَالْمَشْيِ ، أَتَتْهُ أَنْوَاعُ الْوَسَائِلِ وَوُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالسُّرْعَةِ كَالْهَرْوَلَةِ ، وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ " (٢) .

فالإمام محمَّد بن حبَّان بن أحمد بن حبَّان الذي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ يؤوِّل الحديث بما أوَّله به من سبقه من العلماء ... فالتَّأويل جائز لا تشوبة شائبة ، وهو أمر لا بُدَّ منه ، وعلى ذلك انعقد إجماع الأمَّة ، وقد نقلُ إجماع الأمَّة على ذلك الحافظ أبو الحسن علي بن القطَّان الفاسي (٦٢٨هـ) ، فقال : " وأجمعوا أنَّه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً ، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها ، فيغفِر لمن يشاء من المؤمنين ، ويعذِّب منهم من يشاء كما قال ، وليس مجيئه بحركة ولا انتقال ، وأجمعوا أنَّه تعالى يرضى من الطَّائعين له ، وأنَّ رضاه عنهم إرادته لنعيمهم " (٣) .

---

(١) انظر : تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (١٠/ ٥٢٥) .

(٢) انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣/ ٩٤) .

(٣) انظر : الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٤٤) .

وقال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) : " وأمَّا وصفه تعالى بأنَّه يتقرَّب إلى عبده ، ووصفه بالتقرُّب إليه ، ووصفه بإتيانه هرولة ، فإنَّ التقرُّب ، والإتيان ، والمشي ، والهرولة ، محتملة للحقيقة والمجاز ، وحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات ، وتواتي الأجسام ، وذلك لا يليق بالله تعالى ، فاستحال حملها على الحقيقة ، ووجب حملها على المجاز ؛ لشهرة ذلك في كلام العرب ، فوجب أن يكون وصف العبد بالتقرُّب إليه شبراً وذراعاً ، وإتيانه ومشيه معناه : التَّقرُّب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ، ويكون تقرُّبه تعالى من عبده قوله تعالى : " أتيته هرولة " ، أي : أتاه ثوابي مسرعاً . قال الطَّبري (٣١٠هـ) : وإنَّما مثَّل القليل من الطَّاعة بالشِّبر من الدُّنو منه ، والضَّعف من الكرامة والثَّواب بالذِّراع ، فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أكرم عليه مجاوز حدّه إلى ما بينه عزَّ وجلَّ " (١) .

فالإمام ابن بطَّال (٤٤٩هـ) شارح صحيح البخاري يؤوِّل تقرُّب العبد بالطَّاعة وتقرُّب الله تعالى بالثواب ، وقد نقل ابن بطَّال تأويل الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) السَّلفي للحديث بأنَّه خرج مخرج تمثيل القليل من الطَّاعة بالشِّبر من الدُّنو منه ، والضّعف من الكرامة والثَّواب بالذِّراع ، وهذا أمر لا يعجب مدَّعي السَّلفيَّة ، بل لم يعجبهم شرح كلّ من شرح صحيح البخاري ، قال المدعو : أبو عبد الله محمود الحدَّاد في تعليقاته على عقيدة الرَّازيَّين : أبي حاتم وأبي زرعة (ص١٣١) عند ذكره لكتاب فتح الباري ما نصّه : يسَّر الله من أهل السُّنَّة من يشرحه " (٢) .

فالذين شرحوا صحيح البخاري ليسوا بنظر المدعو : محمود الحدَّاد من أهل السُّنَّة ، وهو يدعو الله تعالى أن ييسِّر من أهل السُّنَّة من يشرحه !!! مع العلم أنَّ فحول العلم هم من شرح صحيح البخاري ، ومن تلك الشُّروح على سبيل المثال :

١-أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، حمد بن محمَّد الخطَّابي أبو سليمان ، حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن خطَّاب البستي الخطَّابي (٣٨٨) .

٢- شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطَّال القرطبي (٤٤٩هـ) .

٣- النَّجاح في شرح كتاب أخبار الصِّحاح ، نجم الدِّين أبي حفص عمر بن محمد النَّسفي الحنفي (٥٣٧هـ) .

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ، ابن بطال (١٠/ ٤٢٩-٤٣٠) .

(٢) انظر : تهنئة الصديق المحبوب (ص٧٤-٧٥) .

٤- شرح غريبَهُ ، أبو الحسن محمد بن أحمد الجياني النَّحوي (٥٤٠هـ) .

٥- شرح القاضي أبي بكر بن عبد الله بن العربي المالكي الحافظ (٥٤٣هـ) .

٦- شرح قوام السنَّة ، أبو القاسم إسماعيل بن محمَّد الأصبهاني (٥٣٥هـ) .

٧- شرح مشكل البخاري ، محمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدّبيثي الواسطي (٦٣٧هـ) .

٨- شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ والتَّصْحِيحِ لِمُشْكِلاتِ الجَامِعِ الصَّحِيحِ ، محمد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، وهو ملاحظات لغويَّة ونحويَّة عنَّت له أثناء مقابلته لمخطوطات البخاري مع الإمام اليونيني رحمه الله .

٩- العَقْدُ الجَلِيُّ في حلِّ إشكال الجامع الصحيح للبخاري ، أحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ).

١٠- شواهد التَّوضيح والتَّصحيح لمشكلات الجاأامع الصَّحيح ، محمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) .

١١- شرح البخاري ، يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، شرح فيه كتابي : " بدء الوحي ، والإيمان " ، ولم يكمله .

١٢- شرح الإمام ناصر الدِّين علي بن محمد بن المنير الإسكندراني (٦٨٣هـ) ، وهو شرح كبير في نحو عشر مجلدات .

١٣- الرَّاموز على صحيح البخاري ، علي بن محمد اليونيني (٧٠١هـ).

١٤- ترجمان التراجم ، لأبي عبد الله عمر بن رشيد الفهري (٧٢١هـ) .

١٥- البدر المنير السَّاري في الكَلام على البخـاري ، عبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) .

١٦- العقد الجلي في حلِّ إشكال الجامع الصَّحيح للبخاري ، أحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ) .

١٧- الكواكب الدَّراري ، شمس الدِّين محمَّد بن علي بن محمَّد بن سعيد الكِرماني (٧٨٦هـ) ، وهو شرح مفيد، جامع لفرائد الفوائد، وزوائد العوائد .

١٨- وشرح ابنه التَّقي يحيى مستَمَداً من شرح أبيه، وشرح ابن الملقِّن، وأضاف إليه من شرح الزّركشي وغيره من الكتب، وما سنح له من حواشي الدّمياطي، وفتح الباري، والبدر العنتابي، وسمَّاه: " مجمع البحرين وجواهر الحَبْرَينِ " ، يقع في ثمانية أجزاء كبار .

١٩- شرح الحافظ مغلطاي بن فليج التُّركي المصري الحنفي (٧٩٢هـ) .

٢٠- التَّنقيح في شرح الجامع الصَّحيح ، محمَّد بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) .

٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) وهو غير كامل ، وصل فيه مؤلِّفه إلى كتاب الجنائز .

٢٢- التَّوضيح شرح الجامع الصَّحيح ، عمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) .

٢٣- شرح القاضي مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي (٨١٠هـ) .

٢٤- الإفهام شرح صحيح البخاري ، عبد الرَّحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (٨٢٤هـ) .

٢٥- مصابيح الجامع الصَّحيح ، محمَّد بن أبي بكر الدّماميني (٨٢٧هـ) .

٢٦- اللامع الصَّبيح على الجامع الصَّحيح ، محمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى البرماوي (٨٣١هـ).

٢٧- الكوكب السَّاري ، علي بن الحسين بن عروة المشرفي الموصلي الحنبلي (٨٣٧هـ) .

٢٨-التَّلقيح لفهم قارئ الصَّحيح ، برهان الدِّين بن محمَّد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي (٨٤١هـ) .

٢٩-المتجر الرَّبيح على الجامع الصَّحيح ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد مرزوق الحفيد (٨٤٢هـ) .

٣٠- شرح الشَّيخ شهاب الدِّين أحمد بن رسلان المقدسي الرَّملي الشَّافعي (٨٤٤هـ).

٣١- تيسير منهل القاري في تفسير مشكل البخاري ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) .

٣٢- الكوكب السَّاري في شرح صحيح البخاري ، محمَّد بن أحمد بن موسى الكفيري (٨٤٦هـ) .

٣٣- تيسير منهل القاري في تفسير مُشكل البخاري ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) .

٣٤- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) .

٣٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، محمود بن أحمد العيني بدر الدِّين أبو محمَّد (٨٥٥هـ) .

٣٦- تعليق على البخاري ، محمَّد بن محمَّد بن علي النّويري (٨٥٧هـ) .

٣٧- الكوثر الجاري إلى رياض البخاري ، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (٨٥٧هـ) .

٣٨- شرح الشَّيخ أبي البقاء محمَّد بن علي بن خلف الأحمدي المصري الشَّافعي، نزيل المدينة، وهو شرح كبير كان ابتداء تأليفه (٩٠٩هـ) .

٣٩- التَّوشيح شرح الجامع الصَّحيح ، جلال الدِّين عبد الرَّحمن ، أبو الفضل السيوطي (٩١١هـ) ، وذكر في مقدِّمته أنَّه جرى فيه مجرى الزّركشي في شرحه .

٤٠-إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) ...

٤١- شرح العلَّامة زين الدِّين عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن بن أحمد العبَّاسي (٩٦٣هـ) .

٤٢-الفيض الجاري لشرح صحيح البخاري ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي (١١٦٢هـ) .

٤٣- النُّور السَّاري من فيض البخاري ، حسن العدوي الحمزاوي المالكي (١٣٠٣هـ) .

٤٤- فيض الباري على صحيح البخاري ، أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري (١٣٥٢هـ) ...

وأنا كباحث لا أستغرب هذا الصَّنيع من مدَّعي السَّلفيَّة ، لأنَّني وجدتهم وعلى الدَّوام يكفِّرون من سواهم ، فقد اعتادوا على تكفير عموم الأمَّة المحمَّديَّة ، ولم يُبقوا على الإسلام إلَّا هم ومن شايعهم ، وقد برهنت على ذلك في كتابي : " تَكْفِيْرُ الَوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة " ...

فانظروا إلى المدعو الدُّكتور سفر الحوالي يقول عن الحافظ ابن حجر العسقلاني : " ولو قيل أنَّ الحافظ - رحمه الله - كان متذبذباً في عقيدته ، لكان ذلك أقرب إلى الصَّواب ، كما يدلَّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد " (١) .

وقد قام المشرفون على المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بشطب هذه الفقرة من كتاب " منهج الأشاعرة في العقيدة " ، فيا للخيانة العلميَّة ، والعبث المقصود ...

وقد صنَّف المدعو عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي كتاباً سمَّاه : " الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الألوهيَّة من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تأليف أحمد بن حجر العسقلاني ، وقد صدَر الكتاب عن مكتبة دار العليان ، الطَّبعة : الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

---

(١) انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة (ص٢٨) .

وقال المدعو : عبد المحسن البدر : " ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خللٌ !!! في مسائل من العقيدة ، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم ، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم ، الأئمَّة : البيهقي (٤٥٨هـ) ، والنَّووي ، وابن حجر العسقلاني " (١) .

واتَّهمت اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء !!! الإمام النَّووي بأنَّ عنده أغلاط في العقيدة ، فلا يُقتدى به ... فقد جاء في فتاويها :

س١٢ : بالنِّسبة للإمام النَّووي بعض الإخوة يقول : أنَّه أشعري في الأسماء والصِّفات ، فهل يصحُّ هذا ؟ وما الدَّليل ؟ وهل يصحُّ التكلُّم في حقِّ العلماء بهذه الصُّورة . ومنهم من قال : إنَّ له كتاباً يُسمَّى : " بستان العارفين " ، وهو صوفيٌّ فيه ، فهل يصحُّ هذا الكلام ؟

ج١٢ : له أغلاط !!! في الصِّفات سلك فيها مسلك المؤوِّلين ، وأخطأ في ذلك فلا يُقتدى به في ذلك ، بل الواجب التَّمسُّك بقول أهل السُّنَّة : وهو إثبات الأسماء والصِّفات الواردة في الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة المطهَّرة ، والإيمان بذلك على الوجه اللائق بالله جلَّ وعلا ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ عملاً بقوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وما جاء في معناها من الآيات ، وبالله التَّوفيـــق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم (٢) .

وفي حديثه عن الإمامين : النَّووي ، وابن حجر العسقلاني ، قال الشَّيخ ابن عثيمين في جوابه على سؤال :

" السَّائل : - كمثال - نجعل النَّووي وابن حجر من غير أهل السُّنَّة والجماعة ؟ الشَّيخ : فيما يذهبان إليه في الأسماء والصِّفات ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة .

السَّائل : بالإطلاق ، ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ الشَّيخ : لا نطلق ، ولهذا أنا قلت لك : إنَّ من خالف السَّلف في صفات الله ، لا يُعطى !!! الاسم المطلق بأنَّه من أهل السُّنَّة والجماعة ، بل يقيَّد ، يقال :

---

(١) انظر : رفقاً أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة (ص٣٢-٣٣) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء (٣/ ٢٢١-٢٢٢) .

هو من أهل السُّنَّة والجماعة في طريقته الفقهيَّة مثلاً ، أمَّا في طريقته البدعيَّة فليس من أهل السُّنَّة والجماعة " (١) .

وهذا الشَّيخ ابن عثيمين – أيضاً – يخرج الأشاعرة والماتريديَّة من عموم الأمَّة ، مع العلم أنَّهم يمثِّلون السَّواد الأعظم من علماء الأمَّة ، فقد قال في شرحه للواسطيَّة : " عُلم من كلام المؤلِّف – رحمه الله – أنَّه لا يُدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم ، فالأشاعرة – مثلاً – والماتريديَّة ، لا يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ، لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه !!! في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها ، ولهذا يخطئ من يقول : أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريدون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يمكن الجميع أهل السُّنَّة وهم مختلفون ؟! فماذا بعد الحقَّ إلَّا الضَّلال ؟! وكيف يكونون أهل السُّنَّة وكلُّ واحد يردُّ على الأخر ؟! هذا لا يمكن ، إلَّا إذا أمكن الجمع بين الضدَّين ، فنعم !!! وإلَّا فلا شكَّ أنَّ أحدهم وحده هو صاحب السُّنَّة ، فمن هو ؟ الأشعريَّة أم الماتريديَّة أم السَّلفيَّة ؟ نقول : من وافق السُّنَّة ، فهو صاحب السُّنَّة ومن خالفها فهو ليس بصاحبها ، فنحن نقول : السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً ، والكلمات تعتبر معانيها لننظر كيف نسمِّي من خالف السُّنَّة أهل السُّنَّة ؟ لا يمكن ، وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة : أنَّهم مجتمعون ؟ فأين الاجتماع ؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقداً حتى المتأخِّر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النَّبي ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه فإنَّه سلفي " (٢) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " :

" ... وهذه الطَّائفة التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري وصفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد ؛ فلقد أعظموا الفرية على الله ، وخالفوا أهل الحقّ من السَّلف والأئمَّة وأتباعهم ؛ وخالفوا من ينتسبون إليه ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري ، صرَّح في كتابه " الإبانة " ، و " المقالات " ، بإثبات الصِّفات ؛ فهذه الطَّائفة المنحرفة عن الحق !!! قد تجرَّدت شياطينهم لصدِّ النَّاس عن سبيل الله ، فجحدوا توحيد الله في الإلهيَّة ، وأجازوا الشِّرك !!! الذي لا يغفره الله ، فجوَّزوا أن يعبد غيره من دونه ، وجحدوا

(١) انظر : : لقاء الباب المفتوح (٨/ ٢٩) .

(٢) انظر : هامش شرح الواسطية ، الهراس (ص٦٥ – ٦٦) .

توحيد صفاته بالتَّعطيل . فالأئمَّة من أهل السُّنَّة وأتباعهم لهم المصنَّفات المعروفة في الرَّدِّ على هذه الطَّائفة الكافرة !!! المعاندة !!! ، كشفوا فيها كلَّ شبهة لهم ، وبيَّنوا فيها الحق الذي دلَّ عليه كتاب الله وسنَّة رسوله ، وما عليه سلف الأمَّة وأئمَّتها من كلِّ إمام رواية ودراية " (١) .

ومع ذلك يقولون في وسائل الإعلام المختلفة : أنَّهم لا يكفِّرون ...

وقال الشَّيخ ابن عثيمين : " فإذا سئلنا : من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ فنقول : هم المتمسِّكون بالإسلام المحض الخالص عن الشَّوب ، وهذا التَّعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة ونحوهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ، لأنَّ تمسُّكهم مشوبٌ بما أدخلوا فيه من البدع . وهذا هو الصَّحيح ، أنَّه لا يعدُّ الأشاعرة والماتريدية فيما ذهبوا إليه في أسماء الله وصفاته من أهل السُّنَّة والجماعة .

وكيف يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك مع مخالفتهم لأهل السُّنَّة والجماعة ؟! لأنَّه يقال : إمَّا إن يكون الحقّ فيما ذهب إليه هؤلاء الأشاعرة والماتريديَّة ، أو الحقّ فيما ذهب إليه السَّلف . ومن المعلوم أنَّ الحقَّ فيما ذهب إليه السَّلف ، لأنَّ السَّلف هنا هم الصَّحابة والتَّابعون وأئمَّة الهُدى من بعدهم ، فإذا كان الحقُّ فيما ذهب إليه السَّلف ، وهؤلاء يخالفونهم ، صاروا ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك (٢) .

ومن المعلوم أنَّ الأشاعرة مع الماتريديَّة الذين أخرجهم ابن عثيمين من أهل السُّنَّة والجماعة ، يشكِّلون السَّواد الأعظم من أُمَّة محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّه وبعد ظهور مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ، ومذهب الإمام أبي منصور الماتريدي ، ذهب أغلب النَّاس إليهما ...

قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) بعد أن عدَّدَ أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في علم الكلام من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم :

" ... ثمَّ بعدهم شيخ النَّظر وإمام الآفاق في الجدل والتَّحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدريَّة ، والنَّجَّاريَّة ، والجهميَّة ، والجسميَّة ، والرَّوافض ، والخوارج ، وقد

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢١٠-٢١١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٨/ ٦٨٥-٦٨٦) .

ملأ الدُّنيا كتبه ، وما رزق أحد من المتكلِّمين من التَّبَع ما قد رزق ، لأنَّ جميع أهل الحديث وكلّ من لم يتمعزل من أهل الرَّأي على مذهبه " (١) .

وقال الإمام عبد القاهر البغدادي أيضاً : " فأمَّا الْفرْقَة الثَّالِثَة وَالسَّبْعُونَ ، فَهِيَ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من فريقي الرَّأْي والْحَدِيث دون من يشتري لَهو الحَدِيث ، وفقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحَدِيث مِنْهُم كلُّهم متَّفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته ، وَفِي أسمائه وَصِفَاته ، وفى أبواب النُّبُوَّة والإمامة ، وفي أحكام العقبى ، وفى سَائِر أصول الدِّين ، وإنَّما يَخْتَلِفُونَ فِي الْحَلَال وَالْحَرَام من فروع الأحكام ، وَلَيْسَ بَينهم فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ مِنْهَا تضليل وَلَا تفسيق ، وهم الْفرْقَة النَّاجِية ، ويجمعها : الإقرار بتوحيد الصَّانِع ، وَقِدَمِه ، وَقِدَم صِفَاته الأزليَّة ، وإجازة رُؤْيَته من غير تَشْبِيه وَلَا تَعْطِيل ، مَعَ الإقرار بكتب الله وَرُسُله ، وبتأييد شَرِيعَة الإسلام ، وإباحة مَا أَبَاحَهُ الْقُرْآن ، وَتَحْرِيم مَا حرَّمه الْقُرْآن ، مَعَ قيود مَا صَحَّ من سُنَّة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واعتقاد الْحَشْر والنشر ، وسؤال الْملكَيْنِ فِي الْقَبْر ، والإقرار بالحوض ، وَالْمِيزَان ، فَمن قَالَ بِهَذِهِ الْجِهَة الَّتِي ذَكرنَاهَا وَلم يخلط إيمانه بهَا بِشَيْء من بدع الْخَوَارِج ، وَالرَّوَافِض ، والقدريَّة ، وَسَائِر أهل الأهواء ، فَهُوَ من جملَة الْفرْقَة النَّاجِية ، إن خَتم الله لَهُ بهَا ، وَقد دخل فِي هَذِه الْجُمْلَة جُمْهُور الأمَّة وسوادها الْأَعْظَم من أصحاب مَالك (١٧٩هـ) ، وَالشَّافِعِيّ (٢٠٤هـ) ، وأبي حنيفَة (١٥٠هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، والثَّوري (١٦١هـ) ، وَأهل الظَّاهِر " (٢) .

وقال الإمام أبو إسحاق الشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، - كما جاء في طبقات الشَّافعيَّة - : " ... وأبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة ، وعامَّة أصحاب الشَّافعي على مذهبه ، ومذهبه مذهب أهل الحقّ " (٣) .

وقال الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ) واصفاً مذهب أبي الحسن الأشعري : " ولسنَا نسلم أَنَّ أَبَا الْحسن اخترع مذهباً خَامِساً ، وإنَّما أَقَامَ من مَذَاهِب أهل السُّنَّة مَا صَار عِنْد المبتدعة دارساً ، وأوضح من أَقْوَال من تقدَّمه من الْأَرْبَعَة وَغَيرهم مَا غَدَا ملتبساً ، وجدَّد من معالم الشَّرِيعَة مَا أصبح بتكذيب من اعْتدى منطمساً ، ولسنَا نتنسب بمذهبنَا فِي التَّوْحِيد إِلَيْهِ على معنى أَنَّا نقلِّده فِيهِ ، ونعتمد عَلَيْهِ ، ولكنَّا نوافقه

---

(١) انظر : أصول الدِّين (ص٣٠٩-٣١٠) .

(٢) انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص١٩-٢٠) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٧٦) .

على مَا صَار إِلَيْهِ من التَّوْحِيد ، لقِيَام الْأَدِلَّة على صِحَّته ، لَا لُمجَرّد التَّقْلِيد ، وإِنَّما ينتسب مِنَّا من انتسب إِلَى مذْهبه ليتميَّز عَن المبتدعة الَّذين لَا يَقُولُونَ بِهِ من أصنَاف الْمُعْتَزلَة ، والجهميَّة المعطِّلة ، والمجسِّمة ، والكراميَّة ، والمشبِّهة السَّالميَّة ، وَغَيرهم من سَائِر طوائف المبتدعة ، وَأَصْحَاب المقَالات الْفَاسِدَة المخترعة ، لِأَنَّ الْأَشْعَرِيّ هُوَ الَّذِي انتدب للرَّدّ عَلَيْهِم حَتَّى قمعهم ، وَأظْهر لمن لم يعرف الْبدع بدعهم ، ولسنَا نرى الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة الَّذين عنيتم فِي أُصُول الدِّين مُخْتَلفين ، بل نراهم فِي القَوْل بتوحيد اللهَّ وتنزيهه فِي ذَاته مؤتلفين ، وعَلى نفي التَّشْبِيه عَن الْقَدِيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُجْتَمعين ، والأشعري رَحمَه اللهَّ فِي الْأُصُول على منهاجهم أَجْمَعِينَ ، فَمَا على من انتسب إِلَيْهِ على هَذَا الْوَجْه جنَاح ، وَلَا يُرْجَى لمن تَبرأ من عقيدته الصَّحِيحَة فلاح ، فَإِن عددتم القَوْل بالتَّنزيه وَترك التَّشْبِيه تمشعُراً ، فالموحِّدون بأسرهم أشعريَّة ، وَلَا يضرُّ عِصَابَة انتمت إِلَى موحِّد مُجَرَّد التَّشنيع عَلَيْهَا بِمَا هِيَ مِنْهُ بَرِيَّة ... " (١) .

وقال أيضاً : " وَهل من الْفُقَهَاء من الحنيفيَّة ، والمالكيَّة ، وَالشَّافِعِيَّة إِلَّا مُوَافق لَهُ أَو منتسب إِلَيْهِ أَو رَاض بحميد سَعْيه فِي دين اللهَّ أَو مثن بِكَثْرَة الْعلم عَلَيْهِ ، غير شرذمة يسيرَة تُضمر التَّشْبِيه ، وتُعادي كلَّ موحِّد يعْتَقد التَّنْزِيه ، وتضاهي أَقْوَال أهل الاعتزال فِي ذمِّه ، وتباهي بِإِظْهَار جهلهـــا بقدرة سَعَة علمه " (٢) .

وقال الامام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد والمنَّة في العقائد يدٌ واحدة ، إلَّا مَـن لحق منها بأهل الاعتزال أو التَّجسيم ، وإلَّا فجمهورها على الحقِّ ، يقرُّون عقيدة أبي جعفر الطَّحاوي التي تلقَّاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول ، ويدينون الله برأي شيخ السُّنَّة أبي الحسن الأشعري الذي لم يعارضه إلَّا مبتدعٌ " (٣) .

وفي كتابه : " طبقات الشَّافعيَّة الكبرى" عقد العلَّامة تاج الدِّين السُّبكي فصـلاً تحت عنوان : ذكر بَيَان أَنَّ طَرِيقَة الشَّيخ هي التي عَلَيْهَا المعتبرون من عُلَمَاء الْإِسْلَام والمتميِّزون من الْمَذَاهب الْأَرْبَعَة في معرفَة الْحَلَال وَالْحَرَام والقائمون بنصرة دين سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قد قدَّمنَا في تضاعيف الْكَلَام مَا يدلُّ على ذَلِك ، وحكينا لَك مقَالَة الشَّيخ ابْن عبد السَّلَام وَمن سبقه إِلَى مثلهَا وتلاه على قَوْلهَا

(١) انظر : تبيين كذب المفتري تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٦٠-٣٦٢) .

(٢) انظر : تبيين كذب المفتري تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٤١٠) .

(٣) انظر : معيد النعم ومبيد النقم (ص٢٢-٢٣) .

، حَيْثُ ذكرُوا أَنَّ الشَّافِعِيَّة ، والمالكيَّة ، وَالْحَنَفِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة ، أشعريُّون . هَذِه عبارَة ابْن عبد السَّلَام شيخ الشَّافِعِيَّة ، وَابْن الْحَاجِب (٦٤٤هـ) شيخ الْمَالِكِيَّة والحصيرى (٦٣٦هـ) شيخ الْحَنَفِيَّة وَمن كَلَام ابْن عَسَاكِر (٥٧١هـ) حَافظ هَذِه الأمَّة الثِّقَة الثَّبت : هَل من الْفُقَهَاء : الْحَنَفِيَّة ، والمالكيَّة ، وَالشَّافِعِيَّة ، إِلَّا مُوَافق الأشعري ...

ثمَّ قال بعد ذلك : " سَمِعت الشَّيخ الإِمَام رَحمَه الله يَقُول مَا تضمنته عقيدة الطَّحاوي (٣٢١هـ) هُوَ مَا يَعْتَقِدهُ الأشعري (٣٢٤هـ) لَا يُخَالِفهُ إِلَّا في ثَلَاث مسَائِل ...

قلت : أَنا أعلم أَنَّ الْمَالِكِيَّة كلّهم أشاعرة لَا أستثنى أحداً ، وَالشَّافِعِيَّة غالبهم أشاعرة لَا أستثنى إِلَّا من لحق مِنْهُم بتجسيم أَو اعتزال مِمَّن لَا يعبأ الله بِهِ ، وَالْحَنَفِيَّة أَكْثَرهم أشاعرة ، أعني : يَعْتَقِدُونَ عقد الأشعري ، لَا يخرج مِنْهُم إِلَّا من لحق مِنْهُم بالمعتزلة ، والحنابلة أَكثر فضلاء متقدِّميهم أشاعرة ، لم يخرج مِنْهُم عَن عقيدة الأشعري إِلَّا من لحق بِأَهْل التَّجسيم وهم في هَذِه الْفرْقَة من الْحَنَـــابِلَة أَكثر من غَيرهم " (١) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) أيضاً : " اعْلَم أَنَّ أَبَا الْحسن لم يبدع رَأياً ، وَلم ينشئ مذهباً ، وإِنَّمَا هُوَ مُقَرر لمذاهب السَّلف ، مناضل عَمَّا كَانَت عَلَيْهِ صحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالانتساب إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَار أَنَّه عقد على طَرِيق السَّلف نطاقاً ، وَتمَسَّك بِهِ ، وَأَقَام الْحجَج والبراهين عَلَيْهِ ، فَصَارَ المقتدي بِهِ فِي ذَلِك ، السَّالك سَبيله فِي الدَّلَائِل يُسمَّى أشعريّاً ، وَلَقَد قلت مرَّة للشَّيْخ الإِمَام رَحمَه الله : أَنا أعجب من الْحَافِظ ابْن عَسَاكِر (٥٧١هـ) في عدَّة طوائف من أَتبَاع الشَّيخ ، وَلم يذكر إِلَّا نزراً يَسِيراً وعدداً قَلِيلاً ، وَلَو وفى الِاسْتِيعَاب حَقَّه لاستوعب غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب الْأَرْبَعَة !! فَإِنَّهُم برأي أَبي الْحسن يدينون الله تَعَالَى ، فَقَالَ : إِنَّمَا ذكر من اشْتهر بالمناضلة عَن أَبي الْحسن ، وَإِلَّا فَالْأَمر على مَا ذكرت من أَنَّ غَالب عُلَمَاء الْمذَاهب مَعَه .

وَقد ذكر الشَّيخ شيخ الْإِسْلَام عز الدِّين بن عبد السَّلَام (٦٦٠هـ) أَنَّ عقيدته اجْتمع عَلَيْهَا الشَّافِعِيَّة ، والمالكية ، وَالْحَنَفِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة ، وَوَافَقَهُ على ذَلِك من أهل عصره شيخ الْمَالِكِيَّة في زَمَانه أَبُو عَمْرو بن الْحَاجِب (٦٤٦هـ) ، وَشَيخ الْحَنَفِيَّة جمال الدِّين الحصيرى (٦٣٦هـ) ... " (٢) .

---

(١) انظر : طبقات الشَّافعية الكبرى (٣/ ٣٧٣) ، (٣/ ٣٧٧) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٦٥) .

وقال في موضع أخر : " قَالَ المَآيرقي وَلم يكن أَبُو الْحسن أوَّل مُتكَلِّم بِلِسَان أهل السُّنَّة إنَّما جرى على سنَن غَيره ، وعَلى نصْرَة مَذْهَب مَعْرُوف ، فَزَاد الْمَذْهَب حجَّة وبياناً ، وَلم يبتدع مقَالَة اخترعها ، وَلَا مذهباً انْفَرد بِهِ ، أَلا ترى أَنَّ مَذْهَب أهل الْمَدِينَة نسب إِلَى مَالك (١٧٩هـ) ، وَمن كَانَ على مَذْهَب أهل الْمَدِينَة ، يُقَال لَهُ : مالكي ، وَمَالك إنَّما جرى على سنَن من كَانَ قبله ، وَكَانَ كثير الاِتِّبَاع لَهُم ، إِلَّا أَنَّه لما زَاد الْمَذْهَب بَيَاناً وبسطاً عُزي إِلَيْهِ ، كَذَلِك أَبُو الْحسن الأشعري ، لَا فرق لَيْسَ لَهُ في مَذْهَب السَّلف أَكثر من بَسطه وَشَرحه وتواليفه في نصرته " ... إلى أن يقول القابسيّ (٤٠٣هـ) : وَمَا أَبُو الْحسن إِلَّا وَاحِد من جملَة القائمين في نصْرَة الْحق ، مَا سمعنَا من أهل الْإِنْصَاف من يُؤَخِّرهُ عَن رُتْبَة ذَلِك ، وَلَا من يُؤثر عَلَيْهِ في عصره غَيره وَمن بعده من أهل الْحقّ سلكوا سَبيله ...إِلَى أَن قَالَ : لقد مَاتَ الأشعري يَوْم مَاتَ وَأهل السُّنَّة باكون عَلَيْهِ ، وَأهل الْبدع مستريحون مِنْهُ " (١) .

وقال الإمام محمَّد بن إبراهيم ابن الوزير اليماني (٨٤٠هـ) : " مذهب أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمَّة الحديث وهم طائفتان : الطَّائفة الأولى : أهل الحديث والأثر وأتباع السُّنن ، والسَّلف الذين ينهون عن الخوض في علم الكلام ... ثمَّ قرَّر مذهب أهل الحديث ، وهو أنَّ حقيقة الصِّفات وكُنهها ممَّا استأثر الله بعلمه ، ثمَّ ذكر كلام الغزالي (٥٠٥هـ) في كتابه : " إلجام العوامّ " في تقرير عقيدة السَّلف ، ثمَّ تكلَّم في النَّهي عن علم الكلام كلُّ ذلك في صفحات طويلة جدَّاً " (٢) .

ثمَّ قال ابن الوزير : " هذا آخر ما أردت الإشارة إليه من جملة عقائد المحدِّثين ، وهم الطَّائفة الأولى . الطَّائفة الثَّانية : أهل النَّظر في علم الكلام والمنطق والمعقولات وهم فرقتان : أحدهما : الأشعريَّة ... . والفرقة الثَّانية من المتكلِّمين منهم : الأثريَّة كابن تيمية وأصحابه فهؤلاء من أهل الحديث لا يخالفونهم إلَّا في استحسان الخوض في الكلام وفي التَّجاسر على بعض العبارات ، وفيما تفرَّد به من الخوض في الدَّقائق الخفيَّات !!! ، والمحدِّثون ينكرون ذلك عليهم ، لأنَّه ربَّما أدَّى ذلك إلى بدعة أو قدح في الدِّين " (٣) .

وقال الإمام الجلال الدّواني (٩١٨هـ) رحمه الله تعالى :

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٦٧) .

(٢) انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٣/ ٣٣١-٣٣٢) .

(٣) انظر : العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ١١٨) .

" الفرقة النَّاجية ، وهم الأشاعرة أي : التَّابعون في الأصول للشَّيخ أبي الحسن ... فإن قلت : كيف حكم بأنَّ الفرقة النَّاجية هم الأشاعرة ؟ وكلُّ فرقة تزعم أنَّها ناجية ؟ قلت : سياق الحديث مشعر بأنَّهم – يعني الفرقة النَّاجية – المعتقدون بما روي عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وذلك إنَّما ينطبق على الأشاعرة ، فإنَّهم يتمسَّكون في عقائدهم بالأحاديث الصَّحيحة المنقولة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحابه ، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلَّا لضرورة ، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة " (١) .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) في كتابه : " الزَّواجر عن اقتراف الكبائر " : " وَالْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ مَا عَلَيْهِ إمَامَا أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ الشَّيخ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ (٣٣٣هـ) " (٢) .

وجاء في الفتاوى الحديثيَّة لابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) : " مطلبٌ في من طعن على أبي الحسن ، وأبي إسحق الأشعريَّين ، وخلافهم :

وسئل نفع الله به ، بما لفظه : طعن بعضُ النَّاس في أبي الحسن (٣٢٤هـ) ، وأبي إسحق (٤٧٦هـ) الأشعريَّين ، والباقلاني (٤٠٣هـ) ، وابن فورك (٤٠٦هـ) ، وأبي المعالي إمام الحرمين (٤٧٨هـ) ، والباجي (٤٧٤هـ) ، وغيرهم ، ممَّن تكلَّم في الأصول ، وردَّ على أهل الأهواء ، بل ربَّما بالغ بعضُ الملاحدة فادَّعى كفرهم ، فهل هؤلاء كما قال ذلك الطَّاعن أو لا ؟ .

فأجاب بقوله : ليسوا كما قال ذلك الخارق المارق المجارف الضَّال الغال الجاهل المائل ، بل هم أئمَّة الدِّين وفحول علماء المسلمين ، فيجب الاقتداء بهم لقيامهم بنصرة الشَّريعة ، وإيضاح المشكلات ، وردِّ شُبه أهل الزَّيغ ، وما يجب في الاعتقادات والدِّيانات ، لعلمهم بالله وما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز في حقِّه ، ولا يعرف الوصول إلَّا بعد معرفة الأصول ، ومن ثمَّ فضَّل أقوامٌ علوم القرآن والحديث وقدَّموها على حفظ المسائل الفقهيَّة ، حتى أدَّى ذلك بعض ملوكهم إلى أن توعَّد الفقهاء وأخافهم ، وبعضهم حبس النَّاس على اشتغالهم " بالمدوَّنة " وأحرقها ، حتى اجتمع القاضي ابن زرقون (٥٨٦هـ) في حضرة بعض أمرائهم ، فقال : هل بقي أحدٌ مما ينتحل هذا المذهب ، فقال بعض الظَّاهريَّة : لم يبق منهم إلَّا القليل ، فقال : أنَّهم يحكمون في دين الله بغير دليل ، يقولون في المصلي بنجاسة : يعيد في

---

(١) انظر : حاشية الكلنبوي على شرح الدواني (١/ ٣٤-٣٩) .

(٢) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٦٥) .

الوقت ، لأنَّ النَّجاسة إن كان غسلها واجب أعاد أبداً وإلَّا فلا إعادة عليه ، فالإعادة في الوقت ما قام عليها دليل . فأجابه ابن زرقون ، فقال له : الأصل في ذلك حديث الأعرابي : " ارجع فصلِّ فإنَّك لم تصلّ " (١) .

ولم يأت في طرق الحديث أنَّه أمره بإعادة ما مضى ، فاستكان عند ذلك الأمير ، وقال : دعوا النَّاس على مذاهبهم ، والواجب الاعتراف بفضل أولئك الأئمَّة المذكورين في السُّؤال وسابقيهم ، وأنَّهم من جملة المرادين بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " (٢) ، فلا يعتقد ضلالتهم إلَّا أحمقٌ جاهلٌ مبتدعٌ زائغٌ عن الحق ، ولا يسبُّهم إلا فاسق ، فينبغي تبصير الجاهل ، وتأديب الفاسق ، واستتابة المبتدع ... " (٣) .

وقال الإمام عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدِّمشقيّ ، تقيّ الدِّين ، ابن فَقِيه فُصَّة (١٠٧١هـ) : " طوائف أهل السُّنَّة ثلاثة : أشاعرة ، وحنابلة ، وماتريديَّة . بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكتب الكلاميَّة ، وجميع كتب الحنابلة !!! " (٤) .

وقال العلَّامة السَّفاريني الحنبلي (١١٨٨هـ) في كتابه " لوامع الأنوار البهيَّة " : " أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ ثَلَاثُ فِرَقٍ: الْأَثَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَالْأَشْعَرِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ - رَحِمَهُ الله ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةُ وَإِمَامُهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ (٣٣٣هـ) " (٥) .

---

(١) جاء في هامش مسند أحمد بن حنبل : " إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه البخاري في " صحيحه " (٧٥٧) و (٧٩٣) و (٦٢٥٢) ، وفي " القراءة خلف الإمام " (١١٣) ، ومسلم (٣٩٧) ، وأبو داود (٨٥٦) ، والترمذي (٣٠٣) ، والنسائي ٢/ ١٢٤، وأبو يعلى (٦٥٧٧) و (٦٦٢٢) ، وابن خزيمة (٤٦١) و (٥٩٠) ، وأبو عوانة ٢/ ١٠٣-١٠٤، والطحاوي ١/ ٢٣٣، وابن حبان (١٨٩٠) ، والبيهقي ٢/ ٨٨ و١١٧ و٣٧١-٣٧٢، وابن حزم في " المحلى " ٣/ ٢٥٦ من طريق يحيى بن سعيد، بهذا الإسناد . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ... انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (١٥/ ٤٠٠-٤٠١ ، باختصار) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م .

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤ برقم٥٩٩) ، ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١/ ٢٥ برقم ١) ، الآجري في الشريعة (١/ ٢٦٩) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠/ ١٧ برقم ٣٨٨٤) ، البزار في المسند (١٦/ ٢٤٧ برقم ٩٤٢٣)

(٣) انظر : الفتاوى الحديثية (ص٢٧٣-٢٧٤) .

(٤) انظر : العين والأثر في عقائد أهل الأثر (ص٥٣) .

(٥) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٧٣) .

وقال السَّفاريني أيضاً : " قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هُمْ يَعْنِي الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ ، أَهْلُ الْحَدِيثِ ، يَعْنِي الْأَثَرِيَّةَ ، وَالْأَشْعَرِيَّةَ ، وَالْمَاتُرِيدِيَّةَ " (١) .

وقال الإمام أحمد الدَّردير (١٢٠١هـ) في شرحه على منظومته في العقائد المسمَّاة بـ " خريدة التَّوحيد " : " أئمَّة الأمَّة الذين يجب اتباعهم على ثلاث فرق ، فرقة نصَّبت نفسها لبيان الأحكام الشَّرعيَّة العمليِّة ، وهم الأئمَّة الأربعة وغيرهم من المجتهدين ، ولكن لم يستقر من المذاهب المرضيَّة سوى مذاهب الأئمَّة الأربعة ، وفرقة نصَّبت نفسها للاشتغال ببيان العقائد التي كان عليها السَّلف وهم الأشعري والماتريدي ومن تبعهما ، وفرقة نصَّبت نفسها للاشتغال بالعمل والمجاهدات على طبق ما ذهب إليه الفرقتان المتقدِّمتان ، وهم الإمام أبو القاسم الجُنيد (٢٩٧هـ) ومن تبعه ، فهؤلاء الفرق الثَّلاثة هم خواصُّ الأمَّة المحمَّديَّة ومن عداهم من جميع الفِرق على ضلال ، وإن كان البعض منهم يحكم له بالإسلام ، فالنَّاجي من كان في عقيدته على طبق ما بيَّنه أهل السُّنَّة " (٢) .

وقال الإمام الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) في " إتحاف السَّادة المتَّقين " : " اذا أُطلق أهل السُّنَّة والجماعة ، فالمراد بهم الأشاعرة والماتريديَّة . قال الخيالي (٨٨٦هـ) في حاشيته على شرح العقائد : الأشاعرة هم أهل السُّنَّة والجماعة ، هذا هو المشهور في ديار خراسان ، والعراق ، والشَّام ، وأكثر الأقطار ، وفي ديار ما وراء النَّهر يطلق ذلك على الماتريديَّة أصحاب الإمام أبي منصور ، بين الطَّائفتين اختلاف في بعض المسائل كمسألة التَّكوين وغيرها . اهـ . وقال الكستلي (١٠٣٨هـ) في حاشيته عليه : المشهور من أهل السُّنَّة في ديار خراسان ، والعراق ، والشَّام ، وأكثر الاقطار : هم الأشاعرة ، أصحاب أبي الحسن الأشعري أوَّل من خالف أبا علي الجبائي (٣٠٣هـ) ورجع عن مذهبه إلى السُّنَّة ، أي : طريق النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجماعة ، أي : طريقة الصَّحابة رضي الله عنهم . وفي ديار ما وراء النَّهر ، الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي ، تلميذ أبي نصر العياضي ، تلميذ أبي بكر الجوزجاني ، صاحب محمَّد بن الحسن (١٨٩هـ) ، صاحب الإمام أبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وبين الطَّائفتين اختلاف في بعض الأصول ، كمسألة التَّكوين ، ومسألة الاستثناء في الإيمان ، ومسألة إيمان المقلِّد ، والمحقِّقون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضَّلالة . أهـ

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٧٦) .

(٢) انظر : حاشية الشَّيخ محمَّد نجيب المطيعي على شرح الدردير على الخريدة في علم التوحيد (ص١٩٣-١٩٤) .

قال ابن السُّبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب (٦٤٦هـ) : اعلم أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة كلهم قد اتَّفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل ، وإن اختلفوا في الطُّرق والمبادئ الموصلة لذلك أو في لمية ما هنالك ، وبالجملة فهم بالاستقرار ثلاث طوائف ، الأوَّل : أهل الحديث ، ومعتمد مباديهم الأدلَّة السَّمعيَّة ، أعني الكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع ، الثَّانية : أهل النَّظر العقلي والصِّناعة الفكريَّة ، وهم الأشعريَّة ، والحنفيَّة ، وشيخ الأشعريَّة أبو الحسن الأشعري ، وشيخ الحنفيَّة أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) ، وهم متَّفقون في المبادئ العقليَّة في كلِّ مطالب يتوقَّف السَّمع عليه ، وفي المبادئ السَّمعيَّة ، فيما يدرك العقل جوازه فقط ، والعقليَّة السَّمعيَّة في غيرها ، واتَّفقوا في جميع المطالب الاعتقاديَّة إلَّا في مسألة التَّكوين ، ومسألة التَّقليد ، الثَّالثة : أهل الوجدان والكشف ، وهم أهل الصُّوفيَّة ، ومباديهم مبادى أهل النَّظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النِّهاية ..." (١) .

وقال الشَّيخ محمَّد العربي بن التبَّاني (١٣٩٠هـ) شيخ المالكيَّة في الحرم المكِّي : " فحول المحدِّثين من بعد أبي الحسن إلى عصرنا هذا أشاعرة ، وكتب التَّاريخ والطَّبقات ناطقة بذلك " (٢) .

وقالت دائرة الإفتاء في المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة برئاسة سماحة المفتي العام الدُّكتور نوح علي سلمان القضاة (١٤٣٢هـ) في جواب عن سؤال : هل أهل السُّنَّة في الأردن هم الأشاعرة ؟

الجواب : الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله ...

الأشاعرة هم جمهور أهل السُّنَّة والجماعة من المالكيَّة والشَّافعيَّة ، وأمَّا الحنفيَّة فهم ماتريديَّة يتبعون أبا منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) ، والخلاف بينهم وبين الأشاعرة محدود ، وأمَّا الحنابلة فبعضهم أشاعرة ، وبعضهم عُرفوا بـ" الحنابلة " ، وأطلق عليهم فيما بعد اسم " السَّلفيَّة " : وجميع هؤلاء هم أهل السُّنَّة . ويقابلهم المعتزلة والخوارج .

ومجمل العقيدة التي يقرِّرها أهل السُّنَّة مستمدَّة من أصول الكتاب والسُّنَّة ، وأمَّا بعض التَّفاصيل الكلاميَّة فهي مسائل اجتهاديَّة الخلاف فيها سائغ ، ولا ينكر علماء الكلام فيها بعضهم على بعض .

ونسبة الأشاعرة ترجع إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ) رحمه الله ، وهو الإمام الذي سلَّمت الأمَّة له بالقبول والرِّضا في علوم التَّوحيد ، وأثنى على تقريراته العلماء ، إذ كان

---

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٦-٧) .

(٢) انظر : براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (ص١١٢) .

صاحب سُنَّة ومنهج معتدل ، حتى روى الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) رحمه الله في " السُّنن الكبرى " (٢٠٧/١٠) أنَّه لَمَّا قَرُبَ حضور أجل أبي الحسن الأشعري قال لبعض أصحابه : اشهَدْ عليَّ أنِّي لا أُكفِّر أحداً من أهل القبلة ، لأنَّ الكلَّ يشيرون إلى معبود واحد ، وإنَّما هذا كلّه اختلاف العبارات . وقد ظهر الإمام أبو الحسن الأشعري في زمن استفحل فيه أمر المعتزلة والفلاسفة الذين يُقَدِّمُون معطياتِ عقولهم على نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وكان يقابلهم بعض الحنابلة الذين يُقَدِّمُون ظاهر النُّصوص على معطيات العقول ، فاختطَّ أبو الحسن الأشعري منهجاً يجمع بين العقل والنَّقل ، وقال تلاميذه : الشَّرع كالشَّمس ، والعقل كالعين ، ولا يكون الإبصار إلَّا بهما . وقد ارتضى منهجه كبار علماء المسلمين من الحنفيَّة ، والشَّافعيَّة ، والمالكيَّة ، وطائفة كبيرة من الحنابلة ، والله أعلم (١) .

وبالإستقراء ثبت أنَّ أغلب المفسِّرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأصوليِّين ، والمتكلِّمين ، وأهل اللغة ، والمؤرِّخين ، والقادة ، والمصلحين ، هم أشاعرة أو ماتريديَّة ، فمن أهل التَّفسير وعلوم القرآن على سبيل المثال لا الحصر :

أبو محمَّد سهل بن عبد الله التُستري (٢٨٣هـ) ، والزَّجَّاج (٣١٠هـ) ، والطَّبراني (٣٦٠هـ) ، والسَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) ، والماوردي (٤٥٠هـ) ، والقشيري (٤٦٥هـ) ، والواحدي النَّيسابوري (٤٦٨هـ) ، وأبو المظفَّر السَّمعاني (٤٨٩هـ) ، وتاج القرَّاء محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني (٥٠٥هـ) ، والبغوي (٥١٦هـ) ، وابن عطيَّة (٥٤٢هـ) ، وابن العربي (٥٤٣هـ) ، وابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، والنَّسفي (٧١٠هـ) ، والخازن (٧٢٥هـ) ، وأبو حيّان (٧٤٥هـ) ، وابن عادل الحنبلي الدِّمشقي النعماني (٧٧٥هـ) ، والزّركشي (٧٩٤هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، وابن الجزري (٨٣٣هـ) ، ونظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) ، والمحلِّي (٨٦٤هـ) ، والثَّعالبي (٨٧٥هـ) ، والبقاعي (٨٨٥هـ) ، ومحمَّد بن عبد الرَّحمن الإِيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأبو السُّعود (٩٨٢هـ) ، والشِّهاب الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، والزّرقاني (١١٢٢هـ) ، والبروسوي (١١٢٧هـ) ، والجمل (١٢٠٤هـ) ، وابن عجيبة (١٢٢٤هـ) ، والصَّاوي (١٢٤١هـ) ، والآلوسي (١٢٧٠هـ) ، والمراغي (١٣٧١هـ) ، وسيِّد قطب (١٣٨٥هـ) ، والطَّاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ، والشَّعراوي (١٤١٨هـ) ، ووهبة الزُّحيلي ، وغيرهم كثير .. ومن أهل الحديث وعلومه :

---

(١) (رقم الفتوى : ٤٨٩ ، التاريخ : ٠٢-٠٢-٢٠١٠) .

الخطَّابي (٣٨٨هـ) ، والحاكم (٤٠٥هـ) ، وابن فورك (٤٠٦هـ) ، وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، وابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، والمازري (٥٣٦هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، وابن عساكر (٥٧١هـ) ، والمنذري (٦٠١هـ) ، ومحمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدّبيثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، وأبو العبَّاس القرطبي (٦٥٦هـ) ، والعز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، ومحمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، وابن المنير (٦٨٣هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الزَّملكاني (٧٢٧هـ) ، وابن جماعة (٧٣٣هـ) ، وعبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والزَّيلعي (٧٤٣هـ) ، وصلاح الدِّين ، خليل بن كيكلدي العلائي (٧٦١هـ) ، وأحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ) ، ومحمَّد بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) ، وعمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) ، والعراقي (٨٠٦هـ) ، والهيثمي (٨٠٧هـ) ، أبو زرعة العراقي (٨٢٦هـ) ، ومحمَّد بن أبي بكر الدّماميني (٨٢٧هـ) ، وأبو عبد الله محمَّد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي (٧٢٨هـ) ، وبرهان الدِّين بن محمَّد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي (٨٤١هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن محمَّد مرزوق الحفيد (٨٤٢هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن موسى الكفيري (٨٤٦هـ) ، ومحمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ومحمود بن أحمد العيني بدر الدِّين أبو محمَّد (٨٥٥هـ) ، والسَّخاوي (٩٠٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) ، وابن علَّان (١٠٥٧هـ) ، والمناوي (١٠٣١هـ) ، وعلي القارّي (١٠١٤هـ) ، والبيقوني (المتوفى نحو ١٠٨٠هـ) ، والسندي (١١٣٦هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وعلي بن سليمان البجمعوي المغربي المالكي (١٢٩٨هـ) ، واللكنوي (١٣٠٤هـ) ، وشبير العثماني (١٣٦٩هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل الفقه وأصوله : فمن الحنفيَّة : الجصَّاص (٣٧٠هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وعبد العزيز البخاري (٤٤٩هـ) ، والبزدوي (٤٨٢هـ) ، والسَّرخسي (٥٥٢هـ) ، والكاساني (٥٨٧هـ) ، والميرغناني (٥٩٣هـ) ، والزَّيلعي (٧٤٣هـ) ، والكمال بن الهمام (٨٦١هـ) ، وابن أمير الحاج (٨٧٩هـ) ، ابن نجيم (٩٧٠هـ) ، والشّرنبلالي (١٠٦٩هـ) ، والحصكفي (١٠٨٨هـ) ، وابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، وأحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، وغيرهم كثير ....

ومن المالكيَّة : ابن رشد (٥٢٠هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والقرافي (٦٨٤هـ) ، وابن جزي (٧٠٨هـ) ، ، وابن الحاج (٧٣٧هـ) ، والشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، والسَّنوسي (٨٩٥هـ) ، وزرُّوق (٨٩٩هـ) ، والدَّردير (١٢٠١هـ) ،

والزّرقاني (١١٢٢هـ) ، والنّفراوي (١١٢٥هـ) ، والدَّسوقي (١٢٣٠هـ) ، وابن عليش (١٢٩٩هـ) ، وغيرهم الكثير الكثير ...

ومن الشَّافعيَّة : ابن النَّقيب (٤٥١هـ) ، والجويني (٤٧٨هـ) ، والغزالي (٥٠٥هـ) ، والاسفرائيني (٤١٨هـ) ، والباقلَّاني (٤٠٣هـ) ، والشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، والمتولِّي (٤٧٨هـ) ، والسَّمعاني (٥٦٢هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والرَّافعي (٦٢٣هـ) ، والآمدي (٦٣١هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، والعز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الرِّفعة (٧١٠هـ) ، والسُّبكي تقي الدِّين (٧٥٦هـ) ، تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، والأذرعي (٧٨٣هـ) ، والحصني (٨٢٩هـ) ، وابن المقرّي (٨٣٧هـ) ، والرَّملي (٨٤٤هـ) ، والمحلِّي (٨٦٤هـ) ، وزكريَّا الأنصاري (٩٢٦هـ) ، وابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) ، والشَّربيني (٩٧٧هـ) ، والبجيرمي (١٢٢١هـ) ، والبيجوري (١٢٧٦هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن أهل التَّواريخ والسِّير والتَّراجم : وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وابن عساكر (٤٩٩هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، والسُّهيلي (٥٨١هـ) ، وابن الأثير (٦٣٠هـ) ، وابن خلِّكان (٦٨١هـ) ، والمحب الطَّبري (٦٩٤هـ) ، والصَّفدي (٦٩٦هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والتِّلمساني (٧٧١هـ) ، وابن خلدون (٨٠٨هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، والصَّالحي (٩٤٢هـ) ، وغيرهم الكثير ...

ومن أهل اللغة : الجرجاني (٤١٧هـ) ، وابن الأنباري (٣٧٧هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وابن مالك (٦٧٢هـ) ، وابن عقيل (٥١٣هـ) ، وابن هشام (٧٦١هـ) ، وابن منظور (٧١١هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والأزهري (٣٧٠هـ) ، وأبو حيَّان (٧٤٥هـ) ، وابن فارس (٣٩٥هـ) ، والكفوي (٩٩٠هـ) ، وابن آجروم (٧٢٣هـ) ، وغيرهم كثير ...

ومن القادة : نور الدِّين الشَّهيد (١١٧٤م) ، وصلاح الدِّين الأيوبي (٥٨٩هـ) ، والمظفَّر قُطز (٦٥٨هـ) ، والظَّاهر بيبرس (٦٧٦هـ) ، والسَّلطان محمَّد الفاتح (١٤٨١م) ، وغيرهم كثير ...

فهؤلاء هم الفحول الذي اعتنقوا عقيدة التَّنزيه التي خالفها وعارضها من يدَّعون السَّلفيَّة ، فإذا استثنينا هؤلاء الصِّيْد الميامين من أهل الكتاب والسُّنَّة ، فلا يتبقَّى إلَّا الرّعاع الشَّراذم الذين لا تقوم بهم للدِّين قائمة ، ولا تهتدي بهم في دروب الهلاك هائمة ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

ونُتابعُ ما ذكره علماء الأمَّة في تأويل الهرولة المُضافة إلى الله تعالى ، فنقول :

قال الإمام القاضي أبو يعلى ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن خلف ابن الفرَّاء (٤٥٨هـ) : " ... وقد روي هَذَا فِي حديث أَبِي ذر ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يقول اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ : من عمل حسنة فله عشر أمثالها ، ومن عمل سيِّئة فجزاؤه مثلها ، ومن اقترب إليَّ شبراً اقتربت إِلَيْهِ ذراعاً " فدلَّ هَذَا عَلَى أنَّ المراد بذلك التَّضعيف ، وَلا يكون المراد به السَّير ، وإنَّما سمَّاه ذلك توسُّعاً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ ﴾ [الحج : ٥١] ، والسَّعي هُوَ العَدْو والإسراع فِي المشي ، وليس ذلك بمراد أنَّهم مشوا ، بل المراد بذلك استعجالهم المعاصي ، ومبادرتهم إِلَى فعلها ، كذلك ها هنا ، والذي يدلُّ عَلَى صحة هَذَا التَّأويل : مَا تقدم فِي حديث أَبِي هريرة : " ومن جاء يمشي ، أقبل اللهَّ إِلَيْهِ بالخير يهرول " ، وقد ذكرنا إسناده ، وهذه لفظة زائدة قضينا بها عَلَى غيرها من الألفاظ المطلقة ، ويعضد ذلك تفسير السَّلف :

وَهُوَ مَا نا أَبُو عبد اللهَّ بْن البغدادي ، عَن ابن مالك ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْن أحمد ، عَن أحمد بِإِسْنَادِهِ ، عَن أنس ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنَّه ذكر الحديث ، قَالَ قتادة (١١٨هـ) : " واللهُ أسرعُ بالمغفرة " ، ويفارق هَذَا مَا تقدَّم من أخبار النُّزول إِلَى السَّماء الدُّنيا ، ومجيئه فِي ظلل من الغمام ، وأنَّها محمولة عَلَى ظاهرها فِي نزول الذَّات ومجيء الذَّات لا عَلَى وجه الانتقال ، ولم يجز تأويله عَلَى نزول ثوابه وكراماته ، لأَنَّهُ لَمْ يرد فِي ألفاظه مَا دلَّ عَلَيْهِ ، وها هنا قد جاء التَّفسير من النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلهذا حملناه عَلَيْهِ " (١) .

فالقاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ) في كتابه : " إبطال التَّأويلات !!! " لم يستطع أن يمرَّ الحديث على ظاهر معناه ، كما فعل مع ألفاظ أخرى عديدة ، فلجأ إلى التَّأويل ، وهكذا هم على الدَّوام : يراوغون ، فيؤولون في الأمور التي لا تستقيم إلَّا بالتَّأويل ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، قالوا : هو معنا بالعِلْم ، وقوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [فصلت : ٥٤] ، قالوا : الإحَاطَةَ بالعِلْمِ ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أما عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أما عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أما عَلِمْتَ أَنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أما عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ

(١) انظر : إبطال التأويلات لأخبار الصِّفات (١/ ٤٤٩-٤٥٠) .

أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ ، فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أما إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي " (١)...

فهل يأخذ مُدَّعو السَّلفيَّة بظاهر هذا الحديث الصَّحيح أم أنَّهم يؤولونه بلا مثنويَّة ؟!! فكيف يمرض الحقُّ تعالى ؟؟!! وكيف يكون رِجْلاً ؟؟!!! وكيف يكون يَداً ؟!!! تعالى الله عمَّا يقول الظَّالمون علوَّاً كبيراً ... وهل التَّأويل حِكراً عليهم ، أم أنَّ الله تعالى آتاهم من الفهم والمعرفة ما لم يؤتي أحداً من العالمين ؟!!! نبِّئونا بعلم إن كنتم صادقين ...

وقال الإمام البيهقي أيضاً : " وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِسُرْعَةِ إِجَابَةِ اللهَّ لِعَبْدِهِ وَقَبُولِهِ لِعِبَادَتِهِ . وَفِيمَا أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قَتَادَةَ ، قَالَ : وَفِيمَا أَمْلَى عَلَيْنَا الْإِمَامُ أَبُو سَهْلٍ محمَّد بْنُ سُلَيْمَانَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : " يَقْرُبُ الْعَبْدُ بِالْإِحْسَانِ ، وَيَقْرُبُ الْحَقُّ بِالِامْتِنَانِ ، يُرِيدُ أَنَّه الَّذِي أَدْنَاهُ ، وَيَقْرُبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ ، وَيَقْرُبُ الْبَارِي إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفَرَةِ ، وَيَقْرُبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ ، وَيَقْرُبُ إِلَيْهِ بِالنَّوَالِ ، وَيَقْرُبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِالسِّرِّ ، وَيَقْرُبُ إِلَيْهِ بِالْبِشْرِ ، قَالَ : وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ : إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ بِمَا تَعَبَّدْتُهُ قَرَّبْتُ إِلَيْهِ مَا لَهُ عَلَيْهِ وَعَدْتُهُ " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، ثنا الْإِمَامُ أَبُو سَهْلٍ محمَّد بْنُ سُلَيْمَانَ إِمْلَاءً ، أنا محمَّد بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَبُو بَكْرٍ الْإِمَامُ ، ثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ ، حدَّثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّه قَالَ : " إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي عَبْدِي شِبراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بُوعاً وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي بُوعاً أَتَيْتُهُ أُهَرْوِلُ " أَوْ كَمَا قَالَ . قَالَ الشَّيخ أَبُو سَهْلٍ : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اخْتِصَارٌ ، وَلَفْظَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا هَذَا الرَّاوِي ، إِذْ سَائِرُ الرُّوَاةِ يَقُولُونَ : " إِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً " وَيَقُولُونَ فِي تَمَامِ الْحَدِيثِ : " وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ أُهَرْوِلُ " . وَالْبَاعُ وَالْبُوعُ مُسْتَقِيمَانِ فِي اللُّغَةِ ، جَارِيَتَانِ عَلَى سَبِيلِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْأَصْلُ فِي الْحَرْفِ الْوَاوُ فَقَلَّبْتُ الْوَاوُ أَلْفًا لِلْفَتْحَةِ . ثمَّ الْجَهْمِيَّةُ وَأَصْنَافُ

---

(١) أخرجه مسلم ، (٤/ ١٩٩٠ برقم ٢٥٦٩) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٥٠٣ برقم ٢٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤١٢ برقم ٨٧٥٢) ، الأسماء والصِّفات (١/ ٥٤٦ برقم ٥٧٣) .

(٢) انظر : الأربعون الصغرى ، البيهقي (ص٨٧) .

الْقَدَرِيَّةِ وَأَخْيَافُ الْمُعْتَزَلِيَّةِ الْمُجْتَرِئَةِ عَلَى رَدِّ أَخْبَارِ الرَّسول بِالْمُزَيَّفِ مِنَ الْمَعْقُولِ ، لَمَّا رُدُّوا إِلَى حَوْلِهِمْ وَأَحاطَ بِهِمُ الْخِذْلَانُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ بِخَدَائِعِهِ الشَّيْطَانُ ، وَلَمْ يَعْصِمْهُمُ التَّوْفِيقُ وَلَا اسْتَنْقَذَهُمُ التَّحْقِيقُ ، قَالُوا : الْهَرْوَلَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ الْجِسْمِ الْمُنْتَقِلِ ، وَالْحَيَوَانُ الْمُهَرْوِلُ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ حَرَكَاتِ الْإِنْسَانِ كَالْهَرْوَلَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْحَجِّ ، وَهكَذَا قَالُوا ، فِي قَوْلِهِ : " تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً " ، تَشْبِيهٌ إِذْ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ الْمُتَقَارِبَةِ ، وَالْأَجْسَامِ الْمُتَدَانِيَةِ الْحَامِلَةِ لِلْأَعْرَاضِ، ذَوَاتِ الِانْبِسَاطِ وَالِانْقِبَاضِ ، فَأَمَّا الْقَدِيمُ الْمُتَعَالِي عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَعَنْ نُعُوتِ الْمُخْتَرِعِينَ ، فَلَا يُقَالُ عَلَيْهِ مَا يَنْثَلِمُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَلَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ التَّمْجِيدُ.

فَأَقُولُ : إِنَّ قَوْلَ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَافِقٌ لِقَضَايَا الْعُقُولِ إِذْ هُوَ سَيِّدُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَلَكِنْ مَنْ نَبَذَ الدِّين وَرَاءَهُ وَحَكَّمَ هَوَاهُ وَآرَاءَهُ ، ضَلَّ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبَاءَ بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنْ مَوْلَاهُ بِطَاعَاتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ سِرًّا وَعَلَنًا، كَالَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي بِمِثْلِ مَا تَقَرَّبَ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، فَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَكُونَ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً " .

وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَطِيفِ التَّمْثِيلِ عِنْدَ ذَوِي التَّحْصِيلِ ، الْبَعِيدُ مِنَ التَّشْبِيهِ ، الْمَكِينُ مِنَ التَّوْحِيدُ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ الْحَقُّ عَلَى الْمُتَقَرِّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى لَا يَسْمَعُ شَيْئاً إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا عَنْهُ ، نَشْراً لِآلَائِهِ ، وَذِكْرًا لِنَعْمَائِهِ ، وَإِخْبَاراً عَنْ مِنَنِهِ الْمُسْتَغْرِقَةِ لِلْخَلْقِ ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : يَسْمَعُ بِهِ وَيَنْطِقُ وَلَا يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَى مَنْظُورٍ إِلَيْهِ إِلَّا رَآهُ بِقَلْبِهِ مُوَحِّداً ، وَبِلَطَائِفِ آثَارِ حِكْمَتِهِ ، وَمَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْئِيِّ الْمُشَاهِدِ ، يَشْهَدُهُ بِعَيْنِ التَّدْبِيرِ وَتَحْقِيقِ التَّقْدِيرِ ، وَتَصْدِيقِ التَّصْوِيرِ :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ شَاهِدٌ　　　يَدُلُّ عَلَى أَنَّه وَاحِدٌ

فَتَقَرُّبُ الْعَبْدِ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَقَرُّبُ الْحَقِّ بِالِامْتِنَانِ ، يُرِيدُ أَنَّه الَّذِي أَدْنَاهُ ، وَتَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ، وَتَقَرُّبُ الْبَارِي إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَتَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ ، وَتَقَرُّبُهُ إِلَيْهِ بِالنَّوَالِ ، وَتَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ بِالسِّرِّ وَتَقَرُّبُهُ إِلَيْهِ بِالْبِشْرِ ، لَا مِنْ حَيْثُ تَوَهَّمَتْهُ الْفِرْقَةُ الْمُضِلَّةُ لِلْأَغْمَارِ وَالْمُتَغَابِيَةُ بِالْإِعْثَارِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ : إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ بِمَا بِهِ تَعَبَدْتُهُ ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِمَا لَهُ عَلَيْهِ وَعَدْتُهُ . وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ : إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ خَرَجَ عَلَى طَرِيقِ الْقُرْبِ مِنَ الْقُلُوبِ دُونَ الْحَوَاسِّ ، مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ الْعُيُوبِ عَلَى حَسَبِ مَا يَعْرِفُهُ الْمُشَاهِدُونَ ، وَيَجِدُهُ الْعَابِدُونَ مِنْ أَخْبَارِ دُنُوِّ مَنْ يَدْنُو مِنْهُ ، وَقُرْبِ مَنْ يَقْرُبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَلَى هَذِهِ

السَّبِيلِ وَعَلَى مَذْهَبِ التَّمْثِيلِ وَلِسَانِ التَّعْلِيمِ بِمَا يَقْرُبُ مِنَ التَّفْهِيمِ ، إِنَّ قُرْبَ الْبَارِي مِنْ خَلْقِهِ بِقُرْبِهِمْ إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْهَرْوَلَةِ ، إِنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ سُرْعَةِ الْقَبُولِ وَحَقِيقَةِ الْإِقْبَالِ وَدَرَجَةِ الْوُصُولِ ، وَالْوَصْفُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى الْمَخْلُوقِ مَصْرُوفٌ عَلَى مَا هُوَ بِهِ لَائِقٌ، وَبِكَوْنِهِ مُتَحَقِّقٌ ، وَالْوَصْفُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَصْرِفُهُ لِسَانُ التَّوْحِيدِ ، وَبَيَانُ التَّجْرِيدِ ، إِلَى نُعُوتِهِ الْمُتَعَالِيَةِ ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى .

وَلَوْلَا الْإِمْلَالُ أَحْذَرُهُ وَأَخْشَاهُ ، لَقُلْتُ فِي هَذَا مَا يَطُولُ دَرْكُهُ ، وَيَصْعُبُ مِلْكُهُ ، وَالَّذِي أَقُولُ فِي هَذَا الْخَبَرِ وَأَشْبَاهِهِ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَنْقُولَةِ عَلَى الصِّحَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ بِالرُّوَاةِ الْأَثْبَاتِ الْعُدُولِ ، وُجُوبَ التَّسْلِيمِ ، وَلَفْظَ التَّحْكِيمِ ، وَالِانْقِيَادَ بِتَحْقِيقِ الطَّاعَةِ ، وَقَطْعِ الرَّيْبِ عَنِ الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الصَّحَابَةِ النُّجَبَاءِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ الله تَعَالَى لَهُ وُزَرَاءَ وَأَصْفِيَاءَ ، وَخُلَفَاءَ ، وَجَعَلَهُمُ السُّفَرَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ حَقِّ عِدَاهُ أَوْ عَدُوِّهِ ، وَصِدْقٍ تَجَاوَزُوهُ ، والنَّاس ضَرْبَانِ : مُقَلِّدُونَ وَعُلَمَاءُ ، فَالَّذِينَ يُقَلِّدُونَ أَئِمَّةَ الدِّين سَبِيلُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ عِنْدَ هَذِهِ الْمَوَارِدِ ، وَالَّذِينَ مُنِحُوا الْعِلْمَ وَرُزِقُوا الْفَهْمَ هُمُ الْأَنْوَارُ الْمُسْتَضَاءُ بِهِمْ ، وَالْأَئِمَّةُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ ، وَلَا أَعْلَمُهُمْ إِلَّا الطَّائِفَةَ السُّنِّيَّةَ ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (١) .

وما تضمَّنه كلام الإمام البيهقي لا يُعجبُ من يدَّعون السَّلفيَّة ، ولذلك أخرجوه من أهل السُّنَّة – كما تقدَّم – وهو الذي روى لنا سنَّة الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!! ولذلك أغاروا على مجموع كتبه فكتب المدعو : أحمد بن عطيَّة بن علي الغامدي رسالته للدُّكتوراه التي كانت بعنوان : " البيهقي وموقفه من الإلهيَّات " ، وخالف !!! البيهقي في العديد من القضايا الرَّئيسة ، وصرَّح بأنَّ البيهقي خالف السَّلف في القول بحلول الحوادث بذات الله تعالى !!! بمعنى أنَّه – سبحانه– يفعل متى شاء كيف شاء ، لذلك قال بقدم جميع صفات الذَّات العقليَّة ، وعدم حدوث شيء منها ، وزعم الباحث بأنَّ السَّلف يقولون بأنَّها قديمة النَّوع حادثة الآحاد !!! تماماً كما قال ابن تيمية ، لأنَّ ابن تيمية عندهم هو السَّلف ، بل ما يقوله هو الإسلام ...

كما ادَّعى الغامدي بأنَّ البيهقي خالف السَّلف !!! في صفات الفعل الخبريَّة ، حيث ذهب إلى تأويل بعضها ، وتفويض بعضها الآخر ، زاعماً – كما يقول – أنَّ التَّفويض في ما فوَّض فيه هو مذهب السَّلف ،

---

(١) انظر : الأسماء والصِّفات ، البيهقي (٢/ ٣٨٢-٣٨٣) .

وزعم الغامدي بأنَّ مذهب السَّلف هو الإثبات الحقيقي !!! لجميع الصِّفات إثباتاً لا تأويل فيه ، ولا تشبيه ...الخ ... وهذا هو ديدن من يدَّعون السَّلفيَّة : لا يُقيمون وزناً لعالم إذا كان على غير طريقتهم ومشربهم ، بل لا يستطيعون أن ينظروا في كلامه ، لأنَّهم رُبُّوا ونشأوا على ذلك ، وإلا فمن هم ومشايخهم إذا ما قورنوا بالإمام البيهقي وغيره ممن نقلنا عنهم ، وما أحرانا أن نتمثَّل في مثل هذا المقام قول المعرِّي :

فواعجباً كم يدَّعي الفضل ناقصٌ ... ووا أسفاً كم يُظهر النقص فاضلُ
إذا وصف الطائيَّ بالبُخل مادرٌ ... وعيَّر قُساًّ بالفهاهَةِ باقلُ
وقال السُّهى للشمسِ أنتِ ضئيلةٌ ... وقال الدُّجى للصُّبح لونُك حائلُ
وطاولت الأرضُ السَّماء سفاهةً ... وفاخرت الشُّهبُ الحصا والجنادلُ
فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جدّي إن دهرك هازلُ

وقال الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنَّا الحنبلي البغدادي (٤٧١ هـ) : " قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) : ومعناه عندنا : من تقرَّب بالطاعة وأتاني بها ، أتيته بالثَّواب أسرع من إتيانه ، فكنَّى عن ذلك بالمشي وبالهرولة ، كما قال تعالى : " وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنا مُعاجِزِينَ " [سبأ : ٣٨] ، والسَّعي الإسراع في المشي ، وليس يريد أنَّهم مشوا ، وإنَّما أسرعوا بنياتهم وأعمالهم " (١) .

وقال الشَّيخ ، الإِمَامُ ، البَحْر ، حجَّةُ الإِسْلاَم ، أُعجوبَة الزَّمَان ، زَيْنُ الدِّين ، أَبُو حَامِد محمَّد بنُ محمَّد بنِ محمَّد بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ ، الشَّافِعِيّ ، الغَزَّالِي ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ ، وَالذَّكَاءِ المُفرط (٥٠٥هـ) : " ... فإنَّ الهرولة عند الجاهل تدلُّ على نقل الأقدام وشدّة العدو ، وكذا الاتيان يدلُّ على القُربِ في المسافة ؟ وعند العاقل يدلُّ على المعنى المطلوب من قرب المسافة بين النَّاس ، وهو قرب الكرامة والانعام ، وإنَّ معناه : أنَّ رحمتي ونعمتي أشدّ انصباباً إلى عبادي من طاعتهم إليَّ " (٢) .

وما ذكره الإمام الغزالي وغيره من المنزِّهين الذين ذكرنا أقوالهم ، هو التَّأويل الحقُّ الذي لا محيْدَ عنه ، ولا مِرْية فيه ، وهو التَّأويل الذي قال بمضمونه أهل الكتاب والسُّنَّة جميعاً ، فلفظ التَّقرُّب والهرولة ... لا يحتملُ غيره إذا ما أُضيفَ إلى جلال الله سبحانه وتعالى ...

---

(١) انظر : المختار في أصول السُّنَّة (ص١٦١) .

(٢) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص٨٦) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي (٥١٦هـ) : " رُوِيَ عَنِ الأَعْمَشِ (١٤٨هـ) فِي تَفْسِيرِهِ ، قَالَ : تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، يَعْنِي : بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَكَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : إِنَّ مَعْنَاهُ : إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ بِطَاعَتِي ، وَاتِّبَاعِ أَمْرِي ، تَتَسَارَعُ إِلَيْهِ مَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي " (١) .

وهذا تأويل من عالم سلفيٍّ كبير ، هو الإمام سليمان بن مهران الأعمش ، وهو من أعيان القرن الثَّاني الهجري ، نقله عنه محيي السُّنَّة الإمام البغوي الذي أثنى عليه وعلى تفسيره علماؤكم ، فما قولكم ؟!! وماذا تقولون فيه يا من تدَّعون السَّلفيَّة ؟!!!!

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفرَّاء البغوي الشَّافعي أيضاً : " ... وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي ، أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ " ، قَالَ قَتَادَةُ : وَاللهُ أَسْرَعُ بِالْمَغْفِرَةِ " (٢) .

وهنا ينقل البغوي تأويل الهرولة المضافة إلى الله تعالى عن الإمام السَّلفي : قتادة بن دعامة السَّدوسي الأعمى الحافظ أبو الخطَّاب المتوفَّى سنة (١١٨هـ) ، فماذا يقول مدَّعو السَّلفيَّة ؟!! هل ما زالوا يصرُّون على أنَّ السَّلف لا يؤوِّلون ؟؟؟!!!...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عمر التَّميمي المازري المالكي (٥٣٦هـ) : " وأمَّا قوله : " وإن تَقَرَّب مِنّي شِبراً ، تقرَّبت منه ذراعاً " ، وَقوله : " وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " ، فمجاز كلُّه ، وإنَّما هو تمثيل بالمحسوسات وتفاوتها في الإسراع والدُّنوّ ، فإنَّما المراد : أنَّ من دنَا منِّي بالطَّاعة ، دنوت منه بالإثابة (وكنت بالإثابة) أسْرعَ منه بالطَّاعةِ ، وأن من أتاني بحسنةٍ جازيته بعشر ، فكنَّى عن التَّضعيف بالسُّرعة ودنوّ المسافة . فهذا الذي يليق بالله سبحانه . وأمَّا المشي بَطِيِّه وسريعه ، والتَّقرُّب بالذِّراع والباع ، فَمِن صفات الأجسام ، والله سبحانه ليس بجسم ، ولا يجوز عليه تنقُّل ولا حركةٌ ولا سكون ، وهذا واضح بَيِّنٌ " (٣) .

وقال الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السّبتي ، أبو الفضل (٥٤٤هـ) : " وأمَّا قوله : " وإن تقرَّب منِّي شبراً ، تقرَّبت منه ذراعاً " ، وقوله : " وإن أتاني يمشى أتيته هرولة " ،

---

(١) انظر : شرح السُّنَّة (٥/ ٢٦) .

(٢) انظر : شرح السُّنَّة (٥/ ٢٤) .

(٣) انظر : المُعْلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٢٤) .

فمجاز كلُّه ، وإنَّما هو تمثيل بالمحسوسات وتفاوتها في الإسراع والدُّنو ، وإنَّما المراد : أنَّ من دنى منى بالطاعة دنوت منه بالإنابة ، وكنت بالإنابة أسرع منه بالطَّاعة ، أو أنَّ من أتاني بحسنة جازيته بعشر ، فكنَّى عن التَّضعيف بالسُّرعة ودنوّ المسافة ، فهذا الذى يليق بالله سبحانه . وأمَّا المشي بطيؤه وسريعه – والتقرُّب بالذِّراع والباع ، فمن صفات الأجسام ، والله – سبحانه – ليس بجسم ، ولا يجوز عليه تنقل ولا حركة ولا سكون ، وهذا واضح بيِّن .

قال القاضي : قيل : يجوز أن يكون معنى قوله : " من تقرَّب إليّ شبراً " : أي : بالقصد والنيَّة ، قرَّبته توفيقاً وتيسيراً ذراعاً ، وإن تقرَّب إليَّ بالعزم والاجتهاد ذراعاً ، قرَّبته بالهداية والرِّعاية باعاً ، وإن أتاني معرضاً عمَّن سواي مقبلاً إليَّ أدنيته ، وحلَّت بينه وبين كلِّ قاطع ، وسبقت به كلَّ مانع ، وهو معنى الهرولة " (١) .

وقال الإمام عياض اليحصبي أيضاً : " قوله : " أتيته هرولة " ، وأهرول ويهرولون ، قال وكيع : معناه في سرعة وإجابة . قال الخليل : الهرولة بين المشي والعدو .

قال القاضي رحمه الله : ومعناه في حقِّ الله تعالى الذي لا تجوز عليه الحركة والانتقال : سرعة إجابته لعبده ، وقُرب تقريبه من هدايته ورحمته " (٢) .

وقال الإمام إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ، أبو إسحاق ابن قرقول (٥٦٩هـ) : " قوله: " أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " معناه : في سرعة وإجابة . قال الخليل (١٧٠هـ) : الهرولة بين المشي والعدو . قَالَ القاضي : ومعناه هنا في حقِّ الله عَزَّ وَجَلَّ الذي لا تجوز عليه الحركة والانتقال : سرعة إجابته ، وقرب قبول توبة العبد ، وقرب تقرُّبه من هدايته ورحمته " (٣) .

قال الإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) : " والتقرُّب والهرولة توسُّع في الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [الحج : ٥١] ، ولا يُراد به المشي " (٤) .

---

(١) انظر : شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكَمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم (٨/ ١٧٣-١٧٤) .

(٢) انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٦٨) .

(٣) انظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٦/ ١٢٣) .

(٤) انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص٢٣٣) .

وقال الإمام أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) : " قوله : " ومن أتاني يمشي؟ أتيته هرولة " ، فقالوا : ليس المراد به دنوّ الاقتراب ، وإنَّما المراد قرب المنزل والحظ " (١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرّي (٦٠٦هـ) : " رُوِيَ فِي الْخَبَرِ : " مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " ، أي : من أقبل إِلَيَّ بِطَاعَتِهِ ، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ بِهِدَايَتِي وَإِرْشَادِي ، بِأَنْ أَشْرَحَ لَهُ صَدْرَهُ وَأُسَهِّلَ أَمْرَهُ " (٢) .

قال الإمام الرَّازي في تعليقه على الحديث السَّابق : " ... إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ " (٣) .

وقال الإمام الرَّازي أيضاً : " قوله صلى الله عليه وسلم: " من أتاني يمشي أتيته هرولة " ، ولا يشكُّ كلُّ عاقل أنَّ المراد منه التَّمثيل والتَّصوير " (٤) .

وقال الإمام مجد الدِّين أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " الْهَرْوَلَةُ : بَيْنَ الْمَشْي والْعَدْوِ ، وَهُو كِنَايَة عَنْ سُرْعَة إجَابة اللهَّ تَعالى ، وقَبُولِ تَوْبَة العَبْد ، ولُطْفه وَرَحْمَته " (٥) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " ... كَقَوْلِه تَعَالَى : " تقربت مِنْهُ باعاً ... أَتَيْته هرولة " ، وَذكر أَن كل الْعلمَاء تَأَوَّلَه على الْقبُول من الله لعَبْدِهِ " (٦) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) : " ... ويتأوَّل في قوله عليه السَّلام : " من تقرَّب منِّي شبراً ، تقربت منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي ، أتيته هرولة " ، قُرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول " (٧) .

---

(١) انظر : صيد الخاطر (ص١٣٢) .

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٧/ ٥٨٨) .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٨/ ٢٣٩) .

(٤) انظر : أساس التقديس (ص١٥٧) .

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٦١) .

(٦) انظر : طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٤٧٠) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٩٠) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات وَيَسْتَحِيلُ إِرَادَةُ ظَاهِرِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي أَحَادِيثِ الصِّفات مَرَّاتٍ ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بطَاعَتِي ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ ، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ ، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي ، " أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " ، أَيْ : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ جَزَاءَهُ يكون تضعيفه عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ . قَوْلُهُ تَعَالَى فِي رِوَايَةِ محمَّد بن جعفر : " وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ " ، هَكَذَا هُوَ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ : " جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ " ، وَفِي بَعْضِهَا : " جِئْتُهُ بِأَسْرَعِ " ، فَقَطْ ، وَفِي بَعْضِهَا : : أَتَيْتُهُ " ، وَهَاتَانِ ظَاهِرَتَانِ ، وَالْأَوَّلُ صَحِيحٌ أَيْضاً ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا لِلتَّوْكِيدِ ، وَهُوَ حَسَنٌ ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ " (١) .

وقال الإمام النَّووي أيضاً : " أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " ، أيْ : صَبَبْتُ عَلَيهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا ، وَلَمْ أحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الكَثِيرِ فِي الوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ) : " الهَرْوَلَة : بَيْنَ العَدْوِ وَالْمَشْيِ ، وَقِيلَ : الهَرْوَلَة بَعْدَ العَنَق ، وَقِيلَ : الهَرْوَلَة الإِسراع . الْجَوْهَرِيُّ : الهَرْوَلَة ضرْب مِنَ العَدْو وَهُوَ بَيْنَ الْمَشْيِ والعَدْو . وَفِي الْحَدِيثِ : " مَن أَتاني يَمْشِي أَتَيْته هَرْوَلَة " ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ إجابة اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ ولُطْفه وَرَحْمَتِهِ " (٣) .

وقال الإمام سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين (٧١٦هـ) : " ... وذكر حديث أبي هريرة وأبي ذر : " من تقرَّب منِّي ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " .

قلت : ووجه سؤاله منه : أنَّ ظاهره التَّجسيم .

قلت : وقد سبق تقرير قاعدة هذه الأحاديث .

ثمَّ الجواب عن هذا من وجهين :

---

(١) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ٣-٤) .

(٢) انظر : رياض الصالحين (ص١٤٧) .

(٣) انظر : لسان العرب (١١/ ٦٩٥-٦٩٦) .

أحدهما : أنَّ الحديث مؤوَّل عندنا على التقرُّب بالرَّحمة واللطف والإكرام ، كما يقال : فلان قريبٌ من السُّلطان ، والأمير قريبٌ من فلان ، يعني : تقارب القلوب والمنزلة ، وأنا وإن كنت أثريًّاً في آيات الصِّفات وأخبارها ، إلَّا أنَّ المجاز عندي في هذا الحديث ظاهر غالب ، فلا يتوقَّف في تأويله إلَّا جامد ... " (١) .

وأنا أقول للإمام الطُّوفي الأثري !!! وغيره من الأثريين : لماذا خالفتم منهجكم في آيات وأحاديث الصِّفات في هذا الحديث وأمثاله ؟! ولماذا هذا التَّقلُّبُ ، فهل وقع الإمام الطُّوفي بسبب التَّأويل في التَّعطيل والتَّحريف كما يسمِّيه من يدَّعون السَّلفيَّة ؟! أم أنَّ التَّعطيل والتَّحريف لا يكون إلَّا لمن أبوا إلَّا إن ينزِّهوا الله تعالى عن مشابهة الحوادث ، والجواب هو : وقف حمار الشَّيخ في العقبة ...

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) : " ... قُرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول " (٢) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (٧٢٥هـ) في كلامه على الحديث السَّابق : " وهذا من أحاديث الصِّفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، فلا بدَّ من التَّأويل ، فعلى هذا يكون ذكر الشِّبر ، والذِّراع ، والباع ، والمشي ، والهرولة ، استعارة ، ومجازاً ، فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى : القرب بالذِّكر والطَّاعة والعمل الصَّالح ، والمراد بقرب الله من العبد : قرب نعمه وألطافه وبرّه وكرمه وإحسانه إليه ، وفيض مواهبه ورحمته عليه ، والمعنى : كلَّما زاد بالطَّاعة والذِّكر ، زدت بالبرِّ والإحسان ، وإن أتاني في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي : صببت عليه الرحمة صبّاً وسبقته بها " (٣) .

وقال الإمام أبو عبد الله ، محمَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشَّافعي ، بدر الدِّين (٧٣٣هـ) : " ... وَحَيْثُ نُسب إِلَى الرَّب تَعَالَى ، فَالْمُرَاد بِهِ : الْمُبَالغَة فِي إِظْهَار الإقبال ، والرضى ، كَقَوْلِه : " فَإِن أَتَانِي يمشي ، أَتَيْته هرولة " ، تَمْثِيل للْمُبَالَغَة فِي إسراع المجازاة والإقبال " (٤) .

---

(١) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٧٠١-٧٠٢) .

(٢) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦/ ٣٠٠) .

(٣) انظر : تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل (١/ ١٢٦) .

(٤) انظر : إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص١٦٩) .

وقال الإمام ابن جماعة أيضاً : " وأمَّا قَوْله فِي الْقرب : شبْراً ، وذراعاً ، وباعاً ، وَالْمَشْي ، والهرولة ، فَإِنَّهُ تَمْثِيل للإقبال عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ ، والإجابة لَهُ وتعظيم أجره وثوابه على مِقْدَار الْعَمَل الَّذِي تقرَّب بِهِ ، فَأُرِيد تَمْثِيل ذَلِك بِمن أقبل على صَاحبه ومحبه قدر شبر ، فَأقبل عَلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَكمن مَشى إِلَى صَاحبه فهرول صَاحبه إِلَيْهِ قبولاً لَهُ وتكريماً ، وَقيل : مَعْنَاهُ : توفيقه وتيسير الْعَمَل المتقرب بِهِ عَلَيْهِ " (١) .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) : "... قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول " (٢) .

وقال الإمام شرف الدِّين الحسين بن عبد الله الطِّيبي (٧٤٣هـ) : " هذا الحديث من أحاديث الصِّفات ، ويستحيل إرادة ظاهره . ومعناه : من تقرَّب إليَّ بطاعتي ، تقرَّبت إليه برحمتي ، والتَّوفيق في الإعانة ، وإن زادَ زدتُ ، وإن أتاني يمشي ويسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد : أنَّ جزاءه يكون تضعيفه على حساب تقرُّبه .

الهرولة : ضربٌ من التسرُّع في السَّير ، وهو فوق المشي ودون العدو ، وهذه أمثال يقرّب بها المعنى المراد منها إلى أفهام السَّامعين ، والمراد منها : أنَّ الله تعالى يكافئ العبد ويجازيه في معاملاته التي يقع بها التقرُّب إلى الله بأضعاف ما يتقرَّب العبد به إلى الله . وسمَّى الثَّواب تقرُّباً مشاكلة وتحسيناً ، ولأنَّه من أجله وبسببه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها ﴾ [الشورى : ٤٠] . وقيل : تقرُّب الباري سبحانه إليه بالهداية ، وشرح صدره لما تقرَّب به ، وكأنَّ المعنى : إذا قصد ذلك وعملـــه أعنته عليه وسهَّلته له " (٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدِّمشقي ، الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وَقَوْلِهِ : " يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا مَعَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعاً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " . وَمَنْ فَهِمَ

(١) انظر : إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص١٩١) .

(٢) انظر : نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦/ ٣٠٠) .

(٣) انظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) (٥/ ١٧٢٣-١٧٢٤) .

مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ تَشْبِيهاً أَوْ حُلُولاً أَوِ اتِّحَاداً ، فَإِنَّمَا أُتِيَ مِنْ جَهْلِهِ ، وَسُوءِ فَهْمِهِ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) : " ووصفه تعالى لنفسه بأنه يتقرَّب إلى عبده ، ووصف العبد بالتقرُّب إليه ، ووصفه بإتيانه هرولة ، فإنَّ التقرُّب والإتيان ، وإن كان يحتمل الحقيقة والمجاز ، وحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات وترائي الأجسام ، وذلك لا يليق به تعالى ، فاستحال حملها عليه ، فتعيَّن المجاز لشهرة ذلك في كلام العرب ، فوجب أن يكون وصف العبد بالتقرُّب إليه شبراً أو ذراعاً ، وإتيانه ومشيه هرولة ، معناه : التَّقرُّب إليه بطاعته وأداء مفروضاته ، ويكون تقرُّبه تعالى من عبده وإتيانه كذلك عبارة عن إثابته على طاعته من رحمته ، ويكون معنى قوله : " أتيته هرولة " ، أي : أتاه ثوابي مُسْرِعَاً " (٢) .

وقال الإمام أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) : " قَالَ الْخَطَّابِيُّ : هَذَا مَثَلٌ ، وَمَعْنَاهُ : حُسْنُ الْقَبُولِ وَمُضَاعَفَةِ الثَّواب عَلَى قَدْرِ الْعَمَلِ الَّذِي يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ مُمَثَّلاً بِفِعْلِ مَنْ أَقْبَلَ نَحْوَ صَاحِبِهِ قَدْرَ شِبْرٍ فَاسْتَقْبَلَهُ صَاحِبُهُ ذِرَاعاً ، وَكَمَنْ مَشَى إِلَيْهِ فَهَرْوَلَ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ قَبُولاً لَهُ وَزِيَادَةً فِي إِكْرَامِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ : التَّوْفِيقَ لَهُ وَالتَّيْسِيرَ لِلْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ مِنْهُ . وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ (٥٤٤هـ) : قِيلَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً ، أَيْ : بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ ، قَرَّبْته تَوْفِيقاً وَتَيْسِيراً ذِرَاعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِالْعَزْمِ وَالِاجْتِهَادِ ذِرَاعاً ، قَرَّبْته بِالْهِدَايَةِ وَالرِّعَايَةِ بَاعاً ، وَإِنْ أَتَانِي مُعْرِضاً عَمَّنْ سِوَايَ مُقْبِلاً إِلَيَّ ، أَدْنَيْتُهُ ، وَحُلْت بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ قَاطِعٍ ، وَسَبَقَتْ بِهِ كُلَّ صَانِعٍ ، وَهُوَ مَعْنَى الْهَرْوَلَةِ . وَقَالَ النَّوَوِي (٦٧٦هـ) : هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات ، وَيَسْتَحِيلُ إرَادَةُ ظَاهِرِهِ ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ ، وَإِنْ زَادَ زِدْت ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْته هَرْوَلَةً ، أَيْ : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ

(١) انظر : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (١/ ١٣١-١٣٢) .

(٢) انظر : التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٣٣/ ٢٥٠) .

وَسَبَقْته بِهَا ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُونُ تَضْعِيفُهُ عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ " (١) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) : " قَالَ بن بَطَّالٍ (٤٤٩هـ) : وَصَفَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَى عَبْدِهِ ، وَوَصَفَ الْعَبْدَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، وَوَصَفَهُ بِالْإِتْيَانِ وَالْهَرْوَلَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَحْتَمِلُ الْحَقِيقَةَ وَالْمَجَازَ ، فَحَمْلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ يَقْتَضِي قَطْعَ الْمَسَافَاتِ وَتَدَانِي الْأَجْسَامِ ، وَذَلِكَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى مُحَالٌ ، فَلَمَّا اسْتَحَالَتِ الْحَقِيقَةُ تَعَيَّنَ الْمَجَازُ لِشُهْرَتِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، فَيَكُونُ وَصْفُ الْعَبْدِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ شِبْراً وَذِرَاعاً وَإِتْيَانُهُ وَمَشْيُهُ مَعْنَاهُ : التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَأَدَاءِ مُفْتَرَضَاتِهِ وَنَوَافِلِهِ ، وَيَكُونُ تَقَرُّبُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ عَبْدِهِ واتيانه وَالْمَشْي عبارَة عَن إثابته عَلَى طَاعَتِهِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، أَيْ : أَتَاهُ ثَوَابِي مُسْرِعاً ، وَنُقِلَ عَنِ الطَّبَرِي أَنَّه إِنَّما مَثَّلَ الْقَلِيلَ مِنَ الطَّاعَةِ بِالشِّبْرِ مِنْهُ وَالضِّعْفُ مِنَ الْكَرَامَةِ والثَّواب بِالذِّرَاعِ فَجَعَلَ ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى مَبْلَغِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ أَدْمَنَ عَلَى طَاعَتِهِ أَنَّ ثَوَابَ عَمَلِهِ لَهُ عَلَى عَمَلِهِ الضِّعْفُ ، وَأَنَّ الْكَرَامَةَ مُجَاوَزَةٌ حَدَّهُ إِلَى مَا يُثِيبُهُ الله تَعَالَى . وَقَالَ بن التِّينِ : الْقُرْبُ هُنَا نَظِيرُ مَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾ [النجم : ٩] ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ : قُرْبُ الرُّتْبَةِ وَتَوْفِيرُ الْكَرَامَةِ ، وَالْهَرْوَلَةُ كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ وَرِضَا اللهَّ عَنِ الْعَبْدِ وَتَضْعِيفِ الْأَجْرِ ، قَالَ : وَالْهَرْوَلَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَشْيِ السَّرِيعِ ، وَهِيَ دُونَ الْعَدْوِ . وَقَالَ صَاحِبُ الْمَشَارِقِ : الْمُرَادُ بِمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : سُرْعَةُ قَبُولِ تَوْبَةِ اللهَّ لِلْعَبْدِ أَوْ تَيْسِيرُ طَاعَتِهِ وَتَقْوِيَتُهُ عَلَيْهَا وَتَمَامُ هِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَاللهَّ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ . وَقَالَ الرَّاغِبُ : قُرْبُ الْعَبْدِ مِنَ اللهَّ التَّخْصِيصُ بِكَثِيرٍ مِنَ الصِّفات الَّتِي يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ الله بِهَا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي يُوصَفُ بِهِ الله تَعَالَى نَحْوَ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَغَيْرِهَا ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِإِزَالَةِ الْقَاذُورَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ مِنَ الْجَهْلِ وَالطَّيْشِ وَالْغَضَبِ وَغَيْرِهَا بِقَدْرِ طَاقَةِ الْبَشَرِ ، وَهُوَ قُرْبٌ رُوحَانِيٌّ لَا بَدَنِيٌّ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : " إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً " (٢) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني أيضاً : " وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : لَمَّا قَامَتِ الْبَرَاهِينُ عَلَى اسْتِحَالَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي حَقِّ اللهَّ تَعَالَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَةٍ قَلِيلَةٍ جَازَيْتُهُ بِثَوَابٍ كَثِيرٍ ، وَكُلَّمَا زَادَ فِي الطَّاعَةِ أَزِيدُ فِي الثَّواب ، وَإِنْ كَانَتْ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِهِ بِالطَّاعَةِ بِطَرِيقِ التَّأَنِّي ، يَكُونُ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِي بِالثَّوَابِ

---

(١) انظر : طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٣٥) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٥١٣) .

بِطَرِيقِ الْإِسْرَاعِ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الثَّواب رَاجِحٌ عَلَى الْعَمَلِ بِطَرِيقِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ ، وَلَفْظُ الْقُرْبِ وَالْهَرْوَلَةِ مَجَازٌ عَلَى سَبِيلِ الْمُشَاكَلَةِ أَوِ الِاسْتِعَارَةِ أَوْ إِرَادَةِ لَوَازِمِهَا " (١) .

وقال الإمام ابن حجر أيضاً : " وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ : لَمَّا قَامَتِ الْبَرَاهِينُ عَلَى اسْتِحَالَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَةٍ قَلِيلَةٍ ، جَازَيْتُهُ بِثَوَابٍ كَثِيرٍ ، وَكُلَّمَا زَادَ فِي الطَّاعَةِ ، أَزِيدُ فِي الثَّواب ، وَإِنْ كَانَتْ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِهِ بِالطَّاعَةِ بِطَرِيقِ التَّأَنِّي يَكُونُ كَيْفِيَّةُ إِتْيَانِي بِالثَّوَابِ بِطَرِيقِ الْإِسْرَاعِ ، وَالْحَاصِلُ : أَنَّ الثَّواب رَاجِحٌ عَلَى الْعَمَلِ بِطَرِيقِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ ، وَلَفْظُ الْقُرْبِ وَالْهَرْوَلَةِ مَجَــازٌ عَلَى سَبِيلِ الْمُشَاكَلَةِ أَوِ الِاسْتِعَارَةِ أَوْ إِرَادَةِ لَوَازِمِهَا " (٢) .

وقال الإمام أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) : " قَوْله : " هرولة " ، أَي : إتياناً هرولة ، والهرولة : الْإِسْرَاع ، وَنَوع من الْعَدو ، وأمثال هَذِه الإطلاقات لَيْسَ إِلَّا على سَبِيل التَّجَوُّز ، إِذْ الْبَرَاهِين الْعَقْلِيَّة القاطعة قَائِمَة على استحالتها على الله تَعَالَى ، فَمَعْنَاه : من تقرَّب إِليّ بِطَاعَة قَليلَة أُجَازِيه بِثَوَاب كثير ، وَكلَّما زَاد فِي الطَّاعَة أَزِيد فِي الثَّوَاب ، وَإِن كَانَ كَيْفيَّة إِتْيَانه بِالطَّاعَةِ على التأني يكون كَيْفيَّة إتياني بالثَّواب على السُّرعة . فالغرض أَن الثَّواب رَاجِح على الْعَمَل مضاعف عَلَيْهِ كَمَّا وكيفاً ، وَلَفظ : النَّفس والتقرُّب والهرولة ، إِنَّما هُوَ مجَاز على سَبِيل المشاكلة ، أَو على طَرِيق الِاسْتِعَارَة ، أَو على قصد إِرَادَة لوازمها ، وَهُوَ من الْأَحَادِيث القدسيَّة الدَّالَّة على كرم أكْرم الأكرمين وأرحم الرَّاحِمِينَ " (٣) .

وقال الإمام بدر الدِّين العيني أيضاً : " والهرولة : الْإِسْرَاع ، وَنَوع من الْعَدْو ، وأمثال هَذِه الإطلاقات لَيست إِلَّا على التَّجوُّز ، إِذْ الْبَرَاهِين الْعَقْلِيَّة قَائِمَة على استحالتها على الله تَعَالَى ، فَمَعْنَاه : من تقرب إِلَيّ بِطَاعَة قَليلَة أجزيته بِثَوَاب كثير ، وَكلما زَاد فِي الطَّاعَة أَزِيد فِي الثَّواب ، وَإِن كَانَ كَيْفيَّة إِتْيَانه بِالطَّاعَةِ على التَّأَنِّي تكون كَيْفيَّة إتياني بالثَّواب على السُّرعة ، وَالْغَرَض أَنَّ الثَّواب رَاجِح على الْعَمَل

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٥١٤) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٥١٤) .

(٣) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٠١) .

مضاعف عَلَيْهِ كَمَاً وكيفاً ، وَلَفظ التَّقَرُّب والهرولة إِنَّما هُوَ على سَبِيل المشاكلة أَو طَرِيق الِاسْتِعَارَة أَو على قصد إِرَادَة لوازمها " (١) .

وقال الإمام جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ) في شرح الحديث المتقدِّم : " أي : صببتُ عليه الرَّحمة وسبقتُه بها " (٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " ومن " أتاني يمشي أتيته هرولة " إسراعاً ، يعني : من تقرَّب إليّ بطاعة قليلة ، جازيته بمثوبة كثيرة ، وكلَّما زاد في الطَّاعة ، زدت في ثوابه ، وإن كان كيفية إتيانه بالطَّاعة على التَّأني ، فإتياني بالثَّواب له على السُّرعة والتقرُّب ، والهرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو قصد إرادة لوازمها ، وإلَّا فهذه الإطلاقات وأشباهها لا يجوز إطلاقها على الله تعالى إلا على المجاز ، لاستحالتها عليه تعالى " (٣) .

وقال الإمام القسطلاني أيضاً : " ... أي : مُسْرِعَاً ، أي : من تقرَّب بطاعة قليلة ، جازيته بثواب كثير ، ولفظ التقرُّب والهرولة ، إنَّما هو على طريق المشاكلة أو الاستعارة أو المراد لازمهما " (٤) .

وقال الإمام جمال الدِّين ، محمَّد طاهر بن علي الصدِّيقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (٩٨٦هـ) : " إذا تقرَّب العبد منِّي " بوعاً " أتيته هرولة ؛ البوع والباع قدر مد اليدين وما بينهما من البدن ، وهو هنا مثلٌ لقرب ألطاف الله تعالى من العبد إذا تقرب إليه بالإخلاص . إن تقرَّب إليه بقليل تفضَّل عليه بكثير ، وإن تقرَّب إليه بالتَّأني تفضَّل عليه بالسُّرعة ، وقد يكون بالتَّوفيق له بعمل يقرِّبه منه " (٥) .

وقال الإمام جمال الدِّين الصدِّيقي الهندي أيضاً : " ... وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى وقبول توبة العبد ولطفه ورحمته " (٦) .

---

(١) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٨٩) .

(٢) انظر : الديباج على صحيح مسلم (٦/ ٤٤) .

(٣) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٨٢) .

(٤) انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٦٤) .

(٥) انظر : مجمع بحار الأنوار في غرائب التَّنزيل ولطائف الأخبار (١/ ٢٢٧) .

(٦) انظر : مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (٥/ ١٥٤) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " : وَهِيَ الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ دُونَ الْعَدْوِ ، أَيْ : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ ، وَقِيلَ : أَيْ : مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي بِسُهُولَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَتِي بِسُرْعَةٍ . قَالَ الطِّيبِيُّ (٧٤٣هـ) : وَهِيَ حَالٌ ، أَيْ : مُهَرْوِلاً ، أَوْ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ؛ لِأَنَّ الْهَرْوَلَةَ نَوْعٌ مِنَ الْإِتْيَانِ ، فَهُوَ كَرَجَعْتُ الْقَهْقَرَى ، لَكِنَّ الْحَمْلَ عَلَى الْحَالِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّ قَرِينَةَ يَمْشِي حَالٌ لَا مَحَالَةَ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ (٨٥٢هـ) : وَهَذَا كَالشَّرْحِ لِمَا أَفْهَمَهُ إِعْطَاءُ الْعَشْرِ ، وَالزِّيَادَةُ فِي مُقَابَلَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَنَّ سِعَةَ تَفَضُّلِهِ عَلَى عِبَادِهِ بَلَغَتِ الْغَايَةَ الَّتِي مَا وَرَاءَهَا غَايَةٌ " (١) .

وقال الإمام زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرَّؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) : " أتيته هرولة " ، وهو الإسراع في المشي ، أي : أوصل إليه رحمتي بسرعة . قال النَّووي (٦٧٦هـ) : معناه من تقرَّب إليَّ بطاعتي ، تقربت إليه برحمتي ، وإن زاد زدت ، " فإن أتاني يمشي " وأسرع في طاعتي ، " أتيته هرولة " ، أي : صببت عليه الرَّحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود . وقال في المطامح : الذِّراع والباع والشِّبر والهرولة ونحوها : مقامات وأحوال مختلفة في الإجابة بحسب اختلاف درجات الخلق عند الحقّ سبحانه . وقال القاضي : العبد لا يزال يتقرَّب إلى الله تعالى بأنواع الطَّاعات وأصناف الرِّياضات ، ويترقَّى من مقام إلى آخر أعلى منه حتى يحبّه فيجعله مستغرقاً بملاحظة جناب قدسه ، بحيث ما لاحظ شيئاً إلا لاحظ ربه ، فما التفت إلى حاس ومحسوس ، وصانع ومصنوع ، وفاعل ومفعول إلَّا رأى الله ، وهو آخر درجات السَّالكين وأوَّل درجات الواصلين " (٢) .

وقال الإمام مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ) : " قَوْله : " وَمن أَتَانِي يمشي ، أَتَيْته هرولة " ، فَقَالُوا : لَيْسَ المُرَاد بِهِ دنو الذَّات ، وإِنَّما المُرَاد قُرب المنهل والحظ " (٣) .

وقال الإمام محمَّد علي بن محمَّد بن علان بن إبراهيم البكري الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) : " قال الكرماني (٧٨٦هـ) : قامت البراهين القطعيَّة على استحالة هذه الإطلاقات على الله تعالى ، فهي إذن على

(١) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٤٣) .

(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٤٨٢) .

(٣) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٢٢١) .

سبيل التَّجوُّز . والمعنى من أتى شيئاً من الطَّاعات ولو قليلاً قابلته عليه بأضعاف من الإثابة والإكرام ، وكلَّما زاد في الطَّاعة زدته في الثَّواب ، وإن كان إتيانه بالطَّاعة على التَّأنِّي ، تكون كيفيَّة إتياني بالثَّواب على السُّرعة ، فالغرض أنَّ الثَّواب راجع على العمل مضاعف عليه ، وإطلاق النَّفس والتَّقرُّب والهرولة ، وهي من الإسراع ونوع من العدو عليه تعالى ، إنَّما هو مجاز على سبيل المشاكلة أو على طريق الاستعارة أو على قصد إرادة لوازمها ، وهو من الأحاديث الدالَّة على كرم أكرم الأكرمين " (١) .

وقال الإمام ابن علَّان الصدِّيقي أيضاً : " أتيته هرولة " ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة صبَّاً وسبقته بها ، ولم أحْوْجُه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود . قال القرطبي (٦٧١هـ) : هذه الجُمَلُ أمثالٌ ضُربت لمن عمل من الطَّاعات وقصد به التَّقرُّب إلى الله تعالى ، تدلُّ على أنَّه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قلَّ عمله ، بل يقبله ويثيبه مضاعفاً ، ولا يفهم من الحديث الخطأ بنقل الأقدام إلَّا من ساوى الحُمُر في الأفهام !!! " (٢) .

وقال الإمام ابن علَّان الصدِّيقي أيضاً : " قال الباجي (٤٧٤هـ) : ... وهو قدر أربعة أذرع " ومن أتاني يمشي " ، وأسرع نحو طاعتي " أتيته هرولة " ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى مزيد مشي في وصوله لمراده ، والمقصود : أنَّ جزاءه يكون على حسب عمله وتقرُّبه ، والهرولة : بفتح الهاء وسكون الرَّاء ، وهي إسراع في المشي دون الخبب ، قال المصنِّف : هذا الحديث من أحاديث الصِّفات ، ومستحيل إرادة ظاهره لما فيه من باب التَّمثيل ، كما سيأتي . قال القرطبي (٦٧١هـ) : إن قيل : مقتضى ظاهر الخطاب أنَّ جزاء الحسنة بمثلها ، إذ الذِّراع شبران والباع ذراعان ، وتقدَّم في الكتاب والسُّنَّة : أنَّ أقل ما يجازى على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف لا تحصى ، فما وجه الجمع ؟ قلنا : هذا الحديث ما سيق لبيان مقدار عدد الأجور وعدد تضاعيفها ، وإنَّما سيق لتحقيق أنَّ الله تعالى لا يضيع عمل عامل قليلاً كان أو كثيراً ، وأنَّ الله يسرع إلى قبوله وإلى مضاعفة الثَّواب عليه ، إسراع من جيء إليه بشيء ، فبادر لأخذه وتبشبش له بشبشة من سرته ووقع منه الموقع ، ألا ترى إلى

(١) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٣١٣) .

(٢) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٣١١) .

قوله : " وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " ، وفي لفظ آخر : " أسرعت إليه " ، ولا تتقدر الهرولة والإسراع بضعفي المشي ، وأمَّا عدد الأضعاف فيؤخذ من حديث آخر لا من هذا الحديث " (١) .

وبالحديث عن البشبشة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة أثبتوا لله تعالى صفة " البشبشة " !!! فقد قال الإمام ابن تيمية : " ولفظ البشبشة جاء أيضاً أنَّه – الله تعالى – يتبشبش للدَّاخل إلى المسجد ؛ كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم وجاء في الكتاب والسُّنَّة ما يُلائم ذلك ويُناسبه شيءٌ كثير .

فيُقال لمن نفى ذلك : لم نفيتَه ؟ ولم نفيتَ هذا المعنى ؛ وهو وصف كمال لا نقص فيه ؟ ومن يتَّصف به أكمل ممَّن لا يتَّصف به ؟ وإنَّما النَّقص فيه أن يحتاج فيه إلى غيره ، والله تعالى لا يحتاج إلى أحد في شيء، بل هو فعَّال لما يُريد " (٢) . ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ...

والبشبشة جاءت في حديث رواه ابن ماجة ، قال : " حدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، قَالَ : حدَّثنا شَبَابَةُ ، قَالَ : حدَّثنا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ " (٣) .

قال أهل اللغة : " والبَشُّ والبَشَاشَةُ : طَلاَقَةُ الوجْهِ ، بَشِشْتُ ، بالكسر ، أَبَشُّ ، واللُّطْفُ في المَسْأَلَةِ ، والإِقْبَالُ على أخيكَ ، والضَّحِكُ إليه ، وفَرَحُ الصَّديقِ بالصَّديق " . فلا يجوز أن تُحمل البشاشة على ظاهر معناها اللغوي لاستحالة المعنى اللغوي في حقِّ الله تعالى ، ولذا وجب التَّأويل ...

قال الإمام ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " البَشّ : فَرَحُ الصدِّيق بِالصَّدِيقِ ، واللطفُ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ بَشِشْتُ بِهِ أَبَشُّ . وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِتلَقِّيه إِيَّاهُ بِبِرِّهِ وَتَقْرِيبِهِ وَإِكْرَامِهِ . وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ : " إِذَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمَانِ فَتَذَاكَرَا غَفَرَ الله لِأَبَشِّهِمَا بِصَاحِبِهِ " . وَمِنْهُ حَدِيثُ قَيْصَرَ : " وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ " بَشَاشَة اللِّقَاءِ : الفرحُ بِالْمَرْءِ وَالِانْبِسَاطُ إِلَيْهِ والأُنْس بِهِ " (٤) .

---

(١) انظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٣١٠) .

(٢) انظر : النبوات (١/ ٢٤٩-٢٥٠) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٦٢ برقم ٨٠٠) .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٠) .

وقال الإمام ابن منظور (٧١١هـ) : " وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لتَلَقّيه جَلَّ وَعَزَّ إِيَّاه بِبِرِّه وَكَرَامَاتِهِ وَتَقْرِيبِهِ إِياه " (١) .

ومع هذا أبى مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا أن يُجروا لفظ البشبشة على ظاهر معناه ...

وقال الإمام محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ) : " أتيته هرولة " : هي الإسراع في المشي ، قال النَّووي : معناه : من تقرَّب إليَّ بطاعاتي ، تقرَّبت إليه برحمتي ، وإن زاد زدته ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود " (٢) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث رواه البخاري حكاية عن ربِّه تبارك وتعالى : " من تقرَّب مني شبراً ، تقرَّبت منه ذراعاً " ، وهو تمثيل يقرِّب المعنى للأفهام ، أي : من تقرَّب إلى طاعتي جازيته بأضعاف ما تقرَّب به إليَّ . " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " ، أي : سبقته بجزائه ، فهو أقرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بإحسان ، وتعجيل المأمول ، ثواباً مضاعفاً على حسب ما تقرَّب به ، وقد سبق به طريق المشاكلة فسمّاه تقرّباً " (٣) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " ... في صحيح البخاري : " مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً " هذا الحديث القدسي ، والكلام الأنسي ، تمثيلٌ لقُرب معنى القرب المعنوي في لباس القرب الحسِّي ، فإنَّه أوقع في النَّفس الأنسي " ومن أتاني يمشي " ، أي : في طاعته " أتيته هرولة " ، أي : سبقته مسرعاً بجزاء عطيته أو بتوفيق عبادته . فالدُّنو في الآية والقرب في الحديث : قُرْبٌ بِالْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ ، وَإِتْيَانٌ بِالْإِحْسَانِ وَتَعْجِيلِ الْمَأْمُولِ ، أي : وإسراع لتحصيل المسؤول ، لكن بين المقامين بون بيِّن ، وبين القربين تباين متعيِّن ، فلا تُقاس الملوك بالحدَّادين ، لتفاوت مراتب المقرَّبين ومنازل السَّالكين من المحبِّين والمحبوبين ، نفعنا الله ببركاتهم أجمعين " (٤) .

---

(١) انظر : لسان العرب (٦/ ٢٦٧) .

(٢) انظر : التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ (٧/ ٦٠٥) .

(٣) انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ١٥٧) .

(٤) انظر : شرح الشفا (١/ ٤٤٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى (١٢٠٥هـ) : " قال النَّووي : معناه : من تقرَّب إليَّ بطاعتي ، تقرَّبت إليه برحمتي ، وإن زاد زدت ، فإن أتاني يمشى وأسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة وسبقتهُ بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود . وقال عياض (٥٤٤هـ) : العبد لا يزال يتقرَّب إلى الله بأنواع الطَّاعات ، وأصناف الرِّياضات ، ويترقَّى في مقام إلى آخر أعلى منه حتى يستغرق بملاحظة جناب قدسه ، بحيث ما لاحظ شيئاً إلَّا لاحظ ربَّه ، فما التفت إلى حاس ومحسوس ، وصانع ومصنوع ، وفاعل ومفعول ، إلَّا رأى الله ، وهو آخر درجات السَّالكين ، وأوَّل درجات الواصلين " (١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) : " قوله : " من أتاني سعياً أتيته هرولة " ، أي : من اجتهد في طاعتي قابلته بأعظم منها " (٢) .

وقال الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفورى (١٣٥٣هـ) : (هَرْوَلَةً) هِيَ الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ دُونَ الْعَدْوِ .

قَالَ الطِّيبِيُّ (٧٤٣هـ) : هِيَ حَالٌ ، أَيْ : مُهَرْوِلاً أَوْ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ، لِأَنَّ الْهَرْوَلَةَ نَوْعٌ مِنَ الْإِتْيَانِ ، فَهُوَ كَرَجَعْتُ الْقَهْقَرَى ، لَكِنَّ الْحَمْلَ عَلَى الْحَالِ أَوْلَى ، لِأَنَّ قَرِينَهُ يَمْشِي حَالٌ لَا مَحَالَةَ .

قَالَ النَّووي : هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفات ، وَيَسْتَحِيلُ إِرَادَةُ ظَاهِرِهِ ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ ، أَوْ إِنْ زَادَ زِدْتُ ، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، أَيْ : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَالْمُرَادُ : أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُونُ تَضْعِيفَهُ عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ . انْتَهَى

وكذا قال الطِّيبي (٧٤٣هـ) ، والحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) ، والعيني (٨٥٥هـ) ، وبن بطَّال (٤٤٩هـ) ، وبن التِّينِ (٦١١هـ) ، وَصَاحِبُ الْمَشَارِقِ (٥٤٤هـ) ، وَالرَّاغِبُ (٥٠٢هـ) ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ " (٣) .

وقال الإمام أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) : " ... أي : من أقبل إليّ بطاعته ، أقبلتُ إليه بهدايتي وإرشادي ، بأن أشرح له صدره ، وأسهِّل له أمره " (١) .

---

(١) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٨/ ٣٣٣) .

(٢) انظر : حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص٢٥٤) .

(٣) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٠/ ٤٧) .

وقال الإمام فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النَّجدي (١٣٧٦هـ) : " أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " ، أيْ : صَبَبْتُ عَلَيهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا وَلَمْ أحْوِجْهُ إِلَى المَشْيِ الكَثِيرِ في الوُصُـــــولِ إِلَى المَقْصُودِ " (٢) .

وقال الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) : " وهذا من أحاديث الصِّفات وهي كآيات الصِّفات ... وبينَّا أنَّ السَّلف الصَّالح يتركونها على حالها ، والخلف النَّاجح يؤوِّلونها ، فيقولون في مثل هذا الحديث : من تقرَّب إليَّ بالطَّاعات ، تقرَّبتُ برحمتي ، ومن أتاني : أتته رحمتي أو خيري وبركتي بحسب ما يناسب المقام " (٣) .

وقال الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) أيضاً : " وهذا من أحاديث الصِّفات التي جعل السَّلف الصَّالح تأويلها ظاهر لفظها ، وأوَّله الخلف بأنَّ المراد بالقُربِ : القُربُ من رحمته وألطافه وبرِّه وكرمه بإحسانه ومواهبه ، وكلَّما ازداد العبد بما يقربه منه من أعمال الخير زاده الله تعالى من ذلك ، لأنَّ القصد من الشِّبر والباع والذِّراع والهرولة والمشي والقُرب استعارة ومجاز ، إذ يستحيل إرادة ظاهرها على الله تعالى ، لأنَّه منزَّه عمَّا هو من شأن خلقه " (٤) .

وقال الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرَّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) : " أتيته هرولة " ، هي الإسراع في المشي دون العدو . وقال الطِّيبي (٧٤٣هـ) : هي حال ، أي : مهرولاً أو مفعول مطلق ، لأنَّ الهرولة نوع من الإتيان ، فهو كرجعت القهقري ، لكن الحمل على الحال أولى ، لأنَّ قرينة يمشي حال لا محالة . قال النَّووي (٦٧٦هـ) : هذا الحديث من أحاديث الصِّفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، أي : لأنَّه يقتضي قطع المسافات وتداني الأجسام ، وذلك في حقِّه تعالى محال ، ومعناه : من تقرَّب إليَّ بطاعتي ، تقرَّبت إليه برحمتي والتَّوفيق والإعانة ، وإن زاد زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي : صببتُ عليه الرَّحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد : أنَّ جزاءه يكون تضعيفه على

---

(١) انظر : تفسير المراغي (٢٥/ ٢٦) .

(٢) انظر : تطريز رياض الصالحين (ص٢٨٠) .

(٣) انظر : بيان المعاني (٣/ ٤٣٣) .

(٤) انظر : بيان المعاني (٥/ ١٠٢) .

حسب تقرُّبه – انتهى . وكذا فسَّره الأعمش (١٤٨هـ) ، والرَّاغب (٥٠٢هـ) ، والجزري (٨٣٣هـ) ، وابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، وابن التِّين (٦١١هـ) ، والتّوربشتي (٦٦١هـ) ، والطِّيبي (٧٤٣هـ) ، والحافظ (٨٥٢هـ) ، والعيني ، وغيرهم من أهل العلم . قلت : لا حاجة إلى هذا التَّأويل والتَّفسير ، والصَّواب أن يُحمل هذا الحديث كأمثاله على ظاهره (١) ، فنؤمن به على ما يليق بعظمة الله تعالى ، كالمجيء ، والنُّزول ، ونحوهما ، وربُّنا ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير ، والله اعلم " (٢) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وذهب بعض النَّاس إلى أنَّ قوله تعالى في هذا الحديث القدسي : " أتيته هرولة " يُراد به : سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرِّب إليه ، المتوجِّه بقلبه وجوارحه ، وأنَّ مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل . وعلَّل ما ذهب إليه بأنَّ الله تعالى ، قال : " ومن أتاني يمشي " ، ومن المعلوم أنَّ المتقرِّب إلى الله عزَّ وجلَّ ، الطَّالب للوصول إليه ، لا يتقرَّب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط ، بل تارة يكون بالمشي كالسَّير إلى المساجد ، ومشاعر الحجّ ، والجهاد في سبيل الله ، ونحوها . وتارة بالرُّكوع والسُّجود ونحوهما . وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد ، بل قد يكون التقرُّب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه ، كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وقال النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمران بن حصين : " صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب " .

قال : فإذا كان كذلك ، صار المراد بالحديث : بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله ، وأنَّ من صدق في الإقبال على ربِّه وإن كان بطيئاً ، جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل ، وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشَّرعيَّة المفهومة من سياقه " (٣) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " أتيته هرولة " ، أي : صببت عليه الرَّحمة ، وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود " (٤) .

---

(١) أي : ظاهر لفظه لا ظاهر معناه ...

(٢) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٨٦-٣٨٧) .

(٣) انظر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٧١) .

(٤) انظر : شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٠٥) .

والشَّيخ ابن عثيمين هنا ترك منهجه ومذهبه ومال إلى التَّأويل الذي سمَّاه فيما سبق تعطيلاً وتحريفاً ، لكنَّه سرعان ما تراجع عن التَّأويل إلى الإثبات ، كما سترى بعد قليل ...

وقال الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ : " ... ولهذا من أهل العلم من قال يمكن أن يقال في قوله : " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " أنَّه يمكن أن يقال أنَّه من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي أتيته بثواب ورحمة سريعين " (١) .

وكفعل الشَّيخ ابن عثيمين فعل الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ ، فقد مال إلى التَّأويل في هذه المسألة ، وهو خروج عن المذهب والمنهج حيث لا مناص من التَّأويل ...

وقال الشَّيخ عبد الله بن محمَّد الغنيمان (معاصر) : " وقوله : " وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " الهرولة : السُّرعة في المشي ، بين المشي والعدو ، وهو تمثيل لكرم الله وجوده على عبده ، وأنَّه إذا أقبل إليه، فهو – سبحانه – أسرع إقبالاً وتفضلاً على عبده ، من غير مقابل يناله من العبد ، بل هو الغني بذاته عن كل ما سواه ، وكلّ ما سواه فقير إليه ، ويؤخذ من الحديث : عظم فضل الله وكرمه ، وعظم فضل الذِّكر " (٢) .

وكصنيع صاحبيه السَّابقين صنع الشَّيخ عبد الله بن محمَّد الغنيمان ، فذهب إلى التَّأويل في هذا الحديث الذي لا يسعه معه إلَّا التَّأويل ...

وقال الشَّيخ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين : " معنى الهرولة والتَّردُّد الواردين في حديث : "وما تردَّدت في شيء مثل تردُّدي في قبض روح عبدي ... " :

السُّؤال : ما معنى الهرولة والتَّردُّد الواردان في حديث : " وما تردَّدت في شيء مثل تردُّدي في قبض روح عبدي ..." ؟ الجواب : الصَّحيح أنَّ الهرولة هنا بمعنى قرب الربِّ تعالى إلى عبده بثوابه ، فالقُرب معنوي ، العبد لا يتجاوز مكانه ، وإنَّما تقرباته بالأعمال ، فقرب الرَّب إليه ، وهرولته – يعني : إسراعه – إنَّما هو بالأعمال ، بكثرة الثَّواب ، فلا يقال : إنَّ الهرولة صفة من صفات الله في هذا الحديث ، إنَّما ذكرها على وجه المبالغة في كثرة الثَّواب ، قال : " من تقرَّب إليَّ شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً " ، العبد ما يتقرَّب شبراً ، يعني : هو مكانه ، ولكن تقرَّب بالأعمال ، " من تقرَّب إليَّ ذراعاً " ، العبد لا يتزحزح عن

---

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٤٣) .

(٢) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٢٠) .

مكانه ، ولكن تقرَّب بالأعمال " من أتاني يمشي " ، العبد لا يتجاوز مكانه بهذا المشي ، المراد بالمشي هنا مواصلة الأعمال الصَّالحة ، يعني : كثرة الأعمال الصَّالحة ، وعبَّر عن ذلك بالمشي . إذاً : هذا الحديث إنَّما فيه المماثلة ، فقُرب العبد بالأعمال ، وقُرب الربِّ بالثواب ، وكذلك المشي والهرولة " (١) .

فالشَّيخ ابن جبرين هنا يؤوِّل التَّقرُّب والهرولة المضافين إلى الله تعالى ، وهو بهذا يفارق منهجه القاضي بإمرار المتشابه على ظاهر معناه ...

ومع كلِّ ما قدَّمناه من كلام جهابيذ العلم في مسألة الهرولة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة لم يعجبهم ذلك ، وأصرُّوا على مخالفة الأمَّة كلها ، سلفاً وخلفاً ، وأبوا إلَّا أن يمرُّوا الهرولة على ظاهر معناها المعروف والمعهود في اللغة ، لا على ظاهر لفظها كما هو دأب السَّلف الصَّالح ، ولذلك أثبتوا الهرولة لله تعالى كصفة من صفاته سبحانه وتعالى ...

فقد جاء في فتاوى اللجنة الدَّائمة : " س : هل لله صفة الهرولة ؟

ج : نعم ، صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشَّريف على ما يليق به قال تعالى : " إذا تقرَّب إليَّ العبد شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً ، وإذا تقرَّب إلي ذراعاً ، تقرَّبت منه باعاً ، وإذا أتاني ماشياً ، أتيته هرولة " . رواه البخاري ومسلم .

وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه وسلم (٢) .

وجاء في فتاوى نور على الدَّرب لمؤلفه : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) : " حول حديث : " من تقرَّب إليَّ شبراً ، تقربتُ إليه ذراعاً " .

س ٢٦ : لقد قرأت في رياض الصَّالحين بتصحيح السيِّد علوي المالكي ، ومحمود أمين النّواوي ، حديثاً قدسيَّاً يتطرَّق إلى هرولة الله سبحانه وتعالى ، والحديث مرويٌّ عن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال : " إذا تقرَّب العبد إليَّ شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً ، وإذا تقرَّب إليَّ ذراعاً ، تقرَّبت منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة " رواه البخاري .

فقال المعلِّقان في تعليقهما عليه : إنَّ هنا من التَّمثيل وتصوير المعقول بالمحسوس لزيادة إيضاحه ، فمعناه : أنَّ من أتى شيئاً من الطَّاعات ، ولو قليلاً ، أثابه الله بأضعافه ، وأحسن إليه بالكثير ، وإلَّا ، فقد

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٣/ ١٨٢) .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٣/ ١٩٦) .

قامت البراهين القطعيَّة على أنَّه ليس هناك تقريب حسِّي ، ولا مشي ، ولا هرولة من الله سبحانه وتعالى عن صفات المحدَثين .

فهل ما قالاه في المشي والهرولة موافق لما قاله سلف الأمَّة على إثبات صفات الله وإمرارها كما جاءت ؟ وإذا كان هناك براهين دالَّة على أنَّه ليس هناك مشي ولا هرولة ، فنرجو منكم إيضاحها ، والله الموفِّق ؟

الجواب : الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أمَّا بعد : فلا ريب أنَّ الحديث المذكور صحيح ، فقد ثبت عن رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه قال : " يقول الله عزَّ وجلَّ : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منه ، ومن تقرَّب إليَّ شبراً ، تقرَّبت منه ذراعاً ، ومن تقرَّب مني ذراعاً ، تقرَّبت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " .

وهذا الحديث الصَّحيح يدلُّ على عظيم فضل الله عزَّ وجلَّ ، وأنه بالخير إلى عباده أجود ، فهو أسرع إليهم بالخير والكرم والجود ، منهم في أعمالهم ، ومسارعتهم إلى الخير والعمل الصَّالح .

ولا مانع من إجراء الحديث على ظاهره على طريق السَّلف الصَّالح ، فإنَّ أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمعوا هذا الحديث من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعترضوه ، ولم يسألوا عنه ، ولم يتأوَّلوه ، وهم صفوة الأمَّة وخيرها ، وهم أعلم النَّاس باللغة العربيَّة ، وأعلم النَّاس بما يليق بالله ، وما يليق نفيه عن الله سبحانه وتعالى .

فالواجب في مثل هذا أن يتلقَّى بالقبول ، وأن يُحمل على خير المحامل ، وأنَّ هذه الصِّفة تليق بالله لا يشابه فيها خلقه ، فليس تقرُّبه إلى عبده مثل تقرب العبد إلى غيره ، وليس مشيه !!! كمشيه ، ولا هرولته !!! كهرولته ، وهكذا غضبه ، وهكذا رضاه ، وهكذا مجيئه يوم القيامة وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، وهكذا استواؤه على العرش ، وهكذا نزوله في آخر الليل كلّ ليلة ، كلّها صفات تليق بالله جلَّ وعلا ، لا يشابه فيها خلقه .

فكما أنَّ استواءه على العرش ، ونزوله في آخر الليل في الثُّلث الأخير من الليل ، ومجيئه يوم القيامة ، لا يشابه استواء خلقه ، ولا مجيء خلقه ، ولا نزول خلقه ؟ فهكذا تقرُّبه إلى عباده العابدين له ، والمسارعين لطاعته ، وتقرُّبه إليهم لا يشابه تقربهم ، وليس قُربه منهم كقربهم منه ، وليس مشيه !!!

كمشيهم ، ولا هرولته كهرولتهم !!! بل هو شيء يليق بالله ، لا يشابه فيه خلقه سبحانه وتعالى ، كسائر الصِّفات ، فهو أعلم بالصِّفات ، وأعلم بكيفيَّتها عزَّ وجلَّ .

وقد أجمع السَّلف على أنَّ الواجب في صفات الرَّب وأسمائه : إمرارها كما جاءت ، واعتقاد معناها !!! وأنَّه حقٌّ يليق بالله سبحانه وتعالى ، وأنَّه لا يعلم كيفية صفاته إلَّا هو ، كما أنَّه لا يعلم كيفيَّة ذاته إلَّا هو ، فالصِّفات كالذَّات ، فكما أنَّ الذَّات يجب إثباتها لله !!! وأنَّه سبحانه وتعالى هو الكامل في ذلك ، فهكذا صفاته يجب إثباتها له سبحانه ، مع الإيمان والاعتقاد بأنَّها أكمل الصِّفات وأعلاها ، وأنَّها لا تشابه صفات الخلق ، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١-٤] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٧٤] . وقال سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] . فردَّ على المشبِّهة !!! بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقوله : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [النحل : ٧٤] ، وردَّ على المعطلة بقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [الشورى: ١١] ، وقوله : " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ " [الإخلاص : ١-٢] ، " إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٧٣] ، ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] ، إلى غير ذلك .

فالواجب على المسلمين علماء وعامَّة إثبات ما أثبته الله لنفسه ، إثباتاً بلا تمثيل ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، وتنزيه الله عما نزَّه عنه نفسه تنزيهاً بلا تعطيل ، هكذا يقول أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم من سلف الأمَّة كالفقهاء السَّبعة ، وكمالك بن أنس (١٧٩هـ) ، والأوزاعي (١٥٧هـ) ، والثَّوري (١٦١هـ) ، والشَّافعي (٢٠٤هـ) ، وأحمد (٢٤١هـ) ، وأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وغيرهم من أئمَّة الإسلام ، يقولون أمرُّوها كما جاءت ، وأثبتوها كما جاءت من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وأمَّا ما قاله المعلِّقان في هذا (علوي وصاحبه محمود) ، فهو كلام ليس بجيد ، وليس بصحيح ، ولكن مقتضى هذا الحديث أنَّه سبحانه أسرع بالخير إليهم ، وأولى بالجود والكرم ، ولكن ليس هذا هو معناه ، فالمعنى شيء وهذه الثَّمرة وهذا المقتضى شيء آخر ، فهو يدلُّ على أنَّه أسرع بالخير إلى عباده منهم ، ولكنَّه ليس هذا هو المعنى ، بل المعنى يجب إثباته لله من التقرُّب ، والمشي ، والهرولة ، يجب إثباته لله على

الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ، من غير أن يشابه خلقه في شيء من ذلك ، فنثبته لله على الوجه الذي أراده الله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وقولهم : إنَّ هذا من تصوير المعقول بالمحسوس : هذا غلط ، وهكذا يقول أهل البدع في أشياء كثيرة ، وهم يؤوِّلون ، والأصل عدم التَّأويل ، وعدم التَّكييف ، وعدم التَّمثيل ، والتَّحريف ، فتمرُّ آيات الصِّفات وأحاديثها كما جاءت ، ولا يتعرَّض لها بتأويل ولا بتحريف ولا بتعطيل ، بل نثبت معانيها لله كما أثبتها لنفسه ، وكما خاطبنا بها ، إثباتاً يليق بالله لا يشابه الخلق سبحانه وتعالى في شيء منها ، كما نقول في الغضب ، واليد ، والوجه ، والأصابع ، والكراهة ، والنُّزول ، والاستواء ، فالباب واحد ، وباب الصِّفات باب واحد " (١) .

وسئل الشَّيخ ابن عثيمين عن صفة الهرولة ؟

فأجاب بقوله : صفة الهرولة ثابتة لله تعالى ، كما في الحديث الصَّحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " يقول الله تعالى : أنا عند ظنِّ عبدي بي " فذكر الحديث ، وفيه : وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " ، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل ؛ لأنَّه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه ، فوجب علينا قبولها بدون تكييف ؛ لأنَّ التكييف قول على الله بغير علم وهو حرام ، وبدون تمثيل ؛ لأنَّ الله يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] (٢) .

وقال الشَّيخ محمَّد العثيمين في كلامه على حديث : " من أتاني يمشي أتيته هرولة " : " ... فإنَّ ظاهره ثبوت إتيان الله تعالى هرولة ، وهذا الظَّاهر ليس ممتنعاً على الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنَّه لا يتضمَّن نقصاً ، فيكون داخلاً في القاعدة المذكورة ، فيثبت لله تعالى حقيقة " (٣) .

وقال الشَّيخ محمَّد العثيمين أيضاً : " ... ومن المعلوم أنَّ السَّلف يؤمنون بأنَّ الله تعالى يأتي إتياناً حقيقيَّاً للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به ، كما دلَّ على ذلك كتاب الله تعالى ، وليس في هذا الحديث القدسي إلَّا أنَّ إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي فمن أثبت إتيان الله تعالى ، حقيقة لم يشكل

---

(١) انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٦٧-٧١) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١٨٢) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١٨٥) .

عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به . وأيّ مانع يمنع من أن نؤمن بأنَّ الله تعالى يأتي هرولة ؟!!! " (١) .

والشَّيخ ابن العثيمين في كلامه هذا متناقض مع ما قدَّمناه من كلامه السَّابق قبل قليل ، فقد ذكر أنَّ الهرولة من الله تعني : صبّ الرَّحمة على العبد صبَّاً ، ولم يحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ...!!! وكم لهم ولسلفهم الذين ساروا على نهجهم وسَنَنهم من تناقضات وتخابطات ، ومصائب وبليَّات ...

وقال الشَّيخ الألباني : " الهرولة كالمجيء والنُّزول ، صفات ليس يوجد عندنا ما ينفيها إذا خصصناها بالله عزَّ وجلَّ ؛ لأنَّ هذه الصِّفات ليست صفة نقص ، حتى نبادر رأساً إلى نفيها كالطَّعام والشَّراب والمرض ونحو ذلك ، فأنا أجد فرقاً بين الأمرين ، لكن لا أتوسَّع في موضوع الهرولة ، ولا أزيد على أكثر مما جاء في الحديث ، ولا أدري أو لا أذكر ماذا ذكر شيخ السَّلفيين في هذه المسألة ، ألا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فلعلَّ إخوانَنا الحاضرين يذكرون شيئاً من ذلك ، كلام ابن تيمية حول هذا الحديث ... " (٢) .

وقال الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ : " يقول : ذكرت أنَّ الهرولة صفة ، وهي صفة لم ترد إلَّا في حديث واحد : " وإذا جاءني يمشي أتيته هرولة " ، ومن المعلوم أنَّ العبد لا يمشي إلى الله ، وإنَّما المراد به التقرُّب إليه ، وليس المراد ظاهره فوجب أن يكون معنى الهرولة على خلاف ظاهر دلالة السِّياق ، وقد ذكر هذا بعض أهل العلم فما قولكم في هذا الكلام ؟

طبعاً أهل السُّنَّة في الهرولة الأصل فيها أن تُثبت لله جلَّ وعلا ، فهي من جنس باقي الصِّفات ، هذا قول عامَّة أهل السُّنَّة ، لكن شيخ الإسلام رحمه الله ذكر في ردِّه على الرَّازي في القسم المخطوط الذي لم يطبع ، لأنَّ الرَّازي استدلَّ بهذا الحديث على أنَّه لا يُراد بها الصِّفة بالإجماع .

شيخ الإسلام قال له هذا ، لأنَّ الكلام ليس في الصِّفات ، فقوله جلَّ وعلا : " من تقرَّب إليَّ شبراً ، تقرَّبت إليه ذراعاً ، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً ، قال : معلوم أنَّ التقرُّب لا يكون من العبد إلى الله لا يكون بالمساحة ، يعني ما يكون بالأمتار ، ما يكون بقطع شيء إلى الذَّات ، وعليه يكون مقابله ليس كذلك ،

---

(١) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١٨٤) .

(٢) انظر : موسوعة الألباني (٦/ ٢٥٨) .

كذلك قوله : " ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً ، تقرَّبت منه باعاً " ، معلوم أنَّ التقرُّب الأوَّل الذي يحصل من العبد لا يكون بالمساحة ، قال : فكذلك ما رتِّب عليه ، وهو تقرُّب الله جلَّ وعلا من العبد باعاً ، قال : وكذلك قوله : " من أتاني يمشي أتيته هرولة " ، معلوم أنَّ العبد لا يأتي الله جلَّ وعلا ماشياً ، يعني إلى ذات الله بالمساحة ، وإنَّما يكون إتيانه إلى طاعة الله أو حركة روحه إلى الله جلَّ وعلا وقرب روحه من الله جل وعلا ، فيكون : " أتيته هرولة " بمقابلة ذلك . هذا الكلام منه من شيخ الإسلام تفصيلي يخالف بعض الكلام الذي أورده في بعض المواضع في الفتاوى على هذه الصفة من جهة أنَّه أثبت أصل " التقرب " طبعاً هو القُرب من الله جلَّ وعلا عامَّاً بما يشمل التقرُّب بالقرب بالذَّات والقرب بالصِفات .

وعليه ، فيمكن أن يُقال : إنَّ كلام شيخ الإسلام رحمه الله إمَّا لأنَّه في مقام المناظرة ، في مقام الرَّدِّ ، أو أنَّه لشيخ الإسلام رحمه الله قول غير ما أصل في الفتاوى ، وفي الفتاوى لم يذكر نصَّ (الهرولة) فيما وقفت عليه ، فنقول له قول في هذا يخالف عموميات أقواله ، وهو أن لا تكون الهرولة من صفات الله جلَّ وعلا .

وذلك يقول لأنَّ السياق يدلُّ على أنَّه لم يُرَدْ الصِّفة " من أتاني يمشي أتيته هرولة " لم يرَد الأوَّل ، وهو أنَّ العبد يأتي إلى الله ماشياً ، فإذن الثَّاني غير مراد .

هذا كلام شيخ الإسلام في ردِّه على الرَّازي (٦٠٦هـ) والكلام فيه نوع إشكال ، والمقصود أنَّ عامَّة أهل السُّنَّة يثبتون (الهرولة) !!!

ووقفت على كلام لعثمان بن سعيد (٢٨٠هـ) رحمه الله في ردِّه على بشر المريسي يقول فيه : وقد أجمعنا أو اتَّفقنا وإياكم على إثبات صفة (الهرولة) وهو من النُّقول القديمة عن السَّلف في إثبات هذه الصِّفة .

المقصود أنَّ هذا أصل البحث في هذه المسألة ، ولهذا من أهل العلم من قال يمكن أن يقال في قوله : " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " أنَّه يمكن أن يقال : أنَّه من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي أتيته بثواب ورحمة سريعين .

وقد ذكر هذا الشَّيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى ، ورجَّح كما هو قول عامة أهل السُّنَّة القول الأوَّل الذي ذكره وهو أنَّها صفة ، وهذا هو الصَّحيح ، فهي من جنس الصِّفات ، من جنس الحركة والله

جلَّ وعلا يتَّصف بما شاء سبحانه وتعالى ، وليس له حدود ، يعني : ليس لصفاته حدود ، والعباد إنَّما يأخذون ذلك من الكتاب والسُّنَّة ، ولا يخوضون في ذلك بأفهامهم ولا بعقولهم فالمسألة عظيمة " (١) .

وأنا والله لا أدري كيف يُجري مدَّعو السَّلفيَّة لفظ الهرولة على ظاهر معناه ، ثمَّ يتنطَّعون فيقولون : بلا كيف ، فهل لكلامهم هذا مكان في لغة العرب التي هي لغة القرآن العظيم ؟!!

ثمَّ ، لو جئنا لألفاظ الحديث لوجدناها : (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً) ، (وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً) ، (وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

وعن الفقرة الأولى (إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً) ، نقول : هل الطَّاعة تقاس بالمسافة ؟ وما طبيعة التقرُّب من الله تعالى ذراعاً ، وكيف يكون ذلك إذا أجريناه على ظاهر معناه ؟

وفي قوله : (وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً) ، نقول : كيف يتقرَّب الله تعالى باعاً من المتقرِّب إليه ذراعاً ؟ وكيف يتقرَّب بحسب ظاهر المعنى ، وهو كما يزعمون جالس على العرش ؟

وفي قوله : (وَإِذَا أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) ، نقول : هل للمشي معنى غير المعنى المنصوص عليه في لغة العرب ، والذي هو ضربٌ من السَّير ؟! فكيف يمشي الإنسان إلى الله تعالى ؟! وهل هنالك ضربٌ من السَّير يُسمى مشياً غير المشي المعروف ؟! وهل هنالك عبادة يتوجَّه بها العبد إلى الله تعالى تُسمى بعبادة المشي ؟!! فلفظ الحديث لا يثبت صفة المشي للعبد ، وبالتَّالي لا يثبت لله تعالى صفة الهرولة ... أليس هذا هو الحق الذي لا بدَّ منه إذا تحرَّرتم من تقليدكم المُشين لمن ألغوا المجاز ، وأنَّ الحديث خرج مخرج الكناية عن الطَّاعات والقُرُبات التي يتقرَّب بها العبد من مولاه ... تماماً كما قال إبراهيم عليه السَّلام : ﴿ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] ... وأنَّه لا يُقصد من الهرولة إلَّا مضاعفة الحسنات إلى أضعاف كثيرة ، وإن أبيتم الحقَّ بعدما تبيَّن فليس بعد الحقِّ إلَّا الضَّلال ...

ولم يكتف مدَّعو السَّلفيَّة بلفظ الهرولة ، بل نسبوا لله سبحانه تعالى أغلب الألفاظ التي يدلُّ ظاهرها على الحركة والنُّقلة المنفيَّة عن الله تعالى بلسان النَّقل والعقل ....، ومن ذلك : " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْنَحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا " ، " أنَّ اللهَ أَوْحَى لطَوْر سَيْنَاءِ أَنِّي نَازِلٌ عَلَيْكَ " ، " أَنَّ الله يهبَطَ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيِّهِ " ، " أنَّ الله يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ " ، " أَنَّ الرَّبَّ يَتَدَلَّى فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى السَّماء الدُّنيا " ،

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية (ص٢٤٢-٢٤٣) .

" أنَّ الله يجلس على كُرْسِيِّهِ أَوْ سَرِيرِهِ " ، " أنَّ الله تعالى لَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كُرْسِيٌّ ، وأنَّه بعد نزوله إلى السَّماء الدُّنيا يرتفع عِنْدَ الصُّبْحِ ويجلس على كُرْسِيِّهِ ...

فقد جاء في كتاب السُّنَّة الموضوع زوراً وبهتانا وإفكاً وعدواناً على الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل : " حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهَّ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ ، نا حَمَّادُ يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ أَبِي الْخُلْدِ ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَجْنَحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ إِلَى السَّماء الدُّنيا الْعَصْرَ يَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ " (١) .

وجاء في كتاب السُّنَّة أيضاً : حَدَّثَنِي محمَّد بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ ، نا مُعْتَمِرٌ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ نَوْفٍ ، قَالَ : " أَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْجِبَالِ أَنِّي نَازِلٌ عَلَى جَبَلٍ مِنْكِ ، قَالَ : فَتَطَاوَلَتِ الْجِبَالُ وَتَوَاضَعَ طُورُ سَيْنَاءَ ، وَقَالَ : إِنْ قُدِّرَ لِي شَيْءٌ فَسَيَأْتِينِي ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنِّي نَازِلٌ عَلَيْكَ لِتَوَاضُعِكَ وَرِضَاكَ بِقَدَرِي !!! " (٢) .

وجاء في زاد المعاد لإمامهم ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " ... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ هَبَطَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيِّهِ ... ثمَّ يَرْتَفِعُ الْجَبَّارُ مِنْ كُرْسِيِّهِ إِلَى عَرْشِهِ ... " (٣) .

وجاء في زاد المعاد لابن قيِّم الجوزية أيضاً : " تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثمَّ يُتَوَفَّى نَبِيُّكُمْ ، ثمَّ تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدَعُ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْئًا إِلَّا مَاتَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ وَخَلَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ... " ثمَّ قال ابن القيِّم : " هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ تُنَادِي جَلَالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ عَلَى أَنَّه قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ !!! لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عبد الرَّحمن بن المغيرة بن عبد الرَّحمن المدني ، رَوَاهُ عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ الزُّبَيْرِيُّ ، وَهُمَا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ ، ثِقَتَانِ مُحْتَجٌّ بِهِمَا فِي الصَّحيح ، احْتَجَّ بِهِمَا إِمَامُ أَهْلِ الْحَدِيثِ محمَّد بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ (٢٥٦هـ) ، وَرَوَاهُ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّة فِي كُتُبِهِمْ وَتَلَقَّوْهُ بِالْقَبُولِ وَقَابَلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ وَالِانْقِيَادِ وَلَمْ يَطْعَنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِيهِ وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ رُوَاتِهِ " (٤) .

---

(١) انظر : السُّنَّة (١/ ٢٧٦ برقم ٥١٩) .

(٢) انظر : السُّنَّة (٢/ ٤٦٩) .

(٣) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٥٨) .

(٤) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٨٩-٥٩١) .قال الشيخ الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث الزاد " أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٤/ ١٤،١٣) وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن عياش السمي ، ودلهم بن الأسود ، فإنه لم يوثقهما غير ابن حبان على عادته في

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " ... وَفِي لَفْظٍ : " إِذَا بَقِيَ مِنْ اللَّيْلِ ثُلُثَاهُ ، يَهْبِطُ الرَّبُّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا " ، وَفِي لَفْظٍ : " حَتَّى يَنْشَقَّ الْفَجْرُ ثمَّ يَرْتَفِعُ " ، وَفِي رِوَايَةٍ يَقُولُ : " لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ " ، وَفِي رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ عبسة : " أَنَّ الرَّبَّ يَتَدَلَّى فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى السَّماء الدُّنيا " ، وَفِي لَفْظٍ : " حَتَّى يَنْشَقَّ الْفَجْرُ ثمَّ يَرْتَفِعُ " ، وَذِكْرُ نُزُولِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ ، وَكَذَلِكَ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَذِكْرُ نُزُولِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ ، وَحَدِيثُ يَوْمِ الْمَزِيدِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ نُزُولِهِ وَارْتِفَاعِهِ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ الْأَحَادِيثِ ... " (١) .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزية (٧٥١هـ) : " ... وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا قِصَّةُ الشَّفَاعَةِ الْحَدِيثُ بِطُولِهِ مَرْفُوعاً ، وَفِيهِ : " فَآتِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَجِدُهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَوْ سَرِيرِهِ جَالِساً " (٢) .

والحديث ضعيف في إسناده : علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، قال الذَّهبي في السِّير : وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ العِلْمِ ، عَلَى تَشَيُّعٍ قَلِيْلٍ فِيْهِ ، وَسُوْءِ حَفِظٍ يَغُضُّهُ مِنْ دَرَجَةِ الإِتْقَانِ . قَالَ أَبُو زُرْعَةَ ، وَأَبُو حَاتِمٍ : لَيْسَ بِقَوِيٍّ . وَقَالَ البُخَارِيُّ ، وَغَيْرُهُ : لاَ يُحْتَجُّ بِهِ . وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ : لاَ أَحْتَجُّ بِهِ؛ لِسُوْءِ حِفْظِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : صَدُوْقٌ ، وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُلَيِّنُهُ . وَقَالَ شُعْبَةُ: حدَّثنا عَلِيُّ بنُ زَيْدٍ – وَكَانَ رَفَّاعاً –. وَقَالَ مَرَّةً : حدَّثنا قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِطَ . وَقَالَ حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ : أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بنُ زَيْدٍ وَكَانَ يَقْلِبُ الأَحَادِيْثَ . وَقَالَ الفَلاَّسُ: كَانَ يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ يَتَّقِيْهِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ : ضَعِيْفٌ . وَرَوَى : عبَّاس ، عَنْ يَحْيَى : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَمَرَّةً قَالَ : هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنِ ابْنِ عَقِيْلٍ ، وَعَاصِمِ بنِ عُبَيْدِ الله . وَرَوَى : عُثْمَانُ الدَّارِمِيُّ ، عَنْ يَحْيَى : لَيْسَ بِذَاكَ القَوِيِّ . وَقَالَ العِجْلِيُّ : كَانَ يَتَشَيَّعُ، لَيْسَ بِالقَوِيِّ . وَقَالَ الفَسَوِيُّ : اخْتُلِطَ فِي كِبَرِهِ . وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ : لاَ يَزَالُ عِنْدِي فِيْهِ لِيْنٌ. قُلْتُ : قَدِ اسْتَوْفَيْتُ أَخْبَارَهُ فِي (المِيْزَانِ) وَغَيْرِهِ ، وَلَهُ عَجَائِبُ وَمَنَاكِيْرُ " (٣) .

توثيق المجاهيل ، وأورد الهيثمي في (المجمع ١٠/ ٣٣٨) ، وزاد نسبته إلى اطبراني ، وعجب من المؤلف وغيره ، كيف ذهبوا إلى تقويته ةتصحيحه ، وفيه ما فيه . انظر : زاد المعاد بتحقيق الأرنؤوط (٣/ ٦٧٧) .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٥) .

(٢) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٠٨) ، مطابع الفرزدق التجارية ، والحديث لم أجد في االمسند بهذا اللفظ ...

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٠٧) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ : حدَّثنا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يَأْتُونِي فَأَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ وَلِلْجَنَّةِ مِصْرَاعَانِ مِنْ ذَهَبٍ مَسِيرَةَ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، قَالَ مَعْبَدٌ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابعِ أَنَسٍ حِينَ فَتَحَهَا ، يَقُولُ مَسِيرَةَ مَا بَيْنَهُمَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَأَدْخُلُ عَلَى رَبِّي فَأَجِدُهُ قَاعِداً عَلَى كُرْسِيِّ الْعِزَّةِ فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِداً " ، رَوَاهُ خُشَيْشُ بْنُ أَصْرَمَ النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّة لَهُ (١) .

والحديث لم أجده فيما بين يدي من المصادر ، مع أنَّني أجزم ببطلانه لاشتماله على ألفاظ منكرة ...

وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا ، وَلَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كُرْسِيٌّ ، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثمَّ يَقُولُ : مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَتُوبُ فَأَتُوبُ عَلَيْهِ ؟ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ارْتَفَعَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ " (٢) .

وهذا كذبٌ بحتٌ لم أجده مرفوعاً عند عبد الرزَّاق في المصنَّف ولا في غيره ، بل رواه عبد الرزَّاق في التَّفسير من قول عَبْد الرَّحمن بْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ ، ونصُّ الرِّواية : " عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحمن بْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ ، قَالَ: " مَا مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا يَنْزِلُ رَبُّكُمْ إِلَى السَّماء الدُّنيا ، وَمَا مِنْ سَمَاءٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهَا كُرْسِيٌّ ، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءٍ خَرَّ أَهْلُهَا سُجُودًا حَتَّى يَرْجِعَ ، فَإِذَا أَتَى إِلَى السَّماء الدُّنيا تَأَطَّتْ ، وَتَزَعْزَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهَّ ، وَهُوَ بَاسِطٌ يَدَيْهِ ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُنِي أُجِبْهُ ، وَمَنْ يَتُبْ إِلَيَّ أَتُبْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْنِي فَأَغْفِرْ لَهُ ، وَمَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِهِ ، وَمَنْ يُقْرِضْ غَيْرَ عَدُومٍ وَلَا ظَلُومٍ " (٣) . قال الدَّارَقُطْنِيّ في عَبْدُ الرَّحمن بْنُ الْبَيْلَمَانِيِّ : " ضعيف ، لا تقوم به حجَّة إذا وصل الحديث ، فكيف بما يرسله " (٤) .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

(١) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٠٨) ، مطابع الفرزدق التجارية .

(٢) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٠٨-١٠٩) .

(٣) انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/ ١٧٥) .

(٤) انظر : موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله (٢/ ٣٩٤) .

الخَاتِمَةُ

(اللهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَهَا)

بعد هذا التّطواف في كتب أهل العلم من مفسِّرين ومحدِّثين ، وفقهاء وأصوليين ، ومؤرِّخين ولغويِّين ، المتقدِّمين منهم والمتأخِّرين ، تبيَّن لنا بوضوح وجلاء وبلا خفاء ، أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة ... السَّلفيَّة منهم براء ، فكلامُ السَّلف الصَّالح واضحُ بيِّن ، لا لُبس فيه ولا غموض ، فقد قام منهج السَّلف على تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ولوازمها ، وأنَّ جميع الشُّبهات التي يتمسَّك بها هؤلاء لنُصرة مذهبهم والتي أضلُّوا بها من لا فقه عنده في هذا الباب ، قد أكلَ عليها الدَّهرُ وشرب ، فقد ردَّ عليها أساطين العلم مذ ظهرت في العصور المتقدِّمة ، وأشبعوها ردّاً وتبكيتاً ، وأنَّ ما ورد عن بعض السَّلف من عبارات متشابهة والتي جعلوها حجَّة في المسألة ، كعبارة : (أمرُّوها كما جاءت) ، فهي حجَّة عليهم لا لهم ؛ إذ لو صحَّ عندهم حقائق تلك الألفاظ ومعانيها لما فوَّضوا علمَها إلى الله تعالى ...

فإن قيل : فلِمَ لم يفسِّروها كما فعل جمهور الخلف ؟!! قلنا : بل فَعَلها الذين علموا أنَّ السُّؤال عنها للعِلم - كما ذكرنا في غير ما موضع من هذا الكتاب - وخاصَّة تلك التَّأويلات التي نقلناها عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ... وأنَّ هذه العبارة وغيرها من مثيلاتها ، ما قيلت إلَّا درءاً وردّاً لمن أراد الابتداع وفتح باب الفتنة ، وبالتَّالي إغلاقه في وجه هؤلاء وأمثالهم ...

وإلَّا فنحن وبملء أفواهنا نقول لهم : قولوا لنا : أعطونا واحداً من الصَّحابة قال بمثل قولكم ؟!! مَنْ مِنَ الصَّحابة حمل الألفاظ المتشابهة على ظاهر معناها ؟!! مَنْ مِنَ الصَّحابة حمل لفظ الوجه على الحقيقة ، واليد على الحقيقة ، والعين على الحقيقة ، والسَّاق على الحقيقة ، والكفّ على الحقيقة ، والسَّاعد على الحقيقة ، والقَدَم على الحقيقة ... وأنَّه يتحرَّك على الحقيقة ، ويقوم ويقعد ويجلس ...على الحقيقة ؟!! ، فلا ولن تجد واحداً من الصَّحابة الكرام قال بهذا البتَّة ، وكيف لا والرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إنَّما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ، ضَرَبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، وإنَّما نَزَلَ كِتَابُ الله يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا ، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ " [1] .

---

[1] أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٣٥٤ برقم ٦٧٤١) ، أبو يعلى في المسند (٥/ ٤٢٩ برقم ٣١٢١) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٢٧ برقم ٢٩٩٥) ، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي في الجامع (١١/ ٢١٦ برقم ٢٠٣٦٧) ، البخاري في خلق أفعال العباد (ص٦٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٢٧ برقم ٢٠٦٢) ، وقال الأرنؤوط في تخريج المسند : وهذا إسناد حسن .

وقد تبيَّن من خلال البحث – وكما رأيت – أنَّ ما اعتاد عليه هؤلاء الحشويُّون المتمسلفون من الزَّعم بادِّعاء الإجماع على ما ذهبوا إليه هو محض كذب صُراح ، ولا وجود له البتَّة إلَّا في عقولهم التي سيطر عليها الوهمُ والتَّوهُّم والجمود والتَّقليد ...

وأمَّا عن إلصاقهم عقيدتهم بالإمام المبجَّل أحمد بن حنبل فهو من جنس كذبهم وتدليسهم عليه ، فالمعروف من منهج الإمام أحمد أنَّه – كغيره من السَّلف – كان من المنزِّهين لجلال الله تعالى عن الجسم والمكان والحركة والسُّكون ، وأنَّه سبحانه وتعالى – كما نقلنا سابقاً- لا يلحقه تغيُّر ولا تبدُّل ، ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش ، وأنَّه أنكر عَلَى مَنْ قَالَ بِالْجِسْمِ ، وَقَالَ : إِنَّ الأَسْمَاءَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَاللُّغَةِ ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ وَضَعُوا هَذَا الاسْمَ – أَيِ الْجِسْمَ – عَلَى ذِي طِولٍ وَعَرْضٍ وَسمْكٍ وَتَرْكِيبٍ وَصُورَةٍ وَتَأْلِيفٍ ، وَاللهُ خَارِجٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ – أي مُنَزَّهٌ عَنه – فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُسمَّى جِسْمًا لِخروجِهِ عَنْ مَعْنَى الْجِسْمِيّةِ ، وأنَّ كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك ...

وقد ثبت عنه وبإسناد لا غبار عليه – كما قال البيهقي – أنَّه تأوَّل قول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] ، أنَّه : جاء ثوابه ، و نقل ذلك ابن كثير في تاريخه ... والمجيء كالإتيان والنُّزول ...لأنَّ ظاهره يوهم الحركة التي يتنزَّه الله تعالى عنها وعن سائر لوازم المحدثات ... فهي مؤوَّلة عند جميع المنزِّهين ... – كما مرَّ معنا – هذا علاوة على أنَّ بعض أهل النَّقْل رووا حديث النُّزول عَن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يُؤَيّد هَذَا الْبَاب ، وَهُوَ بِضَم الْيَاء من " ينزل " وَذكر أَنَّه قد ضَبطه عَمَّن سَمعه عَنهُ من الثِّقَات الضَّابطين . وَإِذا كَانَ ذَلِك مَحْفُوظاً مضبوطاً كَمَا قَالَ ، فوجهه ظَاهر ، وَلما ذكره العلماء من التَّأويلات مؤيِّد وشَاهد . كما جاء في رواية أُخرى بلفظ : " إنّ الله يُمهِلُ حتى يمضي شطر الليل الأول ثمَّ يأمُرُ مُنادياً يُنادي : هل مِن داعٍ فَيُستجاب له ؟ وهل مِن مستغفر فَيُغفر له ؟ وهل مِن سائل فَيُعطى ؟ " وَهَذَا يرفع الْإِشْكَال ، ويزيل كل احْتِمَال ، والسُّنَّة يُفَسر بَعْضهَا بَعْضاً ، وَكَذَلِكَ الْآيَات ، وَلَا سَبِيل إِلَى حمله على صِفَات الذَّات المقدَّسة ، فَإِن الحَدِيث فِيهِ التَّصْرِيح بتجدُّد النُّزول ، واختصاصه بِبَعْض الْأَوْقَات والسَّاعات ، وصفات الرَّبِّ يجب اتصافها بالقِدم ، وتنزيهها عَن الْحُدُوث والتَّجدُّد بِالزَّمَانِ ، وكلّ مَا لم يكن فَكَانَ ، وَلم يثبت فَثَبت من أَوْصَافه تَعَالَى ، فَهُوَ من قبيل صِفَات الْأَفْعَال ، فالنُّزول والاستواء من صِفَات الْأَفْعَال ... وعلاوة على هذا كله : فقد روي عن بعض السَّلف تأويلهم لحديث النُّزول بنزول أمره سبحانه وتعالى ، وهذا مرويٌّ عن مالك ...

وبعد هذا كلِّه نقول لمدَّعي السَّلفيَّة : فكِّروا مليًّا فيما نقلنا من أقوال علماء الأمَّة سلفاً وخلفاً ، واتركوا تقليد الرِّجال ، وصحِّحوا نيَّاتكم لله تعالى ، وعودوا إلى الله عوداً حميداً ، فإنَّ رحمة الله تعالى قريب من المحسنين ...

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن

فِهْرِسُ المَوْضُوْعَات

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

(١) الإبانة الكبرى ، ابن بطة ، تحقيق : رضا معطي ، ورفاقه ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض .

(٢) أبجد العلوم ، محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي ، دار ابن حزم ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصِّفات ، القاضي أبو يعلى ، تحقيق : محمَّد النجدي ، دار إيلاف الدولية ، الكويت .

(٤) أبكار الأفكار في أصول الدِّين ، الآمدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

(٥) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، الزبيدي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٩٩٤م

(٦) الإتقان في علوم القرآن ، السُّيوطي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ، ١٩٧٤م .

(٧) إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة ، صلاح الدِّين العلائي ، تحقيق : الزهراني ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤م .

(٨) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط١ ١٤٠٨هـ .

(٩) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .

(٢٠٧) شرح السُّنَّة ، البغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمَّد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م

(٢٠٨) شرح الشفا ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ .

(٢٠٩) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن ، شرف الدِّين الحسين بن محمَّد بن عبد الله الطيبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، طبعة أخرى مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م

(٢١٠) شرح العضد على مختصر ابن الحاجب ، عضد الدِّين الإيجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

(٢١١) شرح العقيدة الأصفهانية ، ابن تيمية ، تحقيق : محمَّد بن رياض الأحمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ .

(٢١٢) شرح العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ .

بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري ،

(١٠) أحكام القرآن، الجصاص الحنفي، تحقيق : محمَّد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
(١١) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، طبع مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٧م.
(١٢) إحياء علوم الدِّين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت
(١٣) الأخطاء الأساسية في العقيدة وتوحيد الألهية من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، صدَر الكتاب عن مكتبة دار العليان، ط١، ١٤٠٧هـ.
(١٤) الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، ابن تيمية، تحقيق : أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، جدة، ط١، ٢٠٠٠م.
(١٥) الأدب المفرد، البخاري، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.
(١٦) الأربعون الصغرى، البيهقي، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
(١٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
(١٨) أساس التقديس، الرَّازي، تحقيق : الدكتور عبد الله محمَّد عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
(٢١٣) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدِّين محمَّد بن علاء الدِّين عليّ بن محمَّد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق : جماعة من العلماء، دار السلام، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، طبعة أخرى مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة : العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
(٢١٤) شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين، بلا.
(٢١٥) شرح العقيدة الواسطية، الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ، بلا.
(٢١٦) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في أصول الفقه، محمَّد بن أحمد الفتوحي، طبع جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
(٢١٧) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدِّين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
(٢١٨) شرح بدء الأمالي، أبو بكر أحمد بن علي الرَّازي الحنفي، تحقيق : أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
(٢١٩) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدِّين أحمد بن إدريس القرافي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

(١٩) أساليب بلاغية ، الفصاحة – البلاغة – المعاني ، أحمد مطلوب الصيادي الرفاعي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٠م .
(٢٠) أسرار البلاغة ، الجُرْجَانِيُّ ، تحقيق : محمَّد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
(٢١) الأسماء والصِّفات ، البيهقي ، تحقيق : عبد الله بن محمَّد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، طبعة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، القرطبي ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، ط١ ، ١٩٩٥م .
(٢٣) الأصل الجامع لإيضاح الدُّرر المنظومة في سلك جمع الجوامع ، حسن السيناوني المالكي ، مطبعة النهضة ، تونس ، ط١ ، ١٩٢٨م .
(٢٤) أصول الدِّين ، أحمد بن محمَّد بن محمود بن سعيد القابسي ، ، بلا .
(٢٥) أصول الدِّين ، عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م ، طبعة أخرى مطبعة الدولة ، استانبول ، ط١ ، ١٣٤٦هـ .
(٢٦) أصول السرخسي ، محمَّد بن أبي سهل السرخسي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ .
(٢٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م .
(٢٨) أضواء على متشابهات القرآن ، الشَّيخ خليل
(٢٢٠) شرح رسالة في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، الشَّيخ عبد الرَّحمن السعدي ، بلا .
(٢٢١) شرح رياض الصالحين محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة : ١٤٢٦هـ .
(٢٢٢) شرح سنن أبي داود ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني ، تحقيق : خالد بن إبراهيم المصري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(٢٢٣) شرح سنن النسائي المسمى " ذخيرة العقبى في شرح المجتبى " ، محمَّد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي ، دار المعراج الدولية للنشر ، دار آل بروم للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى .
(٢٢٤) شرح صحيح البخاري ، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢٢٥) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، تحقيق : الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م
(٢٢٦) شرح عقيدة مالك الصغير ، عبد الوهاب

ياسين ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٠م .
(٢٩) الاعتبار ببقاء الجنة والنار ، السبكي ، عني بنشره : القدسي ، مطبعة الترقي ، دمشق .
(٣٠) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السَّلف وأصحاب الحديث ، البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ ، .
(٣١) إعراب القرآن العظيم ، زكريا بن محمَّد بن أحمد السنيكي ، تحقيق : د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير) ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ .
(٣٢) إعراب القرآن ، الزجاج ، ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتب اللبنانية ، بيروت ، ط٤، ١٤٢٠هـ .
(٣٣) إعراب القرآن ، الأصبهاني ، ، بلا ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٣٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، السخاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م .
(٣٥) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصِّفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، الكرمى المقدسي الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ .
(٣٦) الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد الغزالي ، ، دار ومكتبة الهلال ، ط١ ، ١٩٩٣م .
(٣٧) الإقناع في مسائل الإجماع ، ابن القطان ، تحقيق :

البغدادي المالكي ، ، بلا .
(٢٢٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، عبد الله بن محمَّد الغنيمان ، بلا .
(٢٢٨) شرح مختصر الروضة ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدِّين ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م
(٢٢٩) الشريعة ، الآجري ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(٢٣٠) شعب الإيمان ، البيهقي ، تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢٣١) صحيح البخاري ، تحقيق : محمَّد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(٢٣٢) صحيح مسلم بشرح النَّووي ، النَّووي ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .
(٢٣٣) صيد الخاطر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م
(٢٣٤) ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، محمَّد عبد العزيز النجار ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

حسن فوزي الصعيدي ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
(٣٨) أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث : " رأيت ربِّي في أحسن صورة ، الأستاذ حسن السقاف ، مطبوع بذيل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ، ، دار الإمام النَّووي ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٢م .
(٣٩) إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، مغلطاي ، تحقيق : أبو عبد الرَّحمن عادل بن محمَّد ، أبو محمَّد أسامة بن إبراهيم ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
(٤٠) إلجام العوام عن علم الكلام ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٤١) الانتصار للقرآن ، الباقلاني ، تحقيق : د. محمَّد عصام القضاة ، دار الفتح ، عَمَّان ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(٤٢) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، الخياط ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .
(٤٣) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، تحقيق : سالم بن محمَّد القرني ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١، ١٤١٩هـ .
(٤٤) الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف ، أ البطليوسي ، تحقيق : د. محمَّد رضوان الداية ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .
(٤٥) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ،
(٢٣٥) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمَّد بن محمَّد ، تحقيق : محمَّد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت .
(٢٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدِّين السبكي ، المحقق: د. محمود محمَّد الطناحي د. عبد الفتاح محمَّد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٣هـ .
(٢٣٧) طبقات الفقهاء الشافعية ، عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصلاح ، تحقيق : محيي الدِّين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٢م
(٢٣٨) الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسيني المعروف بـ ابن معصوم المدني ، تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .
(٢٣٩) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللهّ ، المكتبة العنصرية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
(٢٤٠) طرح التثريب في شرح التقريب ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر العراقي ، أكمله ابنه : أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثمَّ المصري ، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي ، الطبعة المصرية القديمة .

الباقلاني ، تحقيق : محمَّد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
(٤٦) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ، زين الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرَّازي ، تحقيق : د. عبد الرَّحمن بن إبراهيم المطرودي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ.
(٤٧) أنوار التنزيل وأسرار التَّأويل ، البيضاوي ، تحقيق : محمَّد عبد الرَّحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ
(٤٨) الأهوال ، ابن أبي الدُّنيا ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، مكتبة آل ياسر ، مصر ، ١٤١٣هـ .
(٤٩) أوضح التفاسير ، محمَّد محمَّد عبد اللطيف بن الخطيب ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، ط٦ ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .
(٥٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام ، تحقيق : يوسف الشَّيخ محمَّد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
(٥١) إيجاز البيان عن معاني القرآن ، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم ، نجم الدِّين ، تحقيق : الدكتور حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ .
(٥٢) إيضاح الدَّليل في قطع حجج أهل التعطيل ، ابن جماعة ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي الألباني ، دار
(٢٤١) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، أبو بكر محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
(٢٤٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السبكي ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(٢٤٣) العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية ، تحقيق : نزار حمَّادي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م
(٢٤٤) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : أبو محمَّد أشرف بن عبد المقصود ، مكتبة أضواء السَّلف ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .
(٢٤٥) علوم البلاغة " البيان ، المعاني ، البديع " ، أحمد بن مصطفى المراغي ، بلا .
(٢٤٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدِّين العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢٤٧) العواصم من القواصم (النص الكامل) ، القاضي أبو بكر بن العربي ، تحقيق : الدكتور عمار طالبي

السلام للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(٥٣) الإيضاح والبيان بما جاء في ليلة النصف من شعبان ، ابن حجر الهيتمي ، مخطوط محفوظ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات برقم (١٠٢٤٧) .
(٥٤) باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ، النيسابوري الغزنوي ، أبو القاسم ، الشهير بـ (بيان الحق) ، تحقيق : سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي ، نشر: جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
(٥٥) بحر العلوم ، السمرقندي ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة أخرى بلا .
(٥٦) بحر الكلام ، ميمون بن محمَّد النسفي ، مكتبة دار الفرفور ، دمشق ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
(٥٧) البحر المحيط في أصول الفقه ، الزركشي ، دار الكتبي ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٥٨) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان ، تحقيق : صدقي محمَّد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : ١٤٢٠هـ .
(٥٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ابن عجيبة الحسني ، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ، نشر : الدكتور حسن عبَّاس زكي ، القاهرة ، الطبعة : ١٤١٩هـ .
(٦٠) البداية والنهاية ، ابن كثير القرشي، تحقيق : عبد

، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .
(٢٤٨) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ابن الوزير ، محمَّد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ، أبو عبد الله، عز الدِّين ، من آل الوزير ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
(٢٤٩) العين والأثر في عقائد أهل الأثر ، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري ، تحقيق : عصام رواس قلعجي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٧م .
(٢٥٠) غرائب التفسير وعجائب التَّأويل ، غرائب التفسير وعجائب التَّأويل ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني ، ويعرف بتاج القراء ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن .
(٢٥١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، النيسابوري ، ، تحقيق : الشَّيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ .
(٢٥٢) الغنية في أصول الدِّين ، أبو سعيد عبدالرحمن بن محمَّد ، تحقيق : عماد الدِّين أحمد حيدر ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
(٢٥٣) الغيث الهامع شرح جمع الجوامع ، ولي الدِّين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي ، تحقيق : محمَّد تامر

الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، طبعة أخرى دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٦م ، طبعة أخرى دار إحياء التراث العربي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٦١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، الكاساني الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م
(٦٢) بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٦٣) البدع والنهي عنها ، ابن وضاح ، تحقيق : عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
(٦٤) براءة الأشعريين من عقائد المخالفين ، محمَّد العربي بن التباني ، دار المصطفى ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
(٦٥) البرهان في أصول الفقه ، إمام الحرمين الجويني ، تحقيق : صلاح بن محمَّد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، طبعة أخرى مطابع الدوحة الحديثة ، قطر ، ط١ ، ١٣٩٩هـ .
(٦٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط١ ، ١٣٧٦هـ ، ١٩٥٧م .
(٦٧) بريقة محمودية في شرح طريقة محمَّدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفى بن
حجازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م
(٢٥٤) الفتاوى الحديثية ، ابن حجر الهيتمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، طبعة أخرى مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية .
(٢٥٥) فتاوى الرملي ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي ، جمعها : ابنه ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرملي ، المكتبة الإسلامية .
(٢٥٦) الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م.
(٢٥٧) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش .
(٢٥٨) فتاوى نور على الدرب ، عبد العزيز بن باز ، اعتنى به : أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن أحمد الطيار ، أبو عبد الله محمَّد بن موسى الموسى .
(٢٥٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .
(٢٦٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السَلامي ، البغدادي ، ثمَّ الدمشقي ، الحنبلي ، تحقيق : محمود بن شعبان بن عبد المقصود ، ورفاقه ، مكتبة الغرباء الأثرية

عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي ، مطبعة الحلبي ، ١٣٤٨هـ .
(٦٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادى ، تحقيق : محمَّد علي النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .
(٦٩) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، ط١٧ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
(٧٠) بيان المعاني ، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٥م
(٧١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ
(٧٢) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق : د محمَّد حجي ، وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م
(٧٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .
(٢٦١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر ، صَيدَا ، بَيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
(٢٦٢) فتح الرَّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، زكريا بن محمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيى السنيكي ، تحقيق : محمَّد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م
(٢٦٣) فتح القدير ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام ، دار الفكر ، بيروت .
(٢٦٤) فتح القدير ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤هـ .
(٢٦٥) فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمَّد عبد الله بن عبد الرَّحمن المسمّى بـ : المسند الجامع ، أبو عاصم ، نبيل بن هاشم بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد الغمري ، دار البشائر الإسلامية ، المكتبة المكية ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
(٢٦٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٦م .
(٢٦٧) الفجر الصادق في الردِّ على المارق ، جميل صدقي

(٧٤) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٣م .
(٧٥) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢ م .
(٧٦) تاريخ بغداد وذيوله ، الخطيب البغدادي ، ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
(٧٧) تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٧٨) تأويل مختلف الحديث ، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المكتب الاسلامي ، مؤسسة الإشراق ، الطبعة ، الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
(٧٩) التبصرة ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
(٨٠) تبصرة الأدلة في أصول الدِّين ، أبو المعين النسفي الحنفي ، بلا .
(٨١) التبصرة في أصول الفقه ، أبو اسحاق الشيرازي ، تحقيق : د. محمَّد حسن هيتو ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٣هـ
بن محمَّد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي ، تحقيق : الدكتور أحمد دقماق ، الطبعة الثانية .
(٢٦٨) الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة أخرى دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٧٧م .
(٢٦٩) فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان ، سلامة القضاعي العزامي الشافعي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .
(٢٧٠) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) ، أبو العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن إدريس بن عبد الرَّحمن المالكي الشهير بالقرافي ، عالم الكتب ، بيروت .
(٢٧١) الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : محمَّد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر
(٢٧٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
(٢٧٣) الفصول في الأصول ، أحمد بن علي أبو بكر الرَّازي الجصاص الحنفي ، نشر : وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
(٢٧٤) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ، نعمة الله بن محمود النخجواني ، ويعرف بالشيخ علوان ، دار ركابي للنشر ،

(٨٢) التبصير في الدِّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، طاهر بن محمَّد الإسفراييني الشافعي الأشعري أبو المظفر ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .
(٨٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزيلعي الحنفي ، الحاشية : شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ ، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٣١٣هـ .
(٨٤) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
(٨٥) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي ، تحقيق : د. عبد الرَّحمن الجبرين ، د. عوض القرني ، د. أحمد السراح ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(٨٦) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير ، محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني، الكحلاني ثمَّ الصنعاني، أبو إبراهيم ، عز الدِّين ، المعروف كأسلافه بالأمير ، تحقيق : محمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب ، مَكتَبَةُ الرُّشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، الغورية ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م
(٢٧٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة : السابعة عشر ، ١٤١٢هـ .
(٢٧٦) فيض الباري على صحيح البخاري ، أمالي محمَّد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثمَّ الديوبندي ، تحقيق : محمَّد بدر عالم الميرتهي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .
(٢٧٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثمَّ المناوي القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٥٦هـ .
(٢٧٨) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الحسين بن محمَّد الدامغاني ، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٩٨٠م .
(٢٧٩) القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصِّفات الإلهية ، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، تحقيق : مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢٨٠) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م
(٢٨١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن

١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
(٨٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثمَّ المصري، تحقيق: الدكتور حفني محمَّد شرف، نشر: الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
(٨٨) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
(٨٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٩٠) تذكرة الحفاظ، الذَّهبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
(٩١) تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير، الحَرَالِّيُّ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
(٩٢) الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمَّد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، قَايْماز الذَّهبي، تحقيق: محمَّد عوامة أحمد محمَّد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
(٢٨٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
(٢٨٣) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، تحقيق: محمَّد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م.
(٢٨٤) كتاب التعريفات، علي بن محمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. (٢٨٥) كتاب العظمة، أَبو الشَّيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمَّد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
(٢٨٦) كتاب المعجم، عَبْد الخالق بْن أسد بْن ثاب، الفقيه أَبُو محمَّد الدّمشقيّ الحنفيّ المحدِّث الأطْرابُلُسيّ الأصل، تحقيق: نبيل سعد الدِّين جرَّار، دار البشائر الإسلامية، الأولى، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
(٢٨٧)كتاب المواقف، عضد الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: د. عبد الرَّحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٤١٤هـ، ١٩٩٣م
(٩٣) التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي الغرناطي ، تحقيق : الدكتور عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
(٩٤) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدِّين السبكي ، أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ، تحقيق : د سيد عبد العزيز ، د عبد الله ربيع ، مكتبة قرطبة ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م
(٩٥) تطريز رياض الصالحين ، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي ، تحقيق : د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .
(٩٦) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٩٧) تفسير ابن فورك ، محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر ، تحقيق : علال عبد القادر بندويش ، نشر : جامعة أم القرى ، السعودية ، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م
(٩٨) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي محمَّد بن محمَّد بن مصطفى دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
(٢٨٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة أخرى دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٧هـ .
(٢٨٩) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، علاء الدِّين بن أحمد البخاري ، مطبعة د درسعادت ، استانبول ، ١٣٠٨هـ .
(٢٩٠) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، الرياض .
(٢٩١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق ، تحقيق : الإمام أبي محمَّد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
(٢٩٢) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني ، أبو الحسن المالكي ، تحقيق : يوسف الشَّيخ محمَّد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ .
(٢٩٣) كفاية النبيه في شرح التنبيه ، أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرفعة ، تحقيق : مجدي محمَّد سرور باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
(٢٩٤) الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ،

(٩٩) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م .
(١٠٠) التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي ، تحقيق : الأصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمَّد بن سعود ، ثمَّ قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ، عمادة البحث العلمي ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٠هـ
(١٠١) تفسير الجلالين ، جلال الدِّين محمَّد بن أحمد المحلي ، وجلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى .
(١٠٢) تفسير الخازن المسمى لباب التَّأويل في معاني التنزيل ، علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
(١٠٣) تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : د. محمَّد عبد العزيز بسيوني ، نشر: كلية الآداب ، جامعة طنطا ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(١٠٤) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد النيسابوري ، أبو عبد الرَّحمن السلمي ، تحقيق : سيد عمران ، دار الكتب المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .
(٢٩٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي ، تحقيق : عدنان درويش ، محمَّد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
(٢٩٦) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، محمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدِّين الكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ثانية : ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٢٩٧) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م
(٢٩٨) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
(٢٩٩) لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق : عبد الله الكبير ، ورفاقه ، دار المعارف ، القاهرة ، طبعة أخرى دار صادر ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٤هـ .
(٣٠٠) لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية ، الهند ، نشر : مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،

العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م .
(١٠٥) تفسير الشعراوي ، الخواطر ، محمَّد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم .
(١٠٦) تفسير القرآن ، أبو المظفر ، منصور بن محمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثمَّ الشافعي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم بن عبَّاس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
(١٠٧) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمَّد رشيد بن علي رضا بن محمَّد شمس الدِّين بن محمَّد بهاء الدِّين بن منلا علي القلموني الحسيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .
(١٠٨) تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمَّد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م
(١٠٩) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(١١٠) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمَّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ .
الطبعة : الثانية ، ١٣٩٠هـ ،١٩٧١م .
(٣٠١) لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة : الثالثة .
(٣٠٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثمَّ الدمشقي، الحنبلي ، دار ابن حزم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٤هـ .
(٣٠٣) لقاء الباب المفتوح ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين ، لقاءات كان يعقدها الشَّيخ بمنزله كل خميس . بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ ، وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ .
(٣٠٤) الله تبارك وتعالى ، طه عفيفي ، ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤م .
(٣٠٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدِّين ، أبو العون محمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .
(٣٠٦) مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصَّالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة والعشرون ، ٢٠٠٠م .
(٣٠٧) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ،

(١١١) تفسير القرآن العظيم ، أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي ، الحنظلي ، الرَّازي ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمَّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٩هـ .

(١١٢) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

(١١٣) التفسير الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : هشام البدراني ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ، إربد ، ط١ ، ٢٠٠٨م

(١١٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، محمَّد بن محمَّد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي ، تحقيق : د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م .

(١١٥) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١١٦) تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة : الأولى ، ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م .

(١١٧) التفسير المظهري ، المظهري ، محمَّد ثناء الله ، تحقيق : غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية ، الباكستان ، الطبعة : ١٤١٢هـ .

محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي ، البُستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٣٩٦هـ .

(٣٠٨) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، جمال الدِّين ، محمَّد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة : الثالثة ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .

(٣٠٩) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، نشر : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م

(٣١٠) المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي ، ، دار الفكر ، بيروت .

(٣١١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الوطن ، دار الثريا ، الطبعة : الأخيرة ، ١٤١٣هـ .

(٣١٢) مجموعة رسائل محمَّد نسيب الرفاعي ، حسان عبد المنان ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م

(٣١٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق : عبد السلام عبد

(١١٨) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د . وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ .
(١١٩) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدِّين النسفي ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٩٩٨م .
(١٢٠) تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق : مروان محمَّد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠٥م
(١٢١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .
(١٢٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمَّد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة : الأولى
(١٢٣) تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، دار إحياء التراث العربي .
(١٢٤) تفسير عبد الرزاق ، ، تحقيق : د. محمود محمّد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ .
(١٢٥) تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، تحقيق : عبد الله
الشافي محمَّد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .
(٣١٤) المحصول ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرَّازي الملقب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الري ، تحقيق : الدكتور طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م
(٣١٥) المحلى بالآثار ، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، دار الفكر ، بيروت .
(٣١٦) المختار في أصول السُّنَّة ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنا الحنبلي البغدادي ، تحقيق : عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة : الثانية ، ١٤٢٥هـ .
(٣١٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيم الجوزية ، اختصره : محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدِّين ، ابن الموصلي ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(٣١٨) مختصر العلو للعلي العظيم ، الذَّهبي ، حققه واختصره : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .
(٣١٩) مختصر المعاني ، سعد الدِّين التفتازاني ، دار

محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
(١٢٦) تلبيس إبليس ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ه ، ٢٠٠١م
(١٢٧) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضى ، دار الأضواء ، بيروت .
(١٢٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمَّد عبد الكبير البكري ، نشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ
(١٢٩) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩م .
(١٣٠) تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس ، عبد الله بن عبَّاس ، جمعه : مجد الدِّين أبو طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
(١٣١) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ، محمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمَّد الحسني ، تحقيق : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، مكتبة دار السلام ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٢هـ ، ٢٠١١م .
(١٣٢) تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ، مطبعة دائرة

الفكر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ .
(٣٢٠) المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
(٣٢١) المدخل ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ، دار التراث
(٣٢٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً ، تحقيق : محمَّد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ .
(٣٢٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرحماني المباركفوري ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ، الجامعة السَّلفيَّة ، بنارس الهند ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
(٣٢٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .
(٣٢٥) المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك ، القاضي محمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ، دَار الغَرب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
(٣٢٦) مسائل حرب ، أبو محمَّد حرب بن إسماعيل بن

المعارف النظامية، الهند، الطبعة : لأولى، ١٣٢٦هـ .
(١٣٣) تهذيب اللغة ، محمَّد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور ، تحقيق : محمَّد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠١م .
(١٣٤) تهنئة الصديق المحبوب ، الأستاذ حسن السقاف، دار الإمام النَّووي، عمان، ط١ ، ١٩٩٣م .
(١٣٥) التوحيد، محمَّد بن محمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق : د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية
(١٣٦) التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح، ابن الملقن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، دار النوادر ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
(١٣٧) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، تحقيق : محمَّد الداية، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ .
(١٣٨) الجامع، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي في، تحقيق : حبيب الرَّحمن الأعظمي ، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة : الثانية، ١٤٠٣هـ .
(١٣٩) جامع الأصول في أحاديث الرَّسول ، مجد الدِّين أبو السعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق :
خلف الكرماني، إعداد : فايز بن أحمد بن حامد حابس، نشر : جامعة أم القرى ،١٤٢٢هـ .
(٣٢٧) المستصفى ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق : محمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة : الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م
(٣٢٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م
(٣٢٩) مسند البزار، تحقيق : محفوظ الرَّحمن زين الله، ورفاقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة : الأولى، ٢٠٠٩م .
(٣٣٠) مسند الشاميين، الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة : الأولى، ١٤٠٥ه، ١٩٨٤م .
(٣٣١) مسند الطيالسي في المسند، تحقيق : محمَّد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة : الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .
(٣٣٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن، موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل، المكتبة العتيقة ودار التراث .
(٣٣٣) مشكل الحديث وبيانه ، محمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر، تحقيق : موسى

عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح ، مكتبة دار البيان ، الطبعة : الأولى .
(١٤٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطَّبري ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م
(١٤١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطَّبري ، تحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م
(١٤٢) الجامع الصَّحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، تحقيق : محمَّد إدريس ، عاشور بن يوسف ، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة بيروت ، سلطنة عمان ، ١٤١٥هـ .
(١٤٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثمَّ الدمشقي، الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، إبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : السابعة ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
(١٤٤) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م .
محمَّد علي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٥م .
(٣٣٤) مشكل الحديث وبيانه ، محمَّد بن فورك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .
(٣٣٥) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي ، أبو إسحاق ابن قرقول ، تحقيق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، الطبعة : الأولى ، ١٤٣٣هـ ، ٢٠١٢م .
(٣٣٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(٣٣٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، طبعة أخرى دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(٣٣٨) معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المطبعة العلمية ، حلب ، الطبعة : الأولى ، ١٣٥١هـ ، ١٩٣٢م .
(٣٣٩) معانى القرآن للأخفش ، أبو الحسن المجاشعي

(١٤٥) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
(١٤٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود بن عبد الرحيم صافي ، دار الرشيد ، دمشق ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٨هـ .
(١٤٧) الجرح والتعديل ، أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرَّازي ابن أبي حاتم ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٢٧١هـ ، ١٩٥٢م .
(١٤٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق : الشَّيخ محمَّد علي معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ .
(١٤٩) حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن) ، محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، نور الدِّين السندي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
(١٥٠) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ، الْمُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفاجي المصري
بالولاء ، البلخي ثمَّ البصري ، المعروف بالأخفش الأوسط ، تحقيق : الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .
(٣٤٠) معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمَّد ، تحقيق : محمَّد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٩هـ .
(٣٤١) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٣٤٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٣٤٣) المعتمد في أصول الفقه ، أبو الحسين محمَّد بن علي بن الطيب البصري ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٨٤هـ .
(٣٤٤) معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣م .
(٣٤٥) المعجم الأوسط ، الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ،

الحنفي ، دار صادر ، بيروت .
(١٥١) حاشية الشَّيخ محمَّد نجيب المطيعي على شرح الدردير على الخريدة في علم التوحيد ، دار البصائر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
(١٥٢) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، أحمد بن محمَّد الصاوي المصري الخلوتي المالكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م
(١٥٣) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، أبو العرفان محمَّد بن علي الصبان الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .
(١٥٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر ، ١٣١٨هـ .
(١٥٥) حاشية الكلنبوي على شرح الدواني ، درسعادت ، ١٣١٦هـ .
(١٥٦) حاشية مقدمة التفسير (المقدمة والحاشية كلاهما للشيخ ابن قاسم رحمه الله) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي ، بلا ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
(١٥٧) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير ، (أصل الكتاب رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بإشراف الشَّيخ محمَّد أبو زهرة رحمه اللهـ) ، دار الحرمين ، القاهرة .
(٣٤٦) معجم الشيوخ الكبير ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : الدكتور محمَّد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الطائف ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
(٣٤٧) معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق : الشَّيخ بيت الله بيات ، ومؤسسة النشر الإسلامي ، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ " قم " ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ .
(٣٤٨) المُعْلم بفوائد مسلم ، أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي ، تحقيق : فضيلة الشَّيخ محمَّد الشاذلي النيفر ، الدار التونسية للنشر ، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر ، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٨م .
(٣٤٩) معيد النعم ومبيد النقم ، تاج الدِّين السبكي ، تحقيق : محمَّد علي النجار ، أبو زيد شلبي ، محمَّد أبو العيون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٦م .
(٣٥٠) المغني ، الإمام أبو سعيد عبد الرَّحمن بن محمَّد المأمون المتولي الشافعي ، بلا .
(٣٥١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمَّد ،

عدنان محمَّد زرزور ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
(١٥٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، دار السعادة ، بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .
(١٥٩) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدِّين الكوكباني الصنعاني) ، أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدِّين ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، دار البشائر ، حلب ، بيروت ، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٦هـ .
(١٦٠) خلق أفعال العباد ، البخاري ، تحقيق : د. عبد الرَّحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، الرياض .
(١٦١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق : الدكتور أحمد محمَّد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
(١٦٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرَّحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السُّيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
(١٦٣) درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : الدكتور محمَّد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الثانية ،

جمال الدِّين ، ابن هشام ، تحقيق : د. مازن المبارك ، محمَّد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة : السادسة ، ١٩٨٥م .
(٣٥٢) المغني في الضعفاء ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : الدكتور نور الدِّين عتر ، بلا .
(٣٥٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرَّازي الملقب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٠هـ .
(٣٥٤) مفتاح العلوم ، يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٧م .
(٣٥٥) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهانى ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ .
(٣٥٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العبَّاس أَحْمَدُ بنُ الشَّيخ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ ، بلا .
(٣٥٧) مقالات الكوثري ، محمَّد بن زاهد الكوثري ، دار الأحناف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .
(٣٥٨) مقدِّمات الإمام الكوثري ، دار الثريَّا ، دمشق ،

١٤١١هـ، ١٩٩١م .
(١٦٤) دراسات أصولية في القرآن الكريم ، محمَّد إبراهيم الحفناوي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م
(١٦٥) الدرة فيما يجب اعتقاده ، أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق : عبد الحي التركماني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
(١٦٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام ، تحقيق : عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم ، ط٦ ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م
(١٦٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م
(١٦٨) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن الجوزي الحنبلي ، تحقيق : الأستاذ حسن السقاف ، دار الإمام النَّووي ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .
(١٦٩) دفع شُبه من شَبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد ، تقي الدِّين أبي بكر الحصني الشافعي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .
(١٧٠) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : د. محمَّد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٤هـ .
(١٧١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمَّد

بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
(٣٥٩) مكمل إكمال الإكمال المطبوع مع إكمال إكمال المعلم أبو عبد الله السنوسي هو محمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ، بلا
(٣٦٠) الملل والنحل ، أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني ، ، نشر : مؤسسة الحلبي .
(٣٦١) مناقب الإمام أحمد ، ابن الجوزي ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٩هـ .
(٣٦٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة : الثالثة .
(٣٦٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م
(٣٦٤) منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر ، علي بن سلطان القاري ، ومعه التعليق الميسَّر على شرح الفقه الأكبر ، وهبي غاوجي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م
(٣٦٥) منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

علي بن محمَّد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة : الرابعة ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .
(١٧٢) الديباج على صحيح مسلم ، جلال الدِّين السُّيوطي ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الخبر ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .
(١٧٣) الذَّهبي ومنهجه في كتابه تأريخ الإسلام ، بشار عواد معروف ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة . ط١ ، ١٩٧٦م .
(١٧٤) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، أبو عبد الله، ابن بطوطة ، نشر : أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٤١٧هـ .
(١٧٥) رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
(١٧٦) الرد على الجهمية والزنادقة ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين ، دار الثبات للنشر والتوزيع ، الطبعة : الأولى .
(١٧٧) رسالة التوحيد ، محمَّد عبده ، ، دار الشروق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .
(٣٦٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٣٩٢هـ .
(٣٦٧) المنهاج في شعب الإيمان ، أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي الشافعي ، بلا .
(٣٦٨) منهج الأشاعرة في العقيدة ، سفر الحوالي ، الدار السَّلفيَّة ، ط١ ، ١٩٨٦م .
(٣٦٩) منهج السَّلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق ، محمَّد بن السيد علوي المالكي الحسني ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .
(٣٧٠) الموافقات ، الشاطبي ، تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط١ ١٤١٧هـ.
(٣٧١) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله ، مجموعة من المؤلفين ، ط١ ، ٢٠٠١م ، عالم الكتب للنشر والتوزيع ، بيروت .
(٣٧٢) موسوعة الألباني ، صَنَعَهُ : شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان ، نشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، صنعاء ، اليمن ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م .
(٣٧٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمَّد بن علي ابن القاضي محمَّد حامد بن محمَّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي ، تحقيق : د. علي دحروج ، نقل النصَّ الفارسي إلى العربية : د. عبد الله الخالدي ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الطبعة : الأولى ،

(١٧٨) الرسالة الوافية لمذهب أهل السُّنَّة في الاعتقادات وأصول الديانات ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني ، تحقيق : دغش بن شبيب العجمي ، دار الإمام أحمد ، الكويت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م

(١٧٩) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، تحقيق : عبد الله شاكر الجنيدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة : ١٤١٣هـ

(١٨٠) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار " ، لمحمَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، بتحقيق : محمَّد ناصر الدِّين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة : الأولى ، ١٩٨٤م .

(١٨١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ، ابن رجب الحنبلي ، جمع وترتيب : طارق بن عوض الله بن محمَّد ، دار العاصمة ، السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.

(١٨٢) روح المعاني ، الألوسي ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ هـ .

(١٨٣) الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم ، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ٢٠١١م .

١٩٩٦م

(٣٧٤) الموطأ ، مالك بن أنس ، تحقيق : محمَّد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ، أبو ظبي ، الإمارات ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م ، طبعة أخرى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م .

(٣٧٥) ميزان الأصول في نتائج العقول ، علاء الدِّين السمرقندي ، ط١ ، ١٩٨٤م .

(٣٧٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي ، تحقيق : علي محمَّد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٣م .

(٣٧٧) النبوات ، ابن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السَّلف ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م

(٢٧٨) النجم الوهاج في شرح المنهاج ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي ، تحقيق : لجنة علمية ، دار المنهاج ، جدة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

(٣٧٩) نحو تفسير موضوعي ، محمَّد الغزالي ، دار نهضة مصر ، الطبعة : الأولى .

(٣٨٠) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، تحقيق : محمَّد عبد الكريم كاظم الراضي ،

(١٨٤) روض الرياحين في حكايات الصالحين ، اليافعي، بلا .
(١٨٥) رياض الصالحين ، النَّووي ، تحقيق : الدكتور ماهر ياسين الفحل ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م
(١٨٦) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
(١٨٧) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط٢٧، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
(٨١٨) زغل العلم ، الذَّهبي ، تحقيق : محمَّد بن ناصر العجمي ، مكتبة الصحوة الإسلامية .
(١٨٩) زهرة التفاسير ، محمَّد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
(١٩٠) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .
(١٩١) سبل الهدى والرشاد، ، محمَّد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشَّيخ علي محمَّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م
(١٩٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
(٣٨١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، عبد الرَّحمن بن عبد السلام الصفوري ، المطبعة الكاستلية ، مصر ، ١٢٨٣هـ .
(٣٨٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة
(٣٨٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
(٣٨٤) نفائس الأصول في شرح المحصول ، شهاب الدِّين أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمَّد معوض ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .
(٣٨٥) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد ، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، تحقيق : رشيد بن حسن الألمعي ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .
(٣٨٦) النكت في إعجاز القرآن ، (مطبوع ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، علي بن عيسى بن علي

كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، مطبعة بولاق (الأميرية) ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ .
(١٩٣) السُّنَّة ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، تحقيق : د. محمَّد سعيد سالم القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
(١٩٤) السُّنَّة ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، دار الراية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
(١٩٥) سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .
(١٩٦) سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .
(١٩٧) سنن الدارمي ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م ١.
(١٩٨) السنن الكبرى ، البيهقي ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .
(١٩٩) السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م
(٢٠٠) سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشَّيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ
بن عبد الله ، أبو الحسن الرماني المعتزلي ، تحقيق : محمَّد خلف الله ، د. محمَّد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة : الثالثة ، ١٩٧٦م .
(٣٨٧) النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) ، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني ، أبو الحسن ، تحقيق : د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .
(٣٨٨) نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمَّد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، شهاب الدِّين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .
(٣٨٩) نهاية المبتدئين في أصول الدِّين ، ابن حمدان الحنبلي ، تحقيق : ناصر بن سعود السلامة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
(٣٩٠) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمَّد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
(٣٩١) نوادر الأصول ، الحكيم الترمذي ، تحقيق : عبد الرَّحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .
(٣٩٢) نيل الأوطار ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني ،تحقيق : عصام الدِّين الصبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

، ١٩٨٥م .
(٢٠١) السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل ، تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السبكي ، وبهامشه (تكملة الردّ على نونية ابن القيّم للكوثري) ، مكتبة زهران ، القاهرة .
(٢٠٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرَّحمن العقيلي الهمداني المصري ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، الطبعة : العشرون ،١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .
(٢٠٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمَّد بن عيسى ، أبو الحسن ، نور الدِّين الأُشْمُوني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م
(٢٠٤) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، مطبعة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٤هـ
(٢٠٥) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمَّد الجرجاويّ الأزهري ، زين الدِّين المصري ، وكان يعرف بالوقاد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
(٢٠٦) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، محمَّد
(٣٩٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن ، أبو محمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثمَّ الأندلسي القرطبي المالكي ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، نشر : مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م .
(٣٩٤) الوَاضِح في أُصُولِ الفِقه ، أبو الوفاء ، علي بن عقيل بن محمَّد بن عقيل البغدادي الظفري ، تحقيق : الدكتور عَبد الله التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .
(٣٩٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
(٣٩٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، تحقيق : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ورفاقه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م
(٣٩٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار صادر ، بيروت .

مِنْ أَعْمَالِ المؤلِّف الأُسْتَاذ الدُّكْتُوْر عَلِي مِقْدَادِي الحَاتِمِي :

ضِمْنَ سِلْسِلَةِ : " السِّهَامُ الخَافِضَةُ لِدِيْنِ الرَّافِضَة " ضِمْنَ سِلْسِلَةِ : " السِّهَامُ الخَافِضَةُ لِدِيْنِ الرَّافِضَة " :

(١) عِظَمُ المِنَّةِ فِي تَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة بِأَهْلِ السُّنَّةِ .

(٢) التَّقيَّة وَمَكَانَتُهَا العَقَديَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٣) عقيدة الشِّيعة الإماميَّة بصحابة خير البريَّة .

(٤) الإرتِوَاءُ فِي بَيَانِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ البَدَاء .

(٥) شَحْذُ الهِمَّةِ فِي إِثْبَاتِ تَأْلِيْهِ الشِّيعة لِلأَئِمَّة .

(٦) وَاضِحُ البَيَانِ فِي إِثْبَاتِ اعْتِقَادِ الشِّيعة بِتَحْرِيْفِ القُرْآن .

(٧) الإِمَامَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(٨) عِصْمَةُ الأئمَّة عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .

(٩) التَّنْفِيْرُ مِمَّا جَاءَ فِي حَدِيْثِ الغَدِيْر .

(١٠) قُرَّةُ العَيْنِ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الشِّيعة هُمْ قَتَلَةُ الحُسَيْن .

(١١) الأَعْمَالُ الشُّعُوْبِيَّةُ وَالإِجْرَامِيَّةُ لِمَهْدِيِّ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٢) خُرَافَةُ المَهْدَوِيَّةِ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٣) أَشْهَرُ الطُّعُوْنِ الشِّيْعِيَّةِ فِيْ صَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّة .

(١٤) الإِمْتَاعُ في بَيَانِ مَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الإِجْمَاع .

(١٥) المُتْعَةُ وَمَكَانَتُهَا العَقَدِيَّةُ فِي دِيْنِ الشِّيعة الإماميَّة .

(١٦) أَسْمَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ تَفْرِيْطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٧) أَسْنَى المَطَالِبِ فِي تَوْضِيْحِ إِفْرَاطِ الشِّيعة فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب .

(١٨) تَحْقِيْقُ القَوْلِ فِي نُزُوْلِ كُتُبٍ سَمَاوِيَّةٍ عَلَى أئمَّة الشِّيعة الإماميَّة .

(١٩) إِعْلَامُ النَّبِيْهِ بِتَفْرِيْطِ الشِّيعة الإماميَّة فِي الرَّسول وَأَزْوَاجِهِ وَبَنِيْه .

(٢٠) النَّجْعَة فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة مِنْ عَقِيْدَةِ الرَّجْعَة .

(٢١) الأَقْوَالُ الشَّنِيْعَةُ المُوْجِبَةُ لِتَكْفِيْرِ الشِّيعة .

(٢٢) إِنْبَاءُ العَالَمِيْن بِخِيَانَةِ الشِّيعة للإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِيْن .
(٢٣) إِعْلَامُ الوَسْنَانِ بِأَحْوَالِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي إِيْرَان .
(٢٤) الذَّرِيْعَةُ فِيْ الكَلَامِ عَلَى خُمْسِ الشِّيعة .
(٢٥) تَبْدِيْدُ السِّهَامِ الطَائِشَةِ عَنْ أُمِّنَا عَائِشَة .
(٢٦) الإِنَافَةُ فِي بَيَانِ مَوْقِفِ عَلِيٍّ مِنَ الخُلَفَاءِ الثَّلَاثَة .
(٢٧) الرِّيَاضُ الْمُسْتَطَابَةُ فِي عَلَاقَةِ آلِ البَيْتِ بالصَّحابة .
(٢٨) إِعْلَامُ الثقَلَيْنِ بِمَوْقِفِ الشِّيعة مِنَ الحَسَنِ وَالحُسَيْن .
(٢٩) كَشْفُ العَيْبَةِ فِي تَوْضِيْحِ مَا عِنْدَ الشِّيعة مِنْ عَقِيْدَةِ الغَيْبَة .
(٣٠) الإِبَاحِيَّةُ الجِنْسِيَّةُ عِنْدَ الشِّيعة الإماميَّة .
(٣١) مُخَالَفَاتُ الشِّيعة لِلقُرْآنْ .
(٣٢) الأَقْصَى وَفِلَسْطِيْن فِي عَقِيْدَةِ الشِّيعة المَاكِرِيْن .
(٣٣) مُصِيْبَةُ التَّقْرِيْبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيْعَه .
(٣٤) إِعْلَامُ البَرِيَّة بِتَوْضِيْحِ عَقِيْدَةِ الشِّيعة الإماميَّة بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّة .
(٣٥) عَقِيْدَةُ الشِّيعة الإماميَّة بِصَحَابَةِ خَيْرِ البَرِيَّةِ .
(٣٦) الوَافِي فِيْ نَقْدِ أُصُوْلِ الكَافِي .
(٣٧)إِعْلَامُ الجُلَسَاءِ بِشَرْحِ حَدِيْثِ الكِسَاءِ .
(٣٨) إِرْشَادُ الكِلَابِ الهَائِمَة الْمُتَجَنِّيَةِ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَة .
(٣٩) الأَمَدُ الأَقْصَى تَوْضِيْحِ اعْتِقَادِ الشِّيْعَةِ بِالْمَسْجِدِ الأَقْصَى .
(٤٠) إعلامُ الهَائِمِ بِأَنَّهُ لَا جِهَادَ عِنْدَ الشِّيْعَةِ حَتَّى يَخْرُجَ القَائِم .

وَضِمْن سِلْسِلَةِ : ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾ :

(٤١) التَّرْوِيْضُ فِي تِبْيَانِ حَقِيْقَةِ التَّفْوِيْض .
(٤٢) تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّة .
(٤٣) كَشْفُ الخَفَاءِعَنْ عَبَثِ الوهَّابيَّة بِكُتُبِ العُلَمَاءِ .

(٤٤) الإِتْحافَاتُ القُدُسِيَّة فِي نُصْرَةِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّةِ والرَّدِّ عَلَى الوَهَّابيَّة .
(٤٥) نُبُوَّةُ النِّسَاءِ بَيْنَ المَانِعِيْنَ وَالمُجِيْزِيْن .
(٤٦) حَادِثَةُ سِحْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(٤٧) المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ وَعَلاقَتُهُ بِالصِّفَاتِ الإِلَهِيَّة .
(٤٨) مَسْأَلَةُ التَّنَاكح بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ بَيْنَ الحَقِيْقَةِ وَالخَيَال .
(٤٩) صِفَاتُ الحوْرِ العِيْن فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّة .
(٥٠) الجَوَابُ المُخْتَارُ فِي مَسْأَلَةِ فُتُوْرِ الوَحْي وَمَا نُسِبَ لِلنَّبِيِّ مِنْ مُحَاوَلَةِ الانْتِحَار .
(٥١) كَشْفُ الخَفَا فِي مَصِيْرِ وَالِدَيّ المُصْطَفَى .
(٥٢) مَصِيْرُ أَبْنَاءِ المُشْرِكِيْن يَوْم الدِّيْن .
(٥٣) مسألة التبرك بالأنبياء والصَّالحين في الإسلام .
(٥٤) أَقْوَالُ العُلَمَاءِ المَنْثُوْرَةِ فِي تَنْزِيْهِ الله عَنِ الصُّوْرَة .
(٥٥) مَشْرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّة وَالرَّدّ عَلَى الوَهَّابِيَّة .
(٥٦) مَسْأَلَةُ الاحْتِجَاجِ بِالقَدَرِ عَلَى المعْصِيَة .
(٥٧) إِرْشَادُ الفُحُوْلِ إِلَى مَا قَالَهُ أَسَاطِيْنُ العِلْمِ فِيْ تَنْزِيْهِ الله عَنِ الحَرَكَةِ وَالنُّزُوْل .
(٥٨) إِعْلَامُ الخَلَفِ بِتَأْوِيْلَاتِ السَّلَف .
(٥٩) خبر الآحاد ومدى حجيَّته في العقيدة .
(٦٠) العُلوُّ لِلْعَلِيِّ الغَفَّار عُلُوّ مَكَانَةٍ لَا عُلُوّ مَكَان .
(٦١) كَشْفُ الغِطَاءِ عَنْ مَسْأَلَةِ الاسْتِوَاء .
(٦٢) إِعْلَامُ الحُذَّاقِ بِحَقِيْقَةِ السَّاق .
(٦٣) إِعْلَامُ العَبْدِ الأَوَّاه بِحَقِيْقَةِ الوَجْهِ المُضَافِ إِلَى الله .
(٦٤) جَلَاءُ العَيْن بِحَقِيْقَةِ مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ العَيْن .
(٦٥) المَوْرِدُ العَذْب فِي تَوْضِيح مَا أُضِيْفَ إِلَى الله مِنْ لَفْظِ الجَنْب .
(٦٦) رَفْعُ السَّارِيَةِ فِي الكَلَامِ عَلَى حَدِيْثِ الجَارِيَة .
(٦٧) بَرْدُ الأَكْبَادِ فِي تَنْزِيْهِ الله تَعَالَى عَنِ اليَدِ وَالأَيَاد .

(٦٨) رَفعُ الصَّوْتِ بِمَا جاءَ عَنِ المَوْت .

(٦٩) كِفَايَةُ العَبْدِ الأَوَّاه بِمَا جَاءَ عَنْ قُرْبِ الإِلَه .

(٧٠) الشَّفَاعَاتُ الخَاصَّةُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧١) إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن .

(٧٢) إِنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ بِمَا أُضِيْفَ إِلَى اللهِ مِنَ المَكْرِ وَالخِدَاع وَالاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَان .

(٧٣) إِتْقَانُ الصَّنْعَةِ فِي تَحْقِيْقِ مَعْنَى البِدْعَة / وصل إلى الآن ستة مجلَّدات .

(٧٤) الإتحافات المِقْدَادِيَّة بتَراجِمِ السَّادَةِ الصُّوْفِيَّة / وصل إلى الآن خمسة وأربعين مجلَّداً بحمد الله تعالى .

(٧٥) التَّشْنِيْف بِبَعْض البِدَعِ الحسنة المُتَعَلِّقَةِ بِالمُصْحَفِ الشَّرِيْفِ .

(٧٦) تبصير الهُداة بِبَعْض البِدِعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بِالصَّلَاةِ .

(٧٧) تَنْوِيْرُ ذَوِيْ الأَلْبَابِ بِبَعْضُ البَدَعِ الحَسَنَةِ المُتعلِّقَة بِالسُّلُوكِ وَالآدَابِ .

(٧٨) رَفْعُ الصَّوْت بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَة المُتعلِّقَة بِالمَوْتِ .

(٧٩) تَذْكِيْرُ الأَكْيَاس بَعْضُ المَسَائِلِ المُتعلِّقة بِالزِّيْنَةِ وَاللِّبَاس .

(٨٠) إِعْلَامُ الأَنَامِ بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتعلِّقَة بِالصِّيَام .

(٨١) إِعْلَامُ البَرِيَّةِ بِبَعْضِ البِدَعِ العَقَدِيَّةِ التِيْ ابْتَدَعهَا مُدَّعُو السَّلفِيَّةِ .

(٨٢) إِتْحَافُ النُّجبَاء بِبَعْضِ البِدَعِ التِيْ ابْتَدَعهَا مُدَّعُو السَّلَفِيَّةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالعِلْمِ وَالعُلَمَاءِ .

(٨٣) الإِفصاحُ عَنْ مَعْنَى السُّنَّةُ وَالبِدْعَة فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاح .

(٨٤) غَايَةُ المَرَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ التِي اسْتَحْدَثَهَا السَّلفُ الصَّالِحُ فِيْ زَمَانِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام .

(٨٥) مِسْكُ الخِتَام بِبَعْضُ البِدَعِ الحَسَنَةِ المُتَعلِّقَة بِالرَّسُوْلِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام .

(٨٦) إِقَامَةُ البَرَاهِيْن عَلَى أنَّ مُحَمَّداً أَفْضَلُ المُرْسَلِيْن .